دائرة المعارف الإسلامية

المجلد الثالث

نقلها إلى اللغة العربية

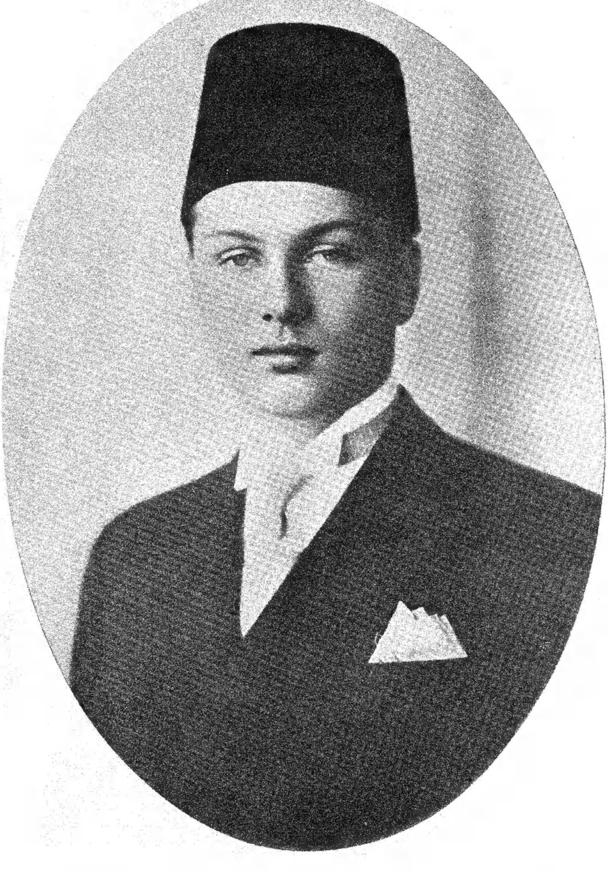
عباس محمود — عبد الحميد يونس

أحمد الشنتناوي — إبراهيم زكي خورشيد

راجعها من قبل وزارة المعارف العمومية

الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك

المجلد الثالث



حضرة صاحب الجلالة مولانا المعظم فاروق الأول ملك مصر

« أنَّا » اسم يطلق على عملة فى الهند الشرقية البريطانية وعلى وحدة من وحدات الموازين أيضاً . والأنّا باعتبارها عملة تساوى ١/١٦ من الروبيّة (انظر هذه المادة) ؟

« أنَاپه » اسم يطلق على ثغر من ثغور البحر الأسود فى إقليم قوبان من أعمال القوقاس الروسى، وفيها قلعة جددها الترك فى سنة ١٧٨١ م ، ودخلت فى حوزة الروس منذ سنة ١٨٢٨ ؟

« أنَاضُولى » أناتوليا أو ناتوليا : اسم يدل على أكبر التقسيمات العسكرية فى الإمبراطورية البوزنطية بآسية . وقد ذكرها ابن خرداذبه باسم ناطلس . وكانت تمتد من دوريلايم إلى كِليكية . وكانت هذه الولاية فى عهد الترك تشمل آسية الصغرى غربى قزل إيرمق وشمالى قرمان (ويقابل هذا مع شىء من الاختلاف ولاية قونيـة) مع استثناء ولايات قوجه ايلى وبيغه وصغله(أزمير) التى كانت تتبع قضاء قبودان باشا . وكانت مدينة كوتاهية حاضرة هذه الولاية الكبيرة ومقر واليها . وتدل كلمة أناضولى فى أوسع معانيها على آسية الصغرى كلها، ولا يزال مدلولها هذا قائماً (انظر مادة « تركية ») ؟

« أنَاضُولى حِصَار » اسم حصن شيده بايزيد الأول سنة ٧٩٨ ﻫ (١٣٩٦ م) على ضفة البسفور الآسيوية عند أضيق أجزائه . وكان يسمى أول الأمر « كوزلجه حصار » وهو الآن مهجور . وشيد محمد الفاتح سنة ٨٥٦ ﻫ (١٤٥٢ م) حصن « روميلى حصار » على الضفة الأخرى ليبسط سلطانه على القسطنطينية كلها ؟

« أنامور » والاسم القديم Ανεμμριον : ثغر على مرتفع من الأرض فى آسية الصغرى ، وهو الآن عبارة عن مرسى كما أنه حاضرة قضاء فى سنجق إيچ إيل من أعمال أذَنة . ولا تزال أطلال المدينة القديمة قائمة ، وهى معروفة باسم « إسكى أنا مور » ؟

المصـــادر

V. Cuinet : *La Turqie d'Asie* ، ج ٢ ، ص ٨١ — ٨٢ .

« أناهيد » (ناهيد) الاسم الفارسى لكوكب الزهرة ؟

« الأنبار » مدينة على الضفة اليسرى لنهر الفرات فى الشمال الشرقى للعراق، جنوبى خط طول ٤٠َ ٤٣° شرقاً ، وخط عرض ٢٣َ ٣٣° شمالاً . ويقول جغرافيو العرب إنها

على مسيرة اثنى عشر فرسخا من بغداد (أى مايقرب من ٦٨ كيلومترا إذا اعتبرنا أن الفرسخ يساوى ٥,٧ من الكيلومترات) الا أن ياقوت يذهب إلى أنها تبعد عن بغداد عشرة فراسخ (Streck : *Babylonien nach den arab. Geographen* ، ليدن ١٩٠٠ م ، جـ ١ ، ص ٨) . ويروى أن الذى اختط هذه المدينة هو الملك الساسانى سابور الثانى الذى حكم من عام ٣١٠ إلى عام ٣٧٩م . ومن المرجح أن هذه الرواية لم يقصد بها تخطيط مدينة جديدة وإنما هى تشير إلى إعادة بناء مدينة كانت قائمة فى هذا الموضع وتحصينها ، لأن الدراسة التى قام بها «وارد» و«هلبرخت» Ward & Hilprecht للأطلال القائمة إلى الآن تقطع بأنه كانت هناك مدينة ترجع إلى ما قبل عهد الساسانيين .

ولم يمض على الأنبار وقت طويل حتى أصبحت من أهم مدن الدولة الساسانية ، كما كانت تعتبر فى عهد أميانوس Ammianus أهم مدن بابل بعد طيسفون . وكانت هذه المدينة ذات مركز حربى هام لحمايتها للعاصمة من هجمات الروم ، وكان لها أيضا شأن عظيم فى الحملة المشهورة التى قام بها يوليان Julian على بلاد فارس .

وترجع أهمية الأنبار من الناحية الجغرافية إلى أن أول قناة واسعة صالحة للملاحة شقت فى بابل ووصلت بين دجلة والفرات تتفرع من هذا النهر على مسافة قصيرة جنوبى هذه المدينة . والمصادر العربية تذكر هذه القناة باسم «نهر عيسى» (سترك : كتابه المذكور ، جـ ١ ، ص ٢٥ وما بعدها ؛ Le Strange : *Baghdad during the Abbasid caliphate* ، اكسفورد ١٩٠٠ م ، ص ٧١ وما بعدها) . ويعود تاريخ هذه القناه من غير شك إلى ما قبل الإسلام . والظاهر أن الذى شقها هو أحد ملوك الساسانيين والأرجح أن يكون سابور الثانى . واختار ملوك الساسانيين المتأخرون هذه المدينة الحصينة لا قامة دور الصنعة والأنابير لأنها تتوسط أخصب أقاليم الدولة الفارسية وتربطها بالعاصمة طيسفون قناة صغيرة صالحة للملاحة. وكثرة الأنابير بهذه المدينة هى التى حدت إلى تسميتها بهذا الاسم ، إذ أن كلمة الأنبار ومعناها الأهراء وهى جمع نَبْر مشتقة من اللغة الإيرانية (فى الإيرانية القديمة هم - باره وفى الفارسية الحديثة : أنبر وفى الأرمنية : همبر) (انظر Nöldeke : *Grammatik der neusyrischen Sprache* ، ليبسك ١٨٦٨ ، ص ٤٠٣ ؛ S. Fraenkel : *Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen* ، ليدن ١٨٨٦ ، ص ١٣٦ ؛ Hubschmann : *Armenische Grammatik* ، ليبسك ١٨٩٧ ، جـ ١ ، ص ١٧٨ ؛ Scheftelowitz فى *Zeitschr. d. deutsch. Morgenl Gesellsch* ، جـ ٥٩ ، ص ٦٩٩) وقد أطلق العرب على المدينة اسم الأنبار بدلا من اسمها الرسمى القديم «فيروز

شاپور » (فيروز سابور) ومعناه شاپور المنتصر وهو الملك الساسانى الذى أعاد بناءها . ويظهر أن الفرس كانوا يسمونها بهذا الاسم دواما ، وقد عرفها الرومان به أيضـــا (*Pirisabora* : Ammianus Marcell ؛ *Zozimus* : Βηρσαβῶρα) واستعمل أهل الشام الاسم نفســه . وكان لهم أسقف نسطورى يقيم فيها (Guidi : *Zeitsch der Deutsch. Morgenl Gesellsch* ، ج ٤٣ ، ص ٤١٣) وعرفها الروم باسم Ἀμβαρα (Ἀββαρέων ، Ἄβαρα)' الذى سمعوه من العرب . واحتفظ العرب باسم فيروز سابور وأطلقوه على طسوج فى كورة العلى التى حاضرتها الأنبار (انظر سترك ، كتابه المذكور، ج ١ ، ص ١٦ ، ١٩) .

وظلت الأنبار مدينـــة زاهرة خلال القرون الأولى للإسلام . وقد فتحها خالد عام ١٢ هـ (٦٣٤ م) فى خلافة أبى بكر بعد أن هزم الأحلاف ، الفرس والروم ، فى وقعة هائلة بالقرب من هذه المدينة . وكانت الأنبار مقراً للخلافة مدة قصـــيرة ، إذ اتخذها أبو العباس السفاح أول خلفـــاء بنى العباس مقراً له من عام ١٣٢ إلى ١٣٦ هـ (٧٥٠ — ٧٥٤ م) ودفن بها فى القصر الذى ابتناه ، واستقر بها خلفه أبو جعفر المنصور إلى أن أسس مدينة بغداد عام ١٤٥هـ (٧٦٢م) ومنذ ذلك الحين أخذت الأنبار تفقد أهميتها تدريجياً . وكان اســـتيلاء أبى طاهر زعيم القرامطة على هذه المدينة عام ٣١٥هـ (٩٢٧م) . وتخريبه إياها من أقوى العوامل فى اضمحلالها . وكان عدد سكانها أيام المقدسى (٣٧٥ هـ = ٩٨٥ م) صغيراً ، وكان قصر الخلافة لا يزال باقيا فى أيام الإصطخرى (٣٤٠هـ = ٩٥١م) وإن كان الخراب قد دب فى بعض أجزائه . وذكر رشيد الدين الأنبار فى حديثه عن تقدم المغل نحو بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

وأصبح مكان مدينة الأنبار الآن خراباً بلقعاً ، ويستدل على موقعها من خرائب تل عَخَر (عقر ، عَقرة) وأمبار (Chesney : أم بَرّى) . ويرى رتر Ritter أن هذا الرسم يشابه اسم المدينة القديم .

ولا يمكننا أن نقول إن الجزء الأدنى من نهر صقلاوية الذى يتفرع من الفرات غربى هذه الأطلال هو عين نهر عيسى الذى سبقت الإشارة إليه (ويخالف هذا الرأى H. & R. Kiepert ، انظر خريطة أوپنهايم M. V. Oppenheim فى *Vom Mittel mer* ، *Zum Pers Golf* ، برلين ١٨٩٩) .

وهناك أطلال وخرائب متسعة تشير إلى قيام مدينة كبيرة زارها ووصفها مؤخراً كل من بيوشر J. B. Bewsher ووارد Ward وهلپرخت Hielprecht ؟

المصـــادر

(١) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، ج ٣ ، ص ٩٢٩ (٢) البلاذرى ،

طبعة ده غوى ، ص ٢٤٦ (٣) رشيد الدين ، طبعة *Hist. des Mongols de la Perse* Quatremère ج ١ ، ص ٢٨٠ (٤) *Bibl. geogr. Arab.* ، طبعة ده غوى ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ج ٢ ، ١٥٥ ؛ ج ٣ ، ص ١٢٣ (٥) G.Weil ، *Gesch. der Chalifen* شتوتجارت ١٨٣٦ وما بعدها ، ج ١ ، ص ٣٥ — ٣٩ و ٢٤٤ ، ج ٢ ، ص ٦٠٩ ، ج ٣ ، ص ٤٧٦ (٦) K.Ritter: *Erdkunde* ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ — ١٤٦ و ١٤٧ ومابعدها (٧) G.Hoffmann: *Auszüge* *syrisch. Akten persisch Märtyrer* ليبسك ١٨٨٠ ، ص ٨٣ ، تعليق رقم ٧٥٤ ، ص ٨٨ وما بعدها (٨) Nöldeke: *Gesch. der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden* ليدن ١٨٧٩ ، ص ٥٧ (٩) Andreas فى Pauly — Wissowa's: *Realencyklop. der Klass. Altertums—wissensch* ، ج ١ ، ص ١٧٨٠ — ١٧٩٥ (١٠) G Rothstein: *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira* برلين ١٨٩٩ ، ص ١٧ ، ١٤٥ (١١) G le Strange: *The lands of the eastern caliphate* كمبريدج ١٩٠٥ ، ص ٢٥ ، ٦٥ (١٢) Chesney: *The expedition for the survey to the rivers Euphrates and Tigris* لندن ١٨٥٠ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ (١٣) Bewsher فى *Journ. of the Geograph. Society* ، ج ٣٧ ، لندن ١٨٦٧ ، ص ١٧٤ (١٤) Ward فى مجلة *Hebraica* ، ج ٢ ، شيكاغو ١٨٨٥ ، ص ٨٣ وما بعدها (١٥) Hilprecht: *Explorations in Bible Lands* فيلادلفيا ، ١٩٠٣ ، ص ٢٩٨

[ستريك Streck]

«الأنبارى» عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله بن أبى سعيد كمال الدين أبو البركات ، لغوى عربى ولد عام ٥١٣ ه (١١١٩ م) ، درس اللغة فى المدرسة النظامية ببغداد وتتلمذ فيها على الجواليقى والشجرى واشتغل فيها بعد ذلك بتدريس اللغة . ولم يترك الأنبارى بغداد قط ، ولكنه اعتزل العالم فى أواخر حياته وكرس نفسه للعلم والعبادة . وتوفى فى التاسع من شعبان عام ٥٧٧ (١٩ ديسمبر سنة ١١٨١).

وأهم مصنفاته كتاب « نزهة الألباء فى طبقات الأدباء» (طبع على الحجر بالقاهرة عام ١٢٩٤ ه) سرد فيه تراجم اللغويين فأصبح بمثابة تاريخ لفقه اللغة العربية منذ نشأته حتى أيامه . أما رسالته النحوية السهلة المسماة «كتاب أسرار العربية» فقد نشرها سيبولد C. F. Seybold فى ليدن عام ١٨٨٦ . وأورد كل من كوسوت Kosut فى *Fünf Streitfra der Basrenser und Kufenser* (فينا ١٨٧٧) وجرجاس W. Girgas فى *Skizze des Grammat etc* (بالروسية عام ١٨٧٣ ، ص ٤٦-٦٦) وجرجاس وروزن Girgas Rosen فى *Arabsk-Khrestom* (سانت بطرسبرج ١٨٧٦ ص ٤٣٥—٤٥٥) وفيل G. Weil فى *Zeitschr.*

f. Assyriologie، جـ ٣٠، ص٥٦ وما بعدها، مختارات من كتاب الأنباري المسمى «كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين» الذي كتبه لتلاميذه، وتوجد نسخ خطية من هذا المصنف في ليدن (Catal. cod. or. Bibl. acad. Lugd. Bat، جـ١، طبعة عام١٨٨٦، رقم١٦٩) والأسكوريال (H. Derenbourg : Les mss. de l'Esc. رقم ١١٩) وفي جامع يكي باستامبول (رقم ١٠٦٠).

وتوجد له كذلك بعض مصنفات نحوية أقل شأناً محفوظة في ليدن (Catal رقم ١٧٠ — ١٧١) وباريس (de slane : Cat. des. Mss. ar. de la Bibl. nationale : رقم ١٠١٣، ١٠١٤) والأسكوريال (درنبورج، جـ ٢، ص ٧٧٢، ٧٧٤).

وفقد من مصنفات الأنباري: رسالة في النحو اسمها «الميزان»، ورسالة في الصرف تسمى «الزهور» ذكرها عبد القادر البغدادي في كتابه «خزانة الأدب» (بلاق ١٢٩٩ جـ ٢ ص ٣٥٢، س ١٤)، ومصنفه المعروف باسم «الكتاب الفائق في أسماء المائق» الذي ذكره الأنباري في كتاب «النزهة» (ص ٣٨، س٣)، ومصنفه «كتاب الوقف والابتداء» وقد ذكره السيوطي في كتابه «شرح شواهد المغني» (القاهرة ١٣٢٢، ص ١٥٨، س ٢٦) وكذلك كتابه في تفسير الأحلام ؟

المصـــادر

(١) ابن خلكان، بلاق ١٢٩٩، ص ١٣٥ رقم ٤٣٢ (٢) الكتبي : فوات الوفيات، بلاق ١٢٩٩، جـ ١، ص ٢٦٢ (٣) Wüstenfeld : Die Geschichteschreiber der Araber رقم ٢٦٩ (٤) Brockelmann : Gesch. d. Arab. Litter جـ ١، ص ٢٨١.

[بروكلمان Brockelmann]

«الأنباري» وهو القاسم بن محمد بن بشار: كاتب مشهور تبحر في الحديث واللغة، توفي عام ٣٠٤ هـ (٩١٦ م)، وابنه أبو بكر محمد المولود عام ٢٧١ هـ (٨٨٥ م) أخذ العلم عليه كما أخذه على ثعلب ودرس إبان حياة أبيه في المسجد الذي كان يدرس فيه أبوه. وقد اشتهر بقوة حافظته وتوفي عام ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م)، وفي رواية أخرى أنه توفي عام ٣٢٨ هـ.

ولم يبق من مصنفات الانباري إلا شرحه للمفضليات الذي نقحه ابنه (Ch. Lyall في Journ. of the Roy As. Soy. ١٩٠٤، ص ٣١٩ وما بعدها).

أما مصنفات ابنه أبي بكر التي بقيت فهي:

١ — «كتاب الأضداد» (طبعة هوتسما، ليدن عام ١٨٨١ م؛ القاهرة ١٣٢٥ هـ).

٢ — «كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس» (مخطوط بإستانبول، مكتبة كوبريللي، رقم ١٢٨٠).

٣ — « كتاب الإيضـــاح فى الوقف والابتداء » ، (منه مخطوطات فى لندن *Cat. cod. Mss. Orient in Mus. Br.* ، جـ ٢ ، رقم ١٥٨٩ وبإستانبول مكتبة كوبريللى ، رقم ١١) .

٤ — كتاب فى الآيات القرآنية التى استبدلت الهاء فيها تاء ، (مخطوط بباريس، انظر de Slane : *Cat. des Mss. ar. de la Bibl. nationale* رقم ٦٥١ و ٦٥٢) ومن المحتمل أن يكون هذا الكتاب ملخصا من « كتاب الهاءات فى كتاب الله » . وذكر ابن الأثير فى مقدمة كتابه « النهاية » أن للأنبارى كتابا اسمه « كتاب غريب الحديث » كان بين المصادر التى رجع إليها .

المصـــادر

(١) الفهرست ، طبعة فلوجل ، جـ ١ ، ص ٧٥

(٢) عبد الرحمن بن الأنبارى : نزهة الألباء ، القاهرة ١٢٩٤ ، ص ٣٣٠—٣٤٢ (٣) ابن خلكان القاهرة ١٢٩٩ ، جـ ١ ، ص ٦٣٧ ، رقم ٦١٤

(٤) Flügel : *Die grammatischen Schulen der Araber* ، ص ١٦٨—١٧٢ (٥) Brockelmann : *Gesch. d. arab. Litter* ، جـ ١ ، ص ١١٩ (٦) Haffner فى *Wiener Zeitschr. f. d. Kunde des morgenl* جـ ١٣ ، ص ٣٤٤ (٧) Kern فى *mitt. des Seminars fur Oriental. Sprachen* جـ ١١ ، ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .

[بروكلمان Brockelmann]

« الأنبياء » جمع نبى (انظر هذه المادة) واسم السورة ٢١ من القرآن .

« الأنبيق » آلة تستعمل فى التقطير ، ولفظ « أنبيق » مأخوذ من اليونانية ἄμβιξ . وقد ورد ذكر الأنبيق فى القرن العاشر الميلادى فى ترجمة كتاب لديوسقوريدس وفى مفاتيح العلوم وفى كتاب الأسرار للرازى (وقد أخطأ كوب Kopp الذى اتبع Weil فيما ذهب إليه) . ويوصف الأنبيق غالباً بأنه واحد من آلات صنّاع ماء الورد .

ويتكون جهاز التقطير من ثلاثة أجزاء : الأول القرْع والثانى الأنبيق والثالث القابلة . وفى الأجهزة الحديثة الأنبيق والقرع جزء واحد . وتجد رسوم هذه الآلات التى اشتملت عليها المخطوطات العربية واردة فى كتاب « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر للدمشقى (طبعة مهرن Mehren ، ص ١٩٤ وما بعدها) . والشائع أن يكون الأنبيق مركباً على القرع ولكننا نجده فى هذه الرسوم موضوعاً أمامه . وفى الحالة الأولى يكون شكل الأنبيق كالمحجمة كما صُوِّر فى « مفاتيح العلوم » (طبعة فان فلوتن ، ص ٢٥٧) . ويصف ابن العوام (ترجمة Clément Mullet ، جـ ٢ ، ص ٣٤٤) الأنبيق وكيف يستخدم فى تقطير ماء الورد . ولا يقصد بلفظ الأنبيق فى هذا الوصف دائماً الأنبيق بأكمله ، وإنما يقصد به غالباً ميزابه فقط إن لم يكن كلام ابن العوام قد أصابه

التحريف . ويقال للأنبيق أيضاً رأس القرع .

ويذكر الأنبيق مع غيره من آلات صناعة الكيمياء فى مفاتيح العلوم وفى كتاب الأسرار للرازى (مخطوط رقم ٢٦٦ فى مكتبة بلدية ليبسك ، ورقة رقم ٤) . والوصف الذى كتبه الكرشونى ونشره برتلو Berthelot قريب الشبه بوصف الرازى .

وهناك أنواع خاصة من الأنابيق كالأنبيق الأعمى الذى لاميزاب له والأنبيق ذى الميزاب المعقوف وغيرهما من الأنابيق المختلفة الأشكال . وأطلق ابن العوام أيضاً على الذيل لفظ « ذَنَاب » ، وهى القراءة التى يفضلها موليه Cl. Mullet ، أو « ذَبَاب » كما ورد فى النص ، وهى القراءة التى يميل إلى ترجيحها دوزى Dozy لأن هذا الذيل يصل الميزاب بأنبوبة ملتوية تستعمل للتكثيف ، ولا يوجد رسم لهذه الأنبوبة الملتوية . على أنه لما كان كيماويو العرب يعتمدون فى الغالب على كيماويى اليونان فمن الممكن الاستعانة فى ذلك بما ورد فى مؤلفات القدماء من رسوم لهذه الآلات ، وقد وردت بعض الرسوم فى الترجمات اللاتينية للمصنفات المنسوبة لأبى موسى جابر بن حيان ؟

المصادر

(١) E. Wiede[redacted] Zeitschr. D. [redacted] Deutsch Morgenl. Gesellsch ، ج ٣٢ ، ص ٥٧٥ (٢) المؤلف نفسه فى Diergart : Beitr. aus. d. Gesch. d. Chemie ، ١٩٠٨ ، ص ٢٣٤ (٣) M. Berthelot : La Chimie au Moyen âge ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ٦٦ ، ١٠٥ وما بعدها .

[فيدمان E. [redacted]ledemann]

« أَنْجُمَن » وينطقها الترك إنجمن : كلمة فارسية معناها فى الأصل مجلس أو مجمع . ظلت هذه الكلمة زمنا طويلا كما يقول شامبلان Champlan تدل بصفة خاصة على الجمعيات الدينية والمذهبية مثل الجمعيات الزرادشتية فى يزد وكرمان التى لها سلطة قضائية ، وجمعيات الدراويش التى ألفها ظاهر الدولة صاحب همذان . ومنذ دخل النظام البرلمانى فى فارس أصبح لهذه الكلمة مدلول جديد ، فأطلقت على الجمعيات السياسية التى ظهرت بكثرة فى الأقاليم الفارسية أولا وفى طهران بعد ذلك . وأخذت كلمة أنجمن فى هذا المعنى تترجم عادة بلفظ منتدى وهى ترجمة وإن كانت صحيحة ، لا تعبر تعبيراً دقيقاً عن صفة هذه الجمعيات فى فارس الحديثة لأن معظمها يشبه شبهاً قوياً منتديات الثورة الفرنسية وما كان لتلك من النفوذ السياسى . وفوق ذلك فهى بالنسبة لأهميتها تقوم مقام المجالس النيابية الإقليمية أو المجالس البلدية . ومنها ما أنشىء لغرض خيرى أو على أوفنى ، ومنها ما هو بمثابة نقابات لأصحاب المهن ، وكل هذه الجمعيات مهما يكن اسمها ــ كانت

منصرفة إلى ترويج الآراء الحرة والدستورية، وكان لها بعض النشاط السياسى.

وأهم هذه الجمعيات هو «أنجمن ملى» أى المنتدى الأهلى فى تبريز، وقد أنشأه فى أول رمضان عام ١٣٢٤ (١٧ ديسمبر ١٩٠٦) زعماء الحركة الدستورية بعد أن تركوا القنصلية البريطانية التى كانوا قد التجئوا إليها. وكان هذا المنتدى فى أول أمره يتألف من عشرين تاجراً وبعض العلماء، ولكن سرعان ما كثر عدد أعضائه حتى أصبح يضم ممثلين لجميع طبقات الأمة. وبلغ من شأنه أن كان لولى العهد محمد على ميرزا مندوب يمثله فيه. ولم يحد من سلطانه المنازعات التى قامت بينه وبين مجلس النواب، وخاصة عند ما رأى المجلس الأخير السماح للعلماء المنفيين بالعودة إلى تبريز، ولم يقف فى سبيل تقدمه أيضا الصعاب التى اكتنفت التصويت على القانون الخاص بالمجالس الإقليمية التى كانت تريد الاعتراف العاجل بما لها من وجود شرعى.

وأغلق هذا المنتدى بعد الانقلاب الذى حدث فى يونية سنة ١٩٠٨، ولكنه عاد إلى الاجتماع بعيد ذلك واستحوذ على السلطة فى آذربيجان، وأقام ستّارخان وباقرخان زعيمين للحزب الدستورى. وأخذ هذا الـ «أنجمن» يعمل بالاشتراك مع بقية الجمعيات فى فارس، وبذلك نظم المعارضة القوية المشهورة ضد الحكومة الجائرة. ولم يكتف الـ «أنجمن ملى» بتأييد الصحافة لحركته، بل أنشأ جريدة «ملى» لساناً له وكان ينشر فيها ما يدور فى الاجتماعات التى يعقدها.

ويلى هذا المنتدى فى الأهمية المنتدى المقدس بأصفهان الذى أنشىء عام ١٩٠٧ م، ويبلغ عدد أعضائه ١٨ ويمثل كل ثلاثة منهم طبقة من طبقات السكان، ويعقد اجتماعاته يوم السبت من كل أسبوع، وهذا الأنجمن هو الذى نظم معارضة الحكم المطلق جنوبى فارس وضمن للحزب الدستورى تأييد البختيارية القوى، وحرر بلاد فارس من سلطان الشاه.

وهناك جمعيات أخرى لا تقل عن هذه فى الأهمية ألفت فى مشهد وعددها ثلاث، واحدة منها خيرية وأخرى تهذيبية، كما توجد جمعيات أخرى فى همذان وأردبيل ورشت وشيراز وبندر بوشير وغيرها. وفى بندر بوشير تعلن افتتاح جلسات الأنجمن بإطلاق المدافع ويقوم الجنود بتحية ممثلى الشعب.

وأبطأت العاصمة فى النسج على منوال الأقاليم فكان لها فى أول الأمر لجان تعد العدة للانتخابات، وفى هذه اللجان تنتخب كل طبقة على حدتها من يمثلها. وما إن اعترفت السلطات الدينية فى العراق بهذه الجمعيات حتى أخذ عددها فى الازدياد، فكان لكل حى من أحياء المدينة جمعية منفصلة، وتألفت جمعية مركزية وظيفتها

وظيفة المجلس البلدى وقامت بالكثير من الإصلاحات الهامة . كما تألفت جماعات أخرى تضم أهل الإقليم الواحد ، وجماعات لمختلف المهن كالطلاب والأساتذة والأطباء وموظفى البرق وأشباههم . وهناك أيضاً جماعة للتعليم لها ممثلون فى الأقاليم ، وأخرى للزراعة إلى جانب الجماعات الخيرية .

وكانت جماعة الأخوان تقبل الزرادشتيين فى عضويتها ، وكانت هناك جماعة نسائية (أنجمن نسوان) تعقد جلساتها يوم الأربعاء من كل أسبوع لمناقشة المسائل الاجتماعية التى تهم المرأة . ولم يكن يسمح للنساء بالتدخين أو شرب الشاى أو اصطحاب الأطفال فى أثناء الجلسات .

وبلغ عدد الجماعات فى يونية عام ١٩٠٨ بمدينة طهران وحدها ما لا يقل عن ١٤٤ جماعة ، ونستطيع أن نقول إن كل طهرانى كان عضوا فى جماعة أو [illegible]كثر من هذه الجماعات . وأغلب هذه الجماعات على كثرة عددها وتنوع أغراضها كان سليم المقصد بصفة عامة ، وكانت تكثر من عقد الجلسات كما أن اشتراكاتها الزهيدة كانت سببا فى كثرة الإقبال عليها .

وتألفت جماعات فارسية فى البلاد الأجنبية ، منها جماعة وطنية فارسية اسمها « أنجمن وطن خاهان إرانى » فى مدينة بومباى . وبعد إعادة الدستور فى تركية تألفت جماعات حرة كثيرة منها جماعة الاتحاد والترقى الفارسية فى القسطنطينية وكانت غايتها جمع التبرعات لأبطال الحرية واستدرار عطف أوروبا . وتألفت منذ عهد طويل بالقوقاز والهند جماعات فارسية لتبادل المعونة بين أعضائها .

وأخذت جماعات إسلامية كثيرة فى الهند تتسمى باسم أنجمن . (انظر فيما يختص بها مقال A. le Chatelier عن « أغا خان » فى مجلة العالم الإسلامى *Revue du monde* [illegible]*ulman* ، عدد نوفبر ١٩٠٦ ، ص ٧٧ ، ٧٨ ؛ عددى نوفبر وديسمبر ١٩٠٧ ، ص٥٧٩ ؛ عدد يناير ١٩٠٨ ، ص ١٧٢ : عدد مارس ١٩٠٨ ، ص ٦٠٠) ، ومن هذه الجماعات جماعة « أنجمن إسلامية » فى بومباى وكان لها أثر كبير فى تحسين حال مسلمى الهند و « أنجمن إسلامية » فى پتنه ولاهور وبنجالور وقيمباتور وتريشينوپولى و « أنجمن مظفرى » فى بومباى ، و « أنجمن مفيد أهل إسلام » فى فلور و « أنجمن مفيد الإسلام » فى مدنپور وغيرها ؟

المصـــادر :

(١) Robert Champlan : *Les And-joumens* فى *Bulletin du Comité de l'Asie française* مايو ١٩٠٨ ، ص ١٧٥ — ١٧٦

(٢) Ghilan : *Le Club National de Tauris* فى *La Revue du Monde musulman* مايو ١٩٠٧ ، ص [illegible] — ٩ ، أغسطس — سبتمبر ١٩٠٧ ، ص ١٠٦ — ١١٧ ؛ وانظر كذلك *La Revue* [illegible] *Monde Musulman* مايو ١٩٠٧ ، ص ٣١١ — ٣١٢ ، ٣٧٩ ،

أغسطس — سبتمبر ١٩٠٥، ص ١٤٥، نوفمبر — ديسمبر ١٠٠٧، ص ٥٦٩، يناير ١٩٠٨ ص ٨٥ — ٨٩، ١٦١، مارس ١٩٠٨، ص ٥٩٧ — ٥٩٨، مايو ١٩٠٨ ص ١٦٧ — ١٦٨، اكتوبر ١٩٠٨، ص ٢٩١ — ٢٩٣، سبتمبر ١٩٠٨، ص ٧٤٥، نوفمبر ١٩٠٨، ص ٥٣٤ — ٥٣٩.

[بوفا L. Bouvat]

«إنجيل» أو أنجيل [١] تحريف للكلمة اليونانية εὐαγγέλιον. ويبدو لنا من القرآن ومن مصنفات كثير من الكتاب المسلمين أن المسلمين كانوا على شيء من العلم بالإنجيل. ومن اليسير أن نبين مدى علمهم هذا بإيراد بعض الشواهد. على أنه من العسير أن نحدد بشكل قاطع — لا عن طريق الاستنباط — كيفية وقوفهم على تلك المعلومات.

وليس من شك فى أن بعض ما وقفوا عليه وصل إليهم شفاها فى المناظرات أو المحادثات الودية التى كانت تجرى بين المسلمين والنصارى. ولم يسجل التاريخ إلا القليل عن نقل المعلومات إلى المسلمين بهذه الطريقة. وهناك وسيلة أخرى لمعرفة المسلمين بالإنجيل، فإن النصارى الذين أسلموا أدخلوا فى الإسلام بعض الآراء النصرانية التى ظلت عالقة فى أذهانهم. ونلمس للنصرانية تأثيراً آخر ظهر فى التصوف عند نشأته الأولى، ففى تعاليمه المبكرة آثار منهـا. (انظر D'Ohsson الغزالى، طبعة باريس، ١٩٠٢). وقد يصح لنا أن نقول إنه كان بين مسلمى العرب من كانوا ينشدون المعرفة للمعرفة، وأنهم جريا وراء هذه المعرفة قرءوا ترجمات عربية للإنجيل قام بها النصارى.

وسنذكر فى إيجاز ما عرفناه عن هذه الترجمات، ثم نتبع هذا بما ورد من الإنجيل فى القرآن أو فى مصنفات المؤلفين:

ترجم نصـارى العرب الإنجيل عن اليونانية والسريانية والقبطية. والترجمة التى عملت عن اليونانية تمت فى عهد متقدم جداً، كما يدل على هذا قدم المخطوطات الخاصة بها (مكتبة الفـاتيكان؛ *Museo Borgiano* - *Propaganda* ١٣، *Arab*)، والتى يرجع عهدها إلى القرن الثامن الميلادى. ويذكر ابن العبرى أن هناك ترجمة أقدم من هذه الترجمات قام بها البطريق يوحنا وهو من القائلين بالطبيعة الواحدة وكان ذلك بأمر الأمير العربى عمرو ابن سعد بين سنتى ٦٣١ و ٦٤٠ [٢].

وكتب جرجس أسقف القبائل العربية فى بابل، وكان معاصرا وصديقا ليعقوب الرهاوى تعليقات على الكتب المقدسة. ويرى شبرنجر «Sprenger» أن فى كتاب محمد بن إسحاق، (طبعة فستنفلد، ص ١٤٩ وما بعدها) فقرة مأخوذة من ترجمة للإنجيل تمت قبل الإسلام (انظر *Das Leben des Mohammed*، جـ ١، ص ١٣١ — ١٣٢). وهذه الفقرة تتضمن الفقرات ٢٣ — ٢٧ من الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا.

وكلمة « المنحَمَنّا » التى وردت فيها — ويقابلها فى اليونانية كلمة παράκλητος — ليست عربية ولا سريانية ، وإنما هى من اللغة الفلسطينية القديمة (٣).

على أننا إذا كنا لا نستطيع أن نقول إن هذه الترجمات ترجع إلى مثل هذا العهد القديم، فإنا نرى أن الترجمات الأولى التى نقلت عن اليونانيـة ترجع على الأقل إلى ما بعد الفتح الإسلامى وما تلاه من انتشار اللغة العربية .

وهناك ترجمة أخرى للإنجيل قديمة جدا نقلت عن السريانية ، ويوجد مخطوط لها محفوظ فى ليبسك. ويذهب جلدميستر Gildemeister إلى أنها عملت بين سنتى ٧٥٠ و ٨٥٠ م (انظر: *Des Evangeliis* ، ص ٣٥) . وعلى هذا نستطيع أن نقول إن المسلمين عرفوا منذ عهد متقدم أهم كتب العهد الجديد من ترجمات عربية لها .

وفى اللغة العربية ، إلى جانب الأناجيل الصحيحة ، كتب منحولة وهى : إنجيل الصبوة ، وإنجيل القديس يعقوب ورؤيا القديس بولس وعظة القـــديس بطرس وأخــــرى لسيمون ورسالة فى استشهاد القديسين يعقوب وسيمون . هذا إلى رسائل أخرى صغيرة يظهر أن المسلمين لم يكونوا على علم بها . ويقول R.Duval فى كتابه المسمى *La Littérature Syriaque* ، (طبعة باريس سنة ١٨٩٩ ، ص ٩٦) إن رؤيا القديس بطرس وضعت باللغة العربية فى القرن الثالث عشر الميلادى .

وكان محمد أكثر معرفة بالأناجيل المنحولة منه بالأناجيل الصحيحة . ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصـادر مسيحية خالصة ، وإنما نقلت إليه على يد يهود اعتنقوا النصرانية ، ويستدل على هذا بنوع القصص الذى ورد فى القرآن وقد تكيف بقصص أولئك الذين سماهم محمد « الحنيفيين » وقيل إنهم كانوا على دين إبراهيم . وهذا الموضوع ليس إلا مسألة فرعية من المسألة العامة الخاصة بأصل الإسلام ومصادره .

وكان الشعر أيضا وسيلة من الوسائل التى انتقلت بها آراء النصارى إلى المسلمين . فعند ظهور الإسلام كان الشعراء يترددون على الحيرة ، وكانت تربطهم بنصارى العرب خير الصلات ، فنقلوا إلى بلاد العرب ما سمعوه من القصص فى حانات الحيرة . نذكر من هؤلاء : زيد بن عمرو بن نفيل وأميـــة ابن أبى الصلت الذى كان واسع العـــلم بالقصص اليهودى أيضا (٤). وظل الشعر أمدا طويلا همزة الوصل بين المسلمين والنصارى . ولسنا نجهل الحفاوة التى قوبل بها الأخطل الشاعر النصرانى فى بلاط الأمويين .

وكان الطب وأعمال الحكومة من الوسائل التى وثقت الصلات بين المسلمين والنصارى . وحسبنا أن نذكر هنا اسم سرجيوس منصور الذى كان كاتبا لأربعـــة من الخلفاء ، وهو أبو يوحنا الدمشقى ، وكذلك كتّاب النصارى الذين اســـتخدمهم حكام المسلمين ، وظلوا

كذلك إلى أن منعهم الوليد بن عبد الملك من الكتابة باليونانية . ولنعد الآن إلى ما كنا بسبيله من الكلام عن القرآن .

يرد كثيراً فى القرآن ذكر عيسى ومريم والإنجيل . ومحمد يعرف الفرق الجوهرى بين الإنجيل والقرآن فى مسائل الأخلاق، وبخاصة فى الرأفة والرحمة (أنظر سورة الحديد ، آية ٢٧) . وعنده فكرة ما عن التشبيه الخاص بالزارع الذى يبذر البذور[٥] (سورة الفتح، آية ٢٩)، وعما جاء فيه من الوعد بإرسال رسول آخر (انظر سورة الأعراف ، آية ١٥٧، وإنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، فقرة ٧) ، وأن الإنجيل جاء مصدقا للتوراة (انظر سورة المائدة ، آية ٤٦) . وذكر من معجزات عيسى إبراءه للأعمى والأبرص وبعثه للموتى.

والأخبار الإنجيلية التى يظهر أنها كانت أكثر شيوعا فى البيئة التى شب فيها النبى هى الروايات الخاصة بالبشارة[٦]. وجاء فى القرآن أن الملائكة قالت : (يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) (انظر سورة آل عمران، آية ٤٢ وانظر أيضا إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، فقرة ٢٨) . وجاء فيه أيضا تصديق بأن المسيح ولد من أم عذراء (انظر سورة الأنبياء ، آية ٩١) . والقرآن فى إنكاره لصلب المسيح يقول قول الطائفة النصرانية التى تسمى الدوسيتية . (انظر فى ذلك سورة النساء ، آية ١٥٧ ؛ سورة آل عمران ، آية ٥٥)، والقصة الموجزة التى وردت فى القرآن عن رفع المسيح تجعل حياته منتهية فى اللحظة التى تجعلها الأناجيل بدءًا لآلامه (انظر الزمخشرى ، طبعة ليزج ١ ، ص ١٦٩) [وطبعة مصطفى محمد ج ١ ص ١٩٢] .

وقد ذكر القرآن دعوة الحواريين فى سورة آل عمران (آية ٥٣ — ٥٤) . ولهذه الدعوة صلة بالرهبانية (انظر سورة الحديد ، آية ٢٨) التى تجد شبها لها فى رسائل إخوان الصفاء . (انظر هذه المادة) . وذكر القرآن عجيبة من العجائب التى جرت على أيدى الحواريين عندما أنزل المسيح لهم مائدة مغطاة من السماء [قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين) (سورة المائدة آية ١١٤ ، وانظر كذلك ، أعمال الرسل ، الإصحاح العاشر ، الفقرة التاسعة وما بعدها) . وذكر القرآن كذلك قصة خلق المسيح لطير من الطين (سورة آل عمران ، آية ٤٩ وسورة المائدة ، آية ١١٠) وهذه القصة مأخوذة من إنجيل صبوة المسيح. أما تسمية المسيح بآدم الثانى فنجد فى القرآن ما يقرب منها وذلك فى سورة آل عمران ، آية ٥٩[٧] . وعبارة « وأيدناه بروح القدس» التى وردت فى سورة البقرة ، آية ٨٧ لم يفهمها محمد لأنه خلط بين روح القدس وبين جبريل[٨].

وفوق هذا فإن المفسرين قد أفاضوا فى الكلام على القصص الذى ورد فى القرآن متصلا بالعهد الجديد وبخاصة ما كان منه متصلا بطفولة مريم . وصور القرآن العذراء فى

صورة جذابة لا تكاد تختلف كثيراً عن تصوير النصارى لها . أما كلامه عن المسيح فعلى عكس هذا لم يكن قاطعا كل القطع ، وقد جعله فى صورة أقل من الصورة التى نجدها له فى الإنجيل ، فهو فى القرآن لا يعدو أن يكون نبياً صالحاً . على أن محمداً لم يجرده من اسم « المسيح » (سورة النساء ، آية ١٧١ — ١٧٢) ، ولكن يظهر أنه لم يقصد بهذه التسمية معنى دينياً معيناً . ولم يرد فى القرآن ذكر للشخصيات الأخرى التى جاءت فى العهد الجديد اللهم إلا يحيى [يوحنا المعمدان] وزكريا .

وللعهد الجديد أثر عظيم فى الحديث ، فكثير من الأعاجيب والأمثال والآراء المنسوبة إلى محمد أو صحابته نجد أصولها فى الإنجيل . وقد ذهب جولدسيهر إلى أن القصص التى تقول إن محمداً زاد فى كمية الطعام أو الشراب لصحابته ترجع إلى قصة « عرس قانا » الواردة فى الإنجيل ، ولكنا نرى أنها ترد إلى قصة الأرغفة والسمكات التى جاءت فيه . والأحاديث العديدة التى تجعل للفقراء مكانة عند ربهم وتتحدث عن المصاعب التى يلقاها الأغنياء فى دخول الجنة يظهر فيها أثر تعاليم الإنجيل،وهى تتعارض وآراء العرب الجاهليين(٩) ، بل إن أبا داود وهو من رجال الحديث نسب إلى النبى ، كما يقول جولدسيهر حديثاً منقولا عن صلوات « الرب »(١٠) .

وقد لفتنى الأب لامنس Lammens إلى أن الحديث الذى يروى أن أبا بكر استعبر عند ما سمع عظة النبى يرجع كذلك إلى أصل مسيحى . فإن هبة الدموع « *Gift of tears* » المعروفة فى التصوف المسيحى لا تتفق كثيراً وخلق العرب الفاتحين(١١) .

وكان لما ورد عند المسيحيين عن الرؤيا أثر كبير فى الأساطير الخاصة بالمهدى وبما يقوله المسلمون عن العالم الآخر .

ونجد كثيراً من مؤرخى المسلمين كانوا على علم واسع بالأناجيل . فقد ذكر اليعقوبى شيخ مؤرخى العرب فقرات من الأناجيل فى كتابه . ولم يخف المسعودى الذى كان شغوفاً بالبحث والتنقيب صلته بالنصارى . وهو يروى لنا أنه زار فى الناصرة كنيسة يقدسها النصارى حيث أخذ عنهم كثيراً من القصص الوارد فى الإنجيل .

وكان المسعودى يعرف شيئاً عن ميلاد المسيح فى بيت لحم، وطفولته فى الناصرة، وما جاء فى إنجيل متى (الإصحاح الثالث،فقرة ١٧) من أن صوتا من السموات كان يقول « هذا هو ابنى الحبيب » . وقد ذكر هذه الرواية فى شىء من الاختلاف . وسمع كذلك قصة زيارة المجوس للمسيح عند ما كان طفلا كما وردت فى الإنجيل وغيره من المصادر . وأورد قصة دعوة الحواريين كما هى ، وذكر أسماء أصحاب الأناجيل الأربعة وتحدث عن هذه الأناجيل كأنه رآها وذكر خلاصة دقيقة لها .

ومع هذا فإن المسعودى يشك بعض

الشك فى هذه الأناجيل بينما يتحدث عنها القرآن فى احترام عميق . وكان المسعودى كذلك محيطا كل الإحاطة بسيرة الحواريين ، وذكر مرتين استشهاد القديس بطرس والقديس بولس ، ولكنه ذكر أن بولس استشهد على نحو لم يستشهد عليه إلا بطرس وحده . ويقول المسعودى إن القديس توما كان الحوارى الذى ذهب إلى الهند . ويظهر أن المسلمين كانوا يعرفون توما أكثر من غيره من الحواريين ما عدا بطرس . وعلمهم بالقديس بولس نفسه أقل من علمهم بسيرة بطرس[١٢] .

أما البيرونى فكان أكثر معرفة من المسعودى . وقد أخذ عن النساطرة عند ما صنف كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» . وكان يعرف كثيراً من نصوص الأناجيل وكذلك تفسير الإنجيل لداذيشوع[١٣] Dadjesu (ورد هذا الاسم Jesudad ، انظر Duvat : *Litt. Syriaque* ، الطبعة الثانية ، ص ٨٤) . وهو يتحدث عن هذه النصوص فى شىء من النقد .

ويرى البيرونى أن الأناجيل الأربعة عبارة عن أربع نسخ ، وهو يوازن بينها وبين نسخة التوراة عند اليهود ونسختها عند النصارى ، ونسختها عند السامرة ، ويلاحظ أن هناك خلافا كبيرا بين هذه الأناجيل الأربعة . ويورد البيرونى نسب يوسف بالتفصيل كما ورد فى إنجيل متى وفى إنجيل لوقا ، ويبين فى عبارة شائقة كيف يعلل النصارى الاختلاف بين الروايتين . ويذكر بعد ذلك أن أصحاب مَرْقيونْ وأصحاب ابن ديَصان وأصحاب مانى كانت عندهم أناجيل أخرى .

ويرى أن أناجيل أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان تخالف فى بعض أجزائها أناجيل النصارى ، أما إنجيل أصحاب مانى فيشتمل على خلاف ما عليه النصارى من أوله إلى آخره . وإزاء هذه الخلافات الكثيرة يقول البيرونى إنه « لا يوجد من الأناجيل إذن من كتب الأنبياء ما يعتمد عليه »[١]

وتحتوى الترجمة الفارسية لتاريخ الطبرى على قصص من العهد الجديد مذكورة فى توسع أكثر من نصها العربى ، وهى تشابه ما جاء عنها فى قصص الأنبياء ، وفيها بعض تفصيلات عن الآلام مثل قصة سيمون وخيانة واحد من الحواريين لم يذكر اسمه ، ووقوف مريم تحت الصليب[١٤] . ويحتفظ المؤلف فى بقية روايته برأى المسلمين الذى يذهب إلى أن شخصا آخر صلب مكان المسيح واسمه يهوذا Josua . وأورد فى كلامه عن الحواريين الرواية التى تقول إن يوحنا ذهب إلى الرها .

ونجد فى كتب التصوف إشارات عدة

---

(١) البيرونى : الآثار الباقية (ص ٢٣)

إلى الإنجيل ، بل نجد فيها أيضا أن أصحاب هذه الكتب كانوا على علم بتفسير آباء الكنيسة لبعض أجزاء الإنجيل . على أن ما يذكره متصوفة المسلمين من أقوال المسيح لا يطابق ما جاء فى الإنجيل .

نضرب لذلك مثلا بما ذكره الغزالى من الأقوال المنسوبة إلى المسيح فانها غير صحيحة، بينما نجد أن السهروردى قد أورد نصا كاملا دقيقا عن التشبيه الخاص بالزارع الذى يبذر البذور .

وقد اشتملت رسائل إخوان الصفاء على فقرات ممتعة عن صلب المسيح يفترضون صحتها ، وكذلك عن البعث واجتماع الرسل فى العشاء الأخير وانتشـــارهم فى الأرض . وذكروا صراحة أفعال الرسل باسم أفعال الحواريين[١٥] .

والمؤلفات الفلسفية تحتوى كذلك على طائفة كبيرة من المنـاظرات التى جرت بين المسلمين والنصارى . وحسبنـا أن نذكر هنا أبا على عيسى بن زرعة الذى صنف فى سنة ٣٨٧ هـ ردا على أبى القاسم عبد الله بن أحمد البلخى، وكذلك يحيى بن عدى وهو من علماء النصارى وكان من تلاميذ الفارابى فانه كتب دفاعا عن المسيحية أهداه إلى الشيخ أبى عيسى محمد بن الوراق . كما رد على اعتراض الكندى على القول بالتثليث (انظر مادة عيسى ومادة المهدى) .

والمســـلمون على وجه عام يحترمون الأناجيل ويبجلون عيسى ومريم . ويقول الترك عن الأناجيل « الإنجيل الشريف » . ويروى عدد من الكتاب الذين عاشوا فى تركية أن كثيرا من الترك يؤثرون الإنجيل على القرآن دون أن يجهروا بهـذا الرأى . ويذكرون على وجه خاص حادث قابظ أفندى الذى جاهر إبان حكم سليمان الأول بأنه يفضل الإنجيل على القرآن فكان جزاؤه الإعدام (انظـر D'Ohsson : *Tableau general* [illegible] *L'Empire Ottoman* ، ج ١ ، ص ١٥٣) .

المصـــادر

يمكن الرجوع إلى المصادر التالية فيما يختص بالترجمات العربية النصرانية :—

(١) Guidi : *Versions arabes des Evangiles* فى *Atti de l'Acad. dei Lincei* ، Sciences morales et philosophiques المجموعة الرابعة ، ج ٤ ، سنة ١٨٨٨ (٢) G. Graf : *Die christlich arabische Liter-atur bis* [illegible] *fränkischen Zeit* ، فريبورج ١٩٠٥ . (٣) H. Goussen : *Beitr.* [illegible] *christl. - arab Literaturgesch.* , ج ٤ *Die chrisl.-arab. Litt. der Mozora-ber,* ليبسك ١٩٠٩ (٤) S.Euringer : *Die Überlieferung der arab. Ubers des Diatessarons, Biblische Studien* ج ١٧ ، الكتاب الثـــانى ، برلين ١٩١٢ . (٥) E. von Dobschutz [illegible] K. Vollers :

Ein spanisch - arab. Evangelienfrag- في Zeitschrift der Deutsch. Morgenl Gesellsch جـ ٥٦ ، ص٦٣٣ ومابعدها ؛ وانظر كذلك مادة « ابن العســال » (٦) J. Gildemeister : De Evangelis in arabi- cum et Simplici Syriaca translatis commentatio academica بون ١٨٦٥ .

ويمكن الرجوع إلى المصادر التالية فيما يختص بالمناقشات حول الإنجيل : —

(١) van den Ham : Disputatio pro religione Mohammedanorum adver- Christianos ليدن ١٨٩٠ (٢) Gold- ziher : Uber Muhammedanische Polemik Ahl al-Kitab في Zeitschr. d. Deutsch. Norgenl. Gesells., جـ ٣٢ ، ص ٣٤١ .

ويمكن الرجوع إلى المصادر التالية عن أثر العهد الجديد في الحديث : —

(١) Goldziher : muhammedanische Studien جـ ٢ ، ص٣٨٢ وما بعدها ، Hadith (٢) المؤلف نفسه und Neues Testament Neutestamentl. Elemente in der Tradi- tionslitt. des Islam في Oriens christianus ١٩٠٢ ، ص ٣٩٠ وما بعدها .

ويرجع إلى المصادر التالية عن الأناجيل المكذوبة : —

(١) انجيل الصبوة ، Evang. Infantiae طبعة سيك H. Sike ، أترخت ١٦٩٧ (٢) Thilo: Codex apocr. nov Test، الطبعة الثانية ، باريس ١٨٦٣ (٣) G. Brunet: Les Evangiles apocryphes الطبعة الثانيــة ، باريس ١٧٦٣ (٤) R. Duval : Litt syriaque ، الطبعة الثانيــة ، باريس ١٩٠٠ (٥) P. Dib في La Revue de l'Orient Chrétien ١٩٠٥ ، ص ٤١٨ — ٤٢٣ وهو يستشهد بالترجمات العربية للعهد الجديد المنقولة عن القبطية والسريانية

ويرجع إلى المصادر التالية عن الشعراء : —

(١) P. L. Gheikho : Poètes arabes Chrétiens ، بيروت ١٨٩٠ — ١٨٩١ (٢) Lammens : Le chantre des Omiades في Journ.-Asiat. ، المجموعة التاسعة جـ ٤ ، عام ١٨٩٤ (٣) Clement Huart : Une nouvelle source du Qoran في Journ. Asiat. ، المجموعة العاشرة ، عام ١٩٠٤ (٤) Power : Umaiya ibn Abi-S. Salt في Mélanges de la faculté Orientale جـ ١ ، بيروت ١٩٠٦ ، ص ١٩٧ وما بعدها .

المصادر المذكورة في صلب المقال : —

(١) اليعقوبي ، طبعة هوتسما ، جـ ١ ، ص ٧٤ — ٨٩ (٢) Klamroth : Der Auszug den Evangelien bei dem arab. Historiker, Yakubi, Festschrz. Einweihung des Wilhelm-Gymnasium ، هامبورج ١٨٨٥ (٣) G. Smit: Bijbel en Legende bij den Arabischen schrijver Yakubi ليدن ١٩٠٧ (٤) المسعودي ، ترجمة وطبعة Pavet de Courteille و Barbier de Meynard (٥) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخاليــة Chronology ترجمـــة Sachau (٦) تاريخ

الطبرى ، ترجمة Zotenberg ١٨٦٧ — ١٨٧٤. (٧) السهروردى: عوارف المعارف على هامش إحياء علوم الدين للغزالى ، القاهرة ١٣١٢ (٨) *Die Abhandlunhen der Ichwan es-Safa* طبعة Dieterici ، برلين ١٨٨٦ ، ص ٥٩٤ وما بعدها .

[كاراده فو B. Carra De Vaux]

تعليق على مقال إنجيل

مما لا ريب فيه أن القرآن حاج اليهود والنصارى حجاجا دينيا قويا فى مواضع كثيرة ، وصحح لهم كثيرا من عقائدهم وسلوكهم التى كانوا يظنونها دينا ، وأبان لهم عن وجه الحق فيها

وإن هذا الموقف الدينى الذى وقفه القرآن لا يستطيعه إلا أحد رجلين ، إما رجل عكف طيلة حياته على درس الشئون الدينية والكتب السماوية ، ورأى أقوال أساطين الدين والشراح ، وساير العقيدة وتطورها فى عصورها المختلفة ، وما دخل عليها من التشويه والتحريف وكان له مع ذلك بصر نافذ ، يبطل الباطل ، ويحق الحق ، وهذا أيضا ربما لا يقارب ما وصل إليه القرآن لأن هذا الحق الذى أظهره فى الدينين اليهودى والمسيحي قد غشيته سحب كثيرة من الأباطيل، وطال عليه الأمد، فظن دينا ، وقد حالت هذه الغواشى بين الناظر وبين الوصول إلى هذا الحق

وإما رجل ينطق عن الله العالم بكل شىء الذى رأى شرعه قد تلاعبت به ظلمات البشر ، وغشيه سحاب مركوم ، فنطق على لسان من أيده بأرجاع الحق إلى نصابه

والنظرية الإسلامية تعتقد الثانى ، والمخالفون يعتقدون الأول ، وقد حاول المخالفون أن يرجعوا ما جاء فى القرآن إلى تعليم ، وما فى هذا الفصل بعض هذه المحاولات

ونحن نلاحظ انه لما أعجز الكاتبين أن يثبتوا أن محمدا قد درس الإنجيل جمعوا بينه وبين المسلمين، وأخذوا يثبتون أنهم كانوا على علم بالإنجيل وكل ما أتوا به من أدلة لا يثبت أن محمدا كان يعلم الإنجيل . وانما يثبت أن بعض المسلمين فى عصور متأخرة كانوا يعلمونه لأن أقدم ترجمة عربية باعترافهم وهي أقدم من تلك الترجمة التى تمت فى عهد متقدم جدا كانت كما نقلوا عن ابن العبرى بين سنة ٦٣١ وسنة ٦٤١ ، ومحمد ص ولد فى يوم ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ م وتوفى يوم ٨ يونيو سنة ٦٣٢ م ، فالترجمة التى ذكروها لم تتم فى عهده ولم ينتفع بها فى الجدال الذى احتدم بينه وبين أهل الأديان المخالفة طول عمره

وكل ما شككوا به ليصلوا إلى أن محمدا كان يعلم الإنجيل تدفعه سيرته وحياته التى عرفت بالتفصيل لا بالجملة ، فقد نشأ أميا بين أميين لا علم يدرسونه ، ولا كتب يقرءونها ، ولا أساتذة تثقفهم ، ولا فلاسفة تعلمهم ، ثم قال لهؤلاء الدارسين الكاتبين أهل الذكر والعلم: إلى إلى ، أصحح لكم عقائدكم ، وأنقح لكم تاريخكم ، وأهذب لكم علومكم ، وأضعكم على الجادة التى كنتم عليها يوم نزل دينكم . وقد وفى بما قال وكان عند ما وعد ، وما ذاك إلا أنه من عند من علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) ؟

محمد عرفه

(تعليقات على مقال إنجيل)

(١) أى بفتح الهمزة وبكسرها ، أما الكسر فإنه اللغة المعروفة والقراءة المشهورة فى القرآن . وأما الفتح فإنه روى عن الحسن أنه قرأ (وليحكم أهل الأنجيل [٥ : ٤٧]) . قال الزمخشرى فى الكشاف (١ : ٣٤٢ طبعة مصطفى محمد) : « فإن صح عنه فلأنه أعجمى خرج لعجمته عن زنات العربية » .

وقال صاحب اللسان : « وليس هذا المثال فى كلام العرب . قال الزجاج : ولقائل أن يقول : هو اسم أعجمى ، فلا ينكر أن يقع بفتح الهمزة ، لأن كثيرا من الأمثلة العجمية يخالف الأمثلة العربية » . وهذه القراءة المنسوبة للحسن فى الكشاف واللسان لم أجد لها إسناداً يؤيد صحة روايتها ، وليست فيما حكى من القراءات الشاذة التى اطلعنا عليها ، فهى لغة ضعيفة وقراءة غير جائزة . والعرب إذا عربت الأعلام اجتهدت فى صوغها على أوزان كلماتها ، أو تصرفت فى كثير من حروفها حتى تدمجها فى لغتها ، إتقاءً للعربية من لكنة اللغات الإعجمية ، وحرصا على ألسنة العرب أن تشيع فيها الرطانة الأعجمية . خلافاً للقاعدة التى وضعها مجمع اللغة العربية الملكى (انظر مجلة الرسالة فى السنة الرابعة ص٥٥٨) وهى قاعدة ظاهرة الغلط ، ولعلنا نوفق إلى تفصيل ذلك فى مقام آخر إن شاء الله . فهذه الكلمة بكسر الهمزة ليست تحريفا للكلمة اليونانية كما زعم الكاتب ، وإنما هى نقل عنها على ما اعتاده العرب فى نقل الأعلام .

(٢) لم نجد فيما بين أيدينا من كتب التاريخ أميرا يسمى « عمرو بن سعد » ونقل ابن العبرى لا يكفى فى إثبات مثل هذا إذا لم يوجد ما يؤيده من المصـــادر الأخرى الموثوق بها .

(٣) يريد الكاتب بكتاب ابن إسحق : سيرة ابن هشام التى روى فيها كتاب ابن إسحق ، والعبارة التى أشار إليها لا يمكن أن يفهم منها أنها منقولة من ترجمة تمت قبل الإسلام ، بل الراجح من فهمها أنها قطعة ترجمها بعض الناس ولم ينقلها من كتاب مكتوب مترجم ، لأنه يقول بالحرف الواحد : « وقد كان فيما بلغنى عما كان وَضَعَ عيسى بنُ مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صـــفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبتَ يُحَنَّسُ الحوارىّ لهم حين نَسخَ لهم الإنجيل من عهد عيسى بن مريم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال، الخ . فهذا التعبير عند من يفهم العربية ويعرف طرق المتقدمين فى الرواية والنقل : يُعلم منه أن بعض الناس نقل من الإنجيل البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى العربيـة فى عصر ابن إسحق ، وبلغ ذلك ابنَ إسحق ، إما من المترجم وإما من غيره نقلا عنه . ولذلك لم يسم الذى أبلغه ، إذ كانوا لا يحتجون فى كتبهم وروايتهم الا بأهل العدالة والثقـة من المسلمين ، فهؤلاء الذين يذكرون من شيوخهم فى الرواية بأسمائهم .

ولو كانت كما يزعم شبرنجر منقولة من ترجمة للإنجيل قبل الإسلام لما تحرج ابنُ إسحق من ذكر ذلك صريحا ، إذ يراه برهانا أقوى وتأييداً كاملاً للبشارة الصحيحة بالنبي عليه السلام . وكلمة «المُنْحَمَنَّا» ضبطت فى طبعة ويستنفلد بضم الميم الأولى وبفتحها مع إسكان النون وفتح الحاء المهملة وفتح الميم الثانية وتشديد النون . ولسنا نجزم بصحة هذا الضبط أو خطئه .

(٤) دعوى الكاتب أن زيد بن عمرو ابن نفيل كان يسمع من القصص فى حانات الحيرة — دعوى لم نجد ما يؤيدها ، ولم ترتقل ذلك فيما بين أيدينا من المصادر ، فلا ندرى من أين جاء بها ، ولعلها من إلقاء القول على عواهنه . وانظر ترجمته فى الإصابة (٣ : ٣١ — ٣٢) والأغانى (٣ : ١٢٣ — ١٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٥) هذه هى الترجمة الحرفية لكلام الكاتب ، ولسنا نعرف ماذا يريد بهذا الكلام ولا إلامَ يشير من مواضع الأسفار التى يسمونها الأناجيل . وأما الآية التى أشار إليها فنصها : (محمد رسول الله ، والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم ، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة . ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) . والشطء — بفتح الشين وإسكان الطاء ، وبفتح الطاء أيضا مع المد وبدون المدّ — : هو فراخ السنبلة أو النخلة التى تنبت حول الأصل .

(٦) هذا كلام مبهم وغير محدود المعنى إنما هو ادعاء أن هناك أشياء من الإنجيل كانت شائعة فى العصر الذى نشأ فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، ولن يستطيع الكاتب ولا غيره أن يقيم أى برهان تاريخى يؤيد هذا الذى يدعيه .

ثم ماذا يريد بالأخبار الخاصة بالبشارة ؟ أيريد بها بشارة المسيح عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ ! أم يريد شيئا آخر عجز عن الإفصاح عنه ؟ ! اللهم غفرا .

(٧) ليس فى القرآن تسمية المسيح عليه السلام بآدم الثانى ، ولا ما يقرب من هذا المعنى . ويظهر أن الكاتب لم يفهم معنى الآية التى يشير إليها ، ونصها : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) . فهذا تشبيه عيسى بآدم فى بدء خلق كل منهما ، إذ خلق آدم من غير أب ولا أم ، وخلق عيسى من غير أب وإن كان له أم . فعيسى يشبه آدم من وجه دون وجه فى هذا المعنى ، ولا يكون ذلك إشارة إلى تسميته «آدم الثانى» ، ولا مسوغا لها .

وإنما الآية جاءت فى الرد على النصارى الذين غلوا فى عيسى وادعوا أنه ابن الله ،

وجعلوا له شيئا من صفات الألوهية ، وغلوا فى دينهم كما قال الله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد [٤ : ١٧١]) فأقام الله عليهم الحجة وردّ عليهم حين غلوا فى شأنه إذ ولد من غير فحل ، بأن آدم — وهم يؤمنون به وببدء خلقه — ، شأنه أغرب ، لأنه خلق من غير فحل ومن غير وعاء .

(٨) لا ندرى ماذا يريد الكاتب بهذه العبارة الخارجة عن حدود البحث العلمى .

فإن «جبريل» علم على ملك كريم ، آمن المسلمون بوجوده عن إخبار الله لهم فى كتابه ، وعن إخبار رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو من الغيب الذى أمروا بالإيمان به ، وكذلك آمن به أهل الأديان السماوية الأخرى ، والقرآن نزل بلغة العرب ، والرسول خاطب الناس بها ، وفى لغة العرب كلمة «روح» وكلمة « قدس » وهما معروفتا المعنى عندهم ، وتأتى كلمة « القدس » وصفا لغيرها ، وقد يضاف الموصوف الى صفته فى لغة العرب ، وبذلك كان معنى « روح القدس » : الروح المقدسة الطاهرة أو نحو ذلك . قال الزمخشرى فى الكشاف (١ : ٨٠ طبعة مصطفى محمد) : « بروح القدس : بالروح المقدسة ، كما تقول حاتم الجودِ ، ورجلُ صدقٍ ، ووصفها بالقدس كما قال : وروح منه : فوصفه بالاختصاص والتقريب — : للكرامة » .

فاطلاق هذا التعبير على جبريل لا يزيد على أنه وصف له بأنه روح مقدسة مطهرة ، بمقتضى وضع العرب الألفاظَ للمعانى ، وليس فى هذا الاطلاق أى تداخل بين المعانى حتى يسيغ الكاتب لنفسه أن يعبر عن الرسول الكريم هذا التعبير السيءَ المنكر ، وكأنه يزعم لنفسه — وهو الأجنبى عن لغة العرب — أنه أعلم بها من أهلها ، وليس بنافعه ذلك شيئاً إلا أن يدل القارئين على مقدار علمه بما يكتب ، كما فعل أخ له من قبل ، رددنا عليه فيما مضى فى مادة « أمة » .

وأما الاصطلاح المسيحى فى إطلاق كلمة « روح القدس » فانه استعمال خاطىء ، لا يكون حجة على القرآن ، ولا على لغة العرب ، وذلك : أن النصارى يزعمون أن إلههم ثلاثة أقانيم — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — ولهذه الأقانيم فى لغاتهم — العبرية أو السريانية أو اللاتينية أو اليونانية أو ماشئت من لغات — ألفاظ تدل على هذه المعانى التى يريدونها ، فجاء الذين ترجموا أقوالهم وكتبهم وعلومهم منهم وترجموا هذه المعانى المدلول عليها بألفاظ أعجمية ، فأطلقوا عليها ألفاظا عربيةً لها معانٍ أخرى فى لغة العرب . فسموا هذه « الأقانيم » : « الأب والابن وروح القدس » وكانت هذه الترجمة ، وكان هذا الاطلاق بعد ظهور الإسلام وانتشاره ، وكان

ذلك من اناس ليسوا من العرب الخلص ، وليسوا حجة فى اللغة العربية . فلا يكون علمهم أكثر من أنه خطأ صرف، ولا يكون حجة على لغة العرب ، ولا على الاستعمال العربى للألفاظ ، فضلا عن أن يكون حجة على القرآن الكريم ، وعلى سيد العرب وأفصحهم محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا واضح بديهى لايحتاج إلى شرح وتفصيل : لغة أطلق فيها ألفاظ على معان ، ثم يأتى ناس من غير أهلها و يطلقون بعض ألفاظها على معان أخرى غير مادلت عليه فى تلك اللغة ، أيكون ذلك دليلاً على خطأ اللغة الأصلية ؟ أم يكون دليلا على جهل الناقل وخطئه فقط ؟!

وأكثر من هذا : إذا فرضنا صحة مايحاول الكاتب وأمثاله إدعاءه من نقل كتبهم وأقوالهم إلى لغة العرب قبل الإسلام : هل يكون تعبير الناقلين من اللغات الأعجمية وإطلاقهم الألفاظ على المعانى حجةً على الاستعمال العربى الصحيح؟ الجواب بالقول الصريح : كلا . لأن الناقل إلى لغة العرب إن كان أعجمى الأصل فإنه لا يحتج بكلامه عند العرب ، وإن كان عربى الأصل كان غير حجة أيضاً ، لاختلاط لغته بغيرها من اللغات ، فإن علماء العربية لايحتجون بغير العربى الخالص الذى لم تخالط لغته لكنة أعجمية ، سواء ذلك فى المفردات أم فى التركيب ، أعنى فى إثبات اللفظ العربى أم فى قواعد النحو والصرف والبلاغة وغيرها ، ولذلك رفضوا الاحتجاج بالشعر والنثر من أقوام نشئوا فى الحواضر بعد اتصال الأعجام بالمسلمين ، ثم رفضوا الاحتجاج بكلام المولدين مطلقاً .

(٩) هذا كلام ليست له قيمة علمية ، فانه طعن مجرد فى صحة الأحاديث المتواترة التى لاشك فى صحتها وثبوتها بمعجزات للنبى صلى الله عليه وسلم ، ومرجع هذا إلى الخطة التى سار عليها هؤلاء الكتاب فى التشكيك فى الأحاديث النبوية ورمى علماء المسلمين وأئمتهم بأنهم افتروا هذه السنة كلها على نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقد رددنا عليهم قولهم ، ونافحنا عن السنة النبوية ، فيما مضى من الدائرة (ص ٥٨٨ — ٥٩١ من المجلد الثانى) . ومشابهة بعض هذه المعجزات الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم لبعض مايحكى عن الأنبياء السابقين — لا ينفى صحتها ، ولا يدل على أنها مفتراة موضوعة ، ولا على أنها منقولة من نسخ الاناجيل الموجودة .

(١٠) هو حديث ضعيف ، رواه أبو داود (٤ : ١٧ — ١٨ شرح عون المعبود) ورواه أيضاً النسائى ، فلم ينفرد به أبو داود كما يريد الكاتب أن يوهم القارىء أنه هو الذى اخترعه . وفى إسناد الحديث راو اسمه « زياد ابن محمد الأنصارى » وهو ضعيف لا يوثق به ، قال البخارى والنسائى فى شأنه : « منكر الحديث » وقال ابن حبان : « منكر الحديث جداً » ، ومثل هذا الإسناد لا يكون حجة عند علماء المسلمين ، فلا يكون حجة عليهم أيضاً .

(١١) هذا أغرب ما رأينا من ألوان البحث والنقد. فإن الكاتب ومعه الأب لامنس يريدان أن يزعما أن العرب الفاتحين — وقد فتحوا بعض بلاد النصارى — لا يمكن عقلا أن يكون منهم رجل واحد رقيق القلب يخشى الله ويبكى عند الموعظة !! فهل سمع أحد بمثل هذا ؟ ! أو يرى هؤلاء الآباء أن الرقة والرحمة لا تكونان إلا فى القلوب المسيحية !؟ اللهم غفرا.

(١٢) أما أن اليعقوبى والمسعودى وغيرهما من علماء المسلمين كانوا على علم بهذه المؤلفات التى تسمى « الأناجيل » فهذا شىء معروف مشهور، نسلم به، ونزيد عليه أنهم كانوا يعرفون كل المعرفة كيف ألفت هذه الكتب، ويعرفون قيمتها التاريخية، كما سنذكر قريباً إن شاء الله. ولكن تعبير الكاتب عن المسعودى قد يوهم بعض القراء أن له صلة حقيقية بالنصارى والكنائس من الوجهة الدينية، وهذا ما لا أصل له ولا شبهة. وانظر نص كلام المسعودى فى تاريخه بعد ذكر مولد المسيح عليه السلام، قال (١ : ٢٩ — ٣٠ طبعة بولاق) : وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل فى كتابه، واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد زعمت النصارى أن أشيوع الناصرى — يريد المسيح — أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الأردنّ فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة، وقيل تسعا وعشرين سنة، وأنه فى بعض الأيام كان يقرأ فى سفر أشعياء، إذ نظر فى السفر إلى كتاب من نور فيه : أنت نبيي وخالصتى، اصطفيتك لنفسى. فأطبق السفر ودفعه إلى خادم الكنيسة، وخرج وهو يقول: الآن تمت المشيئة لله فى ابن البشر. وقد قيل: إن المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الأردنّ، وبذلك سميت النصرانية. ورأيت فى هذا القرن — كذا فى الأصل، ولعله فى هذه القرية — كنيسة تعظمها النصارى، وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى، يسيل منها زيت ثخين كالرُّب، تتبرك به النصارى. وأن المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين والقصارين. وقد ذكر أن ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا هم الحواريون الأربعة الذين تلقوا الإنجيل، فألفوا خبر عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبر مولده، وكيف عمده يحيى بن زكريا، وهو يحيى المعمدانى، فى بحيرة طبرية، وقيل فى بحر الأردنّ الذى يخرج من بحيرة طبرية ويجرى إلى البحيرة المنتنة، وما فعل من الأعاجيب، وأتى من المعجزات، وما قالت اليهود إلى أن رفعه الله عز وجل إليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وفى الإنجيل خطب طويل فى أمر المسيح ومريم عليه السلام ويوسف النجار : أعرضنا عن ذلك، لأن الله عز وجل لم يخبر بشىء من ذلك فى كتابه، ولا أخبر به محمدٌ نبيه صلى الله

عليه وسلم ». هذا نص كلام المسعودى الذى يكاد الكاتب يصوره بصورة مريبة فى نظر المسلمين، وهو من ذلك برىء.

وانظر إلى مقدار الثقة بنقل هذا الكاتب إذ ينسب إلى المسعودى أنه نقل عن الإنجيل أن صوتا من السماء كان يقول « هذا هو ابنى الحبيب » فى حين أن الذى نقله المسعودى عن بعض نصارى عصره أن عيسى رأى وهو يقرأ فى السفر كتابا من نور فيه « أنت نبيى وخالصتى » الخ، ثم لا يتحرج أن يسمى هذا التناقض البين بين الروايتين « شيئا من الاختلاف » فأين إذن كل الاختلاف ؟! والذى نقلناه عن المسعودى هو كل ما ذكره فى « مروج الذهب » عن الأناجيل، وهو الذى سماه الكاتب « خلاصة دقيقة لها » !!!

(١٣) لم يفهم الكاتب كلام البيرونى لوقوع خطأ فيه من الناسخ أو المصحح . فإنه قال فى (ص ٢٩٩ س ١) ما نصه : « وذكره داذ يشوع فى ترجمته للإنجيل شعيا . والله أعلم » . وهذا كلام غير واضح ولا مفهوم، ولا متصل بالسياق الذى قبله ولا بالذى بعده، فإن أصل الباب إنما هو فى المواسم أو الأعياد التى يستعملها « النصارى الملكائية فى الشهور السريانية » (ص ٢٨٨) فأخذ يسرد كل شهر من هذه الشهور ويذكر فى كل منها أيام المواسم بأسماء أصحابها عندهم . ويسمى هذه المواسم « الأعياد والذكارين » (ص٢٨٨ س١٧) ويسمى كل واحد منها باسم « ذِكرَان » فيقول مثلا « ذكران حنين الأسقف الشهيد تلميذ بولس، ومن رسومهم فى هذه الذكارين أنهم يذكرون صاحبه ويدعون له ويثنون عليه، ويتضرعون إلى الله باسمه ، ويسمون كل مولود يولد فيه وبعده إلى الذكران الآخر باسمه ، وربما قَسَّم الذكارينَ بعضُهم على بعض، فيقولون : فلان صاحب ذكران فلان فاذا كان الذكرانُ اجتمعوا عنده فأضافهم وأطعمهم » (ص ٢٨٨ س ١٩ — ٢٣) ففى هذا الموضوع الذى نقل منه الكاتب فلم يفهم ما نقل : تجد البيرونى يذكر شهر « أيار » (ص ٢٩٦) ويذكر أيامه الى أن يقول (ص ٢٩٨ س ٢٢) : « وفى اليوم التاسع ذكرانُ أشعيا النبى » ثم يذكر فى أول (ص٢٩٩) العبارة التى أوهم فيها الكاتب، ثم يقول : « وفى العاشر ذكرانُ ديونسيوس الأسقف » . فهذا السياق كله يدل على أن كلمة « وذكره داذ يشوع » محرفة عن « وذكرانُ يشوع » وأن كلمة « فى ترجمته للإنجيل شعيا » محرفة أيضا، ولعل صوابها « فى ترجمة الإنجيل لشعيا » أو نحو ذلك . وعلى كل حال فإن هذا ينفى قطعا وجود ترجمة أو تفسير للإنجيل لشخص اسمه « داذ يشوع » وأن البيرونى اطلع عليه . وإنما أُتى الكاتب من تحريف النسخة المطبوعة، ومن عدم تحققه بما يكتب أو تفهمه لما يقرأ .

ثم إن الكاتب ادعى أن البيرونى « أخذ عن النساطرة عند ما صنف كتابه الآثار

الباقية ، وأنا آسف إذ أقول : إن هذا غير صدق .

(١٤) ليس لهذا شيء من الأهمية ، وهو لا يدل إلا على أن المترجم إلى الفارسية لا ثقة به ، وأنه لم يكن أمينا فى ترجمته .

(١٥) مما يؤسف له أن الكاتب صدق هذه المرة فى نقله عن «رسائل إخوان الصفا» فإنهم ذكروا أكذوبة صلب المسيح عليه السلام فى الرسائل (ج ٤ ص ٩٧ طبعة مصطفى محمد) فخرجوا بذلك من عداد المسلمين، لأنهم نقلوا على سبيل الجزم شيئا نفاه الله سبحانه فى القرآن ، وكذب قول من ادعاه : (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم إلا إتباع الظن . وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما [٤ : ١٥٦ — ١٥٧]) .

تعليق ونقد على مقال « إنجيل »
بعد نقد أغلاطه تفصيلا فى مواضعها

لم أقرأ فيما قرأت من مقالات « دائرة المعارف الإسلامية » مقالا مضطربا كهذا المقال .

فإن كاتبه خلط فيه خلطا غريبا . فشرّق وغرّب ، وأسهب وأوجز ، وأشار وصرح ، وهو يدور فى حلقة مفرغة لايدرى أين طرفاها ، ولا يعرف كيف يخرج منها ، وقد وضع نصب عينيه غاية يرجو الوصول إليها ، ثم يعجز عن إدراكها ، إذ كانت خيالاً يضطرب فى ذهنه ، ليس لها وجود فى حقائق التاريخ ، فهو يحاول أن يثبت أن الدين الإسلامى مقتبس من الكتب التى يسمونها عندهم « أناجيل » ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان على علم بها أو بشىء منها . فجاءت فى القرآن أشياء من الإنجيل كما يزعم، وأن المسلمين عرفوا هذه الكتب فذهبوا ينقلون عنها علومهم ودينهم ، ويفترون الأحاديث بمعانى ما عرفوا منها على نبيهم ، ويزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان أكثر معرفة بالأناجيل المنحولة منه بالأناجيل الصحيحة ، ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصادر مسيحية خالصة ، وإنما نقلت إليه على يد يهود اعتنقوا النصرانية » وأن الشعراء عند ظهور الإسلام كانوا يترددون على الحيرة » « فنقلوا إلى بلاد العرب ما سمعوه من القصص فى حاناتها» إلى آخر ما تهافت فيه ليرجعه إلى شىء واحد سماه « المسألة العامة الخاصة بأصل الأسلام ومصادره » .

ثم ذهب يضطرب به القول ، فتارة يشير إلى بعض آيات من القرآن فيها ذكر مريم وعيسى وغير ذلك مما يظن أنه يتفق والمروى عندهم أو يخالفه، وتارة يذكر «الطب وأعمال الحكومة » وأنها من الوسائل التى وثقت الصلات بين المسلمين والنصارى ، وتارة يذكر بعض معجزات النبى صلى الله عليه وسلم الثابتة بالأحاديث الصحيحة ليحاول

أن ينسبها إلى أصول عندهم ، حتى يتهيأ له أن يشكك القارىء ثم يوهمه أن المسلمين أخذوها عن النصارى ونسبوها إلى نبيهم على أنها معجزات له ، ثم يزداد اضطرابا ، فيذكر بعض مؤرخي المسلمين ويصفهم بأنهم كانوا على علم واسع بالإنجيل ، ويحرف فى تلخيص كلامهم حتى يوقع فى نفس القارىء أنهم كانوا يحتجون بهذه الأسفار ، ويعتبرونها مصادر صحيحة لبعض التاريخ ، ثم يناقض نفسه فينقل عن البيرونى أنه قال : « لا يوجد من الأناجيل إذن من كتب الأنبياء ما يعتمد عليه » . ويغلبه ما يجد فى نفسه من الحرص على رأيه حتى يغفل عن خطأ من الناسخين فى نسخة البيرونى فينسب اليه أنه كان يعرف تفسير الإنجيل لرجل اسمه « داذيشوع » ، وهو شخص لم يوجد ، وإنما أتى من خطأ النسخة ، ولو حرص على التحقيق العلمى ما وقع فى هذه الغلطة الشنيعة .

ولكنه نسى بجوار هذا أن يذكر كثيراً من علماء المسلمين الذين اطلعوا على هذه الأناجيل وأبانوا ما فيها من اختلاف وأخطاء وألفوا فى ذلك كتبا وافية ، كابن حزم وابن تيمية وابن قيم الجوزية والقرافى ، وغيرهم ممن قبلهم ، وممن بعدهم .

وأخيرا يدعى أن المسلمين على وجه عام يحترمون الأناجيل ، وأن الترك يسمونها « الإنجيل الشريف » ، وأن كثيرا منهم « يؤثرون الإنجيل على القرآن دون أن يجهروا بهذا الرأى » ، ويحتج لذلك برجل تركى ارتد عن الإسلام فى عهد سليمان الأول فحكم بقتله جزاء ردته .

وهى كثارى أقوال المتهاترة، لا يأخذ بعضها بناصية بعض، ولا يدل مجموعها على شىء له قيمة علمية .

وهذه مسائل شائكة ، الخوضُ فيها قد يثير النفوس ، ويوغر الصدور ، ولو شاء القائل منا أن يقول ، لوجد مجال القول ذاسعة ، ولكننا لسنا من دعاة الفتنة . ولا ممن يحرصون على الجدال . وقد دأب أمثال هذا الكاتب على مهاجمة الإسلام والعدوان عليه فى عقائده ، ومحاولة إثارة الشكوك فى الحقائق التاريخية الثابتة ، التى تتعلق بالإسلام . وليس علينا من بأس أن نقف موقف الدفاع بالقول الرقيق المؤدب ، لإقرار الحق فى نصابه ، وخدمةً خالصة للعلم الصحيح .

إن الاتصال العقلى والفكرى بين المسلمين وبين أهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى ـ لا يستطيع أحد أن ينكره ، وقد كان اليهود بجوار المسلمين فى المدينة حتى أجلاهم عنها عمر ، وكان المسلمون قد فتحوا مصر والشام وغيرهما من الأقطار التى كان يدين أهلها بالنصرانية ، وكان أهلُ الكتاب أهلَ ذمة للمسلمين وفى حمايتهم ، يرفرف عليهم عدل الإسلام ونَصَفَتُه وكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا راضين مختارين ، مما رأوا من كرم المسلمين ، بعد أن ذاقوا ألوان الظلم والعذاب من زعمائهم ورؤسائهم . ولكنه كان فى أول أمره اتصالاً

فى الشئون العامة الدنيوية ، ولم يوجد اتصال على بالمعنى المفهوم إلا فى أواخر القرن الثانى للهجرة تقريبا عند البدء فى نقل كتب الأوائل إلى اللغة العربية، وكان ذلك مقصورا على الفلسفة وفروعها والطب وما أشبه هذا ، ولم تترجم إلى اللغة العربية الكتب الدينية ولا القصص (الروايات) ، ولعله قد ترجم شىء من التوراة والأناجيل تراجم نادرة محصورة بين اليهود والنصارى الذين نشئوا فى الدولة العربيـة ، ليسهل عليهم معرفة دينهم إذا عسر عليهم قراءتها باللغات التى كانت بها ، وأما أن تكون هذه التراجم معروفة لعلماء المسلمين ودهمائهم ، كما يريد الكاتب وأمثاله أن يرجفوا به : فذاك شىء غير ثابت ولا معروف فى التاريخ الإسلامى . ولذلك لم يجد كاتب هذا المقال سـنداً يؤيد به وجود تراجم للإنجيل إلا الترجمة التى قال عنها إنها نقلت عن السريانية ، ونقل عن «جلد مستر» أنه يرى أنها ترجمت بين سنتى (٧٥٠ و ٨٥٠ م) أى بين سنتى (١٣٢ و ٢٣٥ هجرية) ويظهر من هذا أنها غير ثابتة التاريخ ، وأن هذا التاريخ الذى نسبت إليه ظن فقط . ونحن لم نر هذه النسخة المترجمة فلا نستطيع الجزم بشىء فى صحة هذا النقل وهذا التاريخ أوعدم صحتهما . وأما الترجمة التى يدعى ابن العبرى أنه «قام بها البطريق يوحنا بأمر الأمير عمرو بن سعد بين سنتى ٦٣١ و ٦٤٠ م » أى ما يوافق السنة التى قبل الهجرة إلى السنة ١٨ هـ : فهذا شىء لا سند له ولا قيمة . وأبو الفرج بن العبرى ليس حجة فى مثل هذا النقل . ولا يوثق بشىء ينقله عن عصر بينه وبينه أكثر من (٦٠٠ سنة) ولم يسنده إلى نقل يقارب العصر المنقول عنه ، فإنه عاش بين سنتى ٦٢٣ و ٦٨٥ هـ ، ثم هذا ابن العبرى رجل متعصب معروف بالتحامل على العرب وعلى المسلمين ، وهو صاحب الحكاية الباطلة التى نقلها عن حرق عمرو ابن العاص مكتبـة الإسكندرية ، حتى إن الدكتور (بَتْلَر) صرح بأنه «ليس من دليل على أن أصل هذه الرواية أقدم من أيام أبى الفرج » (انظر فتح العرب لمصر تعريب الأستاذ فريد أبو حديد ص ٣٥٠ طبعة سـنة ١٩٣٣) فمثل هذا الرجل غير ثقة ولا مأمون على النقل ، حتى لو نقل شيئا عن عصره أو ما يقاربه ، فضلا عن تفرده بنقل يستند إلى ما قبل عصره بمئات السنين .

وأما كل ما أرجف به الكاتب ليصل إلى ما يدعيه من معرفة النبى صلى الله عليه وسلم بما يسمونه «الأناجيل» حتى يمكنه الإعلان بأن النبى صلى الله عليـه وسلم «كان أكثر معرفة بالأناجيل المنحولة منـه بالأناجيل الصحيحة » وبأن « هذا الموضوع ليس إلا مسألة فرعية من المسألة العامة الخاصة بأصل الإسلام ومصادره » — : فإنه شىء لا يثبت أمام النقد ، ولا تؤيده أية حقيقة من حقائق التاريخ . وقد كان النصارى من قبل الإسلام بمئات السنين مختلفين فى صحة الكتب التى

يطلقون عليها اسم « الأناجيل » وهى أكثر من سبعين كتابا ، حتى تحكم فيهم الزعماء والرؤساء فى مجمع « نيقية » فى القرن الرابع الميلادى، فاعتبر المجمع أن هذه الكتب الأربعة المعروفة الآن هى الأناجيل الصحيحة . وبذلك صارت الكتب الرسمية للدين المسيحى، واعتبَر ما عداها منحولاً أو غير صحيح ، وهذه الكتب التى اعتبرت منحولة غير مشتهرة وغير معروفة تفصيلا إلا قليلا : فمن أين يعرفها العرب قبل الإسلام وعند بدء ظهوره ؟!

وكان النبى صلى الله عليه وسلم رجلا أميا لا يقرأ ولا يكتب ، كما ثبت بالتواتر الصحيح فى التاريخ ، وكما نص الله عليه فى القرآن الكريم ، وقد أقمنا الحجة على ذلك فيما مضى من الدائرة فى التعليق على مادة « أمى » (ص ٦٤٧ من المجلد الثانى) . ثم أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة ، وبعثه إلى الناس كافة بهذا القرآن الكريم ، وجعله مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء السابقين ، إجمالا لها من غير تفصيل ، وجعل كتابه « مُهَيْمناً » على هذه الكتب ، أى رقيباً عليها كلها ، كما قال تعالى فى سورة المائدة (آية ٤٨) : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهَيْمِناً عليه » . وهذا الرجل الأمى لم يقرأ شيئاً من كتبهم ، ولم يبلغه من الكتب التى فى أيدى النصارى — مع ما فيها من الاختلاف — : قليل ولا كثير ، ومع ذلك فإنه لا يذكر إنجيل عيسى عليه السلام فى القرآن إلا باللفظ المفرد « إنجيل » . فلو كان هذا القرآن من عند غير الله ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم عرف هذه الروايات : لجاء التعبير عنها فى القرآن ولو مرة واحدة بلفظ الجمع « أناجيل » ، وهى التى كانت ولا تزال معروفة عند النصارى ، من صحيح فى زعمهم ومنحول .

ثم انظر فى شأن هذا الرجل الأمى — صلى الله عليه وسلم — لو كان يعرف هذه العشرات من الكتب التى تسمى « أناجيل » وأراد أن يحقق أمرها ، ويعرف الزَّيْفَ منها من الصحيح ، ويحكم فيها حكما قاطعاً صحيحا ، ويأتى بكتاب ثبت مهيمن عليها رقيب : فإلى أى أنواع من الثقافة والعلوم الدينية والتاريخية والأثرية يحتاج ؟! .

وهل كانت هذه العلوم كلها موجودة فى كتب مؤلفة قبل بدء الإسلام ؟! سواء باللغة العربية أم بغيرها من اللغات ؟! وكم يستغرق تعلم ذلك ومعرفته فقط من السنين ؟!

وأين كان أعداؤه من المشركين وأهل الكتاب ، إذا كان قد تعلم كل هذه العلوم ، ودرسها الدراسة الكاملة التى تمكنه من الحكم بتحريف كتبهم ونسيانهم « حظا مما ذُكِّروا به » ؟!

نعم إن بعض المشركين زعم أنه تعلم بعض الشىء من غيره ، وقد حكى الله ذلك فى القرآن عنهم ، ثم ردّ عليهم قولهم

بأقوى رد. فخرست ألسنتهم وألسنة غيرهم. فلم يدّع ذلك أحد منهم ولا من أهل الكتاب بعد ذلك، مع كفرهم به وعداوتهم له، وتربصهم به وبالمسلمين أن يجدوا حجة تنصرهم عليهم، إذ علموا أنهم لو عادوا إلى هذه الدعوى، لكانت حجتهم داحضة، ودعواهم كاذبة، فإنه نشأ بينهم وعرفوا تاريخ حياته وأحواله تفصيلا وإجمالا، ولم يجدوا من يصدقهم من أهل عصرهم المشاهدين الحاضرين فى أنه تعلم كل هذه العلوم والشرائع من بعض القارئين والكاتبين فى مكة.

وقد اتصل المسلمون بالنصارى واليهود بعد الفتح العربى للبلاد اتصالا وثيقا، وقامت فى بعض الأوقات حرب الجدال الدينى بين الفريقين واحتدمت، ومع ذلك فإنه لم يزعم أحد — فيما نعلم — من أعداء المسلمين أن القرآن مقتبس كله أو بعضه من التوراة أو الأناجيل أو الآراء المسيحية، إلا فى هذه العصور المتأخرة، حينما ضعف شأن الدول الإسلامية ماديا، وقام المستشرقون وفى أعقابهم المبشرون بالهجوم العلمى على المسلمين، بعد أن وضعوا أيديهم على أكثر بلاد الإسلام، (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [٩ : ٣٢و٣٣]).

وبعد: فإن الله تعالى يقول فى سورة النحل، وهى سورة مكية: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين [١٠٣] إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم [١٠٤] إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون [١٠٥]).

قال الفخر الرازى فى تفسير هذه الآيات (ج ٥ ص ١٨٥ — ١٨٦ الطبعة الأولى ببولاق): «اعلم أن المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك: أنهم كانوا يقولون إن محمدا إنما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لأنه يستفيدها من إنسان آخر ويتعلمها منه — ثم ذكر اختلاف الروايات فى اسم هذا البشر وقال: وبالجملة فلا فائدة فى تعديد هذه الأسماء، والحاصل أن القوم اتهموه بتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يظهرها من نفسه ويزعم أنه إنما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه، ثم إنه تعالى أجاب عنه بأن قال: لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين». ثم قال فى تقرير أوجه الرد عليهم وتكذيبهم: «الأول: أنهم لا يؤمنون بآيات الله وهم كافرون، ومتى كان الأمر كذلك كانوا أعداء للرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام العدى ضرب من الهذيان، ولا شهادة لمتهم. الثانى: أن أمر التعليم لا يتأتى فى جلسة واحدة، ولا يتم فى الخفية، بل التعلم إنما يتم

إذا اختلف المتعلم إلى المعلم أزمنة متطاولة ومدداً متباعدة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق أن محمدا عليه السلام يتعلم العلوم من فلان وفلان . الثالث : أن العلوم الموجودة فى القرآن كثيرة ، وتعلمها لا يتأتى إلا إذا كان المعلم فى غاية الفضل والتحقيق ، فلو حصل فيهم إنسان بلغ فى التعليم والتحقيق إلى هذا الحد لكان مشاراً إليه بالأصابع فى التحقيق والتدقيق فى الدنيا !! فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم العالية والمباحث النفيسة من عند فلان وفلان ؟! واعلم أن الطعن فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمثال هذه الكلمات الركيكة يدل على أن الحجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة باهرة، فان الخصوم كانوا عاجزين عن الطعن فيها ، ولأجل غاية عجزهم عدلوا إلى هذه الكلمات الركيكة » .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم وقد ثبت لك أنه لم يتعلم شيئا من كتب الأديان السابقة، ولم يدرس شيئا من العلوم والمعارف: يخبرنا عن الله سبحانه أنه يقول فى شأن النصارى وكتبهم : (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون [٥ : ١٤]) . أيمكنك أن تتصور أن هذا الأمى يحكم الحكم القاطع الصريح البين بأن النصارى نسوا الكثير مما ذكرهم به عيسى عليه السلام من نفسه ومن علمه بدون وحى من الله ؟!

إن الذى يأتى بهذا القرآن وبما فيه من تشريع تقطعت دونه أعناق الأمم وبما فيه من توحيد وتمجيد لله ، وبما فيه من القصص والأخبار الصادقة ، وبما فيه من المواعظ والحكم ، وبما فيه من مكارم الأخلاق ، هذا القرآن الذى أعجزَ الإنسَ والجن أن يأتوا بسورة من مثله ، وهو الهدى ودينُ الحق — أقول : إن الذى يأتى بكل هذا فى كتاب واحد لن يعقل أن يكون تعلمه من كتب يحكم هو عليها بأنها محرفة مبدلة ، أو كلمات يسمعها عرَضاً على ألسنة بعض أهل الكتاب فى جزيرة العرب ، أو نقلاً عن بعض الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، وهم فى كل واد يهيمون ، وهم يقولون ما لا يفعلون .

ومن المضحك ، بل مما يؤسف له — أن كاتب المقال لم يصن قلمه فى مثل هذا البحث — الذى يزعمه بحثا علميا — عن ذكر الحانات .

وكان الأجدر به أن يَفقَه أن ما يتحدث به السكارى فى الحانات ، وخاصةً الشعراء منهم ، لا يصلح أن يكون أساساً لدين عظيم يهدى إلى الله، ويعلم الناس الشرائع والمكارم، ويدعو إلى إعلاء كلمة الله ، وإلى نشر الفضيلة وحرب الرذيلة ، وإلى النهى عن الخمر والميسر وغيرهما من المنكرات ، ويصفها بأنها رجس من عمل الشيطان .

وقد كان الأولى به ، وهو يشرح مادة

« إنجيل » : أن يذكر تاريخ هذه الكتب التى بأيديهم أولا ، ثم يدعى بعد ذلك ما شاء من الدعاوى ، ولكنه — فيما نظن — أحجم عن ذلك لئلا يكون نقضاً لكل مايدعيه .

وقد ذكر أستاذنا الإمام العلامة السيد محمد رشيد رضا الكثيرمن تاريخها فى مواضع متعددة من تفسيره ، وكان رحمه الله من أعلم الناس فى هذا العصر بتاريخها وبدراستها ، هو وأستاذنا العلامة الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار أطال الله بقاءه . وهاك قطرة من غيث مما قاله السيد رشيد رحمه الله (ج ٦ ص ٢٨٧ — ٢٨٨ من التفسير) . « يبيّن الله لنا أن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به كاليهود . وسبب ذلك أن المسيح عليه السلام لم يكتب ماذكرهم به من المواعظ وتوحيد الله وتمجيده والإرشاد لعبادته ، وكان من اتبعوه من العوام ، وأمثلهم حواريه ، وهم من الصيادين، وقداشتداليهود فى عداوتهم ومطاردتهم،فلم تكن لهم هيئة اجتماعية ذات قوة وعلم، تدون ماحفظوه من إنجيل المسيح وتحفظه . ويظهر من تاريخهم وكتبهم المقدسة أن كثيرا من الناس كانوا يبثون بين الناس فى عصرهم تعاليم باطلة عن المسيح ، ومنهم من كتب فى ذلك ، حتى إن الذين كتبوا كتبا سموها الأناجيل كثيرون جدا ، كما صرحوا به فى كتبهم المقدسة وتواريخ الكنيسة . وماظهرت هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم الآن إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح عند ماصار للنصارى دولة بدخول الملك قسطنطين فى النصرانية ، وإدخاله إياها فى طور جديد من الوثنية . وهذه الأناجيل عبارة عن تاريخ ناقص للمسيح ، وهى متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ ، بل وقع الخلاف بينهم فى مؤلفيها واللغات التى ألفوها بها . وقد بينا فى تفسير أول سورة آل عمران حقيقة إنجيل المسيح ، وكونَ هذه الكتب لم تحو إلا قليلا منه ، كما تحتوى السيرة النبوية عندنا على القليل من القرآن والحديث . وهذا القليل من الإنجيل قد دخله التناقض والتحريف، ثم ذكر الأدلة على ذلك تفصيلا ، ثم قال (ص ٣٠١ – ٣٠٢): «فثبت بهذا البيان الوجيز صدق قول القرآن المجيد : فنسوا حظا مما ذكروا به . وثبت به أنه كلام الله ووحيه ، إذ ليس هذا مما يعرف بالرأى حتى يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم قد اهتدى إليه بعقله ونظره . كيف وقد خفى هذا عن أكثر علمائنا الأعلام عدة قرون لعدم اطلاعهم على تاريخ القوم » .

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى فى سورة آل عمران : (نَزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل) (ج ٣ ص ١٥٨) : « أما لفظ الإنجيل فهو يونانى الأصل ، ومعناه البشارة ، وهو يطلق عند النصارى على أربعة كتب ، تعرف بالأناجيل الأربعة ، وهى ما يسمونه العهدَ الجديد ، وهو هذه الكتب الأربعة مع كتاب أعمال الرسل ، أى الحواريين ، ورسائل

بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا ، أى على المجموع ، فلا يطلق على شىء مما عدا الكتب الأربعة بالانفراد. والأناجيل الأربعة عبارة عن كتب وجيزة فى سيرة المسيح عليه السلام وشىء من تاريخه وتعليمه، ولهذا سميت أناجيل . وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها ، وهم مختلفون فى تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة ، فى السنة التى كتب فيها الإنجيل الأول تسعة أقوال . وفى كل واحد من الثلاثة عدة أقوال أيضا ، على أنهم يقولون إنها كتبت فى النصف الثانى من القرن الأول للمسيح ، لكن أحد الأقوال فى الإنجيل الأول أنه كتب سنة ٣٧ ومنها أنه كتب سنة ٦٤ ومن الأقوال فى الرابع أنه كتب فى سنة ٩٨ للميلاد ، ومنهم من أنكر أنه تصنيف يوحنا . وإن خلافهم فى سائر كتب العهد الجديد لأقوى وأشد .

« وأما الإنجيل فى عرف القرآن فهو ما أوحاه الله إلى رسوله عيسى ابن مريم عليه السلام من البشارة بالنبى الذى يقيم الشريعة والحكم والأحكام ، وهو ما يدل عليه اللفظ ، وقد أخبرنا سبحانه أن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به كاليهود ، وهم أجدر بذلك ، فإن التوراة كتبت فى زمن نزولها . وكان الألوف من الناس يعملون بها ، ثم فقدت ، والكثير من أحكامها محفوظ معروف ، ولا ثقة بقول بعض علماء الإفرنج إن الكتابة لم تكن معروفة فى زمن موسى عليه السلام . وأما كتب النصارى فلم تعرف ولم تشتهر إلا فى القرن الرابع للمسيح ، لأن أتباع المسيح كانوا مضطهدين بين اليهود والرومان ، فلما أمنوا باعتناق الملك قسطنطين النصرانية سياسةً ظهرت كتبهم ، ومنها تواريخ المسيح المشتملة على بعض كلامه الذى هو إنجيله . وكانت كثيرة . فتحكم الرؤساء حتى اتفقوا على هذه الأربعة ، فمن فهم ما قلناه فى الفَرق بين عُرْف القرآن وعُرْف القوم فى مفهوم التوراة والإنجيل تبينَ له أن ما جاء فى القرآن هو الممحص للحقيقة التى أضاعها القوم ، وهى ما يفهم من لفظ التوراة والإنجيل . ويصح أن يُعَدّ هذا التمحيص من آيات كون القرآن موحًى به من الله ، ولولا ذلك ما أمكن ذلك الأمى الذى لم يقرأ هذه الأسفار والأناجيل المعروفة ولا تواريخ أهلها — أن يعرف أنهم نسوا حظا مما أوحى إليهم وأوتوا نصيبا منه فقط ، بل كان يجاريهم على ما هم عليه ويقول الأناجيل لا الإنجيل . ثم إن من فهم هذا لا تروج عنده شبهات القسيسين الذين يوهمون عوام المسلمين أن ما فى أيديهم من التوراة والأناجيل هى التى شهد بصدقها القرآن » .

« وقال الأستاذ الإمام — يريد الشيخ محمد عبده — فى تفسير هذه الجملة : المتبادر من كلمة «أنزل» أن التوراة نزلت على موسى مرة واحدة ، وإن كانت مرتبة فى الأسفار المنسوبة إليه فإنها مع ترتيبها مكررة ، والقرآن

لا يعرف هذه الأسفار ولم ينص عليها . وكذلك الإنجيل نزل مرة واحدة ، وليس هو هذه الكُتب التي يسمونها أناجيل ، لأنه لو أرادها لما أفرد الإنجيل دائما مع أنها كانت متعددة عند النصارى حينئذ .

وقال الأستاذ العلامة الشيخ عبدالوهاب النجار في كتاب قصص الأنبياء (ص٤٦٥– ٤٦٦ طبعة ثانية) : « أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم ؟ إن الإنجيل الذي أتى به المسيح وسلمه إلى تلاميذه وأمرهم أن يُبشروا به لا يوجد الآن ، وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ ، لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف » .

وإن شئت معرفة تاريخ هذه الأسفار الأربعة التي تسمى الأناجيل ومقدار ما فيها من التناقض والاختلاف ، ومقدار الوثوق بها من الوجهة التاريخية ، ثم قيمتها العلمية عند علماء الإسلام فاقرأ الجزء الثاني من كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) للإمام الحافظ الحجة أبي محمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ وكتاب (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ وكتاب (هداية الحيارى) للإمام المحقق ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ وكتاب (الأجوبة الفاخرة) للعلامة الكبير شهاب الدين القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ وكتاب (الفاروق بين المخلوق والخالق) لصاحب السعادة الحاج عبدالرحمن بك أفندى باجه جى زاده ، وكتاب (دين الله في كتب أنبيائه) للعلامه الدكتور محمد أفندى توفيق صدق رحمه الله ، وكتاب (قصص الأنبياء) لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار وما كتبه المرحوم الإمام السيد محمد رشيد رضا في التفسير والمنار ، وأخيرا كتاب (الإنجيل والصليب) تأليف الأب عبد الأحد داود الآشورى العراقى ، وقد ترجمه عن التركية أحد الأفاضل من مسلمى العراق وطبع في القاهرة سنة ١٣٥١ .

وإذا كانت عقيدة المسلمين من عصر النبوة إلى الآن أن هذه الكتب محرفة مبدلة ، أو مصنوعة موضوعة ، فكيف يتصور ذو عقل أنهم يأخذون عنها دينهم ؟ ! أو أن يدخل في أذهانهم وآرائهم بعض ما يقرءونه أو يسمعونه منها ، وهم يرون رسولهم صلى الله عليه وسلم قد جاءهم بالدين الحق ، وترك في أيديهم كتابا جعله إماما لهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأبان لهم في سنته كل ما احتاجوا إليه في شئون دينهم ودنياهم ، وهم يسمعون حكم الله في الكتب التي عند أهل الكتاب أنها محرفة لا يوثق بها ، ويسمعون قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، وهذا حديث صحيح رواه البخارى من حديث أبي هريرة (انظر فتح البارى ٨ : ١٢٩ و ١٣ : ٢٨٢ و٤٣٠ طبعة بلاق) ، ويقرءون حديث جابر

ابن عبد الله : « أن عمر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب وقال : لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لاتسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به . والذى نفسى بيده لوأن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى». رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزار ، وإسناده صحيح (انظر الفتح ١٣ : ٢٨١) . وهذا المعنى متواتر عند المسلمين معلوم من الدين بالضرورة .

وكان المسلمون فى تشريعهم وفقههم مستقلين تمام الاستقلال بكتابهم وسنة نبيهم. لم يتأثروا فى شيء من ذلك بكتب النصارى ولا بقوانين الرومان ، ولا بغيرها من آراء من سبقهم ، يعرف ذلك من توسع فى دراسة الشريعة الإسلامية وأصولها من الكتاب والسنة، وقد يخفى على من قصر دراسته ومعرفته على كتب الفروع الفقهية فيخدعه ما يرى فيها من شبه ببعض القواعد القانونية عند غير المسلمين.

وبعد هذا البيان الموجز لا أرانى فى حاجة إلى مناقشة الكاتب تفصيلا فى المواضع التى زعم أن القرآن اتفق مع الأناجيل فيها أو خالفها ، وأن للعهد الجديد أثراً فى الحديث ، أو فى كتب الصوفية أو غيرها ، وقد دمّرنا الأساس الذى بنيت عليه هذه الدعاوى الباطلة :

(يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين . يهدى به الله مَن اتبعَ رضوانه سُبُلَ السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم [ه : ١٥ و ١٦]) .

أحمد محمد شاكر

« أَنْدَخُوذ » (ياقوت معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٣٧١) . وتكتب أيضاً أدّخود والنّخود : اسم مدينة وإقليم فى التركستان الأفغانية . والمدينة على نهر سنكلك وهى محطة تتوسط طريق القوافل التجارية بين أفغانستان وبُخَارى ؟

المصـــادر

The lands of the Eastern Caliphate: G. LeStrange ، ص ٤٢٦ ، والمصادر المذكورة فى هذا الكتاب .

« أندراب » ويقال إنها كانت تسمى فى القرون الوسطى « أندرابك » ومعناها « بين المياه » وهو اسم جغرافى كثيراً ما يطلق فى البلاد التى تتكلم باللسان الإيرانى على أنهار وبقاع عدة :

١ — أندراب : نهر عليه مدينة أردبيل، وهو من الأنهار التى تجرى فى حوض الرّس ، وينبع من المنحـــدرات الجنوبية لجبال سبَلان . وينحنى حول هذه الجبال متجهاً بادىء الأمر شمالا بشرق ثم شمالا

بغرب بعد أن يترك أردبيل ، وهذا التحول الفجائى فى مجراه يعود إلى جبال جيلان التى تعترضه كالسد وتحول بينه وبين الانصباب فى بحر قزوين . ويلتقى أندراب بنهر آهر الآتى من الغرب شمال شرق جبال سبلان ، ويتكون منهما نهر واحد يعرف الآن بنهر قره صو ويتجه ناحية الشمال ليلتقى بالرس . ويطلق على نهر أندراب الآن باليق صو أى نهر السمك كما يطلق عليه فى كثير من الأحيان اسم قره صو .

٢ — أندراب : اسم بلدة على مسيرة فراسخ من بَرْذعه عاصمة إقليم أرّان (انظر هذه المـــادة) واسم الإقليم الخصب الذى تتوسطه مدينة برذعة .

٣ — أندراب : اسم قرية بينها وبين مرو فرسخان وتسمى أحيانا أندرابه .

٤ — أندراب : اسم مدينـة ونهر على مسيرة خمسة أيام من الجنوب الشرقى لسمنجان جنوب شرق بلخ ، ويقال لأندراب هذه أندرابه .

المصـــادر

(١) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ١ ، ص ٣٧٢ — ٣٧٣ ، ص ٥٥٨ (٢) ابن بطوطة : طبعة ▪ فرمرى وسنجوينتى ، جـ ٣ : ص ٨٥ (٣) *Tho lands of the Eastern* : G Le Strange *Caliphate* ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ٤٠١ ، ٤٢٧ (٤) K. Ritter : *Erdkunde* ، جـ ٩ ، ص ٧٩٠ ، ٧٩١ (٥) Marquart : *Eran shahr. n. d. Geogr. d. Pseudo. Moses — Xorenaci* ، ص ٨١ ؟

[ستريك Streck]

« أندكان » أهم مدينة فى إقليم فرغانة بالتركستان الروسية ، وهى مركز تجارى هام . وفى عام ١٩٠٠ م كان عدد سكانها ٤٩٦٨٢ نسمة . وقد عرفت باسمها هذا منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وتعرف الآن باسم أنديجان . ويقال إن الحاكمين دُوَا وقَيْدُو أعادا بناءها حوالى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . وأصبحت هذه المدينة مقر أمراء فرغانة وحكامها فى عهد بنى تيمور وبعده .

وفى التركستان الشرقية لا يزال يطلق على جميع سكان فرغانة « أندكانى » . وترجع جميع المبانى فى الأحياء الحديثة من مساجد ومدارس وغيرها إلى القرن الماضى . وفى عام ١٨٩٨ انتقض الناس على الحكومة الروسية ولكن سرعان ما أخمدت هذه الفتنة فى أيام قلائل . وفى عام ١٩٠٢ حدث زلزال عظيم دمر جميع منازل الوطنيين تقريباً وذهب ضحيته ٤٥٠٠ من الأنفس . وقد نشأ فيها كما نشأ فى جميع المدن التركستانية حى روسى إلى جانب الحى الأسيوى ؟

[بارتلد W. Barthold]

« الأَنْدَلُس »(١) الاسم العربى لشبه جزيرة إيبيريا(٢)؛ كان أول ظهوره عند العرب، وأصله مشوب ببعض الغموض شأنه فى ذلك شأن الاسمين القديمين: إيبيريا عند اليونان وإسبانيا(٣) عند الرومان. ويجدر بنا ألا نغفل

---

(١) كلمة أعجمية جرى على الألسن أن تلزمها الألف واللام. غير أن البعض يحذفونهما وبخاصة فى الشعر ومن [redacted] :

سألت القوم عن أنس فقالوا   بأندلس وأندلس بعيـد

وقد أصاب مؤلف المـادة إذ لم يأخذ بما ذهب إليه بعض المؤلفين العرب القدماء من أن الأندلس سميت كذلك نسبة الى أندلس بن طوبال بن يافث، فقد اعتادوا التسليم بالروايات البعيدة عن الصواب لما فيها من طرافة تستهويهم. ومنها قولهم: إن أندلس بن طوبال هذا كان يصاحبه أخ له يدعى سبت بن يافث فنزل العدوة المقابلة للأندلس بالمـكان المعروف الآن باسمه وهو سبتة. وسيجد القارىء مثل هذه الرواية فى الحاشية رقم ٣ التى ستأتى بعد فيما يتعلق بأصل تسمية أسبانية. وهو بعيد عن موطن الصواب الذى هو عين ما أشار إليه كاتب المادة من أن كلمة أندلس مشتقة من الفندال الذين استولوا على هذه البلاد حقبة من الزمن.

وفى نفح الطيب للمقرى وهو قريب ممـا عليه إجماع المحققين الآن: « أول من سكن الأندلس قوم يعرفون بالأندلس — أى الفندال — بهم سمى المـكان فعرب فيما بعد بالسين، كانوا هم الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملـكها دهرا على دين التمجس، ثم أخذهم الله بذنوبهم فقر أكثرهم فأقفرت الأندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة ». محمد مسعود

(٢) إيبيريا Ibérie والأيبيريون Les Ibères من اليونانية Iberi: شعب مجهول الأصل والمصدر عاصر فى أسبانيا القديمة دول الفلت Celtes والفينيقيين واليونان والرومان وقد انتشر فى أسبانيا كلها وجنوبى فرنسا، فالأيبيريون على هذا الحساب هم أقدم أمم غربى أوربا. وفى تحقيقات العلماء ما يثبت أنهم من أسبانيا انتشروا فى فرنسة كلها فايطاليا وبريطانية العظمى. ومع هذا فان اسم ايبيريا لم يشمل فى فرنسـا سوى الأراضى غرب نهر الرون. ولما ظهرت أمة القلت فى فرنسا فاكتسحت أمامها الايبيريين الى أسبانيا حيث اختلطت أنساب الفريقين بعضها ببعض فنشأت أمة جديدة أسميت القلتيبيريين Celtibères وذكر ديودورس الصقلى المؤرخ هذا الاختلاط فقال: إن القلت والايبيريين قضوا فى المحاربات ردحا طويلا من الزمن ثم تصالحوا وخلطوا أنسابهم فتولد منهم شعب جديد. وقد اختلف المحققون فى أصل الايبيريين وسبب دخولهم أسبانيا، فقال بعضهم: إنهم أغاروا عليها من الشمال والبعض الآخر إن الاغارة جاءت من الجنوب. وذهب غيرهم الى أنهم انحدروا من أهل أسبانيا النازلين على ضفاف نهر أبره (بسكون الباء والهاء وضم الراء) L'Ebre أو Ibérus. وفى آسيا على مقربة من بلاد فارس قوم يدعون بالأيبيريين كأيبيريى أسبانيا سواء. ويقول فريق من العلماء إنهم لا شأن لهم بهؤلاء، ولـكن المغفور له أحمد زكى باشا ذكر فى تحقيق له أن نقوداً قديمة ضربت بشارة إيبيريى آسيا وهى الذئب الأغبر وجدت فى حفائر أسبانيا وأنها الدليل على أن من هؤلاء انحدر الايبيريون الأسبانيون على أثر هجرتهم الى أسبانيا بطريق البحر. محمد مسعود

(٣) أشبانية Espagne أسماها الرومان Hispania وكانت تسمى من قبلهم Hespérie أى بلاد الغرب أو المغرب. وقال المقرى فى سبب تسمية أشبانيا بهذا الاسم: « إنه لمـا صار ملك الأندلس الى عجم رومة وملـكهم أشبان بن طيطش سميت الأندلس أشبانية، وقد ذكر بعضهم أن اسمه أصبهان فأحيل بلسان العجم. وقيل بل كان مولده بأصبهان فغلب اسمها عليه. وهو الذى بنى إشبيلية. وكانت أشبانية اسماً خالصاً لأشبيلية التى كان ينزلها أشبان ثم غلب الاسم بعده على الأندلس كله فالعجم الآن يسمونه أشبانية لآثار أشبان هذا فيه ». انتهى كلام المقرى ونقول إنه من قبيل كلام الذين زعموا أن الأندلس وسبتة إنما سميتا باسمى أندلس وسبت ابنى طوبال بن يافث وهو كثير امتلأت به كتب التاريخ العربية القديمة مثل قولهم إن إفريقية سميت كذلك باسم فاتحها أفريقش من أمراء اليمن وهو قول ظاهر الفساد والبطلان لأقل تأمل وأيسر تمحيص وإنما سميت إفريقية

كثيراً بالاشتقاق الذى ذهب إليـه العرب بإرجاع اللفظ الى أسماء الأجداد الأول وقولهم إن البلاد سميت باسم أندلس بن طوبال بن يافث . وقد تكون هناك صلة بين هذا الاسم وبين اسم القبيلة الجرمانيـة « الفندال » ، وفى هذه الحـــالة يفترض أنه مشتق من «ڤنداليشيا» Wandalicia . وربما كانت صيغة ڤنداليشيا تطلق على إقليم بتيقا Baetica [٤] القديم الذى احتـله الڤندال ما يقرب من عشرين سنة (٤١١ — ٤٢٩ م) أو على ثغر ترادكتا Traducta الذى عبر منه الڤندال إلى إفريقية . ويقول بعض كتاب العرب إنه عين البلد الذى عرف فيما بعد باسم القائد المغربى طريف . ولكن من المرجح أن تكون ترادكتا هى الجزيرة الخضراء Algericas ، ويكون الفاتحون من العرب والبربر وفقاً لهذه النظرية قد أطلقوا اسم المدينـة الصغيرة أو الإقليم على المنطقة التى عرفها الرومان والقوط باسم بتيقا ثم على شبه الجزيرة بأسرها التى سرعان ما دانت لهم بما فيها من ولايات فرنسا الجنوبية، وهى: سبتمانيا أى من جاليا الأربونية[٥] الى نهر الرون . ولما أخذ النفوذ العربى فى شبه الجزيرة بالاضمحلال البطىء وبدأ الأسبان يسترجعون البلاد فى عهد بلاى Pelayo (من عام ٧١٨) واستمروا فى الكفاح أكثر من ثمانية قرون فقد اسم الأندلس الذى كان يطلق على مساحة كبيرة من الأرض مدلوله بالتدريج . ولبثت الأقاليم الجنوبية التى ظلت فى حوزة العرب تعرف

بهذا الاسم من أفراغن Afraghen اسم قبيلة بربرية نزلت حول مدينة قرطاجة بتونس فأسميت باسمها فى العصور الماضية . محمد مسعود

(٤) بتيقا باللاتينية Baectica وبالفرنسية Bétique : شطر أسبانيا القديمة الذى كان يخترقه النهر الكبير Guadalquivir ويحده من الشمال إقليم أناس Anas ومن الشرق طركونة Tarragone ومن الجنوب البحر المتوسط وبحر الظلمة (الاطلنطى) بحيث يضم فى نطاقه القطر الذى كان معروفا بأندلس وإقليم غرناطة وجزءا من قشتالة الجديدة والبرتغال . ووصف بليناس Pline ذلك القطر بخصب الأرض وبأنه كان على عهد الرومان ينقسم أربع دوائر قضائية فى قادس وقرطبة واستجة وإشبيلية . وكان به فى ذلك العهد ١٣٥ مدينة عامرة من أشهرها إشبيلية Hispalis وطرطوشة Tartessus وقرطبة Corduba واصطبه Astapa وقادس [illegible] ومالقة Malaca وأنتقيرة Antiquera (والأسماء الأفرنجية هنا مرسومة برسمها القديم) . وكان يسكن تلك المدن أقوام اتصلوا بالفينيقيين والقرطاجيين قبل أن يحتكوا بالرومان . فبتيقا هذه بحدودها الآنفة هى التى هبطها قوم الڤندال المنحدرين من ألمانيا ومن ثم عزيت اليهم فأسميت ڤنداليشيا كما ذكره مدون المادة ثم حرف هذا الاسم على توالى الزمن الى Andalousia أي الأندلس .

محمد مسعود

(٥) الأربونية نسبة إلى أربون . وهى إحدى مدن جنوبى فرنسا الآن فيما يلى جبال البرانس Pyrénées على مسافة ٥٥ كيلو متراً من قرقشونة Carcassoune وأصل رسمها بالفرنسية Narbonne أى نربون فحرفها العرب وكانت من منضماتهم بعد اختراقهم تلك الجبال إلى أربونة . وقد وردت بهذا الرسم فى معجم ياقوت الذى قال : « أربونة بلد فى طرف الثغر من أرض الأندلس بينها وبين قرطبة على ما ذكره ابن الفقيه ألف ميل » وهى فى عهدنا الشاهد ينبر مقاطعة أود Aude وشهرتها بجودة عسلها وخمرها وبأنهـا مسقط رأس طائفة من قياصرة رومة .

محمد مسعود

به من وقت إلى آخر، ثم لم يعد يُعرف به بعد ذلك سوى إقليم صغير هو مملكة غرناطة، كما أن نصارى أشبانيا الشمالية كانوا يجهلون اسم الأندلس جهلا تاماً، وكانوا يطلقون على الجزء العربي الجنوبي الاسم القديم إسبانيا Hispania أو سبانيا Spania، أما موطنهم الشمالي فأطلقوا عليه أسماء خاصة مثل اشتورش Asturias(٦) وليون Léon(٧) وقشتالة Castille وأرغون Aragon(٨) . . الخ وهذا يطابق مارواه الإدريسي، ص ١٧٤ (Dozy : Recherches [illegible] l'histoire et [illegible] Litt. [illegible] l'Espagne الطبعة الثالثة، ج ١، ص ٣٠١ — ٣٠٣، ابو الفداء: تقويم البلدان، ترجمة رينو Reinaud، ج ٢، ص ٢٢٤؛ Gosche : Die Alhambra ص ٤٥؛ مراصد الاطلاع، طبعة جوينبل، ج ٤، ص ١٧٨) .

وقد أخذ العرب بما جاء في مصور بطلميوس المضطرب البعيد عن الدقة، ولم يكن من السهل عليهم التحقق من الحدود الخارجية التي رسمها للبلاد المختلفة، ولذلك كثيراً ما وصفوا الأندلس بأنها ذات شكل مركن على مثال المثلث، أركانه Punta Marroqui طرف مراكش وجزيرة طريف على بحر الزقاق κα'τέξοχήν (مضيق جبل طارق)

---

(٦) أوردها ياقوت الحموي في معجمه بالسين بدل الشين في موضعيها وقال إنها بضم الهمزة وأنها حصن من أعمال وادي الحجارة بالأندلس أحدثه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس عمره في نحر العدو . محمد مسعود

(٧) ورد تعريب كلمة Léon في المصنفات العربية على ضربين أحدهما (لاون) وقد ذهب إليه الادريسي وغيره والآخر (ليون) بمقتضى منطوقه الافرنجي وإلى هذا الرسم ذهب المقري في مواضع شتى من كتابه نفح الطيب إذ قال في أحدها : « ومعادن الفضة بناحية أفرنجة وليون » . وكانت مملكة ليون القديمة متصلة بمملكة اشتورش ثم انفصلت منهما في سنة ٩١٠ م وانضمت إلى قشتالة مرتين إحداهما في القرن الحادي عشر والأخرى في الثالث عشر .

وكانت مملكة ليون القديمة تضم ضمن حدودها من ولايات أسبانيا بحسب التقسيم الحاضر : ليون وبلد الوليد وشلمنقة وسمورة (ويقال أيضاً : زمورة [illegible] . وكلمة Léon تسمى بها أيضاً الجزيرة التي تقوم عليها مدينة قادس بجنوب أسبانيا . محمد مسعود

(٨) كلمة Aragon عربها العرب على وجهين الأول أرجون بالجيم ورد في نزهة المشتاق للادريسي وغيره والثاني بالغين وقد ذكره المقري في جملة مواطن من نفح الطيب إذ قال في أحدها : « والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما في سمتهما إلى بلاد أرغون » غير أنه في مواطن ذكرها بالجيم وهذا يفيد أن عرب الأندلس كانوا يجمعون بين الوجهين في رسمها فاختر لنفسك ما يحلو .

ولا تخلط أرجون مدينة وإقليما بمدينة أرجونة لمجرد التشابه اللفظي فان أرجونة بلد بناحية جيان Jaen بالأندلس الأصيل أي بالنصف الجنوبي من أشبانيا أما أرجون فهي أقصى النصف الشمالي منها إذ تتصل حدودها الشمالية بجبال البرانس من غير فاصل . وأرجون هو في الأصل اسم نهر ينحدر من تلك الجبال ويصب في نهر أبره Ibre فأسمي واديه الأعلى باسمه الذي سرى فيما بعد على الأراضي الفسيحة والولايات الكبيرة التي انضمت إلى هذا الوادي وتألفت منها مملكة أرجون وامتدت من جبال البرانس شمالا إلى جبال كونكة Cuenca (قونكة أيضا) جنوبا ثم إلى بلنسية شرقا غير أنها لم تلبث على مر الأجيال أن تجزأت إلى ولايات ومقاطعات نذكر منها مقاطعة وشقة Huesca ومقاطعة سرقسطة Saragosse وغيرها . محمد مسعود

فى الجنوب، ورأس الطرف Finistère فى الشمال الغربى ورأس كريوش Creus وثغر Vendres (Fanum Veneris = هيكل الزهرة) فى الشمال الشرقى. ويعتبر أحيانا الشاطىء بأكمله من جزيرة طريف إلى كريوش (المراكشى: المعجب ص ٤) أو إلى طرطوشة وبرشلونة الحد الجنوبى، بينما سلسلة جبال البرتات التى يزعم أنها تسير من الجنوب إلى الشمال ورسمت كذلك فى المصورات تعتبر الحد الشرقى.

ثم إن العرب كانوا على صواب كثير عند ما أطلقوا فيما بعد اسم شرق الأندلس على الجزء الذى عرف بعدئذ بمملكتى بلنسية ومرسية، وكثيرا ماقالوا إن الحد الغربى على المحيط الأطلسى يبدأ من جزيرة طريف وينتهى بطرف القديس فنسان(٩) أو طرف رقة Cabo [redacted] Roca(١٠) بالقرب من لشبونة. وقد أطلقوا على المحيط الأطلسى اسم بحر الظلمة أو الظلمات والبحر المظلم والبحر المحيط الأعظم والأوقيانوس والقاموس والبحر الغربى(١١) تمييزا له عن البحر الشرقى أو الرومى والشامى والمتوسط. والحد الشمالى يبدأ من طرف رقة ويدور حول ركن جليقية ويصل إلى جبال البرتات بالقرب من فونترابى Fuenterrabia(١٢)

---

(٩) طرف القديس فنسان Cap de St. Vincent هكذا يسمونه فى الجغرافيا الحديثة. وكان الاشبانيون يسمونه من قبل « طرف الغرب » -Promontoire d' Algarve بالاضافة إلى ولاية أو بلاد « الغرب » L'Algarve التى يتألف منها القسم الجنوبى من البرتغال. فكلمة Algarve إذن كلمة عربية أصلها الغرب بالأبدال من حرف البـاء حرف v. وقد كان ملوك البرتغال الذين أخضعوا المغرب الأقصى (مراكش) لحكمهم عهدا ما يلقبون بملوك الغربين Les rois des deux Algarves يريدون بلاد الغرب البرتغالية الآنفة الذكر وبلاد المغرب الأقصى.

وسبب تسمية طرف الغراب برأس أو طرف القديس فنسان أن هذا القديس قتل فى بلنسية فى عهد قيصر الرومان دقلطيانوس المشهور بجوره واضطهاده المسيحية وألقيت جثته فى العراء كى تنهشها الضوارى وتفترسها الجوارح ولكن قيل: إن غرابا هبط فحرسها ومنع عنها عادية هذه الحيوانات. وفى عهد الخليفة عبد الرحمن الأول الأموى نقل أهل بلنسية الجثة إلى طرف الغرب وبنوا عليها كنيسة اشتهرت فيما بعد بكنيسة الغراب وسمى طرف الغرب من هذا الحين برأس القديس سان فنسان.

محمد مسعود

(١٠) Cabo de Roca بالبرتغالية و Cap de la Roche بالفرنسية رأس على ساحل مقاطعة إشبونة داخل فى البحر إلى غربها فى ارتفاع ١٤٢ مترا. كان فى عهد الرومان يسمى Torium Magnum ومعناه باللغتين البرتغالية والفرنسية رأس الصخرة أو طرفها. وقد كان فى استطاعة العرب أن يسموه فى العربية بما يطابق هذا الاسم ولكنهم آثروا تعريبه بلفظه فقالوا «طرف رقة» بضم الراء وفتح القاف المشددة. محمد مسعود

(١١) اجتمعت للأقيانوس الأطلنطى المنسوب إلى أطلنطيد وهو قارة قالوا إنها كانت ظاهرة على سطحه ثم غاصت أسماء كثيرة هى التى ذكرها محرر المـادة، ونحن نضيف إليها وصف الأكليلى نسبة إلى الأكليل. ذكر أحمد بن ماجد الربان العربى الملقب بأسد البحر فى إحدى رسائله فى علم البحر سبب وصفه بالأكليلى فقال لأنه يكلل العالم. محمد مسعود

(١٢) فونترابى بالفرنسية Fontarabie وبالاسبانية Fuenterrabia وباللاتينية الجديدة Fons repalus اسم مدينة عند سفح جبل جيزكى Jaizqui وعلى مقربة من مصب أحد الأنهر فى خليج الاقليشين (خليج بسكاى أو غسقونيا) تجاه بلدة هنداى Hindaye الفرنسية ويشتق ذلك الاسم باختلاف أوضاعه من كلمة Ondarralia التى تفيد فى لغة البشكنس le Basque معنى «مخاضة الرمل»

والبرتات تعرف أيضا بجبل البرتات(١٣) أو بالجبل الحاجز الفاصل بين الأندلس والإفرنجة، كما تعرف سلسلة جبال قشتالة باسم جبل الشارات Sierra(١٤) وسلسلة جبال سيرا نيفادا Sierra Nevada بجبل الثلج أو جبل شلير(١٥).

ذلك لأن الرمال في منطقتها تختفي وتظهر بفعل المد والجزر وتحمل قصورها الجليلة شارات أصحابها من الأشراف والنبلاء السابقين وبهـا عقد الملك لويس الرابع عشر زواجه من الأميرة ماري لويز . وفي مقالعها حجر الطباعة وحجر الطواحين . محمد مسعود

(١٣) جبال Pyrénées الفاصلة بين فرنسة وأشبانية بين البحر المتوسط وخليج الاتلنتيك (بسكاية) أسماها العرب جبال البرانس . ووجد لها أحد محققينا اسما آخر وهو « البرنات » بنون بعد الراء وهو خطأ صوابه البرتات بالتاء لا بالنون أي أبواب الجبال ومنافذها التي مر العرب منها لاقتحام أرض فرنسة .

وكتب مؤلف هذه المادة لتفسير معنى البرتات الجملة الآتية : (Monts des ports [redacted] puertos) أي « جبال الموانىء » وفسر كلمة ports الفرنسية منهـا بكلمة (puertos) الأسبانية واضعاً إياها بين قوسين . وهذه الكلمة الأسبانية تفيد بلا نزاع معنى « الموانىء » ولكنها من جهة أخرى تفيد معنى حلوق الجبال [redacted] de Montagnes وأبوابها ومنافذها التي توصل من جنبها إلى الجنب الآخر وهذا المعنى هو المراد لا الموانىء إذ لا موانىء في الجبال .

وفي التقسيم الاداري للقطر الأشباني أيام العرب أطلق اسم « البرتات » على إقليم من أقاليمه الشمالية يتصل بجبال البرانس في جزئها الذي يحتوي تلك الحلوق أو المنافذ أو الأبواب .

ولجبال البرانس اسم آخر أشار إليه مؤلف المادة وهو « الحاجز » وقد ذكره الحجاري في كتابه المسهب حيث قال : « إن طول الأندلس من الحاجز إلى إشبونة ألف ميل » وقال : « ومسافة الحاجز أربعون ميلا — والصواب ٣١٢ ميلا — وهذا عرض الأندلس عند رأسها ولقلته سميت جزيرة وإلا فإنها ليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة » أي قارة أوروبا . وقال ابن سعيد : « وهنالك الحاجز الذي يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وفي هذا المكان جبل البرت — مفرد برتات — الفاصل في الحاجز المذكور وفيه الأبواب » أي الحلوق التي مر منها عرب الأندلس لشن الغارة على فرنسة . محمد مسعود

(١٤) معنى كلمة Sierra في اللغة الاشبانية « المنشار » ومعناها أيضا الجبل أو سلسلة الجبال لأنها تشبه في تعاقبها أسنان المنشار . وقد نقل عرب اشبانية إلى لغتهم كلمة Sierra مفـرغة في قالب « شارة » للمفرد و « شارات » للجمع . وفيما صنفوا من كتب الجغرافيا أن جبل الشـارات المسمى الآن باللغة الفرنسية sierra [redacted] هو الجبل العظيم الذي يأخذ من ظهر مدينة سالم [redacted] إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية Coimbre في آخر الغرب أي في آخر بلاد البرتغال. وفي التقسيم الاداري لأشبانية على عهد العرب أطلق اسم إقليم الشارات على إقليم يتصل بجبل الشارات وهذا الاقليم يلي إقليم بلاطه Plata وفيه من المدن : طليرة Talvera ومجريط Majerit أو [redacted] والفهمين Alfamin ووادي الحجارة Guada lajarra وأقليش Uclès ووبذة Huete . وقال الادريسي في نزهته : « جزيرة الأندلس مقسومة من وسطها في الطول بجبل طويل يسمى الشارات فما خلفه في جهة الجنوب يسمى أشبانية وما خلفه في جهة الشمال يسمى قشتالة » . هذا وقمة الجبل تسمى في اللغة الاسبانية cerro فلا تخلطها باسم الجبل في اللغة بعينها وهو sierra كما قدمناه .

(١٥) أسمى العرب سلسلة جبال Sierra Nevada بجبل الثلج أو جبل شلير (بضم ففتح فسكون) الذي قال ياقوت في التعريف به : « إنه جبل بالأندلس من أعمال إلبيرة Elvira لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا » وفي وصفه قال أحد المغاربة وقد مر به :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم ... وشرب الحميا وهو شيء محرم
فرارا إلى نار الجحيم فإنها ... أخف علينا من شلير وأرحم

وجبل الثلج هذا أو جبل شلير أعلى جبال أشبانية إذ هو يسمو على أرفع قمة في جبـال البرانس بقـدر ١٥٢ مترا ولذا يراه الرائي من مدينـة وهران بقطر

أما فيما يختص بأوصـــاف الأندلس والمصورات التى عملت عنهـا ونشرت مثل مصورات شپرونر Spruner ومنكه Menke (جـ ٢، ١٨٨) ودرويسن عام ١٨٩٤ م ، والمصورات الموجودة فى August Müller ؛ Der Islam im Morgen. und Abendland جـ ٢ وخاصة فى Stanley Lane Poole ؛ The Moors in Spain ، جـ ٢، طبعة ١٨٨٧ فكلها مع الأسف بعيـدة عن الدقة مليئة بالأخطاء التى وصلتنا منذ أيام الغزيرى Casiri وكوند Conde وصوصه Sousa وجوبير Jaubert وجايانجوس Gayangos وهامر Hammer ومهرن Mehren وغيرهم . ولم يتناول دوزى الجانب الجغرافى من الأندلس

الجزائر كما ترى سواحل إفريقية من أعلاه على بعد ٢٠٠ كيلو متر أى أكثر من المسافة بين القاهرة والاسكندرية على خط مستقيم . وتمتد سلسلته من إقليم غرناطة إلى إقليم المرية Almeria فى طول ١٠٠ كيلو متراً وعرض ١٥ إلى ٣٠ كيلو متراً ومن « ثلوجه الهطالة » وهذا هو المعنى الدقيق لكلمة Nevada فى اللغـة الاشبانية تتولد الميـاه التى تغذى نهر شنيل (Génil بالفرنسية و Xenil بالاشبانية) وهو النهر الذى يجرى قبلى مدينة غرناطة ويسوى فى نظر أهلها ألف نيل كنيل مصر لان اسمه مركب مزجى من حرف (ش) الذى كان ولا يزال يعدل ١٠٠٠ بحساب الجمل عنـد المغاربة ثم من (نيل) وهو نيل مصر .

وأعلى قمم جبل شلير القمة المشهورة باسم Cerro Mula Hacen أى قمة مولاى حسن الذى دالت دولة العرب نهائياً فى الاندلس وذلك ركنها وثل عرشها فى عهد ابنه أبى عبد الله الذى يسميه الافرنج Boabdil آخر ملوك بنى الاحمر وآخر ملوك العرب فى الفردوس المفقود .

محمد مسعود

ولم يتحر هذا المؤرخ الناقد العظيم الدقة التامة فى تحقيق الأسماء الخاطئة والمحرفة فى القسم الخـــاص بالأندلس من كتاب الإدريسى [نزهة المشـتاق فى اختراق الآفاق] . وقد نشر النص العربى مع ترجمته الفرنسية بعنوان *Description de l'Afrique et de l'Espagne par Idrisi* ، وعلق عليـــه وذيله بالحواشى دوزى وده غوى (ليدن ١٨٨٦ ، وانظر فيما يختص بهذا الكتاب E. Saavedra ؛ *La geografia de Espana del Edrisi* بمجريط ١٨٨١—١٨٨٩) وربما كانت هذه الأخطاء راجعة إلى نسخة الإدريسى الأصلية . ونحن إذا صححنا التفاصيل وقمنا بتحقيق الأسماء والمواقع المشتتة فى مؤلفات دوزى (وخاصة كتاب *Observations géographiques* quelques anciennes localités de l'Andalousie فى *Recherches* الطبعة الثالثة ، جـ ١ ، ص ٢٩٥—٣٤٧) وفى مصنفات سافدرا وسيمونيه وإجويلاز Eguilaz وكودرا Codera وباسيه فإننا فى الواقع لا نكون قد سرنا إلا خطوات قليلة فى سبيل تأليف كتاب علمى فى جغرافية الأندلس . وعلى ذلك فمن الضرورى أن نجمع كل الملاحظات التى كتبت فى هذا الموضوع المتشعب من جميع المصادر التى وصلت إلينا سواء أكانت مطبوعة أم غير مطبوعة ممـــا صنفه العرب من مؤرخين وجغرافيين ، ومن كتب التراجم ودواوين الشعر ، ثم نرتب هذا كله ونوازن بعضه

يبعض ونضعه تحت محك النقد والتحليل ونتخذ منه نواة لوصف جغرافي حديث للأندلس ، وأساساً لإعداد مصورات جغرافية جديدة . ولسنا نستطيع أن نستعين بالتحقيقات البعيدة عن العلم والنقد التي قام بها جماعة من العلماء تبدأ بالغزيري Casiri(١٦) وكوند Conde وغيرهما وتنتهي بهامر ومهرن ، وحسبنا دراسة المجموعة التي لم تمحص ، والتي تتكون من ٨٣٣ اسما من أسماء الأماكن في شبه جزيرة إيبيريا في صيغ مضللة محرفة ، وهي المجموعة التي ضم شتاتها هامر من غير نقد أو اختيار بما عرف عنه من الجنوح إلى تأليف المطولات ونقلها من الغزيري وكوند وجوبير Jaubert وجايانجوس Gayangos وضيع سدى أربعا وسبعين صفحة من مجلة *Sitzungsberichte der Wiener Akademie* ، ١٨٥٤ م .

وإذا انتقلنا إلى التاريخ فإننا نجد العالم العظيم دوزي قد نبذ ظهرياً جميع مؤلفات كوند وغيره قبل تصنيف كتابه النفيس *Histoire des musulmans d'Espagne* واستعان بالمصادر العربية بعد أن حققها ونشرها ، ومع ذلك فعلينا أن نفتح صفحة جديدة في البحث الجغرافي قبل أن نتمكن من تصنيف كتاب على في وصف الأندلس . وقد أوضحت ببعض الأمثلة الطريقة التي يجب أن تتبع ، وهي تشمل من غير شك الدراسة المقارنة لمصادر القرون الوسطى لاتينية وأسبانية من غير أن تغفل المصنفات القديمة . وبينت كيف نستخرج النتائج من المصادر العربية ، وكيف نستعين بهذه النتائج في تصحيح أسماء الأماكن القديمة وتحديد مواقعها. (أنظر *Oropesa y = Abixa = Otobesa* ، سرقسطة *El Puigcisco Codera = Anixa* ١٩٠٤م ، ص١١٥ — ١١٩ : *Monchichique et Arrifana* [illegible] *Algarve chèz les auteurs arabes* في *O Archevlogo Português* ، ج٨ ، ١٩٠٣ م ؛ *Zur spanisch-arabischen Geographie Die Provinz Cádiz* في R. Hauptmann : *Die geographische Katalog.* [illegible] *hage von Zallaka-Sacralias (1086) und Alarcos (1195)* في *Revue Hispanique* عام ١٩٠٦ م ؛ وانظر أيضا David Lopes : *Toponymia arabe* [illegible] *Portugal* في *Revue Hispanique* عام ١٩٠٢) .

وإبان استعادة الأسبان للأراضي التي كانت في حوزة العرب ، وبخاصة بعد الاستيلاء

---

(١٦) الغزيري هو ميخائيل الغزيري من غزير إحدى قرى لبنان على مقربة من بيروت . مستشرق ولد في طرابلس الشام سنة ١٧١٠ م من أبوين مارونيين وتوفي في مجريط (مدريد) يوم ١٢ مارس سنة ١٧٩١ . وقد تلقى العلم في رومية وتخصص في درس اللغات السامية وبرع فيها فعين مديرا لمكتبة الاسكوريال فتوفر فيها على درس المخطوطات العربية التي تحتويها هذه المكتبة وأودع ثمرات بحوثه كتابا عنوانه Billiotheca arabico-hispana escurialensis طبع بمجريط سنة ١٧٦٠ — ١٧٧٠ في مجلدين . وقد استدرك دارنبرج Derenberg على كثير من مواد هذا المصنف في كتاب ألفه تحت عنوان Les Manuscrits arabes de l'Escurial وطبعه بباريس سنة ١٨٨٤ .

محمد مسعود

على غرناطة عام ١٤٩٢ م ذهب الكثير من المصنفات القيمة التى تتحدث عن التاريخ وتقويم البلدان عامة ، والأندلس بخاصة ضحية التعصب الأعمى . ويجب كذلك أن تُجمع المواد المتعلقة بالأندلس والمبعثرة فى شمالى إفريقية وسائر بلاد المشرق ثم توضع فى متناول كثير من العلماء والجغرافيين والمؤرخين بترجمتها ترجمة نقدية مصحوبة بالتعليقات المفصلة ، كما يجب أن يُدرس بهذه الطريقة كل ما وردت فيه إشارة إلى الأندلس من التراث الجغرافى والتاريخى للعرب مبتدئين بالنبذ القصيرة التى كتبها ابن خرداذبة عام ٨٤٦ م ، ثم بمصنفات اليعقوبى وياقوت وغيرها وبالمكتبة الجغرافية التى نشرها ده غوى من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٨٩٤ بنوع خاص ، وأخيراً بالمصنف الضخم الذى صنفه أحمد المقَّرى المغربى فى دمشق من عام ١٦٢٨ إلى عام ١٦٣٠ م ، وقد جمعه من مائة مصدر عربى ، ويمكن أن يقال عنه إنه دائرة معارف فى موضوع الأندلس . ولا عبرة بترجمة جايانجوس لهذا الكتاب الحافل بالمعلومات وعنوانها *The history of the Mohammedan dynasties in Spain* (فى مجلدين ، عام ١٨٤٠ — ١٨٤٣ م) لأنها بعيدة كل البعد عن الدقة وخالية من التمحيص ، ولا يمكن التعويل عليها ، زد على ذلك أن المترجم تحاشى الصعاب بتجاهلها. وينبغى أن تجمع كل الأسماء والإشارات الجغرافية من المعاجم العربية الضخمة الخاصة بتراجم العلماء والأنساب ، لأن غالبها يتناول عدداً كبيراً من رجالات الأندلس ، وهى تثبت ازدهار الأدب فى تلك الربوع . وأهم هذه المصنفات بلا ريب هو «المكتبة الأندلسية» (*Bibliotheca Arabico Hispana* : Codera) التى تضم فى مجلداتها العشرة تراجم أندلسية ، ولكن المؤسف حقاً أن يتفشى فى هذه المكتبة الخطأ والتحريف فى أسماء الأماكن .

وسنجمل القول فى تاريخ الأندلس ؛ فإنه يبدأ باحتلال العرب السريع لشبه الجزيرة منذ عام ٩٢ هـ (٧١١ م) فصاعداً ، وقد مزجت قصة هذا الفتح بالكثير من الأساطير ، وقام به أول الأمر — أى إلى عام ٧٥٥ م — عمال من قبل خلفاء بنى أمية فى دمشق يربو عددهم على العشرين ، ولم يكن يلبث الواحد منهم فى الحكم إلا قليلا . وقد توغل العرب فى شجاعة إلى أن وصلوا إلى قلب فرنسا عند مدينتى تور وبواتيه Tours - Poitiers (عام ٧٣٢ م) ثم نشبت الفتنة بين عرب الشمال والجنوب وبين البربر ، وفى عام ٧٥٦ م قامت إمارة قرطبة ، أى الأندلس منفصلة عن العباسيين ، على يد عبد الرحمن الأول الملقب بالداخل ، وهو أمير أموى فر من الاضطهادات التى مزقت شمل أسرته . ومن عام ٩١٢ إلى عام ٩٦١ م ، أى فى عهد عبد الرحمن الثالث الذى جلس على عرش الخلافة عام ٩٢٩ م وصلت هذه الدولة إلى أوج عظمتها ، ثم أخذت فى التدهور السريع وخاصة بعد وفاة الأمير الموهوب

المنصور الحاجب (انظر هذه المادة) وهو أعظم ساسة الأندلس وقوادها ، بل يمكننا أن نعتبره بسمارك القرن العاشر . وفى عام ١٠٣١ م تلاشت هذه الدولة القديمة وحلت محلها دويلات قصيرة العمر حكمها أمراء يعرفون فى التاريخ بملوك الطوائف، كان أغلبهم على جانب عظيم من الثقافة . وبعد عام ١٠٨٦ م ، أى بعد العام الذى انتصر فيه على النصارى يوسف بن تاشفين فى واقعة الزلاقة Sacralias شمالى شرق بطليوس ، اجتاحت الأندلس قوة المرابطين الغاشمة ، وهم بربر من مراكش ، ثم قضت على المرابطين فى إفريقية والأندلس معاً من عام ١١٤٥ إلى عام ١١٥٠ طائفة دينية وسياسية هى دولة الموحدين التى أخذت تضمحل هى الأخرى تدريجياً بعد الهزيمة التى منيت بها فى واقعة العقاب Las Navas de Tolosa عام ١٢١٢ م .

وبعد عام ١٢٣٦ م انحصر سلطان العرب فى إمارة غرناطة المشهورة الناشطة . وبالرغم من حماية الجبال لهذه الإمارة ، فإنها اعترفت بسلطان قشتالة ، ثم سقطت عام ١٤٩٢ ، وتلا ذلك ، وبخاصة بين عامى ١٥٦٨ و ١٥٧٠ ، ثورة الموريسكو Moriscoes[1]. وفى عام ١٦٠٩ طرد المستعربون Les Mozarabes والمدجنون Les Mudejares واليهود . ولا يتسع المجال هنا للإفاضة فى هذا التاريخ الطويل ، وحسبنا أن نحيل القارئ إلى المواد الخاصة التى تبحث فى شتى جوانب هذا الموضوع ، مكتفين ببيان الدول المختلفة التى حكمت الأندلس مع ذكر أسماء حواضرها :

بنو أمية وحاضرتهم قرطبة وحكموا من عام ٧٥٦ — ١٠٣١ م .

بنو عباد وحاضرتهم إشبيلية وحكموا من عام ١٠٢٣ — ١٠٩١ م .

بنو جهور وحاضرتهم قرطبة وحكموا من عام ١٠٣١ — ١٠٧٠ م .

بنو حمّود وحاضرتهم مالقة وحكموا من عام ١٠٣٥ — ١٠٥٧ م .

بنو زيرى وحاضرتهم غرناطة وحكموا من عام ١٠١٥ — ١٠٩٠ م .

بنو برزال وحاضرتهم قرمونة وحكموا من عام ١٠٢٩ — ١٠٦٧ م .

بنو بكر وحاضرتهم وَلْبة وحكموا من عام ١٠١١ — ١٠٥١ م .

بنو يحيى وحاضرتهم لبلة وحكموا من عام ١٠٢٣ — ١٠٥١ م .

بنو مُزَين وحاضرتهم شِلب وحكموا من عام ١٠٢٨ — ١٠٥١ م .

سعيد بن هارون وابنه محمد وحاضرتهما شنتمرية الغرب وحكما من عام ١٠١٦ — ١٠٥٢ م .

بنو الأفطس وحاضرتهم بطليوس وحكموا من عام ١٠٢٢ — ١٠٩٢ م .

[1] (١) الموريسكو Moriscoes هم الرعايا المسلمون الذين دخلوا فى حماية ملك النصارى .

بنو ذى النون وحاضرتهم طليطلة وحكموا من عام ١٠٣٦ — ١٠٨٥ م .

بنو عامر وحاضرتهم بلنسية وحكموا من ١٠٢١ — ١٠٦٥ م .

بنو هود وحاضرتهم سرقسطة وحكموا من عام ١٠٣٩ — ١١١٠ م .

بنو رزين وحاضرتهم شنتمرية الشرق أوشنتمرية ابن رزين وحكموا من عام ١٠١١ — ١١٠٣ م .

بنو القاسم وحاضرتهم الفنت Alpuente وحكموا من عام ١٠٢٥ — ١٠٩٢ م .

بنو صمادح وحاضرتهم المرية وحكموا من عام ١٠٤٤ — ١٠٩١ م .

(انظر البيان التاريخى الموجود فى Dozy : *Histoire* ، الذيل ، وقد أخذ هذا البيان عن ستانلى لين بول Stanley Lane-Poole المختصر ، *The Muhammedan Dynasties* لندن ١٨٩٤ ؛ Antonio Vives y Escudero : *Monedas de las dinastias Arabigo-espanolas* ، مجريط ١٨٧٩ م ومقالاته المختلفة ؛ Juan de Dios de la Rade y Delgado : *Catálogo de monedas arábigas españolas* [redacted] *el Muséo arqueológico nacional* مجريط ١٨٩٢ ؛ H. Lavoix : *Catalogue* [redacted] *monnaies musulmanes* [redacted] *la Bibliothèque* [redacted] *tionale* ، *Espagne Et Afrique* ، باريس ١٨٩١) .

ولدينا عن تاريخ الأندلس ما بين عامى ٧١١ — ١١١٠ م كتاب دوزى القيم *Histoire des Musulmans d'Espagne* ليدن ١٨٦١ ، الترجمة الألمانية ليبسك ١٨٧٤ وقد ترجمه F. de Castro إلى اللغة الأسبانية فى مجلدين ، إشبيلية — مجريط ، ١٨٧٧ — ١٨٧٨م ، والمختصر الذى قام به ملر A.Müller

ويجب أن ترجع فى المسائل التى كثر حولها الخلاف والنقط التى ثار حولها الجدل إلى البحوث الحديثة مثل بحث Saaverda : *Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana* ، مجريط ١٨٩٢ الذى يذهب فيه إلى أنه من المحتمل أن يكون لذريق Rodrigo قد فر عقب الوقعـــة التى حدثت بينه وبين البربر فى إقليم البحيرة عام ٧١١م وقاتل قتال الشجعان فى الشمال الغربى حتى عام ٧١٣ ولقى حتفه فى هذا القتال أثناء قتاله مع موسى فى وقعـة *Segoyuela & Tamâmes* جنوبى سلمنقة ، ويؤيد هذا الرأى الموضع المعهود لقبره فى فيزيو Vizéu فى شمالى البرتغــــال (انظر Saavedra : *Pelayo* ، مجريط ١٩٠٦ ؛ J[redacted] Menendez : *Leyendas del último rey godo* ، مجريط ، ١٩٠٦) .

أما عصر المرابطين والموحدين وعصر بنى نصر وبنى الأحمر (١٢٣٢ — ١٤٩٢) فى غرناطة ، أى المدة ما بين القرنين الثانى عشر والخامس عشر الميلاديين فيحتاجان إلى جهود مؤرخ آخر مثل دوزى يكون همه الأول الاستفادة التامة من المراجع العربيـــة .

ولا شك أننا نرحب بالمقالات المتفرقة مثل Codera : *Decadencia y desaparicion de Coleccion = los Almaravides* [illegible] *Espana Estudios árabes* ، جـ ٣ ، سرقسطة ١٨٩٩ لأنها تزودنا المواد التي يجب أن نضعها موضع النقد والتحليل . كما أن ترجمات فانيان Fagnan لكثير من المصنفات العربية الخاصة بتاريخ الأندلس والمغرب تعود علينا بالفائدة الجزيلة وهذه الترجمات هي : *L' histoire des Almohades d'après Abd el-Wahid Merrakechi* ، الجزائر ١٨٩٣ ؛ *Chroniqe des Almohades et des Hafcides attribuée à Zerkechi* ، قسنطينة ١٨٩٥ ؛ Ibn el Athir : *Annales du Maghreb et de l' Espagne* الجزائر ١٨٩٨ — ١٩٠١ ، *Histoire de l' Afrique et de l' Espagne intitulée al-Bayano' l-moghrib* ، لابن عذاري ، جـ١ ، الجزائر ١٩٠١ ، جـ٢ ، ١٩٠٤م ، *En Nodjoum* [illegible] *zahira. Extraits relatifs au Maghreb* والترجمة الأخيرة عبارة عن فقرات ترجمها فانيان من كتاب أبي المحاسن بن تغرى بردى ، قسنطينة ١٩٠٧ . ومن المؤسف أن أسماء الأماكن في جميع الترجمات السالفة لم تحقق تحقيقا كافيا .

وامتازت الفترة الأخيرة التي دامت ٨٠٠ عام بالنضال الشريف في سبيل استعادة الأندلس الجميلة ، وهي دون غيرها قد أوحت إلى المؤرخين مرة إثر أخرى تصنيف المؤلفات التي تتراوح بين اندفاع العاطفة والجد العلمي . ويجب أن تنال هذه المؤلفات نصيبها من الاهتمام عند تدوين تاريخ نهائي لغرناطة والحمراء ، وهذا ما فعله L. de Eguilaz Yanguas في كتابه *Reséna hisorica de la Conquista* [illegible] *reino* [illegible] *Granada sacada de los autores árabes* ، الطبعة الثانية ، غرناطة ١٨٩٤ وهو من أحدث البحوث في هذا الموضوع . أما عن جغرافية مملكة غرناطة الصغيرة فكتاب سيمونيه المتوفى عام ١٨٩٧ مازال العمدة ، ولو أننا يجب أن نتناول كثيرا مما ورد في طبعته الثانية بشيء من الحيطة ونضعه موضع النقد (Simonet : *Descripcion* [illegible] *reino de Granada sacade de los autores árabes* ، مجريط ١٨٦٠ ، الطبعة الثانية عام ١٨٧٢ م) . وكذلك يجب أن نرجع إلى كتاب قيم آخر للمؤلف نفسه فيما يختص بتاريخ الأندلس في العهد العربي عامة (Simonet : *Historia de los Mozarabes de Espana deducida de los mejores y màs autenticos testimonios de los escritores cristianos y árabes* مجريط ١٨٩٧ — ١٩٠٣ ، المجلد ١٣ في *Memorias* [illegible] *la Real Academia* [illegible] *la Historia* ، الثانية والخمسون صفحة من المقدمة مضافة إلى التسعمائة ست وسبعين صفحة من الأصل) .

ولا يوجد بين التواريخ التي وضعت عن

البلاد والأماكن المشهورة بالأندلس سوى عدد قليل له قيمة تاريخيـــة مثل Alvara: *Bosquejo historico* : Campaner y Fuertes *de la dominacion islamita* [illegible] *las Islas Baleares* (بالما ١٨٨٨م ، وانظر عن هذا الكتاب Codera : *Estudios criticos de histoira árabe espanola = Collecion de Estudios árabes* ، جـ ٧ ، سرقسطة ١٩٠٣ م ، ص ٢٤٩ — ٣٠١ ! Alfred Bel : *Les Benou Ghanya, derniers représentants de l'Empire almoravide et leur lutte contre l'empire almohade* ، باريس ١٩٠٣) و Mariano : Gespar Remiro : *Historia de Murcia musulmana* ، سرقسطة ١٩٠٥ وغيره . وكتـــاب Altamira الحديث الشـــامل : *Historia* [illegible] *Espana y de la civilizacion espanola* ، جـ١ — ٣ ، برشلونة، طبعات ١٩٠٠ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٦ ، وهو يتحدث عن تاريخ الأندلس حتى عام ١٧٠٠ م مفيد فى بعض الأحيان ، ولو أنه اعتمد فى كلامه عن العهد العربى على مصـــادر ثانوية ، ويجب أن تتناول ما جاء به فى حيطة وتضعه موضع النقد . وقد اعتمد Th. Linder فى الغالب على A. Müller فى إلمامته الجيدة عن الأندلس (*Weltgesch. seit der Völkerwanderung* ، جـ ٢ ، شتوتجارت — برلين ١٩٠٢ ، ص ١٠٢ — ١٤٠) .

وينبغى لنا أن نذكر من بين المؤلفات التى تتحدث عن المصادر ما يأتى : F. Pons Boigues : *Ensayo bio-bibliográphico sobre los hist oriadores y géografos arabigo-espanoles Gesch. arab. d. Liter* وهذا الكتاب يتحدث أيضاً عن أدباء الأندلس ولو أن تراجمه وخاصة فى المجلد الأول غير مستوفاة فى كثير من الأحيان .

ويعطينا Shack فى كتابه *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sicilien* ، الطبعة الثانية شتوتجارت ١٨٧٧ أحسن وصف للشعر الوافر الذى تغنى به شعراء الغزل الأندلسيون وأضرابهم من عرب المغرب وللفن المغربى الذى يتجلى فى عمائرهم التى تتميز بكثرة الزخرف (نقوش على النمط العربى ومقرنصات وزخرفة خطية) ويغلب فيها الميل إلى الزخرفة على الميل إلى الإنشاء والبناء . وقد تعقب شاك Shack تطور العمارة مبتدئاً بالجامع الكبير بقرطبة (٧٨٦ م) ومنتهياً بالتحفة الفنية المعروفة بالحمراء . وأحسن الصور الخاصة بهذه العمائر وأحفلها بالألوان هى التى وردت فى Calvert : *Moorish remains in Spain (Cordova, Sevilla, Toledo, Granada)* ، ١٩٠٦ — ١٩٠٧ . ولم تخط الأبحاث التى تتناول كيفية ومدى تأثير حضارة العرب فى الأندلس على الغرب سوى بضع خطوات، وهذا ينطبق مثلا على المسألة التى لم تحل بعد، وهى الخاصة بمدرسة النقلة بطليطلة والشأن الذى كان لذلك اللون الجديد من

الأدب اليهودى الذى أنتجه يهود الأندلس وازدهر فى كنف الإسلام .

(انظر أيضاً تقارير سيبولد السنوية التى بدأ ينشرها عن المراجع منذ عام ١٨٩١ فى Vollmöller: Romanischer Jahresbericht ، نفس المؤلف : Die arab. Sprache in den [redacted] Ländern فى Gröber : Grundriss. der roman Phil- ologie ، جـ ١ ب ١٩٠٤ م ، ص ٥١٥ — ٥٢٣ . نفس المؤلف : Hispano-Arabica فى Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ، جـ ٦٣ ص ٣٥٠ — ٣٦٤ . وانظر أيضاً مقال بلاد العرب والعجمية) ؟

[سيبولد C. F. Seybold]

« إنزلى » اسم ميناء مدينة رشت حاضرة كورة جيلان فى بلاد الفرس . وهى على لسان ضيق من الأرض تخترقه قناة تصل بين بحر قزوين وبحيرة عذبة الماء تعرف باسم بحيرة مُرْداب . ويذهب المسافر بطريق النهر من إنزلى إلى پير بازار على الشاطىء الجنوبى لبحيرة مرداب ومن هناك يذهب براً إلى رشت التى يمر بها الطريق الواصل إلى طهران ماراً بقزوين ؛

وكان لإنزلى شأن كبير فى الحروب التى شبت بين الروسيا وفارس . ففى سنة ١٧٢٢م نزلت الجيوش الروسية فى پيربازار . وفى سنة ١٨٠٤ فشلت المحاولات التى قام بها الروس فى إنزلى فشلا تاماً وذلك لاستحالة التوغل إلى داخل البلاد . ومع أن ميناء إنزلى مفتوح للأمواج فانها أهم الموانى الفارسية على بحر قزوين .

وقد دخلها ٤٠٧ سفينة فى سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ و ٩٢٠ سفينة فى سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ ويظهر أنه لم ينبه شأن هذه المدينة إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ولم يكن بها فى أواخر القرن الماضى سوى ٣٠٠ — ٤٠٠ منزل ولكن جاء فى التقارير الأخيرة لقنصل انجلترا أنه يقدر عدد سكانها بنحو ٩٠٠٠ نسمة .

المصـــادر

(١) Ritter : Erdkunde ، جـ ٨ ، ص ٦٥٣ وما بعدها (٢) Melgunof : Das sudliche Ufer des kaspischen Meeres ، ليبسك ١٨٦٨ ، ص ٢٧٨ وما بعدها (٣) Stahl فى Petermanns Geogr. Mitt., عدد ١١٨ ، ص ١ (٤) Diplomatic and Consular Reports ، رقم ٤٨٢٨ ، عام ١٩١٢

[هارتمان R Hartmann]

«أنس» بن مالك أبو حمزة : أحد كبار المحدثين ، قدمته أمه لخدمة النبى بعد الهجرة ، ويذكر عن نفسه أنه كان فى العاشرة من عمره وقتذاك . وقد حضر غزوة بدر ولكنه لم يشترك فيها ، ولذلك فهو لا يعد من المجاهدين ، وظل يخدم النبى إلى أن قبض ، واشترك بعد ذلك

فى الفتوح كما كان له ضلع فى الفتن . وفى عام ٦٥ هـ (٦٨٤ م) أمّ الناس بالصـــلاة فى البصرة من قبل الخليفـــة الثائر عبد الله ابن الزبير . ولامه الحجاج على انضمامه إلى الثائر عبد الرحمن بن الأشعث كما سبق أن انضم إلى خصمى الأمويين : على والزبير . ومع أنه كان مبجلا لصحبته للنبى إلا أن الحجاج لم يتورع فى أن يضع الحبل المبصوم بخاتمه حول رقبته عام ٧٢ هـ (٦٩١ م) . ويقال مع ذلك إن الخليفـــة عبد الملك اعتذر له عما بدر من الحجاج من فعل مشين . وتوفى أنس بالبصرة بعد أن عمر طويلا . واختلفت الرواية فى تقدير عمره بين ٩٧ و ١٠٧ سـنة . أما تاريخ وفاته فالمشهور أنه كان بين عامى ٩١ و ٩٣ هـ (٧٠٩ — ٧١١ م) .

وهو لا يعد أعظم المحدثين . ويقال إن أبا حنيفة رفض اتخاذه حجة فى الحديث . والأحاديث التى رواها عن المعراج وغيره لم تبرأ من القصص الخيالى . وتوجد مجموعة كبيرة من أحاديثه فى مسند أحمد بن حنبل[1] ؟

المصـــــادر

(١) ابن حنبل : المسند ، جـ ٣ ، ص ٩٢ وما بعدها (٢) البلاذرى ، طبعة ده غوى ، ص ٣٨١ (٣) الطبرى : طبعة دهغوى ، جـ ١ ، ص ٢٤٠٩ ، ٢٥٥٩ ، جـ ٢ ، ص ٤٦٥ ، ٥٨٨ (٤) ابن قتيبة : معارف ، طبعة فستنفلد ، ص ١٥٧ (٥) النووى ، طبعة فستنفلد ، ص ١٦٦ (٦) ابن الأثير : أسد الغابه ، طبعة القاهرة ١٢٨٦ هـ ، جـ ١ ، ص ١٢٧ وما بعدها (٧) ابن حجر : الإصابة ، جـ ١ ، ص ١٣٨ (٨) ابن خلكان : ترجمة دهسلان ، جـ ٢ ، ص ٥٨٨ (٩) الدميرى : حياة الحيوان ، ص ٣٥٠ .

[فنسنك A. J. Wensinck]

« الإنسان الكامل » : يستعمل المتصوفة الإسلاميون هذا الاسم للدلالة على أسمى مرتبة يبلغها الإنسان وهى مرتبة الصوفى الذى وصل إلى الفناء فى الله . ويحدثنا أبو يزيد

---

(١) لم أجد ما يؤيد النقــل الذى نقله المستشرق « فنسنك » عن أبى حنيفة ، والمعروف عنـــد علماء المصطلح ، بل عند عامة العلماء ، من أتبـــاع أبى حنيفة وغيره من الأئمة — : أن الصحابة كلهم عدول ، وقد خالف بعض العلماء فى الأخذ برواية بعض الصحابة خلافا لا يقام له وزن ، ولـكن أنس بن مالك ليس ممن اختلف فى الأخذ بروايته . وأما زعم الكاتب أن روايته لحديث المعراج فيها قصص خيالى : فإنه زعم باطل لا دليل عليه ، لأن رواية أنس تأيدت برواية كثير من الصحابة غيره ، بل إن الحديث فى مجموعه ورد متواترا لا شك فى صحته ، وقد جمع الحافظ بن كثير فى تفسيره أكثر الروايات الواردة فيه بأسانيدها (جـ ٥ ص ١٠٧ — ١٤٣) غاية الأمر أن الحديث دل على معجزات للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ لا يريد الكاتب أن يصدق بصحتها ، فهذا شىء مرجعه لعقيدته ، لا نتحكم فيها ، ولـكن لا علاقة له بالقواعد الصحيحة الدقيقـة التى يرجع إليها فى صحة الأحاديث وضعفها كما بينا ذلك فى التعليق على ما كتبوه فى الدائرة فى شأن اسم « الله » جل وعلا ، وفى مقدمة شرحنا على كتاب « اختصار علوم الحديث » للحافظ ابن كثير .

أحمد محمد شاكر

البسطامى | ٢٦١ = ٨٧٤) المذكور فى فى رسالة القشيرى (القاهرة ١٣١٨ ، ص ١٤٠ س ١٢ وما بعــده ؛ انظر R. Hartmann : *Alkushairis Darstellung des Sûfîstum*, *Türkische Bibliothec* ؛ ج ١٨ ؛ ص ١٦٨) عن الصوفى الذى بعد أن يحصل له التجلى ببعض الأسماء الإلهيـة يفنى فى الله ويصير « الكامل التام » . ونستطيع أن نقول إن الشــخص الذى يوصف بذلك هو عين الإنسان الكامل . ولعل هذه العبارة وردت لأول مرة فى مصنفات ابن عربى (انظر فصوص الحكم ، فصل ١) ثم أصبحت اسما لكتاب مشهور لعبد الكريم الجيلانى المتوفى حوالى ٨٢٠هـ (١٤١٧) ، وهو « كتاب الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل » . وهذان المؤلفان يقيمان نظرية الإنسان الكامل على مذهب فى وحدة الوجود من شأنه أن يجعل الخالق أو الحق والخلق مظهرين متكاملين لوجود مطلق . وقد قال الحلاّج (انظر كتاب الطواسين الذى نشره الأستاذ ماسينيون ص ١٢٠ وما بعدها) بنظرية شبيهة بهذه النظرية مع شىء من الاختلاف .

يقول ابن عربى « الإنسان يجمع فى نفسه صورة الله وصورة العالم . وهو وحده الذى تتجلى فيه الذات الإلهيـة بكل الصفات والأسماء ، وهو المرآة التى تنكشف لله فيها ذاته ، ونحن أنفسنا الصفات التى نصف بها الله ، ووجودنا ماهو إلا تحقيق وجوده . وإذا كان الله ضروريا لوجودنا فلابد من وجودنا لكى يظهر لنفسه » .

ويعرض الجيلانى ، وهو يخالف ابن عربى فى بعض التفصيلات ، هذه النظريات عرضا منظما ، وهو يقول شيئا قريبا مما يلى :

الذات هو الأمر الذى تستند إليه الصفات فكل صفة استندت إلى شىء فهذا الشىء هو الذات سواء أكان موجودا أم معدوما . والموجود إما موجود محض وهو الله أو موجود ملحق بالعدم وهو ذات المخلوقات . والوجود المطلق هو محض الذات الصرف التى لا يظهر فيها شىء من الأسماء أو الصفات أو النسب . والظهور يقتضى التنزل من حالة البساطة ، وهذا التنزل له مراتب ثلاث : الأحدية والهوية والإنية وهنا تظهر الأسماء والصفات التى تعرف بها الذات ، وهى تنكشف بالتجلى . والإنسان الكامل الذى هو مجلى الوجود المطلق منه وإليه يرتقى فى تجليات متعاقبة حتى ينتهى بالانغمار فى الذات . وفى المقام الأول « وهو مقام التجلى فى الأسماء » يصطلم العبد تحت أنوار ذلك الاسم الذى يتجلى الله فيه حتى إذا دعوت الله بذلك الاسم أجابك العبد لوقوع ذلك الاسم عليه ، والمقام الثانى هو مقام التجلى بالصفات . ويقبل الصوفى من تجلى هذه الصفات ما يناسب طاقته وسعة علمه وقوة عزيمته . والله يتجلى على البعض بصفة الحياة ، وعلى غيرهم بصفة العلم ، وعلى آخرين بصفة القدرة وهكذا . بل إن الصفة الواحدة يتجلى الله بها على أحوال متنوعة : فالبعض مثلا يسمعون كلام الله بكليتهم

وبعضهم يسمعونه على لسان الخلق ولكنهم يعلمون أنه كلام الله ، وآخرون يعرفون منه الحوادث المستقبلة . وفى المقام الأعلى وهو مقام التجلى بالذات يكون ذلك الهيكل الإنسانى هو الفرد الكامل والغوث الجامع ، عليه يدور أمر الوجود ، يقدر على كل شىء ولا يحجب عنه شىء » وله يكون الركوع والسجود لأنه خليفة الله فى الأرض (انظر سورة البقرة آية ٢٨) . ولما كان الإنسان الكامل يجمع صورة الله وصورة الإنسان فإنه واسطة الاتصال بين الخالق والمخلوقات وطبيعته العامة (الجمعية) تجعل له مكانا ساميا فريدا فى مراتب الوجود

ويقسم الجيلانى صفات الله أربعة أقسام : صفات الذات (الوحدانية والقدم والخلق ونحوها) ، وصفات الجمال ، وصفات الجلال وصفات الكمال . وعلى حين أن صفات الجمال والجلال والكمال تظهر فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى — لأن الجنة والجحيم مثلا هما على التوالى مظهران للجمال والجلال — فإن الانسان الكامل وحده هو مظهر الأسماء الذاتية . وقد قبل الإنسان حمل الأمانة عند ما عرضها الخالق — كما يفسر الصوفية سورة الأحزاب آية ٧٢ — فهو يحوى صور كل الأشياء المادية والروحانية ؛ فقلبه يقابل عرش الله وعقله يقابل القلم ، ونفسه اللوح المحفوظ وطبعه العناصر فهو « نسخة الحق » . انظر حديث « إن الله خلق آدم على صورته » .

تبين هذه النظرية أثر آراء الرافضة فى مذاهب التصوف (انظر Bousset : *Hauptprobleme der Gnosis* ، ص ١٦٠ وما بعدها) . والإنسان الكامل هو الإنسان القديم عند أصحاب مانى ، وهو آدم قدمون عند القبالة . ولم يكن بد من أن يكون رمز الإنسان الكامل عند المسلمين هو النبى محمد . وقد ظهر الاعتقاد بين أهل السنة فى وقت مبكر بأن النبى خلق قبل ولادته (انظر Goldziher: *Neuplatonische und gnostiche elemente im Hadit* فى *Zeitschrift für Assyriologie* عدد ٢٢ ص ٣٢٤ وما بعدها) . وذهب كثير من المتصوفة الذين أخذوا بنظريات الصدور فى المذهب الأفلاطونى الجديد إلى القول بأن محمدا هو العقل الكلى أو الكلمة . ويعنى الجيلانى بأن يقول إن محمدا هو الإنسان الأكمل ، وكل الأولياء والأنبياء يلونه فى المرتبة . ثم يقول إن محمدا يظهر فى كل جيل فى صورة ولىّ حى ، ويعرفه الأولياء فى هذه الصورة (انظر Goldziher : نفس المصدر فيما يتعلق بالمذهب القائل بانتقال النور محمدى) . ونجد مسايرة لروح الإسلام فوق ما تقدم فى المبدأ القائل بأن الإنسان الكامل يجب أن يظل عاملا بالشرع . يقول الجيلانى « إن إدراك الذات العليا هو أن تعرف بالكشف أنك هو وأنه أنت وأن هذا ليس حلولا (انظر هذه المادة) ولا اتحادا

وأن العبد عبد والرب رب والعبد لا يصير ربا والرب لا يصير عبدا .

المصـــادر

انظر عدا المصادر التي ذكرت في المقال : (١) محمود شبستاري : كلشن‌راز، طبعةهوينفيلد ٢ ص ٣١٢ — ٥٦١ (٢) Tholuck : Ssufismus فصل ١ (٣) Palmer : Oriental Mysticism ، فصل ٣ (٤) شيخ محمد اقبال : The development of metaphysics in Persia ص ١٥٠ — ١٧٤ ،وفى هذا الكتاب أكمل بيان ظهر لآراء الجيلاني الفلسفية (٥) Nicholson : The mystics of Islam ، فصل ٦ .

[نيكلسون Nicholson]

«إنشاء »: يقول صاحب كتاب مفاتيح العلوم (طبعة فان‌فلوتن Van Vloten ص٧٨) إن لفظ الإنشاء من الألفاظ المستعملة فى ديوان الرسائل ، « وهو عمل نسخة يعملها الكاتب ، وتعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أو يقرها على حالها ويأمر بتحريرها » .

وعلم الإنشاء هو فن كتابة الرسائل والوثائق . وأول من اشتهر به بين العرب هو عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية (انظر ترجمته في ابن خلكان) . وفى هذا العلم مصنفات كثيرة بالعربية والفارسية والتركية تتضمن معلومات هامة عن تاريخ التمدين الإسلامي، منها المصنف العظيم الذي وضعـــه القلقشندي وعنوانه «صبح الأعشى» ، ورسالة ابن فضل الله (انظر هذه المادة) المسماة « التعريف بالمصطلح الشريف » . ووضع مرعي بن يوسف كتاباً في فن الترسل سماه « بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات » ، وقد طبع عدة مرات في بلاق والقاهرة والقسطنطينية ، كما طبع أحياناً مع كتاب في الموضوع نفسه لحسن العطار (انظر هذه المادة) . ويعرف هذا المصنف الأخير باسم « إنشاء العطار » . أما رسالة ابن فضل الحلبي المعروفة بعنوان « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » ، فأقدم من هذه المصنفات (القاهرة، ١٢٩٨، ١٣١٥هـ). وتوجد إلى جانب ذلك في اللغة العربية نماذج كثيرة من الرسائل المختارة (انظر الأبواب الخاصة بالرسائل في فهارس المخطوطات العربية) . ومن المصنفات الحديثـــة : كتاب « نهج المراسلة » للشرتوني ، بيروت ١٨٨٠ م ؛ وكتاب في الرسائل التجارية لحرفوش ، بيروت ١٩٠٢ م الخ . . .

ويوجد بالفارسية إلى جانب رسائل ابن مؤيد البغدادي وهندوشاه المنشيء النخجواني وأبي الفضل (انظر هذه المادة) وغيرهم رسائل ذهركرن ، (انظر هذه المادة)

وخليفة شاه محمد (جامع القوانين ، طبعة لكنهو ١٨٤٦ م . كونبور ، ١٨٦٤ م) ورسالة « سيد الإنشاء نوظهور» (طهران، ١٣٢٧ هـ ... الخ)

وهناك رسائل بالتركية أنشأها نركسى زاده وقنالى زاده وغيرهما . أما المجموعة الشهيرة للرسائل التى دبجها فريدون بك فقد تحدثنا عنها بما فيه الكفاية فى مادة «فريدون» وهناك مصنف لخيرت أفندى عنوانه « إنشاء » (بلاق ، ١٢٤٢ هـ) ومن المصنفات الحديثة « علاوه لى خزينة مكاتب » لأحمد راسم (استانبول ، ١٣٣١ هـ) و « رهبر كتابت عثمانية ياخود مكمل منشآت» (استانبول، ١٢٢٨هـ) لمحمد فؤاد و *Guide complet des correspondance turc-français* (القسطنطينية ١٣٣١ وغيرها) .

وكتاب ديوان الإنشاء (انظر مادة « كاتب ») يطلق عليهم « المنشئون » ولكن هذا اللقب يطلق فى الهند على كل مثقف من أبناء البلاد وخاصة المدرسين الذين يقومون بتدريس اللغات (انظر Hobson-Jobson مادة منشى؛ ومادة دوات دار وكاتب فى هذه الدائرة وقد ذيلت كل منهما بأسماء المراجع) م؟

« إن شاء الله » : وجوب قول هذه العبارة حتى فى حالة انتفاء الشك مبنى على ما جاء فى الآيتين ٢٤ و٢٥ من سورة الكهف : « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً » .

وعلى ما جاء فى الآية ٢٨ من سورة الفتح « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » . وقد وردت فى هذه الآيات عبارة «إن شاء الله» فى خطاب الله لرسوله . والمسألة الواردة فى الآية الأخيرة معلقة بالمشيئة مع أنها كان لا شك فى وقوعها حتى إن الله نفسه قد وصفها بقوله « بالحق » . ويقال إن الله تعالى استعمل هذه العبارة لتأديب الرسول على استعمالها . ويروى فى الحديث أن محمداً وجه الخطاب إلى الموتى فى قبور المدينة فسلم عليهم ثم قال « ونحن إن شاء الله بكم لاحقون » . وكون النبى سيلحق بهم أمر لا مجال للشك فيه .

وعلى هذا تستعمل هذه العبارة فى :

ا — فى حالة إمكان وقوع الشك بالفعل.

ب — لإظهار التواضع فى الرد على سؤال أو ملاحظة فيها شىء من التملق ، ولا تستعمل أبداً إذا كان السؤال خالياً من التملق .

حـ — للتأدب نحو الله بالخضوع لمشيئته بالقول والفعل والتبرك بذلك .

وخضوع كل شىء لمشيئة الله يجعل استعمال هذه العبارة فى الحياة اليومية مقابلا للتعبير عن رغبة أو أمل . وإذا قال لك قائل إن

صديقاً لك مشرف على الموت فينبغى ألا تقول إن شاء الله بل تقول ذلك إذا قال لك إن حالته فى تقدم ، ويقول السيد المرتضى إن فرقة المرازقة أتباع عثمان بن مرزوق الذين كانوا فى مصر أيام المرتضى غالوا فى استعمال هذه العبارة حتى أصبحت بدعة .؟

المصـــادر

(١) الغزالى : إحياء علوم الدين مع شرح السيد المرتضى ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ وما بعدها .

[ماكدونالد D. B. Macdonald]

« إنشاء الله خان » : شاعر هندى ولد فى مرشد آباد ، واستقر بلكنهو حوالى عام ١٢٠٠ هـ فى كنف الأمير سليمان شكوه ، وتوفى حوالى عام ١٢٣٠ هـ . وللمترجم له ديوانان أحدهما فارسى والآخر أردى وقد كتب أيضاً « مثنوى » باللغة الفارسية عنوانه « شيروبرنج » . ونزل إنشاء الله على إرادة سعادت على خان (١٢١٢ — ١٢٢٣ هـ) . نواب أوده فصنف كتاباً فى النحو الأردى عنوانه « دريای لطافت » . ونشر مجموعة من ملح هذا الأمير سماها « لطائف السعادت » .؟

المصـــادر

(١) [redacted] : فهرس المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطانى ، ص ٩٦١ ، ٩٩٨ وما بعدها ، ١٠٩٦ ب (٢) *Hist* : Garcin de Tassy *de la Littérature Hindoustanie* ، جـ ٢ ، ص ٣٣ — ٣٨ .

« الأنصار » لقب الذين آمنوا بالنبى من أهل المدينة وآووه وأيدوه بعد هجرته من مكة ، ويقال لهم أحياناً « أنصار النبى » وقد يكون هذا اللفظ جمعاً لكلمة نصير التى لم ترد قط فى هذا المعنى الشرعى . وينسب إلى الأنصار فيُقال للفرد أنصارى ، وهو مشتق من الجمع . والأنصارى يطلق على الرجل من سلالة الأنصـار ، ويستعمل صفة ، وجمعه « أنصاريون »[١] .

ويظهر أن محمداً استغل التشابه الموجود بين لفظ أنصار ونصارى فجعل عيسى يطلق على الحواريين « أنصار الله »[٢] (سورة آل عمران آية ٥٢ ؛ سورة الصف ، آية ١٤) ، وكثيراً ما يردد النبى أن المؤمنين يجب أن يكونوا أنصاراً لله ، وهو يخص الأنصار والمهاجرين بأنهم السابقون إلى الإسلام وقد تبعهم باقى المؤمنين (سورة التوبة ، آية ١٠٠) . وإذا استثنينا الآية (١١٧) من سورة التوبة فإن الآية (١٠٠) منها هى الآية الوحيدة التى أطلق فيها لفظ الأنصار بصفة مباشرة على المؤمنين من أهل المدينة .

ونجح محمد فى تحبيب الإسلام إلى فريق من رجال المدينة الذين كانوا يتوجهون إلى

مكة حاجين ، وذلك فى وقت تحرج مركزه فيه من جراء الدعوة التى كان يبشر بها ، وما أن اطمأن لتأييدهم حتى هاجر إلى المدينة عام ٦٢٢م ولقى فيها هو وجماعته ما كانوا ينتظرون من عون . وكان عدد من هؤلاء يعيشون على الكفاف ، فاضطروا إلى الاستعانة فى الرزق بإخوانهم من أهل المدينة ، وآزر الأنصار النبى أيضاً فى نشر دعوته ، وكان غالب أتباعه فى أول الأمر من قبيلة الخزرج بالمدينة ، وعلى ذلك فإذا قيل الأنصار كانت هذه القبيلة هى المقصودة . أما قبيلة الأوس فقد وقفت من النبى موقفاً محايداً ، إن لم تكن قد ناصبته العداء أحياناً . ومن الأنصار جماعة فرقوا بين ما يقدمونه إلى محمد من العون بصفته نبياً وما يقدمونه إليه بصفته من رجال السياسة[٣].

كانت جماعة المؤمنين تنقسم إذن إلى مهاجرين وأنصار ، وظل هذان الفريقان منفصلين انفصالا واضحاً بالرغم من أن محمداً قد جاهد من أول الأمر فى أن يصل ما بينهما قدر طاقته ، وذلك بمؤاخاته بين أفرادهما . وكان أخص صحابة النبى دائماً من المهاجرين . وبقيت بين الأنصار بعض المنازعات القبلية التى تعود إلى الجاهلية وإن لم تبلغ قط ما كانت عليه من حدة[٤] . وسيطرت روح التضحية على الأنصار فكانوا يغيثون الفقير بالرغم مما فى ذلك من إثقال لكاهلهم . وفيما عدا ذلك نجد الأنصار قد قصروا مساعدتهم أول الأمر على الذود عن الدين ، ولم يساهموا فى الحروب التى شنت فى سبيل الدعوة إلا كارهين ، بل لم يشترك واحد منهم قط فى الحروب الأولى التى وجهت إلى مكة . وكانت قلة حماسهم فى المبادرة إلى الجهاد كثيراً ما تقلق بال النبى حتى آثر الاعتماد على عون الله ما دام عون الإنسان ليس بقريب[٥] .

وأخذ الأنصار ينصاعون للنبى شيئاً فشيئاً : كان عليهم تأييده فى دعوته وعدم مساعدة خصومه ، مثال ذلك أنهم أمروا بأن يكونوا عيوناً للنبى على الكفار من أقاربهم ، على أنهم فى الوقت نفسه احتفظوا — إلى حد ما — بحقهم فى إبداء الرأى ، وطالبوا بتوقير أشخاصهم ، وهو أمر أقرهم عليه النبى . ولم يكن هناك ما يدعو الأنصار إلى الأسف على تأييدهم للنبى إذ تحقق ما ورد فى القرآن من : أن الله ينصر من ينصره . وما أن خلص الأنصار من المحن حتى تحسنت حالهم بتدفق الغنائم على المدينة ونفاق تجارتها . ولما استولى المسلمون على مكة خشى الكثيرون من الأنصار أن ينقل النبى عاصمته إليها ولكنه بدد مخاوفهم بقوله إنه يريد أن يعيش حيث يعيشون ويموت حيث يموتون[٦] ومن الواضح انه لم يكن ليجد مؤيدين يطمئن إليهم فى أية بلدة كما وجد الأنصار فى المدينة . ومع هذا فقد قدّر لهم أن يروا أشراف مكة الذين ذهبوا فى مناوأة النبى كل مذهب ينعمون برضاه[٧] (انظر مادة « محمد ») .

وبعد أن قبض النبى كان جمهور المسلمين

ينتخبون الخليفة فى أول الأمر، ولكن لم ينل أحد من الأنصار شرف الخلافة . فلما أصبحت الخلافة وراثية فى أسرة مكية قرشية أقصى الأنصـــار عن ولايتها إلى الأبد ، وأصبحوا مضرب المثل فى التقوى وظلوا مخلصين لذكرى النبي مبرزين فى علم الحديث. وكانت هذه الفضائل هى التى رد بها الأنصار على تفاخر أهل مكة بجاههم ، وكانوا يشيدون كذلك بأنهم وحدهم الذين آووا المؤمنين فى محنتهم وبأن النبي اعترف لهم بهذا الفضل .

وكان الأنصار ، كما كان أهل قريش ، يرجعون كرم محتدهم إلى ما كان عليه أجدادهم الأشراف ، وردوا على اعتزاز القرشيين بنسبهم ، بقصة ممتعة يحتمل أن تكون قد وضعت لهذا الغرض فى ذلك العهد ، تتحدث عن تاريخهم القديم ومجدهم الغابر فى موطنهم الأصلى من جنوبى جزيرة العرب .

ويحتمل أن تكون التفرقة بين عرب الشمال وعرب الجنوب التى وضعها النسابون ترجع فى أغلبها إلى خيال الأنصـار الذى دفعتهم إليه الغيرة (Goldziher : Muhamm-edanische Sudien ، جـ ١ ، ص٩٣ ومابعدها) ومع هذا كله كان لقب الأنصـار هو أهم ما فاخروا به حتى إنهم آثروه على أسماء قبائلهم المدنية المشهورة ؟

المصـــادر

(١) A. Sprenger : Das Leben und
: Müller (٢) [redacted] Lehre des Mohammad
Der Islam im Morgen-und Abendland
(٤) Muhammed : H. Grimme (٣)
P. S. (٥) Annali dell'Islam : Caetani
Muhammed and [redacted] : Margoliouth
Mohammed : H. Reckendorf (٦) of Islam
. und die Seinen

[ركندورف Reckendorf]

تعليقات على مادة « الأنصار »

(١) ليس فى الكلمة معنى شرعى ومعنى غير شرعى ، بل هى كلمة استعملت فى معناها اللغوى على الحقيقة ، كسائر أنواع الاستعمال اللغوى ، فكل أناس نصروا شخصاً معيناً أو عقيدة خاصة — كانوا أنصاراً لمن قاموا بنصره. فالكلمة استعملت هنا فى معناها اللغوى الحقيقى ، وأطلقت على بعض أفراد مدلولها . ولذلك قال فى لسان العرب : « النصير الناصر. قال الله تعالى : نعم المولى ونعم النصير . والجمع أنصار ، مثل : شريف وأشراف . والأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ، غلبت عليهم الصفة ، فجرى مجرى الأسماء ، وصار كأنه اسم الحىّ ، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع ، فقيل أنصارى » .

(٢) هذه دعوى غريبة لا توافق أى دليل ، ولا نجد لكاتبها وجهاً يستند إليه ولا على سبيل الشبهة ، فإنه يرى بذلك الأمة

العربية ، فى أوج فصاحتها وبلاغتها بأنها لا تفرق بين كلمتين تشابهتا فى بعض الحروف، وهما كلمتان مختلفتا المعنى : إحداهما عربية خالصة ، مرجعها إلى مادة « نصر» التى اشتقت منها مشتقاتها . والأخرى نسبة شاذة على غير قياس إلى كلمة أعجمية الأصل ، هى علم جامد لا يشتق منه شىء، وهى كلمة « ناصرة» اسم قرية قيل إن المسيح عيسى عليه السلام ولد فيها أو نشأ بها، ولن يشتبه الأمر بين الكلمتين على أجهل عربى بلغة قومه، فضلا عن القرآن الكريم ، وهو معجزة العرب ، وقد جاء به سيدهم وأفصحهم وأعلمهم بالعربية ، وصدع به قوماً كان جل فخرهم بالفصاحة والبلاغة . ثم ماذا يرى الكاتب من البأس فى وصف الحواريين رضى الله عنهم بأنهم «أنصار الله» ؟! هل يرى فى هذا الوصف مذمة تعيبهم أو منقصة تلحقهم أراد أن يبرئهم منها ؟ !.

أما نحن فنصدق ما حكاه الله عن نبيه عيسى عليه السلام وعن الحواريين من أنهم كانوا أنصار الله ، نصروا نبيهم عيسى فى مواقف الشدة ضد أعدائه وأعداء دينه ، وآمنوا به وصدقوه ، ونصروا ما جاء به من توحيد الله وتنزيهه ، ومن الدعوة إلى الحق ، فكانوا بذلك أنصار الله .

(٣) ادعى الكاتب فى هذا الموضع دعاوى لا توافق شيئاً من الحقائق التاريخية الثابتة ، فإنه لم يزعم أحد قط أن لقب « الأنصار» إذا أطلق كان المقصود به الخزرج فقط ، بل الأوس والخزرج كلاهما أطلق عليهما اسم الأنصار ، وإنما رأى الكاتب كلمة فنقلها على غير وجهها ، ولعله لم يصل إلى حقيقة معناها فى اللغة العربية ، ونصها فى مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج ٣ ، ص ٤٦٠ — ٤٦٢) فى قصة بيعة العقبة الثانية من رواية ابن إسحق عن مَعْبَد بن كعب بن مالك عن أخيه عُبيد الله عن أبيهما كعب بن مالك وكان ممن شهد العقبة : إن العباس بن عبد المطلب حضر مع النبى صلى الله عليه وسلم لقاءه الخزرجَ والأوس فى موعدهم بالشعب . قال كعب : « فلما جلسنا كان العباس ابن عبد المطلب أول متكلم ، فقال : يامعشر الخزرج ، قال : وكانت العرب مما يسمون هذا الحىّ من الأنصار الخزرجَ : أوْسَهَا وخزْرَجَها » ، وهذا حديث إسناده صحيح ، ورواه ابن هشام فى السيرة من رواية ابن إسحق أيضاً (ص ٢٩٤ — ٢٩٧ طبعة أوروبا) ونقله الحافظ بن كثير فى تاريخه عن ابن إسحق (ج ٣ ، ص ١٦٠) ونقله الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد عن مسند الإمام أحمد وعن الطبرانى (ج ٦ ص ٤٢ — ٤٥) . فلم يفهم كاتب المقال وجه الكلام ، وظن أن إطلاق اسم « الخزرج » على الأوس والخزرج معناه أن « الأنصار » لقب الخزرج وحدهم ، وفاته أن الخزرج كانوا فى ذاتهم أكثرية فى المدينة ، وأن الأوس كانوا أقل منهم عدداً ، ولذلك

كان العرب يسمون الفريقين « الخزرج » كقاعدتهم فى التغليب بالكثرة أو بالشهرة أو ما إلى ذلك ، كقولهم «العمران» و«القمران» ونحوهما .

وكذلك نقل الكاتب « أن الأوس وقفت من النبى موقفاً محايداً إن لم تكن ناصبته العداء أحياناً » إلى آخر ما ألقاه هنا كأنه حقيقة تاريخية مقررة : فانه شيء لم نجد له مثيلا ولا شبيهاً مما فى أيدينا من كتب التاريخ والسير والأحاديث ، ولا نرى شبهة له فى نقله هذا . وإن الأوس كانوا والخزرج سواءً فى نصرة النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الاقامة بين أظهرهم » وكان الحاضرون من الأنصار فى بيعة العقبة الأولى ١٢ رجلا منهم رجلان من الأوس ، ثم شهد بيعة العقبة الثانية ٧٣ رجلا وامرأتان ، منهم ١١ رجلا من الأوس (انظر المصادر المتقدمة وغيرها من كتب السيرة) وشهد غزوة بدر ٣١٤ رجلا ، منهم ٨٣ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج انظر سيرة ابن هشام (ص ٤٨٥ — ٥٠٦) وتاريخ ابن كثير (ج ٣ ص ٣١٤) .

(٤) قال الله تعالى فى سورة آل عمران فى شأن الأنصار : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حُفْرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون [١٠٣] » . وقال فى سورة الأنفال : « وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين [٦٢] وألف بين قلوبهم ، لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعاً ما ألَّفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » إنه عزيز حكيم [٦٣] » . وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فكان مما قال : « يامعشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وعالة فأغناكم الله بى ؟ » فكلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنّ . ونقل ابن إسحق وغيره : أن آية آل عمران نزلت فى شأن الأوس والخزرج ، وأنهم كاد يثور بينهم القتال بدسيسة من بعض اليهود ، فأتاهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يسكنهم ويقول : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ » وتلا عليهم هذه الآية ، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم . انظر تفسير ابن كثير (ج ٢ ص ٢٠٠ — ٢٠٨) فهذا الذى يشير إليه كاتب المقال ، وهو حادث بسيط لا أثر له فى إثارة الإحن السابقة ، والأحقاد الماضية ، بعد الإخاء والصفاء ، ولكنه ابتلاء واختبار ، ثبت الله فيه قلوبهم على الإيمان والألفة والمحبة ، وكان سبباً فى نزع ما لعله بقى فى نفوس بعض الأفراد من الشحناء والبغضاء ، رضى الله عنهم .

(٥) هذا كلام ليس فيه شيء من التحقيق العلمى . ولا هو مما يوافق أدب التحدث عن الأنبياء ، فان النبى صلى الله عليه

وسلم أعلم الناس بالله ، وأرجاهم له ، وأشدهم خشيةً لله ، واعتماداً عليه ، ولا يعتمد إلاّ على الله ، ولا يرجو النصر إلاّ من عنده سبحانه وتعالى ، وليس فى شىء من الصدق أن الأنصار لم يجاهدوا إلا كارهين ، فإن كل الروايات متضافرة على خلاف هذه الدعوى الباطلة :

فروى ابن إسحق فى شأن غزوة بدر : أن النبى صلى الله عليه وسلم استشار الناس فأشار عليه كثير من المهاجرين بلقاء قريش وقتالهم ، قال ابن إسحق : « ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عَدَدُ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برءاء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا فإنك فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردتَ ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلّفَ منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا غداً ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسِرْ بنا على بركة الله » انظر سيرة ابن هشام (ص٤٣٤ — ٤٣٥) وتاريخ ابن كثير (ص ٣٦٢) وطبقات ابن سعد (ج ٢ ق١ ص٨) ومغازى الواقدى ص ٤٤ .

وروى الإمام أحمد فى المسند بإسناد صحيح عن حميد عن أنس بن مالك قال : « لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر خرج فاستشار الناس فأشار عليه أبو بكر رضى الله عنه ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر رضى الله عنه فسكت ، فقال رجل من الأنصار : إنما يريدكم ، فقالوا يارسول الله ، والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون — : ولكن والله لوضربتَ أكبادالإبل حتى تبلغ برك الغماد لكنامعك» المسند رقم (١٢٠٤٧ ج ٣ ص ١٠٥) ورواه أيضا بإسناد آخر صحيح عن حميد عن أنس (رقم ١٢٩٨٦ ج ٣ ص ١٨٨) ورواه أيضا بإسناد صحيح عن ثابت عن أنس (رقم ١٣٣٣٠ و ١٣٧٢٩ ج ٣ ص ٢٢٠ و ٢٥٧ — ٢٥٨) .

وكان أنس بن النضر بن ضمضم ، عم أنس بن مالك : لم يشهد مع النبى صلى الله

عليه وسلم يوم بدر . قال أنس بن مالك : « فشق عليــه وقال : فى أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبتُ عنه ؟! لئن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَرَيَنّ الله ما أصنع ، قال: فهاب أن يقول غيرها ، قال: فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، فاستقبل سعدَ بنَ معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو ، أينَ ؟ واهاً لريح الجنة ، أجِدُهُ دون أحد . قال : فقاتلهم حتى قتل . فوجد فى جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . فقالت أخته عمتى الرُّبَيِّعُ بنتُ النضر : فما عرفتُ أخى إلا ببنانه » ونزلت هذه الآية : رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليــه فمنهم من قضَى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه ، رواه الإمام أحمد فى المسند رقم ١٣٠٤٧ و ١٣١١٧ و ١٣٦٩٣ ج ٣ ص ١٩٤ و ٢٠١ و ٢٥٣) ورواه البخارى (ج ٦ ص ١٦ — ١٧ فتح البارى) .

فهذه الأحاديث الصحيحة ، وهى من رواية أنس بن مالك ، وهو أنصارى — صريحة فى أن قومه لم ينكصوا عن الجهاد ، ولم يترددوا فى بذل أنفسهم وأموالهم فى سبيل الدعوة إلى الله ، وإلى الدين الحق الذى آمنوا به ، وعاهدوا نبيهم على السمع والطاعة والنصر والتأييد . وحسبنا هذا لتدل على بطلان ما ادعاه كاتب هذا المقال .

(٦) روى مسلم فى صحيحه (ج ٢ ص ٦٣) عن أبى هريرة فى شأن غزوة الفتح قال فى حديث : « فقالت الأنصار بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته . قال أبو هريرة : وجاء الوحى ، وكان إذا جاء لا يخفى علينا ، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقضى الوحى . فلما انقضى الوحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر الأنصار ، قالوا لبيك يارسول الله . قال : قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ؟ قالوا: قد كان ذلك . قال: كلا ، إنى عبد الله ورسوله ، هاجرتُ إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم والممات مماتكم . فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضَّنَّ بالله وبرسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » وانظر سيرة ابن هشام (ص ٨٢٤) والسيرة الحلبية (ج ٣ ص ١٢٨ طبعة بلاق) والمواهب اللدنية (ج ١ ص ١٥٧ طبعة الشرفيــة) وشرح المواهب للزرقانى (ج ٢ ص ٢٩٧ طبعة بلاق) .

(٧) هذا غير صحيح ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم عفا عن مناوئيه من قريش كرماً منه وفضلا ، وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وهم قومه وعشيرته ، ومع ذلك فإنه عاد إلى دار هجرته مع أنصاره وفاء بوعده

لهم ، واتباعا لأمر ربه فى إمضاء هجرته .
ولعل الكاتب يشير إلى قسمة غنائم حنين ، إذ أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم لقريش ولم يعط الأنصار شيئا ، فقال ناس من الأنصار « يغفر الله لرسول الله ، يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ » فبلغ ذلك رسول الله فأرسل إلى الأنصار ولم يَدْعُ معهم غيرهم ، وسألهم فقال : « ماحديث بلغنى عنكم ؟ فقال فقهاء الأنصار « أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئا ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : «يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإنى لأعطى رجالا حديثى عهد بكفرٍ أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبى إلى رحالكم؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا : « يارسول الله ، قد رضينا » . رواه البخارى.
وفى رواية أخرى عند البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة ، وإنى أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ قالوا بلى ، قال : لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » . وانظر تاريخ ابن كثير (ج ٤ ص ٣٥٦—٣٥٧) فهذا التألف لقلوب المؤلفة قلوبهم لا يعطى المعنى الذى أراد أن يرمى إليه الكاتب . بل هو سياسة عليا ، وخلق كريم .

أحمد محمد شاكر

« أنصارى » (أبو إسماعيل عبد الله بن أبى منصور محمد) من أقدم متصوفة الفرس وأشهرهم ، ولقبه المشهور « پير أنصار » أو « پيرى هرى » (نسبة إلى هراة مسقط رأسه) . ويدل نسبه على أن له شرف الانتساب إلى العرب ، ويقال إنه من سلالة ذلك الرجل المعروف أبى أيوب الأنصارى . ولد عام ٣٩٦ هـ (١٠٠٦ م) ، وتوفى عام ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) . وألف كتباً كثيرة باللغتين العربية والفارسية أحصى أسماءها إتيه وزهوكوفسكى Ethé و Zhukowski (انظر المراجع) ومن أشهرها « كتاب المناجاة » الذى أعيد طبعه مراراً (طهران ١٢٩٩ هـ ، ١٣٠٤ هـ ، الهند ١٢٨٦ هـ ، ١٢٩٧ هـ) .

المصـــــادر

(١) السيوطى : طبقات المفسرين ، طبعة مورمنج ، ص١٥ (٢) الذهبى : طبقات الحفاظ طبعة فستنفلد ، ص ٢٤ (٤) جامى : نفحات الأنس ، طبعة كلكتة ، ص ٢١٢ (٥) Ethé فى *Grundriss der iran. Philol* ج ٢ ، ص٢٨٢ (٦) Zhukowski فى *Wostocniya Zamietki* ص ٧٩ وما بعدها .

« الأنطاكى » (داود بن عمر الضرير)
طبيب عربى ولد فى أنطاكية ، وهو ابن رئيس قرية سيدى حبيب النجار . ومع أنه كان ضريرا فقد قام بأسفار طويلة ، منها سفرة إلى آسية الصغرى ، وفيها تعلم اللسان اليونانى ليستطيع أن يقرأ مصادر العلم الذى عنى به فى لغتها الأصلية . ثم ذهب بعد ذلك إلى دمشق والقاهرة ، وتوفى فى مكة عام ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) بعد أن أقام بها أقل من عام .

وأشهر كتبه مختصر جامع لكل فنون الطب هو « تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » (طبعة القاهرة ، ١٣٠٨ — ١٣٠٩ هـ = ١٣٢٤ م) وله ذيل بقلم أحد تلاميذه ، وعلى هامشه رسالة فى معالجة الأمراض عنوانها « النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة » (انظر لكلرك Leclerc فى كتابه *Notices et Extraits* جـ ٢٣ ص ١٣) .

ونظراً لأن فن العشق كان يعتبر فى ذلك الزمان من لواحق علم الطب ، فقد كتب الضرير تلخيصاً لكتاب محمد السراج (المتوفى عام ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) فى العشق أسماه « تزيين الأسواق بتفصيل (ترتيب) أشواق العشاق » (طبعة بلاق ١٢٨١ ، ١٢٩١ هـ ، القاهرة ١٢٧٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٨ هـ انظر) Kosegarten : *Chrestom. arab.* ص ٢٢ ، A. V. Kremer : *Ideen* ص ٤٠٨ ، Goldziher فى *Sitzungsber. d.* [illegible] *Akademie. Phil. hist. classe.* جـ ٧٨ ص ٥١٣ وما بعدها .

وإلى جانب رسائل مختصرة قليلة فى الطب كتب أيضاً رسالة فى حجر الفلاسفة اسمها « رسالة فى الطائر والعقاب » (de Slane : *Cat. de* [illegible] *de* [illegible] *Bibl. Nationale* رقم ٢٦٢٥ ، ص ٨) . ورسالة فى إدخال أحكام النجوم فى علم الطب اسمها « أنموذجى فى علم الفلك » (نفس المصدر رقم ٢٣٥٧ ، ص ٢) .

المصادر

(١) المحبى : خلاصة الأثر ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ — ١٤٩ (٢) Leclerc : *Histoire de la medicine arabe* ، جـ ٢ ، ص ٣٠٤ (٣) Wustenfeld : *Geschichte der arab. Aerzte und Naturforscher* رقم ٢٧٥ (٤) Brockelmann : *Gesch. d. arab. Litter.* جـ ٢ ، ص ٣٦٤ .

[بروكلمان Brockelmann]

« الأنطاكى » (يحيى بن سعد)
مؤلف عربى أكمل تاريخ يوتيخيوس[١] Euychius (انظر هذه المادة) وقد أتم الكتاب الذى يتناول ما بين عامى ٣٢٦ ، ٤١٧ هـ (٩٣٨ — ١٠٢٦ م) فى أنطاكية بعد ذهابه إليها عام ٤٠٥ هـ (١٠١٤ — ١٠١٥ م) وربما كان قد ولد بمصر ومضى فيها الأربعين الأولى من حياته . وتوفى عام ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) .

(١) هو سعيد بن البطريق ولد فى الفسطاط عام ٢٦٣ للهجرة
اللجنة

المصـادر

(١) V.von Rosen : *ImperatorWaslü*
Bolgaroboitza etc(طبعة سان بطرسبرج ص
١٨٨٣) (٢) Brockelmann : *Gesch. d.*
arab-Litter ، جـ١ ، ص١٤٨ ؛ (٣) Wasilew:
Wizantiya i Arabi جـ ٢ ص ٥٨ وما بعدها

« أنطاكية » (المسماة أنطيوخيـــا

عند القدماء Antiochia) مدينة فى شمالى سورية وسط سهل خصب جميل فى الحوض الأدنى لنهر العاصى (Orontes) على مقربة من مصبه [ما يقرب من أربعة عشر ميلا) على خط عرض ١٠َ ٣٦° شمالا وخط طول ٦َ ٣٦° شرقا .

والذى بنى أنطاكية هوسلوقوس الأول Sleucus 1 سنة ٣٠٠ق . م مكان مستعمرتين قديمتين لليونان . ولما كانت مقرا الحكام يحبون الفن ومركزا هاما للتجارة أصبحت حاضرة لسورية ، وصارت تعد بعد ذلك أكبر مدن الإمبراطورية الرومانية بأسرها وأكثرها سكانا بعد رومية والأسكندرية ، كما كانت تعد حاضرة الولايات الأسيوية قاطبة . ويبدأ انحطاطها المتوالى منـــذ قيام إمبراطورية الساسانيين التى قضت على نفوذ أنطاكية السياسى والاقتصادى فى بلاد الفرات والدجلة شيئا فشيئا ، ثم أعقب ذلك انفصال الكنيسة النسطورية الفارسية عن الكنيسة الغربية انفصالا تاما عام ٤٩٩ م . وكان من أثر ذلك فقدان أنطاكية لسيادتها على المسيحيين فى بلاد العراق .

وكانت سياسة ملوك الفرس دائبة على إضعاف الإمبراطورية الرومانية فى آسية . ومنذ عام ٢٦٠ م حاصر سابور الأول أنطاكية واستولى عليها ونقل عددا كبيرا من أهلها إلى جنديسابور (انظر الطبرى جـ ١ ، ص ٨٢٧) .

ثم إن أنطاكية كانت فى القرن السادس الهدف الأكبر الذى صوبت إليه حملات الفرس ، فاستولى عليها كسرى أنوشروان ودمرها عام ٥٣٨ هـ ، ونقل عددا كبيرا من أهلها إلى مدينة طيسفون Ktesiphon القريبة من أنطاكية ، وأقام لهم مدينة خاصة على نسق مدينتهم الأصلية تماما وسميت الرومية (انظر Noeldeke : *Gesch. d. Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden* ، طبعة ليدن ١٨٧٩ ، ص ١٦٥ ، ٢٣٩ وانظر Streck *Babylonien nach den arab. Geographen* ١٩٠١ ص ٢٦٦ وما بعدها) .

وفوق ما أصاب أنطاكية من تخريب ملوك الفرس لها مرتين فقد عجل فى دمارها الزلازل المروعة التى تتابعت عليها بكثرة غير مألوفة . ويذكر فى القرون الخمس الأولى

من الميلاد ما لا يقل عن عشرة زلازل ، ذهب ضحية أحدها (عام ٥٢٦ م) مائتان وخمسون ألفا من الأنفس . على أن الإمبراطور يوستنيانوس أعاد بناء هذه المدينة على الأنقاض التى بقيت منها بعد تخريب كسرى لها ، ولكنها كانت أصغر بكثير من ذى قبل . ثم احتلها العرب عام ١٧ هـ (٦٣٨ م) (انظر البلاذرى : طبعة ده غوى ص ١٣٢ ؛ Weil, Gesch. d. Chalifen,:Weil ج ١ ، ص ٧٩ وما بعدها و Der : Muller ، Islam im Morgen-und Abednland ، ج ١ ، ص ٢٥٩ وما بعدها) .

وظلت هذه المدينة فى قبضتهم بالرغم مما أصاب أهلها من هزيمة منكرة على يد البوزنطيين عام ٦٩ هـ (٦٨٨ م) (انظر Weil نفس المصدر ص ٤٧٠) . ولم تنتزع من بنى حمدان إلا فى آخر عام ٣٥٥ هـ = ٩٦٦ م كما يقول كدرينوس (Cedrenus) أو فى عام ٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م كما يقول مؤرخو العرب ، انتزعها من قبضتهم قائد مقدام من قواد الإمبراطور اليونانى نقفور فوكاس Nikephoros Phokas هو برتز Burtzes وأعانه على ذلك خائن من العرب ، بعد أن فشلت الحملة الأولى التى كان يقودها ذلك الإمبراطور نفسه للاستيلاء على المدينة فى ربيع عام ٣٥٥ هـ = ٩٦٦ م (انظر مقال الأستاذ Freytag فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch., عدد ١١ ، ص ٢١٣ ، ٢٢٠ ؛ Weil : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٨ ؛ A. Muller : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٧٤) .

وظلت أنطاكية أكثر من قرن أقوى معقل للإمبراطورية البوزنطية أمام المسلمين ، ولكنها منذ سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م) أخذت تدفع الجزية إلى مسلم العقيلى أمير الموصل . وفى عام ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) وقعت نهائيا تحت سلطان المسلمين إذ فتحت أبوابها أمام سليمان الأول السلجوقى صاحب قونية Iconium بخيانة من حاكمها اليونانى . ثم إن مسلما العقيلى حارب السلطان سليمان لاستيلائه على أنطاكية فقتل مسلم عام ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) فى وقعة قرب أنطاكية .

وفى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) مات سليمان فاستعان الوالى الذى كان معينا من قبل مسلم بملكشاه فأصلح الأمر بتعيين ياغى بصان[1] أميرا لأنطاكية . وكان هذا الأمير يتولى حكم أنطاكية عندما ظهرت جيوش الصليبيين أمام أسوارها فى (٤٩٠ هـ) ٢١ أكتوبر سنة ١٠٩٧ .

وكان من أشق الأعباء على المسيحيين أن يحاصروا هذه المدينة التى يحميها موقعها الجغرافى كما تحميها معاقل قوية واسعة ، ثم أفلحوا بعد أربعة أشهر فى تطويقها تطويقا تاما ، ولكن لم يتيسر فتحها هذه المرة أيضا

(١) ورد فى ابن الأثير «باغيسيان» انظر حوادث سنة ٤٩١ .

إلا من طريق الخيانة كما حدث ذلك مرتين من قبل. وفى ٢ يونيه ١٠٩٨ استولى الصليبيون على أنطاكية بعد مذبحة مروعة. وبعد ثلاثة أيام ظهر جيش إسلامى عظيم على رأسه كربوقا أمير الموصل لاستخلاص المدينة من أيديهم فأحاط هذا الجيش بالصليبيين كما أحاطوا هم بأنطاكية من قبل، وصاروا فى موقف حرج ولكنهم اشتد حماسهم عند ما زعموا أنهم اكتشفوا حربة مدفونة قيل إنها حربة المسيح، فاستطاعوا التخلص من هذا المأزق فى ٢٨ يونيه بأن أقدموا على الخروج فى شجاعة أعقبها انتصار تام على جنود كربوقا التى تزيد عليهم كثيرا فى العدد.

وظلت أنطاكية مائة وسبعين عاما فى قبضة المسيحيين وصارت عاصمة لولاية تابعة لبيت المقدس تشمل الإقليم الجانبي من شمالى سوريا من نهر جيحان Pyramus فى الشمال إلى النهر الكبير (قرب اللاذقية) فى الجنوب وكذلك سهل العمق المنخفض (انظر هذه المادة) ووادى نهر العاصى إلى شيزر (Larissa شمالى غربى حماة). وفى هذه المدة حل فى أنطاكية بعض الرخاء فشيدت فيها أبنية جديدة، وزاد عدد سكانها وانتعشت تجارتها فأتت لها بشىء من الرغد.

ولكن السلطان بيبرس أحد مماليك مصر أعد عدته وقضى على السيادة المسيحية فى شمالى الشام قضاء سريعا، وبعد أن خرّب أطراف ولاية أنطاكية بهجماته المتكررة عام ٦٦٠ هـ (١٢٦٢م) وطد العزم على أن يقوم بعمل حاسم عام ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) فأغار على المدينة بغتة ودهم فرسانها الذين حاولوا أن يصدوه فى العراء، وبعد أن فشلت المفاوضات التى طلب فيها خضوع المدينة له كر عليها فى ١٩ مايو فسقطت فى يده من غير قتال. ويقال إنه قتل فى فتح المدينة ستة عشر ألفا أو سبعة عشر ألفا من المسيحيين وإن مائة ألف أخذوا أسرى، وأحرقت المدينة وقلعتها، وغنم بيبرس من الغنائم مالا يحصى ولم تقم لأنطاكية بعد هذه النكبة قائمة ولم تستعد مكانتها القديمة طول أيام السيادة الإسلامية التى خضعت لها منذ ذلك الحين.

ومدينة أنطاكية حسنة الموقع وافرة الماء، فهى فى وادى نهر العاصى الذى يبلغ عرضه فى هذا المكان ٣٨ مترا. وكان لها من خصوبة أرضها واعتدال جوها ما جعلها من أجمل بلاد الشرق ويعدها الشرقيون أجمل بلاد الشام بعد دمشق. والأمطار الغزيرة التى لا يقف هطلها فى أنطاكية والتى لقبت هذه المدينة من أجلها «بالشخاخة»، تنبت فيها أمرع النباتات.

وأنطاكية الحديثة وسط سهل على الشاطىء الجنوبى لنهر العاصى وتمتد إلى سفح جبل حبيب النجار «Silpius» على ارتفاع ١٥٢٥ قدما عن سطح البحر. وهو جزء من سلسلة جبال كازيوس Casius. ويكتنف أنطاكية من الشرق حدائق غناء ووقوع الأراضى

الخصبة البهيجة جوار الجبال العارية يكسب المنظر جمالا رائعا . وكانت منحدرات جبل حبيب النجار عامرة بالمنازل فى الزمن الغابر . أما أنطاكية الحديثة فتكاد لا تشغل عشر المكان الذى كانت تشغله قبل عصر يوستينيانوس . ونستطيع أن نتبين بوضوح مقدار امتدادها فى ذلك العصر من بقايا الأسوار القديمة التى لم يصبها تدمير كبير عندما فتح المدينة كسرى والتى يمكن الاهتداء إلى آثارها فى جميع الجهات . والمدينة التى بناها يوستينيانوس تشغل بقعة صغيرة داخل هذه الأسوار .

وأجمل الآثار القديمة فى أنطاكية هى نطاق القلاع العظيمة التى لا تزال أجزاء عظيمة منها باقية على الزمان ، وهى تشبه محيطا واسع المدى والمدينة الحديثة فى الشمال الغربى منه . والأسوار الهائلة المحصنة الممتدة فوق الجبال والقلاع الكبيرة التى كانت تعتبر عند أهل الفن الحربى فى العصور الوسطى حصونا منيعة لا يستطيع العدو أن يجتازها — كل هذه لا تزال تبعث الإعجاب فى نفس من يراها . ويربو طول الأسوار على الستة عشر ميلا ، وتعلوها أبراج للدفاع يبعد الواحد منها عن الآخر سبعين أو ثمانين خطوة . ويقال إن عددها كان يبلغ الستين والثلثمائة . وقد تسرب البلى إلى هذه الأسوار منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، إذ أبيح لأهل أنطاكية أن يأخذوا منها ما يعيدون به بناء ديارهم التى هدمها زلزال عام ١٨٧٢ . أما القلعة التى أقامها الإمبراطور نقفور فوكاس فقد ظلت أنقاضا منذ أن خربها الظاهر بيبرس . وهناك قبر الحوارى حبيب النجار الذى مات شهيدا (Agabos ؛ Act. Apost., ج ١٠ ، ص ٢٨) ويقال إنه أول من آمن بالمسيح فى أنطاكية . والمسلمون يقدسون هذا الضريح ويزورونه . ويسمى جبل سلبيوس اليوم جبل حبيب النجار نسبة إليه . ويوجد على منحدراته أهم الآثار القديمة ومن أشهرها بنوع خاص أطلال هائلة لقناطر معلقة ، لا تزال بعض ابوابها القديمة باقية على شىء من جمالها الغابر .

وليس فى المدينة الجديدة أبنية هامة . ومساجدها الأربعة عشر قليلة الشأن ، ويبدو على المنازل أثر الفقر الشديد ، وترى فى كل مكان الأنقاض والخرائب تشهد على أثر الزلازل فى المدينة ، والتلال التى تقوم عليها المدينة عبارة عن أطلال تراكمت فى عصر سابق .

وكانت أنطاكية القديمة أكبر مركز للتجارة بين الشرق والغرب لوقوعها عند ملتقى الطرق الموصلة بين نهر الفرات وبين البحر بالطرق التى تؤدى من الشام إلى آسية الصغرى ، أما اليوم فالتجارة والصناعة فى حالة انحطاط شديد ، والأسواق قليلة الخطر لا يقصدها إلا القليلون . وأكبر الصناعات المحلية صناعة الصابون ، وأنطاكية أشهر مدن الشام بهذه الصناعة بعد مدينة إدليب جنوبى شرقى حلب . ومن الصناعات الأخرى التى يشتغل بها

السكان صناعة الحرير وزراعة القمح والزيتون. وتصاد ثعابين الماء من نهر العاصى بكميات وافرة. وتسمية المدينة باسم أنطاكية ومعناه غطاء أو بساط يدل على أهميتها منذ القدم كمركز لصناعة النسيج (انظر Fraenkel : *Die aram. Fremdwort im Arab.*، ١٨٨٦ ص ٤٤ ومعلقة زهير ٨، ٩).

وفى العصور القديمة كانت سيلوكيا بيريه (المسماة سلوقية عند العرب) ثغراً لأنطاكية ثم حلت محلها فى العصور الوسطى مدينة السويدية. وهى فى جنوبها على مصب نهر العاصى. وهذان الثغران هما اليوم فى حالة من الانحطاط الشديد. وأنطاكية الحديثة يعوزها ميناء حصين. وليس هذا فحسب، بل إن الجزء الأعلى من النهر حتى المدينة غير صالح للملاحة. ويجب أن نعتبر أن من أكبر الأسباب التى حالت دون أن تستعيد أنطاكية رخاءها الغابر الذى فقدته منذ أن استولى عليها بيبرس تلك الكراهية الشديدة التى كانت تفيض بها قلوب المسلمين المتعصبين نحو أنطاكية التى تعتبر العاصمة القديمة للمسيحية فى الشرق، وكانت الزلازل الشديدة المتعاقبة عقبة أخرى فى سبيل التقدم الاقتصادى (انظر إحصاءها فى Ritter : *Erdkunde* جـ ١٧ ص ١١٥٥ وما بعدها). وأهمها فى العصور الحديثة الزلزالان اللذان حدثا عام ١٨٢٢ و ١٨٧٢. ومنذ أن أفل نجم أنطاكية تحولت التجارة والصناعة عنها شيئاً فشيئاً إلى حلب. ونقص عدد سكان المدينة الآن نقصاً كبيراً بعد أن كان عددهم عظيماً جداً فى العصور القديمة والوسطى. على أنه يمكن أن نلاحظ ازدياداً بطيئاً فى السكان فى عشرات السنين الأخيرة. فى سنة ١٨٥٣ أحصى هـ. بيترمان H. Petermann سكان أنطاكية بما يقدر بعشرة آلاف ثلثهم من اليهود والمسيحيين ومعظمهم من اليونان والأرمن، ثم قدروا فى عام ١٨٤٨ بسبعة عشر ألفاً منهم ألف وخمسمائة مسيحيون، ثم قدرهم بعض الباحثين بعد ذلك بستة آلاف فقط. وقدر سخاو Sachau أن مدينة أنطاكية فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة منزل أى حوالى ١٧٥٠٠ من السكان منهم ٢٥٠٠ مسيحى و ٢٥٠ يهودى، وقدر كوينيه Cuinet سنة ١٨٩٠ عدد السكان بـ ٢٥٠٠٠، وبيديكر Badeker (طبعة ١٩٠٠) يذكر أنهم يبلغون ٢٨٠٠٠، منهم ٤٠٠٠ مسيحى وقليل من اليهود.

وكانت أنطاكية فى القرون الوسطى الإسلامية عاصمة إقليم العواصم (انظر هذه المادة) أى الحدود الحربية التى أقيمت ضد بوزنطة على حدود الشام وآسية الصغرى. أما اليوم فأنطاكية تتبع ولاية حلب ويلى أمرها قائم مقام مركزه فيها. وليست أنطاكية اليوم مقراً لأى من البطركيات الخمس الموجودة الآن والخاصة بمختلف الفرق المسيحية (انظر Neher : *Kaulen's Kirchenlexikon*، طبعة فريبورج ١٨٨٢ وما بعدها، جـ ١، ص ٩٤٨ وما بعدها).

المصادر

(ا) المصادر الجغرافية :

(١) جمع ج . سترانج G. L. Strange ما كتبه جغرافيو العرب عن أنطاكية وتناوله بالدرس فى كتابه الذى سماه «فلسطين تحت حكم المسلمين» *Palestine under the Moslems*، وطبعه فى لندره عام ١٨٩٠ (ص ٣٦ ، ٦١ ، ٧١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٧).

(٢) وكتب يحيى بن سعيد الأنطاكى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩م) عن بلده أنطاكية معلومات قيمة ضمنها كتابه «تأريخ الذيل» (انظر ما كتبه عنه بروكلمان Brockelmann فى *Gesch. der arab. Litter.*، جـ ١، ص ١٤٨). وقد ترجم فون كريمر A. V. Kremer بعض هذه المعلومات فى *Denkschriften der Wiener Akad. der Wissensch.*، عام ١٨٥٢، جـ ٣، القسم الثانى، ص ٢٤ وما بعدها، وضم كريمر إليها فقرات مما كتبه غير الأنطاكى من مؤلفى العرب عن أنطاكية

(٣) وما كتبه المسعودى عن أنطاكية فى سنة ٣٣٢ هـ = ٩٤٣ م، وبخاصة عن تاريخ المدينة القديم: مثل تخطيطها وأسوارها وكنيستها الخ، له قيمة خاصة لأنه يروى ما شاهده بنفسه. انظر مروج الذهب، طبعة باريس، جـ ٢، ص ٢٢٦ وما بعدها وص ٢٨٢ وما بعدها؛ جـ ٣، ص ٤٠٦ — ٤١٠؛ جـ ٤، ص ٥٥، ٩١؛ جـ ٨، ص ٦٨ — ٧٠.

(٤) وقد ترجم جويدى I. Guidi ما رواه عربى مجهول من أنطاكية ونشره فى *Rendiconti della reale accad. dei Lincei*، المجموعة الرابعة، جـ ٧، رومة ١٨٩٧. ويظهر أن هذا العربى استقى معلوماته عن أصل سريانى (انظر Förster: *Jahrbuch des deutsch. archaeol. Instituts*، المجلد الثانى عشر، جـ ٣) لا يمكن أن يكون كتب قبل عهد نقفور Nicéphore Phocas أى قبل سنة ٩٦٨ م.

(٥) وقد صحح مرجليوث D.S. Margoliouth طبعة جويدى تصحيحات هامة معتمدا فى ذلك على مخطوط فى مكتبة بودليانا *Bodliena*، ونشر بحثه فى *Journ. of the Roy. Asiatic Society* ١٨٩٨، ص ١٥٧ — ١٥٩.

(٦) وتجد هذه الرواية أيضا فى كتاب حاج خليفة المسمى «جهانتما»، طبعة الأستانة، ١١٤٥ هـ = ١٧٣٢ م، ص ٥٩٥ وما بعدها.

(٧) وقد وصف أبو الحسن المختار بن بطلان المتوفى عام ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م ما رآه فى أنطاكية وحلب، وكتب رسالة عن ذلك اعتمد عليها ياقوت كثيرا فيما كتبه عن أنطاكية (انظر معجم البلدان، طبعة فستنفلد Wüstenfeld، جـ ٢ ص ٣٨٢ وما بعدها. وانظر ما كتبه عن ابن بطلان ج سترانج G. L. Strange فى المصدر المذكور آنفا، وبروكلمان Brockelmann، فى كتابه المذكور، جـ ١، ص ٤٨٣ وكذلك هير Heer فى *Die hist. und geogr. Quellen in Yakut's geogr. Wörterb.*، ١٨٩٨، ص ٢٢.

(ب) المصادر التاريخية :

(١) إذا أردت الوقوف على تاريخ أنطاكية أيام الصليبيين فانظر F. Wilken : *Gesch.*

der Kreuzzüge ، ليبسك ، ١٨٠٧ — ١٨٣٢ ،
ج ١ ، ص ١٧٣ — ٢٦٣ ، ج ٢ ، ص ٥٢ ،
٣٠٠ ، ٣٤٩ ، ٣٨٠ ، ج ٣ ، ص ١١ ، ١٤٣ ،
ج ٧ ، ص ٥٢٣ وما بعدها (٢) B. Kugler:
Gesch. der Kreuzzüge ، برلين ، ١٨٨٠ ،
ص ٤٤ — ٥٦ ، ٨٩ — ٩٥ ، ١١٦ ، ٢١٨ ،
٣٨٠ — ٣٩٠ (٣) R. Röhricht : Gesch.
des Königreiches Jerusalem (١١٠٠ —
١٢٩١) انسبروك ١٨٩٨ (٤) R.Röhricht:
Gesch. des ersten Kreuzzuges ، انسبروك
١٩٠١ ، ص ١٠٨ — ١٥٢ (٥) Weil :
Gesch. der Chalifen ، ج ٣ (١٨٥١) ، ص
١٦٣ — ١٦٩ ، حوادث سنة ١٠٩٧ — ١٠٩٨

(ح) كتب الرحالة :

(١) انظر R.Pococke : A description
of the East ، سافر Pococke إلى الشرق عام
١٧٣٧ وهو أول من أورد بيانات طوبوغرافية
صحيحة عن أنطاكيـــة (٢) C. Niebuhr
Reisebeschreib nach Arabien (١٧٧٤
وما بعدها) ج ٣ ، ص ١٥ — ١٨ ، وقد صحح
خريطة أنطاكية التي وضعها بوكوك (٣)
J. Russegger : Reisen in Europa, Asien
und Africa ، ١٨٤٧ ، ج ١ ، ص ٣٦٣ — ٣٧٣
(٤) Chesney . The expedition for the
survey to the rivers Euphrates and Tigris
لندرة ١٨٥٠ ، ج ١ ، ص ٤٢٥ وما بعدها (٥)
Sandreczki : Reise nach Mosul
Urmia Kurdistan ، شتجارت
١٨٥٧ ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ وما بعدها (٦)
Petermann : Reisen im Orient ، ليبسك ،
١٨٦١ ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ وما بعدها (٧)
E. Sachau : Reise in Syrien und
Mesopotamien . ليبسك ، ١٨٨٣ ، ص ٤٦٢
وما بعدها .

(ى) ونذكر من بين المصنفات العامة التي تحدثت عن أنطاكية مايلي :

(١) Gottfr. Müller : Antiquitates
Antiochenae ، جوتنجن ، ١٨٣٩ (٢)
K. Ritter : Erdkunde ، ج١٧ ، ص ١١٤٧
١٢١٠ (٣) E.Reclus : Nouvelle Géogr
universelle ، ج ٩ ، ص ٧٦٦ ومابعدها (٤)
Streber : Kirchen lexicon de Kaulen ،
فريبورج سنة ١٨٨٢ وما بعدها ، ج ١ ، ص
٩٤١ — ٩٤٥ (٥) V.Cuinet : La Turquie
d' Asie ، باريس ١٨٩٠ وما بعدها ، ج ٢ ،
ص ١٩٣ — ١٩٧ (٦) J. Benzinger في
Pauly - Wissowa : Realencyklop der
Klass. Altertumswiss ، ج ١ ، ص ٢٤٤٢ —
٢٤٤٥ (٧) R. Forster : Antiochia am
Orontes في Jahrb. des deutsch. archeol
Instituts ، ١٢ ، عام ١٨٩٧ ، ١٠٣ — ١٤٩
(٨) S. Krauss : Antioche في Revue des
Etudes Juives ، ١٩٠٢ ، رقم ٨٩ ، وتجد في
هذا المقال جميع ما قيل عن تأسيس أنطاكية في
المصادر اليهودية ، وتاريخها حتى عام ٧٠ م وسكانها
من المسيحيين ، وأنطاكيـة في العهدين البوزنطي
والعربي (٩) Badeker : Calaestina und

Syrien، الطبعة الخامسة، ١٩٠٠، ص٤٢٧ — ٤٣٣.

[ستركَ Streck]

« أنطالية » (أضاليـــا) (ستاليا بالإنجليزية وأطاليا عند الأقدمين) : عاصمة سنجق فى ولاية قونية، وهى إحدى موانى البحر الأبيض المتوسط على خليج يسمى باسمها، تقوم على صخرة منحدرة ترتفع عن سطح البحر بخمسين مترا، وشكل تلك المدينة شبيه بحدوة الفرس، ويحيط بها أسوار ثلاثة بعضها وراء بعض، وتغمر قواعدها مياه دودن Duden ويرجع أصل هذا السور إلى العهد الرومانى وقد زاد فى بنائه أهل جنوه الذين نحتوا عليه نقوشاً ورسوماً لتروس الحكام الإيطاليين . وقد أعاد بناء السور منذ قرن تكة أوغلى أخداد Dere beyi الذى جاهر بشق عصا الطاعة على السلطان سليم الثالث .

ويبلغ سكان أنطالية ٢٥٠٠٠ نسمة منهم ١٥٦٦٤ من المسلمين و ٨٩٦٧ من اليونان الأورثوذوكس وبها اثنان وستون مسجداً منها ثلاثة مساجد أثرية، واثنتا عشرة كنيسة للأرثوذوكس، وفيها مكتبة ولها ميناء حصين تغمره الرمال .

وسنجق أنطالية يشبه ولاية التكة القديمة ويشمل خمسة قضاءات، وتسع نواح وخمسمائة وتســـعة وأربعين قرية، وبه ٢٢٤٠٠٠ من السكان بينهم ١٩٦٨٨٧ من المسلمين و ٢٧٠٠٠ من اليونان الأورثوذوكس وفيها ١٥٠٠٠ من اليروك (الرحل) ومن القزلباش الذين يمارسون مهنة قطع الخشب (تختجية) .

وتكثر فى أنطاليا الغابات الواسعة وفيها عروق من معدن الكروم والمنجنيز لم تستغل بعد، وتصنع بها الأنسجة القطنية (ألاجة) وكان بها أيام حكم السلاجقة مصنع تصنع فيه الأسلحة البحرية . وكانوا يفضلون سكناها فى الشتاء .

المصـــــادر

(١) V. Cuinet : *La Turque* d'*Asie* ، ١، ص٨٥٣ وما بعدها
(٢) Ch. Texier : *Asie Mineure* ، ص ٧٠٥ — ٧٠٦
(٣) Cl. Huart : *Epigraphie arabe* d'*Asie mineure. extr. of the Revue Sémitique, 1905*
(٤) E. Reclus : *Nouv. géogr. univ.* ، ٩، ص ٦٥٠
(٥) Spratt and Forbes : *Travels in Lycia* ، ج١، ص ٢١١
(٦) F. Rougon : *Smyrne* ص ٤٨٣ .

[ك . هيوار Cl. Huart]

« أنطرطوس » : (انظر طرطوس)

« أنعام » : جمع نَعَم ، وهو اسم السورة الخامسة فى القرآن وهى سورة الانعام .

« أنف » أى الأنف اسم نجم، هو ثانى أو ثالث النجوم فى الحجم فى الكوكبة التى يعرفها العرب باسم الفرس الأعظم Pegasus ويسميه القزوينى ألـُـغ بك فم الفرس ويسميه الأخير أيضا، جحفلة الفرس، وليس له عند البتانى اسم خاص بل يسميه «النجم الذى فى فه (الفرس)» ، ويحتمل أن يكون اسم إنف قد دخل فى التراجم اللاتينية فى العصور الوسطى عن طريق منجمى العرب فى المغرب ؟

المصادر

(١) البتانى : *Opus astronomi* طبعة نلليو، ج ٢، ص ١٥٤ و ج ٣، ص ٢٥٤
(٢) القزوينى : *Cosmographie* ، طبعة فستنفلد ج ١ ، ص ٣٤ — ٣٥ (٣) L. Ideler : *Untersuchungen uber den Ursprung u. die Bedeu tung der Sternnamen* ، طبعة برلين ١٨٠٩ ، ص ١١٧ .

« أنفال » : جمع نفل وهو الغنيمة والأنفال هى السورة الثامنة من سور القرآن؟

« أنقره » : أنكير عند القدماء ، وأنقرة عند العرب ويسميها الترك أنقره وهى قصبة ولاية تسمى باسمها فى آسية الصغرى، وهذه المدينة التى يبلغ عدد سكانها ٢٧٨٢٥ نسمة كما يذكر كوينيه Cuinet تقوم على جوانب صخرة تشرف على السهل من ارتفاع يبلغ خمسمائة قدم على وجه التقريب . وعلى رأس الصخرة قلعة تسمى أق قلعة . وأشهر مبانيها مسجد حاجى بيرام الذى شيد فى عهد السلطان سليمان . وفى شماله أطلال المعبد المشهور، وعليه نقوش من عهد الإمبراطور أوغست (المسمى Monumentum Ancyranum) .

وقد صارت أنقرة منذ عام ١٨٩٢ ملتقى الخطوط الحديدية فى الأناضول . وفوق هذا فإن أنقرة شهيرة بالماعز والقطط ، أما الصناعات الصوفية التى كانت مزدهرة فى القديم ، وكذلك تجارة الأقمشة التى تصنع من شعر الماعز (الشيلان والصوف) فقد أصابهما الانحطاط . وهذه الأقمشة لاتصنع إلا فى قرية واحدة من ولاية أنقرة هى « استانوس » . أما صناعة تقطير الزبيب فهى فى تقدم . وولاية أنقرة تؤتى فواكه ونبيذاً من أجود الأنواع .

تاريخ أنقرة : تعرضت أنقرة أثناء نمو الدولة العربية المرة بعد المرة لمحن الحملات التى كانت تتجدد كل عام ضد بوزنطة ، وكان السلاجقة أول من فتحها واستقروا فيها طويلا . وبعد سقوط دولتهم أصبحت أنقرة ولاية مستقلة مدة من الزمان حتى أدمجها السلطان مراد الاول (٧٦١ — ٧٩٢ هـ = ١٣٥٩ — ١٣٨٩) فى الإمبراطورية العثمانية .

ويمتد الى جانب أنقرة سهل چبق اباد

الذى التحمت فيه جيوش بايزيد وجيوش تيمور فى ١٩ من ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ (٢٠من يوليه سنة١٤٠٢ م) فى وقعة أسفرت عن هزيمة بايزيد ووقوعه أسيراً ؟

المصادر

(١) V. Cuinet : *La Turquie d'Asie*، جـ ١، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ (٢) Pauly-Wissowa : *Realencyklop. der klass. Altertumwissensch.*,

■ أَنقَره ■ : [باليونانيه Αγκυρα ("Αγγυρα") وباللغة الحيثية أنكووا Ankuwa] الرسم التركى الحديث الذى يراد تعميمه فى كل اللغات ، وهو اسم عاصمة الجمهورية التركية ، وتعرف هذه المدينة عند الغربيين باسم أنكوره Angora .

أما الاسم التركى القديم إنكورى أو إنكورو أو إنكوريه (قارن اللفظ الأرمنى أنكوريا) ، فقد بقى فى العصور الحديثة يطلق فقط على نهير إنكوروصو يو أو إنجورو أوزو — كما يسمى محليا — وهو أحد الفروع اليمنى لنهر سقاريا . (أما كلمة أوز الدارجة ومعناه مجرى فترجع إلى لفظ أو كوز لا إلى أوكوز المستعملة عند أهل كشغر) على أن لفظ إنجوريه تظهر على السكة لعهد السلطان مراد الثانى (١٤٢١ — ١٤٥١) ونجد على السكة بعد ذلك لفظ « أنكره » التى لا بد أن تكون مع هذا أقدم من لفظ إنجوريه . ويرجع قدماء اللغويين لفظ "Αγκυρα" إلى اللفظ اليونانى المرادف الذى معناه «مرساة» ويظهر كذلك أن لفظ إنكورى يرجع أصله إلى كلمات فارسية مثل إنكور أو إنكورى ومعناها العنب ، وإلى الكلمة اليونانية أغوريذا (أى العنب الأخضر) أو أنكورى وأنكوريا (ومعناها الخيار) .

والنسب لأنكره هو أنكره لى . وكان العرب فيما مضى ينسبون إلى أنقرة فيقولون أنقرَوى أو إنقرَوى بدلا من أنقرَوى .

ولا بد أن فكرة نقل العاصمة التركية إلى آسية كانت على الدوام جزءا من برنامج مصطفى كمال باشا بعد أن أوصى بذلك لأسباب حربية فون در جولتز باشا (Von der Golz Pasha) رئيس البعثة الحربية الألمانية الذى توفى ببغداد فى ١٩ من أبريل سنة ١٩١٦ ، وكان كمال باشا مشغولا بتأسيس دولة جديدة من كل الوجوه . معتبرا بمساوى العاصمة القديمة التى كانت رغم فخامتها تستنزف الولايات المجاورة لها . وأصبحت عاصمة غير مناسبة فى الموقع بعد أن كادت تركية تفقد كل سواحلها المواجهة لأوربا . ومهما تكن أهمية الموقع الجغرافى لأنقرة العاصمة القديمة لغلطية التى اتخذها أخى التركمانى أيام مراد الأول حاضرة لجمهوريته التى لم تعمر طويلا ، فإن اختيار مصطفى كمال لها دون قونية وهى مدينة رجعية النزعة وكانت عاصمة للترك أيام السلاجقة ،

كان اختياره لها يقوم على بواعث عاطفية ، فان الغازى أبى أن يهجر مهد الحكومة الوطنية الأولى .

وليس فى موقع أنقرة شىء يستهوى النفس سوى منظر قلعتها الجميلة التى تقع على رأس الجبل . واختلف الرواد فى تقديرهم لهذه المدينة . فمثلا بوجولا Poujoulat (١٨٤٠) يقول إنها أفقر المدن ، وجورج بيرو Goerges Perrot (١٨٧٦) يذهب إلى أنها أجمل ما رأى . وأيا ما كان الأمر فمن المحقق أنه عندما حل مصطفى كمال على المرتفع المجاور فى مزرعة چانقا كان بأنقرة ٤٠٠٠٠ من السكان فى حالة من التأخر ، تبدو عليهم دلائل الشقاء ولا يجدون شيئا من متاع الحياة .

وفى ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩١٩ استقر مصطفى كمال نهائيا فى أنقرة . ومنذ أن غادر استانبول إلى صامسون (١٦ من مايو سنة ١٩١٩) غير مقره مرتين ، مرة فى حوضه وأخرى فى أماسية . ويمتاز المقر الجديد الذى اختاره آخر الأمر بأنه يتصل بالبسفور بخط حديدى . وقد سهل هذا عليه ما كان يريد من الإشراف على انتخابات مجلس النواب الأخير . ولما اقترع هذا المجلس حل نفسه بناء على اقتراح الدكتور رضا نور (١٨ من مارس ١٩٢٠) سارع مصطفى كمال — بعد أن حاول من قبل أن يأتى بالمجلس المذكور إلى القيام بانتخاب « الجمعية الوطنية التركية الكبرى » (تركيا بر[illegible] مجلسى) فى بلاد الأناضول . و[illegible] هذه الجمعية فى ٢٣ من أبريل و٥ من مايو سنة ١٩٢٠ ، وصارت أنقرة مقرا لها وجاء عدد كبير من أصحاب المناصب والنواب — وكثير منهم فر من استانبول — واستقروا فى المدينة الوطنية حيثما أمكنهم .

وبعد حملة صحفية أريد بها من غير شك تهيئة أذهان الناس ، وكانت على أشدها فى مارس سنة ١٩٢٣ والشهور التالية له ، اقترح مصطفى كمال على الجمعية الوطنية الكبرى سن قانون يجعل أنقرة عاصمة لتركية «مقرى إدار» (وذلك فى ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٢٣ قبل إعلان الجمهورية بشهرين) . فانتقلت العاصمة من استانبول إلى أنقرة . ولكن مصطفى كمال تعمد أن يتحاشى فى نصوص القانون استعمال لفظ پايتخت Payitaht « عاصمة » ، ومعناها الحقيقى الأصلى « أسفل العرش » ويطلق اليوم على العاصمة «دولت مركزى» أى مركز الدولة .

وقد عين لمدينة أنقرة ، على مثال ما كان لاستانبول حاكم إلى جانب حاكم ولاية أنقرة . وفى سنة ١٩٢٤ ترك على حيدر بك رئاسة إستانبول وصار رئيسا لانقرة .

ومنذ ذلك الحين بذلت الجهود العظيمة لتوسيع العاصمة الجديدة و تزيينها . ولاقت هذه الجهود كل أنواع المصاعب والعقبات . فأرض أنقرة أرض ملحة لا تنبت فيها الأشجار . وإذا أصلحت بقعة جاءت الأمطار

فأخرجت الملح إلى ظهر الأرض. وكان لا بد من تجفيف المستنقعات التي كانت تسبب مرض الملاريا. وفوق هذا كانت أنقرة منعزلة وسط إقليم يكاد يكون صحراويا، ولم يكن مفر من مكافحة الأتربة مكافحة شاقة. على أن الجهود كانت مفرقة لا تجمعها خطة محكمة فاستلزم الحال أحيانا إعادة الأعمال من جديد. وكانت هذه كلها عقبات لا بد للتغلب عليها من همة لا يعتورها كلل أو خور.

شقت شوارع واسعة مكان الشوارع الموجودة إذذاك، أو أنشئت شوارع جديدة، وحفت جوانبها بأبنية تغلب عليها الروعة، وغرست على جوانبها الأشجار. ثم خططت الحدائق وأشهرها حديقة الجمعية الوطنية الكبرى. وجففت المستنقعات التي كانت تفصل بين محطة سكة الحديد وبين المدينة فنجت من الحميات التي كانت تصيبها في الماضي. وعما قريب ستنقلب الأرض التي كانت تغطيها المستنقعات ميادين للسباق وحدائق وأحياء يسكنها العمال. وقد شيدت فنادق نظيفة مستكملة أنواع الراحة، كما جهزت المدينة بالكهرباء والغاز. وإذا جن الليل رأيت للأنوار التي تمتد على سفوح الجبل أربعة أميال من أنقرة إلى جانقايا جمالا ساحرا يخلب الألباب.

وقد تقدم إمداد العاصمة الجديدة بالماء خطوات واسعة، وكان في المدينة قنوات مائية أنشأها الرومان ثم تهدمت، ولكن منذ سنة ١٨٩٠ أنشئت فيها مجارى مائية من الحجر تحمل إليها المياه من الماداغي أي ينابيع كيليزبينار وتللوقويو وهانم بينار. وقد أنشأ المجلس البلدى الجديد مجموعة من الخزانات لتتجمع فيها المياه في قوصونلر ثم حلت محله في هذه الأعمال «لجنة حكومية لمياه الشرب» (ايجم صويو قومسيونو). وأقيمت في كل من هانم بينار وشاهنبينار آلة لاستخراج الماء كما مدت فيهما الأنابيب. ولن تنضب ينابيع الماداغي قبل عشر سنين أو خمس عشرة ولن تمضى هذه المدة حتى يكون السد المزمع إنشاؤه على الجبوق (أحد فروع نهر أنقره صوبى) قد كمل بناؤه. ويبلغ مقدار الماء الذى يتفجر من ينابيع الماداغي ٧٢,٥ لترا في الثانية. وتتجه الجهود الآن إلى استخراج ١٠٥ لترا في الثانية لتفى بحاجة أهل المدينة على قاعدة أن الحد الأعلى لحاجة الفرد يقدر بمائة وخمسين لترا في اليوم. ويبلغ عدد السكان الذين يأخذون الماء من خزانات المياه ستين ألفاً أو ٣/٤ السكان (مجلة حاكميت مليه، ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٣، رقم ٤٤١١ وهو عدد خاص نشر بمناسبة العيد العاشر للجمهورية ص ٩٠).

وهاك لمحة تاريخية عن إنشاء أنقرة الجديدة مقتبسة من هذه المجلة.

في ربيع سنة ١٩٢٥ وضعت لإدارة مدينة أنقرة أسس «المدينة الجديدة» «يكى شهر» وفقاً لتخطيط وضعه أحد الإخصائيين وهى

بين المدينة القديمة (فى جنوبها) وبين جانقايا. وأنشئ فيها ١٩٨ منزلا بلغت تكاليف بنائها ٢,٠٨٦,٠٠٠ ليرة تركية . وفى الوقت نفسه جففت المستنقعات (انظر ما تقدم) . وفى تلك السنة أنشئت جمعيــة الهلال الأحمر ومدرسة الحقوق (حقوق مكتبى) وافتتحتا فى ٥ من نوفمبر .

وفى عام ١٩٢٦ أكملت المنشئات التى بدئ فيها فى العام السابق: مثل توسيع «قره أوغلان جارشيسى » الذى أصبح انافارتالربولو (إشادة بذكرى الانتصارات التى ظفر بها مصطفى كمال فى الدردنيل) ، وإنشاء شارع جمهوريت (الجمهورية) وشارع غازى مصطفى كمال جاده سى وغير ذلك من التوسيعات . وتم بناء الجمعية الوطنية الكبرى ووزارة المالية (ماليه وكالتى) وأقسام (محلى) الأوقاف . ثم أنشئ ٢٤٠ منزلا (١٤ منها فى يكى شهر و٢٠٢ فى المدينة القديمة و٢٤ فى جبه جى) . وفى ١٩٢٧ شيد ٣٦٧ منزلا .

وفى سنة ١٩٢٨ بدأ الشعور بضرورة تخطيط جديد متقن ؛ فعملت مسابقة اختير فيها مشروع يانسن المعمارى الألمانى ، وأهمل مشروع منافسه جوسلان الفرنسى لأنه مع تفوقه فى الجمال كان أصعب تنفيذاً من المشروع الأول . ثم شيد ٢٤٦ منزلا .

وأنشئ ٨٧ منزلا فى سنة ١٩٢٩ و٢٠٣ سنة ١٩٣٠ و ٢٧٥ فى سنة ١٩٣١ و ١٥١ فى سنة ١٩٣٢ . وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٣٢ سنت الجمعية الوطنية الكبرى قانوناً بوضع مشروع لتخطيط المدينة ، وتقرر إنشاء بناء فخم يكون مقراً للحكومة (دولت محله سى) جنوبى يكى شهر ، ويشرف عليه بناء للجمعية الوطنية الكبرى .

وفى سنة ١٩٣٣ بلغ ما شيد حتى شهر أكتوبر ٨٧ منزلا فقط لأن بنك أملاك وأيتام أنقص القروض التى كان يعطيها .

ويبلغ عدد المنازل التى شيدت طبقاً للمشروع ٢٠٠٠ منزلا . وإلى جانب هذا أقام العمال والصناع على المرتفعات التى تحيط بالمدينة من الشمال وخلف بند دره سى ما يقرب من ٥٠٠ منزل ، بنوها كما شاءوا ومن غير ترخيص فى أحياء عاطف بك والتينداغ ويكى دوغان . وبعد إنشاء حى العمال الذى تقدم ذكره ستزول هذه المنازل التى تبدو عليها ملامح البؤس والتى تشوه جمال المنظر العام ، وخصوصاً لأنها فى أعلى التلال .

وقد أصبح فى هذه المدينة أيضاً محطة لاسلكية ومدافن حديثة ، (١٩٢٧—١٩٢٨) وغير ذلك من ضروب الاصلاح ، كما شهدت بناء ما يزيد على الأربعين من المبانى الحكومية والمبانى العامة ، ولبعضها جمال يستهوى الألباب .

وكل الوزارات تقريباً قد حلت فى أماكنها التى أعدت لها . وشيدت مستشفيات حديثة ومدارس جميلة ، وأجملها مدرسة البنات التى سميت باسم عصمت باشا ، وشيدت أبنية

حربية كبرى مثل وزارة الدفاع الوطنى « ملى مدافعه وكالتى » ودواوين أركان الحرب أو « بويوك أركان حربيه رئيسلكى » والمدرسة الحربية أو « حربيه مكتبى » وهى الآن تغادر مقرها القديم فى پانغالتى باستانبول). وأنشئت مصارف مثل البنك التجارى أو « إيش بانقاسى » وإملاك وإيتام بانقاسى الذى أسس فى ٢٢ مايو سنة ١٩٢٦ والبنك الزراعى أو « زراعت بانقاسى » وبنك الجمهورية المركزى « جمهوريت مركز بانقاسى » وقد تم تأسيسه منذ قريب فى حى حديث ، وبنك التسليف الصناعى أو « سومر بانقاسى ») .

وبنى منزل جميل للشعب « خلق اوى » وقد أريد من إنشائه أولا أن يكون المنتدى التركى (تورك أوجاغى) ولكن هذا النظام أبطل فى سنة ١٩٣٢ .

وإلى جانب هذا كله أنشىء متحف خاص بوصف الشعوب وهو يحوى مجموعات شائقة تتعلق بالشعوب التركية وغرفة فريدة فى بابها خاصة بالطرق الصوفية (ولا سيما الطريقة البكتاشية) التى ألغيت حديثاً وغرفاً خاصة بآثار المدنيـــة الحيثية : حفائر بوغازكوى الأشهر وهاش أويوك وأنقرة .

وللصحيفة الحكومية واسمها حاكميت مليه أى « السيادة الوطنيـة » (رئيس تحريرها فالح رفقى) مطبعة حديثة جميلة أسست فى ١٠ يناير سنة ١٩٢٠ أى بعد وصول مصطفى كمال إلى أنقرة بأسبوعين .

وفى سنة ١٩٢٧ أقيم تمثالان للغازى ممتطياً صهوة جواد ، وهما من صنع المثال الإيطالى كانونيكا ، نصب أحدهما أمام المتحف فى ٤ نوفمبر ، والآخر جزء من تمثال كبير للنصر (ظفر آبده‌سى) أقيم فى أول شارع أنافارتالر ٢٤ من نوفمبر . وأقيم فى يكى شهر تمثال للغازى راجلا . وقد أقيم أول تمثال للغازى فى استانبول عند سراى برونى فى ٣ من أكتوبر ١٩٢٦ .

وهكذا صارت أنقرة مدينة جميلة يبلغ عدد سكانها ٨٥٠٠٠ نسمة ، وتضاعف عدد سكانها فى عشر سنين . وهذا الرقم تقريبى فإن آخر إحصاء رسمى صدر فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٧ يدل على أن سكانها يبلغون ٧٤٥٥٣ نسمة . ويلوح لنا أنها ستحتل مساحات شاسعة بعد أن تندمج فيها القرى القديمة التى تحيط بها ، وستتحول هذه القرى قريباً إلى ضواحى لأنقرة (كچى‌اورەن وقالابا إلى جانب يكى شهر وجبه جى) .

على أن أنقرة لا تزال حتى الآن مدينة يغلب فيها عنصر رجال الحكومة ، ولا يزال للكثيرين من أهلها صلة باستانبول حيث يقضون فصل الصيف . والغازى نفسه يقصد فى حر القيظ إما إلى قصر طولمه باغچه فى استانبول التى زارها لأول مرة فى أول يوليه سنة ١٩٢٧ ، أو إلى حمامات يالوه المعدنية التى جددها بنفسه .

وبنى سفراء الدول الأجنبية سفاراتهم فى أنقرة على قطع من الأرض أعطيت لهم على طول سفوح الجبل حتى چانقايا ؛ ولكنهم «فى معظم الأحيان ينتقلون بين أنقرة واستانبول» وقد أسست «جمعية أصدقاء أنقرة» لتحبب إلى الناس الحياة فيها حتى فى الصيف .

ذكرنا أن أنقرة قد وصلها خط حديدى بحيدر باشا (المحطة الآسيوية لاستانبول) . وأنشأت الحكومة الجمهورية خطا بين أنقرة وقيصرية ، وهذه تتصل بسيواس (أماسيه ، صامسون) من جهة ، وبأولوقيشله على خط طوروس القديم من جهة أخرى . وعما قريب سيحول قطار طوروس الذى يمر بقونية إلى طريق أنقرة وقيصرية . وينشأ الآن خط يبدأ من إيرماق على خط أنقرة — قيصرية إلى كنغرى وفلياس على شاطئ البحر الأسود شرقى زونغولداق .

المصـــادر

(١) يجد القارئ مصادر تاريخ أنقرة والجمهورية التركية بوجه عام (بقلم Goerges Vajda) فى كتاب *René marchando Jean Deny* *Petit manuel de la Turquie* ، *Nouvelle* الذى قدم له المسيو Albert Sarraut باريس ، ١٩٣٤ (مجموعة مونزى ص ٢٩٥ — ٣١٤) .

(٢) ولمعرفة آثار أنقرة انظر كتاب [redacted]*langes d'archéololgie*: G. de Jerphanion *anatolienne, monuments préhelléniques, gréco-romains, byzantins et musulmans* طبعة بيروت ١٩٢٨ ص ١٤٤ — ٢٩٣ ومعه مصور .

[J. Deni دينى]

« الانكشارية » (بالتركية « يكيچرى » ومعناها الجنود الجدد) : اسم يطلق على فرق المشاة النظاميين التى كونها الترك العثمانيون فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وأصبحت أكبر قوة عندهم مكنتهم من الفتوح الواسعة التى قاموا بها فى ذلك القرن وفى القرون التالية . ويرجع تنظيم أولئك الجنود إلى السلطان أورخان (٧٢٦ هـ — ١٣٢٦ م) ابن السلطان عثمان وخلفه ، وإلى أخيه وكبير وزرائه علاء الدين ، وإلى قره خليل چاندارلى (انظر هذه المادة) صهر الشيخ إدبالى . وكانت الفرق الأساسية عند العثمانيين قبل هذا العصر — كما كانت الحال فى الجيوش الفارسية — هى فرق الفرسان الذين يسمون آقينجى (الفرسان الخفاف) يشد أزرهم الجنود المشاة الذين يسمون بالفارسية «پيادة» وبالتركية « يايا » . ورغم أنهم كانوا مقسمين عشرات ومئات وألوفا فإنهم كانوا فى الحقيقة وحدات متفرقة ليس بينها تضافر كبير .

وفى الوقت الذى كانت تعم أوربا فيه العصابات المسلحة كوّن قره چاندارلى لأول

مرة كتائب (أورط) منظمة من المشاة، وقد حدث هذا قبل تنظيم فرق رماة السهام بإنجلترا وقبل تكوين الجيوش الدائمة الأولى فى فرنسا أيام شارل السابع بقرن من الزمان. ويرجح أن الذى أوحى إلى الترك أن يعززوا فرسانهم بجنود مشاة مدربين هو ما شاهدوه من فرق الجيوش البوزنطية، وإن كانت فى ذلك الحين قد فقدت مجدها القديم. ولكن الترك ساروا فى جمع الجنود المشاة على طريقة تخالف الطريقة التى سار عليها غيرهم كل المخالفة حتى كان نظام الجنود الإنكشارية لا نظير له فى التاريخ.

وسنبين فى مقال ديوشيرمه (انظر هذه المادة) أن حكومة آل عثمان كانت تفرض على الشعوب المسيحية التى تتغلب عليها جزية من الأولاد يحملونهم على الإسلام ويعلمونهم فى مدارس خاصة بهم، وظلوا يعتبرون رقيقا للسلطان (قول بالتركية). وكان أبناء الإنكشارية يتزوجون نساء من أهل البلاد فى الولايات غير المتحضرة، وأبناؤهم يسمون «قول أوغلى» أى أبناء الأرقاء. على أن مثل هذا النظام كان مخالفا للشريعة الإسلامية التى لا تبيح للحاكم أن يرغم الذميين (انظر مادة أهل الذمة) على أن يسترق أبناؤهم. ولا عبرة بالترك الذين كانوا فى خدمة الخلفاء العباسيين فإنهم أسروا عند الاستيلاء على أراضى الأعداء (دار الحرب) لا من البلاد التى فتحها المسلمون (دار الإسلام). وإنما كان يباح إنشاء فرق الإنكشارية بقانون يصدره الحاكم (العرف) غير مقيد بأحكام الشريعة.

وكان الجنود الجدد من أول أمرهم تحت رعاية درويش هو الحاج بكتاش، واعتبروا أتباعا للطريقة الصوفية التى أسسها (انظر مادتى بكتاش والحروفية). أما لباس الرأس عند الإنكشارية فهو قلنسوة من الصوف الأبيض تتدلى من خلفها قطعة من القماش هى رمز للبركة التى منحها الولى لمريديه بتركه كمه معلقا على ظهورهم.

وعلى لباس الرأس شارة هى ملعقة من الخشب. أما ألقاب الضباط فكانت تؤخذ من مختلف مرافق المطبخ: كالچورباجى باشى (كبير طهاة الحساء) وأشجى باشى (كبير الطهاة). وأقدس الأشياء فى الكتيبة هو القدر الكبير المصنوع من الشبه المعروف بالقزان يجتمعون حوله لا لتناول الطعام فحسب بل للتشاور أيضا. وكان قلب القدر علامة على العصيان. وكثرت حوادث العصيان على مر الزمن وبخاصة عندما أبطل الأخذ بنظام الديوشيرمه القديم منذ عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥١ — ١٠٩٩ هـ = ١٦٤١ — ١٦٨٧ م).

وكانت الفرقة من الإنكشارية تسمى أوجاق (موقد) وتنقسم إلى وحدات حربية تسمى كل منها «أورطة» (فرقة) وهى ثابتة العدد مختلفة القوة تتراوح وفقا للظروف من ١٠٠ إلى ٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ جندى. وهذه الفرق تقيم فى ثكنات تسمى أوطة (غرفة) (وفى

اللغة التركية الشرقية «تاغ» أما فى ميدان القتال فكانت الفرق تأوى إلى خيام واسعة مستديرة نقشت عليها شاراتهم المميزة لهم. وكان عدد الأورطة ١٦٥ جنديا فى أول الأمر، ثم زاد إلى ١٩٦ عدا التسع والخمسين أورطة التى سميت بـ«جمى أوغلانلر» (انظر هذه المادة) وقسمها إلى أقسام ثلاثة: (١) جماعة تشمل ١٠١ أورطة (٢) بلوك (قسم) يشمل ٦١ أورطة (٣) سكبان (رجال الصيد أو حفظة الكلاب) ويسمون عادة «سيمن» وهم ٣٤ أورطة.

وكان يرأس الفرقة قائد رتبته يكيچرى أغاسى «أغا» (انظر هذه المادة) الإنكشارية» وله مقر خاص فى المدينة أو الجهات التى تعمل الفرقة فيها. ولم يكن السلطان ملزما بأن يختاره من بين ضباط فرق الإنكشارية. وهو يتولى فوق عمله الخاص أمر الشرطة وحفظ النظام فى المدينة يرافقه على الدوام ضابط يحمل الفلقة (انظر هذه المادة) ويتقدم هذا القائد فى ميدان القتال علم أبيض يعلوه ذيل حصان (توغ) ويتبعه مشاة (شاطر) أذيال ملابسهم مرفوعة ومنوطة بأحذيتهم. وكان [redacted] «سكبان باشى» فى أول الأمر وكما يدل اسمه رئيسا للسكبان. ولكن فرقة السكبان وضعت بمرور الزمن تحت إمرة الأغا مباشرة ففقد ذلك المنصب شيئا من أهميته. على أنه لما كان الأغا يمضى إلى ميدان القتال على رأس فرق الإنكشارية كان السكبان باشى ينوب عنه فى المدينة ويلقب بالقائمقام. ثم إن ا«قول كتخيا» «مراقب الرقيق» كان يقود «البلوك» ويساعد الأغا، وفى أثناء الحرب يرأس هيئة أركان حرب الفرق. وكان يتمتع بنفوذ عظيم لأن الذين كانوا يختارونه لهذا المنصب هم الإنكشارية أنفسهم. ولهذا كان للكتخيا الحق — بعد عرض الأمر على الأغا — فى أن يعين الضباط الملازمين فى رتب أقل من رتبة الچورباجى، أما الضباط العموميون فى الفرقة فهم حسب التقدم فى الرتبة: الزغارجى باشى «رئيس حفظة الكلاب» وهو يرأس الفرقة الرابعة والستين والمحضر أغا «رئيس الحجاب» وهو الذى يعرض شئون الفرقة على الوزير الأكبر، والخاصكى الأكبر والأصغر «وهما المكلفان بمهام خصوصية» وكانا يرسلان إلى الأقاليم لفض المسائل التى تتعلق بفرق الإنكشارية هناك. والباش چاوش رئيس صف الضباط وهو قائد الأورطة الخامسة وحاجب المجلس الذى ينفذ قراراته ويسجل أسماء الجنود، ثم الكخيايرى كبير النظار Lieutenant [redacted] the Entendent وهو ممثل القول كتخيا أمام الأغا وعليه إبلاغ أوامر الأغا إلى الأقاليم، ثم الكاتب «السكرتير» وهو حافظ السجلات التى تسمى كوتوك «الأصل».

أما ضباط كل فرقة فهم: ١ - الچورباجى وهو قائد الفرقة، وظل هذا اللقب باقيا فى اللغة التركية العامية بمعنى «عين القرية» [redacted] الأوطة باشى «رئيس الثكنة» وهو ملحق بالأول يحفظ النظام أثناء العرض العسكرى

ويشرف على تنفيذ القوانين ٣ ـ وكيل خرج « المشرف على الإنفاق » وهو المتولى أمر المئونة ٤ ـ والبير قدار « حامل اللواء » ٥ ـ الباش إسكى « رئيس الجنود » وهو أكبر أفراد الفرقة سنا ، وكان حامل هذا اللقب يتمتع بتقدير عظيم . ونظرا لأنه كان رئيسا للقره قول « الحراس » فكان يسمى باش قره قوللو قجى ٦ـ الأشجى باشى « رئيس الطهاة » وهو « بلوك أمين » الفرقة وتحت أمره ياماق « مساعدون » وكان فوق هذا رئيس غرفة الحراسة ورئيس سجن الفرقة ، وشارة منصبه سكين كبير ٧ ـ سقا باشى « رئيس السقائين »

وقد تنوعت الآلات الحربيـــة عند الإنكشارية فى دفاعهم وهجومهم تبعا للزمن ، وسنبين هنا بعض خصائصها نقلا عن « جواد » الذى اعتمد على وصف مفصل لها فى قسم الأسلحة القديمة باستانبول (متحف سنت إيرين) . فمنها المقلاع والقوس والسهام ، وقد ظلت تستعمل إلى جانب الأسلحة النارية حتى عام ٩٥٥ (١٥٤٨) كما يقول صولاق زاده فى كتابه تأريخ (ص ٣٩٦ ، ٤٢٩ ، ٥١٠) ولكنها ما زالت تستعمل فى الرياضة البدنية حتى عصرنا الحاضر فى منتديات رماة السهام المسماة كمان كش . وفى ملعب أوق ميدان القديم تقوم أعمدة من الرخام تدل على طول رمية السلطان محمود الثانى . ومن أسلحتهم (تنار أوق) ورجل المها والخنجر والمخرطة والمزراق (جريد) والبندقية ذات الفتيل والبندقية ذات الزناد والبندقية القصيرة (انظر *Montecuculli* ، *Mémoires* ، جـ٢) والطبنجة والسنجة وقد أدخلت هذه الآلة عام ١١٥١هـ (١٧٣٨ م) وتركت ، واستعملت ثانية عام ١١٦٨ هـ (١٧٥٥ م) ثم الصولجان (كرز ، شيشبر، طبوز) والسياط ومدقة الحرب والبلط والمنجل والرمح الذى فى رأسه بلطة والرمح المتعدد الأسنان والسيوف المستقيمة ذات الحد أو الحدين والحسام (قليج ، پاله ياتاغان) والخناجر (قامه) والرمح والتروس ولباس الزرد والخوذ النحاسية أو المصنوعة من الصلب والتى تشبه قنتها الطربوش وتنتهى بطرف مدبب .

وكان لـكل أورطة شارة توضع على أعلامها وعلى أبواب ثكناتها . وجرت عادة الإنكشارية على نقشها على أذرعتهم وسيقانهم وكانت الترقية فى المناصب تجرى على أساس الأقدمية ويعاقب الإنكشارية ضباطهم فقط ، وتختلف العقوبات من السجن إلى الجلد إلى الإعدام . وكان الإعدام ينفذ سرا فى جنح الليل فى روميلى حصار ثم ترمى جثة المعدم بعد أن تشد إلى القدمين بجلة من الحديد . وكان يطلق مدفع إيذانا بتنفيذ الحكم . أما الجنود الذين يتقدم بهم السن أو تصيبهم عاهة تقعدهم عن العمل فكانوا يتركون الجيش ويتقاضون معاشا ويعرفون باسم أوتوراق .

على أن قبول عناصر أجنبيـة من غير طوائف العجمى أوغلان (انظر هذه المادة)

أفقد فرق الإنكشارية ما كان لها من شأن على مر الزمان. ويرجع أصل هذه الفوضى إلى عهد السلطان مراد الثالث الذى أرغم الانكشارية عام ٩٩٠ هـ (١٥٨٢)، على أن يقبلوا فى صفوفهم مهرة المصارعين الذين كانت ألعابهم مدعاة لتسلية الناس فى الحفلات التى أقيمت بمناسبة ختان الأمير الذى أصبح فيما بعد السلطان محمدا الثالث. وقد سمح لهذه العناصر بالانتظام فى صفوف الإنكشارية بالرغم من استقالة الآغا فرهاد ومخالفة هذا الأمر للقوانين. ومنذ ذلك العهد صار الناس على اختلاف ألوانهم يحاولون الانخراط فى سلك الإنكشارية مستعينين بأهل الجاه أو بالمال ليتمتعوا بما لرجال هذه الفرق من امتيازات. وفى عام ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ م) صارت المناصب ذات المرتبات فى يد أهل السلطان يتصرفون فيها بحيث كان يستطيع أن يشتريها ويبيعها من يشاء. وكان ذلك خاتمة انحلال ما بقى فى جنود الانكشارية من قوة. أما الجنود الحقيقيون فكانوا لا يتناولون مرتبات بل كانوا يعيشون من سلب المارة، وسرعان ما صارت كل فرقة من رجال الشرطة الذين يحافظون على النظام فى الطرقات تتقاضى مرتباتها من المارين فى تلك الطرقات

ثم كثرت حوادث التمرد وأخذ المتمردون يتعللون بالمطالبة «بالبخشش» الذى جرت عادة السلاطين على إعطائه للجند عند جلوسهم على العرش، وذلك منذ الثورة التى لم يحكم الإنكشارية تدبيرها وقاموا بها ضد السلطان محمد الثانى عند تولية الحكم للمرة الثانية عام ٨٨٥ (١٤٥١ م). ومنذ اغتيال السلطان عثمان الثانى (١٠٣١ = ١٦٢٢) بدأ يكون للإنكشارية شأن سياسى فأرهبوا الحكام وأخذوا يولون الوزراء ويعزلونهم وأضحوا أداة فى يد أهل الفتن الذين آثروا اللعب من وراء ستار فأفلتوا من التبعة. ولم يسلم من هذه الفوضى إلا عهد السلطان مراد الرابع السعيد (١٠٣٢ - ١٠٤٩ هـ = ١٦٢٣ - ١٦٤٠) الذى أعاد للإنكشارية نظامهم، ثم توالت مآسى الحروب التى وجهت إلى روسيا فى أواخر القرن الثامن عشر واقتنع أولو الأمر بوجوب إبدال هذا النظام العتيق الفاسد الذى يعوق كل تقدم ولا يرجى له صلاح بأنظمة حربية جديدة. وجاء السلطان سليم الثالث فنزل على قرارات مجلس عظيم وصحت عزيمته على إنشاء جيش نظامى مقره ساحة لوند چفتلك على مرتفعات أورته كوى وأرناؤدكوى على الشاطئ الأوروبى للبسفور وسماه باسم «نظام جديد». ولكن الإنكشارية لم يرضوا عن هذا الإصلاح فعارضوه وأبوا أن يخضعوا للتمرينات العسكرية، وحدثت ثورة قباقچى التى أسرف فيها السلطان سليم الثالث وسجن فى القصر حيث اغتيل بعد قليل. على أن بيرقدار باشا حاول إنشاء فرقة حربية جديدة فلقبها «سكبان» مسايرة للنظام القديم ولكن جهده ذهب سدى وانهارت الفرقة بعد وفاته

ولما جاء السلطان محمود الثانى وألفى نفسه محوطا بالروس والمصريين واليونان الثائرين وكلهم يضيقون عليه الخناق ، وطد العزم على أن يستأنف مشروعات أخيه ، فأنشأ فرقة من الجنود النظاميين سموا إشكنجى « الجنود العاملون » . وهذه التسمية إحياء لاسم قديم كان يطلق على جنود الإنكشارية أثناء قيامهم بالعمل. ولكن إعلان ابتداء التدريب النظامى أثار العصيان بين الجنود (٩ ذو القعدة ١٢٤١ = ١٠ يونيه سنة ١٨٢٦) فى أت ميدانى (ميدان الخيل) وسط الثكنات ، فبادر السلطان بالذهاب فى قارب إلى القصر فاستشار العلماء وأخرج لواء النبى ودعا المسلمين الذين لاقوا من عنت الإنكشارية واضطهادهم ما لاقوا إلى قتالهم ، فكون حملة البنادق ورجال البحرية فيلقا وكون رجال المدفعية وعمال المناجم فيلقاً آخر وزحفوا على أت ميدانى . وكانت المتاريس قد أقيمت دون الباب الكبير ولكن سرعان ما سقط أمام القنابل وألهبت النيران فى الثكنات وقهر الثائرون . وعقدت جماعة كبيرة أعلنت قمع ثورة الإنكشارية قمعاً تاماً وأيد قرارها فرمان سلطانى . ومنذ ذلك الحين استطاعت الإمبراطورية العثمانية أن تنشئ جيشاً نظامياً على مثال الجيوش الأوروبية ؟

المصـــادر

(١) احمد جواد : تأريخ عسكرى عثمانى ، الترجمة الفرنسية بقلم G. Macridès بعنوان *Etat Militaire Ottoman* (نشر مع مصور جغرافى ، طبعة استانبول ١٨٨٢) (٢) أسعد أفندى: أس ظفر: الترجمة الفرنسية بقلم Caussin de Perçeval بعنوان *Précis* [redacted] *la destruction* [redacted] *Janissaires* (٣) J.Von Hammer: *Des Osmanischen Reiches Staatsverwaltung u. Staatsverfassung* (٤) [redacted] A.deJuch-[redacted] de St Denys : *Révolutions de Constantinople* [redacted] *1807-1808* طبعة باريس سنة ١٨١٩ (٥) Ricaunt : [redacted] *present State of* [redacted] *Ottoman Empire* لندن ١٦٦٨ (٦) Cte de Mersigli : *L'Etât Militaire* [redacted] *de l'Empire Ottoman* أمستردام ولهاى ١٧٣٢ (٧) Chalcocondyle : *Décadence* [redacted] *de l'Empire grec* ج ١ — فصل ٣ ص ١٣٢ (ترجمة de Vigenère) (٨) Jouanninu : *La Turquie* باريس ١٨٤٠ ص ٢٥ — ٢٦ (٩) De la Jonquière : *Histoire* [redacted] *l'Empire Ottoman* باريس ١٨٨١ ص ١٢٠ — ١٢٢ (١٠) Th. Menzel : *Das Korps der Janitscharen* فى *Beiträge zur Kenntniss des Orients,* i. *Jahrbuch der Münch. Oriental. Ges.* ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ص ٤٧ وما بعدها .

[كليمان هوار Cl. Huart]

« أنموذج » كلمة فارسية معربة أصلها نموده بمعنى مثال .

« أنهلوارة » (أنلواطة) هى العاصمة القديمة لإقليم كجرات وقد استولى عليها السلطان محمود الغزنوى عام ٤١٦ﻫ (١٠٢٥م). ويقوم فى مكانها الآن مدينة پتن Patan فى شمالى بارودة .

« أنوار سهيلى » هو عنوان الترجمة الفارسية لكتاب كليلة ودمنة التى قام بها الكاشفى (انظر هذه المادة) .

« أنورى » ومعناها المنير وهو الاسم الذى اتخذه لنفسه الشاعر أوحد الدين على . ولد هذا الشاعر فى بدنة وهى قرية صغيرة من أعمال خاوران، ثم قدم إلى بلاط السلطان سنجر السلجوقى بعد أن قال أولى قصائده فى مدح هذا الأمير . فلما وقع الأمير أسيراً فى يد الغز ذهب أنورى مع رسل ترخان خاتون زوجة سنجر الذين بعثتهم إلى أمير سمرقند لطلب معونته. وألف فى طريقه مرثيته المشهورة التى يصف فيها ما أتاه الغز من أنواع التخريب فى خراسان . وقد ترجمها إلى الانجليزية كرك بتريك Kirkpatrick بعنوان دموع خراسان « *The tears of Khorasan* » (*Asiatic Miscellany*، ج ١، ص ٢٨٦ وما بعدها). ويظهر أن أنورى عاش بعد وفاة سنجر عند أمراء مرو الذين جاءوا بعده، وظل بها إلى أن لقى صدمة شديدة بسبب ميله إلى التنجيم . فقد أنبأ بعاصفة تقع فى أحد أيام شهر رجب عام ٥٨١ أو ٥٨٢ ﻫ . وقال إن هذا اليوم تقف فيه الكواكب السيارة كلها على صورة الميزان . فلما لم يحدث أقل هبوب للهواء فى ذلك اليوم ، كان جزاء أنورى السخرية من نبوءته . وبعد هذه الحادثة غادر مرو فذهب إلى نيسابور أولا ثم إلى بلخ . ويحتمل أن يكون قد مات فى بلخ بعد قليل . ويقول Ethé إنه توفى بين ٥٨٥ و ٥٨٧ ﻫ = ١١٨٩ ، ١١٩١ م ولكنا لا نعرف تاريخ وفاته على وجه الدقة .

والسبب الأكبر فى شهرة أنورى هو قصائده التى تحظى عند الفرس بإعجاب عظيم، وقد طبع ديوانه على الحجر مراراً فى فارس والهند (تبريز ١٢٦٠ ، ١٢٦٦ ولكنهؤ ١٨٨٠) ونشر قصائده وترجمها كرك بتريك Kirk-patrick وثوكوفسكى Zhukowski وبتزى Pizzi وغيرهم .

المصـــــادر

(١) العوفى ، طبعة براون ، ج ٢ ، ص ١٢٥ وما بعدها (٢) دولت شاه ، طبعة براون ، ص ٨٣ وما بعدها (٣) M. Ferté : المجلة الآسيوية، المجموعة ٩ ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ وما بعدها (٤) Zhukowski : *Ali Awhad ed-din Enwery.* *Materiali dla yegs biografii karakteristiki* (انظر Pertsch فى مجلة *Litteraturblatt für orient. Philol.* ج ٢ ، ص ١٠ وما بعدها) (٥) Ethé فى كتاب *Grundruss der iranischen Philologie* ، ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها (٦)

[redacted] : *Gesch. d. pers. Liter.* ، ص ١٩٥ وما بعدها (٧) Browne : *A Litterary History of Persia* ج ٢ ، ص ٣٦٥ وما بعدها.

« أنورى » الحاج سعد الله أفندى ، من مدينـــة أطرابزندة . دخل فى خدمة الباب العالى بوظيفة خواجة أى رئيس قلم ، ثم شغل المناصب الآتية على التعاقب : —

« تشريفـاتجى » (١١٨٤ — ١١٨٧) و « جبه جيلر كاتبى » أى كاتب فرقة لابسى الزرد (١١٨٧ — ١١٩٠) وتشريفاتجى (١١٩٠—١١٩٦) وموقوفاتجى أى المشرف على أمور الوقف (١١٩٦—١١٩٩) وبويوك تذكره جى أى نائب الأحكام (١١٩٧) . وتولى منصب محاسبه جيسى الأناضول أى محاسب الأناضول منذ ١٢٠٠ إلى أن توفى . على أنه لم يكن مستمرا فى تقلد هذا المنصب بل تركه مراراً . وفى عام ١١٨٢ أسند إليه منصب مؤرخ الدولة « وقعه نويس » ، وظل فيه حتى آخر عام ١١٩٧ ، ما عدا فترة مدتها ١٨ شهرا (١٧من ذى القعدة ١١٨٨—١١٩٠)، شغل المنصب فيهـــا بهجتى وسليمان مُلا (انظر جودت ج ٢ ، ص ١٥٣) . وعندما أرسل خلفه واصف أفندى سفيرا إلى أسبانيا عام ١٢٠٢ ، أعيد أنورى إلى منصب المؤرخ الرسمى ، وألحق بالجيش فى ميدان القتال أثناء الحرب مع النمسا والروسيا ، وبقى أديب أفندى شاغلا للنصب نفسه فى العاصمة (جودت : ج ٣ ، ص ٤٢٦ ، ٤٣٨ ، ج ٤ ، ص ٢ ومابعدها) وظل أنورى محتفظاً بالمنصب بعد عودته إلى العاصمة عام ١٢٠٦ . ومات فى ١١ أو ١٣ من ربيع الأول ١٢٠٩ (٦ أو ٨ من أكتوبر سنة ١٧٩٤) وقد جاوز الستين .

خلّف أنورى تاريخاً رسميا للدولة يقع فى خمسة أجزاء ، قدم الثلاثة الأولى منها إلى السلطان عام ١١٩٤ (جودت ج ١ ، ص ٢١٢) . وهى تشمل المدة بين سنة ١١٨٣ وسنة ١١٩٣ . ويشمل الجزءان الأخيران المدة من سنة ١١٩٣ إلى سنة ١٢٠٦ .

وقد نقح واصف أفندى الجزءين الأولين من تاريخ أنورى (١١٨٣ — ١١٨٨) وجعل منهما الجزء الثانى من تاريخه . (انظر واصف تاريخى ج ١ ، ص ٣١٥ ، ج ٢ ، ص ٣ طبعة استانبول ، عام ١٢١٩ بعد الهجرة) . وأعاد تنقيح الكتاب إسماعيل رحمى (انظر Pertsch : *Verz. d.* [redacted] *Hdschr.* [redacted] *Berlin* رقم ٢٠٨) .

ولا يوجد الكتاب الأصلى الذى صنفه أنورى إلا نادراً . وهناك نسخة كاملة فى المكتبة الإمبراطورية فى فينا (رقم ١١١٧ — ١١١٩ فُهرس فلوجل) . أما النسخة التى طبعت فى مصر والتى يشير إليها رينو Reinaud وزنكر Zenker رقم ٩٤٠ فليست موجودة ؟

المصـــادر :

(١) [redacted] - Waschrd V. :

Die Osm. Geschichtsschreiber der neueren Zeit ص ٣ وما بعدها (٢) V. Hammer : *Gesch. des Osm. Reiches* ج ١٠ ، ص ٢٠٩ وما بعدها (٣) Flügel : *Handschr. d. Hofbibliothek Wien* ج ٢ ، ص ٢٩٩ وما بعدها (٤) جمال الدين : آيينه ظرفاء (طبعة استانبول ١٣١٤) ص١٧ ، ٥٧ (٥) جودت ؛ ج ٦ ، ص ١٢٧ وما بعدها (٦) سجل عثماني ، ج ١ ، ص ٤٤٠ وما بعدها .

[مورتمان O. H. Mordtmann]

« إنوخ » (انظر إدريس)

« أنو شروان » الرسم العربي للقب كسرى الأول (الطبرى ، طبعة دهغوى ، ج ١ ص ٨٦٢) . وترسم هذه الكلمة أنوشك روان فى الفهلوية وأنوش روان (ذو الروح الخالدة) فى لغة البازند Pazend . وقد أصبحت ترسم فى الفارسية نوشيروان (انظر الفردوسى) وهى تفسر بأنها « نوشين روان » أى « ذو الروح اللطيفة » .

وقد أطلق اسم أنو شروان أيضاً على ولد لمنوچهر وعلى بنت من بنات محمود الغزنوى الذى كان أميرا لجرجان (٤٢٠ — ٤٣٤ هـ ١٠٢٩ — ١٠٤٢ م) (ابن الأثير ج ٩ ، ص ٢٦٢ ، س — ١٤) (انظر مادة نوشروان) .

[كليمان هوار Cl. Huart]

« أنو شروان » بن خالد بن محمد الكشانى ، كان وزيراً فى عهد محمود السلجوقى (٥٢١ هـ = ١١٢٧ م) ومسعود (٥٢٨ — ٥٣٠ هـ = ١١٣٣ — ١١٣٥ م) والخليفة المسترشد بالله (٥٢٦ — ٥٢٨ هـ = ١١٣١ — ١١٣٣ م) . وكان أنو شروان محترماً عند معاصريه ، وبخاصة الشعراء الذين شادوا بذكره فى كثير من مدائحهم ، لأنه كان من الكتاب المبرزين وكان يحب مجلس الشعراء .

ألف أنو شروان بالفارسية مذكراته عن حوادث زمانه سماها « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » وترجمها إلى العربية فيما بعد عماد الدين (انظر هذه المادة) . وللبندارى ترجمة مختصرة لتلك الترجمة نشرها هوتسما (*Recueil de textes relat. à l'hist. des Seljoucides*, ج ٢) .

ويذكر الوراوينى (طبعة ميرزا محمد ص ٤) لأنو شروان كتاباً آخر اسمه « نفثات المصدور » ، ويذكره حاجى خليفة أيضاً ولكن الكتاب غير موجود . وأنو شروان هو الذى شجع الحريرى على كتابة مقاماته المشهورة . ومات فى رمضان عام ٥٣٢ (مايو سنة ١١٣٨) .

المصــــادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ١٠ و ج ١١ (٢) سبط ابن الجوزى ، فهرس المخطوطات بليدن (٣) هوتسما : *Recueil de textes relat. à l'hist. de Seljoucides* المقدمة .

« آنى » : مدينة فى إرمينيـــة توجد أطلالها على الشاطئ الأيمن من نهر أرپاتشاى ويسميه الأرمن أخوريان، على بعد ٢٠ ميلا عند ملتقى هذا النهر بنهر الرّس.

وأصل اسم هذه المدينة غير معروف، وإن كان بعض الباحثين يرده إلى اسم معبد للإلهة أناهيتة التى يعبدها الإيرانيون (Anaitis عند اليونان). ومن المحقق على كل حال أن هذه الجهة كانت معمورة قبل العهد المسيحى، فقد وجدت مقابر للوثنيين حول المدينة وقريبا جدا منها.

وقد ذكرت آنى بوصفها قلعة منذ القرن الخامس بعد الميلاد، وإنما اختيرت قلعة لموقعها الحصين بين حلق جبل زغجوتساتسور الذى يجرى فيه نهير يأتى من تلال الاچة متجها إلى أرپاتشاى وبين الشاطئ المنحدر لذلك النهر.

وفى القرون التالية كان لأسرة جمسراجان المالكة حصن فى آنى، اكتشفت أسســه المشيدة من قطع كبيرة من الحجر موضوعة على الصخر من غير ملاط أثناء الحفائر التى أجريت فى القلعة. ويظهر أن أقدم جزء من هذا البناء كان كنيسة يبدو أنها بنيت حوالى القرن السابع قبل بناء الحصن ثم أدمجت بعد ذلك فيه واتخذها آل جمسراجان كنيسة خاصة.

ومنذ القرن الثامن دخل إقليم آنى هو وسائر بلاد إرمينيـــة فى حكم الخلفاء. وفى غضون هذه المدة أفلحت أسرة بكرادونى فى توسيع ممتلكاتها شيئا فشيئا، وفى وضع سلطانها على أساس متين. وحاول أمراء هذه الأسرة أن يتصلوا بالخلفاء مباشرة دون وساطة حكام إرمينية المسلمين. وفى عام ٨٨٧م نادى أشراف إرمينية بالأمير أشوط Ashot «أميرا لأمراء إرمينية الكرج»، وأيد الخليفة هذا التنصيب. ولكن الحاكم يوسف بن أبى الساج صلب سمبات ويسميه مؤرخو العرب سنباط ابن أشوط فى سنة ٩١٤. ويصف ابن حوقل هذا الحادث (طبعة ده غوى ص ٢٥٢) بأنه «ظلم وعصيان لله ورسوله». ويقال إن مملكة البكرادونى كانت تشمل فى عهد سنباط كل الإقليم الممتد من دوين التى يسميها العرب دبيل إلى برذعة، وتمتد فى الجنوب إلى حدود بلاد الجزيرة (الأصطخرى: طبعة ده غوى ص ١٨٨ و ١٩٤). وقد أفلح أشوط الحديد، ابن الملك المقتول فى استرداد جزء من مملكته واستعان فى ذلك بالبوزنطيين. ولما كان حاكما لإرمينية فقد لقب باللقب الفارسى شاهنشاه أى ملك الملوك، وهو لقب منحه سبوك خليفة يوسف لسلفه ومنافسه أشوط بن شبوه.

ومنذ منتصف القرن التاسع اشترى البكرادونى فى عهد «أشوط مساكر» إقليم آنى من آل جمسراجان ولكنها لم تصبح العاصمة الحقيقية إلا أيام أشوط الثالث (٩٦١—٩٧٧). والسور القائم الآن بناه سنباط الثانى (٩٧٧ — ٩٨٨). وقد تعين موقع السور القديم

الذى بنى فى سنة ٩٦٤ بعد الحفائر التى عملت عام ١٨٩٣ . وتدل المقارنة بين مساحة البقعة التى يحيط بها كل من السورين على أن عدد السكان زاد زيادة كبيرة فى أثناء عشرات قليلة من السنين .

ولا شك أن حياة التمدن لم تكن فيما بعد مقصورة على المساحة الضيقة التى تقع داخل الأسوار . وقد بنى البكرادونى بعض القناطر على نهر أرپاتشاى لتحويل الطريق التجارى بين أطرابزندة وفارس إلى طريق آنى القصير بدل طريق ديبل الذى كان يستعمل من قبل . وبلغت دولتهم أوج قوتها فى عهد كاكيك الأول Gagik (٩٩٠—١٠٢٠) وبديهى أن تبلغ المدينة ذروة تقدمها فى هذا العصر أيضا. وأصبحت آنى منذ عام ٩٩٣ مقر جثالقة إرمينية .

وتدل النقوش العديدة على أن كاكيك كان يلقب باللقب الفارسى شاهنشاه كما توجد ترجمة هذا اللقب بالإرمينية (أركايتس أركا) وكان يسمى « ملك الأرمن والكرج » . وقد أبانت الحفائر التى عملت عام ١٩٠٥ — ١٩٠٦ عن بقايا كنيسة شيدها كاكيك عام ١٠٠١ ، ووجد بين هذه البقايا تمثال للملك يصوره لابسا عمامة إسلامية — وتوجد العمامة أيضا فى صورة بارزة لسلفه سنباط الثانى وهى محفوظة فى دير هغباط .

وأسرعت المملكة فى طريق التأخر فى عهد الملوك الذين خلفوا كاكيك. وصارت منذ سنة ١٠٤٤ جزءا من الإمبراطورية البوزنطية، ومع ذلك شجع الحكام البوزنطيون على ترقية مدينة آنى . وتدل بعض النقوش الإرمينية على أن الحاكم البوزنطى « أرون » أنشأ قنطرة معلقة يجرى عليها الماء من تلال ألاجه إلى المدينة .

وانتهى حكم الروم على يد السلطان إلب أرسلان الذى فتح آنى ودمرها عام ١٠٦٤ . ويقول ابن الأثير (طبعة تورنبرج ج ١٠ ، ص ٢٧) إن مدينة آنى كان بها فى ذلك الحين خمسمائة بيعـــة . وفى عام ١٠٧٢ ، أى بعد وفاة الإمبراطور رومانوس ديوجينيس بعام ، باع السلطان مدينة آنى لبنى شداد المسلمين الذين يحتمل أنهم من أصل كردى ، وقيل إنهم كانوا حكاما لكنجة منذ القرن العاشر. ولبثت المدينة حتى القرن الثانى عشر مقرا لفرع من تلك الأسرة عدا فترات قصيرة . وكان بها فى ذلك العصر مسجدان بقى أحدهما إلى الآن واستعمل منذ سنة ١٩٠٧ متحفا للآثار التى تكشفها الحفائر . أما الثانى فقـــد تهدم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وهناك أبنية مسيحية شيدت فى ذلك العصر نفسه .

وكان بنو شداد يعاملون رعاياهم المسيحيين بالحسنى . وإذ كانوا أصهارا للبكرادونية فقد اعتبرهم النصارى ملوكا شرعيين من أهل البلاد . وأصلحت أسوار المدينة فى عهدهم وأقيم عليها بعض الأبراج .

وفتح الكرج آنى لأول مرة سنة ١١٢٤ فى عهـــد داود الثانى وهو الذى وطد سلطان ملوك الكرج . وصارت المدينة بعد إخراج بنى شداد منها نهائيا جزءا من مملكة الكرج ولكنها بقيت فى حوزة الزخارية يدفعون عنها الجزية . وامتدت أسوار المدينـــة فى أيامهم حتى بلغت شواطئ أرپاتشاى المنحدرة . وتدل الأبنية الدينية لذلك العصر على أن حكام الكرج كأســـلافهم اليونان كانوا يميلون إلى المذهب الأورثوذكسى اليونانى . وكان ذلك سيا فى انتشاره إذ ذاك . وهذا أمر أغفلته الأخبار المروية عن الأرمن . ولم يضطهد المســـلمون فى هذا العصر ، كما لم يضطهد المسيحيون أيام بنى شـــداد . ويشهد أحد المسلمين المعاصرين لهم (ابن حوقل طبعة ـ غوى ، ص ٢٤٢ وما بعدها) أن ملوك الكرج كانوا يحمون الإسلام من كل أذى ولم يفرقوا فى حكمهم بين المسلمين والكرج .

وحاصر خوارزم شاه جلال الدين مدينة آنى عام ١٢٢٦ فأخفق فى ذلك ، ثم فتحها المغل عام ١٢٣٩ ولكنها ظلت بعد هذا الفتح فى حوزة الزخارية مدة من الزمان . وتدل نقوش على الباب الأكبر على أنها كانت تعد بعد ذلك « الإقليم الخاص » (Khâss Indju) للمغل الذين حكموا فارس ، ولكنها لم تستعد ما كان لها من شأن .

وتقول الأخبار المأثورة عن القدماء إن زلزالا دمرها آخر الأمر فى عام ١٣١٩ . ولكن وجدت نقوش ونقود لعصر بعد هذا التاريخ . وتوجد نقود نحاسية ضربها فى آنى إيلخان سليمان (١٣٣٩ — ١٣٤٤) وهى تسمى عند الترك « نقود القرد » (maimun sikkesi) وعليها صورة فوقها شعر . وضرب الجلاير Djalâir فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر والقره قوينلو فى القرن الخامس عشر نقودا عليها اسم « آنى » ، وربما كانت دار السكة التى ضربوا فيها النقود فى قلعة مهزبرت على بعد ميلين من آنى . ومن المستحيل أن نستطيع تحديد الوقت الذى هجر فيه أهل آنى مدينتهم .

وتدل الحفائر على أنه بعد تهدم القصور والكنائس بنى السكان البؤساء الهمج مساكنهم على أنقاضها . وكان من اليسير أن يتبين الإنسان فى وضوح هذه البيوت وغرفها المختلفة والشوارع التى فتحت فى عصر متأخر ، وكان لا يزيد اتساعها على ١٢ أو ١٤ قدما . وكان هذا واضحا حتى قبل عمل الحفائر فى الوقت الذى زار فيه المدينة كر پورتر Ker Porter (نوفمبر ١٨١٧) .

واسم آنى يطلق الآن على قرية تركية قرب أطلال المدينـــة البائدة . والقرى المجاورة لمدينة آنى لا يوجد فيها مسجد تقام فيه صلاة الجمعة ، ولذلك كان الناس حتى عهد قريب يذهبون إلى مسجد تلك المدينة

الذى لم يصبه ما أصابها من دمار . وتقام فيه الصلاة مرة كل عام حتى فى هذه الأيام ورغم أن المسجد فقد حرمته الدينية بعد أن وضعت فيه الآثار التى تستخرج من الحفائر بما فيها تمثال الملك كاكيك وكثير من الأحجار المنقوش عليها الصلبان .

المصـــادر

أكثر ما توجد أخبار مدينة آنى فى المصادر الأرمنية وخصوصاً ما كتبه Stephan Asolik أحد المعاصرين للملك كاكيك الأول . أما المصادر العربية والفارسية ففيها أخبار مقتضبة جداً . ولم يرد ذكر المدينة جملة فيما كتبه جغرافيو العرب فى القرنين التاسع والعاشر . ويذكر ياقوت (طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٧٠) عنها سطراً واحداً . ولا يزيد حمد الله القزوينى (انظر نظام الملك : سياست نامه ، طبعة شيفر ملحق ص ٢٢٩) على القول بأن إقليم آنى بارد المناخ يكثر فيه القمح وبه قليل من الفاكهة (وقد ترجم G. le Strange : هذا القول فى كتابه المسمى *The lands of the eastern caliphate* ، ص ١٨٣ فقال « إنها مدينة بين الجبال تكثر فيها الفاكهة ») ويظهر أن ابن الأثير (طبعة ترنبرج ، ج ١٠ ، ص ٢٧) هو المؤرخ المسلم الوحيد الذى يصف موقع آنى وإن كان وصفه لها غير دقيق .

وأول من زار أطلال المدينة هو Gemelli-Carreri ، عام ١٧٨٨ (*Collection de tous les Voyages faits autour du monde* ، ج ٢ ، طبعة باريس ص ٩٤) . ثم وصفها Ker Porter وصفاً مستفيضاً فى سنة ١٨١٧ (*Travels* ، ج ١ ، طبعة لندن ١٨٢١ ، ص ١٧٢—١٧٥) . ومنذ صلح تركمان چاى *Turkmen-Cai* (عام ١٨٢٧) الذى نزلت فيه فارس عن إقليم إريوان Eriwan إلى الروسيا أصبح نهر أرپاتشاى هو الحد الفاصل بين الروسيا وتركية ، وأطلال آنى وإن كانت بعد ذلك أصبحت تركية إلا أنها صارت على مقربة من الحدود الروسية . وكان الرحالون يستطيعون زيارتها من روسيا بلا خوف ولا صعوبة . وقد رسم معالم المدينة باختصار Texier (١٨٣٩) . انظر كتاب *Voyages en Arménie* طبعة باريس ١٨٤٢ ، الأطلس ، لوحة رقم ١٤) وأبيخ Abich (عام ١٨٤٤ انظر M. Brosset : *Rapport* [illegible] *un Voyage dans la Géorgie et dans l'Arménie* ، طبعة سان بطرسبرج عام ١٨٥١ ، الأطلس ، لوحة رقم ٢٣ . ولنفس المؤلف كتاب *Les ruines d'Ani* طبعة سان بطرسبرج ١٨٦٠ الأطلس ، لوحة رقم ٣٠) . ولم يزل الرسم الذى عمله أبيخ يرجع إليه فى أعمال الحفر التى جرت فى السنوات الأخيرة . وقد وصف الآثار المسيحية خاصة Murawjew (١٨٤٨ . انظر كتابه *Gruzia i Armeniya* ، طبعة سان بطرسبرج ١٨٤٨) . وذكر النقوش الاسلامية Khanykow (١٨٤٨ انظر كتاب *Mélanges Asiatiques* ج ١ ، ص ٧٠ وما بعدها ، وانظر M. Brosset : الكتاب المتقدم ذكره ، التقرير الثالث ، ص ١٢١ — ١٥٠ . وتحوى مجموعة الصور التى جمعها كاستنر Kästner عام ١٨٥٠ رسوماً للآثار فى ٣٦ ورقة . ومجموعة نقوش أرمنية وعربية وفارسية

وكرجية فى ١١ ورقة (Brosset : *Les ruines d'Ani* ، ص ١٠ — ٦٣) . ويرجع الفضل فى جمع النقوش الأرمنية إلى مؤرخين من الأرمن هما نرسيس سركسيان Nerses [illegible]rgisyan وسرجيس جلاليانتس Sargis Djalalyantz . وقد نشر أليشان الأرمنى بحثاً فى تاريخ مدينة آنى معتمداً على ما كتبه هذان الرجلان (طبع فى البندقية سنة ١٨٥٥ باللغة الأرمنية ، انظر كتاب Brosset : *Melanges* ، ج [illegible] ، ص ٣٩٢ — ٤١٢) . على أن المؤلف لم يزر أطلال المدينة بنفسه ، ولكن النتائج التى وصل إليها أصبحت قليلة الغناء بعد حفائر السنين الأخيرة .

وصارت آنى جزءاً من الامبراطورية الروسية بعد الفتوح التى قامت بها الروسيا فى حرب ١٨٧٧ — ١٨٧٨ . ولكن أعمال الحفر لم تبدأ قبل سنة ١٨٩٢ ، وانقطعت مدة أحد عشر عاماً بعد سنة ١٨٩٣ ، ثم استمرت بانتظام منذ سنة ١٩٠٤ . ونتائج هذه الأبحاث التى يشرف عليها مار N. Marr تلق ضوءاً جديداً على تاريخ المدينة ، فالأبنية التى كانت قبل تنسب إلى البكرادونية تعتبر اليوم من آثار عصر متأخر عنهم . ومن جهة أخرى كشفت أشياء فى المدينة وفيما يجاورها هي من آثار العصر الأول للمسيحية فى بلاد إرمينية ، قبل أن تقضى المدنية اليونانية على تأثير الكنيسة السريانية . وتدل الحفائر دلالة واضحة على تأثير كل من العرب والفرس . على حين أنه لم يرد فيما يؤثر من تاريخ الكنيسة ما يسجل مثل هذا الاتصال بالثقافات الأجنبية ، فصار لنتائج الحفائر شأن كبير لا فيما يختص بالبحث فى تاريخ إرمينية فقط ، بل أيضاً فى البحث فى مسائل تاريخية عامة تتناول العلاقة بين المدنيتين الإسلامية والمسيحية .

ولما كانت أعمال الحفر لم تنته حتى الآن فليس فى متناولنا سوى مقالات متفرقة وتقارير عما كتب، نذكر منها : (١) *Ani, [illegible] drewnei armenii* ، طبعة سان بطرسبرج ١٨٩٨ ضمن مجموعة *Bratskaya pomoshc Arm i anam*) انظر *Mitteil. des Seminars für orientál. Sprachen, Westas. Stüd.* ، [illegible] ٢ ، ص ٩٣ وما بعدها (٢) *Raskopki* [illegible] *Ani w 1904 godu* ، سان بطرسبرج ١٩٠٦ ، من *Izw i estiya Imp. Archeologiceskoi Kommissii* ، ج ١٨ (٣) *Oraskopkach i rabotach w Ani* [illegible] *g. lietom* ، سان بطرسبرج ١٩٠٧ (٤) *Zapiski wostoc. otd. Imp. Russk. Arch. obshc, XVII. protoklly* ص ٢٥ — ٢٨ ، عن حفائر ١٩٠٥ . ولا يزال يعوزنا فيما يتعلق بتاريخ آنى بحث علمى يستند إلى نتائج الحفائر ، والحقائق التى نذكرها هنا مستمد بعضها من التقارير التى أشرنا إليها وبعضها مستق من مكاتبات بينى وبين الباحثين الذين ينقبون عن آثار آنى .

[بارتولد W. Barthold]

«أنية» : (تكتب أيضا أنّ والصفة أنّيّ) معناها الوجود أو الماهيـــة . ويقرؤها «باردنهيفر» Bardenhewer فى النسخة العربية التى نشرها لكتاب العلل Liber [illegible] Causis إنّيّة (انظر كتاب *Hermes Trismegistos* *De Castigatione Animae* ، ص ١٤١ —

١٤٢ وقد نشره باردنهيفر نفسه). ونجد تفسيرا صوفيا لأصل هذه الكلمة عند الجيلانى فى كتابه الإنسان الكامل ص ٢٧ حيث يقول إنها مشتقة من كلمة أنا ، ولذلك يترجمها محمد إقبال فى كتابه *The Development of Metaphysics In Persia* ، ص ٥٣ ، بالكلمة الانجليزية «I-ness» ، وجرى مجراه فى هذا نيكلسون (انظر مادة الإنسان الكامل) .

واذا أردنا أن نبين أصل تكوين كلمة أنية فخير ما نستطيع عمله هو أن نجمع بين طريقة التفكير الأفلاطونية وما جرى عليه أرسطو فى تعبيره اللغوى . فهى تدل على الماهية أو الوجود كما كان يفهمه أفلاطون (οὐσία 'όν) وباعتباره أعم المقولات . ولكن الاسم مأخوذ من كلمة أرسطو ὅτι ومعنـــاه الوجود باعتباره متميزا عن الماهية ، إذا حددت تحديدا كيفيا . وذاع استعمال كلمة أنية على هذا النحو فى اللغة العربية من الأصل العربى لكتاب أوتولوجيا المنسوب لأرسطاليس ومن كتاب العلل .

ويذكر فى كتاب أوتولوجيا (ص ١٠٨ من النسخة العربية التى نشرها ديتريصى) أوائل ستة هى : العقل والأنيةُ والغيرية والهوية والحركة والسكون . والعقل هو أول شىء أبدعه الله . ولكنا لا نستطيع أن نفهم الأوائل الخمسة الباقية إلا إذا وضعناها بإزاء المقولات الخمسة العليا التى ذكرها أفلاطون فى كتابه المسمى « السوفسطائيين Sophistes » وهى ١ — 'όν ٢ — θάτερον ٣ — ταυτόν ٤ — χίνηδς ٥ — στάτις (ولا أهمية بترتيب هذه المقولات من ٢ — ٥) . وقد أصاب هوروفتز فى التنبيـــه على ما للمقولات الأفلاطونية من شأن فى تطور علم الكلام (فى كتابه *Uber den Einfluss der Griechischen Philosophie etc.* ، ص ٤٧ وما بعدها ، ص ٧٠ وما بعدها . ولو أنه لم يقتبس هذا النص من كتاب أتولوجيا) .

وللأنية من القدر فى كتاب العلل فوق ما لها فى كتاب أوتولوجيا ؛ ففى الفقرات ١ — ١٤ من كتاب العلل ما يدل على أن الله هو العلة الأولى والأنية المحضة المطلقة التى هى عين الوجود وعنه تصدر الأنية ، وهى أول معلول وهى أقل كمالا من العلة الأولى ذاتها ، ويلى الأنيـة من الموجودات المعلولة العقل ثم تتلوه باقى مراتب الصدور . ولكنا نجد فى الفقرة ٢٢ ما يبين أن العقل هو المخلوق الأول وتذكر الهوية فى فقرة ١٥ وما بعدها من غير أن تميز تميزا واضحا من الأنية وفى كتاب الفصوص للفارابى (الفص الأول وما بعده) الهوية مساوية للأنية .

وعلى هذا فإن الأنية معناها فيما يتعلق بالمخلوقات الوجود الخارجى باعتباره متميزا عن الماهية . والموجودات والأشـــياء كلها تسمى أنيات لأن لها ضربا من الوجود الجزئى (τόδετι) بحسب مراتبها فى الوجود المادى أو فى العقلى . والإنيات العقلية لا تتغير

على الدوام أما المادية فهى فانية .

وصارت كلتا وجود وموجود منذ أيام الفارابى وإن كانتا معروفتين قبله بزمن طويل تستعملان فى الاصطلاح الفلسفى للدلالة على الماهية والوجود الخارجى .

[ده بور De Boer]

« الأهدل » : الحسين بن عبد الرحمن ابن محمد الحسنى بدر الدين ، هو أحد مؤرخى العرب ، ولد عام ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) ، وتوفى عام ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) . ومن تآليفه مختصر لتاريخ الجندى عن اليمن عنوانه « تحفة الزمن فى أعيان أهل اليمن » .

المصـــــادر

(١) Brockelmann : *Gesch. d. arab. Litter.* ، ص ١٨٥ (٢) Kay : *Yaman, its early mediaeval History* ، ص ١٨ وما بعدها .

«أهل» : يدل المعنى الأصلى لهذه الكلمة على من يسكنون معاً خيمة واحدة (والكلمة العبرية هى أوهل) ، فهى تدل على الأسرة والأصدقاء . وأهل البيت هم أهل بيت النبى وذريته . وإذا ذكرت كلمة أهل ، وجمعها أهالى ، مضافة إلى بلدة أو مملكة فإنها تدل على سكانها . وتدل أحياناً كما هو الحال فى المدينة المنورة على من ولدوا فيها ، وكانوا يملكون فيها منازل . وهذا هو رأى بيرتون Burton . ولكن لكلمة أهل معانى أخرى أدق مما تقدم ؛ فقد تدل على الاشتراك فى شىء أو الانتماء إليه أو امتلاكه . وتركب من أهل ومن غيرها عبـــارات أكثرها شيوعاً فى الاستعمال ما يأتى :

« أهل الأهواء » : المفرد هوى ومعناه رأى أو ميل النفس (انظر سورة الأنعام آية ١٥٠) . ويطلق متكلمو أهل السنة عبارة أهل الأهواء على المسلمين الذين انحرفت عقائدهم الدينية فى بعض الفروع عن عقيدة أهل السنة (انظر *Zeitschr. d. Deutsch. morgenl. Gesellsch.* ، عدد ٤٨ ، ص ١٥٩) . ويذكر من بين أهل الأهواء مثلا الجبرية والقـدرية والروافض والخوارج والمجسمة والمعطلة . ونستطيع أن نستنبط من التعريف المتقدم أنه لا يصح عند متكلمى الإسلام أن نسمى أهل الأهواء فرقاً .

[جولدسيهر Goldziher]

«أهل البيت» : يستند الشيعة وعامة المسلمين الموالين لعلى إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب للقول بأن تسمية أهل البيت لا يقصد بها على وفاطمة وأبناؤهما ونسلهم ،

ويجعلون لهم أسمى الفضائل الخلقية والروحية والمكانة الأولى فى الإمامة السياسية والدينية فى الإسلام .

ويغالى العلويون (انظر هذه المادة) فى هذه الآراء مغالاة تختلف قوة وضعفا تبعا للبيئات التى يعيشون فيها . وأشار ابن سعد إلى أن تسمية أهل البيت (جـ ٤ ، ق ١ ، ص ٥٩ ، س ١٥) تطلق على أسرة النبى تمييزاً لهم عن المهاجرين والأنصار[١] . أما مفسرو أهل السنة فيجعلون تسمية أهل البيت تتسع من وجوه شتى لتشمل فروع بنى هاشم وما لهم من موالى ، (انظر مادة مولى) . وكان لا يحق لهم بحكم الشريعة أن يأخذوا الصدقة [انظر القدورى فى كتابه المختصر (قازان ١٨٨٠ ص ٢٣) ، والنووى : النهاية (طبعة فاندنبرج جـ ٢ ص ٣٠٥) وابن قاسم الغزى : كتاب فتح القريب ، طبعة فاندنبرج ص ٢٥٢] . والتأويل المعتمد عند معظم أهل السنة لا يقصر معنى أهل البيت على بنى هاشم بمعنى ضيق أو واسع ، بل يعتبر من أهل البيت كل أزواج النبى وأبنائه وكذلك علياً زوج ابنته ، وهذا يعارض تفسير العلويين لمعنى أهل البيت (انظر مادة آل وانظر أيضاً تفسير سورة الأحزاب آية ٣٣ ، وتفسير البخارى : فضائل الأصحاب ، رقم ٣٠ (القسطلانى ، جـ ٦ ، ص ١٥١) . وفى كتاب ابن حجر الهيتمى المسمى « الصواعق المحرقة » (طبعة القاهرة ، ١٣١٢ ، ص ٨٧ وما بعدها) بحث واف لما تدل عليه عبارة أهل البيت على غير ما يفهمه الشيعة .

[جولدسيهر Goldziher]

« أهل البيوتات » : كانت تطلق هذه العبارة أول الأمر على المنتسبين للأسر الفارسية الشريفة (Nöldeke : *Gesch. d. Perser u.Araber zur. Zeit der Sasaniden* ص ٧١) ، ثم صارت تدل على الأشراف جملة . وقد ذكر دوزى Dozy لهذه العبارة معانى أخرى (انظر *Supplément* ، جـ ١ ، ص ١٣١) .

« أهل التوحيد » : انظر المعتزلة .

« أهل الجبل » : تطلق هذه العبارة فى فلسطين بنوع خاص على بدو حوران .

---

(١) الذى فى ابن سعد فى هذا الموضع قصة فيها أن المهاجرين والأنصار اختلفوا فى سلمان الفارسى ، كل فريق يريد أن يعمل معه فى حفر الخندق « وكان رجلا قوياً » . فقال كل فريق منهم « سلمان منا » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حينئذ : « سلمان منا أهل البيت » ، وهذا حديث ضعيف الاسناد ، ورواه الحاكم أيضاً باختصار فى المستدرك (٣ : ٥٩٨) . وإن صح فإنما هى كلمة تكريم لسلمان ، لا يفهم منها فى لغة العرب أن أهل البيت فريق آخر غير المهاجرين والأنصار بل هم من المهاجرين جميعا .

احمد محمد شاكر

«أهل الحديث»: ويسمون أيضاً أصحاب الحديث (انظر مادة حديث) تمييزاً لهم عن أهل الرأى وعن أصحاب الفرق جملة. ويسمى الوهابيون (انظر هذه المادة) فى الهند أنفسهم بهذا الاسم[1].

«أهل الحق»: انظر مقال على إلاهى

«أهل الحق»: معناها «رجال الله» وهم أصحاب نحلة باطنية توجد فى غرب بلاد فارس على وجه خاص. ولو أردنا اختيار تسمية لهذه الطائفة لوجدنا أن عبارة «أهل الحق» تنقصها الدقة لأنها كانت تستعمل فى معنى آخر عند الحروفيين (انظر Huart: *Textes persans relatifs à la secte des Hurūfis* فى *Gibb Memorial Series*، عام ١٩٠٩ ص ٤٠)، ولأنها تلتبس باصطلاحات المتصوفة مثل «أهل الحقيقة»، وهى عبارة يستعملها «أهل الحق» أيضا.

وعبارة «أهل الحق» بمعناها الخاص هى التسمية التى أطلقها أهل النحلة التى تتناولها بالبحث فى هذا المقال على أنفسهم. أما عبارة «على إلاهى» (انظر هذه المادة) التى يطلقها عليهم جيرانهم فليست صالحة لذلك لأن عليا ليس حجر الزاوية فى نحلة «أهل الحق»، هذا إلى أن عبارة «على إلاهى» تستعمل فى الكلام عن فرق لم يقم بعد دليل على صلتهم «بأهل الحق» [انظر «العلى إلاهية» الذين يذكرهم الشيخ فانى فى أواخر القرن السابع عشر، فى كتابه دبستان، وربما كانوا من أهل البلاد المحيطة بمنابع نهر السند (انظر Minorsky: *Notes...* ص ٦٧].

تاريخ معرفتنا بأهل الحق:

كان أقدم ما ورد من ذكر «أهل الحق» فى كتب الرحالين الأوربيين فى أوائل القرن التاسع عشر [Macdonald Kinneir: *A Geographical Memoir of the Persian Empire*، عام ١٨١٣ ص ١٤١؛ G.Keppel: *Personal Narrative of a Journey from India to England* عام ١٨١٧، ج ٢، ص ٦١ وما بعدها]. وأول من نشر مذكرات جديرة بأن ترجع إليها فى أمر هذه الطائفة هو H.Rawlinson رولنسون الذى كان يقود كتيبة من قبيلة كوران (انظر *Notes on a March from Zohab* فى *Journal of the Royal Geographical Society*، عدد ٩ من سنة ١٨٣٩ ص ٣٦، ٣٩، ٥٣، ٥٧، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩). وقد زار البارون

---

(١) إطلاق كلمة «الوهابيين» على أهل الحديث فى الهند إنما هو تصرف من خصومهم، كما يفعل أمثالهم هنا فى مصر وفى غيرها من البلاد. وأهل نجد لا يعرفون لقب «وهابى» الذى يرميهم به أعداؤهم خدمة للأهواء السياسية التى استعملت لنصرتها العصبيات المذهبية.

احمد محمد شاكر

ده بود Baron de Böde معبد « بابا يادكار » (انظر Bibliotheka dl'a cteriya « سان بطرسبورج ، عام ١٨٥٤ ، جـ ١٢٣ ص ٤٥ ؛ وانظر كتابه المسمى « *Travels in Luristan* » ١٨٥٤ ، جـ ١ ص ٣٧١–٣٧٨ و جـ ٢ ص ١٨٠) . ونجد أول بيان واف لعقائد أهل حق فى كتاب الكونت دى جوبينو Conte [illegible] Gobineau اسمه : « *Trois* [illegible] *Asie* » (باريس ١٨٥٩ ، ص ٣٣٨–٣٧٠) . وكان هذا الرجل قد اتصل « بأهل الحق » مباشرة فى طهران . (انظر Sche[illegible]n, *Gobineau, une biographie* ، استراسبورج ، جـ ١ ، عام ١٩١٣ ص ٥٠٦ ومابعدها ؛ وانظر Minorsky: *Gobineau et la Perse* فى مجلة *Europe* ، باريس ، أول اكتوبر سنة ١٩٢٣ ، ص ١١٦–١٢٧) . وظهر فى جريدة *Kavkaz* التى صدرت فى تفليس (عام ١٨٧٦ ؛ عدد ٢٧، ٢٩، ٣٠) مقال جيد جدا عن شعبة أهل الحق فى تبريز لشخص غير معروف نشره بتوقيع [illegible] . ونشر V.A. Zukowsky فى مجلة *Zapiski* ، سنة ١٨٨٧ ص ١ – ٢٥ ، أول مستند صحيح لأهل الحق ، وهو عقيدتهم الكلامية فى ٣٤ بيتا من الشعر، وأضاف إليه ملاحظات هامة .

وجمع المبشر الأمريكى S. G. Wilson فى كتابه *Persian Life and Customs* معلومات جديدة . وفى عام ١٩٠٢ أسعد الحظ كاتب هذا المقال فحصل فى طهران على مخطوط صحيح من كتب أهل الحق مكتوب بالفارسية يرجع تاريخه إلى سنة ١٢٥٩ [illegible] (١٨٤٣ م) ، ويشمل تاريخ هذه الطائفة الدينى واسمه « كتاب سرانجام » أى « كتاب النهاية أو التمام » ؛ كما حصل على طائفة من عقائدهم مكتوبة بالتركية ، ترجمت إلى الروسية ونشرت عام ١٩١١ . وقد نشرت بالفرنسية عام ١٩٢٠ – ١٩٢١ فى كتابى المسمى *Notes....* نتائج أبحاثى الخاصة بين أهل الحق فى طهران وتبريز وماكو وكردستان ، ونتائج زياراتى لأمكنتهم المقدسة مثل « بابا يادكار » و « برديور » . ويجد القارئ فى هذا الكتاب أيضا ترجمة رسالة كتبها أحد البهائية فى الطعن على « أهل الحق » . وقد أتاح لى الاطلاع على هذه الرسالة المرحوم الدكتور مان O. Mann (وهى الآن فى مكتبة *Preussische. Staats-bibliotek* ، مجموعة مخطوطات، ١٩٠٤، رقم ٣٠) . وفى المخطوطات التى جمعت منذ ١٩٠٢ ولم يتم نشرها بعد ، كثير من الكلام الذى يشرح عقائدهم باللغتين الكورانية والتركية ، وكذلك كتاب « فرقان الأخبار » وله أهمية فى عرض هذه العقائد .

والطريق الوحيد الذى نأمن فيه الزلل فى معالجة هذا البحث هو أن نصف « أهل الحق » معتمدين على الوثائق الصحيحة ، وألا نعتبر ما جاء فى كتب الرحالين إلا فى موضع الاستشهاد . وأمام هذه المهمة صعوبات : فالنصوص التى فى متناول أيدينا قليلة ، وهى فى الغالب مكتوبة بلهجات عامية ومملوءة

باصطلاحات غامضة المعنى. ومن جهة أخرى فهناك شعب كثيرة لجماعة « أهل الحق ». فهم طائفة لاتجمعهم وحدة فى العقيدة، بل هم أقرب إلى أن يمثلوا حركات كثيرة يتصل بعضها ببعض وتنتظم فى نوع من الاتحاد. ويستطيع القارئ أن يرجع إلى بيان الفرق التى افترقوا إليها فى كتاب Minorsky : *Notes...*، ص ٤٦

وهم من الوجهة النظرية اثنا عشر «خاندان» أو سلسلة ، ولكن توجد شعب أخرى عدا ما جاء فى هذا الكتاب مثل شعبة السيد جلالى (انظر Minoroky: *Notes* ص٤٨) و«التوماري» وهم فرقة انشعبت إلى فرق كثيرة (انظر Minorsky : *Études* ج ١) .

ويلوح لنا مما كتبه جوبينو Gobineau ومن كتاب «فرقان الأخبار» أن لأهل الحق مذهباً فلسفياً دينياً وراء القصص البسيطة التى فى كتاب سرانجام فى النسخة المكتوبة بلغة أتشبكى. وما ذهب إليه جوبينو من أن عقائد شعبة أتشبكى ضيقة لا يظهر فيها الرقى الفكرى له ما يؤيده . ونظراً لأننا نعرف الآن من أمر هذه الشعبة أكثر مما نعرفه من أمر غيرها فإن ما سنكتبه هنا مستق معظمه من كتب أتشبكى، وسنتبعه بنصوص من « فرقان الأخبار » الذى ألفه خاموشى (؟).

عقائد أهل الحق :

النقطة الأساسية فى عقائد أهل الحق هى قولهم إن الإله يتجسد فى صور متعاقبة عددها سبع. وهم يشبهون تجسد الإله بثياب يلبسها : فالتجسد معناه عندهم المجىء أو الحلول فى لباس (لباس أو جامه أو دون وبالتركية طوُن) .

والإله يظهر فى كل مرة ووراءه أربعة أو خمسة من الملائكة . (ياران چار ملك) وهو يؤلف معهم فئة متحدة .

وأطوار التجسد كما يؤخذ من « كتاب سرانجام » مبينة فيما بعد : —

كان الإله فى الأزل داخل درة ، ثم تجسد لأول مرة فظهر فى شخص « خاوندكار » أى خالق العالم ، وتجسد للمرة الثانية فى شخص « على » . ومن مبدأ المرتبة الثالثة يظهر الابتكار فى قول « أهل الحق » فى التجسد ، ويصبح مذهباً خاصاً بهم . والمراتب الأربعة الأولى فى التجسد تقابل مراتب المعرفة الدينية وهى : الشريعة فى المقام الأول ، والطريقة فى الثانى والمعرفة فى الثالث، والحقيقة فى الرابع . وقد بلغت نحلة « أهل الحق » أوج عظمتها فى عصر السلطان صُهَاك الذى يعتبره « أهل الحق » جميعا مؤسس ديانتهم (انظر مقال سلطان صهاك؛ وفى ثبت ألفاظ للدراويش مكتوب فى القرن الخامس عشر نجد أن كلمة صُهَاك تستعمل مرادفة لكلمة صوفى (انظر Lvanow فى مجلة *Journal and Proceedings of the Asiatic Soc. of Bengal* عام ١٩٢٢ ص ٣٧٥ —

٣٨٣) . على أنه تروى آراء مختلفة عن خلفاء السلطان صهاك . وآخر صورة للتجسد كما يؤخذ من ثبت أتشبكى (انظر ما تقدم) هو خان أتش (أتش بك) .

وكما أن الإله يتجسد فى الصور السبع فالملائكة كذلك يتجسد بعضهم فى بعض ، ولذلك يسمى بعضهم باسم البعض الآخر . ولهذا نجد اسم سلمان يذكر فى عهد السلطان صهاك ، واسم بنيامين فى عهد خاوندكار .

والملائكة صادرة عن الإله : صدر أولهم من إبط « خاوندكار » والثانى من فمه والثالث من نَفَسه والرابع من عرقه والخامس من نوره (انظر كتاب سرانجام) . ويؤخذ من نص آخر أن بنيامين خلق من العرق وهو رمز التواضع وداود خلق من النَفَس وهو رمز الغضب ، وموسى من الشارب وهو رمز الرحمة ورزبار من النبض وهو رمز الإحسان.

وتقوم الملائكة من الإله مقام الوزراء : فبنيامين هو الوكيل والشيخ ، وداود هو الناظر والقاضى (؟) ، والشيخ موسى هو الوزير الذى يكتب الخير والشر ، ومصطفى دودان أو نُصَير هو ملك الموت .

	١	٢	٣	٤	٥
١ — خاوندكار	جبرائيل	ميكائيل	إسرافيل	عزرائيل	؟
٢ — مرتضى على	سلمان	قنبر	حضرت محمد	نصير	فاطمة
٣ — شاه خُشين	بابا بزرك	كاكا ردا(رضا)	كور فقى	بابا طاهر	ماما جلالة
٤ — السلطان صهاك	بنيامين	داود	پير موسى	مصطفى دودان	خاتون دايره
٥ — قرمزى (شاه ويس قولى)	كامريجان	يارجان	يارلى	شاه سوار أغا	رزبار
٦ — محمد بك	جمشيد بك	الماس بك	أبدال بك	؟	پرى خان شرط
٧ — خان أتش	خان جمشيد	خان الماس	خان أبدال	؟	دستى خانم

ويقال عادة إن الملائكة أربعة . ويقل عددهم فى بعض العصور وفى بعض الكتب فيصيرون ثلاثة . والحق أن هناك ملكا خامسا من شأنه الإشراف على العبادة خاصة. والاسم الرمزى لهذا الملك هو « رزبار أو رظبار أو رمزبار أى الموكل بالأسرار . وهو أنثى من غير شك ، وإن كانت كلمة رزبار غير واضحة الدلالة على النوع ، بل يذهب بعض الكتاب إلى أن « رزبار » خنثى وهو اسم رمزى لخاتون دايره أم السلطان صهاك . ومؤلف الجدول المتقدم مخطئ فى تأخيرها إلى العصر الخامس .

ويستطيع القارئ أن يرجع إلى ما ذكرناه بعد هذا نقلا عن « فرقان الأخبار » إن أراد

معرفة طوائف أخرى فى التجسد . وطائفة « چل تان Gil-tan » ليست من الطوائف التى تصطبغ بصبغة « أهل الحق » . وتؤكد بعض العقائد أن هؤلاء « الأشخاص الاربعين » خلقوا فى عصر على . وهناك أسطورة وردت فى مصدر موثوق به من مصادر « أهل الحق » (انظر *Notes* ص ٢٧) تقول بأنهم اجتمعوا بالنبى محمد وهى تتفق تمام الاتفاق مع ماوجده *M. Hartmann* شائعا بين مسلمى التركستان الصينية (انظر مجلة *Mitteilungen des Sem. für oriental. Sprachen, West-asiat, Studien*، عام ١٩٠٥ ص ٢٥ — ٣٨) .

التناسخ والعالم الآخر :

يقابل اعتقاد « أهل الحق » بالتجسد المتكرر اعتقادهم العام بالتناسخ . « أيها الرجال ! لاتخافوا عقوبة الموت فموت الإنسان شبيه باختفاء البطة تحت الماء »

ولا بد أن يمر الانسان فى أطوار من التجسد يبلغ عددها ألفاً وواحدا يلقى أثناءها جزاء أعماله (انظر *Notes* : ص ١٣١) . وإمكان التطهر يتوقف فى جوهره على طبيعة الموجودات ، فبعضها مخلوق من الطين الأصفر (زردكيل) وهم الأخيار ، والباقون خلقوا من طين أسود (سياه خاك) وهم الأشرار . « وكلما أوغل الأولون فى عالم التجسدات وكلما زادت آلامهم اقتربوا من الله وزاد نصيبهم من النور » . أما « أهل الظلام » فلن يروا الشمس قط . ويكمل أهل الحق هذه العقائد بترقبهم مجىء « صاحب الزمان » الذى سيجىء « ويحقق أمانى الأحباب ويحيط بالعالم » . وعندهم كثير من العبارات التنبؤية التى تبشر بظهور المسيح . أما يوم الحساب فيقولون إنه سيكون فى سهل شهر زور (انظر هذه المادة) ، أو فى سهل السلطانية (انظر هذه المادة) حيث يفنى السلاطين (انظر *Notes* ص ٤٤) . وجاء فى فرقان الأخبار « ١ » ص ٥٧ أن الأخيار سيدخلون الجنة التى هى التأمل فى جمال رب المكارم ، أما الأشرار فصيرهم إلى العدم .

شعائر أهل الحق

لأهل الحق شعائر ابتدعوها بأنفسهم :

(١) وقل أن تجد عندهم ذكرا لصلاة الفرد . وهم يجعلون شأنا كبيرا للجماعة التى « يسهل فيها حل كل أمر عسير » . فالعنصر الاجتماعى بارز عند « أهل الحق » وهم يعقدون الاجتماعات فى مواعيد ثابتة ، وعند الحوادث الهامة . وينشدون الأناشيد مصحوبة بعزف الموسيقى .

(٢) وتقام الأذكار (انظر هذه المادة) فى مناسبات معينة . وفيها يدخل بعض الدراويش فى حالة من الغيبوبة يصحبها فقدان للاحساس بحيث يستطيعون المشى على الجمر أو القبض عليه بأيديهم .

(٣) ولا تخلو الاجتماعات قط من القرابين والضحايا : فنها « نذر ونياز » وهى

قرابين نيئة تشمل ذكور الحيوان كالثيران والخراف والديكة التي تربى لتكون ضحايا ، ومنها « خير وخدمت » وهي (أطعمة مطبوخة كالسكر والخبز ونحوها) ويعدد « فرقان أهل الحق » ، ج ١ ، ص ٧٤ أربعة عشر نوعا من الضحايا ذات الدم أو غير ذات الدم (قربان خوندار وبيخون) . وتنظم شعائر التضحية ويستخلص اللحم من العظم . فيحرق العظم ، أما اللحم فيسلق ويوزع وغيره من القرابين على الحاضرين . وتعاقب خطب الوعظ والإرشاد ، ويطلق على الاحتفال اسم « سبزنمودن » ومعناه جعل الشيء أخضر أي حياً ، وبعثه إلى الحياة (انظر *Notes* ص ٢١٠) .

(٤) « وكما أن كل درويش يجب أن يكون له مرشد روحي ، فكذلك يعهد بكل واحد من « أهل الحق » إلى شيخ . وفي أثناء هذا الاحتفال الذي يسمونه «سرسپردن» يقف الأشخاص الذين يمثلون الملائكة الخمسة حول الطفل ، ثم يكسر المحتفل جوزة « جوزى بوا » رمزا للرأس ، ثم تلبس الجوزة تميمة وعليها قطعة من الفضة تسمى « هويزة » تحمل رمز العقيدة الشيعية (واسم هويزة مأخوذ من مدينة هويزة الشيعية من أعمال خوزستان (انظر كتابي *Notes* ص ٢٢٧ وانظر كتاب W. Caskel : *Ein Mahdi des 15 Jahrhunderts* المنشور في مجلة *Islamica* ج ٤ عام ١٩٣١ ص ٤٨ — ٩٣) . وتنشأ بعد ذلك صلة رحم بين ذلك الطفل وبين شيخه ، وتحمل الصلة الروحية في ثناياها تحريم الزواج بين ذلك الشخص وبين أسرة الشيخ .

(٥) ولكي يمكن الوصول إلى الكمال الخلق تعقد صلات خاصة بين رجل (أو جملة رجال) وبين امرأة ويسمون أخوة لها ، وهي أخت لهم (شرط إقرار) ويزعمون أن هذه الصلة تعقد لتكون صورة سابقة ليوم البعث (انظر *Notes* ص ٢٣٠ وقارن ذلك بأخ وأخت الآخرة عند اليزيدية) .

(٦) ويحافظ « أهل الحق » على الصوم بكل دقة ، ولكن صومهم لا يتجاوز ثلاثة أيام كما عند اليزيدية (انظر هذه المادة) ، ويكون صومهم في الشتاء ، ويعقبه عيد ، وفرقة أتشبكى دون سائر فرق « أهل الحق » ، هم الذين لا يحافظون على الصيام « لأن أيام الصوم الأخير قد اقتربت ، فبدل أن يصوم الإنسان ينبغي أن يفطر .

وليرجع القارئ إلى كتابي « *Notes..* » ليعرف بقية العادات والشعائر الدينية . والشعائر تقوم عادة على غرار الشعائر التي وضعت في عهد خاوندكار وخصوصاً في عهد السلطان صهاك ؛ « فإسلام الرأس » توحي به القصة المذكورة في مقال السلطان اسحاق : ويراد من الصيام إحياء ذكرى الرجال المسمين « قبلتاسان » الذين لقوا حتفهم في العاصفة وهم يحاولون اللحاق بملك العالم (انظر *Notes*

ص ٢١٩) . ونحر الديك ضحيـــة جعل تذكاراً لموت ، سيد اسكندر ، الذى مات فى شبابه باختياره ليكفر عن خطيئة مصطفى (انظر *Notes* ص ٢١٩) . ويظهر أن أصل العلاقات الأخوية التى يعقدونها ترجع إلى العلاقة التى كانت بين ، رزبار ومصطفى دوان ، (ويعتبر هذان الشخصان أحيـاناً شخصاً واحداً) .

فرقان الأخبار :

مؤلف هذه الرسالة هو ، الحاج نعمة الله ، من بلدة جيحون آباد قرب دينور (١٨٧١ — ١٩٢٠) . وكان من شعبة خاموش ، واعتقد أنه قد آن الأوان لكشف الحقيقة . وكتب ابنه نور على شاه (ولد عام ١٣١٣ هـ = ١٨٩٥ م) تاريخ حياة أبيـــه ، وكتب مقدمة لكتاب الفرقان عنوانهـا ، كشف الحقائق ، وبينما يؤيد كتاب ، الفرقان ، كثيراً مما عرف من قبل فإنه إلى جانب هذا يشمل تقاليد تختلف عن تقاليـد ، أتشبكى ، فهو لا يذكر سبعة عصور للتجسد ، ويجعل لخاوندكار وللسلطان صهاك مكاناً خاصاً . ولكنه يزيد فى عدد التجسدات القليلة الشأن (بابا ناعوث وغيره) .

ويتألف ، الفرقان ، من أربعـة أجزاء يبحث أولها فى الأصول الكبرى للحقيقة التى وضعها الإله فى الأزل . وفى عصر ، يائى غيبت Ya-yi Ghaibet ظهر هذا الإله فى صورة خاوندكار . وظلت الشريعة مكتومة إلى أن جاء السلطان اسحاق ، وعنـدها سجل المؤرخون ، الدفترداررون ، هذه العقائد كل على طريقته وعلى حسب المصادر التى وصل إليها . ولهذا لا يوجد ، لأهل الحق ، كتاب مقدس واحد . وتمتاز كل طائفة منهم بآراء تخالف ما تمتاز به الأخرى . فكان يعوز أهل الحق ، قطب الكل ، يكون واحداً للجميع ولذلك فإنه بعد سـنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ترك ، نعمة الله ، الدنيـا ، بأمر من الله ، وصار ، رسول صاحب الزمان ، ، أى الشيخ بنيامين (بن + يا + أمين أى ابن يا البار) . وبعد هذا يأتى تفسير التناسخ (كردش دون بدون ومعناها الانتقال من لباس إلى آخر) .

والعدد ، سبعة ، له شأن هام دائمـاً فى كتاب الفرقان . فالملائكة الأربعة ، يعتبرون فى العادة أعضاء من ، الهفتـتن أى السابوع ، الذى يتكون كما يلى : ١ — بنيامين ، شيخ العالمين ، ٢ — داود كبود سوار ومعناه ، فارس الريح ، وهو مرشد المؤمنين جميعاً ويجب على كل واحد منهم أن يدفع له جزية قدرها أربع ، شاهيات ، ٣ — الشيخ موسى وهو وزير السلطان صهاك وكاتبه ٤ — الشيخ رضبار وهو ملك ورمز ٥ — مصطفى داودان وهو القيم على العذاب وملك الموت ٦ — شاه إبراهيم بوزه سوار ، فارس الثلج ، وهو وارث السلطان صهاك ومساعده ويسمى ، مالك طيار ، أى صاحب الطير وشهباز أى ، صقر الملك ، ٧ — بابايادكار ، ذكرى الحق ، وكان اسمه إيوات وهو الشفيع يوم البعث . والسابوع

« من أهل الدار الآخرة » . وبعد رحلة السلطان صهاك والملائكة بنيامين وداود وموسى ورضبار ومصطفى جلس شاه إبراهيم على عرش السلطنة ، وجاء بعد الشيخ بنيامين هفتوانة أى سابوع آخر هم قميص جسد السابوع القريب من العرش . أفراد هذا السابوع الجديد هم : ١ — سيد أبو الوفا ٣ — حاجى بابا حسين ٤ — مير ٥ — سيد مصطفى ٦ — شيخ شهاب الدين ٧ — الشيخ حبيب شاه ، وهو الصورة التى تجسدت فيها خاتونه بشيره ورمز الهفتوانه »

ويقولون من جهة أخرى إن الهفتوانة هم السبعة النيام (انظر أصحاب الكهف) وقد تجسد كلبهم فى « العشرة آلاف غلام » . والهفتوانة هم سادة هذا العالم وهم الذرات التى يتألف منها جميع أهل النور . وإذا فنى العالم فنيت الهفتوانة ، واندمجوا فى السابوع لأنهم كانوا وإياه فى أول الأمر شيئاً واحداً .

ويحصى نعمة الله الأسرات (خاندان) الإحدى عشرة التى يتألف منها أهل الحق ، ويسمى خمسة من هذه الأسرات باسم أعضاء السابوع المسمى « هفتوانة » وهم : السيد محمد أبو شاه ابراهيم ، والسيد أبو الوفا جد السيد خاموش والسيد بابا حسين ، وحضرت مير والسيد مصطفى . وتكون الأسرتان الأوليان بيتاً يحرم الزواج بين أفراده ، ولكن يباح لهؤلاء أن يتزوجوا من البيت الآخر الذى يتألف من الأسرات الثلاثة الباقية . أما الأسرات الست الأخرى فتسمى باسم شاه مهمان وهم أشخاص حل فيهم الإله مدة من الزمان : وهم بابا يادكار وعلى كُلَندر وذو النور قلندر وشاه ويس قلى (قرمزى) الذى خلفه آتش بك وبابا حيدر وشاه حياس الثانى . والأسرة الثانية عشرة هى أسرة صاحب الزمان الذى لا يعرف « فى أية أمة سيظهر ولا فى أى دين .

وتنقسم مخلوقات هذا العالم قسمين متمايزين على حسب العنصر الأول الذى تتكون منه أى الطين الأسود أو الأصفر . والقسم الأول هم الناجون وأهل النور ولهم رئيسان متعاقبان هما بنيامين والسيد محمد (فى صورة بزرك سوار) . أما القسم الثانى فهم موجودات من نار وظلمة ولهم رئيسان متعاقبان هما إبليس وخناس ومعهما الخلفاء الثلاثة الأولون ومعاوية وعائشة وغيرهم . وينشأ من اختلاط القسمين كائنات يمكن تعرفها من ظاهرها .

ويقول أهل الحق بوجود مجموعة من الأوزان ، والله وحده هو الذى يساوى منًا ([انظر مادة بطمن] . ومن كلمة فارسية معناها « أنا ») . ووزن الهفتوانه ٧٢ يرا أى ثمانين مثقالا (منها ٧٢ مثقالا تعادل الـ٧٢ يرا وثمانية مثاقيل تعادل الهفتوانة السبعة وذات الحق) الخ ...

والجزء الثانى من « فرقان الأخبار » يعنى خاصة بصور التجسد المختلفة التى تظهر على مر العصور . فالصور التى يظهر فيها بنيامين

مثلا هى صور نوح وعيسى وأحيانا (مهمان) وهورستم الذى يذكر فى الشعر الفارسى الذى يتحدث عن الأبطال. والصور التى يظهر فيها رزبار هى صور بلقيس ملكة سبأ ومريم وغيرهما، والصور التى يتجسد فيها السيد محمد هى صور زرادشت والنبى محمد الخ... ثم يورد بعد ذلك تاريخ السلطان اسحاق (صهاك) ومن جاء بعده.

ويفرق الكتاب بين التجسد الكامل (بذات قرس) وهو الذى حدث فى أشخاص خاوندكار (تجسد نورانى)، وسلطان اسحاق (تجسد بلورى)، وبين التجسد الذى سيحدث فى آخر العالم (وهو التجسد الجوهرى) وبين أنواع التجسد القصيرة الأجل (ذات مهمان). وفى آخر هذا الجزء من فرقان أهل الحق قوائم مفصلة عن التجسدات الصغرى: كالسبع سردارات والسبع قولطاسات أى شيوخ الاجتماعات وهم الحاجب (يساول)، والخادم والسقاة والفراش والموسيقيون وغيرهم. ثم يتحدث الكتاب عن الأربعين جلتان والاثنين وسبعين شيخا. ويذكر فوق هذا ستة وستين غلاما وتسعة وتسعين «پير شاهو»، والف وواحد «غلام خواجه صفت» وعشرة آلاف غلام واثنا عشر خاتون والمجموع الكلى المذكور فى هذا القسم الإلهى هو ١١٣٥٥.

ويقص علينا الجزء الثالث من الفرقان تجارب نعمة الله الشخصية والأوامر التى تلقاها من الله أثناء رحلته «إلى ما وراء الكون» (سفر عقبا)، ولاسيما رسالته ليوحد الخاندان وليخلص الناس من السيئات (ازخيانة پاك نمودن) وليشفع عند صاحب الزمان.

والجزء الرابع هو وصف كامل للشعائر والعادات (أمر ونهى) مع نصوص باللغة الكورانية تشمل العبارات التى تقال فى كل مناسبة.

انتشار أهل الحق

أكبر مراكز أهل الحق غرب فارس فى لورستان وكردستان (بلاد كوران شرقى زهاب ومدينة كرند) وآذربيجان [تبريز وماكو وغيرها من القلاع ووراء جبال القوقاز]. ويوجد من «أهل الحق» جماعات صغيرة فى كل بلاد الفرس تقريبا (فى همذان وطهران ومازندران وفارس بل فى خراسان التى يروى أن أحد إخوان خان أتش ذهب إليها، وفى العراق طائفة من أهل الحق بين قبائل الأكراد والتركمان فى إقليم كركوك والسليمانية وقد يكون بعضهم فى الموصل.

وقل ما نعرفه من أمر العلاقة بين أهل الحق وبين الفرق التى تعرف باسم على الإلهى أو باسماء دالة على التحقير مثل «چيراغ سوندوران» أى مطفئو النور، و«خروس كشان» أى ذابحو الديكة أو غيرهما. [انظر مقالات بكتاش، داود، قزل باش وسارلى شباك]. ومهما يكن من شىء فإنه مما يثير الدهشة

أن نجد لدعاة أهل الحق فى إقليم زهاب أثرا مباشرا بين العلويين القزل باش فى عينتاب (انظر Townbridge : *the Alevis* فى مجلة *Harvard Theological Review* ١٩٠٩ عدد ٢ ص ٣٤٠ — ٣٥٥ وأعيد طبع هذه المقالة فى *M. W* يوليه ١٩٢١ ص ٢٥٣ — ٢٦٦) .

تاريخهم الديني

لأهل الحق ثروة عظيمة من الأساطير مرتبة على حسب تجسدات الإله . ومجموع هذه الأساطير يعرف باسم سرأنجام [ويأسف مؤلف الفرقان جـ ١ ص ٤ لأن التناقض قد تسرب إلى الدفتر وإلى قوانين الحق] . وليس فى عصر « خاوندكار » شيء ممتع وراء الاساطير التى تبين تاريخ العالم . والآثار المتعلقة بعصرعلى ، وهى ليست حجر الزاوية فى هذا الموضوع ، أوحى بها غلاة الشيعة . وعصر خشين يقع فى لورستان (انظر مادة لور) . وتدل الأسماء الجغرافية على معرفة تامة بأجزاء تلك البلاد ، ومن ملائكة خشين بابا طاهر (انظر هذه المادة) . وتروى رباعياته فى اللهجة التى قيلت بها . أما العصر الرابع فيقع فى بلاد كوران قريبا من نهر سِيرْوَان . والأقوال المنسوبة إلى السلطان صهاك مذكورة باللغة الكورانية وهى لغة أهل الحق المقدسه (انظر الفرقان جـ ١ ص ٣٠) . وأكبر الأماكن المقدسة عند أهل الحق هى بابا يادكار وبرديوير فى الأقليم نفسه ، ثم انتقلت فى العصور الأخيرة إلى آذربيجان . ووضعت العقائد المتعلقة بهذه العصور بلغة آزرى التركية . ونستطيع أن نستنبط من هذه الحقائق أن مراحل انتشار نحلة أهل الحق ونموها كانت فى لورســـتان — فبلاد كوران — فآذربيجان .

ومن العسير بالطبع أن نصل إلى تواريخ مضبوطة . وسنحاول أن نسير من المعلوم إلى المجهول ، ويقال إن خان أتش الذى ولد فى أجرى (شمالى مراغة) ودفن فى قرية أتش بك من إقليم هَشْتَه رود شمالى جبل ساهند عاش فى أول القرن الثامن عشر (انظر *notes* ص ٤١) . وجاء بعـــده أبناؤه الأقربون ويسمى سابعهم السيد عبد العظيم ميرزا (أغا بخش) الذى عاش فى كربان (التى تسمى أيضا دُرو على نهر كاماساب جنوبى بسوتون (انظر هذه المادة) وهنـاك زاره الدكتور *O. Mann* . ومات السيد عبـــد العظيم فى عام ١٩١٧ وخلفه ابنه محمد حسن ميرزا . ويلاحظ شيوع الأشعار التركية التى كتبها شاه إسماعيل الصفوى (انظر مادة خطائى) . والكلام المعروف باسم قطب نامة يطلق على شاه إسماعيل اسم « پير التركستان » (وهى آذربيجان التى يتكلم أهلها التركية) . ويظهر أن انتشـار مذاهب أهل الحق بين قبـائل التركمان راجع على أى حال إلى عصر مبكر هو عصر حكام القره قيونلو (انظر هذه المادة)، وبقايا هؤلاء التركمان الذين يعيشون فى حى وسط مدينة ماكو (انظر هذه المادة) هم

من أهل الحق . كذلك يعيش فى ما وراء القوقاز القره قيونلو فى إقليم كنجة قريبا جدا من كوران .

ويجب أن نذكر أن جهانشاه (١٤٣٧ — ١٤٦٧) ، وهو زنديق كبير فى نظر أهل السنة يعرف عند أتباعه باسم سلطان العارفين . ويعتبر كثير من أهل الحق شاه إبراهيم خليفة للسلطان صهاك وقد عاش شاه إبراهيم فى بغداد وكان الملك الذى يلازمه « قوشجى أوغلى » مؤلف الأقوال التركية وربما يكون شاه إبراهيم السبب فى بث تعاليم أهل الحق بين التركمان شمالى الدجلة .

وتضع الروايات السلطان صهاك المشهور قبل الشاه إبراهيم مباشرة ويظهر أنه ابن الشيخ عيسى وخاتون دايره ابنة حسن بك جلد رئيس قبيلة جاف مراد . ويقال إن اسمه الحقيق السيد عبد السيد وإنه ولد فى برزنجة شمالى السليمانية (انظر هذه المادة) ويزعم رؤساء الكاكائى فى تاؤق أنهم سلالته الأقربون . وقد زعم الشيخ محمود الذى نادى بنفسه « ملكا لكردستان » بعد الحرب العالمية (انظر مادة أكراد) أنه من سلالة أخ السلطان صهاك فى الجيل الثانى عشر . وجدول النسب المعروف لا يسمح بأن نضع السلطان صهاك قبل القرن الخامس عشر (كما أخبرنى بذلك C. S. Edmonds) ولا يعين تاريخ بابا خشين تعيناً دقيقاً سوى اتصاله بالشاعر بابا طاهر (فى القرن الحادى عشر) . ولكن الأخبار المروية لا تستند إلى أساس متين فى هذه المسألة .

عناصر مذهبهم :

تمتاز نحلة « أهل الحق » بأنها تؤلف بين مختلف المذاهب وهى تعتمد فى أساسها على مذهب غلاة الشيعة . ويجب أن نلاحظ أن أهل الحق يتكلمون دائماً عن الاثنى عشر إماماً وعلى هذا ينبغى أن نربطهم بمذهب الاسماعيلية مباشرة على الأقل ويؤخذ من فرقانهم أن « دين الحق » إنما يجمع بين الجزئين اللذين حذفا من نص القرآن المنزل . على أن أهل الحق يختلفون فى الواقع عن الشيعة الأصليين إلى حد أنهم ينشئون مذهباً دينياً مستقلا عنهم . وتشارك نحلة أهل الحق نحلة الدروز والنصيرية فى عبادة على . ولكن السلطان صهاك يخفى علياً إخفاء تاماً .

والعناصر الأخرى الظاهرة فى جماعة أهل الحق هى أعمال الدراويش : كانتخاب الشيخ وحلقات الذكر وتوزيع الطعام وعقد أواصر الأخوة .

أما من الناحية الاجتماعية فإن معتنق نحلة أهل الحق هم من الطبقات الدنيا خاصة والقبائل الرحالة وأهل القرى وسكان الأحياء الفقيرة . والدراويش ومن أشبههم . وربما يكون هذا هو منشأ اعتقادهم أن السلاطين سيعاقبون فى اليوم الآخر (انظر *Notes* ص ٤٤) . ومن جهة أخرى

فان الصبغة الشمعية الغالبة على نحل أهل الحق تظهر فى كثرة ما فى تقاليدهم من أساطير وأمور خارقة. ومن الطبيعى أن نتوقع وجود آثار العصور البائدة بين أهل القرى فى الولايات القاصية التى كانت دائما بعيدة عن إشراف الحكومات المركزية. والقول بأن الإله كان مختفيا فى قلب درة مأخوذ من المانوية، مثله مثل الاعتقاد بتطهير «أهل النور» أثناء التناسخ. ولا يمكن أن يكون الاعتقاد بالتناسخ مأخوذا عن الهنود مباشرة لأنه كان موجودا عند الإسماعيلية قبل انتشاره بين أهل الحق. وقد يكون تقسيم الموجودات إلى قسمين متمايزين مأخوذا عن الآراء الزرداشتية. وكثيرا ما وصل الباحثون بين ذبح الديك عند أهل الحق وبين شعائر اليهود (انظر I. Scheftelowitz: *Das stellvertret Huhnopfer* جيسين ١٩١٤) كما يجوز أن اسمى داود وموسى اللذين ورد ذكرهما فى الكتاب المقدس قد وصلا إلى أهل الحق عن طريق القرآن. وينبغى ألا نبالغ فى أمر ما يزعمه البعض من أثر المسيحية فى هذه النحلة. وإذا وجدنا أهل الحق يذكرون اسم عيسى ومريم فى محادثتهم مع المبشرين فيجب ألا يغرب عن أذهاننا أنهم لا يعتبرونهما سوى صورتين من صور التجسد المذكورة فى أساطيرهم. أما حلقات الذكر فليس هناك ما يحدو بنا إلى التماس أصل لها وراء أعمال الصوفية المعروفة (كما فى الطريقة البكتاشية مثلا) والقول بالتناسخ بما فيه من مرونة هو السبب فى ورود أسماء فى الأساطير لا ينتظر الإنسان ورودها فيها. وقد نبه إيفانوف V. Ivanow على ورود اسم ملك هو طاوس (انظر اليزيدية) فى شذرات حاوية لبعض أساطير وجدت فى شيراز[١].

المصـــــادر

(١) انظر أول المقال: V. Minorsky: *Materiali dl'a izuceniya persidekoy sekti "L'undi Istimi" ili "Ali Ilahi"* (بالروسية ومعها ملخص بالفرنسية) موسكو ١٩١١ نشرت جزءا ٢٣ من *Trudi po vostokove deniyu izdavayemiye Lazarevskim Institutom*

(٢) وللمؤلف نفسه كتاب *Notes sur la secte des Ahl-i Haqq* نشر فى مجلة R. M. M. جـ ٤٠ عام ١٩٢٠ ص ٢٠—٢٧ (ومن ص ٦١—٦٤ تفصيل المراجع وعددها ٥٤) وجـ ٤٥ عام ١٩٢١ ص ٢٠٥—٣٠٢ (وقد نشر مستقلا على اضافات) مجلة تصـــدرها فى F. Cumsnt فى سوريا عام ١٩٢٢ جـ ٣ ص ٣٦٢ (٣) V. Minorsky: *Un traité de polémqueBéhai-Ahlé-Hagg*

(١) ان العقائد التى نقلها الكاتب ونسبها إلى هؤلاء الناس الذين يسميهم، أو يسمون أنفسهم «أهل الحق» عقائد لا تمت إلى الاسلام بصلة، ويبرأ منها كل مسلم يدين بدين الاسلام، ومحاولة إرجاع عقائدهم إلى عقائد الشيعة محاولة لاأساس لها، فان مذاهب الشيعة الامامية بريئة من هذه الآراء الباطلة التى لا تستند إلى عقل ولا نقل.

أحمد محمد شاكر

فى .R.H.R عدد عام ١٩٢٨ ، ص ٩٠ — ١٠٥ (٤) دكتور سعيد خان : *The sect of Ahl-i Haqq* فى *M. W.* عدد ١٧ عام ١٩٢٧ ، ص ٣١ — ٤٢ (٥) Gordlevsky : *Kara-koyunlu* فى *Izv. Obscestva izuceniya Azerbadjana* ، باكو ١٩٢٧ فى ٣٣ صفحة (٦) Adjarian : *Gyorans and Toumaris, a newly found religion in Persia* وقد نشرت بالانجليزية فى مجلة جامعة إريفان وترجمها إلى الفرنسية F. Macher بعنوان *Une religion nouvelle* (٧) انظر مقالة *Les Toumaris* فى مجلة *R.H.R.* عام ١٩٢٦ ، ص ٢٩٤—٣٠٧ (٨) F. M. Stead : *The Ali-Ilahi sect in Persia* فى مجلة *M. W.* عام ١٩٣٢ ، ص ١٨٤—١٨٩ .

[ف . مينورسكى V. Minorsky]

« أهل الدار » : هم الطبقة السادسة من حكومة الموحدين الدينية .

« أهل الذمة » : هم اليهود والنصارى الذين تربطهم بالمسلمين روابط شرعية حسب الشريعة الإسلامية (انظر مادة ذمة) .

« أهل السنة » : هم المتمسكون بسنة النبي (انظر مادة سنة) .

« أهل الصُّفَّة » : ويسمون نادراً أصحاب الصفة وأحياناً أصحاب الظلة : هم أصحاب رواق المسجد . كان بين مسلمى مكة الذين صحبوا النبي فى هجرته إلى المدينة وبين المهاجرين إلى المدينة من جهات أخرى طائفة لم يحملوا من ديارهم ما يقيم أودهم ، وآخرون تركوا بلادهم التى كانوا يعملون فيها فأصبحوا فقراء يعانون آلام الجوع ولا يجدون ملبساً ولا مأوى ، ولم يستطع إحسان أنصار المدينة أن يقضى على الفاقة التى كانت تغمر الأحياء التى يقطنونها . وفى أثناء ذلك كان إذا جن الليل يوضع فى صحن دار النبي وعاء فيه شعير محمص كان يشترى من مال المسلمين ليأكل منه الجائعون . وكان الذين لا يجدون مأوى يلجؤون إلى الصفّة ، وهى الجزء الشمالى من المسجد . وكان ذا سقف وليس له مايستر جوانبه . ومن أجل هذا كانوا يسمون أيضاً « ضيوف الإسلام » .

على أنه يقال أيضاً إن قوماً من المهاجرين المعدمين لم يدخلوا الصفّة قط . ويختلف الرواة فى عددهم (١٠ ، ٣٠ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٤٠٠ شخص) وذلك لأنهم كانوا يختلفون من آن لآخر ، ولأن عددهم كان فى أول الأمر كبيراً .

وكان أهل الصفة من حيث قبائلهم غرباء فى المدينة ، فكان منهم مثلا أبو ذر الغفارى وأبو سعيد اليمنى[1] وحذيفة العبسى ووائلة

---

(١) لا يوجد فى الصحابة من يسمى (أبا سعيد اليمنى) فلعل الاسم تصحف على كاتب المقال فلم يحسن قراءته بالعربية . احمد محمد شاكر

الليثى . وكان بينهم موال مثل أبى مويهبة وعمار وبلال الحبشى وخبّاب وسلمان الفارسى وصُهَيب الرومى . ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا هريرة كان من أكثرهم اتصالا بالنبى ويقال إن سعد ابن أبى وقاص وهو أحد الصحابة العشرة الذين كانوا أقرب الناس إلى النبى حل بالصفة مرة .

ويقول كثير من المتكلمين إن ما ورد فى القرآن (سورة البقرة آية ٢٧٣ ، ٢٧٤ وسورة الأنعام آية ٥٢ ، وسورة ١٨ آية ٢٧ وسورة ٤٢ آية ٣٦) يشير إلى أهل الصفة ، وهذا قول لا يحتمل النقد لأسباب كثيرة منها أن بعض هذه الآيات نزل فى مكة .

وزاد احترام الناس لأهل الصفّة فيما بعد ووضعوهم فوق العشرة (انظر ما تقدم) وربما كان ذلك بسبب خطأ لغوى إذ اعتبروهم مؤسسى التصوف . على أن آخرين ذهبوا يؤكدون أن الإسلام ساوى بين الناس جميعاً واستندوا فى تدعيم هذا الرأى إلى نصوص القرآن وقالوا إنه لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى .

ومما تذكره عنهم الروايات أنهم سمعوا حديث محمد مع ربه ليلة الإسراء ، والإسراء كما نعلم حدث فى مكة . وقد كتب عن أهل الصفة أبو نعيم الأصفهانى (المتوفى عام ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م) فى كتابه « حلية الأولياء [١] » . وألف تقى الدين السبكى (المتوفى عام ٧٥٦ هـ = ١٣٥٥ م) كتاباً عنوانه « التحفة فى الكلام على أهل الصفّة » . وكتب أبو عبد الرحمن السلمى كتاب « تاريخ أهل الصفّة » .

وقد أصبح اسم أهل الصفّة يطلق فيما بعد على قوم متنقلين لا مأوى لهم ؟

[ريكندورف Reckendorf]

« **أهل العدل** » : انظر المعتزلة .

« **أهل الفرض** » : هم أهل الدرجة الأولى من الورثة الشرعيين على ما تقضى به حقوق الميراث عند المسلمين (انظر مادة فرض) .

« **أهل القبالة** » : اسم مرادف لأهل الذمة (انظر مادة قبالة)

« **أهل القبلة** » : اسم يطلق على المسلمين (انظر مادة قبلة)

« **أهل القياس** » : هم الفقهاء الذين يعتبرون القياس حجة فى استنباط الأحكام الشرعية

« **أهل الكتاب** » : يسمى محمد[١] اليهود والنصارى بهذا الاسم تمييزا لهم عن عبدة

(١) حلية الأولياء طبعة السعادة بمصر ، ج ١ ص ٣٣٧ — ٣٨٥ ، ج ٢ ص ٣ — ٣٤ .

(١) لقد سماهم الله فى كتابه الكريم أهل الكتاب

عباد المولى

الأوثان ، وذلك لأن لهم كتبا منزلة هى التوراة والزبور والإنجيل ، وهم وإن كانوا يتناقلونها مبدلة عن أصولها ، إلا أن اعترافهم بها يجعل لهم مكانا ممتازا بالنسبة لعبدة الأوثان. وعندما خضع أهل الكتاب للمسلمين جعل لهم محمد[١] حرية العبادة دون الوثنيين مقابل دفعهم للجزية (انظر سورة براءة ، آية ٢٩) . وإذا واظبوا على أداء الالتزامات الخاصة المفروضة عليهم ضمن لهم ذلك حماية الحكومة الإسلامية لهم ، شأنهم فى ذلك شأن المعاهدين أو أهل الذمة .

وبعد التقصير فى حماية أهل الكتاب إثما كبيرا فى الاسلام . وبالطبع لا يمكن أن يتخذ ما فعله النبى ببنى النضير وبنى قريظة مثلا يقاس عليه . على أنه رغم نزعة التعصب التى كان يعبر عنها بعبارات شديدة ، كانت القاعدة المتبعة فى معاملة الذميين هى التى وردت فى الحديث المروى عن النبى « من آذى يهوديا أو نصرانيا كنت خصما له يوم القيامة » (البلاذرى ص١٦٢) .

وكان أولو الأمر من المسلمين يطلبون إلى قواد جيوشهم الزاحفة للفتح وإلى عمال الولايات من قبلهم أن يسمحوا لأهل الكتاب الذين يخضعونهم بإقامه شعائرهم الدينية ، وأن يعاملوهم بالرحمة . وفى الحق إنه بعد موت النبى الذى كان قد بدأ بإجلاء اليهود حرم على أهل الكتاب أن يقيموا فى جزيرة العرب إقامة مستمرة . ويعول المسلمون فى هذه السياسة على حديث يذهبون إلى أن النبى قاله فى ساعته الأخيرة وهو « لا يبقى دينان فى جزيرة العرب » (الموطأ ج ٤ ، ص ٧١ وانظر شرح الزرقانى فى كلامه عن الحدود الجغرافية) . ويقال إن أبا بكر عمل بهذا المبدأ فى كتابه إلى نصارى نجران (انظر الطبرى ج ١ ، ص ١٩٨٧ س ١٣) . أما الشروط الشديدة الخاصة التى كانت تشتد وطأتها بازدياد روح التعصب فقد ظهرت أول صورة لها فى وثيقة تعرف « بعهد عمر » الذى قيل إنه عقده مع نصارى بيت المقدس؛ على أنه من المؤكد أن هذه الوثيقة وضعت فى عصر متأخر عن أيام عمر (انظر De Goeje : *Mémoire sur la conquête de la Syrie* الطبعة الثانية ص ١٤٠ وما بعدها) . كانت هذه الوثيقة أساس التشريع الإسلامى المتعلق بأهل الديانات الأخرى ، وكان لها أثر فى التشريع اختلف باختلاف الآراء الغالبة على أصحاب المصنفات .

وكانت أكبر المسائل المتعلقة بحرية إقامة الشعائر الدينية هى : إلى أى حد يجوز لأهل الكتاب أن يقيموا بيوتا للعبادة جديدة أو يحتفظوا بالقديم منها ؟ وكانت هذه المسألة دائما سببا فى تجديد المعاهدات . وقد ظهر الخلاف بين أصحاب المذاهب الفقهية فى الحقوق الدينية لأهل الكتاب وإن كانوا على

---

(١) إن الله سبحانه وتعالى هو الذى شرع لهم ذلك
جاد المولى

اتفاق من حيث المبدأ . وأكبر الخلاف بينهم كان فى أمر ذبائح أهل الكتاب (هل يحل للمسلم أن يأكل مما يذبحونه ؟) وفى مناكحتهم (هل يجوز للمسلم أن يتزوج امرأة كتابية ؟)

وكان قول المسلمين بأن الكتب التى بين أيدى أهل الكتاب محرفة ، وأنهم أخفوا الصحيح منها (سورة البقرة آية ٧٠ وسورة آل‌عمران آية ٦٤ وسورة المائدة ١٥ وسورة الأنعام آية٩١) ، واعتقادهم أن محمدا ورسالته وانتصار العرب والإسلام قد بشرت بها الكتب المنزلة عند اليهود والنصارى ، وأنهم طمسوا هذه البشائر بتأويلات خاطئة ، كل هذا كان سببا فى ظهور كتب كثيرة ألفت فى الطعن على أهل الكتاب ، وأخذ متكلمو المسلمين جل مادتها ممن دخل فى الإسلام من أهل الأديان الأخرى . واشتد الجدل مع اليهود خاصة فى القول بنسخ الشريعة الذى يقول به المسلمون وينكره اليهود .

وقد وسع الإسلام من أول الأمر مدلول لفظ « أهل الكتاب » فجعله أكثر شمولا من مدلوله الأول ، واعتمد المسلمون على القصة التى تقول إن محمد أخذ من مجوس هَجَر (البحرين) فقالوا إن المجوس يدخلون فى أهل الكتاب . وأفلح وثنيو حران ، أيام المأمون (٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) ، فى إقناع المسلمين بأنهم هم الصابئة الذين ورد ذكرهم كثيرا فى القرآن بين الأمم المؤمنة ، وأن لهم كتبا منزلة جاءهم بها أنبيـــاء خلوا من قبل (انظر Chwolson: *Die Ssabier*، ج١ص١٤١). وفى القرن الرابع عشر أباح أحد أمراء المسلمين فى الهند للصينيين أن يكون لهم بيت يعبدون فيه الأصنام فى أرض المسلمين مقابل دفعهم للجزية (ابن بطوطة ، ج ٤ ، ص ٢) ، بل كان الاتجاه الذى اتجهت إليه الشئون الداخلية فى الهند سببا فى أن اعتبر عبدة الأصنام من أهل الكتاب (نفس المصدر ، ص ٢٩ ، ٢٢٣) . وما كان مثل هذا التوسع ليتم إلا بازدياد التسامح الدينى ، أما المسألتان اللتان أشرنا إليهما من قبل (وهما المتعلقتان بطعام أهل الكتاب والزواج منهم) فلم تكونا موضع بحث قط بالنسبة لغير أهل الكتاب الحقيقيين .

المصـــادر

(١) T. W. Juynboll : *Handleiding* ص ٣٤١ — ٣٤٦ (٢) Wensinck : *Mohammed en de Joden te Medina* ليدن ١٩٠٨ (٣) وفيما يتعلق بالتشريع المتعلق بأهل الكتاب انظر : المجلة الآسيوية عام ١٨٥٢ وما كتبه Bethäuser فى مجلة *Revue des Etudes Juives* عدد ٣٠ ص٦ ومابعدها ([illegible]) R. Gottheil : *Dhimmis and Moslems in Egypt* ، فى *Old Testament and Semitic studies* [illegible] *memory of W. R. Harper* شيكاغو ١٩٢٨ ، ج ٢ ، ص٣٥١ وما بعدها (٥) Steinschneider : *Polem. und apologet. Literatur in arab. Sprache* (*Abh. für die Kunde des Morgenl.*، ج ٦ ، عدد ٣)

وانظر إلى جانب ذلك ما كتبه جولد زيهر Zeitschr. d. Deutsch. morgenl. Gesellsch عدد ٣٢ ص ٣٤١ — ٣٨٧ ، ونجد مراجع أخرى مذكورة فى دائرة المعارف اليهودية ، ج ٦ ، ص ٣٥٨ ومقال *Customs and usages* فى مجلة *Revue des Etudes Juives* عدد ٢٨ ص ٧٥ وما بعدها .

[جولد سيهر Goldziher]

« أهل الكساء » : اسم يطلق على آل بيت النبي (محمد نفسه وعلى وفاطمة والحسن والحسين) . انظر الأحاديث المذكورة فى مقال « أهل البيت » لتعرف منشأ هذه التسمية .

« أهل النظر » : هم الفلاسفة .

« أهل وريس » : عبارة شائعة بين مسلمى أندونيسيا ومعناها « وارث » . استعملت هذه العبارة فى الفارسية ثم انتقلت إلى جزر الهند الشرقية عن طريق الهند .

المصادر .

(١) Ph. S. van Ponket : *Over de herkomst* — *enkele arabische Bastaar dwoor den in het Maleisch* فى مجلة *Tidjdschrift* — *het Bataviaasch Genootschap van Kunstenen Wetenschappen* ، ج ٤٧ ، ص ١٨٩ وما بعدها .

« أهواز » : هو اسم إقليم من أقاليم الدولة العباسية يحده العراق من الناحية الغربية ، ويحده من الشرق والجنوب بلاد فارس ، ويحده من الشمال إقليم الجبال وخاصة الجزء المعروف منه اليوم بلورستان . وتبلغ مساحة الأهواز على وجه عام ما يقرب من مساحة بلاد سوسيانا Susiana (خوزستان) وهى أليميس Elymais التى يذكرها اليونان وبلاد عيلام Elam المعروفة فى العهد القديم وإيلامتو Elamtu التى نجدها فى النقوش المسمارية وخوزستان فى أيامنا . ولفظ الأهواز فى العربية هو جمع هوز (خوز) ، ويقابل الكلمة السريانية هوزايى Huzaye والكلمة اليونانية Οὔξιοι التى كانت تدل فى الأصل على قبيلة من قبائل تلك البلاد ولكن الفرس صاغوها سوسيانا Susiana وأطلقوها على مملكة عيلام القديمة (انظر فيما يختص بالاسم : Nöldeke : *Nachr. d. Kgl. Gesellseh. d. Wissensch Zu Göttingen* عام ١٨٧٤ ص ١٨٥ وما بعدها و Kiepert : *Lehrb. d. Alt. Geogr* ص ١٣٩ و Marquart : *Eransahr n. d. Geogr. d. Pseudo Moses Xorenac'i* برلين ١٩٠١ = *Abhandl. der Kgl. Gesellsch. d. Wissensch. Zu Göttingen N. F* ، ج ٣ عدد ٢ ، ص ٢٧ . وفيما يختص بإقليم الأهواز انظر بنوع خاص كتاب A. V. Kremer : *Kulturgesch. des Orients unter den Chalifen* ، ج ١ ، ص ٢٩١ — ٢٩٥

و G. le Strange : *The lands of the eastern Caliphate* ، كامبردج ١٩٠٥ ، ص ٢٣٢ — ٢٤٧ و Barbier de Meynard : *Diction. géogr. hist. et littér. de la Perse* ، باريس ١٨٦١ ، ص ٥٧ — ٦١ و Wüstenfeld في مجلة *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch* ، ج ٨ ، ص ٤٢٥ و K. Ritter : *Erdkunde* ، ج ٩ ، ص ٢٢٨ وما بعدها) .

وكانت عاصمة ولاية الأهواز تسمى سوق الأهواز ثم سميت الأهواز على سبيل الاختصار . وهي على خط عرض ١٩َ ٣١° شمالا وخط طول ٤٦َ ٤٨° شرقي جرينويش على نهر دجيل (كارون) قبل التقائه بنهر جنديسابور ، وبعد هذا يسمى الجزء الأدنى من نهر دجيل آبي الأهواز (نهر الأهواز) . والنهر عند اقترابه من مدينة الأهواز غير صالح للملاحة لما يعترضه من مساقط مائية ، وبرغم هذا فإن لمدينة الأهواز شأناً هاماً من الوجهة الحربية والتجارية أعدها لأن تكون العاصمة ، بل لقد كانت عاصمة قبل عهد الساسانيين . وقد ذكر أنها عاصمة الملك نيروفر أحد خلفاء ملوك عيلام القدماء . واغتصب أردشير الأول الملك من يده ، واستولى على سوق الأهواز ، وبنى إلى جانبها مدينة جديدة أطلق عليها اسماً مشتقاً من اسمه هو هرمزد أردشير (واختصر بعد ذلك فسمي هرمشير) ، وسماها العرب أيضاً سوق الأهواز (انظر Nöldeke : *Gesch. d. Perser u. araber zur Zeit der Sasaniden* ، ليدن ١٨٧٩ ، ص ١٣ ، ١٩ و A. V. Gutschmid : *Gesch. Irans* ، توبنجن ، عام ١٨٨٨ ، ص ١٦٠ وما بعدها .

ونجد التسمية الرسمية التي أطلقها الساسانيون على مدينة الأهواز وهي هرمزد أردشير مذكورة في التلمود وفي الكتب السريانية (انظر Nöldeke : نفس المصدر ، ص ١٩ ملحوظة ٥) . وكانت هرمزد أردشير في وقت من الأوقات مقراً لأسقف نسطوري (انظر Guidi : *Zeitsch d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch* ، عدد ٤٣ ، ص ٤١٠) . وحافظت الأهواز أيام الفتح العربي على ما كان لها من شأن وظلت مركزاً تجارياً هاماً . وكانت صناعتها وتجارتها متصلتين بالسكر غالباً . ونالت بلاد الأهواز في أيام خلافة العباسيين شهرة واسعة في زراعة القصب وصناعة السكر ، وبدأت في الاضمحلال في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) . والأهواز اليوم مدينة صغيرة فقيرة يبلغ عدد سكانها الألفين ، وهم يعمرون جزءاً صغيراً من المدينة القديمة .

ولا يزال الإنسان يشاهد أطلالا كثيرة (انظر فيما يتعلق بالأهواز في العصور الوسطى: Wüstenfeld : نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٤٢٤ وما بعدها ؛ G. le Strange : نفس المصدر ، ص ٢٣٣ وما بعدها . وفيما يتعلق بالأهواز اليوم انظر K. Ritter : *Erdkunde* ، ج ٩ ، ص ٢١٩ —

Reclus : *Nouv. géogr. univers.* ؛ ٢٣٠ ج ٩ ، ص ٢٩٧ وما بعدها (وفيه مصور جغرافي)؛ و J. Dieulafoy : *La Perse,* ■ *Chaldée et la Susiane* باريس ١٨٨٧ ، ص ٦٩٤ وما بعدها ‖ J. de Morgan : *Mission Scientifique en Perse* ، ج ٢ (*Etudes Geograph.*) ص ٢٧٥ وما بعدها) .

وكثيرا مايعتقد البعض أن مدينة سوق الأهواز هي عين مدينة A'γινις التي ذكرها استرابون ولكن هذا خطأ محض (انظر Andreas في *Pauly-Wissowa's Realencyclop. der. Klass. Altertumwiss.* ج ١ ، عمود ٨١٢).

وكانت العاصمة الثانية لإقليم الأهواز هي تستر وتسمى شستر اليوم (انظر هذه المادة). وسنبين التفصيلات الخاصة بالأحوال الجغرافية لإقليم الأهواز عند كلامنا عن خوزستان . وينبغي أن نشير على القارىء بالرجوع إلى K. Ritter : *Erdkunde* ج ٩ ، ص ١٥٢ وما بعدها و De Morgan : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤٩—٢٨٢ و Billerbeck : *Susa* ، ليبسك ١٧٩٣ ، ص ٢ — ٢٣ . وتجد أحسن المصورات الخاصة بخوزستان في Hausknecht : *Routen im Orient in den Jahren 1865 — 1869* وقد راجعه H.kipert (برلين ١٨٨٢) وفي J. de Morgan ، نفس المصدر ، ج ٢ ، وفي *Atlas des Cartes* الخاص بخوزستان ؟

[Streck ستريك]

« آهي » : شاعر تركي يظهر أن اسمه الحقيقي بنلي حسن أي حسن ذو الخال ، وكان أبوه سيدي خوجه تاجرا في ترسنيك Trstenik (غير بعيد من نيقوبوليس). وذهب آهي بعد موت أبيه إلى القسطنطينية واختار لنفسه الاشتغال بالعلم ، ولكنه لم يتعد درجة « ملازم » لأنه ترك منصب التدريس في مدرسة بايزيد باشا في بروسة ثم حصل آخر الأمر على منصب شبيه بالمنصب القديم وأقل منه شانا وذلك في مدينة قره فريا (برّوهيا) ، وفيها مات عام ٩٢٣ ■ (١٥١٧ م) . وترَك كتابين في الشعر غير كاملين عنوانهما « خسرو وشيرين » و « حسن ودل » . والكتاب الثاني قصيدة شعرية رمزية كتبها نثرا يتخلله الشعر ، وهي تحاكي قصيدة الفتّاحي (انظر هذه المادة) المسماة باسمها . وقد لخص جب Gibb ما في تلك القصيدة في كتابه *A history of Ottoman Poetry* (ج ٢ ، ص ٢٩٦ وما بعدها) .

المصـــادر

انظر إلى جانب كتاب جب Gibb المذكور : (١) Latifi (chabert) ، ص ١٠٥ (٢) Hammer-Purgstall : *Gesch. d. osman. Dichtk.* ج ١ ، ص ٢٠٩ .

« أوتاد » : هم الطبقة الثالثة من طبقات رجال الغيب التي تشمل أربعة أولياء يسمون أيضا العُمُد (انظر مادة أبدال) . وكل واحد

منهم موكل بتدبير قسم من أقسام السموات الأربع وبالعناية به، ومسكنهم مركز السموات

[جولدسيهر Goldziher]

« أَوْج » : معربة من الكلمة الفارسية أوك، والأوج والحضيض يدلان فى اصطلاح أهل الفلك على الاعتدالين.

« أَوْجِلَة »:[1] واحة فى طرابلس على بعد ١٥٠ ميلا إلى الجنوب الغربى من خليج قابس، وعلى بعد ١٥٢ ميلا إلى الشمال الشرقى من مرزوق، وعلى مسيرة ستين ساعة من بنى غازى. يصفها ابن حوقل بأنها مدينة صغيرة ضمت منذ عهد قريب إلى إقليم برقة، وهو يخص بالذكر ثروتها فى أشجار النخيل. (انظر ابن حوقل؛ ترجمة de Slane فى المجلة الأسيوية المجموعة الثالثة ٢٠ عدد ١٣، ص ١٦٣). ويذكرها البكرى بعد ذلك بقرن فيقول إنها بلدة عامرة وفيها أسواق ومساجد. ويزيد على ذلك قوله إن أوجله اسم للناحية أما المدينة فاسمها أرزاقية (البكرى المسالك والممالك ترجمة de Slane ص ٣٢). ويطلق اليوم اسم أوجلة كما كان الحال فى عهد البكرى على مجموعة من الواحات وهى:

[1] أوجلة وردت بالفتح فى معجم البلدان.

اللجنة

أوجله (طولها ١٥ ميلا وعرضها ميلان)، وجالو (طولها ١٥ ميلا وعرضها ثمانية أميال وبها أجزاء صحراوية وكثبان رملية بين أشجار النخيل)؛ وباتُفَل أو بتيفل وادى ولِشكَرْش وهى على مسيرة يوم إلى الشرق. وفى هذه الواحات المتعددة مائتا ألف شجرة من النخيل؛ منها أربعون ألفا فى أوجلة، ومائة ألف فى جالو. وعدد سكان الواحات ألف نسمة؛ أربعمائة فى أوجلة وستمائة فى جالو. وينقسمون ثلاثة أقسام ١ — بنو أوجل وهم من أصل بربرى ولغتهم بربرية يعيشون فى أوجلة غالبا وفى مدينة لِبُّو أيضا وهى مدينة صغيرة ذات سوق فى واحة جالو، وأهلها يشتغلون بالزراعة وغرس الحدائق ويستخرجون الملح، ويشتغلون كذلك بقيادة القوافل ٢ — المجابرة وهم البربر الذين يتكلمون العربية ويقطنون حول الأرج فى واحة جالو وهم تجار يشتهرون بالأمانة على وجه خاص ٣ — الزُوَيَّة وهم قبيلة عربية استوطنت لشكرش. وهذه الأجناس كلها مشوبة بالدم الزنجى. وأوجلة تتبع بنى غازى فى الأعمال الإدارية. أما فى الناحية الدينية فهى خاضعة للسنوسيين ولهـــذا كانت بعيدة المنال على الأوروبيين، ولم يدخلها حتى الآن إلا أربعة رواد هم: هورنمان Hornemann (١٧٩٨)، وباشـــو Pacho (١٨٢٥) وإ. هاملتون Hamilton (١٨٥٢) وبورمان Beurmann (١٨٦٢).

المصـــــادر

(١) Pacho : *Relation d'un voyage*
dans la Marmarique et la Cyrénaïque
et les Oasis O'Awdjila et maradèh
طبعة باريس ١٨٢٧ (٢) Rohlfs: *Von Tripolis*
nach Alexandrien ج ٢ (٣) Beurmann ؛
Petermann's Mitteilungen, Ergänzun-
gsheft ، ج ٨ ، ص ٦٨ (٤) Reclus : *Géogr.*
univ. ، ج ١١ ، ص ٣٣ وما بعدها

[إيفر G. Yver]

«الأوحد»: والراجح أنه الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن العادل أحد ملوك بنى أيوب. ولاه أبوه على ميافارقين وبعض المدن المجاورة لها، وأخفق فى أول محاولة حاولها لإدخال مدينة خلاط تحت سلطانه (٦٠٣ هـ = ١٢٠٦—١٢٠٧ م)، ولكنه أفلح فى ذلك بعد عام، وإن لم يستطع تثبيت سلطانه فيها على أهل الكرج إلا بمشقة كبيرة. ولم يدم حكمه طويلا إذ توفى بعد ذلك بقليل عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠ — ١٢١١ م) وترك البلاد التى يحكمها لأخيه الأشرف (انظر هذه المادة)

المصـــــادر

(١) ابن الأثير (طبعة تورنبرج)، ج ١٢ ص ١٠٣ وما بعدها. (٢) المقريزى: الخطط (ترجمة *Blochet*)، ص ٢٩٠ و ص ٢٩٦.

«أوحدى»، هو ركن الدين أوحدى شاعر فارسى توفى عام ١٣٣٧ فى مراغة، وكان يلقب نفسه بأوحدى تكريما لأستاذه أوحد الدين رمانى الذى كان شاعرا وصوفيا مشهورا (انظر ماذكره عنه القزوينى طبعة فستنفيلد، ج ٢، ص ١٦٤ ومابعدها). وقد خلف أوحدى ديوانا يتألف من عشرة آلاف بيت، ولكنه اشتهر بقصيدته الصوفية المسماة جام جم (أى كأس جم) وألف كذلك «ده نامه».

المصـــــادر

(١) دولتشاه (طبعة براون)، ص ٢١٠ وما بعدها (٢) Ethé : *Grundriss der iran Phi-*
lologie ، ج ٢ وما بعدها.

«أودغست»: «أو أودَغُشْت» مدينة قديمة فى شمال غربى إفريقية لم يصبح لها أثر على ظهر الأرض. ويقول البكرى إنها كانت بين بلاد الزنوج وبين سِجِلْماسةَ على مسيرة ٥١ يوما من واحة سجلماسة وخمسة عشر يوما من غانة. ويفترض بارث Barth أنها كانت بين خطى طول ١٠° و ١١° غربى جرينوتش وبين خطى عرض ١٨° و ١٩° شمالا، غير بعيد من قَصَر وبَرَكَة: أى أنها كانت جنوب غربى تجكجة وهى موقع حربى فى موريتانيا الفرنسية.

وليس لدينا إلا معلومات قليلة عن هذه المدينة، ويظهر أنها كانت فى أول الأمر محطة

تجارية لبنى صنهاج على الحدود الشمالية لمملكة غانة ، ولما فتح بنو صنهاج جزءا كبيرا من بلاد غانة حوالى آخر القرن العاشر أصبحت أودغست عاصمة لتلك القبيلة القوية . وبين عامى ٣٥٠ — ٣٦٠ هـ (٩٦١ — ٩٧١ م) كان يلى أمرهم تين يروتن وهو أمير صنهاجى ، وكان يتبعه أكثر من عشرين ملكا من ملوك السودان . وكانت له مملكة طولها ستون يوما وعرضها ستون . وفى القرن التالى أغار ابن ياسين مؤسس دولة المرابطين على أودغست لحاصرها وأعمل النهب فيها وذبح سكانها (٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ — ١٠٥٥ م) . وبعد هذا بدأت قوة بنى صنهاج فى الاضمحلال. وفى أوائل القرن الثالث عشر أغار بنو سُسُّو على بلاد أودغست وأخرجوا بنى صنهاج منها أو أخضعوهم لسلطانهم .

وكانت أودغست فى عهد البكرى لا تزال مدينة زاهرة ، وكان سكانها الكثيرون يتألفون من عرب المغرب ومن حلفائهم من إفريقية ومن البربر (بركاجنة ولواتة وزناتة ونفوسة ونفزاوة بنوع خاص) ، ومن السودان كذلك . وكانت تحيط بها البساتين وأشجار النخيل ، وفيها مدارس ومساجد وأبنية عامة جميلة ومنازل رائعة وأسواق عامرة . وكانت فيها تجارة هامة فى الحبوب والفاكهة التى ترد إليها من الممالك الإسلامية ، وكذلك فى الكهربا الذى يرد إليها من شاطىء المحيط الأطلسى ، وفى المصنوعات النحاسية والأقمشة الحريرية الموشاة ، وكان يدفع ثمنها تبرا . واضمحلت اضمحلالا واضحا فى عهد الإدريسى ، وقل سكانها ، وخمل شأن التجارة بها ، وأصبحت تربية الإبل الوسيلة الوحيدة لمعيشة سكانها . ولا شك أن سقوطها النهائى راجع إلى ضياع شوكة بنى زناتة ضياعا تاما .

المصـــادر

(١) البكرى : المسالك والممالك (ترجمة G. de Slane) ، ص ٣٤٩ وما بعدها . (٢) الإدريسى (طبعة دوزى وده غوى) الترجمة ص ٣٤ . (٣) Barth : *Reisen und Entdeckungen* ، ٤ والذيل ١ (نقلا عن تاريخ السودان للسعدى) .

[إيفر G. Yver]

أُوذْ[١] (أَوَذَ) : اسم مقاطعة تكون الآن جزءا من الأقاليم المتحدة فى الهند الحديثة تبلغ مساحتها ٢٤١٥٤ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ١٢,٧٩٤,٩٧٩ نسمة ، كان منهم ١١,٨٧٠,٢٦٦ فى المناطق الزراعية بحسب إحصاء الهند عام ١٩٣١ .

وكانت أوذ والبلاد المجاورة لها فى السهل الفيضانى العظيم شمالى الهند مهد المدنية الهندوكية منذ أزمنة قديمة جدا . ومملكة

(١) وردت هذه الكلمة فى قاموس الأعلام لشمس الدين سامى بك « أوده » بالدال . اللجنة

كساله الهندوكية القديمة Kosala هى نفس مقاطعة أوذ الحالية تقريبا . ويقال إن عاصمتها أيوذيا Ayodhya وهى مدينة جودهيا الحديثة على نهر ككرا كانت مقر دسرت وهو أبو رامه الذى ورد ذكر أفعاله العظيمة فى كتاب «رامايانه» . وقد نشبت فيها كذلك فتن دينية كثيرة ضد نظام الكهنة فى الديانة البرهمانية وضد نظامها الإجتماعى .

وإذا صرفنا النظر عن غارات مصحوبة بالنهب كالتى قام بها محمود الغزنوى فى هجومه على مانيج ، وعما روى عن أعمال سلار مسعود غازى التى ذكرها عبد الرحمن چشتى فى كتابه «مرآت مسعودى» ، نجد أن غزاة المسلمين لم تثبت أقدامهم فى إقليم أوذ ولم يضموه إلى سلطنة دهلى إلا فى السنوات العشر الأخيرة من القرن الثانى عشر أيام قطب الدين أيبك . وصارت أوذ جزءا من دولة محمد بن تغلق الواسعة ، ولكنها أدمجت فى سلطنة الشرق فى جَوْنْپُور (انظر هذه المادة) قرب نهاية القرن الرابع عشر ، ثم أصبحت فى عهد بنى لودى (انظر هذه المادة) جزءا من السلطنة مرة أخرى .

وفى أيام السلطان أكبر (انظر هذه المادة) صارت أوذ (صُوبه)[1] إمبراطوريته التى كانت تمتد من نهر الكنج فى الجنوب الغربى إلى كندك فى الشمال الشرقى ، ومن نهر سَىْ فى الجنوب إلى تراى نپال فى الشمال . ويقول أبو الفضل إنها كانت تنقسم إلى خمسة «سركارات» وثمانية وثلاثين «پركنه» (انظر آئين أكبرى فى Indica [redacted] ، ج ٢ ، ص ١٧٠ — ١٧٧ ، ترجمة Jarett عام ١٨٩١) .

على أن الروايات الشائعة بين أهل أوذ تناقض الأخبار التى يذكرها المسلمون ، وتقرر أن حكام راجپوت احتفظوا بسلطانهم بالفعل من غير أن يمسه أذى طول حكم ملوك المغل (انظر W. C. Benett : *The Chief Clans of the Roy Barellly District* ، عام ١٨٩٥) .

وقد هيأ ضعف الحكومة المركزية فى عهد خلفاء الإمبراطور أورنك زيب لحكام أوذ فرصة لتثبيت دعائم استقلالهم وإن كانوا ظلوا يعترفون اعترافا اسميا بسلطان إمبراطور المغل .

وكان سعادت خان برهان الملك ، المؤسس الحقيقى لدولة أوذ من نسل شريف محترم من أهل نيسابور (انظر منتخب اللباب ، لخافى خان ، ج ٢ ص ٩٠٢) . وقد استطاع أيام حكمه (من ١٧٢٢ — ١٧٣٩) أن يحفظ النظام فى الداخل وأن يوسع ممتلكاته حتى شملت بنارس وغازى پور وجَوْنْپُور وچنار . وعين خلفه ، صفدر جنك (١٧٣٩ — ١٧٥٤) وزيرا للإمبراطورية عام ١٧٤٨ وهو الذى استدعى «المراهته» لمساعدته على الروهيلا . وكانت الاتفاقات التى تمت بينه وبينهم هى السبب فيما كان يطالب به المراهته بعد ذلك من حقوق فى روهيل خند . . ثم جاء ابنه وخليفته الوزير

(١) أى كورة

شجاع الدولة (١٧٥٤ — ١٧٧٥) فاصطدم والسلطان المتزايد لشركة الهند الشرقية الإنجليزية، وهزم هزيمة تامة فى بكسر عام ١٧٦٤ واستولت الشركة على أوذ. ولما أبرمت معاهدة الله آباد عام ١٧٦٥ قضت بإعادة أوذ إلى شجاع الدولة ماعدا كوره والله آباد فإنهما أعطيتا للإمبراطور حفظا لكرامته. ووضعت العلاقات بين البريطانيين وبين هذه الدولة المحايدة التى كانت بين البنغال والمراهته على أساس ثابت بمقتضى معاهدة بنارس التى عقدت عام ١٧٧٣، والتى حددت بمقتضاها الإعانة التى تدفع للجيوش البريطانية بمقدار ٢١٠,٠٠٠ روبية فى كل شهر. وفى الوقت نفسه بيعت كوره والله آباد إلى حاكم أوذ بخمسة ملايين روبية لأن الإمبراطور انقلب على الشركة وأسلم هذين الإقليمين إلى المراطها

ولما اعتلى الحكم آصف الدولة (١٧٧٥— ١٧٩٧) وكان حاكما ضعيفا مكن ضعفه الأغلبية الساخطة بنصيحة وارن هيستنجس Warren Hastings من رفع إعانة الجيش إلى ٢٦٠,٠٠٠ روبية فى الشهر، ومن إرغام الحاكم الجديد على التنازل للشركة عن بنارس وجونپور وغازى پور تنازلا تاما. وحاول هيستنجس فى چنار عام ١٧٨١ أن يصلح نظام الإدارة وأن يسهل مهمة الوزير بتخفيض عدد الجنود البريطانيين فى أوذ، وكان ماعمله من ارجاع الجاكير ومصادرة خزائن البيكم فى أوذ من بين التهم التى وجهت إليه عند تقديمه للمحاكمة.

وفى عام ١٨٠١ أرغم لورد ولسلى سعادت على خان (١٧٩٨ — ١٨١٤) على التنازل عن روهيلخند كلها وعن جزء من دوآب، وخصص دخلها لدفع أجور القوة الإضافية. وجاء بعد سعادت على خان ابنه الأكبر غازى الدين حيدر فكان أول حاكم لأوذ لقب بلقب الملك. أما ملوك أوذ الذين جاءوا بعده فهم ناصر الدين حيدر (١٨٢٧—١٨٣٧)، ومحمد على شاه (١٨٣٧ — ١٨٤٢)، وأمجد على شاه (١٨٤٢ — ١٨٤٧) وواجد على شاه (١٨٤٧ — ١٨٥٦).

وكان من شروط معاهدة سنة ١٨٠١ أن حاكم أوذ يجب أن يدخل فى بلاده نظاما إداريا من شأنه أن يؤدى إلى صلاح حال رعاياه ويكفل صيانة أرواحهم وأموالهم، على أنه لم يحصل شىء من هذا رغم الإنذارات المتكررة، وظل الحكم الفاسد مستمرا لايرده شىء. ولهذه الأسباب ألحقت أوذ بأملاك بريطانيا على يد لورد دالهوزى Dal-housie عام ١٨٥٦، وأعطى واجد على شاه معاشا وسمح له بالإقامة فى كلكتة وفيها توفى عام ١٨٨٧ وانتهى لقبه بوفاته.

وكان يشرف على أوذ عند إلحاقها بأملاك بريطانيا مندوب « قوميسير »، ثم حكم آكره وأوذ عام ١٨٧٧، وسمى نائب حاكم الأقاليم الشمالية الغربية ومندوب أوذ السامى. ثم ألغى لقب « المندوب السامى » بعد تكوين

الأقاليم المتحدةمن آكره وأوذ عام ١٩٠٢ ، ولكن هذا الإقليم لم يرفع مكانته إلا عام ١٩٢١ عندما أصبح ولاية يحكمها حاكم.

على أن تنظيم دخل الأراضى بعد ضم البلاد سار من غير اعتبار لأسر تعلقدارى الكبيرة فى الولاية الذين جردوا من معظم أملاكهم. ولكن تغير الأمر بعد الثورة وذلك عندما عاد كانتج إلى نظام راعى فيه شأن تعلقدارى وأيد حقوقهم بمستندات.

واليوم يوجد المسلمون غالبا فى الجهات التى كان لهم فيها السلطان فى الماضى ، ويدل على إيثارهم حياة التحضر وجودهم فى المدن الكبرى. ولو أن معظم السكان من الهندوس فإن من المهم أن نلاحظ أن نسبة زيادة عدد المسلمين فى السنوات العشر الأخيرة بلغت ما يقرب من ضعف الزيادة فى الهندوس. وأكبر سبب فى هذا هو العادات الاجتماعية؛ فأرامل المسلمين يسمح لهم بالزواج ، والمسلمون يحبذون الزواج المبكر — ولم يغير من تلك النسبة التحول من دين إلى آخر فإن حركة التبليغ التى قام بها المسلمون قوبلت بحركتى الشدهى والسنكتهن من جانب الهندوس.

المصـــادر

انظر إلى جانب المصادر المذكورة فى المقال:
(١) C.V. Aitchison : *Treaties, Engagements and sanads* ، ج ١ ، كلكته ١٩٠٩
(٢) W. Crooke : *The Tribes and castes of the Northwestern Provinces and Oudh* أربعة أجزاء، كلكته ١٨٩٦
(٣) C.A. Elliott : *Chronicles of Oonao* ، الله آباد ١٨٦٢
(٤) M. R. Gubbins : *The Mutinies in* [redacted] لندن ١٨٥٨
(٥) تفضيح الغافلين ترجمة W. Hoey الله آباد ، ١٨٨٥
(٦) محمد فائز بخش : تأريخ فرح بخش ، ترجمة W. Hoey : *Memoirs of Delhi and Faizabad* ، جزءان ، الله آباد ، ١٨٨٨ — ١٨٨٩
(٧) H. C. Irwin : *The Garden of India* ، لنـــدن ١٨٨٨
(٨) W. Knighton : *The Private life of* [redacted] *Eastern King* ، أكسفورد ١٩٢١
(٩) خير الدين محمد ! تحفه تازه ، بلونت نامه
(١٠) W. Oldham : *Historical and Statistical account of the Ghazeepoor District* ، الله آباد ١٨٧٠
(١١) *Papers relating* [redacted] *land* [redacted] *and Revenue Settlement in Oudh* كلكتة ١٨٦٥
(١٢) *Papers respecting a reform in the Administration of the government of.... the Nawab-Wazir* لندن ١٨٢٤
(١٣) *Parliamentary Papers, Oudh* ج ٤٣، ١٨٥٧-١٨٥٨
(١٤) *Report on the administration of the United Provinces of Agra and Oudh* الله آباد. وهو ينشر كل عام
(١٥) W. H. Sleeman : *A Journey through the Kingdom of Oudh in 1849-1850* ، جزءان ، ١٨٥٨
(١٦) A. L. Srivastava : *The first two Nawabs of Oudh* لكنهؤ ١٩٣٣.

[كولن ديفز C. Collin Davies]

أوراس : (أو أوريس وكانت تسمى فى القرن السادس A´υράσιον'όρος كما ذكر فروقفيوس Procopius فى De bell Vaadal. ج١ ، ص ٨ ؛ ج٢، ص ١٢ — ١٣ ، ١٩ — ٢٠) : هى سلسلة جبال بالجزائر فى صحارى الأطلس (انظر الجزائر وأطلس). ولا نعرف معنى كلمة أوراس على وجه التحقيق، ويحتمل أن تكون كلمة بربرية الأصل تظهر فى أسماء جبال كثيرة . وقد يجوز أن جبل أوراس فى جنوب خَنْشَلة هو الذى أطلق اسمه على مجموعة الجبال كلها .

وتكوّن سلسلة جبال أوراس شكلا رباعيا طوله من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب نحو ٦٥ ميلا . ويغطى فى جنوب إقليم قسنطينة مساحة قدرها ٢٦٠٠ ميل مربع . وفى نهاية هذه الجبال من الغرب تلال الزاب القليلة الارتفاع التى كانت فى العصور القديمة تجتازها الطريق الرومانية الواصلة من لمبريدى إلى فِسْكره، [الآن بسكرة] ويجتازها فى الوقت الحاضر الطريق الحديدى الواصل من باتنة إلى بسكرة . وفى الشرق يفصل وادى العرب جبال أوراس عن جبل شرشر . وفى الشمال تعلو هذه الجبال هضبة سبّاخ وحوض الطرف. أما فى الجنوب فهى تتصل بالصحراء الكبرى. وينحدر الجانب الشمالى إلى هضاب يبلغ ارتفاعها فى أقل الأجزاء ارتفاعا نحو ٣٠٠٠ قدم ، وإن كان الارتفاع فى بعض الأجزاء يزيد على ٣٣٠٠ قدم. (فمثلا باتنة على ارتفاع ٣٤٤٣ قدما) .

وهذه الهضاب تصل جبال أوراس بجبال عالية صعبة المرتقى مثل جبال زلاّ وأبو أمرون وأبو عزيز . أما السفوح الجنوبية فتنحدر انحدارا شديداً إلى هضاب قليلة الارتفاع (٤٢٠ قدما فى بسكره و ١٠٠ قدم فى شط ملغر) ، وهى ترتفع ارتفاعا رأسيا ناحية الصحراء يتراوح بين ٤٦٠٠ و ٥٠٠٠ قدم .

ولما كانت جبال أوراس تتكون من الطباشير والحجر الجيرى فقد تعرضت لعوامل التعرية الشديدة فاكتسحت المياه طبقات بأسرها واختفت الطبقة اللينة فى بعض الأجزاء اختفاء تاما ، وأصبح الجبل هيكلا صخريا. وتحولت الركامات كتلا طينية ملأت الأودية ، أو صارت أكواما كبيرة فى أسفل السفوح الجنوبية . ولا تزال عوامل التعرية مستمرة ولكنها اليوم أضعف مما كانت قبل؛ فالمياه تتدفق فى الأودية من غير انقطاع، وقد حفرت أودية ضيقة وخنادق مستقيمة كوّنتها المياه يبلغ عمقها مئات الأقدام ويبلغ طولها أحيانا عدة أميال ، وذلك فى جهات عديدة مثل تِغَانيمين بين بَنيان ومِهُوُرنش وغيرها . وتقوم صخور منفردة بين الأودية فى أماكن أخرى شاهدة على طبيعة الأرض فيما مضى من الزمان .

وتكوين جبال أوراس يشبه تكوين غيرها من سلاسل جبال الأطلس وإن كانت أكثر انتظاماً ووضوحا ، وهى تتكون من سلسلة انحناءات متوازية تمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، ويمتـــد بعضها إلى جانب البعض

كثنيات القماش وتكوّن سلاسل طويلة مستقيمة تفصلها أودية ضيقة.

وأهم القمم على السفوح الشمالية هى كِيف مَحمل (٧٧٤٠ قدماً) ؛ وشِليه (٧٧٥٩ قدماً) وجبل فرعون وهو أعلى جبل فى الجزائر (٦٩٨٠ قدماً) ؛ والأزرك (٦٤١٩ قدماً) . وفى السفوح الجنوبية نجد سلسلة جبال أحمر خدّو (٦٩٢٣ قدماً) الطويلة التى يمتد الطرف الجنوبى الغربى منها خلال الصحراء.

وبين السلاسل المتوازية أودية أربعة نهيرات لا يتصل بعضها ببعض إلا اتصالا قليلا، وهى مقطعة فى أجزائها الشمالية تقطعاً كبيراً . وهذه الأودية من الشمال إلى الجنوب هى : وادى نهير قنطرة، ويتكون من اتصال وادى نهير فضّالة ووادى نهير الأحمر ؛ ثم وادى نهير عبدى الذى يزيد فيه وادى أبوزينة، والوادى الثالث هو وادى نهير الأبيض ويتفرع منه نهير شنّاوَرَة ؛ وأخيراً يوجد وادى نهير العرب الذى يتكون من تلاقى نهيرات كثيرة آتية من إقليم شِليّه . وهذه النهيرات الاربعة تجرى من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى وتتلاشى فى سهول الصحراء بعد خروجها من الجبال مباشرة. وفى السفوح الشمالية جداول قليلة الشأن وهى : نهير المحضر، ونهير شمُورة ونهير أبوفريس ونهير معروف ونهير باغاى وكلها تتلاشى فى منخفضات سباخ وفى جرة الطرف. وهذه المجارى كلها تكون أودية ضيقة وتعترضها قمم جبال أوراس وتسمى الفم.

ونظرا لوقوع جبال أوراس بين الهضاب وبين الصحراء فإنها تجمع نباتات هذين الإقليمين وأحوالهما الجوية ، وجعل لها ارتفاعها فى الوقت نفسه خصائص أجزاء كثير من جبال تل أطلس .

وقممها العالية تغطيها الثلوج فى الشتاء والربيع، وتهب الرياح الشمالية الباردة على هضاب السفوح الشمالية، وتنحط درجة الحرارة أحيانا فى الوديان المرتفعة جنوبا إلى ما بين ١٢° و١٤° تحت الصفر — ويقابل هذا أن درجة الحرارة ترتفع فى هذه الأودية التى تتعرض للرياح الحارة التى تهب من الصحراء ، ورياح شهلى الجافة، إلى ما بين ١٠٠° و١٠٤° فى بعض الأحيان وهذه هى درجة الحرارة العادية فى الصيف. ويظهر فى النباتات وفى الزراعة مثل هذا الاختلاف الشديد فإن الإنسان ينتقل من الصحراء ليدخل فى الغابات شيئا فشيئا . وهذا الانتقال رائع بنوع خاص فى أودية المنحدرات الشمالية ؛ فالأراضى الزراعية فى الأودية المنخفضة فى وادى عبدى ووادى الأبيض لا تزال بما فيها من أشجار النخيل وحدائق البرتقال والرمان تحمل طابع واحات الصحراء . وشجرة النخيل على المرتفعات التى تبلغ ١٣٠٠ قدم لاتثمر ولكنها توجد على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم زاهرة فى الحدائق بين أشجار الزيتون والأشجار الدائمة الاخضرار وأشجار

فاكهة المنطقة المعتدلة كالمشمش والكريز والكمثرى والكروم . وعلى ارتفاع أكثر من ذلك تنمو الأشجار التى تفقد أوراقها فى الشتاء مثل أشجار البندق والبلوط . ونجد شجر الأرز على ارتفاع ٤٦٠٠ قدم ، ويظهر أنه كان يغطى مساحات واسعة من سفوح جبال أوراس ولكنه فى طريق الفناء لأسباب غير معروفة تماماً حتى الآن . والقليل الباقى من هذه الأشجار إلى الوقت الحاضر ، وأهمها غابة بنى أجانة على منحدرات شليه فى حالة سيئة جداً . وفى جبال أوراس أراض زراعية قليلة المساحة وهى فى أعماق الوديان وقد استغلها أهل البلاد فى غرس الحدائق ، وعلى سفوح الأودية حيث تحاط بأسوار متتالية من الطوب المحروق ، أما الجهات المرتفعة فتصلح للمراعى . وتكاد الأراضى الزراعية إذا أردنا التدقيق تكون مقصورة على السفوح الشمالية . واختلاف الأحوال الطبيعية فى جبال أوراس اختلافا غير منتظم كان سبباً فى تعيين عادات أهل البلاد فإنهم لعدم وجود كل ما يحتاجون إليه فى جهة واحدة ، بل يصيبون بعضه فى جهة والبعض فى جهة أخرى ـ اضطروا إلى أن يكونوا قوماً رحلا . ففى الشتاء نجد القبائل التى تستوطن الناحية الجنوبية من جبال أوراس تزرع حقولها التى فى الشمال ، ثم تجنى ثمارها فى الصيف . وفى الخريف يهبطون إلى الصحراء الكبرى ليشتروا البلح ، وفيما بين ذلك يعنون أكبر العناية بحدائقهم فى أعماق الأودية . وعلى هذا فإن سكان جبال أوراس يجمعون بين خصائص حياة جبال التل وحياة الصحراء ، كما تجمع جبال أوراس خصائص هذين الإقليمين فى نباتهما وجوهما . وهم فى ترحالهم يعيشون فى خيام ، وإذا قرّ قرارهم يعيشون فى منازل يبنون حيطانها من الطين والحصى على هيكل من غصون الشجر ، ويغطون بيوتهم بسقف من الطين الصلب . وفى بعض الأوديه الضيقة يعيشون فى كهوف فى رءوس الجبال لكى يفيدوا من الأرض بقدر ما يستطيعون ولكى يتحصنوا فيها من هجمات الأعداء . وفى وادى الأبيض كثير جداً من مثل هذه المساكن المتخذة من الكهوف، وتكون القرى من هذه المنازل التى تظهر كأنها معلقة على سفوح الأودية أو متوجة لرءوس التلال ، وهى صعبة المنال ويعلوها « جلاءة » أى قلعة واسمها ثقليات فى لغة الشاوية ، وهى بناء ضخم من الحجر له طبقات كثيرة ، وفى داخل هذه القلعة سلم يؤدى إلى كل طابق وإلى الغرف التى فيه حيث تخزن الأسر المختلفة مئونتها ومحصولاتها . وتناط حراسة القلعة فى أثناء غياب السكان بحارس يكون مسئولا عنها ولفظ « ثقليات » يدل بمعناه الواسع على القرية كلها .

ونستطيع أن نقسم سكان جبال أوراس الكثيرين إلى إحدى عشرة قبيلة، ويبلغ عددهم ٨٨,١٠٠ نسمة . وتختلف كثافة السكان بين

مكان وآخر ، وهى فى الأودية أكبر منها على المرتفعات ، وتتناقص من الغرب إلى الشرق . ويبلغ ما يخص الميل المربع من السكان إحدى عشرة نفسا فى إقليم أحرخدو ، و٣٣ فى إقليم أولاد داؤد و ٣٧ فى أولاد عبدى و ٤٠ فى بنى فره و٤٤ فى العامرة ، ٤٨ فى بنى أبوسليمان .

ويتألف سكان جبال أوراس من عناصر مختلفة . فقد انضم إلى البربر الذين هم الجنس الأصلى عناصر أخرى ؛ فمثلا انضم إليهم أولا سلائل المستعمرين الرومان والبوزنطيين وغزاة الفندال، وانضم إليهم العرب بعد ذلك . والعنصر البربرى لا يزال أهم العناصر . وأكثر ما يوجدون فى أبعد أجزاء جبال أوراس منالا وأشدها وعورة . أما العنصر العربى فنجده فى الأودية وفى الجهات المجاورة للصحراء الكبرى . ونستطيع أن نذكر من العرب أو ممن يدعون أنهم عرب اختلطوا بالبربر اختلاطاً كبيراً القبائل الآتية: قبائل الأخضر حلفوية الذين هاجروا من إقليم بسكرة أو هم فرع آخر من تلك القبيلة ، وأولاد فدهلة الذين جاءوا من إقليم بيبان ؛ وأولاد زيان الذين نزلوا واحات بنى سويك ثم الجورة والبرانس فى الأجزاء السفلى من وادى عبدى ، ويقال إنهم هاجروا فى القرن الثالث عشر من الساقية الحمراء ولكنهم فى الحقيقة بربر يتكلمون العربية . وهناك أيضا أولاد عبدى وأولاد داؤد ويزعمون أنهم من نسل الهلاليين . ويقال إنه قد اندمج فى هاتين القبيلتين سلائل المستعمرين الرومانيين ، ولذلك أطلق عليهم اسم الرومية . والقبيلة الأولى استوطنت الجزء الأعلى من وادى عبدى واستوطنت الثانية وادى الأبيض بعد أن أخرج منه بربر أجانة . وهناك أيضا بنوسليمان وهم فرع من العامرة والشرفا والسراحنة فى إقليم أحرخدو ويزعمون أنهم من أصل عربى .

على أن البربر أكبر عدداً ولذلك فإنهم طبعوا سكان جبال أوراس بالطابع المميز لهم إلى اليوم . وهؤلاء البربر يسمون أنفسهم القبائل ، ولكن العرب يسمونهم الشاوية نسبة إلى شاة الغنم . وقد تكون هذه التسمية متضمنة للاحتقار لأن المثل العربى القديم يصف الشاوية بأن فى أدمغتهم عقولا كعقول الأغنام . وليس للشاوية سحنة خاصة ، ولا شك أن السبب فى هذا هو كثرة اختلاط الأفراد من مختلف الأجناس . ونجد فى جبال أوراس أناسا لهم شعر أصفر وعيون زرقاء وهم أكثر عددا فى جبال أوراس منهم فى سائر بلاد البربر ، ويبلغون ثمن عدد السكان . ولغة الشاوية لهجة بربرية وهم أنفسهم يسمونها « هقبائلث » أى لغة القبيلة . ومع أن هذه اللهجة يرجع أصلها إلى أصل لهجات البربر الكبرى فإنها تختلف عنها اختلافا كبيرا بحيث يستحيل على شاوى أن يتفاهم مع زواوى . ويرى G. Mercier

أن لهجة الشاوية أقرب نسبا إلى لهجات «وانشريس» الذين ينتمون إلى قبيلة زناتة، كما ينتمي إلى هذه القبيلة أهل أوراس أنفسهم. وقد تسربت إلى لهجات أهل أوراس كلمات يسهل معرفة أصلها اللاتيني. مثل أورثو أي حديقة، وهي في اللاتينية hortus، وكروش ومعناها بلوط وهي في اللاتينية quercus وغير ذلك من الكلمات. كذلك تمايز لغات مختلف الأودية تمايزا واضحا في النطق والمفردات بحيث نستطيع أن نتبين طائفتين متمايزتين من اللهجات: لهجات الزناتية في شرق جبال أوراس ولهجات تمزيغت في الجهات الأخرى.

ومع أن الشاوية دخلوا في الإسلام منذ أول أيام الفتح العربي فإنهم قد احتفظوا ببعض آثار الديانات التي تتابعت عليهم كالوثنية واليهودية والكاثوليكية والدوناتيه. وهذا يعلل ما بقي بينهم من بعض الظواهر مثل وشم الصليب أو صورة الحرفين « و » وتقديم القرابين في أماكن مقدسة قديمة وحلف اليمين عند الآثار الحجرية الكبيرة وإقامة الأعياد في بعض فصول السنة. ونلاحظ أن الطقوس التي يؤديها أولاد عبدي في الربيع هي على نحو ما يحدث عند المسيحيين في صلاة الشفاعة، ويتبع ذلك الرقص والمرح مدة يومين. وتقام كذلك بمناسبة الحصاد وخزن المحصولات في مبدأ فصل الربيع حفلات سرور عظيمة، ثم يحتفل برأس السنة واسمها « بو إيني » بالغناء والرقص وغير ذلك من أعمالهم المألوفة. وإلى جانب هذا نجد الشاوية يحتفظون بالتقويم اليولياني بدلا من أن يعملوا بالتقويم الهجري. وسنتهم ٣٦٥ يوما. وتدل أسماء الشهور ژنار = يناير وفرار = فبراير وهكذا على الأسماء اللاتينية القديمة. وأسماء أيام الأسبوع هي وحدها المأخوذة عن العرب.

على أن بقاء هذه الآثار التي يرجع عهدها إلى ما قبل الإسلام لم يحل بين الشاوية وبين اتباع نزعة التعصب للعقائد الإسلامية. وهم يسارعون إلى الانخراط في الطرق الصوفية مسارعة البربر. ويبلغ عدد أعضاء الطريقة الرحمانية التي مقرها زاوية تيمرماسين في أسفل جبل أحمر خدو ٢٥٠٠ عضواً، ويبلغ أتباع الطريقة الشاذلية في أوراس نحو الألفين، واتباع طريقة الحبّاب خمسمائة أو ستمائة. وهناك كذلك أتباع للطريقة القادرية كثيرو الانتشار وهم متحمسون لأسرة أبو عباس أصحاب زاوية مناعة. وقامت في جبال أوراس ثورات منذ الفتح الفرنسي بإيعاز من أهل هذه الطرق. ولم يكن للحب الصوفي سبيل إلى تحسين أخلاق أهل الطرق. وقوانين الأخلاق السائدة في جبال أوراس قوانين متراخية جداً. وأهل هذا الإقليم كثيرو الطلاق، ويقع في وادي عبدي في العام من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ حادثة طلاق. والبغايا ويسمونهن العزرية ومعناها الحرفي المرأة

المطلقة كثيرات العدد . وهناك أماكن كثيرة ولا سيما فى مناعة معروفة فى الإقليم كله بأنها مواطن اللذات .

كان يسكن جبال أوراس أيام الفتح العربى قبائل بربرية من قبيلة زناته العظيمة (أوربّة وجراوة) ، وقد احتفظت هذه القبائل باستقلالها فى الجبال . وبعد الرومان والفندال اكتفى أباطرة بوزنطة برد البربر وكبحهم وراء سلسلة من الاستحكامات الحربية على سفوح أوراس الجنوبية (لميبيز وباغاى ومسكولة) . ويظهر أن زحف العرب قرّب الصلات بين البربر وخصومهم القدماء . فلما دخل عقبة بلاد المغرب اتحد البربر واليونان وأنزلوا به خسائر كبيرة عند باغاى ولمبيسز ، حتى أنه لم يجرؤ على مواصلة التقدم فى بلادهم. ولما عاد إلى المغرب بعد حملته العظيمة اكتفى بحملة للاستطلاع فى أوراس ، ولكنه لقى حتفه فى تهودة قرب أوراس . ويظهر أن قبائل أوراس فى هذه المرة اتحدوا مع قبائل البربر الأخرى تحت إمرة كُسَيلة ليثوروا معاً واختاروا كسيلة زعيما لهم . وبعد أن خرب زهير بن قيس مملكة كسيلة ، كانت جبال أوراس مأوى للمهزومين يعتصمون بها . وصارت مركز مقاومة للمسلمين . ولم يقض على هذه المقاومة إلا فى أوائل القرن الثامن بعد الهجرة فى عهد حسان بن النعمان بعد مواقع دموية أشير إليها فى قصة « الكاهنة » ملكة جراوة . وكادت هذه الحروب تبيد قبائل أوربة وجراوة عن بكرة أبيهم . وحل بديارهم الحوارة واللواتة وهم بربر من طرابلس وجنوبى إفريقية استوطنوا جبال أوراس ودخلوا جميعا فى الإسلام ، ولكنهم احتفظوا بنوع من الاستقلال الفكرى تجلى فى حماسهم لقبول مذاهب تخالف جمهور المسلمين كالإباضية فى القرن الثامن ومذهب النكارية فى القرن العاشر .

ومن الأوراس أيضاً ظهر أبو يزيد مخلد بن كيداد (انظر هذه المادة) ، وهو الرجل صاحب الحمار ، الذى قاد ثورة عام ٩٣٤ — ٩٤٧ فهدد زمناً ما دولة الفاطميين التى أسسها عبيد الله (انظر مادة الفاطميين) . على أن إغارة الهلاليين فى القرن الحادى عشر غيرت موقف الشعوب فى جبال أوراس . واستوطن بنو دريد وهم فرع من بنى أثبج التلال الشمالية ثم تقدموا نحو الجنوب وصبغوا جزءاً من الحوارة بالصبغة العربية . ولكن غالبية الغزاة ظل أثرهم بعيداً عن التغلغل فى الجبال . بل يظهر أن بعض العرب اختلطوا بأهل البلاد فتبربروا .

ولم يكن لأهل الأوراس شأن فعلى فى تاريخ المغرب فى القرون التالية وإن كانوا قد استطاعوا المحافظة على استقلالهم من غير أن يمسه أذى ، وأن يتجنبوا الوقوع تحت سيادة بنى حفص الذين أصبحوا حكام قسنطينة . ولم يغير حكم الترك فيما بعد من هذه الحالة شيئاً. كان للترك منذ القرن السادس

عشر حامية فى بسكرة ، ولكنهم لم يحاولوا إقامة حكام يؤيدون سياستهم فى جبال أوراس إلا فى أوائل القرن الثامن عشر . وكان أول هؤلاء الحكام زديرة بن محمد أبو ضياف.ويقول الرحالة پيسونل Peyssonnel إن جميع القبائل كانت تعترف برياسته عام ١٧٢٥ ، وإنه كان يلقب بشيخ الأوراس. على أن سلطان هؤلاء الحكام لم يكن وطيد الأركان. وكان شأنه شأن سلطان بايات قسنطينة الذين كانوا يستمدون منهم نفوذهم ؛ فكان أولاد داؤد مثلا لا يفتئون يحولون بين جنود الترك وبين دخول البلاد لجمع الضرائب. ولم يكن أولاد عبدى يسمحون بدخول الجند إلا من يدعى منهم لمعونة حامية بسكرة . وكان بنو أجارة والعامرة فى ثورة على بايات قسنطينة تكاد لا تنقطع حتى اضطر آخر هؤلاء البايات المسمى أحمد إلى أن يحاربهم عام ١٨٣٤ .

وكان أهل أوراس حتى الفتح الفرنسى يحتفظون إلى جانب استقلالهم بأنظمتهم السياسية القديمة التى كانت فى الجملة تشبه أنظمة البربر . ولم يستطيعوا قط أن ينشئوا نظاماً سياسياً جامعاً لأنهم لم يفلحوا أبدا فى تكوين اتحادات من قبائل ارتبط بعضها بالبعض بحلف اليمين مثلما فعل قبائل جُرجُرة البربرية .

وأساس تنظيمهم السياسى كان دائما القرية ، وهى دولة بالمعنى الصحيح يحكمها مجلس الأمة ويسمونه الجماعة . وأنظمة هذه القرية أقل تقدما من أنظمة القبيلة ، فعلى حين أن جماعة القبيلة تعين رئيسا ذا سلطة (هو الأمين) يخول تنفيذ قراراتهم ، نجد جماعة الأوراس تعهد بتنفيذ أحكامها إلى رجل يسمى « كُبجى » يمتاز بالبسالة والقوة البدنية . والتشريع كذلك شديد التأخر فالقانون أو مجموعة العقوبات لمختلف الجرائم مختصر للغاية . على أنه رغم هذه الفوارق توجد وجوه شبه كثيرة بين أنظمة البربر وأنظمة أهل أوراس ، فبينهم مابين البربر من روح الانقسام ومن معاداة القرى بعضها لبعض ، ومن معاداة فى القرية الواحدة ، ومن التفرق أحزابا . وكثيرا ما تؤدى المنافسات بينهما إلى الحرب وإراقة الدماء . فكانت كل قرية من قرى أولاد عبدى وأولاد داؤد مثلا تنقسم إلى أربعة أحزاب متعادية لكل منها زعيم . والموقع الطوبوغرافى لمواطن الجماعات والاستعدادات الاحتياطية التى يقومون بها للدفاع عن أنفسهم فيه الدليل على أن كل قبيلة تعتبر أقرب جاراتها إليها ألد أعدائها . وكل مانستطيع معرفته بعد هذا عن التاريخ الداخلى لأهل أوراس لا يعدو السخائم المستمرة بين القبائل والمشاحنات فى القرى . وفوق هذا فإن بعض الأسر التى صار لها بعض القوة بتأثير الدين أو الروح الحربية استطاعت أن تستغل منافسيها لمصلحتها الخاصة. وتلك الأسر مثل أبو عكاز ، وبنى كانة وكذلك شيوخ بنى زاوية الكبرى فى

تمر ماسين وخنكة وسيدى الناجى والمناعة .

وقضى الاحتلال الفرنسى على هذه الحالة فبعد فتح قسنطينة مباشرة كان لا بد من إخضاع إقليم اعتصم به أحمد بك الوالى السابق ومن تبعه من الساخطين ، فاحتل الفرنسيون باتنة وبسكرة عام ١٨٤٤ . وفى العام التالى زحف دوق دومال Duc d'Aumale إلى داخل بلاد أوراس من الجنوب ، وفتح مشونش وزحف بيدو Bedeau فدخل وادى الأبيض ووادى عبدى فالإقليم المجاور لشلية وأرغم رؤساء القبائل على أن يعترفوا بسيادة الفرنسيين. ولكن هذا الفتح كان مؤقتا فإن أهل البلاد أبوا بإيعاز أحمد بك أن يدفعوا الضرائب وخرجوا على القواد الذين عينتهم الحكومة الفرنسية . ووجهت حملات جديدة إلى وادى الأبيض عام ١٨٤٨ و ١٨٤٩ تحت قيادة كانروبرت Canrobert وكربوكيا Carbuccia ولم تكد هذه الحملات تنتهى حتى ثار أبوزيان فى إقليم زيبان فنشأت عن ذلك ثورة أخرى فى جبال أوراس أخمدها Canrobert كانروبرت .

واستولى على قرية نرَه فى وادى عبدى وخربها فى ٦ يناير سنة ١٨٥٠ ، وشاركه فى إخمادها «سان أرنو» الذى زحف على الجبال على رأس فيلق من الجند فى مايو ويونية من العام نفسه . وسادت السكينة التامة حتى عام ١٨٥٩ ، ثم نشبت ثورة بزعامة المرابط سى صدّوق (صادق) بن الحاج فهزمه الجنرال ديرڤو .

ولما ثار البربر سنة ١٨٧١ ظل الشاوية على ولائهم بفضل تأثير زعيميهم سى بن ضياف وسى محمد بن عباس . ولكن أولاد داؤد ثاروا عام ١٨٧٩ استجابة لنداء الشريف سى أحمد مُزْيَان الذى كانت تعاونه « لَحَالا » ، وهى قبيلة مرابطية عربية الأصل ظنت أن مكانتها تتعرض للخطر إذا توثقت الصلات بين المسيحين وبين الشاوية . بدأت هذه الثورة بقتل جميع القواد الموالين للنفوذ الفرنسى، ولكن جيوش قسنطينة أخمدتها (٢ — ٢٠ يونيه سنة ١٨٧٩). وأبيدت قوات الشريف فى وقعة رباعة التى حدثت فى ٩ يونيه ، ومن بقى منهم مات جوعا وعطشا وهم هاربون إلى جنوبى تونس . وهرب سى مزيان إلى الجريد ولكنه قبض عليه وسلم للسلطات الفرنسية .

ومن ذلك الحين لم تقم ثورات فى جبال أوراس . ونستطيع أن نقول إن السلام قد عاد نهائياً إلى تلك الربوع . على أن هذه البلاد إذا استثنينا أطرافها الشمالية ، لاتهيء مستقبلا للاستعمار الأوربى نظرا لطبيعتها الجغرافية ولفقر مواردها الطبيعية . ولهذا يحسن تركها لأهلها . أما فيما يتعلق بالإدارة فهى تشمل ثلاث جماعات مختلطة : عين توتة وأوراس وعاصمتها لمبيز ، وخنشلة . وهناك أيضا مستعمرة حربية عاصمتها تكوت .

المصـــادر

(١) Reclus: *l'Afrique septentrionalle*

فى Géographie Universelle، جـ ١١ (٢) Fallot:
Etude [redacted] les Monts Aurès (مجلة الجمعية
الجغرافية بمرسيليا عام ١٨٨٦) (٣) Lartigue:
Monographie de l' Aurès (قسنطينة
١٩٠٤) (٤) Busson : Les Vallées de
l' Aurés (Annales de géogr. ١٥ يناير سنة
١٩٠٠) (٥) Masqueray : De Aurasio
monte (باريس ١٨٨٦) ، Formation des
cités chez les populations sédentaires de
l' Efrique septentrionale (باريس١٨٨٦) ،
Documents historiques sur l'Aurès
Rev. Afric.) ١٨٨٤)؛ Voyage dans l'Aurès
(مجلة الجمعيـــة الجغرافيـة باريس ١٨٧٦)
Bulletin Tradition de l' Aurès oriental
de Correspondance Africaine جـ ٣ عام
١٨٨٥) (٦) Sierakowski : Das Schawi
(درسدن ١٨٧١) (٧) Basset : [redacted] Note
le Chaouia de la province de constantine.
(باريس ١٨٩٧) (٨) G. Mercier : Le
Chaouia de l'Aurès] Publications d[redacted]
l'école des Lettres d'Alger جـ ١٧ باريس
١٨٩٦) .

[G. Yver ايفر]

« أورخان » : هو أكبر أبناء الأمير عثمان (انظر هذه المادة) مؤسس الدولة العثمانية . كانت أمه ملك خاتون ابنة الشيخ « ادبالى » من قرية ايتبورنو بالقرب من مدينة إسكى شهر ، ولا نعرف العام الذى ولد فيه ، والحق أن علمنا بتاريخ حكمه لا يزال ناقصا نقصا كبيرا . وتقول المصادر العثمانية إنه ولد عام ٦٨٧ هـ (٦ فبراير سنة ١٢٨٨) ؛ ويقول آخرون إنه ولد عام ٦٨٠ هـ (٢٢ من أبريل سنة ١٢٨١) . وهناك قرائن قوية تؤيد التاريخ الأول ، الذى ربما كان أصله ما ورد فى كتاب حاجى خليفة . ولسنا نعرف إلا القليل عن شباب أورخان الذى لم يكد يبلغ الثانية عشرة من العمر حتى تزوج عام ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) ابنة صاحب يارحصار واسمها نيلوفر خاتون (انظر هذه المادة) وهى فتاة يونانية كانت مخطوبة لصاحب بلكومة (بيله جك) وأولدها أورخان أبناء منهم : مراد وهو الذى خلف أباه ، وسليمان باشا .

ولما ارتقى أورخان الملك كان يناهز الأربعين ، وقيل إن ذلك كان فى رمضان من عام ٧٢٦ م (أغسطس ١٣٢٦) . وجاء فى بعض الروايات أن أورخان أعطى لأخيه علاء الدين على ويسمى عادة بعلاء الدين (انظر : Isl، جـ ١١ ، ص ٢٠ تعليق ٣) جزءا من ممتلكات أجداده ، ويقال كذلك إن علاء الدين اكتفى بالوزارة . وتشبه هذه القصة شبها قويا قصة موسى وهارون المذكورة فى القرآن (سورة طه ، آية ٢٨) . وربما يكون قد قصد بها بيان الأساس التاريخى لنشأة منصب الوزارة . وكان علاء الدين على أول من لقب بلقب باشا (انظر هذه المادة) ، وهو

اللقب الذى انتقـــل إلى سليمان باشا بن أورخان وورثه عنه قره خليل .

ونستطيع أن نقسم حكم أورخان إلى عصرين : أولها من ١٣٢٦ إلى ١٣٤٤ م ، وفى هذا العصر كان يوطد دعائم السلطان العثمانى فى آسية الصغرى وينشىء الجيش ويؤسس الإمبراطورية . والعصر الثانى يقع من سنة ١٣٤٤ إلى وفاته سنة ١٣٥٩ — ١٣٦٠ . وكان فى هذا العصر يستعد لتثبيت قدمه فى تراقية ومقدونية ، ونشر سلطانه على أرض أوربا ، فوضع دعائم الإمبراطورية العثمانية التى تكونت فيما بعد ، وهو منشؤها الحقيق .

وقد ظهر أورخان بمظهر الفاتح القادر فى حياة أبيه ، فقبيل وفاة والده بالنقرس عن سبعين سـنة ، كان أورخان قد استولى على بروسة من غير سفك للدماء ، ثم أصبحت بروسة عاصمة البـــلاد ، وصارت نيقية [إزنيق] ونقوميدية هدفين توجه إليهما سيوف آل عثمان . وكان يعاونه فريق من القواد المحنكين أشهرهم كوسه ميخـــال (انظر ميخال أوغلى أقچه قوجه وقنور ألب وعبـــد الرحمن غازى وقره على وقره مرسل . وبمعاونة هؤلاء القواد قام بتنفيذ الخطط التى أرادها ووفق أعظم توفيق . وقبـل أن يفتح أورخان هاتين المدينتين استولى أولا على شبه جزيرة بثينية فى أقصى الشمال ، وهى التى يحدها من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب خليج نقوميدية ومن الغرب البوسفور ؛ واستولى على قلعتى سمندرة وأيدوس ، وهما قلعتان محصنتان تحصينا قويا . وكانتا تحرسان الطريق الحربى الواصل بين القسطنطينية ونقوميدية . وأقطع أحد القواد وهو أقچه قوجه مدينة سمندرة والإقليم المسمى باسمها ، ولقب منذ ذلك الحين « قوجه إيلى » . وأعقب سقوط هذه الأماكن الحصينة فى أيدى آل عثمان إخضـاع معظم المدن الصغرى على شاطىء خليج نقوميدية وكان حصن هركه أشد هـذه الحصون مقاومة . وفتح قره مرسل أراضى الشاطىء الجنوبى بأن احتل مدينة يالوه المشهورة بحماماتها الطبية كما فتح إقليم قره مرسل الذى سمى باسمه . ولما كان أميرا إقطاعيا من أمراء أورخان فقد أخذ على نفسه أن يحتفظ بأسطول صغير يحمى به الشاطىء بحيث انقطعت المواصلات بين القسطنطينية ونقوميدية فى البحر انقطاعا تاما . وعندئذ نزل أورخان بنفسه إلى ميدان القتال ضد نقوميدية . وبعد أن سقط حصن « قيون حصار » المرتفع استولى على المدينة من غير كبير مشـــقة . وعلى حين أخلى الإمبراطور « أندرونيقوس » نقوميـدية فإنه استعد للذود عن نيقية التى كانت مقر الپاليولوجى فى الزمن القديم . وفى أوائل عام ١٣٣٠ زحف البوزنطيون إلى الشاطىء الأسيوى ، ووقفت قرب مدينة « فيلوكرين » الساحلية الصغيرة فى إقليم ميزوثينية ، وهى

الآن « توشَنْجل » ، معركة لم يرد شيء من خبرها فى المصادر العثمانية ؛ على حين أن المؤرخين البوزنطيين مثل Kantakuzenos (طبعة بون ، ج ١ ، ص ٣٤١ وما بعدها) ، و Nhikephoros Gregoras (طبعة بون ، ج ١ ، ص ٤٣٤) و Phrantzes and Chalcocondyles يخطئون خطأ ظاهرا ويتعمدون قلب الحقائق .

وكان انهزام البوزنطيين فى فيلوكرين قاضيا على الأمل فى المحافظة على نيقية . بل إن سكانها لم يحاولوا المقاومة الجدية ، وسارعوا إلى حلف يمين الولاء لأورخان . وأسرف هذا الملك فى الإنفاق على هذه المدينة ولم يضن عليها بشيء . وسرعان ما أصبحت من أزهى مدن الإمبراطورية العثمانية وأكثرها رخاء بعد أن مر عليها عصر عانت فيه الشدة والضيق . واشتهرت نيقيـــة ، التى تسمى الآن إزنيق ، بأنهـا مركز للحيـاة العقلية الإسلامية .

وفى عام ١٣٣٣ قام سليمان باشا بن أورخان بحملة على بلاد كانت لا تزال مستقلة شمال سنكريس (سقاريا) ، فاحتل كُوينيك ومودرينه وتركجى . ويكاد يكون هذا الاحتلال دون قتال . وكانت كل انتصارات أورخان وفتوحاته على حساب اليونان . ولم تحدث مواقع حربية مع الولايات الصغيرة التى انقسمت إليها إمبراطورية السلاجقة فى الأناضول . وأول مافتح منها هى بلاد قَرَه‌سى (انظر هذه المادة) المجاورة لبلاد أورخان ، وكانت وراثة الملك فيها سيما فى أن قام سنة ١٣٣٥ نزاع بين أخوين ، كان أصغرهما طورسون يعيش فى قصر أورخان فطلب منه أن يعينه على أخيه الأكبر (وكان اسمه تيمورخان) . فغزا أورخان قرەسى بعد أخذ مواثيق معينة ، واستولى فى طريقه إليها على « أولوباد » و « كرماستى » (انظر هذه المادة) و « ميخاليج » ، إلى جانب قلعتى كويلسوس وأيلسوس . وسلمت باليكسرى لأورخان من غير قتال ولم تقاومه إلا « برغمة » . وسرعان ما دخلت هذه المدينـة فى قبضة العثمانيين فى مقابل ما أظهره أورخان من الصفح عن صاحب قره سى الذى غدر بأخيه الأصغر (عام ٧٣٦ هـ = ١٣٣٦ م) . وعهد إلى حاجى إيلبكى وزير آخر أمراء قرەسى بإدارة هذه البلاد التى اســـتولى عليها العثمانيون عند ذاك . وعين كلا من اجه بك واورنوس (انظر هذه المادة) مستشارين له .

وبعد أن سقطت برغمة فى يد أورخان عمل على تثبيت دعائم حكمه بسن القوانين وبالتنظيم الإدارى للإمبراطورية العثمانية التى اتسعت رقعتها اتساعاً عظيما . ويظهر أنه أول من نظم حكمه فى بلاد الأناضول (انظر التفصيل الوافى فى *G. O. R. Zinkeisen*، ج ١ ، ص ١١٨ وما بعدها) . وكان لأخيه علاء الدين شأن عظيم فى ذلك إلى أن مات عام ١٣٣٣ م ، فحل محله ابن أخيه سليمان . ويقول

سعد الدين إن علاء الدين دفع أخاه إلى تأسيس أول دار لضرب النقود سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٨م). وفى هذا العام ضربت أول نقود فضية وذهبية باسم أورخان، وحلت محل العملة السلجوقية التى كانت شائعة من قبل فى جميع أجزاء الإمبراطورية العثمانية. ووضعت قوانين تنظم الملابس فتميزت طبقات الشعب وأصحاب المناصب تميزا تاما. وأعيد تنظيم الجيش بما يناسب الظروف الجديدة وذلك على يد چاندارلى خليل (انظر هذه المادة). وفى عام ١٣٣٠م أسست فرق الإنكشارية وهم جنود المشاة من الترك الذين كانوا يتألفون من شباب الذميين ويأتمرون بإمرة الحاج بكتاش (انظر هذه المادة). ونظم كذلك المشاة غير النظاميين وهم «العزب»، وتطور الفرسان الإقطاعيون بما يلتئم مع أغراض الإمبراطورية الجديدة

وفى نفس الوقت أسس أورخان مساجد كثيرة وأقيمت التكايا والمدارس. وتشهد المنشآت التى أسسها فى جميع أجزاء البلاد التى فتحها وحبس عليها الأوقاف على عظيم عنايته بالأمور الدينية. ولا شك أن أورخان كان يحيط بعنايته نظام الدراويش الذى كان فى ذروة مجده فى ذلك العهد. ويظهر أن الطريقة البكتاشية ظهرت فى أيامه. ومما يؤيد ذلك مانراه فى بروسة عاصمة بلاده من بيع وتكايا للدراويش الذين كانوا يفدون من الشرق فى عهده ليجدوا ملجأ فى الإمبراطورية العثمانية. وكانت الحياة الدينية للإسلام فى عهد أورخان مطبوعة بطابع علوى إن لم تقل شيعى، وهذا من أغرب مانلاحظه فى تاريخ الدين. ولا تزال المسائل الجوهرية فى هذا الموضوع تحتاج إلى إيضاح لا يتسنى إلا بدراسات خاصة.

ونجد فى عهد أورخان مبادىء الاتصال الودى والسلمى بين العثمانيين والبوزنطيين وإن كانت الحرب بينهم تعقب السلم والخصام يعقب الوئام (انظر J. V. Hammer: G.O.R جـ ١، ص ١٢٦). وقد استدعيت جنود الترك المرة بعد المرة لمساعدة أباطرة بوزنطة. ولما اعتلى أورخان العرش كانت القبائل التركية قد عبرت المضايق ثلاث مرات دون أن ينجحوا نجاحا حقا، ودون أن يتركوا أقل أثر فى أوروبا (انظر Hammer [illegible]: G. O. R. جـ ١، ص ١٠[illegible] وما بعدها؛ Zinkeisen: G. O. R. جـ ١، ص ١٨٤ وما بعدها) ويظهر أنه لم يكن الباعث على هذه الغزوات فكرة ترمى إلى تأسيس إمبراطورية عثمانية على الجانب الغربى للدردنيل ولم يعرها الإمبراطور البوزنطى إلا انتباها قليلا. ولكن نشأت بمرور الزمن من هذه الغزوات العارضة حملات منظمة مما شأنها شيئا فشيئا، وذلك على يد دويلات الأناضول. وليس من شك فى أن أومور بك حاكم «أيدين إيلى»، وكان من أنبه رجال ذلك العهد وإن كان من أقلهم شهرة، كان ينوى أن ينظم غاراته المتكررة على أرض أوروبا.

ويقال إن أورخان نفسه عقد فى سنة

١٣٣٣ م معاهدة مع الإمبراطور أندرونيقوس فى أثناء حصار نقوميدية تعهد فيها ألا يعتدى بعد ذلك على مدن آسية الصغرى التى كانت تحت سيادة البوزنطيين (انظر Kantakuzenos طبعة بون ج ١، ص ٤٤٦)

ولكن سرعان ما تزايد ضعف بوزنطة وزادت قوة العثمانيين فقضى على تلك المعاهدة . وفى عام ١٣٣٧ م حاول أورخان أن ينزل على الشاطىء قريباً من القسطنطينية بأسطول يتكون من ست وثلاثين سفينة ، ولا بد أنه كان يقصد من ذلك أن يهاجم العاصمة ويثبت أقدامه فى تراقية ولكن هزم العثمانيون هزيمة منكرة ونجوا هاربين بسفينة واحدة فقط . ثم كانت المنازعات الأسرية التى سرعان ما قامت بعد ذلك فى القسطنطينيـــة حينما صار دوميستيكوس كانتاكوزينوس Domestikos Kantakuzenos الأكبر إمـــبراطوراً ، وولى الأمر بالاشتراك مع جون پليولوجوس John Palaeologus ، فقربت هذه المنازعات بين أورخان وكانتاكوزينوس . وعند ذلك قام أومور بك بجهود جديدة لتثبيت قدمه فى أوروبا . ولكن هذه الجهود لم تثمر رغم هلاك الرجال وضياع السفن . ووقف أورخان موقف المتيقظ ، وأوعزت إليه الامبراطورة أنّا Anna أم الامبراطور جون پليولوجوس الصغير أن يرسل جيشاً يساعدها على منافسها كانتاكوزينوس . ورأى هذا ازدياد الخطر

وبعد أن أصيبت جيوشه بالهزيمة اجتهد فى أن يستميل أورخان إلى جانبه ، فقدم له فى يناير سنة ١٣٤٥ م ابنته « ثيودورا » زوجة له ، وكانت لا تزال قاصراً ، وذلك فى مقابل ستة آلاف من الجنود (انظر *Kantakuzenos* ج ٣ ، ص ٣١ ، طبعة بون ، ص ٤٩٨ ؛ *Dukas* ج ٩ ، طبعة بون ، ص ٣٣ ومابعدها ؛ *Chalcoc.* ج ١ ، ص ٢٤) . واحتفل بالزفاف احتفالا عظيما فى مايو سنة ١٣٤٦ فى سليمبريا (انظر *Kantakuzenos* ، ج ٣ ، ص ٩٥ و ص ٥٨٥ ومابعدها : *Nikeph. Oregoras* ، ج ١٥ ، ص [illegible] و ص ٧٦٢ ومابعدها . ويقول Nikeph. إن اسم العروس هو ماريا : انظر ج ١ ، ص ٧٦٢ ، وهذا خطأ من غير شك) .

ومما هو جدير بالملاحظة أن عروس أورخان لم تغير دينهـــا بل ظلت مسيحية مخلصة (انظر *Kantakuzenos* طبعة بون ، ص ٥٨٨ ؛ Zinkeisen : *G. O. R.* ، ج ١ ، ص ٢٠١ ومابعدها) وصار لها فضل عظيم فى شراء كثير من الأرقاء المسيحيين وإرسالهم إلى بلادهم ليعتقوا . ويظهر أن أورخان أولدها الأمير خليل چلبى الذى وقع فى أسر أهل جنوة فيما بعد والذى تزوج وهو لا يزال حدثاً ابنة الامبراطور يوحنا الخامس (انظر Jorga : *G.O.R.* ، ج ١ ، ص ٢٠١) .

على أن محالفة كانتاكوزينوس للعثمانيين كلفته ثمنا كبيرا ، فبعد الزفاف بقليل أرسل أورخان إليه عشرة آلاف جندى ليساعدوه فى الحرب التى وقعت بينه وبين أمير الصرب

« استيفان دوشان Stjepan Dushan » فانقلب الترك على البوزنطيين وعادوا إلى آسية محملين بالغنائم العظيمة . ولكن هذا الغدر لم يردع كانتا كوزينوس عن طلب المعونة من صهره مرة أخرى عام ١٣٤٩ م ؛ فأرسل إليه فى هذه المرة عشرين ألف جندى ولكن هذا الجيش استدعى إلى الأناضول بغتة ، فعبر الدردنيل بعد أن أعمل السلب والإحراق على طول الطريق . وزيادة على هاتين المرتين اللتين غزا فيهما الترك أوربا بطلب من أهلها ، فإن غارات قبائل الأناضول لم تنقطع بل ظلت مستمرة وقاسى أهل تراقية آلاما لا تحتمل . واستغل أورخان حالة الاضطراب هذه فأراد أن ينفذ مشروعه الذى طالما فكر فيه وهو تثبيت قدم العثمانيين فى أوربا تثبيتا دائما ؛ فأمر ابنه سليمان باشا عام ١٣٥٦ م بأن يعبر الدردنيل ، فأفلح فى ذلك عند حصن تزيمپه وهو الذى يسمى الآن جمنلك . وفى سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٧ م) استولى العثمانيون على غاليبولى ؛ ولكن الفاتح سليمان باشا مات بغتة عام ٧٦٠ هـ (١٣٥٨ م)، ودفن فى بلير من أعمال تراقية ، ولم يدفن فى بروسه فكان موته سببا فى إيقاف تقدم العثمانيين . نعم إن حاجى إيلبكى « واجه بك » قد قاما بعدة حملات على أوربا ولكنهما لم يحاولا بسط السلطان العثمانى . ومات أورخان بعد سليمان بقليل ، ولا يعلم تاريخ موته على وجه دقيق . وأقرب الروايات إلى الاحتمال هى التى تقول إنه مات فى أوائل عام ٧٦١ هـ (٢٣ من نوفمبر سنة ١٣٥٩ م) . أما ما يقوله K. J. Jirichek اعتمادا على مصدر صقلى من أن أورخان عاش حتى مارس سنة ١٣٦٢ بعد الاستيلاء على أدرنة فهو قول ضعيف . (انظر Archiv für Slav. Phil. ، ج ١٤ عام ١٨٩٢ ، ص ٢٦٠) . وإن كان Oskar Halecki يميل إلى القول بأنه توفى سنة ١٣٦٢ *Un Empereur de Byzance à Rome)* *(Warsaw 1932 = Travaux Historiques de la société des sciences et des lettres de Varsovie* ، ج ٨ ، ص ٧٤ ، تعليق ٣) .

ولسنا ننازع فى أن الحوليات البوزنطية (ص ٣٩٢) التى نشرها يوسف ميللر فى *Sitzungsber. d. K. K. Ak. d. Wiss.* فينا عام ١٨٥٣ جزء ٩ تؤيد هذا الفرض ، كما أنه لا نزاع فى أن المؤرخ الفلورنسى ماتيو فلانى يقول إن أول حروب أورخان كانت فى نوفمبر سنة ١٣٦١ (انظر Muratori: *Rerum Ital. Script.* ، ج ١٤ ، ص ٦٧٢ ومابعدها) وإذا كان مراد الأول يسمى «فاتح أدرنة» حقيقة، فإن عام وفاة أبيه أورخان يجب أن يرجع إلى ما قبل استيلائه على هذه المدينة فى ربيع سنة ١٣٦١ (انظر F. Babinger فى *M.O.G.* ، ج ٢ ، ص ٣١١ وما بعدها) . ويمكن أن يؤخذ هذا قضية مسلمة الآن . ويقول Halecki إنه لم يرد فى مقال بابنجر أن الاستيلاء على أدرنة عرف فى البندقية فى ١٤ من مارس

سنة ١٣٦١م . ودفن أورخان إلى جانب أبيه فى بروسة (انظر J. von Hammer فى *G.O.S.* جـ ١ ، ص ١٥٧ وما بعدها . وتجد فى هذا المصدر وصفا لأورخان) .

المصــــادر

لم تظهر حتى الآن مصادر عثمانية معاصرة ، وأهم المؤرخين البوزنطيين هو كاتا كوزينوس؛ ولكن تحيزه يحتم علينا أن نستقى منه معلوماتنا بحيطة عظيمة ، ونيقوفوراس جريجوراس أجدر بالثقة منه . وقد درس Joh. Draesecke دخول العثمانيين أوروبا فى القرن الرابع عشر دراسة نقدية فى *Neues Jahrbuch für das Klassische Altertum* ، جـ ٣١ ، ص ٧ وما بعدها . وقد تناول H.A. Gibbons كل عهد أورخان بالبحث فى كتابه *The Fouudation of* [redacted] *Ottoman Empire* أكسفورد ١٩١٦ ، ص ٥٤ — ١٠٩ . ولكن لانستطيع الثقة به فى كل ما كتب . ويجد القارىء مصادر أخرى ذكرها J. v Hammer و Zinkeisen و Jorga

[بابنجر Franz Babinger]

« أورشليم » انظر مادة « القدس »

« أورفة » انظر مادة « الرها »

« أورنك آباد » عاصمة إقليم مسمى بهذا الاسم فى حيدر آباد (الدكن) . وهى على خط عرض ٥٣َ ١٩° شمالا وخط طول ٢٠َ ٧٥° شرقاً . وهذه المدينة ثانية مدن الإقليم ويبلغ عدد سكانها عام ١٩٠١ : ٣٦٨٣٧ نسمة . وقد أنشأها عام ١٦١٠ ملك أمبار وزير حاكم أحمد نكر . وكانت أول الأمر تسمى فتح نكر ، ولم يطلق عليها اسمها الحالى إلا عام ١٦٥٣ ، عند ما صار أورنك زيب حاكما للدكن . ولما أعلن آصف جاه استقلاله فى الحكم ، أضيفت أورنك آباد إلى أملاكه . وفى هذه المدينة آثار إسلامية كثيرة منها المسجد الذى بناه ملك أمبّر وضريح زوجة أورنك زيب وقصره .

وتشتهر هذه المدينة بالمصنوعات الفضية والذهبية والتطريز والأنسجة الحريرية . وعلى نحو ميــــلين منها كهوف مشهورة بوذية الأصل. ويبلغ عدد سكان أورنك آباد ٢,٣٦٣,١١٤ نسمة منهم ١٠ فى المائة فقط من المسلمين بحسب إحصاء ١٩٠١ .

المصــــادر

Imperial Gazetteer of India ، جـ ٦ ، ص ١٤٠ — ١٥٠ .

[هوروفتز J. Horovitz]

« أورنك آباد » مدينة صغيرة فى إقليم كايا بالبيغال ، وكان عدد سكانها فى سنة ١٩٠١ ٤٦٨٥ نسمة .

المصـــادر

Imperial Gazetteer، جـ ٦، ص ١٥٠ .

« أورنك آباد سيد » مدينة صغيرة فى مقاطعة بولندشهر بالأقاليم المتحدة أسسها عام ١٧٠٤ سيد عبد العزيز من نسل سيد جلال الدين حسين البخارى ولا تزال ملكا لذريته . وتسمى « أورنك آباد سيد » تمييزاً لها عن أورنك آباد وقد بلغ عدد سكانها عام ١٩٠١ : ٥٩١٦ نسمة .

المصـــادر

(١) *District Gazetteer of the United Provinces* انظر بولندشهر (الله آباد، ١٩٠٣ ، ص ١٩١) .

[هوروفتز J. Horovitz]

« أورنك زيب » (١٦١٨—١٧٠٧) هو الابن الثالث للإمبراطور شاه جهان من زوجته أرجمند بانو بيكم ممتاز محل ، ابنة المهاجر الفارسى آصف خان يمين الدولة . ولد فى دهوض (وتحور عادة إلى دوحد) فى ١٥ من ذى القعدة عام ١٠٢٧ (٣ من نوفمبر ١٦١٨) فى معسكر جده جهانكير الذى كان فى طريقه من أحمد آباد (كجرات) إلى أجتين فى مالوا . وقد قدر له أن يولد فى معسكر وأن يموت فى معسكر وأن يقضى سنين طوالا من حياته فى معسكر .

١ — من ميلاده إلى ارتقائه العرش
أى من ١٦١٨ إلى ١٦٥٨

اشترك الأمير فى سنيه الأولى فى مخاطرات أبيه شاه جهان خلال أسفاره من الدكن إلى أوريسه والبنغال ثم فى عودته إلى الدكن . وفى آخر سنة من سنى جهانكير أرسل هو وأخوه الأكبر داراشكوه إلى لاهور رهائن على حسن سلوك الحسن . وكان أول عهده بالحياة العامة فى عام ١٦٣٥ لما عين قائد شرف أعلى لجيوش عاملة ثلاثة كانت فى بوندل كهاند . وتلا هذا مباشرة المدة من سنة ١٦٣٦ إلى سنة ١٦٤٤ وكان فيها حاكماً للدكن أو الولايات الجنوبية . ثم أصابته نوبة من الحماسة الدينية فترك الحياة العامة . ولكنه أعيد إلى منصبه عام ١٦٤٥ ، وأرسل إلى كجرات ، ومن هناك استدعى عام ١٦٤٦ ليتولى الأمور فى ولاية بلخ التى فتحت فى ذلك الوقت وكانت لا تزال فى حالة من الاضطراب الشديد . وأبدى أورنك زيب نشاطا عظيما . ولكنه لم يصب إلا نجاحاً وقتياً . ووجد الإمبراطور أن بلخ تكلفه أكثر مما يجنى منها فأسلمها إلى أحد الحكام السابقين، واستدعى أورنك زيب وأسند إليه عام ١٦٤٨ منصباً جديداً هو ولاية الحكم فى مُلتان التى أضيفت إليها « تته » فيما بعد .

وكانت قندهار ثانى ميدان لأعماله الحربية، ولكنه حاول مرتين عام ١٦٤٩ و ١٦٥٢ أن يسترد حصناً من الفرس دون أن يوفق

وبعد أن عاد من الحملة الثانية نقل إلى الدكن ثانية ، وهنا قام بأمر أبيه بمهاجمة « قطب شاهى » ملك « كلكنده » و « عادل شاهى » ملك بيجابور ، فأخذ من كل منهما أراضى واسعة وفرض عليهما جزية كبيرة . وفى عام ١٦٥٧ مرض شاه جهان وأشيع أنه مات ، فأشعل ولداه الأصغران الحرب لانتزاع العرش من أخيهما الأكبر ولى العهد داراشكوه .

٢ — حرب الوراثة من
١٦٥٨ — ١٦٥٩

كان الابن الثانى شاه شجاع أول من زحف على آكره ولكنه صد عنها بسهولة . واتحد أورنك زيب مع أخيه الأصغر مراد بخش وبعد أن هزما جيشا كبيرا قرب أجين فى ٢٢ من رجب عام ١٠٦٨ (٢٥ من أبريل سنة ١٦٥٨) التقيا بدارا وهو على رأس الجيش الأكبر فى مكان شرق آكره وانتهت المعركة الكبيرة فى ٧ رمضان سنة ١٠٦٨ (٨ يونيه سنة ١٦٥٨) بانهزام دارا انهزاما تاما ، ففر إلى آكره ومنها إلى دهلى ولاهور . وزحف الظافران إلى آكره وأسرا الإمبراطور . وبعد أن واصلا السير غربا قبض أورنك زيب على مراد بخش فى معسكرهما قرب متهــــرا (٤ شوال سنة ١٠٦٨ = ٥ من يوليه ١٦٥٨) ولما وصل أورنك زيب دهلى نادى بنفسه إمبراطورا فى أول ذى القعدة ١٠٦٨ = ٣١ يوليه سنة ١٦٥٨) . وبعد أن طارد دارا إلى لاهور ثم إلى ملتان ، اضطر إلى أن يرجع إلى آكره لأن الأمير شاه شجاع حاول أن يسترد سلطانه من جديد ، وهزم شجاع فى وقعة حدثت فى « كهجوه » بين الله آباد وآكره فى ١٩ من ربيع الثانى عام ١٠٦٩ (١٤ يناير سنة ١٦٥٩) . وترك شجاع قواده يطاردون خصمه شرقا من نقطة إلى نقطة وهرب إلى أرَكَن . وبعد ذلك عاد أورنك زيب إلى آكره وركب دارا نهر السند حتى وصل إلى بهكَر ثم اتجه نحو الشرق وسمح له بدخول أحمد آباد فجمع جيشا جديدا وزحف شمالا إلى أجمير ، وهناك التقى أورنك زيب بأخيه الأكبر وهزمه هزيمة منكرة فى ٢٨ من جمادى الثانى سنة ١٠٦٩ (٢٣ مارس سنة ١٦٥٩) وأرسل قائدين لمطاردة الهارب المهزوم ، فقُبض عليه على مسافة قصيرة من نهر السند وسيق إلى دهلى يجر أذيال العار . وهناك حكم عليه بالموت ونفذ فيه فى ٢١ من ذى الحجة سنة ١٠٦٩ (١٠ سبتمبر سنة ١٦٥٩) .

٣ — من السنة الأولى إلى الثالثة
والعشرين من حكمه ١٦٥٨ — ١٦٨١

امتاز النصف الأول من حكمه بغزو آسام ، وباستمرار الأعمال العظيمة التى قام بها سيواجى القائد المرهتى وبثورات كثيرة قام بها البطهان فى البلاد التى بين الهند وكابل . وقد فشل مير جمله فى محاولته فتح آسام ، ومات بعد ذلك بقليل (١٠ أبريل سنة

١٦٦٣). وبعث شايسته خان عم الإمبراطور فابنه الثانى معظم إلى الدكن، ولكنهما لم يحصلا على نجاح كبير. وأرسل بعدهما راجا كاى سنك حاكم أمبر فأقنع سيواجى بالخضوع والتوجه إلى بلاط دهلى ولكنه استقبل استقبالا فاترا فبادر إلى الفرار، حتى إذا بلغ وطنه استأنف الكفاح. وزار أورنك زيب فى أول حكمه كشمير زيارة قصيرة ونظرا لاضطرابات البطهان ظل فى مدينة حسن أبدال من أعمال راولبندى المدة من سنة ١٦٧٤ إلى سنة ١٦٧٦. وفى عام ١٦٧٨ صحت عزيمته على أن يدمج فى بلاده ولايات راجپوت التى كانت شبه مستقلة، فزحف إلى أجمير وأرسل جيوشه لغزو أملاك أوديپور، فأصاب شيئا من النجاح فى أول الأمر ولكن ابنه الرابع، أكبر، ثار على أبيه فتحولت همته عن راجپوت. وبعد أن فر أكبر إلى الدكن تبعه الإمبراطور حتى بلغ برهانپور فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٦٨١

٤ — من السنة الثالثة والعشرين إلى الخمسين من حكمه ١٦٨١—١٧٠٧

قضى الإمبراطور أربعة أعوام أوخمسة فى مطاردة سَنْبهجى ابن سيواجى وخليفته، وفى محاولة القبض على أكبر. ولجأ أكبر إلى فارس واستقر بها ومات فيها. ثم هاجم الإمبراطور دولكلكنده وبيجاپور فضم بعض أجزاء كلكندة عام ١٦٨٥، ثم استولى عليها كلها عام ١٦٨٧ وكان قد ضم إليه بيجاپور فى العام السابق. وأسر آخر ملوكها فى ١٨ أكتوبر عام ١٦٨٦، ثم قبض على سنبهجى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٦٨٨ وأعدمه هو ووزيره البرهمى وجاء بعده رام راجا فقر إلى الجنوب وواصل الكفاح فى جنجى حيث استطاع أن يقاوم حصارا غير محكم استمر ما يزيد على سبع سنين. وقضى أورنك زيب السنين الباقية من حكمه فى الاستيلاء على حصون كثيرة فوق التلال، ولكن هذا لم يكن له كبير أثر فى الموقف العام للبلاد، لأن الحصون كانت تؤخذ منه ثانية بعد شهر أو شهرين. وقد وقع آخر عمل مجيد لأورنك زيب عام ١٧٠٥، حينما تولى بنفسه قيادة الجيش وفتح حصن واكنكره الصغير (وهو الآن داخل فى ممتلكات النظام). ومرض أورنك زيب مرضا شديدا فى مايو ١٧٠٥ واحتجب عن الناس مدة اثنى عشر يوما حتى حسب البعض أنه مات. ولكن أجله لم يكن قد انتهى بعد وواصل الزحف فوصل إلى أحمد نكر فى يناير سنة ١٧٠٦ وتوفى بها فى ٢٨ من ذى القعده عام ١١١٨. (٣ مارس سنة ١٧٠٧) بعد أن حكم خمسين سنة قمرية وسبعة وعشرين يوما. ودفن فى خلد آباد أو الروضة على مسافة أربعة أميال غربى دولت آباد وغير بعيد من أورنك آباد.

وكانت ألقابه فى حياته: (أبو المظفر، محمد محيى الدين، أورنك زيب عالمكير بادشاه غازى) وبعد مماته سمى «خلدمكان».

وكان له أربع زوجات هن : رحمة النساء المعروفة باسم نواب بائى، وهى أم محمد سلطان ومحمد معظم ، وبدر النساء بيكم ، ودلرس بانو بيكم أم أعظم شاه وزينة النساء بيكم وأورنك آبادى محل أم مهر النساء ، وبائى أديپورى أم كام بخش.

وكانت نقود أورنك زيب الذهبية منقوشا عليها شعر معناه :

صاحب السكة فى العالم
القمر المنير الملك أورنك زيب قاهر العالم

وعلى النقود الفضية كانت كلمة بدر تستعمل بدلا من كلمة مهر

وقد رفض استعمال « كلمة » على النقود لأسباب ترجع إلى ضميره.

المصادر

(١) جهانكير بادشاه : توزك جهانكيرى (طبعة سيد أحمد خان ، عليكره ١٨٦٤) (٢) Memoirs of Jahàngir (ترجمة من سنة ١٠ — ١٢ بقلم A. Rogers و H. Beveridge ١٩٠٩) (٣) محمد خان : اقبال نامه جهانكيرى (Bibliotheca Indica كلكته عام ١٨٦٥) (٤) عبد الحميد لاهورى : بادشاه نامه (السنوات من ١ — ٢٠ : Bibl. Ind كلكته ١٨٦٧ ، ١٨٦٨) (٥) محمد وارث : بادشاه نامه (السنوات من ٢١ إلى النهاية (بالمتحف البريطانى مخطوط فارسى رقم ٦٥٥٦ من ص ٣٨٦ — ٥٠٩) (٦) صادق خان : تأريخ شاه جهان (المتحف البريطانى مخطوط فارسى رقم ١٧٤ بالقسم الشرقى (٧) محمد قادم : عالمكير نامه (السنوات من ١ — ١٠ Bibl. Ind. كلكتة ١٨٦٨) (٨) محمد ساق مستعد خان : مآثر عالمكيرى (Bibl. Ind. عام ١٨٧١) (٩) كتاب مجهول المؤلف : Time table of marches (السنوات من ١ — ٣٠ باريس بالمكتبة الأهلية مخطوط فارسى رقم ٤٧٧ من ص ١٠٧ — ١١٦) (١٠) خافى خان : منتخب اللباب (Bibl. Ind. كلكته ١٨٦٩ ، ١٨٧٤) ج ١ ، ص ٢٩٥ — ٧٩٠ و ج ٢ ، ص ١ — ٥٦٥ (١١) G. F. Gemelli-Careri : *il giro del Mondo* (١٦٩٩ أو الترجمة الفرنسية ١٧١٥) (١٢) F. Bernier : *Travels* (طبعة A. Constable عام ١٨٩١) (١٣) N. Manucci: *Storia do Mogor* ١٦٥٦ — ١٧٠٨ (طبعة W. Irvine ١٩٠٧ ، ١٩٠٨) (١٤) يادونات سركر : *The History of Awrangzib* (١٩١٠ متسلسل) أما فيما يتعلق بالماهراتا فانظر (١) J. Grant Duff : *History of the Mahrattas* (الطبعة الثالثة بمباى ١٨٧٣) ص ٦٨ — ١٨٢ وفيما يتعلق بالنقود انظر (١) S. Lane Poole : *The Coins of the Mughal Emperors in the British Museum* ١٨٩٢ ص ١٢٨ — ١٤٣ (٢) H. Nelson Wright : *Catalogue of the Coins in the Indian Museum* كلكته : ج ٣ *(of Indian Mughal Emperors)* ١٩٠٨ ، ص ١٣١ — ١٩٠.

[و . ايرفين W. Irvine]

« إورنس » : (وردت « إورنوس » فى عاشق باشـــــــــا زاده وفى نشرى « إورنز » وفى Ducas Αβρανέξης و Βρανέξης فى Chron. : Manuel Palaeol. فى Βρενέζης, و breve and chron. Epir. وأفرانس Chalkokondyles and Phrantzes فى Barletius) . وهم يؤلفون مع ميخال أوغلى وملكوج اوغلى وأبناء توراخان الأسر الاربع الكبرى من أشراف آل عثمان (Cose de Turchi : Ramberti)

وتذكر الروايات غازى إورنس بك بين بكوات قره سى أوغلى وتقول إنه دخل فى خدمة سليمان باشا بن أورخان عند ما جرد السلطان أورخان هذه الأسرة من أملاكها عام ٧٣٥ هـ . وعبر الدردنيل مع سليمان (٦٥٩؟ — ٦٧٠؟) وعينه مراد الأول أوج بكى (بك على الحدود) فى بلاد الروملى ففتح وهو فى هذا المنصب كيشان وإبسالا وكول جينا (٧٦٣) وفيره (٧٧٤) وبورى وكساتى ومارونيا (٧٧٥) وسيريس (٧٨٤ أو ٧٨٧) وموناستير ويكيجه ووردر . ووطد دعائم السلطنة العثمانية فى تراقية الغربيـــة ومقدونية . وبعد أن أدى فريضة الحج اشترك فى وقعة قرصوه (يونيه ١٣٨٩) وفتح كيتروس وودينا ، وقاد الجيوش التركية مرة بعد أخرى ضد ألبانيا (١٣٩٨ وبداية عام ١٣٩٦) والموره (١٣٩١ — ١٣٩٥) ثم حارب فى وقعــة نيقوبوليس (سبتمبر ١٣٩٦) ضد النمســا وصاحب بايزيد الأول فى غزوه الأفلاق ، وحارب تيمور أخيرا فى وقعة أنقره . وفى عهد مير سليمان اشترك فى حرب مع قرمان أوغلى وحاصرهم فى آقسراى وذهب بعد ذلك إلى موسى چلبى (عام ٨١٣ هـ) وذهب أخيرا إلى محمد الأول عام ٨١٦ هـ وحارب إلى جانبه فى موقعة چامورلى. ويظهر أنه مات بعد ذلك بقليل (مات كما ورد فى سجل عثمانى، عام ٨١٩ أو ٨٢٠ هـ) وإذا صح ما يقوله المؤرخون العثمانيون من أن أورنوس كان بك فى عهد قره سى أوغلى الأخير فلا بد أنه مات بعد أن جاوز المائة . ويظهر أن هناك خلطا بين شخصين مختلفين. وكان أورنوس فى عهد مراد الأول من أغنى الولاة وكانت أملاكه واسعة جدا حتى أن السلطان منحه من الاراضى مقدار ما يقطعه حصان يحمـــله فى أربع وعشرين ساعة (انظر على كنه ، جـ ٥ ، ص ١٧٥ : Beaujour . T[illegible] [illegible] Commerce de la Grèce جـ ١ ، ص ٣ وما بعدها) وقد حبس جزءا كبيرا من ثروته على وجوه البر ولا يزال يديرها أبناؤه وهى لا تزال معفاة من رقابة الدولة بامتياز خاص إلى اليوم (دستور ، جـ ٤ ، ص ٤٠٠) .

وبعد أن مات محمد الاول عام ٨٢٤ هـ وقف أبناء غازى إورنوس إلى جانب مصطفى الدعى الذى اتخذ يكيجه مقرا له مدة من الزمان قبل أن يزحف لمحاربة مراد الثانى وظلوا موالين للمدعى بعد أن انفض من

حوله أنصاره الآخرون وبعد ذلك انضموا إلى مراد الثانى وقد امتاز من بينهم على بك وعيسى بك واشتهرا بأنهما قائدان محنكان باسلان وهما اللذان قادا جيوش الروملى من السباهى والآقنجى فى الحروب التى وجهت إلى ألبانيـــا والمورة ولا سيما الحروب التى وجهت إلى النمسا. ويقول دوكا Ducas إن عليا بك قتل بأمر السلطان محمد الثانى عند اعتلائه العرش عام ١٤٥١ م بعـد أن قتل أخا السلطان الأصغر. ويقول غيره (انظر Beajour : المصدر المتقدم) إنه اصطدم والسلطان فى لعبة الجريد فغضب السلطان وأمر إورنوس الأكبر أن يقتل ابنه بيده ويذكر من أبناء غازى إورنوس الآخرين براق بك (Βάραχος فى *Chalkokondyles*) وأحمد بك. وقد اشترك الأخير فى حروب الأفلاق عام ١٤٦٢ وفى حصار اشقودرة عام ١٤٧٨. ولا بد أن يكون عيسى وسليمان وهما من أسرة إورنوس أوغلى، وقد وقعا فى المعركة التى جرت بين الترك ومصر عام ١٤٨٨، لابد أن يكونا من أحفاد إورنوس. ومن ذلك الحين بدأ إورنوس أوغلى يفقدون مكانتهم وإن كنا نجدهم بين حين وآخر يقومون بولاية بعض الأقاليم من قبل الباب العالى. وقد ظلوا أبرز أسرة فى البلاد، وذلك يرجع غالبا إلى أملاكهم الواسعة. على أن أبناء الأسر الثلاث القديمة من أبناء غازى لم يبق لهم من مجد أسلافهم إلا الاسم.

ويشك فون هامر فى الفرمان المشهور الذى يقال إن مرادا الأول منحه للغازى إورنوس (نشره V. Diez: *Denkwürdigkeiten von Asien*، ج ١، ص ١٠١ — ١٣٢ وتجده فى كتاب فريدون : منشآت سلاطين، ج ١، ص ٨٧ وما بعدها فى الطبعة الثانية). ويقول إنه منحول ولكن الباب العالى يعترف بأنه صحيح. وقد رأى Beaujour (انظر المصدر المتقدم) كتابا مخطوطا فى تاريخ إورنوس أوغلى وذكر منه قصصـــا كثيرة وتجد معلومات قيمة فى التراجم التى ذكرت للغازى إورنوس ولابنه على بك فى مجموعة مشاهير إسلام (القسطنطينية ١٣٠١ هـ) أما ما كتبه فون هامر عن إورنوس أوغلى فى كتابه *Gesch. d. Osm. Reiches*، ج ١ و ج ٢ فيجب أن يرجع إليه الباحث مع الحذر.

[مورتمان G. H. Mordtmann]

« **الأوزاعى** » : عبد الرحمن بن عمرو أبو عمر، فقيـــه ولد فى بعلبك عام ٨٨ هـ (٧٥٧ م). ثم انتقل بعـد ذلك إلى دمشق وبيروت وعاش فيهما. ولا يعرف شىء غير هذا عن حيـاته. أما صلاحه وزهده فلا يحتاجان إلى تأكيد. مات فى حمامه عام ١٥٧ هـ (٧٧٤ م) ودفن فى قبـلة المسجد ببيروت. وكان الأوزاعى فى حياته نجما ساطعا بين العلماء، ويقال إنه كان إمام الشام، بل إن

المغرب والأندلس كانا يتبعان مذهبه . ولكن سرعان ما قضى على سلطانه مذهبا أبى حنيفة ومالك . ولسنا نعرف شيئا مكتوبا عن مذهبه أو مؤلفاته . قال أحد معاصريه إنه كان فقيها عالما ولكنه لم يكن حجة فى رواية الحديث (انظر Goldziher: *Muh. Studien* جـ ٢ ، ص ١٢) . وعلى عكس ذلك يقول آخرون إنه لم يكن من معاصريه بالشام من يعرف الحديث مثله . وبعض الأحاديث التى رواها فى الطبرى (انظر الفهرس) .

ويذهب بعض العلمــاء إلى أنه سمى الأوزاعى نسبة إلى قبيلة أوزاع من جنوب الجزيرة العربية ويرى آخرون أن الأوزاعى نسبه إلى اسم حى من أحياء دمشق .

المصــــادر

(١) الذهبى : طبقات الحفاظ (طبعة فستنفيلد) جـ ١ ، ص ٣٩ رقم ٢٠ (٢) ابن خلكان (بلاق ١٢٩٩) جـ ١ ، ص ٣٤٥ والصفحات التالية (٣) النووى : طبعة فستنفيلد ص ٣٨٢ ومابعدها (٤) Sachau : *Zur ältest. Geseg* فى *Sitzungsber. der des muh. Rechts Akad. Wien* عدد ٦٥ ، ص ٧١٨ .

[A. J. Wensinck ا . ى . فنسنك]

« أوزون حسن » : أمير من أمراء دولة القطيع الأبيض التركمانية المعروفة بال « أق قيونلو » (مؤسسها بايَنْدُر) وصاحب ديار بكر من عام ٨٥٨ هـ . ثم أصبح ملكا على دولة قوية تشمل إرمينية وما وراء النهر وبلاد فارس . وهو حسن بك ابن على بك ابن قره عثمان ، أو قره إيلق فى قراءة خاطئة ؛ أما أوزون فلقب غلب عليه لطول قامته . وعهده على جانب كبير من الأهمية ، وإن كان الناس لا يعرفون عنه إلا القليل .

المنافسات [illegible] قبائل التركمان :

كان إقليم ديار بكر هو الاقطاع الأصلى لزعماء أسرة بايندر وقبيلتهم الآق قيونلو قبل عهد تيمور ، ثم امتدت أملاكهم غرباً وشمالا وشرقاً . وكان أهم منافسيهم قبيلة القطيع الأسود «قره قيونلو» ، وزاد الخلاف الدينى من حدة هذه المنافسة ، لأن القطيع الأبيض كانوا من أهل السنة فى حين كان القطيع الأسود من غلاة الشيعة .

وكان قره عثمان رجلاً مغامراً عالى الهمة ، فلما توفى عام ٨٣٨ هـ (١٤٣٤ — ١٤٣٥ م) خلفه ابنه على بك الذى أمضى سنى حكمه فى محاربة أخيه حمزة مستعيناً عليه بمراد الثانى سلطان آل عثمان وجقمق سلطان مصر . وبعد وفاة هذين الأخوين استأنف جهانكير بن على بك القتال مع القطيع الأسود ، ولكنه أحفظ أخاه أوزون حسنا وعمه قاسما بك (يسميه هامر Hammer

« حسن » ، جـ ١ ، ص ٥٠٦) وقلج أرسلان بير على صاحب أرْزَنجان . وقد تغلب أوزون على منافسَيْه بالرغم من نضاله مع جهانكير ، ثم غزا بلاد كثير من أمراء كردستان . ولما بلغه أن جهانكير مرابط فى معسكره الصيفى بجبل الاطاغ (ربما كان عين الجبل المسمى قديماً مازيوس *Masius* بين دياربكر وماردين) دخل أوزون حسن دياربكر (آمد) خفية ، فتحصن جهانكير بماردين (انظر هذه المادة) وكان ذلك عام ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) وعندئذ أسرع أوزون واحتل الرها وحاصر ماردين (عاشق باشا زاده . ص ٢٤٧ — ٢٤٩ ؛ منجم باشى ، جـ ٣ ، ص ١٥٧) .

وتدخلت أم أوزون فى الأمر ، وهى امرأة كانت لها مشاركة فى السياسة وضلع فى الحوادث التى تلت ، مما اضطر أوزون إلى أن يقفل راجعاً إلى دياربكر ملتمسا العوض ببلاد القطيع الأسود التى أغار عليها ، وهى أرزن الروم وأونيك وبابرت ؛ ولما أخفق فى الاستيلاء على أرزنجان عاد إلى دياربكر . وسقط أوزون عن جواده وأصيب بجرح بالغ إبان معاودته حصار أرزنجان فانتهز جهانكير الفرصة ونهب أطراف آمد ، فلما عاد أوزون احتمى جهانكير بجهانشاه القره قيونلى ، وعندئذ تدخلت أم أوزون مرة أخرى وأقامت ابنها على دياربكر وأخاه على ماردين ، ولكن النضال اتسعت رقعته ، فقصد أوزون الى أرزنجان وترجان ثم اكتسح عربشاة وهو أحد عمال أخيه ، وهاجم خراسان وقره جه طاغ جنوب غربى دياربكر ، فلم ير جهانشاه القرة قيونلى بدأ من إنفاذ أمرائه لنصرة جهانكير ، بيد أن أوزون انتصر عليهم عام ٨٦١ هـ (مايو ١٤٥٧) (ابن تغرى بردى ، طبعة پوپر Popper ، جـ ٧ ، ص ٤٨٥) وقدم جهانكير ابنه رهينة . وكذلك خضع لأوزون أخ آخر اسمه أوَيس الرهاوى ، وأقام أوزون حسن على أرزنجان الأمير خورشيد بك ، ويقال إنه ابن عمه (منجم باشى ، جـ ٣ ، ص ٣٧٦) . وكانت هذه القلعة هى المنفذ إلى الهضبة الإرمينية . وقرب هذا الوقت آوى أوزون علياً القرة قيونلى الذى ثار على أبيه جهانشاه ، ولكنه سرعان ماطرده لزندقته ، وشغلت هذه الحوادث مابين ٨٥٨ و ٨٦١ هـ . وبعدها بدأ نجم أوزون يعلو ونفوذه يقوى حتى شمل حكمه الأقاليم المجاورة .

حروبه فى كردستان :

انتزع أوزون حسن حصن كيفا المطل على نهر دجلة من أيدى الأكراد من بنى أيوب (شرف نامه ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ ، ١٥٥) ثم منح هذا الحصن لابنه خليل ، واستولى بعد ذلك على سعرت وهيثم فى بختان (المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩) .

أوزون حسن [illegible] قره مان والطرابزندة :

أدى انتصار أوزون فى الغرب إلى

الاصطدام بالعثمانيين الذين تم لهم بزعامة محمد الثانى إخضاع إقطاعيات آسية الصغرى، وهددوا أمراء قره مان مما أدى بهؤلاء إلى التحالف مع جارهم من ناحية الشرق، أوزون حسن الذى بدأ يهتم بدولة أطرابزندة الآيلة إلى السقوط. وفى عام ١٤٥٨ م زوّج داود David، آخر أمراء أطرابزندة، أوزون حسنا من ابنة أخيه وسلفه كالو إيوانس المسماة كاترين Catherine وهى المعروفة فى أوروبا بلقبها دسپينا Despina (انظر كتب الرحالة البنادقة). وكانت الصلة وثيقة بين أطرابزندة وبلاد الكرج، أما البندقية وروما فأخذتا تراقبان الحوادث فى هاتين الدولتين النصرانيتين عن كثب، ولم تتحدث المصادر الإسلامية عن هذه العلاقات الدولية المشتبكة المصالح (Miller: *Trebizond the East Greek Empire*، لندن عام ١٩٢٦؛ Uspensky: *Ocherki po istorii Trapez. imperii* لننجراد عام ١٩٢٩)

وقد باحت البعوث التى أرسلها أوزون حسن إلى القسطنطينية عام ١٤٥٧ و١٤٦٠ م بأطماعه إلى السلطان (von Hammer، ج ١، ص ٤٦٤—٤٦٦). وما أسرع ما عمد أوزون حسن إلى العمل فباغت قلعة قيونلو حصار أو قويلحصار شمالى نيكسار (قيسارية الجديدة) على نهر كلكيت صو ونهب أطراف توقات وأماسية (منجم باشى، ج ٣، ص ٣٧٦).

ولما تخلص السلطان محمد الثانى من اسفنديار أوغلى، وهو من سنوب، حول وجهه شطر أطرابزندة مبتدئا بقيونلو حصار، فجمع أوزون حسن كل قواته قرب كماخ ولكن الفرقة التى أرسلت إلى جبال منزور هزمها أحمد باشا (ويسمى سعد الدين هذه الجبال فى كتابه ج ١، ص ٤٧٦ : كوه منذر؟). فأوفد أوزون أمه لمفاوضة السلطان فنزل هذا عند رغبتها وبمم شطر بلغار طاغ شرقى كرجانس بين نهرى كلكيت والفرات.

وبالرغم من توسلات ساره خاتون التى يطلق عليها السلطان «الأم»، والتى زعمت أن أطرابزندة تخص كنتها، فإن الترك استولوا على البلد عام ٨٦٥ هـ (١٤٦١ م) وجرد عاملها من أملاكه وطرد من البلاد وأعطيت ساره خاتون جزءا من النفائس التى سلبت من البلد (عاشق باشا زاده، ص ١٥٩ — ١٦٠؛ سعد الدين ومنجم باشى، ج ٣ ص ٣٧٦).

ولم يدم هذا الصلح طويلا، ويقول منجم باشى (ج ٣، ص ١٦٠ — ١٦١) إن أوزون حسنا استعاد قيونلو حصار، وتقدم إلى أطراف سيواس، إلا أن العثمانيين هزموا من دخل من جنده آسية الصغرى، فأوفد أوزون خورشيد بك إلى القسطنطينية ليفتدى الأسرى من التركمان وليفاوض السلطان فى التنازل عن مطالبه فى أطرابزندة! ويقال إن الظروف أدت إلى إجابته إلى سؤله وعاد أوزون إلى أرزنجان ثم إلى ديار بكر. ويظهر أن

منجم باشى يخالف فى روايته لهذا الجزء من القصة الحوادث التى وقعت عام ١٤٦١ م .

وفاة جهانشاه وأبى سعيد التيمورى :

أصاب أوزون بعد ذلك نجاحاً باهراً . ففى عام ٨٧١ هـ (١٤٦٦ — ١٤٦٧ م) سار منافسه جهانشاه القره قيونلى قاصداً ديار بكر ، وكان يسيطر فى ذلك الوقت على بلاد فارس كلها (انظر فيما يختص بخططه رسالته إلى محمد الثانى وهى فى كتاب فريدون بك ، ج ١ ، ص ٢٧٣) . وحشد أوزون الجيوش وتلقى الامدادات من ماردين . وفى غرة ربيع الثانى عام ٨٧٢ وصل جهانشاه إلى موش وچپاخچور ، وفيها هزمت طلائع جيشه على يد خليل بن أوزون . وكان جهانشاه قد أمر بعودة الشطر الأعظم من جنوده إلى بلاده لشدة البرد ، وعاد إلى كيغى ومنها أراد أن يصـــل إلى أرزنجان ووادى نهر بالارود (كلكيت) . وفى ١٣ من ربيع الثانى عام ٨٧٢ (١١ من نوفمبر ١٤٦٧) فاجأه أوزون وقتله وهو يحاول الفرار . فخلا الميدان فى الشرق لأوزون وبدأ يغزو البلاد التى تركت بلا حاكم . وسار إلى بغداد عن طريق الموصل وحاصرها أربعين يوماً ، بيد أن حسن بن على ابن جهانشاه كان قد حشد جيشاً جراراً فى أذربيجان (ورد فى حبيب السير ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ أن هذا الجيش بلغ ١٨٠٠٠٠ مقاتل) واستعان بأبى سعيد التيمورى الذى خرج من خراسان فى شعبان عام ٨٧٢ (مارس ١٤٦٨) وأقام العمال على إقليم العراق العجمى بأسره . وركن بعض أمراء حسن بن على إلى الغدر به ، فتفرق شمل جيشه المرابط فى مارند ، وانتهز أوزون الفرصة ، وتقدم حتى وصل قره باغ (انظر هذه المادة) . وفى الوقت نفسه وصل أبو سعيد إلى ميانة غير مبال باحتجاج أوزون بحقوق الصداقة أو بتذكيره بولاء القطيع الأبيض لبنى تيمور ، غير أن الأول اضطر إلى التوقف هناك لحلول الشتاء ، وفكر فى قضاء هذا الفصل فى قره باغ ، وكان لا بد له أن يطرد منها أوزون حسنا ، ولسوء طالعه اكتسحه أوزون عند محمود آباد (انظر مادة « موقان ») وهو فى طريقه إلى الرس . ولم تجد المفاوضات التى قامت بها أم أبى سعيد ، فاضطر إلى الفرار وأسر فى السادس عشر من رجب عام ٨٧٣ (١١ فبراير عام ١٤٦٩) . وبعد ذلك بيومين استقبل أوزون وهو جالس على العرش أسيره استقبالا حسنا ثم سلمه إلى منافسه الأمير يادكار محمد ابن بايسنقر فى الثانى والعشرين من رجب فقتله ، وأمّر يادكار على أمراء بنى سعيد ، فبدأ هذا نضاله مع حسين بيقرا مستعيناً بأوزون . وفى السادس من المحرم عام ٨٧٥ طرد بيقرا من هراة . بيد أن تصرفات ابنى أوزون ، خليل فى أولنك رادكان ، وزينال فى قوهستان أثارت الفتنة ضد يادكار فخلع وقتله السلطان حسين بيقرا .

وبعد قتل أبي سعيد ظلت أسرة بني تيمور الخراسانية في موطنها بينما احتلت بعوث أوزون بقية بلاد فارس بما فيهـــا كرمان وفارس ولورستان وخوزستان وكردستان (في رسائل أوزون إلى السلطان محمد الثاني تفصيلات طريفة عن توزيع الإقطاعيات ، فريدون بك ، ج ١ ، ص٢٧٥ — ٢٧٦ ؛ حبيب السير ، ج٣ ، ص٣٣٠) وارتد حسن بن علي القره قيونلي إلى همذان ، بيد أن جيوش أوزون باغتته فيها وقتل عام ٨٧٣ هـ (١٤٦٨م) (تاريخ أسرة قطب شاه ، المخطوطات الفارسية بالمكتبة الأهلية رقم ١٧٤ ، ورقة ١٦ ب) وقرب هذا الوقت احتل الأمير خليل بك الكبير صاحب الموصل بغداد (فريدون بك ، ج٢ ، ص٢٧٦) .

وبعد أن انتصر أوزون هذا الانتصار الباهر ، أصبح الرجل الوحيد في آسية الصغرى الذي يستطيع أن يقف حجر عثرة في سبيل تقدم آل عثمان ، ولذلك أخذ أعداء العثمانيين أمثال أمراء قرمان والنصارى ، والبنادقة بنوع خاص ، يحاولون استغلال هذه القوة الجديدة .

سياسة البنادقة :

وفي ٢ ديسمبر عام ١٤٦٣ وافق مجلس الشيوخ البندقي على خطة التحالف مع أوزون حسن وأرسل كويريني L. Quirini إلى بلاد فارس لتنفيذ هذا الغرض . وفي ١٣ من مارس عام ١٤٦٤ وصل أول مبعوث من قبل أوزون (يدعى مامناترب) إلى البندقية وأمضى بها ستة أشهر .

وفي عام ١٤٦٥ وصل قاسم حسن وبيده رسالة من أوزون .

وانقطعت المفاوضات مدة من الزمن ولكن احتلال العثمانيين لأيوبيا [illegible] وهي البلد الذي ظل في حوزة البنادقة ٢٦٤ عاماً أخاف البندقية . فقفل كويريني راجعاً إلى بلاد فارس مستصحباً ميراث (مراد) وهو رسول أوزون ، كما وصل رسول فارسي آخر إلى الفاتيكان ، وفي ذلك الوقت أرسل مجلس شيوخ البندقية النبيل كاترينو زينو Caterino Zeno إلى فارس ، وهو ابن أخي دسبينا زوج أوزون .

وفي ٢٠ أبريل عام ١٤٧١ كان زينو في تبريز ، وفي العام نفســـه وصل حاجي محمد (أزيمامت) إلى البندقية في طلب الأسلحة والذخيرة فاوفد جيوسافا بربارو إلى بلاد فارس وحمل معه إلى أوزون ستة مدافع كبيرة وستمائة بندقية وكثيراً من الأسلحة والذخائر وكتيبة من حملة البنادق عددها مائتا جندي معها ضابطا ، وورد في التعليمات السرية التي زود بها بربارو (١١ فبراير عام ١٤٧٣) أن على البندقية ألا تقبل الصلح مع العثمانيين إلا إذا سلم العثمانيون لفارس بجميع مطالبها في آسية الصغرى بما في ذلك المضايق ، وتأخر بربارو هذا في قبرص حيث اشترك في حملات الأسطول البندقي الذي كان تحت إمرة موسنجو P. Mocenigo ، وقد احتل سلفكة وثغرين آخرين عقفاً رجاء أمراء قره

مان . وكان زينو فى الوقت نفسه ناشطاً فى بلادفارس ، والمراجع الأوروبية تقول إن ابن أخى آخر أمراء أسرة كومنين الذى كان قد احتمى بأوزون حسن احتـــل إقليم أطرابزندة (Jorga ، ج ٢ ، ص ١٦٤) .

الاستيلاء على آسية الصغرى :

وكان أهل قرة مان ، إلى جانب البنادقة ، يدفعون أوزون إلى العمل فاستجاب الى طلب پير أحمد الذى خلف إسحاق ، وجهز جيشاً أمر عليه الوزير عمر بك بن بكتاش (ذكره زينو ص١ باسم Amarbei Guisultan) وابن عمه يوسفجه ميرزا ، Nichenizza ويقول أنجيوللو Angiolello (ص ٧٧) إن هذا الجيش بلغ خمسين ألف مقاتل ، بينما يروى زينو إنه بلغ مائة ألف ، وتقدم الجند من ديار بكر إلى توقات، فنهبوها ثم قصدوا إلى قيسارية.ويقول سعد الدين إنهم كشفوا فى هذا البلد عن حقيقة طباع التركمان . وكان كاترينو زينو Caterino Zeno (ص ١٨ — ١٩) شاهد عيان لجزء من هذا القتال ، وربما كانت محاولتهم أخذ بيرة من مصر تتصل بهذه الحملة . وبعد مدة من الزمن عاد عمر بك إلى ديار بكر بينما اكتسح يوسفجه ميرزا قره مان وحيد مرة أخرى .

استئناف القتال مع العثمانيين

وكان السلطان محمد الثانى مهتماً أشد الاهتمام بهذه الحوادث كما كان معنياً بذلك النشاط السياسى الذى كان متيقظاً له تمام التيقظ (فريدون بك ، ص ٢٨٥ ، ابن إياس ، ج ٢ ، ص ١٥) ونجد أن رسائل أوزون حسن تشتد فى لهجتها بالتدريج (فريدون بك ، ج١ ، ص ٢٧٨) وفى هذه الرسائل لقب أوزون السلطان بذلك اللقب البسيط وهو إمارت مآب ، وفى رد محمد الثانى الوارد فى ص٢٧٨ نجد أنه يعنون رسائله عادة باسم سردار عجم . وفى خريف عام ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) عبر السلطان من القسطنطينية إلى شاطىء آسية الصغرى ، غير أنه اضطر إلى التوقف هناك لمجىء فصل الشتاء ، وفى الرابع عشر من ربيع الأول من العام نفسه (١٩ أغسطس ١٤٧٢ م) تمكن الأمير مصطفى وداود باشا بكلر بك أنطالية من تشتيت شمل التركمان فى إقليم «قيرايلى» غربى قونية ، وكان تحت إمرة الأخير ستون ألف مقاتل

وخرج السلطان فى شهر شوال من عام ٨٧٧ (مارس ١٤٧٣) فى جيش بلغ مائة ألف مقاتل (سعد الدين ، ج ١ ، ص ٥٢٩ ، ويؤيده انجيوللو ، فى كتابه ص٥٧٩ الذى وصف الحوادث كأنما رآها) . ونهب على ميخال أوغلى الآقنجى المشهور الذى أرسل فى طليعة الجيش «كماخ» وأسر الأرمن القاطنين فى هذا الإقليم .

ووصل أوزون حسن إلى إقليم أرزنجان فى نهاية يوليه عام ١٤٧٣م وعسكر على التلال القائمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات . ولما اندفع خاص مراد باشا يروم عبور النهر

أحاط به أوزون وهزمه . وقد غرق خاص مراد فى نهر الفرات وبلغت خسائر العثمانيين ما يقرب من ١٢٠٠٠ مقاتل (انجيوللو) . ويقول كاترينو زينو الذى كان فى ركاب أوزون حسن : إن هذا القتال بدأ فى أول أغسطس عام ١٤٧٣ . وكان نشوب الوقعة فى ترجان شمالى أرزنجان . والأرض الواطئة على ضفة الفرات التى أراد خاص مراد أن يفيد منها ترتفع فى بدايتها بقدر ارتفاع بكرج (انجيوللو) . ولا يوضح لنا سعد الدين هذا الأمر (جـ ١ ، ص ٥٣٥) ولكن انجيوللو وزينو يقولان إن العثمانيين كانوا على استعداد لترك القتال ، ومع ذلك فقد غادروا وادى الفرات تاركين بابرت على يمينهم ويمموا ناحية الشمال الغربى . ثم سلكوا الطريق الشمالى الموصل إلى أطرابزندة . ويبين أنهم قصدوا بذلك التحول منها إلى الغرب . وبينما كان الجيش العثمانى فى إقليم اوج اغزلى (ويحتمل أن يكون هذا الإقليم شمالى الجبال التى تفصل أرزنجان عن نهر كلكيت صو) ظهرت جنود أوزون حسن على مرتفعات أوتلق بلى التى تفصل وادى الفرات عن منابع چوروخ أى على ميمنة الجيش العثمانى ، فلجأ العثمانيون إلى القتال . وفى السادس عشر من ربيع الأول عام ٨٧٨ (١٢ أغسطس عام ١٤٧٣ ويقول زينو ١٠ أغسطس) اكتسحوا القطيع الأبيض وسقط فى القتال كافر إسحاق ، سردار أوزون حسن ، (وربما كان هذا السردار مسيحيا ،

ويقول زينو إنه كان بين جنود القطيع الأبيض رجال من الكرج) كما سقط زينل بن أوزون حسن ، وركن أوزون إلى الفرار . ولم يعمد إلى ذلك عن تسرع كما قال سعد الدين لأن رواية زينو عما حدث فى ١٨ أغسطس كتبت فى معسكر أوزون حسن على مسيرة أربعة أيام من أرزنجان . ومهما يكن الأمر فإن العثمانيين انتصروا فى تلك الحرب انتصاراً مبيناً ، ويعود الفضل فى ذلك إلى أسلحتهم النارية . وأخذ الأسرى من الصناع وأصحاب الحرف إلى القسطنطينية ، وأطلق سراح رجال القطيع الأسود الذين عبأهم للحرب أوزون حسن ، أما بقية التركمان فقد أمر السلطان بقتلهم (قتل عام) . ولما بلغ داراب بك ، حاكم قره حصار (شبين) على نهر كلكيت صو شمالى قيونلو حصار ، هزيمة مولاه سلم الحصن إلى العثمانيين . وأخذ السلطان بنصيحة الصدر الأعظم محمود باشا الذى أوضح له الصعاب التى تقف فى سبيل المحافظة على الأراضى التى كان فى نيته فتحها ، فعدل السلطان عن تعقب أوزون ، ولكنه ندم على ذلك فيما بعد ، وفقد الوزير منصبه (سعد الدين ، جـ ١ ، ص ٥٢١ - ٥٤٤) .

ولم يفقد أوزون بهذه الهزيمة بلاداً ذات قيمة ، وإن كانت كبيرة الأثر من الوجهة المعنوية ، وقد كتب أوزون إلى البندقية يقول إنه سيعاود الهجوم (Berchet ، ص ١٣٧) . وأوفد فى الوقت نفسه كاترينو زينو

للدفاع عن وجهة نظره لدى مختلف الحكومات الأوروبية ، فاستطاع أن يعود ومعه سفراء المجر وبولنده .

ولما كان مجلس شيوخ البندقية دائب الاهتمام بالتحالف مع أوزون فقد أرسل كاتب السر أوجنبين P. Ognibene ، وترك بربارو رسل البابا وممثلى فرديناند ملك صقلية فى رودس ، ووصل إلى تبريز فى ١٢ فبراير عام ١٤٧٤ ، وكذلك غادر كونتارينى Contarini وهو رسول آخر ، مدينة البندقية فى ١٣ فبراير عام ١٤٧٤ ، فوصل إلى تبريز فى ٤ أغسطس من العام نفسه وإلى إصفهان فى ٤ نوفمبر ، ونحن نعلم أيضاً أن الراهب البولونى لودوفيكو كان فى بلاد فارس ، وقد زعم أنه يمثل دوق برجنديا ، ولكن هؤلاء الرسل جميعاً لم يستطيعوا استخلاص شىء حاسم من أوزون .

وكان أوزون وقتذاك قد ذهب إلى شيراز لإخماد الفتنة التى أشعلها ابنه أوغورلى محمد ، وودع كنتارينى الذى شاهد جنوده (٢٥٠٠٠) أثناء قفوله من تبريز (٢٠ أبريل عام ١٤٧٥) وقال إن الحرب مع العثمانيين تأجلت . وفى عام ٨٨٠ هـ فتك الطاعون بأهل فارس ، واضطر أوزون إلى قتال أخيه أويس فهزم وقتل فى الرها (ابن إياس ، جـ ٢ ، ص ١٦٠) وسرعان ما تبين للبنادقة خطل اعتمادهم على أوزون ، وما إن مر عام على وفاته حتى أمضوا صلحاً مع العثمانيين (ديسمبر ١٤٧٨) .

حملاته بالكرج :

يقول منجم باشى إن أوزون فتح بلاد الكرج ثلاث مرات : عام ٨٧١هـ (١٤٦٦م) وفى عام ٨٧٧ هـ (صيف عام ١٤٧٢م) ثم بعد هزيمته على يد العثمانيين . ويروى جهان آرا أن الحملة الأخيرة على الكرج حدثت عام ٨٨١هـ (١٤٧٦ —١٤٧٧م) واشترك بربارو (ص ٩٠) الذى كان شاهد عيان للفتح فى المفاوضات مع أهل الكرج ، والمراجع الكرجية فى القــــرن الخامس عشر الميــــلادى مضطربة أشد اضطراب فى هذا الصدد (Brosset : *Histoire de la Georgie* ، ص ١٢ ، ٢٤٩) ويلوح أن قسطنطين الثالث ملك خرثليا Kharthalie (١٤٦٩ — ١٥٠٥ م) قد استفاد من نصرة القطيع الأبيض على خصميهم بكراد صاحب امرثيا Imerethia وأتابك آخالجيخ (قورقورة ، قرقرة) .

صلاته بمصر :

كانت الحدود بين الإقطاع الأصلى لأوزون أى ديار بكر ، وبين أملاك سلاطين مصر بصفة عامة على طول ثنيــــة نهر الفرات . وينفرد المؤرخون المصريون بالحديث عن الصلات الوثيقة بين القطيع الأبيض والمماليك البرجيــة (اعتمد عليهم فيل Weil : *Gesch de Chalif* جـ ٥) والتنافس بين أوزون والعثمانيين حدا به أن يكون لبقاً مع سلطان مصر (ونجد ذكرا لذلك فى حوادث

عام ٨٦٩هـ = ١٤٦٥ م) ولكنه كان مضطراً من جهة أخرى إلى البحث عن منفذ بحرى يمكنه من الاتصال بالبنادقة ، ولذلك فإن البلاد التي على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، والتي في حوزة سلطان مصر والشام كانت عقبة في طريق أوزون ، فحاول أن يوسع رقعة أملاكه على حساب المماليك. وفي عام ٨٦٨هـ كان الكرد قد استولوا على قلعة كركر على الضفة اليمنى لنهر الفرات جنوب شرق ملطية فأرسلوا مفاتيحها إلى أوزون حسن ، فأعادها عام ٨٦٩هـ إلى والى حلب ، ولكنه في الوقت نفسه استعاض عنها بالاستيلاء على حصن زياد[1] التي كانت في ذلك الوقت في حوزة أرسلان ذى القدر واقتحام ألبستان (انظر مادتى «ألبستان» و«ذو القدر»). وفي عام ٨٧٧ هـ (١٤٧١ م) استولى جنود أوزون على كاختة وكركر ، ولكن الأمير يشبك الدوادار الذى أوفده قايتباى (انظر هذه المادة) طرد القطيع الأبيض من بيره (ابن إياس ، جـ ٢ ، ص ؛ بهنش Behnach في حوادث عام ١٧٨٣ [١٤٧١م]) واستثار المبعوث العثمانى في القاهرة شعور الأهالى ضد أوزون حليف النصارى، ولكن قايتباى كان حكيما في تصرفه . ونجح الأمير رستم والقاضى أحمد بن وجين اللذان كانا أميرى الحج العراقى عام ٨٧٧هـ (١٤٧٣ م) في أن يجعلا الخطبة في مكة باسم الملك العادل حسن الطويل خادم الحرمين ، بيد أن أمير مكة محمد بن بركات (جـ ٣ ، ص ٥١٤) قبض على رستم وصاحبه وأرسلهما إلى قايتباى ، ولكن هذا أطلق سراحهما بعد بضعة شهور إرضاء لأوزون (ابن إياس ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ — ١٤٦) . وفي عام ٨٨٠ هـ كان أوغورلى محمد قد هرب من والده وآزرته جنود حلب ولكن الدائرة دارت عليه (المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٥٢) . وفي عام ٨٨٢ هـ ذهب قايتباى إلى الفرات وتفقد حالة الجند ، وأعاد الأمن إلى نصابه .

وفاة أوزون حسن

مرض أوزون حسن أثناء عودته إلى تفليس ومات في تبريز بالغا من العمر أربعا وخمسين سنة في وقفة رمضان عام ٨٨٢هـ (٥ — ٦ يناير عام ١٤٧٨) وهذا يتفق بالضبط مع ما يرويه بربارو من أنه توفى في عيد الغطاس، ص ٩٣) .

وامتدح المؤرخون (حبيب السير ، جـ ٣ ص ٣٢٣ ، جهان آرا ، منجم باشى ، جـ ٣ ، ص ١٦٥) عدله وتقواه. فقد كان كثير الإنفاق في وجوه الخير ، وأهدى دوانى مصنفه « أخلاق جلالى » إلى أوزون حسن (*Rieu* ، *Catalogue* ص ٤٤٣ ، ١) وكان الفلكى على قوشجى يعيش في بلاط أوزون، وقد بعث به إلى بلاط القسطنطينية .

أسرته

كانت دماء أمراء القطيع الأبيض مختلطة

(١) خربروت بالأرمنية وخرپوت بالتركية .

إلى حد كبير (المصدر السابق ، ص ٤٥٦ ب ، منجم باشى ص ، ١٦٤) فأم قرة عثمان مثلا هى الأمـــيرة ماريا الأطرابزندية (تاريخ Michael Panaretos طبعة Fallmerayer) ولم تكن دسپنيا التى تزوج منها أوزون وهو فى الرابعة والثلاثين أول زوجاته ، وكانت تعيش عند زيارة ابن أخيها كاترينو زينو بعيدة عن البلاط فى حصن زياد ، وظلت نصرانية ودفنت فى كنيسة بديار بكر (بربارو ،ص٨٤) ويقول أنجيوللو (ص٧٣،) إن أوزون رزق منها بولد وثلاث بنات ، ويقال إن هذا الابن وربما كان اسمه يعقوب ، قد شنقه أخوته بعد وفاة والدهم (؟) وتزوجت ابنة دسپنيا ، واسمها مارتا Martha من الشيخ حيــدر الأردبيلى ، ويسميها صاحب كتاب « سلسلة النسب الصفوية » (برلين ١٨٤٣م ، ص٦٨) « بك اقا » ويطلق عليها صاحب حبيب السير « حليمة بك اقا » ومنجم باشى عالمشاه بيكم ، وهى أم الشـــاه الصفوى إسماعيل الأول (وخديجة بيكم أم الشيخ حيـدر هى أخت أوزون حسن) .

وأم ابنه البكر محمد أم ولد كردية (ابن إياس ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ ؛ *Caterino Zeno* ، ص ٣٦ ؛ *Contarini* ، ص ١٧٣) وحدثت فتنة فى شيراز ، فاحتمى محمد هذا مدة من الزمن بالسلطان بايزيد العثمانى (٨٧٩ = ١٤٧٤م) ولكن أباه أهدر دمه فقتل بفارس (ابن إياس جـ ٢ ، ص ٥٩) .

وحليلة أوزون الأصلية هى سلجوق شاه بيكم ، وقد كان لها شأن عظيم فى إدارة البلاد (تأريخ أمينى ، مخطوط ، ورقة رقم ١٩٨ ،) ولها منه أبناءهم السلطان خليل ويعقوب ويوسف (ربما كان اسمه مسيح) ولا نعرف اسم أم زينل .

أما وزراء أوزون فهم شمس الدين محمد ابن سيد أحمد وبرهان عبد الحميد الكرمانى ومجد الدين الشيرازى (حبيب السير ، جـ٣ ، ص ٣٣٠) ؟

المصـــادر

يروى صاحب حبيب السير أن معاصرا لأوزون حسن يدعى مولانا أبا بكر الطهرانى كتب سيرة حياته . وربما كان منجم باشى قد استفاد من هذا المؤلف النادر الذى لم يصل إلى يد خواندمير . وكان من بين المصادر التى رجع إليها أيضا «تأريخ بايندريه» . (V. Hammer : *Geschichte des osmanischen Reiches* ، جـ ٧ ، ص ٥٤٩) . ولعل هذا المؤلف هو عين « كتاب ديار بكرية » الذى يقول تأريخ أمينى (ورقة ١ مكرر) إن أجداد أوزون حسن قد ذكروا فيه بالتفصيل .

(١) عبد الرزاق : مطلع السعدين ، وهو لا يزال مخطوطا (٢) فضل الله بن روزبهان : تاريخ أمينى ، المكتبة الأهلية ، باريس ، مخطوط فارسى رقم ١٠١ (تاريخ يعقوب بن أوزون حسن وبه بعض الأخبار عن أوزون حسن (ورقة ٦ مكرر ـ ٩ مكرر) الذى يسميه المؤلف صاحب قران)

(٣) خواندمير: حبيب السير، طهران ١٢٧١، جـ ٣، ص ٣٣٠ (فصل صغير) وص ٢٢٣ — ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٢ و٣٨٩ (أخبار وجوه هذا العهد). (٤) ابن إياس: تاريخ مصر، جـ ٢، القاهرة ١٣١١ هـ (٥) أحمد الغفارى: جهان آرا، مخطوط بالمتحف البريطانى، القسم الشرقى ١٤١ (وأنا أدين إلى محمد خان قزوينى الذى تكرم فأطلعنى على نسخة أخرى من هذا المخطوط) ورقة ١٨٧ ب — ١٩٠ ب، وهو يتكلم عن تاريخ الآق قيونلو فى تفصيل مفيد، وكان جد صاحب هذا المؤلف قاضى العسكر فى ركاب أوزون فى الحملة التى شنت على الكرج عام ٨٨١ (٦) عاشق پاشا زاده: تاريخ استانبول ١٣٣٢هـ (٧) سعد الدين: تاج التواريخ، القسطنطينية ١٢٧٩هـ، جـ ١، ص ٤٧٦ — ٤٨٤ (الاستيلاء على أطرابزندة)، ص ٥٢١ — ٥٤٤ (الحروب مع أوزون حسن) وفيه حقائق قليلة قد طغى عليها المحسنات اللفظية (٨) جنابى: تاريخ، وهو مخطوط استفاد منه هامر (انظر Babinger: Die Geschichtschreiber der Osmanen und ihre Werke، ص ١٠٨) (٩) منجم باشى: صحائف الأخبار، وهو موجز للأصل العربى، جـ ٣، ص ١٥٤ — ١٢٧، جـ ٣، ص ٣٧٧، ص ٣٨٧ (١٠) فريدون بك: منشآت سلاطين، أستانبول ١٢٧٤هـ، جـ ١، ص ٢٧٤ — ٢٨٨ وبهذا المصنف مستندات قيمة لاشك فى صحتها (١١) Chalcocondyles، بون ١٨٤٣، ص ١٦٦ — ١٦٨ والأخبار الذى أوردها عن العلاقات بين الآق قيونلو وجيرانهم مضطربة، ص ٤٦١ — ٤٩٧ (١٢) Ducas، ص ٣٣٩ وفيه تفصيلات عن بعثة عام ١٤٥٧ (١٣) Behnach: *Rerum seculo XV, in Mesopotamia gestarum liber*، برسلاو ١٨٣٨، وفيه تفصيلات عجيبة (١٤) Fallmerayer: *Geschichte des Kaiserthums von Trapezunt*، ميونخ ١٨٢٧، ص ٢٥٨، وما بعدها (١٥) Hammer: *Geschichte Osmanischen Reiches*، جـ ١، ص ٤٦٤ — ٤٦٨، ٤٩٩ — ٥١٢ (١٦) E. Cornet: *Lettere al Senato Veneto di Giosafatte Barbaro, ambasciadore ad Usunhasan di Persia*، فينا ١٨٥٢ (١٧) E. Cornet: *Le guerre dei Veneti nell' Asia*، ١٤٧٠ — ١٤٧٤، فينا ١٨٥٦ (١٨) G. Berchet: *La Republica di Venezia e la Persia*، تورين ١٨٦٦، وهو بحث ممتع وقد ظهر ملحق له بنفس العنوان فى *Raccolta Veneta*، المجموعة الأولى، جـ ١، البندقية، ١٨٦٦، ص ٥ — ٦٢ (١٩) Weil: *Geschichte d. Chalifen*، جـ ٥ (١٨٦٢ م)، ص ٢٧٥، ص ٢٩٦ — ٢٩٧، ٣٠٧ — ٣٠٨، ٣١١ — ٣١٢، ٣٣٧ — ٣٣٩، ٣٤٠ — ٣٤١ (فيما يختص بالعلاقات مع مصر) (٢٠) وبالمجلد ٤٩ (١٨٧٣) من المؤلفات التى تنشرها جماعة هاكلويت *Hakluyt* ترجمة إنجليزية لرحلات بربارو وكونتاريني (وبه ملحق عن ممتلكات أوزون حسن) وزينو ومذكرات انجيوللو، وقد اعتمدنا فى ذكر الرحالة البنادقة على هذه الترجمات (٢١) Jorga: *Gesch. d. Osm.*:

Reiches ، جوتا ١٩٠٩ ، جـ ٢ ، ص ٩٥—١٠٤
١٦٠ — ١٦٨ (٢٢) Browne : *A Literary*
History of Persia ، جـ ٣ ، ص ٤٠٤ —
٤١٤ (٢٣) Avalov: *Iz istorii vostochnogo*
voprosa v XV. stol. فى *Sbornik v chest*
Struwe ، براغ ، ١٩٢٥ ، ص ٢٤١—٢٥٢ .

[مينورسكى V. Minorsky]

« **الأوس** » : قبيلة بالمدينة وهـذا الاسم مختصر لأنه حذف منه اسم إله مضاف إليه ربما كان « مناة » . فإن من الأوس بطنا كانت « تسمى أوس مناة » ثم سميت بعـد الإسلام « أوس الله » .

أما نسب القبيلة فهو : أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد . . الخ . ويقول العرب إن الأوس لا يسمون أنفسهم بنى حارثة وإنما يسمون أنفسهم بنى قيلة نسبة إلى أمهم ، ولهذا القول مايؤيده . ويقال أيضا إن اسم الخزرج (انظر هذه المادة) وهى قبيلة بينها وبين الأوس صلة نسب قد يطلق غالبا فيشـمل الأوس فى مدلوله .

وكانت الأوس فى الزمان القديم تنقسم خمسة أفخاذ هم : عمر بن عوف والنبيت وجشم ومرّة وامرؤ القيس . ومن بقايا الأفخاذ الثلاثة الأخيرة تكونت قبيلة جديدة أطلق عليها اسم القبيلة الكبرى « أوس الله » أو الأوس فقط وانقسمت أوس الله إلى أربعة بطون : الخطمة وهى أقوى البطون وهم جشم الأولون وأمية ووائل ، وكانوا يسمون قبل ذلك مُرَّة ، وواقف وهم فى الحقيقة امرؤ القيس من قبل . وفى فخذ النبيت بطن هو ظفر ، وكان يسمى أيضا كعب بن الخزرج . وكان بهـذا بعض الخزرج بين الأوس . وكان الأوس يسكنون بلادا واســـعة تحيط بالخزرج من الشرق والجنوب .

تاريخ الأوس :

كان الموطن الأصلى للأوس بلاد اليمن . وبعد أن عاشوا مع الخزرج فى سـلام بين القبائل اليهودية التى كانت المدينة فى أيديها ، أنزلوا شيئافشيئا إلى مكانة دنيا (انظر المدينة) وكان أكثر اليهود من الأوس مفرقين ، ولـكن كان منهم عشيرتان قويتان مستقلتان هما بنو النضير وبنو قريظة الذين اتحدوا مع الأوس وساعدوهم مساعدة حقيقية فى حروبهم مع الخزرج .

على أنه عندما بدأ محمد حربه لاستئصال شـأفة اليهود فى آخر الأمر لم يكن الأوس بقادرين على معاملتهم بالمثل ، وكانت الأحقاد والبغضاء بين أفخاذ الأوس المدنية وأسرهم قد أنهكتهم وكسرت شوكتهم . وأحدث هذا تغيرا كبيرا فى قوتهم وفى مواطنهم فهاجر بعضهم بقضهم وقضيضهم ، ونزلت أسر منهم

فى أرض غيرها ، وأيد بعضهم ، وانضم الكثيرون منهم إلى الخزرج .

وقد نشبت حروب طويلة بين الأوس والخزرج واستمرت عشر سنين ، كانت تشترك فيها أحيانا القبيلة كلها وأحيانا لا يشترك فيها إلا نفر قليل .

واستمرت هذه الحرب التى قاتل فيها الأخ أخاه واستحكمت حلقاتها قبيل الهجرة حينما وقع يوم بعاث ، وفيها انتصر الأوس رغم أن الأحقاد القديمة كانت قد هدت من قواهم . وكان الفضل فى ذلك النصر للمعونة التى تلقاها الأوس من عرب ليسوا من المدينة ومن القبيلتين اليهوديتين اللتين أسلفنا ذكرهما

ولم يكن للأوس نصيب فى المفاوضات الأولى التى جرت فى مكة بين محمد وبين أهل المدينة ؛ ولكنهم اشتركوا فى العهد الذى عاهدوا فيه بحماية النبى والذى مهد السبيل لاستيطان محمد المدينة . ولما حث محمد معظم أتباعه على مؤاخاة أهل المدينة بعد وصوله إليها بقليل — كان بين أهل المدينة قليل من الأوس . وظل الكثير منهم زمانا طويلا بمعزل عن الإسلام ، بل كانوا معادين له . وكانوا أحياناً مصدر تعب للنبى لمعارضتهم له فى الدين ولحيادهم فى جهاده الدينى وغير ذلك . ولكنهم اعتنقوا الإسلام بالتدريج ، بل اعتنقته الأسر اليهودية التى كانت مندمجة فيهم سياسيا .

ولما توفى محمد وكاد انتخاب خليفة له يفضى إلى إراقة الدماء ساعد الأوس على انتخاب أبى بكر لأن منافسه كان من قبيلة الخزرج .

ديانتهم :

كانوا أيام الجاهلية يعبدون مناة أكبر آلهتهم . وقد حدث قبيل الهجرة تجديد فى الديانة الوثنية أدخله أبو عامر الراهب الذى لم يقتنع بزعامة « أوس الله » فى القتال . وقد يكون هذا التجديد ناشئا عن تأثير التوحيد اليهودى خلال سنين كثيرة . وقد قوى شأنه فى الأوس وفى بنى عمرو بن عوف ولكنه لم يستطع الثبات أمام قوة الإسلام . وشهدت أوس الله أبا عامر حانقا ثابتاً فى معاداته لمحمد حتى أنه ذهب إلى مكة الوثنية مع خمسين من قبيلته . وظل أتباعه المخلصون فى المدينة على اتصال به سرا فى المسائل الدينية ، ولكنهم لم يجرءوا على اللحاق به ، كما كان يرجو ذلك بعد هزيمة المسلمين فى أحد . وكان أبو عامر عند ذلك يحارب فى صفوف أهل مكة الظافرين . ويظهر أنهم رضوا بقبول الإسلام مصطبغا بتعاليم أبى عامر ، ولكن محمدا أبى عليهم أن يعتزلوا ويتعبدوا فى مسجد خاص بهم . ولا نستطيع أن نثبت أن أبا عامر ومن اتبع رأيه كانوا من النصارى

المصادر

السمهودى : خلاصة الوفاء ، ترجمة فستنفلد

Abhandl. فى *Geschichte der Stadt Medina der Göttinger Gesellsch. d. Wissensch.* جـ ٩ (٢) وأكبر مرجع هو : Wellhausen *Skizzen und Vo-) Medina vor dem Islam rarbeiten* عدد ٤ ، ص٣ - ٦٤ (٣) Caetani: *Annali dell'Islam*

فى *Göttinger Gel. Anz.* عام١٨٩٥م ، عدد ٥ وفى *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch.* جـ ٤٩ ، ص ٨٥ — ١٤٤ ، ص٦٧٣ — ٦٨٠ (٣) Fraenkel نفس المصدر ص٢٩٧ (٤) Brockelmann : *Gesch. d. arab. Litter* ، جـ ١ ، ص ٢٧ .

[ريكندورف Reckendorf] [ا. هافنر A. Haffner]

« أوس بن حجر » أكبر شعراء الجاهلية . وهو من قبيلة تميم . ولد عام ٥٣٠ وتوفى عام ٦٢٠ م . ولسنا نعرف سيرته على وجه التحقيق . كان معاصراً لعمرو بن هند بالحيرة . وكان على الدوام متصلا بقصر هذا الأمير اللخمى وإن كانت حياته حياة أسفار لا استقرار فيها . وأوس بن حجر هو أبو شريح الشاعر وزوج أم زهير الشاعر المشهور ، وكان راوياً له . ولم تحفظ لنا الأيام ديواناً لأشعاره ولكن يقال إن ابن السكيت جمع له ديواناً وشرحه . ويمتاز أوس فى قصائده ، إلى جانب أبواب الشعر المألوفة عند شعراء العرب القدماء ، بالتحدث بالصيد ووصف الحروب ؟

المصـــادر

(١) Geyer : *Gedich[illegible] und Fragmente des Aus b. Hajar* (*Sitz. Ber. ak. Wien*) ٥٦ ، ص١٣ ، *Abhandlung* ص١ — ١٠٧ (٢) انظر A. Fischer ص ١ — ٢٩ عربى)

« الأوشى » على بن عثمان سراج الدين الفرغانى الحنفى . لم تصل إلينا أخبار عن حياته ، ويذكر عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى شيئا من تاريخه فى كتابه « الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية » (طبعة حيدرآباد ، عام ١٣٣٢ جـ ١ ص ٣٦٧)

كتب الأوشى فى عام ٥٦٩هـ = ١١٧٣م (انظر : *Z. D. M. G.* عدد ١٦ ، ٨٦٥) متناً فى العقائد منظوما سماه « القصيدة اللامية فى التوحيد » وتسمى أيضا « بدء الأمالى » أو « قصيدة يقول العبد » إشارة إلى مستهلها (*Carmen arabicum Amali dictum* طبعة فون بولين ورجنزبرج ١٨٢٥) وتوجد أيضا فى « مجموعة مهمات المتون » طبعة القاهرة ١٢٧٣ ، ١٢٨١ ١٢٩٥ ، ١٣٢٣ ، وعلى هامش سفينة النجاء لسليم بن سُمير طبعة سنغافورة ١٢٩٥ ، ولها نثر بالهندية لمولوى محمد نظير أحمد خان ، طبع فى دهلى سنة ١٣١٧هـ) ، ويدل طبعها المتكرر على أنها منتشرة إلى يومنا هذا . وقد وضع لها شروح كثيرة . ويمكن أن نضيف إلى

الشروح الواردة فى .O. A. L ج ١ ، ص ٤٢٩ ، وأقدمها شرح محمد بن أبي بكر الرازي مؤلف تحفة الملوك (.O. A. L ج ١ ، ص ٣٨٣ ويقول حاجى خليفة ، رقم ٧٣٣ ، إنه توفى عام ٦٦٠ هـ = ١٢٦١ م) شروحا أخرى نجدها مذكورة فى فهارس استانبول وغيرها أشهرها شرح القارىء الهروى (توفى عام ١٠١٤ هـ = ١٦٠٥ م) الذى ألف عام ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) فى مكة، وعنوانه : «الضوء اللامع» طبعة لستانبول عام ١٢٩٣ هـ وبمباى عام ١٢٩٥ هـ ودلهى عام ١٨٨٤ وترجمه إلى التركية حسنى افندى باستانبول عام ١٣٠٠ هـ . ويوجد شرح لمؤلف مجهول اسمه تحفة الإعالى طبعة القاهرة عام ١٣٠٩ هـ وطُبع أيضاً شرحان بالفارسية باسم نظم اللآلى أحدهما لمحمد بخش رفيق، لكنهؤ ١٨٦٩ ، والآخر لأحمد درويزه تنكر هارى بلاهور ، ١٨٩١ ، ١٩٠٠ . ويوجد أيضاً شرح تركى اسمه «مراح المعالى» لأحمد عاصم عينتابى، استانبول ١٣٠٤ ونثر بالتركية عليه شرح لمحمد شكرى (استانبول ١٣٠٥ هـ) ولم يبق من الكتاب الذى جمعه الأوشي فى الأخبار المأثورة وسماه « غرر الأخبار ودرر الأشعار » إلا منتخبات تشمل ألف خبر فى مائة فصل عنوانها «نصاب الأخبار وتذكرة الأخيار» وهى فى برلين (فهرس Ahlwardt رقم ١٣٠٠/١) وميونخ (تعليق رقم ١٦٢) والقاهرة (فهرست ج ١ ، ص ٤٤٤) ومنها شذرة بالموصل (انظر داود: المخطوطات الموصلية ، ص ٢٤ ، رقم ٢٨) أما مجموعة فتاويه المسماة «الفتاوى السراجية» التى يقول الحاج خليفة (رقم ٨٧٦٧) إنه قد فرغ منها فى الثانى من محرم سنة ٥٦٩ (١٤ أغسطس سنة ١١٧٣) فى أوش فقد طبعت بكلكتة عام ١٢٤٣ ولكنهؤ عام ١٢٢٣ — ١٢٢٥ ؟

[بروكلمان Brockelmann]

« أوغنده » بلاد فى إفريقية الشرقية عند خط الإستواء شمالى بحيرة فكتوريا ، وهى تحت الحماية البريطانية . وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مملكة بنتو فى بوجندة ، وهى إحدى الأقاليم الأربعة التى تتألف منها أوغندة. وكلمة أوغندة معناها فى لغة أهل السواحل «بلاد بَجَنــدة» لأن المقطع «أو» فى لغة أهل السواحل معناه « بلاد » وقد استعمل مكان المقطع « بو » الذى يدل على نفس المعنى . وأطلق اسم أوغندة أول الأمر على مملكة «متيسه» التى اكتشفها «سبيك» J. H. Speke سنة ١٨٦٢ م ، ثم أصبح على مر الزمن يطلق على أوغندة كلها متمشياً مع امتداد النفوذ البريطانى فى بوجندة .

١ — جغرافية أوغندة :

تمتد بلاد أوغندة على وجه التقريب بين خطى عرض ١° جنوباً و ٤° شمالا ، وبين خطى طول ٣٠° و ٣٥° شرقى جرينوتش ، ومساحتها ٩٤٫٢٠٤ ميلا مربعاً منها ١٣٫٦١٦

ميلا مغطاة بالمياه . ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٤٠٠٠ قدم . وبها جبل إلجون فى الشرق وارتفاع قمه ١٤,٠٠٠ قدم . وفى غربيها هضاب تورو ويبلغ ارتفاعها ٥٠٠٠ قدم ، وهى تمتد حتى سلسلة جبال « رونزورى » التى يغطى الثلج قممها ، وأعلى هذه القمم جبل ستانلى ، ويبلغ ارتفاعه ١٦,٨١٦ قدما . وفى جنوب غربى أوغندة جبال توجد أعلى قممها فى إقليم « مفمبيرو » «Mfumbiro» البركانى . ويبلغ ارتفاع بعضها ما بين ١١,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ قدم . وإذا استثنينا بعض الجبال على حدود الكونغو البلجيكية ، غربى النيل ، على خط عرض ١٥ ٢° شمالا ، فإن المستوى العام لارتفاع الجزء الشمالى من هذه البلاد قد تأثر بنظام تصريف مياه النيل ، ولهذا لا يزيد ارتفاعه على ٣٠٠٠ قدم . وتغذى بحيرة فكتوريا ، وهى على ارتفاع ٣٧٢٦ قدما ، النيل عند مساقط ريبون التى اكتشفها سبيك سنة ١٨٦٢ ، وهى تعتبر منبع هذا النهر . أما بحيرة ألبرت فهى على ارتفاع ٢٠٢٨ قدما ، وهى جزء من الحدود الغربية لأوغندة ، ويغذيها نهر سمليكى الذى يخرج من بحيرتى جورج وإدوارد ثم يصب فى نهر النيل شمالى بحيرة فكتوريا . وعلى هذا فأوغندة قطر عند منابع النيل الأبيض . والنيل يكون النظام الرئيسى لتصريف المياه فى البلاد كلها .

ومناخ أوغندة أكثر اعتدالا من مناخ البلاد الاستوائية الأخرى . إذ أن متوسط أعلى درجات الحرارة فيها هو ٨٠° فرنهيت ومتوسط أقلها ٦٠ فرنهيت . وقد يصل متوسط أعلى درجات الحرارة فى المنخفضات الشمالية إلى ٩٠° فرنهيت .

ويختلف مقدار ما يسقط فيها من الأمطار اختلافا بينا ؛ ففى الساحل الشمالى لبحيرة فكتوريا نيانزا يبلغ متوسط ما يسقط من الأمطار ٦٥ بوصة ، وتغزر الأمطار عند منحدرات جبل إلجون وعند جبل تورو . وتقل الأمطار فى شمالى أوغندة قلة تجعل الأحوال الجوية قريبة الشبه بأواسط السودان . ويزرع شجر الموز فى الأقاليم التى تكثر فيها الأمطار ، وهو الغذاء الأساسى لأهل تلك البلاد ، ويزرع أيضا فى تلك الأقاليم بعض الحبوب الأخرى .

والإنبات فى أرض أوغندة يختلف فى قوته ، ففى بعض أجزائها نبات قليل متفرق مما ينبت فى الصحراء ، وفى غيرها غابات استوائية كالموجودة فى حوض الكونغو ، وفى جبال إلجون ورونزورى منطقة ينبت فيها نبات ألبى ، ولهذه المنطقة شأن كبير . وجزء كبير من بلاد أوغندة عبارة عن مراعى خصبة من منطقة السڤانا .

ب — سكان أوغندة :

بلغ عدد سكان هذه البلاد فى سنة ١٩٢٠ ٣,٤١٠٨٥٧ نسمة منهم ١٩٩٥ أوروبى

و١٢,٥٣٩ أسيوى. وهبط عدد سكان البلاد فى تعداد سنة ١٩٢١ إلى ٢,٨٤٨,٧٣٥ نسمة ا منهم ٢٦٧,٥٢٢ بروتستانتى و ٢٥٥,٠١٤ كاثوليكى و ٩٨,٠٠٠ مسلم و ٢,٢٢٨,١٩٩ وثنى . ويبلغ عدد سكان إقليم بوجندة ٧٧٤,٧٥٣ نسمة منهم ٧٢,٢٦٣ مسلم ، بينما نجد أن المسلمين من أهل بجَنْده تبلغ نسبتهم ٧٥٪ . وينقسم السكان من حيث الجنس ، كما ذكر سلجمان Seligman ، إلى ثلاثة أقسام هم البنتو فى الشرق ، والساميون الحاميون ، ثم النيليون .

والبنتو الذين يسكنون شرق البلاد لانعرف منهم معرفة جيدة إلا قوم البجندة . ويظهر أن أقواما حامية من الرعاة قدهاجرت منذ عدة قرون فى فترات متعاقبة إلى هذا الجزء من إفريقية وأسسوا مملكة « كترا » الكبيرة وسيطروا على البنتو المشتغلين بالزراعة . وانقسمت هذه المملكة على الأيام إلى الأقسام الثلاثة الموجودة الآن : مملكة أنكوله التى يغلب عليها الجنس الحامى ومملكة بُنيورو ، وفيها اختلط الحاميون الأصليون بالبنتو ، ومملكة بوجنده ، وفيها حدث اختلاط كبير بين الحاميين والبنتو وإن كانت الأسرة الحاكمة من الحاميين . ويمثل أنصاف الحاميين عدة قبائل مثل كارموجونج وإيتسو فى حين يمثل الجنس النيلى قبائل أشــولى ولنجو وغيرهما من القبائل التى تسكن شمال غربى أوغندة .

تاريخها :

اكتشف برتون Burton وسبيك Speke بحيرة فيكتوريا عام ١٨٥٩ م ، واكتشف سبيك وجرانت Grant منابع النيل ومساقط ريبون عام ١٨٦٢م . ووصل ستانلى Stanely إلى أوغندة عام ١٨٧٥ م وكتب رسائله المشهورة التى وصف فيها مملكة بوجندة وكان يسودها العرب المشتغلون بالنخاسة ولا يعبأ أهلها بالإسلام ، بل كانوا على استعداد لقبول الإرساليات التبشيرية التى كان لها أكبر الأثر فى تكييف مستقبل هذه المملكة . وقد وصل فريق من المبعوثين البروتستانت إلى أوغندة عام ١٨٧٧م متبعين الطريق الذى اتبعه العرب من زنزبار (بر الزنج) ، وجاء بعدهم عدد من قساوسة الفرنسيين عام ١٨٧٩ . وفى الوقت نفسه عيَّنَ خديو [مصر] السير صموئيل بيكر الذى كان قد اكتشف بحيرة ألبرت عام ١٨٦٤ ، حاكما عاماً للسودان وزوده بالتعليمات اللازمة للقضاء على النخاسة التى كان يشتغل بها الترك والعرب ، وكان مركزهم غندكرو ، وأبعد محلاتهم على مسيرة خمسة عشر يوماً ناحية الجنوب ، فوصل صمويل بيكر إلى بنيورو عام ١٨٧٢ م ، وضمها إلى السودان ، وخلفه على حكم السودان غردون فأرسل المبعوثين إلى مملكة بوجندة ، ولقى ستانلى أحدهم فى بلاط متيسه ملك بوجندة ، وأخذ منه رسائله المشهورة وحملها معه إلى إنجلترا . وكان أمين باشا حاكما على الأقاليم

الاستوائية من السودان المصرى بما فيها القسم الشمالى من أوغندة عند قيام ثورة المهدى ، فقطع كل اتصال بينه وبين الخرطوم ، وأنقذه ستانلى . وثار فريق من جنود أمين باشا بقيادة ضابط مصرى يدعى سليم بك ، وظلوا فى «تورو» وهى الآن فيما يعرف اليوم بالكنغو البلجيكية .

وكان الطريق الذى يصل ممباسا (انظر هذه المادة) بالداخل ماراً بما يعرف الآن بمستعمرة كنيا قد فتحه العرب . وفى عام ١٨٨٩ أرسلت الشركة الإنجليزية الإمبراطورية لإفريقية الشرقية حملة الى أوغنده لضمها إليها ، وانتهت المفاوضات التى قامت بين إنجلترا وألمانيا ، والتى كان الغرض منها تقسيم الساحل الشرقى والبلاد الداخلية ، بضم أوغندة الى بريطانيا .

وفى عام ١٨٩٠ م أمر الكابتن لوجارد Lugard « وهو اللورد لوجارد فيما بعد » وكان مشتغلا ببناء عدد من الحصون على الساحل ، أن يتوجه الى أوغندة لتثبيت مركز الشركة هناك . وخلع النصارى والمسلمون «موانجه» ، خليفة متيسه ، ففر الى الطرف الجنوبى لبحيرة فيكتوريا حيث احتمى ببعض الإرساليات الكاثوليكية ، وأقيم مكانه « كويوا » . وسرعان ماضاق المسلمون بالملك الجديد لأنه رفض الأخذ بتقاليدهم فنادوا بأخيه « كلما » ملكا على البلاد ، واتعظ هذا بما حل بأخيه وادعى الإسلام ، واجتهد فى أن يجبر الفلاحين على الأخذ بعادات المسلمين ، ومنها الختان ، مما أدى إلى خروج عدد كبير من النصارى الى أنكوله . فاستدعى البروتستانت موانجه ، الذى تمكن بمساعدة الكثيرين من أتباعه من هزيمة جيش المسلمين ودخول العاصمة ، وتراجع المسلمون الى بنيورو ومنها قاموا بغزوات كثيرة لبوجندة . ولما توفى كلما اختاروا مبُوجو أخا متيسه ملكا عليهم . وعند وصول لوجارد إلى أوغندة أجبر موانجا على توقيع معاهدة وقتية ، ولكى يحصل على قوة يستطيع الاعتماد عليها اتفق مع سليم بك قائد الجنود الذين بقوا هناك من جيش أمين باشا ، فألحق بعض هؤلاء السودانيين بالخدمة فى بوجندة ، أما الباقون فقد أرسلهم الى حصون بنيورو وتورو . ولم تكن الرقابة على السودانيين الذين استقروا فى الحصون كاملة بل تركوا وشأنهم تحت إشراف ضباط من جنسهم ، ولذلك لم يقوموا بمعاونة الدعوة الإسلامية بين الفلاحين المجاورين .

وفى عام ١٨٩٢م رأت الشركة الانجليزية الامبراطورية لإفريقية الشرقية التخلى عن هذه المملكة لكثرة نفقاتها إلا إذا عاونتها الحكومة الانجليزية . وقد رفضت الأخيرة ذلك أول الأمر ، ولكنها ألغت قرارها هذا خضوعاً منها للرأى العام الذى كانت تستثيره جمعية التبشير الكنسية من جهة واقتناعاً بما قدم إليها من براهين تدل على توقع الرخاء

تلك البلاد ، من جهـــة أخرى . وبدأت بالإشراف على الشركة عام ١٨٩٤ عند ما أبرمت معاهدة وقتية مع الملك موانجا .

وفى عام ١٨٩٧ شبت عدة فتن ، ذلك لأن موانجا لم يخضع لهذا النظام الجديد ، وكان يدبر المؤامرات سراً ، ثم فر أخيراً الى ميندو ، حيث رفع راية العصيان ، بيد أن الجنود السودانية ألحقت به الهزيمة ففر إلى الأراضى الألمانية . وكان مكدونالد مشتغلا فى ذلك الحين فى السكك الحديدية هناك ، فعهد إليه أن يمسح بلاداً جديدة لم تكشف بعد قرب بحيرة رودلف ، فاحتاج إلى حامية كبيرة ، ولذلك أرسلت إليه الجنود السودانية التى كانت مشتغلة بالقتال المستمر فى بقاع مختلفة ، وخفضت أعطيات الجنود وساءت حالتهم النفسية ، فانتهز فريق منهم الفرصة وجاهر بالعصيان ، وأرسلت الرسل إلى بجندة الإسلامية ، وبذلت المساعى لتحريض زعيمها مبوجو على الانضمام إلى الثائرين الذين قد يولونه العرش ولكن مبوجو رفض هذا التحريض وظل مخلصاً لبريطانيا بالرغم من عقيدته الدينية . ولم يكن رفضه قائماً على عدم الرغبة فى الانضمام إلى الثوار فحسب ، ولكنه كان يعلم كذلك أنه لن يتولى العرش لكونه ، وفقاً لعادات قومه ، الابن الأكبر للملك السابق . وتحرجت الأمور بانضمام موانجا إلى « كبريجا » ملك بنيورو فى محاولته طرد الإنجليز من البلاد أثناء قيام الجنود بالعصيان ، وانتهى الأمر بإخماد الفتنة والقبض على هذين الملكين ونفيهما إلى سيشل . وتمتعت البلاد منذ عام ١٨٩٩ بسلام دائم . وفى الحق إن قصة بوجنده وما أحاط بها من مشكلات هى قصة أوغنده بأسرها . ومن إقليم بوجنده أخذ الإنجليز يدخلون القبائل الأخرى فى طاعتهم إما بإظهار سلطانهم الحربى وإرسال الحملات الصغيرة لإخضاعها حيناً وإما بالتوغل السلمى فى معظم الأحيان .

ودخل الإسلام بلاد أوغنـــده من الشاطىء الشرقى ومن الشمال بعد توغل العرب فيها من الساحل الشرقى ، وكانت لهم الغلبة عند وصول سبيك إلى بلاط ميتسه ، وتمكن قوم بجندة ، وهم جنس ذكى ناشط اتخذ له لوناً من ألوان الحكم بفضل البنادق التى أخذوها من العرب فى مقابل العبيد والعاج ، من السيطرة على القبائل المجاورة ، وطمحوا كذلك إلى أن يتعلموا من العرب سر الكتابة لأنهم أدركوا مقدار ما يصيبونه من قوة بمقتضى هذا التعلم . ورفض العرب بادىء الأمر إجابتهـم إلى ما طلبوا وأفلحوا فى تحويل بعضهم إلى الإسلام ، ولكن سرعان ما وصلت الإرساليات المسيحية التبشيرية إلى بجنده ، فرأى هؤلاء أن أعضاء تلك الإرساليات على تمام الاستعداد والرغبة فى تعليمهم الكتابة وإمدادهم بالمعارف التى تزيد فى ثقافتهم ، وشعر العرب أنهم بذلك يفقدون مكانتهم فطلبوا

المدرسين من الإقليم الساحلي وفتحوا المدارس التي تعلم الأطفال كتابة اللغة « السواحلية » بالحروف العربية . والتصادم بين الإسلام والنصرانية هو في الواقع تصادم بين ثقافتين مختلفتين ، وغلبة المسيحية في نهاية الأمر تعود في الغالب إلى ما قامت به الإرساليات التبشيرية من تمهيد طرق التعليم لأهالي هذه البلاد .

ولم يكن هناك أثر كبير لنفوذ الإسلام الذي دخل البلاد من ناحية الشمال ، فقد اهتم الترك والعرب بادىء الأمر بجلب العبيد من القبائل الهمجية ، وتمكن الجنود وأتباع حكام الأقاليم وغيرهم من موظفي السودان من تحويل القليلين إلى الإسلام ، أما السودانيون ، وكلهم من المسلمين ومن بقايا جيش أمين باشا ، فلم يكن لهم أثر يذكر على الأهالي الوطنيين ، ولو أنهم كانوا يعيشون جماعات متفرقة في أنحاء البلاد كما كانوا في وقت من الأوقات العمود الفقري للجيش والبوليس في تلك الربوع . ولكن الإسلام انتشر حديثا في إقليم النيل الغربي الذي يسكنه الجنس النيلي بفضل شخصية القليلين من زعماء تلك المنطقة الذين اعتنقوا الإسلام وشجعوا التعليم وفتحوا المدارس ، بيد أنه يوجد إلى جانبهم عدد كبير من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وحظوا بنصيب أوفر من التعليم بفضل إشراف الأوربيين ؟

المصـــادر

نذكر إلى جانب الكتب الخضر التي يصدرها المكتب الاستعماري : (١) التقارير السنوية لحاكم أوغندة (٢) التقرير الإحصائي لعام ١٩٢١ والمقال الذي كتبه Sir H. H. Johnston في دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة (٣) H.R. Wallis : *Handbook of Uganda* الطبعة الثانية ، لندن ١٩٢٠ ، وفي هذا الكتاب مصـــادر أخرى (٤) *Naval Intelligence Division, Admiralty Handbook of Uganda Protectorate* ، اكسفورد عام ١٩٢١ (٥) Sir Harry Johnston : *The Uganda Protectorate* ، لندن ١٩٠٢ ، وهو لمحة عامة عن تاريخ تلك البـــلاد وجغرافيتها (٦) Sir Samuel Baker : *The Albert Nyanza* ، لندن ١٨٦٦ (٨) H.M. Stanley : *In Darkest Africa* ، لندن ١٨٩٣ (٩) Lord Lugard : *The Rise of our East African Empire* لندن ١٨٩٣ (١٠) نفس المؤلف : *The Story of the Uganda Protectorate* ، لندن ١٩٠٠ (١١) Sir Frederick Jackson : *Early Days in East Africa* ، لندن ١٩٣٠ (١٢) C.H. Stigand : *Equatoria* ، لندن ١٩٢٣ ، وفي هذا الكتاب مصـادر أخرى (١٣) Sir T. W. Arnold : *Preaching of Islam* ، الطبعة الثانية ، لندن ١٩١٣ ، ص ٣٤٤ .

ويمكن الرجوع إلى المصادر التالية فيما يختص بالسلالات البشرية :

(١) J. Roscoe : *The Baganda*، لندن ١٩١١ (٢) نفس المؤلف : *The Bakitara* كمبردج ١٩٢٣ (٣) نفس المؤلف: *The Bagesu* كمبردج ١٩٢٤ (٤) J.H. Driberg : *The Lango*، لندن ١٩٢٣ (٥) نفس المؤلف : *The East African Problem*، لندن ١٩٣٠.
ويمكن الرجوع إلى الكتب النحوية التى نشرها فى لندن S.P.C.K. عن اللغات المختلفة فى تلك البلاد.

[هادون E. B. Haddon]

«أوقات» : جمع وقت (انظر هذه المادة)

«أول» : أول الشيء مبدؤه، والأول اسم من أسماء الله الحسنى

«أوليا» : جمع ولى (انظر هذه المادة) ويخطىء الترك والفرس أحيانا فى استعمال هذا الجمع للدلالة على المفرد.

«أوليا أتا» : (أى الأب المقدس) أكبر مدينة فى إقليم سيحون بالتركستان الروسية، وتسمى بذلك نسبة إلى ضريح الولى قره‌خان. وقد ورد ذكر ضريح هذا الولى منذ القرن السابع عشر (انظر كتاب بحر الاسرار لمحمود بن ولى فى فهرس المكتب الهندى ص ١١٩). أما المدينة نفسها فلم تنهض إلا فى القرن التاسع عشر. وقد فتحها الروس عام ١٨٦٤. والضريح الحالى حديث العهد جدا وليس عليه نقوش. وضريح من يسمى الولى الصغير «كيجيك أوليا» الموجود بالمدينة نفسها عليه نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢م). وهو ضريح الأمير ألغُ بلكا إقبال خان داود بك بن إلياس (انظر ما كتب عنه فى *Zap. wost. otd. russk. arkh. obshch.*، جـ ٢، ص ٥). أما مدينة «طراز» التى يقول جغرافيو العرب إنها فى هذا الإقليم فالظاهر أنها اندثرت. وقد وجدت حديثا (منذ ١٨٩٦) شواهد قبور تركية قديمة فى مدينة تالاس من أعمال إقليم أوليا أتا (انظر فيما يتعلق بهذه ..Zapiski، جـ ١١)

[بارتولد W. Barthold]

«أوليا چلبى» : أو هو كما يسمى نفسه كثيرا أوليا محمد ظلى بن درويش سائح العالم، ولد بالقسطنطينية عام ١٠٢٠هـ (١٦١١ – ١٦١٢م) وتوفى بعد عام ١٠٩٠ (١٦٧٩) بقليل. وقام خلال أربعين عاما برحلات طويلة متوالية فى أنحاء الإمبراطورية العثمانية، واشترك فى الحملات التى وجهت إلى كريد (إقريطش) والمجر والنمسا وغيرها أيام حكم إبراهيم ومحمد الرابع. ونشر مشاهداته

وتجاربه فى الحرب والسلم باسم « تاريخ سياح » (مخطوط بفينا ، فلوجل رقم ١٢٨١ . وتسمى نسخة استانبول المطبوعة سياحت نامه) وهو كتاب انفق فيه صاحبه جهدا كبيرا ، ويقع فى عشرة أجزاء . ومصادرنا التى نستقى منها معلوماتنا عن أولياچلبي وعن حياته لاتتجاوز ما كتبه بنفسه ، ونعرف منه أن أباه درويش محمد ظلى (ج ١ ، ص ٢١٨ ج ٣ ، ص٤٤٢ ، ٤٤٣ طبعة استانبول ، وأنظر أيضا ج ١ ، ص ٢٤٤) ذهب صحبة السلطان سليمان الأول إلى بلغراد ورودس وبودابست وشتول فايزنبرج وزيجته (ج ١ ، ص ١٠٦ ، ج ٣ ، ص ٤٤٤) ، وشهد حصـــار قبرص (ج ٣ ، ص٤٤٣) . واشترك فى غزو محمد الثالث لبلاد إرلو (ج ٣ ، ص ٤٤٤) . وكان « جوهرى السـلطان » (زركرى دركاه عالى أو « قيوبجى باشى ») . وخدم عشرة سلاطين من سليمان الأول إلى إبراهيم (ج ٣ ، ص ٤٤٢ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨) . وتوفى عام ١٠٥٨ هـ (ج ٢ ، ص ٤٥٨) بالغا من العمر سبع عشرة سنة بعد المائة (ج ٣ ، ص ٤٤٤) .

وكان جده لأبيه وهو دمرجى اوغلى قره أحمد بك حامل اللواء للسلطان محمد الثانى واشترك فى غزو القسطنطينية ، وبلغ من العمر سبعا وأربعين بعد المائة . (ج ٣ ، ص ٤٤٤) . وكان جده لأمه وهو ياوز أوزبك حامل اللواء لهذا السلطان الفاتح أيضا (ج ١ ، ص ٢٤) .

وكانت أمه أختا لملك أحمد باشا الذى كان صدرا أعظم من شعبان سنة ١٠٦٠ هـ إلى رمضان ١٠٦١ هـ ، وتوفى عام ١٠٧٣ . وصحت عزيمة أوليا على أن يتفرغ لحياة العلم وابتدأ فى رمضان عام ١٠٤٥ فأصبح حافظا فى آيا صوفيا . وفى هذا المسجد استرعى نظر السلطان مراد الرابع فعينه فى وظيفة محاسب بالقصر ، وترك هذه الوظيفة بعد سنتين وصار من الفرسان النظاميين (ج ٢ ، ص ٢٤٤ — ٢٥٨) . ومن ذلك الحين أولع بالأسفار فتجده يقوم بأسفار طويلة فى الأقاليم وتجده فى الحروب وحيدا أو فى معية أحد كبراء الدولة ، وبخاصة عمه ملك أحمد باشا . واستقر به المقام أخيرا حوالى عام ١٠٨٣ (١٦٧٢ — ١٦٧٣) . وسـنبين فيما يلى أسفاره باختصار : يحوى الجزء الأول وصف العاصمة وما يحيط بها . وقد ارتادها فى عام ١٠٤١ هـ والأعوام التى تليه . والجزء الثانى يصف رحلة إلى بروسة (محرم ١٠٥٠ = ابريل مايو سنة ١٦٤٠) ، ورحلة إلى نقمودية وأخرى إلى باطوم وأطرابزندة وبلاد الأبخـاز (جمادى الأولى عام ١٠٥٠ — شعبان ١٠٥٤ = اغسطس ١٦٤٠ — اكتوبر ١٦٤٤) ويتكلم فيه عن حملة على إقريطش (١٠٥٥ = ١٦٤٥) ورحلة إلى أرزن الروم وأذربيجان وبلاد الكرج وغيرها (رجب ١٠٥٦ — آخر جمادى الثانية ١٠٥٨ = اغسطس ١٦٤٦ — آخر مايو سنة ١٦٤٨) — أما الجزء الثالث ففيه أخبار رحلة إلى دمشق والشام وفلسطين والأرمنية

وسيواس وكردستان وإرمينية وغيرها (شعبان ١٠٥٨ — منتصف رجب ١٠٦٠ = سبتمبر ١٦٤٨ — يوليه ١٦٥٠).

وفي عام ١٠٥٩ هـ أدى أوليا فريضة الحج (انظر ج ١، ص ٢٨٨). وهو يصف ذلك في جزء مستقل، ثم قام برحلة إلى الروملي (بلغاريا ودبروجه وغيرهما) في ١٠٦١ — ١٠٦٢هـ (١٦٥١ — ١٦٥٢م). وفي الجزء الرابع رحلة إلى وان وتبريز وبغـــداد والبصرة وغيرها، وذلك عام ١٠٦٥ — ١٠٦٦ (١٦٥٥ — ١٦٥٦). وفي الجزء الخامس وصف لنهاية الرحلة التي قام بها إلى وان والبصرة. وفيه ذكر رحلة إلى «أوكزا كوف»، ووصف حملة على را كوكزى وغارة على الروسيا، ١٠٦٦ — ١٠٦٨هـ (١٦٥٦ — ١٦٥٨م)، وحملة على الثائرين في الأناضول، ووصف العودة من بروسة عن طريق الدردنيل إلى أدرنة من رجب ١٠٦٩ إلى أول صفر ١٠٧٠ (من مارس إلى اكتوبر ١٦٥٩)، وبعثة إلى البغدان في العام نفسه. وفيه ذكر حملة ضد ترانسلفانيا، وبعثة إلى البوسنة، وحملة على دالماشيا. ثم الرجوع إلى صوفيا، وذلك من منتصف شعبان ١٠٧٠ إلى ربيع الأول ١٠٧١ (من أبريل إلى نوفمبر ١٦٦٠). وفي الجزء السادس ذكر حملة على ترانسلفانيا، وبعثـــة إلى البانيا والعودة الى القسطنطينية، من ذي القعدة ١٠٧١ إلى رجب ١٠٧٢ (يوليه ١٦٦١ — فبراير سنة ١٦٦٢) وحملة على المجر وحصـار أيوار (نوى هويسل). وغزوة قام بهـا المؤلف مخترقا النمسا وألمـانيا وهولندة إلى بحر الشمال على رأس جيش يتألف من أربعين ألفا من التتر! وفيه وصف فتح حصن أيوار وغـيره من الحصون، والعودة إلى المشتى في بلغراد، وذلك من شـعبان ١٠٧٣ إلى آخر رمضان ١٠٧٤ (مارس ١٦٦٣ — مارس ١٦٦٤). وتذكر فيه بعثة هرزجوفينا، ورحلة إلى راجوسة، وحملة على الجبل الأسود وكانيچه وكرواتيا.

أما ما في الأجزاء الأخرى فلا نستطيع التكهن عنه إلا بما ورد عرضاً في ص ٦ من مقدمة الجزء الأول لطبعة استانبول الجديدة. ومنه نعرف أن الجزء السابع خاص بالنمسا والقريم وأرض القوقاز وإستراخان، وأن الجزء الثامن يتناول القريم وكريد وسالونيك والروملي، وأن الجزء التاسع خاص بوصف الحج. أما العـاشر فيتناول وصف مصر. ويظهر أن أوليا يصف في الجزء السابع رحلته إلى فينا وأوروبا الوسطى، وفيها وصل إلى دنكرك (انظر *Travels* ج ١ فصل ١ ص ٤٢ وما بعدها). والراجح أنه كان بصحبة قره محمد باشا سفير الباب العالى (عام ١٠٧٥ هـ = آخر عام ١٦٦٤). ثم واصل السفر منفردا من فينا. وبعد أن قضى ثلاث سنوات ونصف سنة عاد إلى القريم عن طريق السويد وبولندة وروسيا (ج ١ ص ٣٠٠). وفي عام ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م) رافق الحملة الموجهة إلى اقريطش والحملة التي وجهت بعدها إلى «المينوت».

والجزء الثامن يصف هذا . أما الجزء التاسع فيتناول الحج عام ١٠٥٩ ﻫ والعاشر يتناول الحديث عن مصر (ج ١ ، ص ٢٨٨ ، ٥٠٧) وآخر تاريخ يظهر في الأجزاء التي نعرفها حتى الآن من كتاب «تأريخ سياح» هو عام ١٠٨٩ﻫ (١٦٧٨ - ١٦٧٩م) (انظر ج ١ ص ٣٠١)

كان أوليا چلبي كاتباقوى الخيال مشغوفا بوصف المخاطرات والأمور العجيبة ، وهو يؤثر الأساطير على الحقائق التاريخية الجافة ، يجد في المبالغة لذة ولا يتحرج أحيانا من أن يختلق الأخبار — على أن كتابه مع هذا كنز كامل للمعارف المتعلقة بالجغرافية وبأمور الحياة الاجتماعية وعادات الشعوب . ومما يزيد في قيمته سهولة عبارته وحسن عرضه وبراءته من التكلف ، وجمال الوصف وقوته ، وهو نادر الاقتباس من المصادر المكتوبة وإن يكن قد أشار إلى القليل منها ، مثل تاريخي محي الدين وجوري . وقد انتفع الكتاب الذين جاءوا بعد أوليا بما كتب ، ومن أسف أنهم فعلوا ذلك عادة دون تمحيص أو نقد ومثلنا في ذلك «فون هامر» .

ولم يطبع حتى الآن إلا الأجزاء الستة الأولى من مؤلفات أوليا چلبي وذلك باستانبول من ١٣١٦ — ١٣١٨ ﻫ . وكتاب منتخبات أوليا چلبي (استانبول ١٢٥٩ﻫ = ١٨٤٣م) يحوى مقتطفات من الجزء الأول . وقد ترجم فون هامر الأجزاء الثلاثة الأولى بعنوان : *Narrative of Travels in Europe, Asia and africa by Evliya Efendi* (لندن ١٨٤٦ — ١٨٥٠ ، ج ١ ، ٢) ، وذلك بعد أن ذكر في الجزء الثاني من كتابه *Des Osm. Reichs Staatsverfassung etc* ص ٤٥٥ — ٤٧٩ وصفاً مفصلا لما تحويه الأجزاء الأربعة . ومخطوطات تاريخ سياح الموجودة في أوربا لا توجد إلا في فينا ومكتبة المتحف البريطاني .

[ج . ﻫ مورتمان J. H. Mordtmann]

« أُوَيس » الأول (السلطان أويس) ثاني السلاطين من أسرة جلائر (انظر هذه المادة) أو إيله كان (إيلكان ، إيلجان ؟) حكم من عام ٧٥٦ إلى عام ٧٧٦ ﻫ (١٣٥٥ — ١٣٧٤ م) وولد حوالى عام ٧٤٢ ﻫ (١٣٤١ م) وهو ابن حسن بزرك (انظر هذه المادة) ابن حسين كوركان (زوج ابنة الخان) ابن أقبغا نويان بن إيلكان نويان (في رشيد الدين : إيلكاى وإيلجاى) .

وكانت أم حسن بزرك أميرة مغلية وهي ابنة أرغون خان . وتزوج حسن هذا من دلشاد خاتون المشهورة ابنة دمشق خواجة ابن چوپان (انظر سلدوز) وكانت قبله متزوجة من أبي سعيد خان ، فلما توفى عام ٧٦٢ ﻫ تزوجت من أمير يدعى سليمان (انظر حبيب السير) واشتهرت هذه الأميرة بذكائها وجمالها ، وقد كان الوزراء يستشيرونها في شئون الدولة . (حبيب السير) .

ويذكر غالب المؤرخين أن أويس خلف والده على العرش عند وفاته عام ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ — ١٣٥٦ م) ولكن الجنابي يذكر أن الذى خلف حسن المتوفى عام ٧٥٧ هـ هو السلطان حسين المتوفى عام ٧٦٠ هـ. وكان شاعرا سمح الطباع، ولا يسعنا إلا أن نوافق ماركوف Markov فيما ذهب إليه من أن حسينا وأويس كان لكل منهما إقطاع خاص ضمهما أويس بعد وفاة أخيه

وكانت بغداد مركز جهود أويس فى حين كانت تبريز (انظر هذه المادة) فى ذلك العهد تحت سيطرة خان القفجاق جانى بك الذى ذهب إلى أذربيجان للقضاء على طغيان الأشرف حفيد جوبان (انظر سلدوز) ولما بلغت أويس أخبار رحيل جانى بك فى ربيع عام ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) سار لمهاجمة أخيجوق الذى كان جانى بك، أو ولده بردى بك، قد تركه لينوب عنه فى تبريز، والتقيا بالقرب من جبل سيساى أو ميناى [قد يكون جبل ساهند] فتراجع أخيجوق بادىء الأمر إلى تبريز ثم إلى نقجوان، وجعل أويس معسكره فى عمارة رشيد بتبريز. وفى رمضان (اغسطس ١٣٥٨) استثار مقتل سبعة وأربعين من أمراء الأشرف عطف أصدقائهم فبحثوا عن أخيجوق وذهبوا وإياه إلى قره باغ فأرسل أويس لمحاربتهم «على بيلتان»، ولكنه ضعف أمامهم فلحقته الهزيمة ولم ير أويس بدا من الارتداد إلى بغداد. وفى ربيع عام ٧٦٠ هـ سار محمد بن مظفر الشيرازى لمقابلة أخيجوق فأقصاه عن تبريز ومكث فيها عدة أشهر (تأريخ كزيده G.M.S. ص ٦٧٧—٦٧٩، ٧١٥ — ٧١٧) ولكنه تركها بلا مقاومة عندما علم أن أويس غادر بغداد متجها نحو الشمال. واحتل أويس تبريز للمرة الثانية ومكث فى بيت خواجه شيخ كجج (أو كججانى) فى حين التجأ أخيجوق إلى أبيه صدر الدين خاقانى، ولما سلم أخيجوق نفسه قتله أويس بتهمة الخيانة.

وفى عام ٧٦٥ هـ (١٣٦٣ م) ثار خواجه مرجان والى بغداد، ولكنه لم يصبر على المقاومة طويلا إذ أرغم على فتح أبواب المدينة وعفا عنه أويس، وأقام مكانه شاه خازن (حبيب السير). أما المصادر المصرية (المقريزى: السلوك، مخطوط بالمكتبة الأهلية، ورقة ٤٩، ٥٢) فتذكر أن مرجان قام عام ٧٦٧ هـ بمحاولة ترمى إلى الاستعانة بالأشرف شعبان سلطان مصر واعداً إياه بأن يجعل الخطبة باسمه. ووفد رسول أويس إلى القاهرة بعد ذلك ليبين أن مرجان لم يلق إلا ثائراً فقوبل بفتور، بيد أن أويس استطاع فى الوقت نفسه أن يتخلص منه. ونستدل من التاريخ الذى ذكره المقريزى، وهو عام ٧٦٧ هـ، على أن ثورة مرجان استغرقت وقتاً طويلا. ويذكر هذا المؤرخ أيضاً أن مرجان قد سملت عيناه.

ومكث أويس فى بغداد أحد عشر شهراً ثم سار ناحية الغرب وأخذ الموصل من أخى

بيرم خواجه، وهو من قبيلة القطيع الأسود التركمانيه، ثم هزم بيرم خواجه فى موش ونهب أراضيه، وأخذت ماردين فى الوقت نفسه، وعبثاً حاول أميرها الاستعانة بمصر (المقريزى: السلوك، ورقة ٥٣).

وعاد أويس الى تبريز عن طريق قره كليسيا بين أرزن الروم وبايزيد وفيها بلغه أن كاؤس بن قيقباذ أمير شيروان أجلى مرتين أهل قره باغ (أران) التى ضمها أويس الى ملكه عقب مصرع أخيجوق، إلى شيروان شمالى كُرّ. وحاصر بيرم بك قائد جيوش أويس كاؤس فى حصن شيروان وأحضر كاؤس مصفداً إلى أويس فنفاه إلى بغداد ولكنه أعيد الى منصبه بعد ثلاثة أشهر تحت سلطان أويس (انظر السكة الجلائرية التى ضربت فى شيروان). وفى عام ٧٧٢ هـ (١٣٧٠ م) هاجم أمير والى «وهو خلف تغاتيمور صاحب استراباذ (انظر مادة «تغاتيمور») أويس. ولكنه هزم بالقرب من الرى. وفى عام ٧٧٣ هـ هاجم أويس أمير والى ولكنه قفل راجعاً بعد وصوله الى أوجان واحتل أمير والى ساوه، وأعد أويس العدة عام ٧٧٦هـ لتأديبه ولكنه توفى فى عمارة رشيد فى الثانى من جمادى الأولى عام ٧٧٦ (١٠ أكتوبر من عام ١٤٧٣).

ويذكر دولتشاه (ص ٢٦١ — ٢٦٣) أن أويس كان جميل الصورة حتى أن أهل بغداد كانوا يتزاحمون للتملى من طلعته أثناء سيره، وأجمع المؤرخون على الإشادة بشفقته وعدله وشجاعته. وقد كان إلى جانب ذلك يرعى الأدب والأدباء. وأهم من مدحه من الشعراء سلمان الساوجى الذى خلف لنا عدة مقطوعات تغنى فيها بأعظم ما وقع فى عهد أويس من حوادث. وكان صاحب الترجمة جميل الخط رساماً حاذقا وشاعراً نابهاً، وقد أقام بناية ضخمة هى الدولتخانة فى تبريز وربما كانت عين القوس المعروف الآن (انظر مادة «تبريز»).

ولما كان أويس سليل أسرة اصطبغت تماماً بالصبغة الإيرانية، وكان يتصل عن طريق أمه بأسرة چوپان التى اشتهرت بمغامراتها الوجدانية فيظهر أنه قد أضحى رجلا رقيق الحاشية. ووصلت إلينا أخبار تعلقه بحظية بيرم شاه الذى احتفل السلطان بموته احتفالا عظيما، وكانت وفاة أخيه زاهد الذى وقع من سطح المنزل وهو ثمل كافية لإيقاف الحملة التى كانت موجهة إلى أمير والى عام ٧٧٣ هـ. وتوفى أويس بالدق بالغاً من العمر ثلاثين عاماً، ويقال إنه لما أحس بدنو أجله أمر بتجهيز كفنه وحده.

وخلف أويس خمسة أبناء هم: حسن وجلال الدين حسين وشيخ على وغياث الدين أحمد وبايزيد كما ترك ابنة اسمها تاندو. وقد أوصى بأن تكون بغداد من نصيب ابنه البكر حسن وأن تكون السلطنة من نصيب حسين. ويروى إنه لما شك الأمراء فى قبول حسن لهذه القسمة

قال لهم أويس « انكم تعرفون فى هذه الحالة ما يجب عليكم عمله » . ولذلك قتل حسن فى فى اليوم الذى توفى فيه أبوه .

ويذكر منتخب التواريخ أن وزير أويس كان الأمير زكريا كما كان عادل أغا أمير أمرائه (انظر سلطانية) .

السكة :

وصف ماركوف ستة وستين قطعة من المسكوكات ضربت باسم أويس فى بغداد وواسط وتبريز وأردبيل وخوى ونقجوان وشابران وباكو وكشتسى وبردعة وساوة ووستان ؟ وطوسان (أوجان ؟) وباران ؟ وباند ؟ . . الخ . وتحمل السكة التى ضربت فى بغداد عام ٧٥٨ هـ لقب « السلطان العالم العادل » والتى ضربت فيها عام ٧٦٢ هـ لقب « السلطان الأعظم شيخ أويس بهادر » والتى ضربت عام ٧٦٦ تحمل الاسم باللسان المغلى . ويحوى فهرس لين پول Lane poole وصفاً لسكة أويس التى ضربت فى تبريز وسلطانية وبغداد وإربل وشيراز وإصفهان كما يحوى فهرس مبارك سكته التى ضربت فى بغداد والبصرة والحلة وتبريز وشيراز ، وعلى سكة المدينة الأخيرة التى ضربت عام ٧٦٦هـ لقب « الواثق بالملك الديان » .

المصـــادر

(١) معين الدين نطنزى : منتخب التواريخ مخطوط بالمكتبة الأهليـــة بباريس ، ملحق المخطوطات الفارسية ١٦٥١ ، ورقة رقم ٣٢٧ — ٣٢٨ ، وهو يحتوى على فذلكة عن أسرة حسن بزرك ، وبيان موجز به معلومات عن عهود السلاطين المتعاقبة (٢) شجرة الأتراك (مختصر لكتاب «الوس أربعة لالغ بك») ترجمة Miles ، لندن عام ١٨٣٨ ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٨ (٣) خواندمير : حبيب السير ، طهران ١٢٧١ هـ ج ٣ ، ص ٨٠ — ٨١ (٤) ابن تغرى بردى : المنهل الصـــافى ، المكتبة الأهليـة بباريس ، فهرس المخطوطات العربية رقم ٢٠٦٩ ، ورقة رقم ٢٥ (٥) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، طبعة محمد القزوينى ، ص ٢٦١ — ٢٦٣ (٦) منجم باشى : صحائف الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٠ — ١١ (٧) D' Ohsson : *Histoire des Mongols* ، ج ٤ ، ص ٧٤٢ — ٧٤٣ (٨) Dorn: *versuch einer Geschichte d. Schirwanschahe* ، سنت بطرسبرج ١٨٤١ ، ص ٣٩ (٩) Wüstenfeld : *Die Chroniken d. Stadt Mekka* ، ج ٤ ، عام ١٨٦١ ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ ؛ وبهذا الكتاب ذكر للقناديل الذهبية والفضية التى أرسلها أويس إلى مكة ، وقد قام صاحب مكة عجلان بن كبشة نظير ذلك بذكر اسم أويس فى الخطبة عدة ســـنوات (١٠) Howorth : *History of the Mongols* ، ج ٣ ، ص ٦٥٤ — ٦٥٩ (١١) Heyd : *Histoire du Commerce* [illegible] *Levant* ليبســـك ١٨٨٦ ، ص ١٢٩ ، ١٣١ وفى هذا الكتاب ذكر للعلاقات التى كانت بين أويس وأهل البندقية وجنوه (١٢) Markov: *Katalog djalairskikh monet* سنت بطرسبرج ١٨٩٧ ،

ويعتمد هذا الكتاب على مؤلفات العيني التاريخية . (١٣٦٠ — ١٤٥١) ومؤلفات الجنابي المتوفى عام ١٥٩٠ وغير ذلك . وهذا المصنف خاص بوصف العملة الجلائرية المكونة من ٤٥٤ قطعة والتي وجدت في اردوباد عام ١٨٥٨ ، أما فيما يختص بالعملة التي تحمل اسم أويس والتي عثر عليها في باكو فانظر (١٣) Pakhomov : *Monetniye kladi Azerboidjand* ، باكو عام ١٩٢٦ ، ص ٥٩ (١٤) Lane Poole : *Additions to the Oriental Collection Catalogue* ج ٢ ، ص ١٢٨ (١٥) محمد مبارك : *des monnaies djinguisides* ، القسطنطينية ١٩٠١ ، ص ١٩٤ (١٦) E. G. Browre : *A History of Persian Literature* ، ج ٣ ، انظر الفهرس .

« أويس » الثاني : ابن سلطان ولد بن على بن أويس الأول . وهو سابع السلاطين الجلائرية . حكم خوزستان (شوشتر) والبصرة وواسط من عام ٨١٨ إلى ٨٢٤ هـ (منجم باشي ج ٣ ، ص ١٢) وقتـــله شاه محمد التركماني (Weil : *Gesch. d. Chalifen* ج ٥ ، ص ١٤٢) وأمه امرأة مقتدرة ، وهي تاندو ابنة حسين ابن أويس الأول .

ويذكر صاحب منتخب التواريخ أن أويس الثاني كان يحكم في أيامه ، وكانت سنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكانت أمه بمثابة الوزير له . وعلى الرغم مما جاء في بحث هيوار (Huart : *La fin de la dynastie Ilékanienne* في المجلة الآسيوية عام ١٨٧٦ ، ج ٧ ، ص ٣٤٤ — ٣٤٨) ، لا يمكننا أن نقول إنها عين تاندو ابنة أويس الأول التي تزوجت رجلين من بني مظفر هما محمود وزين العابدين ؟

[مينورسكي L. Minorsky]

« آي » (كلمة تركية) معناها القمر أو الشهر وكثيرا ما تستعمل في أسماء الأعلام المركبة (انظر Radloff : *Versuch eines Wörterb.* ، ج ١ ، ص ٥) .

« إياد » قبيلة عربية كبيرة تنتمي إلى بني معد من نسل إسماعيل : ونسبها إياد بن نزار بن معد بن عدنان . وكانت ربيعة وأنمار ومضر قبائل تتفرع من إياد . واعتنق جماعة من إياد النصرانية . ومن إياد أبو دؤاد ، وهو الشاعر الذي اشتهر بوصف الخيل ، وكذلك قس بن ساعدة .

وكانت إياد في أول الأمر تسكن تهامة إلى حدود نجران (انظر هذه المادة) .

وفي منتصف القرن الثالث هاجـــروا طوائف كبرى إلى شرق العراق ومنها إلى الجزيرة . ومن مواطنهم : الأنبار ، ويقال إنهم أول من أدخل الحروف العربية هناك ، وعين أباغ وراء الأنبار ، وسنداد وتكريت وبطن إياد جهة الكوفة ، وباعجة وجائز ، والجبل

فى العراق، وجو ظريف والهَفَة وخَدّاد وموثب والمستراد والسلوطح والشباك ، والشقيقة فى العراق . وصوّة الأجداد ، والثعلبية بين مكة والمدينة ، والعُدُنة . ومن مياه إياد اللصاف واللفاظ .

ويظهر أن طائفة من قبيلة إياد انضموا الى قبيلة قضاعة قبل الهجرة الكبرى إلى العراق وهاجروا معهم من تهامة إلى البحرين وبقى القسم الآخر من إياد فى وادى بيشة (انظر هذه المادة) .

ونجد لإياد مواطن متفرقة فى الشام مثل أنطاكية وحمص وحلب وفى القسم اليونانى بأنقرة فى آسية الصغرى وفى بكراس Πάγραι وغيرهما .

تاريخهم

فى أوائل القرن الثالث الميلادى قام نزاع بين إياد ومضر من أجل امتلاك الكعبة الذى كان معناه السيادة على مكة . وذلك بعد أن اتحدت هاتان القبيلتان فأخرجتا جرهم من مكة ، فهزمت إياد وهاجرت إلى العراق ، وكان أكبر موطن لها عين أباغ . واستوطنت أجزاء متفرقة فى جنوب الحيرة . وكانت إياد فى العصر الأول من مقامها بالعراق عرضة لغزوات جذيمة بن مالك الأزدى الذى كان سلطانه يشمل كل عرب العراق . وقد طلب منهم جذيمة أن يسلموا اليه قريبهم عدى بن ربيعة ، وبعد تردد طويل أذعنت إياد وسلمت عدى فتزوج من رقاش أخت جذيمة .

ويظهر أن إياد العراق كانوا يعترفون بسيادة أمراء اللخميين بالحيرة فنجدهم فى ركاب المنذر بن ماء السماء أثناء حربه مع زعيم كندة الحارث بن عمرو بن حجر .

وفى أوائل القرن السادس دخلت إياد بلاد الفرس وعبروا الفرات فصدتهم فصيلة من فرسان الفرس وأبادتهم عن بكرة أبيهم قرب الكوفة (انظر دير الجاجم) وأراد كسرى أنوشروان أن يثأر لنفسه ويدفع عنه عدوان بنى إياد فأرسل جيشا أمر عليه مالكا بن حارثه ، وكان فى هذا الجيش فصيلة من بكر بن وائل (انظر هذه المادة) . وعلى الرغم من أن لقيط وهو شاعر إيادى أنذرهم فإنهم أخذوا على غرة ولاذوا بالفرار . فاتبعهم الفرس . وجاء فى الأخبار أنهم أوقعوا بهم هزيمة كبرى فى قرية الحرجية . ويقال إنهم لجأوا إثر هذه الهزيمة إلى الشام ووصل فريق منهم إلى أنقرة ببلاد الروم حيث وجدوا أن جماعة من قبيلهم استوطنوا هذه البلاد . وجاء فى رواية أن سابور ذا الأكتاف ملك الفرس أراد أن يؤدبهم فوجه فى القرن الرابع حملة إلى إياد . ويظهر أن هذه الرواية قد خلطت بين سابور وكسرى ، وفى يوم ذى قار (انظر بكر بن وائل) قاتلت إياد تحت إمرة خالد بن يزيد فى صفوف الفرس إلى جانب قبائل قضاعة التى تسكن الجزيرة .

واتفق فريق من إياد مع بكر اتفاقا سريا

على أن يفروا أثناء المعركة ، فتركوا صفوف الفرس فى اضطراب . وبعد وقعة ذى قار بقوا مع غيرهم من القبائل العربية النصرانية تحت سيادة الفرس بضع سنين ، ونجدهم فى وقعة عين التمر (انظر الأنبار) يحاربون فى صفوف الفرس هم وقبائل الجزيرة تحت إمرة مهران بن بهرام جبين. وفى خلافة أبى بكر عام ١٢ﻫ (٦٣٤م) انضم عدد كبير من إياد وتميم ومن القبائل العربية النصرانية بالجزيرة إلى سجاح (انظر هذه المادة) المتنبئة . وفى هذه السنة نفسها هزمهم خالد بن الوليد هزيمة منكرة هم والفرس الذين كانوا يحاربون إلى جانبهم وذلك فى فراض على الشاطىء الشرقى لنهر الفرات .

وفى خلافة عمر فى ربيع عام ١٧ ﻫ (٦٣٨م) قام هرقل عاهل الروم بآخر محاولة له فى استعادة الشام التى أخذها المسلمون فأرسل جيشا كبيرا كان فيه إياد والقبائل التى حول الفرات والدجلة إلى حمص ، فبدأ بحصارها . وفى تلك الأثناء غزا المسلمون الجزيرة وفتحوا تكريت يساعدهم سرا نصارى العرب بالمدينة ، وكان بينهم إياد الذين اعتنقوا الإسلام عندئذ . ولما علمت قبائل الجزيرة التى تحاصر حمص بخبر غزو المسلمين للجزيرة ودنو جندهم تركوا جيش الروم ليدافعوا عن وطنهم المهدد. وفاوض عرب قنسرين وحلب وغيرهما من مدن الشام ممن كانوا فى جيش الروم خالدا بن الوليد سرا وهاجموا الروم فهزم هؤلاء وركنوا إلى الفرار ورجع من بقى من جنود جيش الروم وفيهم بنو إياد الكاثوليكية فتبعهم المسلمون وأفنوا أغلبهم . ولما جاءت سنة ١٨ﻫ (٦٣٩م) وخلف إياد بن غنم أبا عبيدة (انظر هذه المادة) فى ولاية حمص وشمالى الشام وبلاد الجزيرة خضعت له كل قبائل الجزيرة واعتنقت الإسلام ما عدا إياد فإنهم هربوا الى كبادوكيا بآسية الصغرى على أنهم لم ينعموا بالهدوء فيها الا زمنا قصيرا ، لأن عمرا طلب من هرقل تسليم الفارين وهدده بالقبض على النصارى فى بلاده ، فاضطر هرقل إلى الإذعان وعاد أربعة آلاف من إياد إلى الشام والجزيرة وخضعوا للخليفة ، ولا نكاد نسمع عنهم شيئاً بعد ذلك .

المصادر

(١) ياقوت : المعجم انظر الفهرس ؛ مادة إياد و جـ ٤ ، ص ٩٧٨ (٢) الهمدانى : الجزيرة انظر الفهرست ، مادة إياد (٣) الطبرى ، طبعة ده غوى ، جـ ١ ، ص ٦٨٥ ، ٧٥٢ — ٦ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٤ ، ١١٠٨ — ١١ ، ١٩١١ ، ٢٠٦١ ، ٢٠٦٢ ، ٢٠٧٤ — ٥ والفهرس (٤) ابن هشام : السيرة طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٧٥ (٥) الأغانى : جـ ٤ ، ص ٧٥ ، جـ ١٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، جـ ١٥ ص ٩٥ — ٩٩ ، جـ ٢٠ ، ص ٢٣ — ٢٥ (٦) أبو الفداء : *Historia Anteislamica* طبعة فليشر ، ص ١٩٢ (٧) البلاذرى ، طبعة دى غوى ، ص ١٦٤ ، ٢٨٣ (٨) المسعودى ، طبعة باريس ، الفهرس (٩) Wüstenefed : *Geneal. [illegible]ellen* قسم ٢ ، *Ismail tribes* جـدول ا ٤ و *Register* ، ص ٢٤٤ (١٠)

Essai sur l' : Caussin de Perceval
histoire des Arabes Avaut l' islamisme
باريس ١٨٤٧ — ٨ ، انظر الفهرست (١١)
Arabien ■ sechten Jahrhundert : Blau
Zeitschr. der. Deutschen Morgenl. فى
Gesellsch. ، عدد ٢٣ ، ص ٥٦٧ وما بعدها

[ج شليفر T. Schleifer]

«أياز» أمير همذان ، وقد كان له شأن عظيم فى المنازعات التى قامت حول ولاية العرش بين الأمير بركيارق السلجوقى وبين محمد الأول . وكان أول الأمر فى صف محمد الأول ثم انحاز إلى جانب بركيارق عام ٤٩٤هـ (=١١٠٠م) ، وبعد أن مات هذا الأمير عام ٤٩٨هـ (١١٠٤م) تقلد أياز منصب أتابك عند ملكشاة وكان قاصرا ، ولكنه لم يستطع الثبات أمام محمد وقتله هذا شر قتلة عام ٤٩٩هـ (١١٠٥م) .

المصـــادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ١٠ ، ص١٩٩وما بعدها (٢) Houtsma : *Recueil de textes relatifs ■ l'histoire des Seldjouc.* جـ ٢ ، ص ٩٠ .

«أياس» محلة على شاطئ كليكية فوق الجانب الغربى لخليج الإسكندرونة الشرقى عند مصب نهر جيحان . وكانت فى هذا المكان فى العصور القديمة مدينة تسمى أيكاى (انظر Ramsay: *Historical geography of Asia minor*، ص ٣٨٥ وما بعدها) وعظم شأن هذا الجزء منذ النصف الثانى للقرن الثالث عشر فإن إخراج الفرنجة تدريجا من الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط حصر كل التجارة الشرقية فى هـــذا الجزء من مملكة إرمينية المسيحية الصغيرة . لأنه كانت تصله بالشام وبقلب آسية الصغرى طرق تجارية عامرة . وقد سمى الإيطاليون المدينـة باسم لجازو وقد نهبها جنود المسلمين فى عام ٦٦٥هـ (١٢٦٦م) وفى عام ٦٧٤ (١٢٧٥) خربهـــا سلطان المماليك الناصر محمد عام ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) ، وأعاد بناءها المسيحيون ثم وقعت بعد هذا كله فى قبضـــة مماليك مصر عام ٧٤٨ . ومن هذا العصر يبدأ تقهقرها وإن ظلت تذكر حتى عام ١٤٠٠ على أنها من أعمال حلب . وهى اليوم مكان يخيم عليه البؤس وتملؤه الأطلال الكثيرة .

المصـــادر

(١) الدمشقى ، طبعة مهرن ، ص ٢١٤ (٢) أبو الفدا ، طبعة رينو ، ص ٢٤٩ (٣) القلقشندى : مختصر صبح الأعشى ، القاهرة ١٩٠٦ جـ ١ ، ص ٢٩٧ (٤) Ritter : *Erdkunde* ، جـ ١٩ ، ص ١١٥ ، ١٢٦ (٥) Heyd : *Geschichte des Levantehandels* ، جـ ٢ ،

ص ٧٩ وما بعدها (■) Schaffer : *Cilicia*
انظر ص ٩٧

[هارتمان R.Hartmann]

« أياس باشا » : كان صدرا أعظم (١٥٣٦ — ١٥٣٩) فى عهد سليمان الأول ، وهو ألبانى المولدانخرط فى فرق الانكشارية، وصحب السلطان سليما فى غزوه لمصر . وعين فى عهد سليمان بكلر بك على بلاد الأناضول ثم واليا على الشام . وغضب عليه السلطان أثناء حصار رودس لجرده من منصبه ، وزج به فى السجن . ولكنه رضى عنه بعد ذلك وشارك خير الدين باشا بربروسه فى حصار كورفو عام ١٥٣٧ . ومات بالطاعون عام ١٥٣٩ م ؟

المصـــادر

(١) سامى بك : قاموس الأعلام ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ (٢) von. Hammer ; *Gesch. des Osman. Reiches.* الفهرست

« أياسلوق » : هى الآن قرية تركيـة وهى عاصمة ناحية . ويبلغ عدد سكانها ٢٧٩٣ نسمة (كما يقول كوينيه Cuinet فى كتابه *La Turkie d' Asie* ، جـ ٣ ، ص ٥٠٥) وكانت فى القرون الوسطى مدينـــة هامة . وأطلق عليها اسمها الحالى منذ أيام ابن بطوطة (طبعة باريس جـ ٢ ، ص ٣٠٨) . ولما زارها هذا الرحالة عام ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) كان لها خمسة عشر بابا ، وكانت مركزا هاما للتجارة على نهر كايستروس (ويسمى اليوم كوچوك مندرس چاى) الذى كانت تغطى شاطئيه الحدائق وحقول الكرم . ونستطيع حتى الآن أن نشاهد بها أطلال قلعة تركية وبقايا مساجد كثيرة وحمامات نذكر منها مسجدا لايزال حافظا لكثير من رونقه هو مسجد عيسى بك . ولما كثرت الرواسب فى الميناء فقدت المدينة شأنها بالتدريج ، ونشأ ميناء جديد هو نيـاپوليس سكالانوفا ، ويسمى بالتركيـة قوش آطه سى . وتعرف أياسلوق فى كتب العصور الوسطى (اللاتينية) باسم ألتولوجو أو التولوجيو أو لاتولونجو . والاسم التركى محرف من الاسم اليونانى Ἅγιος Θεολόγος وهو اسم كان يطلق على كنيسة بنيت هناك إحياء لذكرى القديس يوحنا فى القرون الأولى للعصر المسيـــحى ، وكانت موضع إجلال كبير .

تاريخهم :

حلت أيا سلوق محل مدينة أفسوس التى لا تزال أطلالها قريبة جدا منها . وليس هذا مقام وصف هذه الأطلال أو تتبع تاريخ أفسوس القديم وتاريخ أيا سلوق غير أنه يحسن أن نلاحظ أن جغرافيى العرب لا يزالون يطلقون على المدينة الاسم القديم لأفسوس (أفسُوس أو أُفسوس) ويقولون إنها بلد أصحاب الكهف (انظر هذه المادة) . ■ تقدم

العرب فى زحفهم حتى أفسوس عام ١٨٢ هـ (٧٨٢م) ولكن ذلك لم يدم طويلا . على أنه بعد أن فتح السلاجقة آسية الصغرى وقعت أيا سلوق فى يد أمراء الترك المجاورين لها أكثر من مرة ، بيد أنه سرعان ما كان يستردها جنود بوزنطة . وبعد سقوط دولة السلاجقة فى قونيـة ، وفى أيام زيارة ابن بطوطة كان خضر بك ابن الأمير محمد الأيدينى حاكما على أياسلوق . وفى عام ١٣٩١ اضطر أمراء آيدين إلى النزول عن بلادهم للسـلطان بايزيد العثمانى . وأقام تيمور معسكره فى هذا البلد عام ١٤٠٢ وبذلك وضع حدا السلطان الأتراك عدة سنين . وفى آخر هذه الفترة قدم الأمراء على اختلافهم الطاعة للسلطان مراد الثانى ، وأدمجت أيا سلوق نهائيا فى الإمبراطورية العثمانية .

المصـــادر

(١) G. le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، ص١٥٥ (٢) Heyd : *Geschichte des Levantehandels* انظر الفهرست .

« إياس بن معاوية » : ولاه عمر ابن عبد العزيز قضاء البصرة . وتوفى عام ١٢١ أو ١٢٢ هـ (٧٣٩—٧٤٠ م) بالغا من العمر ستا وسبعين سنة، وصار يضرب به المثل فى الأدب العربى لحضور بديهته فقيل «أزكن من إياس» (انظر Freytag : *Prov. Arab.* جـ ١ ، ص ٥٩٣) . وقد روى عن ذكائه أخبار كثيرة جمعها كاتب متقدم هو المدائنى فى كتاب يسمى « زكن إياس » وبهذا صار إياس من المشاهير فى الأدب (انظر R. Basset : *Revue des traditions populaires* جـ ٦ ، ص ٦٧) .

المصـــادر

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان طبعة القاهرة ١٢٩٩ ، جـ ١ ، ص١٤٣ وما بعدها (٢) ابن نباتة : شرح العيون على رسالة ابن زيدون الاسكندرية ١٢٩٠ ، ص ٧٣ وما بعدها على حاشية الصفدى، شرح لامية العجم ، جـ ١ ، ص ١٤٢) (٣) شرح مقامات الحريرى .

« آيا صوفيا » أكبر مسـجد فى القسطنطينية ، وأكبر كنيسة فى الشرق قبل الفتح العثمانى . وكانت تسمى قبل عام ١٤٥٣ Ἡ Μεγάλη Ἐκκλησια . وفى عام ٤٠٠ م كانت تسمى صوفيا بدون أداة . ويطلق عليها اليونان اليوم اسم Ἡ Ἁγία Σοφία على نحو ما كانت تسمى فى العصور البوزنطية .

وترجع أهمية هذا البناء الفريد فى تاريخ الفن إلى أنه مثال كامل لطريقة تشييد القباب، وهى طريقة كانت شائعة فى سهول أرض الجزيرة ومنها انتقلت إلى الشاطىء الشرقى لبحر إيجه . وقد أدخل هذه الطريقة الجديدة إلى العاصمة البوزنطية مهندسون من آسـية الصغرى، واتبعها يوستنيانوس فى تشييد كنيسة آيا صوفيا التى أصبحت نموذجا يحتذى فى كل

مكان ، وحلت محل البازيليكا Basilica فى الشرق البوزنطى الذى يتمذهب بالأرثوذكسية. ونستطيع أن نلمح أثر الفن السريانى فى الزخرفة التى تحلى آيا صوفيا . وهناك ميزة أخرى لكنيسة آيا صوفيا هى كثرة استعمال الآجر ، وقلما كان يستعمل فى المبانى الهامة وقتذاك . والذى يجعل هذا غريبا هو أن آسية الصغيرة تعد من أغنى البلاد بأحجار البناء الجيدة . ولا تزال آيا صوفيا إلى اليوم مثالا لا يدانيه مثال آخر فى تشييد الكنائس الأرثوذكسية وبخاصة فى الروسيا ، وإن كانت قد بنيت على مثالها كنائس كثيرة فى أوربا الغربية مثل كنيسة القديس مرقس بالبندقية *San Marco* ، كما أن المساجد الجليلة التى شيدها الترك فى الروملى طبقا للطرائق الجديدة فى البناء ما هى إلا صورة مصغرة لتلك التحفة النادرة . وتدل أحدث البحوث على أن بانى آيا صوفيا على صورتها الأولى لم يكن قسطنطين الأكبر وإنما كان ابنه قسطنطيوس بعد أن هزم صهره ليكينيوس Licinius ، وكان بناؤه لها بأمر من والده . وقد شيدت على نمط البازيليكا ثم افتتحت للعبادة عام ٣٦٠ م .

وتوالت الأحداث على هذه الكنيسة العظيمة فى فترات متقاربة، فدمرتها الزلازل والنيران ، وأعيد بناؤها عام ٤١٥م ، وظلت سليمة أكثر من قرن إلى أن التهمتها النيران هى والجزء الأكبر من المدينة بما فيه وثائق الدولة وذلك فى الحريق الذى شب فى يناير من عام ٥٣٢ م أثناء الفتنة التى قامت بها أحزاب الملعب .

وصرح الإمبراطور يوستنيانوس بأنه قد عقد العزم على إعادة بناء كنيسة آيا صوفيا بحيث لا يضارعها فى الفخامة بناء آخر . وكان قبل ذلك قد أصدر الأوامر المشددة لعماله فى جميع أجزاء إمبراطوريته المترامية الأطراف التى هدم فيها الكثير من آثار الوثنية القديمة ، بأن يرسلوا مخلفاتها القيمة إلى العاصمة . واستعملت هذه المخلفات فى إعادة بناء الكنيسة بعد الحريق ، وعهد بالإشراف على البناء إلى اثنين من أعظم مهندسى العالم هما أنثميوس الترالسى Anthemios of Tralles وإيزيدوروس الملطى Isidoros of Miletus ولم يعزب عن ذهنهما ما لفت الإمبراطور نظرهما إليه من أن الكنيسة الجديدة يجب أن تثبت أمام النيران والزلازل ، فوجدا أن أسلم وسيلة لتحقيق هذا الغرض هى أن تبنى على طريقة القباب والأقبية . واحتفل بافتتاحها فى ديسمبر من عام ٥٣٧ احتفالا فخما لم يسمع بمثله ما جعل الإمبراطور يوستنيانوس يقول بملء فيه « لقد فقتك يا سليمان ! » . بيد أنه قد قدر له أن يشهد فى عهده تصدع الجانب الشرقى من القبة عام ٥٥٨ إثر زلزال أتلف سدة الكنيسة وقبة العهد والمائدة المقدسة . ولذلك فقد زيد فى ارتفاع القبة التى كانت مفلطحة ما يربو على العشرين قدما كما قويت

الدعائم التى تقوم عليها العمد الأساسية فأمكن الاحتفال بتدشينها ثانية عام ٥٦٣ م .

وموقع هذه الكنيسة فريد . فالى جنوبها الأوغسطيوم Augustium وهو المكان المخصص للحفلات الوطنية ، فى وسطه تمثال ليوستنيانوس على صهوة جواده ، وإلى شمالها كنائس القصر وعدة أديرة جميلة وقصور بطانة الإمبراطور، ومكانها كلها داخل أسوار السراى الحالية . وإلى شرقيها تجاه البحر القصر الإمبراطورى .

وإلى غرب الكنيسة يمر الزائر بفناء Atrium تحيط به من الجانبين دهاليز مفتوحة ذات أبواب كثيرة عددها أربعة أو خمسة تؤدى إلى إيوان خارجى مقفل Exonarthex وهو جزء من الفناء السابق ذكره .

وهناك خمسة أبواب أخرى تصل الإيوان الخارجى بإيوان داخلى Esonarthex كثير الامتداد شمالا وجنوباً يخترق كل طرف من طرفيه باب ، ثم تتشعب الممرات وتؤدى تسعة أبواب مستطيلة إلى داخل الكنيسة ، أوسطها رائع كثير الزخرف هو الباب الإمبراطورى .

والأرض التى أقيمت عليها الكنيسة رباعية الشكل تقريباً ، فيبلغ طولها من الداخل إذا استثنينا المحراب الأكبر فى الجناح الشرقى ٢٥٠ قدما وعرضها مايقرب من ٢٢٥ قدما . والقبة نصف كرية يبلغ ارتفاعها عن مستوى أرض الكنيسة ١٩٠ قدما . أما داخل الكنيسة فعلى شكل الصليب . ولما كانت الجدران الخارجية لا تستطيع وحدها حمل القبة فلم يكن بد من تقويتها بأربع دعائم وتقوية هذه الدعائم بأعمدة أصغر منها لها شأن عظيم فى تدعيم البناء . وعلى الجانبين الشرقى والغربى من القبة غرفتان واسعتان شكل كل منهما يشبه نصف دائرة ويتوج كلا منها ثلاثة من أنصاف القباب . أما فى داخل الكنيسة فانا نجد جميع الغرف المطلة على الصحن الأكبر تتكون من طابقين يخصص أعلاهما للنساء كما هى العادة فى الكنائس البوزنطية .

ويبلغ عدد الأعمدة التى يقع عليها ثقل البناء ١٠٧ عامود ، منها أربعون فى الطابق الأول وسبعة وستون فى الطابق الثانى ، ومعظمها عبارة عن كتلة واحدة من المرمر الملون بل إن بعضها من الحجر السماقى الأحمر .

وكان الزائر لهذه الكنيسة فى العصور الوسطى يروعه مابداخلها من الزخرف ، فمن مرمر منتشر فى جميع الأرجاء إلى صور للمسيح والعذراء والأنبياء والرسل والقديسين وإسرافيل العظيم يزين حنايا القبة ، وهذه الصور جميعا تغمر الحوائط بيحر من الألوان ، كما أن الفسيفساء الذهبية التى تغطى القباب والحوائط تكسبها بهاء لم يسمع بمثله . وقد بنيت الجدران وأقبية البناء الأصلى من الآجر .

وكان مكان القساوسة فى الجانب الشرقى وبه المذبح والمقصورة Ciborium ، وهو يؤدى إلى المحراب الكبير، ويفصله عن وسط الكنيسة حاجز عظيم الارتفاع تزينه الصور والرسوم الجميلة . وكان عدد القساوسة ٤٢٥ قسيسا عدا مائة حارس، وكانوا يشرفون على إقامة الشعائر الدينية فى ثلاث كنائس أخرى . وبلغ عدد موظفيها قبيل سقوط الدولة البوزنطية ٨٠٠ . وحدث أول إصلاح عام فى كنيسة آياصوفيا فى عهد الإمبراطور بازيل المقدونى Basil فى النصف الثانى من القرن التاسع ، وفى عام ٩٨٩ م سقط جزء من القبة بفعل الزلزال ، ثم أصاب الكنيسة تلف كبير على أيدى اللاطين عام ١٢٠٤ م الذين أعملوا السلب فى غير مبالاة ودنسوا الملابس والأوانى المقدسة واتخذوا منها أحجلة وأحواضا لسقيا الخيـــل . وقد أدخلت إصلاحات كبيرة على هذه الكنيسة فى العهد البوزنطى فى القرن الرابع عشر ، إذ قويت الجدران من جميع الجوانب فى النصف الأول من هذا القرن كما قوى الجناح الشرقى ، وهو أجمل أجزائها ، بركائز عالية عريضة من الخارج .

ولم يصف واحد من المؤرخين المسلمين الكنيسة من الداخل فى عهدها البوزنطى . وأول مسلم وصفها وصفا وافيا هو أحمد بن رســـتة فى مصنفه الاعلاق النفيسة (المكتبة الجغرافية العربيـة ، طبعة ده غوى ، ج ٧) وعاش هذا المؤلف حوالى عام ٢٩٠هـ (٩٠٢ — ٩٠٣م) وهو لم يتعرض لوصف البناء الذى أسماه « الكنيسة العظمى » وإنما وصف موكب الإمبراطور البوزنطى فى ذهابه الى الكنيسة فى يوم عيد وصفا دقيقا كأنك تراه، ثم وصف أيضا كيف اقتيد الأسرى المسلمون الى الكنيسة ، وربما كان يقصد الفناء الذى فى خارجها ، وحيوا الإمبراطور صائحين « أطال الله بقاء الملك سنينً كثيرة » (انظر الاعلاق النفيسة ، طبعة ده غوى، ص١٢٥) وقد تنبه ابن رستة إلى شىء فات غيره من المصنفين وهو « إنه يوجد » على الباب الغربى من الكنيسة مجلس [ولعله يقصد المقاعد] فيه أربعة وعشرون بابا صغارا كل باب شبر فى شبر معمولة على ساعات الليل والنهار فكلما انقضت ساعة انفتحت منهـا باب من ذات نفسها وإذا انغلقت انغلقت من ذات نفسها » .

واضمحلت الخلافة بعد ذلك فقل ما كتبه المصنفون بعد ابن رسته عن مدينة القسطنطينية البعيدة عن مركز الخلافة . وبعد أربعة قرون كانت قبائل التركمان قد فتحت آسية الصغرى فجاء شمس الدين محمد الدمشقى (طبعة فران ومهرن Frähn و Mehren سنت بطرسبرج عام ١٨٦٥ ، ص ٢٢٧) فذكر آياصوفيا فى أسطر قليلة معتمداً على وراق يدعى أحمد . وأهم ما أورده أن الكنيسة يسكنها ملك وأن مكان هذا الملك يحيط به حاجز (داربزين) ولا شك أنه يشير بذلك إلى الموضع الذى به المذبح

والمقصورة والحاجز الذى يحيط بهما .

وجاء بعد ذلك بعدة قرون محمد بن بطوطة (طبعة دفرمرى وسانجونيتى Défremery و Sanguinetti ، ج ٢ ، ص ٤٣٤)وهو أول من نسب بناء آياصوفيا إلى آصف بن برخيا (انظر هذه المادة) الذى يقال إنه ابن عم الملك سليمان . وكل فضل ابن بطوطة فى دقة وصفة للفناء ، أى خارج الكنيسة ، وهو يروى أنه لم يدخل الكنيسة حتى لا يخضع لما أمر به من الركوع أمام الصليب .

ولما فتح الترك القسطنطينية فى ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣ فر الأهالى العزل زرافات إلى الكنيسة معتقدين أن العدو ما إن يبلغ عامود قسطنطين الأكبر حتى يظهر ملك من السماء يشتت شمل الظافرين فلا يعودون إلى وطنهم مرة أخرى . ولكن الترك اقتحموا أبواب الكنيسة ووقع اللاجئون الفزعون غنيمة سائغة فأسروا رجالا ونساء . ولم يذكر لنا شهود العيان أنهار الدماء التى خضبت أرض هذا المكان المقدس وإن كان الكتاب المتأخرون قد أولعوا بذكره . وتمت المأساة وأسر اللاجئون التعساء ودخل الفاتح الكنيسة لا على صهوة جواده كما يقال ، وأمر مؤذنه بالمناداة إلى الصلاة وخر هو ومن معه سجداً لله الواحد الذى لا شريك له . وهكذا تحولت كنيسة قسطنطيوس ويوستنيانوس إلى مسجد يتعبد فيه المسلمون .

ودفعت كراهية الفاتحين المسلمين للصور إلى إحداث تغييرات عظيمة الشأن داخل الكنيسة ، فعمدوا إلى الفسيفساء التى كانت تزين الحوائط والسقف ، وهى من آيات الفن الخالدة التى افتن الصانع اليونانى فى نقشها لتبقى على الزمان ، وغطوها بطبقة من الجير لا تنوع فيها . وحطموا الحاجز الذى يفصل بين القسس وبين المصلين واتلفوا الزخرف البديع الذى كان يزين الجناح الشرقى . ولما كانت الكنائس البوزنطية القديمة تتجه صوب بيت المقدس ، وكان المسلمون يولون وجههم شطر مكة فإن الترك منذ الفتح لم يتجهوا بالدقة نحو الجناح الشرقى للمسجد ولكنهم انحرفوا قليلا ناحية الجنوب . وكان الخطيب منذ أيام محمد الثانى يرتقى المنبر أيام الجمع وعصر كل يوم من رمضان وأيام الأعياد وبيده سيف من الخشب (انظر مادة عنزة وانظر Juynboll : *Handbuck des islam Gesetzes* ص ٨٤ ، ٨٧) . وكان على كل من جانبى المنبر علم . ثم إن محمداً الثانى ابتنى ركائز قوية لتدعيم الجدار الجنوبى الشرقى وأقام على هذا الجانب أول مئذنة من تلك المآذن الأربع الرفيعة العالية ، وبنى سليم الثانى الركيزتين الواقعتين على الجانب الشمالى والمئذنة الثانية التى على الركن الشمالى الشرقى . وبنى ابنه مراد الثالث المئذنتين الأخريين

وقام السلطان مراد الثالث بإصلاح شامل للمسجد كله ، فوجه همه أول الأمر إلى إصلاح العيوب اليسيرة التى ظهرت بمرور

الزمن ، ولاشك أنه زاد بذلك فى رونق الأجزاء الداخلية التى كانت عارية عن الزخرف. وبهذه المناسبة أقام السلطان فى داخل المسجد إلى جانبي الباب الكبير قدرين عظيمين من المرمر يسع كل منهما ١٢٥٠ لترا من الماء كما شيد محفلين كبيرين خصص أيمنهما لترتيل القرآن طول النهار وأيسرهما للأذان . ثم عمد إلى الصليب الذى كان يتوج القبة فوضع مكانه هلالا يبلغ قطره ١٥٠ قدما وأنفق على تذهيبه مالا طائلا ، وأصبح المسلم من رعايا الباب العالى يرى رمز دينه يتألق فى ضوء الشمس على مسافة بعيدة ، بل إن الواقف على أوليمبيا فى بثنيا Bithynia كان يرى هذا الهلال .

وفى النصف الثانى من القرن السادس عشر شرع الترك فى بناء أضرحة السلاطين فى المقبرة المجاورة للمسجد ناحية الجنوب . وأقدمها ضريح السلطان سليم الثانى، وفيها دفن ابنه مراد الثالث وحفيده محمد الثالث وأخوة الأخير التسعة عشر الذين قتلهم عند اعتلائه العرش . ومات السلطان مصطفى بعد ذلك فجأة ببضع عشرات من السنين ، وكان قد خلع قبل وفاته بزمن طويل ، فلم يجد الترك له قبرا معدا لدفنه فعمدوا إلى مكان التعميد القديم على الجانب الجنوبى للإيوان الذى كانوا يستعملونه مخزنا للزيت منذ الفتح فهيأوه لهذا الغرض . ودفن كذلك فى هذه المقبرة الجديدة بعد عدة سنين السلطان إبراهيم ابن أخى السلطان مصطفى الأول . أما مخزن الزيت فقد نقل بعد ذلك إلى الفناء الواقع فى الناحية الشمالية من مكان التعميد .

وعنى السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ — ١٦٤٠ م) عناية فائقة بالحوائط التى كانت عارية لا تسر الناظرين . وانتعشت البلاد فى عهده . وهو أول سلطان حصل فى أيامه أن كتبت آيات القرآن الكريم بحروف كبيرة من الذهب كتبها الخطاط المشهور « بجاقجى زاده مصطفى چلبى» وبلغ طول حرف الألف — مثلا — ثلاثين قدما ، وكتبت تحتها أسماء الخلفاء الراشدين على الحوائط بألوان واضحة زاهية فاقت فى روعة خطها الآيات القرآنية المتداخلة الحروف التى كان الترك القدماء يجدون لذة فى حل رموزها . وهناك منبر قائم إلى الآن، وهو من آيات الفن، يرجع عهده إلى السلطان مراد الرابع ، وبنى السلطان أحمد الثالث المقصورة العالية على الجانب الشمالى من المحراب الكبير لجلوسه، وأضاف السلطان محمود الأول (١٧٣٠ — ١٧٥٤ م) إلى المقصورة السلطانية الكبيرة فى دهليز الطابق الأول بعض المبانى التى جرت عادة المسلمين بالحاقها بالمساجد : وهى نافورة جميلة ومدرسة فى الفناء الواقع ناحية الجنوب وقاعة كبيرة للطعام (عمارت) إلى الشمال ، ومكتبة ثمينة فى داخل المسجد ، ولو أن هناك من الدلائل ما يثبت أن المكتبة أصلها بناء قديم كان بالمسجد .

ومنذ أيام مراد الرابع — فاتح بغداد — أهملت زخارف المسجد من الداخل إهمالا يدل على انحلال الإمبراطورية. وعهد السلطان عبد المجيد عام ١٨٤٧ م إلى إخوان فوساتى Fossati المهندسين الإيطاليين بتجديد البناء تجديدا شاملا حفظا له من السقوط وزيادة فى رونقه من الداخل، واستغرق العمل سنتين، وأبقى الطلاء الجيرى فى الأماكن التى عليها نقوش تمثل الإنسان وأزيل فيما عداها، فاستعادت الحوائط منظرها القديم ولمع الذهب عليها وزهت ألوانها القديمة. ويرجع إلى هذا العهد تاريخ الطلاء الأصفر المخطط باللون الأحمر الموجود على الحائط الخارجى. والطريقة التى عبر بها السلطان عن اكباره لمآثر آبائه جديرة بالتسجيل، وذلك لأنه أصلح المسجد كله بمآذنه ما عدا مئذنة محمد الفاتح الذى ضرب الإمبراطورية البوزنطية الضربة القاضية ثم عاد آخر الأمر فكلف المهندسين الإيطاليين بتعليتها لتصبح فى ارتفاع أخواتها.

ومن حسن التوفيق أن المسجد لم يصب بكبير أذى من جراء الزلازل منذ القرن العاشر الهجرى، ويعود هذا من غير شك إلى الركائز التى دعمت البناء من جوانبه الثلاثة والتى شيدها آخر أباطرة بوزنطة والترك من بعده. وهذا هو السر فى بقاء هذا البناء أكثر من سواه فى سائر أنحاء أوروبا بالرغم من قيامه على أرض معرضة للزلازل. والواقع أنه كان معرضا لخطر أكبر هو هبوب العواصف عليه من جهة البلقان أو من جهة البحر.

وفى صيف عام ١٩٠٦ أمر وزير المعارف بإصلاح جميع غرف المكتبة التى كان يشرف عليها خمسة «خوجات» لكل منهم يوم من أيام الأسبوع.

ومنظر المسجد بهيج فى شهر رمضان؛ إذ يشترك الأمراء ورجال الدولة فى صلاة العصر. أما صلاة التراويح بعد مغيب الشمس بساعة ونصف فهى أقل روعة. وتضاء القبة بمصابيح لا تحصى موضوعة على شكل دائرة. ويظهر المسجد فى أبهى حلة ليلة السابع والعشرين من رمضان، وهى ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن. وكثيراً ما كان السلاطين الأولون يشتركون فى هذه الصلوات، أما عبد الحميد الثانى فلم يكن يحضر إلى المسجد إلا فى منتصف شهر رمضان فيركب البحر ويزور آثار النبي المحفوظة فى قصر أسلافه القديم زيارة سريعة (يوم زيارت خرقه سعادت).

وحيكت حول أصل كنيسة آياصوفيا وفضائلها أساطير لا حصر لها فى أواخر أيام الإمبراطورية البوزنطية، فأخذ الترك هذه الأساطير بعد الفتح وألبسوها ثوباً إسلامياً. ولم يكد السلطان محمد الثانى يدخل القسطنطينية منتصراً حتى أمر أحمد بن أحمد الجيلانى أن يؤلف باللغة الفارسية تاريخاً لآياصوفيا على

مثال المصادر البوزنطية (مكتبة آياصوفيا رقم ٣٠٢٥). وقد ترجم هذا المصنف إلى التركية نعمت الله المتوفى عام ٩٦٩ هـ (١٥٦١ — ١٥٦٢ م) ويقول كاتب چلبي (طبعة فلوجل Flügel، ج ٢، ص ١١٦) إن على بن محمد القوشجي (انظر هذه المادة) وهو من علماء الفلك والهيئة، ألف للسلطان محمد الثانى كتاباً آخر بالفارسية في الموضوع نفسه، ولسنا نستطيع الآن أن نحقق نسبة هذا المصنف.

وفى مكتبة برلين مصنف فى التاريخ العثمانى ذيّل بكتاب آخر فى تاريخ آياصوفيا لا يعرف مصنفه. ويشبه هذا الذيل فى الآراء التى وردت فيه والمصادر التى اعتمد عليها كتب «تواريخ قسطنطينية» التى ألفت بعده بثلاث سنين، وهى تفوقه طرافة (Fleischer: Kat. Dresden، رقم ١٣٣؛ Pertsch: Türkische Hss. zu Berlin، رقم ٢٣١). وجاء فى هذه الكتب أن آصفية زوجة قسطنطين بن علانية الأكبر، وكانت ذات ثروة طائلة، قد أوصت قبل أن تخترمها المنية فى ريعان الصبا، بأن تبنى كنيسة يفوق ارتفاعها كل أبنية الدنيا. فاستدعى لذلك مهندس من فرنكستان. ويقال إنه وضع الأساس على غور ١٢٠ قدما ليصل إلى الماء حتى إذا تمت الكنيسة ولم تبق إلا القبة فر هارباً وظل البناء على حاله حتى عاد بعد عشر سنين فأقام القبة. وجىء بالمرمر (مرمر معيدنى) الذى لم يكن معروفاً إلى ذلك الوقت إلا فى بلاد بنى ديو. وأحضر من جبل قاف المعدن الذى صنعت منه الأعمدة الأربعة الملونة (صوماق) التى تزين داخل الكنيسة، وهى كثيرة الصلابة. أما الأبواب الضخمة فقد صنعت من خشب سفينة نوح الذى استعمله سليمان قبل ذلك فى الأبنية التى شيدها ببيت المقدس وكيزيكوس (ايدينجق). وبلغت نفقات بناء الكنيسة ٣٦٠٠٠٠ سبيكة من الذهب قيمة كل منها ٣٦٠٠٠٠ فلورى.

وفى أيام الامبراطور هرقل حفيد قسطنطين، وكان معاصراً للنبى ومن الذين آمنوا به فى السر، سقطت القبة فأعاد بناءها هذا الامبراطور التقى. وترجع «تواريخ قسطنطينية وآياصوفيا» التى ألفها على العربى إلياس المتوفى فى ٢٨ يونيه ١٥٦٥ م إلى عهد سليمان القانونى، كما يعود تاريخ أقدم نسخة منها إلى عام ٩٧٠ هـ (١٥٦٢ — ١٥٦٣ م). وكان على هذا مؤدباً فى خدمة الصدر الأعظم على البدين (Flügel: Kat. der Kais. Hof-bibl. zu Wien، ج ٣، ص ٩٧). وبعد سنتين أضاف المؤلف للكتاب بعض إضافات ضئيلة وغير عنوانه بعض التغيير («تواريخ بناء آياصوفيا» فى المكتبة الأهلية بباريس، انظر ملحق المخطوطات التركية، رقم ١٥٤٦؛ تواريخ قسطنطينية وآياصوفيا وبعض حكايات فى Pertsch: Verz. d. Türk Hss. der Kgl. Bibl. zu Berlin، رقم ٢٣٢؛ وهناك مخطوط آخر ذكره Fourmont فى Cat.

cod. man. Bibl. Reg.، ص ٣٢٩ ، رقم ١٠١٤٧)
ويذكر على العربى إلياس أن آياصوفيا بناها المهندس إجناديوس فى عهد أوستنيانو . ويمكننا الاعتماد على هذا المؤلف أكثر من سابقه الذى عاش فى القرن الخامس عشر لأنه يورد الخبر الواحد بروايات عدة، وهو لذلك أكبر الثقات من الترك فى تاريخ أعظم مسجد فى الدولة العثمانية ولو أنه لا يعتمد عليه فى رأينا .

ونمت مادة الأساطير التى حيكت حول آياصوفيا على مر العصور وكانت تتغير من وقت إلى آخر . وبلغت هذه الأساطير أسمى مراتبها الروحية فى القرن السابع عشر ، لأن الترك فى ذلك العهد كانوا على ما يلوح لنا يحتقرون أمور الدنيا. وهذا هو الوقت الذى بدأ فيه الترك يعودون بالذكرى إلى البقعة التى صلى فيها أبطال العرب فى الصدر الأول للإسلام عند حصارهم للقسطنطينية وإلى المكان الذى يتوسط صحن الكنيسة حيث كان الخضر فيما يقال يشرف منه عليها . وفى الدهليز الجنوبى صخرة كبيرة مجوفة زعموا أنها مهد المسيح . وهناك قصة تتصل بالحسين التبريزى لا يزال يرددها صغار الفقهاء إلى الآن تبين كيف صار الحسين مدرساً بمسجد آياصوفيا ، وخلاصتها أن السلطان محمداً الفاتح قدم لهذا الصوفى (صوفى يه) راحة يده (آيا) ليقبلها عوضاً عن ظهرها . وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى اشتهرت العمد الرطبة (ياش ديرك) والنافذة الباردة (صوؤوق پنجره) قرب القبلة بالخوارق العجيبة . وكان يزورهما كثير من الناس .

وفى هذا المكان كان الشيخ آق شمس الدين يفسر القرآن ، وهو الرجل الذى كانت كلماته تثير قلوب معاصريه وعلى رأسهم السلطان وتدفعهم إلى العمل . وكان الاعتقاد سائداً إلى عهد قريب بأن النسمات المباركات التى تهب من خلال النافذة الباردة كانت تدفع الطلاب إلى التبحر فى علوم الدين ؟

المصادر

إن أوثق المصادر البوزنطية هى ما كتبه Procopius و Agathias و Paulus Silentiarius الذين عاشوا فى عهد يوستنيانوس . أما المؤلفات الحديثة فمنها :

(١) Pierre Gilles : *De topographia Constantinopoleos libri IV*، ليون ١٥٦١ وقد أعيد طبعه مراراً وللمؤلف : *De Bosphoro Thracio libri tres*، ليون ١٥٦١ وطبع بعد ذلك مرارا (٢) Charles du Fresne, sieur du Cange : *Historia Byzantina*، باريس ١٦٨٠ (٣) J. [illegible] Hammer : *Costantinopolis and der Bosporus*، ج ١ ، بست ١٨٢٢ ؛ Σηαρλάτος Δ. Βυξάντιος Κωνσταντιύπολις ج ١، أثينا ١٨٥١ (٤) Fossati : *Aya Sophia of Constantinople as recently restored*، لندن ١٨٥٢ (٥) W. Salzenberg : *Altchristliche Bauden-*

Konstantinopel [redacted] kmäler، برلين ١٨٥٤ (٦) Auguste Choisy: l' art de bâtir Chez les Byzantins، باريس ١٨٨٣ (٧) J.P.Richter: Quellen der Byzantinischen Kunstgeschichte (مأخوذ عن Eitelberger von Edelberg's and Ilg's: Quellen-schriften für Kunstg[redacted]chichte und Kunsttechnik des Mittelalters، فينا ١٨٩٧ (٨) W.R.Lethaby and Har.Swainson: The Church of Sancta Sophia, Constantinople; a Study of Byzantine buiding لندن ونيويورك ١٨٩٤ (٩) Heinr. Holtzinger: Die Sophienkirche und [redacted]ndte Bauten der byzantinischen Architektur (في Die Bukunst التي يحررها R. Borrmann و R. Graul، عدد ١٠، برلين وشتجارت ١٨٩٨ (١٠) ولا يزال أحسن مصدر هو: Εxγένιος Μιχαὴλ Αντωνιάδης, في "Εxφρασις τῆς ‘Αγιας Σοφίας وهو ثلاثة أجزاء Βίβλιοθηxη Μαρασλή أثينا وليبسك ١٩٠٧ — ١٩٠٩ وعدا هذه المصادر ملاحظات كتبها Prof Geh. Burot Wilh. Schleyer بهانوفر.

أما آيا صوفيا الصغيرة (كوچوك آياصوفيا بجوار «ميدان جندى» على مقربة من الكنيسة العظمى وقد بناها يوستنيانوس وأنشئت أول الأمر تخليدا لذكرى القديسين باخوس Bacchus وسرجيوس Sergius وهى تقوم على أرض مثمنة الشكل ولها أربعة محاريب وتعلوها قبة. وفى عهد السلطان محمد الثانى حول قيزلر آغاسى رئيس حريم هذا السلطان الكنيسة إلى مسجد، ومنذ ذلك الحين ضم ذلك المسجد جميع المبانى والمعاهد التى يتطلبها الدين والعلم. ويعلو الفناء الخارجى لهذا المسجد خمس قباب مفلطحة بنيت فى العهد التركى

[سوسهيم K. Sussheim]

« أيام العرب »: الاسم الذى أطلقته الروايات العربية على الحروب التى قامت بين قبائل العرب فى الجاهلية، وينسحب أحيانا على ما وقع منها فى صدر الإسلام (لسان العرب، فى روايته عن ابن السكيت، مادة «يوم» جـ ١٦، ص ١٣٩، س ١) ويقال مثلا عندما يراد التخصيص يوم بعاث ويوم ذى قار. وأيام العرب كثيرة وأغلبها لا يشيد بوقعة بالمعنى الصحيح كيوم ذى قار، وإنما يتحدث عن معارك ومناوشات قليلة الأهمية لا تشترك فيها القبائل بأسرها بل تنشب بين عدة بيوت أو بضعة أفراد. وقد انتبه العرب أنفسهم إلى هذا، ولاحظ الزبير بن بكار عند حديثه عن الأوس والخزرج أنه لم تكن بينهم فى هذه الأيام حروب إلا فى يوم بعاث، أما فى بقية الأيام فكانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب (الأغانى، جـ ٢، ص ١٦٢ س ١٢ (ويبين أن هذه الفقرة مأخوذة من وصف الزبير لحروب الأوس والخزرج الذى ورد فى الفهرست، جـ ١ ص ١٠. ومع ذلك فقد زاد عدد ما ذكرته

الروايات من تلك الحروب ، لأن الكثير منها سمي بأسماء البقاع والآبار والجبال وماإليها من الأماكن التي وقعت هذه الحروب بالقرب منهـــا ، وتنج من ذلك أن الوقعة الواحدة كانت تنسب إلى أماكن مختلفة وتسمى بأسماء مختلفة .

وماوقع في أحد هذه الأيام يشبه إلى حد ما ماوقع في غيره حتى أن ماذكره فلهاوزن عن حروب الأوس والخزرج ينطبق على أيام العرب بصفة عامة (Wallhausen ، *Skizzen und Vovarbeiten* ، ج ١ ، ص ٢٨ وما بعدها).

والذى يحدث أن عددا من الأفراد يشتبكون أول الأمر في عراك من أجل حد من الحدود أو دفعاً لإهانة تلحق فرداً في حي سيد من سادات القوم ثم يتسع الخلاف ويستفحل الأمر ويشمل القتال عشائر بأسرها أو قبائل بأكملها ويتشابك الجمع وتستمر الوقعة حتى تتدخل – عادة – قبيلة من القبائل المحايدة حقناً للدماء . وسرعان ما يعود الأمن إلى نصابه ، وتدفع القبيلة التي فقدت عددا أقل من الرجال الفدية عن العدد الزائد من قتلى القبيلة الأخرى .

وتمدنا أخبار هذه الأيام التي دونت في نثر رصين قديم إلى جانب الشعر الجاهلي بمعلومات قيمـــة عن أحوال العرب قبل الإسلام تمكننا من فهم روح الفروسية التي سيطرت على المحاربين من العرب القدماء .

وحفظ تداول الناس لهذه الأخبار ذكر هؤلاء الأبطال قرونا عدة . وتشبه القصص التي كتبت في عهد متأخر أيام العرب ، وإن كانت تشوبها الأساطير ، وحسبنا أن نأخذ على سبيل المثال قصة الزير بطل سير بني هلال الذي لم يكن في حقيقة الأمر سوى المهلهل أخي كليب وائل صاحب اليد الطولى في حرب البسوس التي وقعت بين بكر وتغلب (يلقب الأغاني المهلهل بالزير ، أي زائر النساء ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ، س ١٣) .

وتؤكد الروايات بأن الصحابة كانوا يتداولون حوادث الجاهلية في مجالسهم (العقد الفريد ، طبعة القاهرة عام ١٣٠٢ هـ ، آخر ص ٦١) ومعنى هذا أن أيام العرب كانت منذ القدم موضوعا محببا للأخباريين الذين كلفوا بأخبار العرب وأيامهم ، فقد ورد في الفهرست (المقالة الثالثة ، الفن الأول) أسماء كثير من المؤلفين الذين دونوا أيام العرب ووقائعهم كلها أو بعضها ، ولم يصل إلينا واحـــد من مصنفاتهم ، وإنمـا الذي وصل إلينا عدة مقتطفات لبعض الكتاب المتأخرين ، وقد أخذ غالب هؤلاء عن أبي عبيدة المتوفى عام ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) ولم يذكر الفهرست عن هذا المصنف سوى عنوانه (ج ١ ، ص ٥٣ ومابعدها) وإن كان ابن خلكان قد ذكر بعض معلومات عن صاحبـــه (ابن خلكان طبعة فستنفلد ، رقم ٧٤١ ، وأخذ عنه الحاج خليفه ج ١ ، ص ٤٩٩ ، ١٥١٣ ، انظر « علم أيام العرب »)

ويقول هؤلاء إن أبا عبيدة خلف كتابين فى موضوعنا هذا أحدهما موجز تحدث فيه عن سبعة وخمسين يوما وآخر مسهب فصل فيه الكلام عن ألف يوم ومائتين .

ووردت المعلومات الخاصة بأيام العرب فى مصنفات المتأخرين شذرات متناثرة أو فصولا كاملة متصلة السياق . ومن أمثلة الشذرات ماأورده التبريزى فى شرحه للحماسة وماذكره الإصفهانى فى كتاب الأغانى . وقد استشهد بها هذان المؤلفان فى إيضاح الحوادث التى ذكرت فى الشعر القديم وفى الكتب التى جمعت الأمثال وفى المصنفات التى اقتصرت على تقويم البلدان كالبكرى وياقوت . ومن أمثلة الفصول ما ورد فى كتاب العقد الفريد لابن عبدربه (ج ٣ ، ص ٦١ وما بعدها) وفى نهاية الأرب للنويرى (فن ٥ ، قسم ٤ كتاب ٥) وفى كتاب الكامل لابن الأثير (ج ١ ، ص ٣٦٧ — ٥١٧) .

وربما كان ابن عبدربه قد نقل عن موجز أبى عبيدة لانه مختصر إلى حد الإبهام فى بعض المواضع . ولا سبيل إلى تحقيق ماورد فى العقد إلا بمقارنته بما ورد مفصلا فى المصنفات الأخرى . وإذا أغفلنا بعض تفصيلات وردت فى النويرى نجد أنه قد نقل الفصل الخاص بأيام العرب عن العقد ، أما ابن الأثير فقد حاول أن يرتب الأيام المختلفة ترتيبا زمنيا شأنه فى تواريخه ، وروايته أكثر تفصيلا من رواية العقد ، وليس من شك فى أن الكثير من رواياته منقول مباشرة أو غير مباشرة عن مفصل أبى عبيدة أو عن مصادر أخرى لا نستطيع تعقب أصولها .

وتحدث الميدانى عن أيام العرب فى الفصل التاسع والعشرين من كتابه « مجمع الأمثال » وهو يعطى القارئ فكرة عامة صحيحة بالرغم من إيجازه فى الوصف ، ويقتصر بصفة عامة على ضبط الأسماء وشرح معانيها وتعديد القبائل التى اشتركت فى الوقائع . وتناول الميدانى على هذا النحو اثنين وثلاثين ومائة يوم من أيام العرب فى الجاهلية ، ثم تناول فى قسم ثان من هذا الفصل ثمانية وثمانين يوما من أيام العرب فى الإسلام .

المصـــــادر

(١) Mittwoch : *Proelia Arabum paganorum (AjjâmAl-Arab) quomodo litteris tradita sint* ، وهى رسالة : برلين ١٨٩٩ (٢) C.I. Lyall : *Ibn al Kalbi's account of the First day of Al Kulab* فى *Orientalische Studien* (*Nöldeke — Festschrift*) ص ١٢٧ — ١٥٤ ؟

[E. Mittwoch متوخ]

« أيبَكْ » : وهو عز الدين أبو المنصور أيبك المعظمى : كان من مماليك الملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبى الذى ولى دمشق

من عام ٥٩٧ إلى ٦١٥ هـ (١٢٠٠—١٢١٨م) ثم أصبح بعد وفاة والده الملك العادل سلطانا على دمشق من ٦١٥ إلى ٦٢٤ هـ (١٢١٨ — ١٢٢٧ م) وفى عام ٦٠٨ هـ (١٢١١ — ١٢١٢ م) أُقطع مدينة صرخد من أعمال حوران وما جاورها . وعين أيضاً أستاذدار . ولما خلف الملك الناصر داود أباه عيسى على دمشق عام ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) رقى أيبك إلى منصب نائب السلطنة فى دمشق وبذلك جمع السلطة السياسية كلها فى يده . وبعد ذلك بأمد وجيز غزا دمشق داود عم الملك الأشرف وصرف أيبك عن منصبه هذا وسمح له أن يستبقى ملكه فى حوران . وكان فى عام ٦٣٦هـ (١٢٣٨ م) لا يزال يلقب بصاحب صرخد وزرعة . اتهم بالتآمر ففقد منصبه السياسى . وتوفى أيبك بالقاهرة عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨— ١٢٤٩ م) ونقل جثمانه إلى دمشق حيث دفن فى ضريح بنى خصيصا له .

وقام أيبك بخدمات جليلة فى البلاد التى وليها فأنشأ المبانى المختلفة وفتح فى دمشق ثلاث مدارس لتدريس المذهب الحنفى ورابعة فى بيت المقدس ، وعنى بصفته أستاذ دار ببناء الخانات . ولما كان واليا على صرخد عمل على تعبيد الطريق التجارى الممتد من شمال بلاد العرب والعراق إلى دمشق فى الجزء المار بالأراضى التى كانت تحت سلطانه ، وشيد الحصن الصحراوى المعروف باسم قلعة الأزرق كما أصلح البركة أو «المطخ» (صهريج المياه الكبير) فى «عناك» وابتنى كذلك خانا كبيراً فى ساله . وورّث شغفه بالبناء لمماليكه وخاصة لعلم الدين قيصر ، ونذكر من منشئات أيبك على وجه الخصوص : خانا فى صرخد (٦١١هـ = ١٢١٤ — ١٢١٥ م) وبرجا فى قلعتها ٦١٧ هـ (١٢٢٠ — ١٢٢١ م) . وأبهاء ومنارة فى مسجد صرخد (٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ — ١٢٣٣ م) وحصنا فى قلعة الأزرق (٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ — ١٢٣٧ م) وخانا فى زرعة (٦٣٦ هـ = ١٢٣٨ م) وصهريجا فى عناك (٦٣٦ — ٦٣٧ هـ = ١٢٣٨ — ١٢٤٠ م) ومسجدا فى العاين (٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ م) . وأسس كذلك حوالى عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ ١٢٣٣ م) مسجدا وخانا فى ساله . والتاريخ الصحيح لإنشائهما ليس معروفا لأن الكتابات المنقوشة عليهما قد بليت . وشرف الدين وعلوكه أيبك مشهوران منذ عهد الصليبيين .

المصادر

(١) ابن خلكان . انظر المعظم عيسى

(٢) Van Berchem فى *Zeitschr.* d. *Deutschen Palästina - Vereins* ، ج ١٦ ، ص ٨٤ وما بعدها

(٣) Littmann : *Semitic Inscriptions* ، ص ٢٠٤ وما بعدها

(٤) Dussaud - macler : [illegible] *dans les régions désertiques de* [illegible] *syrie moyenne*

ص ٣٢٦ وما بعدها ، ٣٣٦ وما بعدها .

[ليتمان Littmann]

«أيبك» : قطب الدين ، أول أمراء الأسرة المعروفة بأسرة العبيد ، ولى السلطنة بعد وفاة شهاب الدين (معز الدين) محمد الغورى فى دهلى ، وكان أيبك من التركستان ، رحل إلى نيسابور وأصبح مملوكا للقاضى فخر الدين عبد العزيز ، ثم وصل إلى غزنة مملوكا لمحمد الغورى المذكور آنفا الذى سرعان ما فطن إلى مواهب مملوكه ، حتى إذا قهر أيبك الراجبوتيين فى وقعة كبيرة بالقرب من «نارين» واستولى على أجمير وغيرها من بلاد الهند عينه الغورى قائداً عاما (سپاه سالار) فى الهند ، وعهد إليه إخضاع البلاد إخضاعا تاما . ولما استولى أيبك على ميرات ودهلى اشترك فى غزو بنارس عام ٥٩٠ هـ (١١٩٤م) . وفى حروب الغورية ضد راجا جواليور وانتصر فى وقعة كبيرة على أمير أنهلوارة واستولى على حصن كالنجر (٥٩٩ هـ ١٢٠٢ م) وخلاصة القول أن جميع بلاد الهند شمالى جبال وانديهيا ضمت إلى أملاك الغورية بفضل مهارة أيبك فى فنون الحرب . وفى الوقت نفسه اختار أيبك مدينة دهلى مقرا له . وبعد وفاة محمد (عام ٦٠٢ هـ (١٢٦٠ م) اعترف خلفه غياث الدين محمود بأيبك سلطانا مستقلا . وحارب أيبك مملوكا آخر للغورية يدعى الدز وصل إلى مرتبة الإمارة بنفس الطريق الذى وصل به أيبك ، فاحتل غزنه عاصمة الدز أربعين يوما ، وتوفى أيبك بعد وصوله إلى الهند بأمد وجيز عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) إذ سقط أثناء لعبه الصوالجة ، ولم يستطع ابنه آرام شاه الاحتفاظ بأملاك أبيه فانتقلت إلى ايلتتمش مملوك أبيه الذى خدم مولاه بنفس الأسلوب الذى خدم به أيبك محمدا الغورى

ولم يكن أيبك قائدا مبرزا فحسب بل اشتهر كذلك بتسامحه وعدله وحبه للفنون . وقد سمى «قطب منار» الذى لا يزال إلى الآن فى المسجد الكبير بالقرب من دهلى بهذا الاسم نسبة إليه . ونشر توماس Thomas الكتابات المنقوشة على هذا البناء فى مصنفه *The Pathan kings of Delhi* (انظر *Archaeol Reports* ، ج ١ ، ج ٤)

المصـــادر

(١) طبقات ناصرى ، الترجمة الإنجليزية التى قام بها Raverty ، ص ٥١٢ وما بعدها (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ١٢ (٣) البداونى : منتخب التواريخ ، ج ١ (٤) تاريخ فرشـــته ، ج ١ ، ص ١٠٥ وما بعدها (٥) Thomas : *The Pathan Kings ofDelhi* (٦) Hammer : *Gemäldesaal* ، ج ٤ ، ص ١٧٢ وما بعدها (٧) Elphinstone : *The history of India* (٨) Elliott and Dowson : *The History of India* ، ج ٢

« أَيْت » ومن صيغها أيث وأث وأت : كلمة بربرية معناها أبناء [فلان] وتستعمل بنوع خاص فى أسماء الأعلام المركبة ومثلها فى ذلك مثل « بنو » و « وأولاد » فى اللغة العربية . ولا يستعمل هذه الكلمة إلا ثلاث جماعات من جماعات البربر ، ففى الجزائر يستعملها أهل القبائل فى جُرجُرة مثل أيت يَنّى وأيت إِرّتن ، وفى مراكش يستعملها بربر الأطلس الوسطى مثل أيت أتّنه وأيت عياش وقبائل السوس ووادى درعة (أيت بو عمرَن) . وتستعمل كذلك هذه الكلمات بنفس المعنى فى بقاع أخرى . ففى الصحراء الغربية تستعمل : إدَه (إده بو أكِل) و « كيل » عند الطوارق كما تستعمل الكلمتان العربيتان بنى = بنو وأُولاد = أولاد ؟

[R. Basset باسيه]

« إيجاب » اصطلاح مستعمل فى البيع معناه قد وجب البيع ، وتجب ملاحظة الصيغة الشرعية المقررة فى جميع العقود . والإقرار المتبادل بين طرفين والمعروف فى كُتب الفقه بالإيجاب والقبول المؤثرين فى اللزوم لا يتراخى أحدهما عن الثانى . ومع ذلك فقد بحث الفقهاء فى المطولات إلى أى حد تكون عقود البيع صحيحة دون ذكر الإيجاب والقبول ، فمثلا فى الحالات التى يكون فيها عرف جماعة من الجماعات يقضى بتبادل السلع بما يقوّمها من غير إجراء آخر ، فهل يكون هذا التبادل صحيحاً من غير ذكر الإيجاب والقبول ؟ أجاب كثير من العلماء بتجويز ذلك إلا أن غيرهم يعتبرون مثل هذه المعاملات دون ذكر ألفاظ البيع والشراء لا تكون صحيحة إلا إذا كانت السلعة زهيدة القيمة ؟

المصـــادر

(١) انظر الفصول الخاصة بمادة « بيع » فى كتب الفقه (٢) De : Snouck Hurgronje Atjèhers ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ (The Achehnese ، ج ٢ ، ص ٣٢٠) (٣) Indische Gids ، ١٨٨٤ ، ج ١ ، ص ٧٤٥ — ٧٥٥ .

[Th. W. Juynboll جوينبل]

« إيج اوغلان » خادم يعمل فى داخل القصر ، وهو الاسم التركى الذى أطلق على الغلمـــان الذين كانوا يلتحقون بخدمة السلطان ، وكانوا عادة من الأطفال المسيحيين الذين يسبون فى الحرب أو يقدمون جزية من أوروبا وحدها ، ذلك لأن الترك كانوا لا يجمعون مثل هؤلاء الغلمان من سكان آســـية . ويختار أجملهم وأعدلهم قواما وأكثرهم نجابة واستقامة خلق ، فتسجل أسماؤهم وأعمارهم وأوطانهم ثم يحولون إلى الإسلام ويختتنون ، ويعلمون تعليما منظماً تحت إشراف الخصيان أربعة عشر عاماً

مقسمة إلى أربع مراحل تتألف الأولى من أربعمائة غلام يتناول كل منهم أجراً يومياً يتراوح بين أربعة وخمسة أسپر ويعلمون القراءة والكتابة ومبادئ الدين وآداب اللياقة . وبعد ستة أعوام ينقلون إلى المرحلة الثانية وفيها يستكملون علومهم ويدربون تدريباً عسكرياً يشمل ركوب الخيل والمبارزة بالسيف . وكانت المرحلة الثالثة تضم مائتى غلام يتعلمون الحياكة والتطريز وصنع السهام والعزف على الآلات الموسيقية والقيام بالحجابة . أما المرحلة الرابعة فلم يكن بها سوى أربعين منتخبين يتقاضون أجراً يومياً يتراوح بين تسعة وعشرة أسپر . وكانوا يرتدون الملابس الحريرية المشجرة والموشاة بالذهب ويضطلعون بوظائف الحجابة ويقومون على خزائن الثياب وكان منهم رئيس الحجاب والحلاق الأول والمزين الأول وكاتب السر والمفتشون . وكانت مناصب الدولة الكبرى مفتوحة أمام أصحاب هذه المرحلة الأخيرة إذ كان ينتخب منهم من يشغلها .

وألغيت جزية الأولاد هذه منذ نهاية القرن السابع عشر لأن الترك أخذوا يقدمون أبناءهم للانضمام فى سلك هذا النظام حتى يصلوا إلى أرفع المناصب فى الدولة . وكانت « غلطه سراى » التى أصبحت الآن مدرسة أميرية المكان الذى يدرب فيه الـ « إيج اوغلان » ، كما كان لهم مكان آخر فى السراى السلطانى بأدرنة ألغاه السلطان إبراهيم (١٠٤٩—١٠٥٨ هـ = ١٦٣٩—١٦٤٨م) ؟

المصـــادر

(١) Tournefort : *Relation d'un voyage au Levant 1717* ، ج ٢ ، ص ١٠ وما بعدها

(٢) Ricaut : *Etat présent de l'empire ottoman* ترجمة بريو Briot ، ص ٨٣ وما بعدها

(٣) A. Ubicini : *Lettres sur la Turquie* ، ج ١ ، ص ٣٠٢

(٤) M. d'Ohsson : *Tableau de l'empire othoman* ج ٧ ، ص ٤٧ وما بعدها .

[هيوار Cl. Huart]

« إيج إيل » كلمة تركية معناها البلاد الداخلية وهى اسم إقليم فى آسية الصغرى هو اليوم سنجق مستقل فى ولاية آطنة «أذنه» (انظر المادة) هذه عاصمته «سلفكه» Selefké ، ويتبع هذا السنجق مباشرة سبع عشرة قرية كما تتبعه ناحية آياش وبها ثلاث عشرة قرية وبولاجاو وبها ست قرى ويشمل هذا السنجق أيضاً أربعة أقضية هى : إرمناك (انظر هذه المادة) وموط وكلنار (كلندريه ، سلندارس Kilindiria و Celendaris) وآنامور (انظر قصبة چوراق) ، ويتألف السكان من ٤٥٠٠٠ تركى ١٥٥٠٠ كردى و ٢٤٠٠٠ يونانى و ١٢٠٠٠ من النور و ٨٧٨٠ من أجناس مختلفة . وتغطى الغابات التلال التى تبلغ مساحتها ٢٢١٨١٨ هكتاراً

ومحاصيلها أخشاب البناء والحبوب ، ويصنع الأكراد الرحل الذين يعيشون فى الجبال الزبد والجبن ويبيعونها فى القرى وتنحصر الصناعة فى عمل السجاد . ويكثر فى هذا الإقليم الآثار الرومانيـــــة ، وكان يعرف منـذ القدم تراخيوتيس Tracheotis (كليكية الصخرية Ciilcia Petraea) والأنهار الرئيسية فيه هى لامس صو وكوك صو (انظر هذه المادة) وربما كان منبع نهر طاتلى صو القريب من البحر هو عين نهر Noῦς عند اليونان .

ويرجع اسم إيج إيل إلى السلاجقة لأنه يعتبر من ناحيـة عاصمتهم قونيه فى داخل الجبال . ويفترض كذلك أن هذا الاسم تحريف ا « كليكية »

المصــــادر

(١) على جواد :جغرافيا لغات : ص ١٣٣

(٢) سالنامه ، طبعة ١٣٢٥ ، ص ٨١٦ (٣) حاجى خليفه : جهانتما ، ص٦١١ (٤) V.Cuinet *Turquie d' Asie* ، جـ ٢ ، ص ٦٣ وما بعدها

(٥) G. Le Strange : *The lands of the Eastern Caliphate* ، ص ١٤٨ .

[Cl. Huart هيوار]

« الإيجى » عضد الدين عبد الرحمن ابن أحمد : متكلم وفيلسوف ومؤلف لعدة رسائل كثيراً ما شرحها المصنفون الذين أتوا بعده ، وأهم تواليفه «المواقف فى علم الكلام» وقد عرف هذا المصنف فى أوروبا . ونشر سورنسن Th.S[redacted] الفصلين الأخيرين منه وذيله بشرح الجرجانى بعنوان *TtatioV^ta et VI^ta Appendix libri Mevakif auctare Adhhad-ed- Din el Igi enm Cumm. Gorganii* ، ليبسك عام ١٨٤٨ م كما نشرت طبعة كاملة له فى القسطنطينية عام ١٨٣٩ . وصنف الإيجى كذلك رسالة مختصرة فى الأصول عنوانها «العقائد العضدية» شرحت عدة مرات وطبعت فى القسطنطينية عام ١٨٢٧ م وفى سنت بطرسبرج عام ١٣١٣ هـ . وذكر بروكلمان تواليف أخرى له فى *Geschichte* ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ وما بعدها .

ولا نعرف عن حياة الإيجى إلا القليل ، ولم يبلغنـــــا إلا أنه من أهل إيج وهى قلعة فى فارس ، وأنه ولى القضاء والتدريس فى شيراز وتوفى عام ٧٥٦ هـ = ١٣٥٥ م (انظر ديوان حافظ طبعة روزنزفيج Rozenzweig ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢) ؟

« آيدين » كوزل حصار ومعناها قلعة آيدين الجميلة واسمها القديم ترالس Tralles : مدينة فى آسية الصغرى على نهر دَبّاغ (طباق جاى (قديما إيدون Eudon) وهو أحد نهيرات مندرس Meandre .

ويبلغ عدد سكان هذه المدينـة ٣٦٢٥٩ نسمة منهم ٢٦٠٠٠ مسلم و ٨٥٠٠ من الروم الأوروثوذكس و١٤٠٦ من الاسرائيليين .

وهى على منحدر جبل جمعة الذى كان يعرف فى القديم باسم مسّوجيس Messogis عند سفح الهضبة التى عليها خرائب ترالس. ويحيط بأيدين حقول وبســاتين وبها جسران من الحجر وأربعة عشر مسجداً وأربع كنائس ومعبد لليهود وأسواق متسعة ومزدحمة ومدابغ ومصانع للحمائل الجلدية التى يعلق بها الزيبك أسلحتهم، ومتنزه يطلقون عليه بونارا كيه ومحطة للسكك الحديدية الممتدة من أزمير إلى دينار (كيكلر). وقد احتلها الترك السلاجقة فى العصور الوسطى ثم أصبحت بعد ذلك قصبة إمارة أسسها الأمير آيدين وخلع عليها اسمه. وضم حفيده الأمير عيسى هذه الإمارة إلى السلطان بايزيد الأول، واستولى عليها نهائياً السلطان مراد الثانى عام ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) عند وفاة أميرها جنيــد. وظل حكم آيدين وراثياً فى بيت قره عثمان أوغلى عدة قرون ولم يصرفوا عن هذا المنصب إلا فى عهد السلطان محمود الثانى عام ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م).

وأصبحت آيدين بعد ذلك قصبة ولاية أزمير، ولكنها اليوم قصبة سنجق فى هذه الولاية يسمى رسميا باسمها «آيدين»، وهذا السنجق يشمل ستة أقضية هى آيدين وسوكه وسينا وبوزغان ونازلى وقره‌جه‌سو وثمانى نواحى وأربعمائة وأربعين قرية ؟

المصـــادر

(١) V. Cuinet: *La Turquie d' Asie* ج ٣، ص ٥٩٣ ومابعدها (٢) Ch. Texier: *Asie Mineure*، ص ٢٧٩ (٣) E. Reclus: *Nouv. Géogr univ.*، ج ٩، ص ٦٣٤ (٤) تاريخ منجم باشى، ج ٣، ص ٣٢ (٥) W. J. Hamilton: *Researches in Asia Minor*، ج ١، ص ٥٣٥ (٦) سالنامه، طبعة ١٣٢٥، ص ٨٠٣ — ٨٠٥

[Cl. Huart هيوار]

«أيْر» أو «أسبِـن»: إقليم جبلى فى الصحراء الكبرى بين خطى عرض ٢٠° و١٦° شمالا يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٢٨٠ ميلا، وعرضه فى جزئه الأوسط من الشرق إلى الغرب ٦٠ ميلا، وتقدر مساحته بنحو ٥٨٠٠ ميل مربع، ويتراوح عدد سكانه بين ٦٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ نسمة. وهو الآن من الأقاليم الإفريقية التى لا يعرف عنها إلا القليل، وقد اكتشفه بارث Barth عام ١٨٥٠ م ثم زاره باري E. de Bary الذى منعه الأهالى من التوغل فيها وراء أجيرو. وفى عام ١٨٩٩ م وصلت بعثة فورو ولامى Foureau-Lamy الصحراوية إلى إفروان وأغاديس ومنها إلى دَمِرغو. وكان العالم الجيولوجى الفرنسى شودو Chudeau آخر من زار هذا الإقليم من الجوابين. وكانت زيارته بين عامى ١٩٠٥ و١٩٠٦. وقد صححت البعثة الصحراوية المشار إليها المعلومات التى

ذكرها بارث عن طبيعة إقليم أير من النواحى الجيولوجية والمناخية والتضاريس . ومع هذا فلا يزال كتاب المستكشف الألمانى بارث هو العمدة فيما يتصل بتاريخ الإقليم وسكانه لأن المدة التى مكثها فى تلك الربوع مكنته من أن يحصل من الأهالى على الكثير من المعلومات .

وينقسم إقليم أير إلى ثلاث مناطق متمايزة كما ذهب إلى ذلك فورو وهى : —

(١) أير الشمالية ، وهى عبارة عن منطقة انتقال بين صحراء همدة وأير الوسطى ، وهى تتكون من هضاب وسهول ويزيد ارتفاع الأرض فيها على ٢٣٠٠ قدم .

(٢) أير الوسطى ، وتمتد من جبل تغازى فى الشمال إلى أودراس فى الجنوب وطولها ١٨٦ ميلا ، وهى عبارة عن كتلة متماسكة منسجمة تقع على مسطح من الأرض مساحته ١١٠ من الأميال المربعة ، وأهم جبالها تغازى وارتفاعه ٣٦٠٠ قدم وإغرغتن وتمغة والبنداى وسرسو وأغلان وبغسن وأغتن (ويسميه بارث أجته) وارتفاعه ٣٩٠٠ قدم ، ودجلان وارتفاعه ٤٢٥٠ قدما ، ويفصل الجبلين الأخيرين ممر كربابى (٢٦٠٠ قدم) ويأتى بعدهما جبل بلا وارتفاعه ٤٦٠٠ قدم ثم أودراس . وهذه الجبال تنهض على أساس من الجرانيت والحجر الرملى . وهذه كلها تنحدر جوانبها انحداراً شديداً وهى تشبه الحوائط الصعبة المرتقى وتتوجها قمم حادة وأخرى مسننة . وقد كونت عوامل التعرية رصيفين تعلوهما كتل صخرية فى غير نظام كما كونت أخاديد عميقة معرجة تخترق قلب هذه الجبال . ولكن على الرغم من تنوع التضاريس فى هذا الإقليم فإنه لا يستحق أن يطلق عليه الأرض الألبية كما ذهب إلى ذلك بارث . والواقع أنه لا توجد قمة واحدة يزيد ارتفاعها فوق سطح البحر عن ٥٢٥٠ قدماً أو ترتفع عن مستوى الوديان بأكثر من ٢٣٠٠ إلى ٢٦٠٠ قدم .

(٣) الأير الجنوبية : وهى عبارة عن سلسلة هضاب صخرية تنحدر جهة السودان وبها قمة واحدة يصل ارتفاعها إلى ٣٣٠٠ قدم هى تلسدك .

وإقليم أير وإن كان معدوداً من الأقاليم الصحراوية ، إلا أن المياه تكثر فيه ، وهناك فصل ممطر يبدأ من نهاية شهر يونية وينتهى فى آخر شهر أغسطس . ولكن هطول الأمطار فى هذا الإقليم ليس منتظما كما هو الحال فى المناطق الحارة ، وهى لا تصيب إلا بعض أجزاء المناطق الجبلية وتنحدر مندفعة فى وابل قصير الأمد يحيل الوديان المتقطعة إلى سيول متقطعة مفيدة بوجه خاص فى إمداد الغدير والأحواض الموجودة تحت الأرض بالمياه ، ويختلف هذا الفصل الممطر من حيث طوله وكثرة مياهه من سنة إلى أخرى ،

فالسنة التى زار بارث فيها إقليم أير — مثلا — كانت ممطرة على خلاف المعتاد بينما كانت السنة التى زارته فيها البعثة الصحراوية جافة. ويؤكد فورو أن المياه الجارية نادرة جداً فى هذه البقاع، فالأنهار وفقاً لروايته راكدة إلا فى القليل النادر وإلى فترات قصيرة. ولسنا نعرف إلا النذر اليسير عن توزيع المياه فى هذا الإقليم. أما الوديان فتتسع بعد خروجها من الجبال ثم تتلاشى فى الصحراء. ومهما يكن من الأمر فإن المياه المنحدرة من المرتفعـــات الشمالية تجرى ناحية الغرب، والمنحدرة من أير الوسطى تجرى ناحية الغرب والشمال الغربى والمنحدرة من أير الجنوبيـة تتجه ناحية الجنوب والجنوب الغربى، وإن كنا لم نحصل بعد على معلومات دقيقة فيما يتصل بالأحواض الأساسـية التى تتجمع فيها تلك المياه.

وهذا المناخ الممطر نسبياً أمد إقليم أير بنباتات أكثر مما فى الصحراء وإن كانت أقل تنوعا من نباتات السودان. فمعظم نباتات إقليم أير من فصيلة الأشجار الصمغية، حيوانه الأسد والخنزير البرى وابن آوى والغزال والبقر العربندى ذو السنم إلى غير ذلك. وعلى الرغم من خصوبة بعض وديانه فلا يستحق أن يطلق عليه «جنة الصحراء». والزراعة فيـه متأخرة. وتمده السودان ودمرغو بالدخن الذى يعتبر الغـذاء الرئيسى للسكان، وهم إذا اقتصروا على موارد إقليمهم وحدها تعرضوا للمجاعة كما ذكر فورو وبارى وبارث.

وترجع مكانة أير فى الحياة الاقتصادية للصحراء الكبرى أولا وقبل كل شىء إلى أنه على ملتقى طرق القوافل الممتدة بين سكوتو وأقاليم النيجر من ناحيـــة وتوات وغات وغدامس وملاحات بلمه من ناحية أخرى، ولذلك تتنازع قبائل إفريقية مختلفة هذا الإقليم بيد أنه لا يصلح كثيراً لقيام حكومة قوية فيه.

وذكر الحسن بن محمد الوزان الزياتى أير لأول مرة فى القرن الرابع عشر لميلاد المسيح. ويظهر أن اسم هذا الإقليم القديم هو أسبن ولا يزال يعرف به عند السكان من السود. وأول من سكنه الجوبِرَوَة وهم فرع من قبيلة الهوسه، ويذكر محمد بِللو أنهم أتوا من الشمال الشرقى وأنهم قِبط. وحوالى نهاية القرن العاشر الميلادى استوطن البربر بدورهم هذا الإقليم وابتنوا مدينة تين شمن على الطريق الذى يصل اليوم أودراس بأغاديس وعلى مسيرة عشرين ميلاً من المدينة الثانية، وقد أصبحت تين شمن هذه قصبة لولاية مزدهرة، بلغت درجة لا بأس بها فى الثقافة العقلية.

وتغير نظام الإقليم السياسى تغيراً تاماً باستيطان فاتحين آخرين من البربر هم الكيل أوى الذين دخلوا تلك البقاع عام ١٧٤٠ كما يقول بارث. ويستفاد من المعلومات التى حصل عليها هذا المستكشف أنهم أتوا من ناحيـة الشمال الغربى وأن العشائر القوية منهم تنتسب

إلى قبائل الأوراغن، ولا يزال أبناؤهم يتكلمون لغتهم إلى اليوم . ويقال من جهة أخرى إن هؤلاء الكيل أوى جاءوا من مملكة ألكُس بين زندر وكوكا ، قال بهذه الرواية بارى ولكن يظهر أنها لا تقوم على أساس قوى . ومهما يكن من الأمر فإن الفاتحين دعوا بعضا من أهل أير واسترقوا الباقين على ألا يباع هؤلاء الأرقاء أو أبناؤهم خارج البــلاد . واستولوا كذلك على الأراضى ، وبالرغم من حرصهم على الاحتفاظ بموروث عاداتهم كالقواعد الخاصــة بولاية الحكم فإنهم لم يستطيعوا التخلص طويلا من أثر الهوسة ، وكان من نتيجة هذا أن أخذ زعماؤهم يتزوجون من نساء السود بدلا من البربريات وأدى هذا إلى أن الكيل أوى أصبحوا شعبا مختلطاً أكثر من الطوارق الذين يعيشون فى الشمال . ولأفراد قلائل منهم قسمات جميلة إذا استثنينا قبيــلة إغدلن المرابطية ولهذا احتقرهم برابرةُ الشمال واعتبروهم « إكلان» أى عبيد ودخلت فى لغتهم تعابير عدة من لغة الهوسة ، وأسوأ من هذا أن تلك اللغة « الأوراغى » لم تصبح لغة التخاطب فى الحياة اليومية قصرت على المداهنـــة وشئون السياسة . ويجب أن يضـاف إلى هذه الأقوام قبائل سنغاى النيجرية التى كونت محلات قليلة فى أغاديس منذ العصور الوسطى . وهاجروا فى جماعات كبيرة خلال القرن التاسع عشر فراراً من غزوات محمد أسكيه .

ولا يزال الإغدلن ، وهم شعب خليط من البربر والسنغاى ، يستعملون فى أغاديس وما جاورها لغة السنغاى إلى الآن . ويمكننا بناء على ذلك أن نقسم سكان أير إلى عنصرين رئيسين : السود والطوارق ، والأخيرون ينقسمون إلى طائفتين : الكيل أوى فى الشمال والكيل جرس والإتيسان فى الجنوب . وينقسم الكيل أوى إلى أقسام عدة أهمها كما ذكر بارث : إغولنج وكيل فروان وكيل أسنيرس (على طريق بلمه) وإكَسْكَسَن وكيل تفدت وكيل فرس وكيل فدى ... الخ وفى استطاعتهم تجنيد عشرة آلاف مقاتل .

وقد استوطن الكيل جرس والإتيسان ما يحيط بجبل بغسن مدة طويلة من الزمن ، ولكن الكيل أوى أجلوهم عن هذه الديار فسكنوا جنوبى أغاديس وغربيها ، ويظهر أنهم احتفظوا بالصفات الجسمانية للبربر أكثر من الكيل أوى ، ويبلغ عدد مقاتلتهم خمسة آلاف رجل ، وهم فرسان مهرة فى حين أن الكيل أوى يستخدمون الإبل دون سواها.

ويختلف طوارق أير من عدة وجوه عن طوارق الشمال : فهم على جانب من التحضر لا يتركون الأرض إلا إذا أجدبت وأعوزهم المرعى . أما الطوائف التى ينقسمون إليها فأعظم شأناً من أقسام طوارق الشمال وإن كانت فى الواقع مفككة قليلة الأهمية لا تكون شعوباً بالمعنى الصحيح . أما كيانهم السياسى فبدائى . ولما كانوا حريصين على

استقلالهم فإنهم لم يستطيعوا وضع حد لمنازعاتهم، ولهذا استمر القتال بين بعضهم البعض. ولم يكن لشيوخ القبائل (أمنُوكل) إلا سلطان وهمى. وأهمهم سلطان أغاديس الذى يعد فى الأغلب سلطاناً على أير كلها، وليس له إلا شبح من النفوذ. لأنه تحت رحمة الكيل فروان لعزلته عن بقية الإقليم، وموارده محدودة وتنحصر فى المكوس التى يفرضها على المسافرين الذين يفدون من الشمال. ومعظم بلدان أير عبارة عن قرى تتكون من أكواخ ومخايم بسيطة ومنها فِروان وتنتلوست وتِفِدِت وأسودى. وكان فى الأخيرة ألف بيت وسبعة مساجد ولكن لم يبق فيها سوى ثمانين منزلا. وأغاديس وحدها هى التى نستطيع أن نعتبرها مدينة، ويؤكد بارث أنه قد أسستها فى منتصف القرن الخامس عشر القبائل البربرية الخمس الكبيرة التى اقتسمت أير فيما بينها. وأصبحت قصبة إقليم مزدهر ومركزاً للتجار من قبائل الشمال والسودان، وبلغت أوجها حوالى عام ١٥١٩م عند ما استولى عليها الحاج محمد أسكيه سلطان سنغاى، وهاجر جانب من سكانها البربر وخضع الباقون واختلطوا بمضى الزمن مع الفاتحين. واحتفظت أغاديس بجزء من أهميتها إلى نهاية القرن الثامن عشر، وإن لم تبلغ ما كانت عليه من ازدهار وعجل بسقوطها اضمحلال جوجو على نهر النيجر والتى تبدأ منها القوافل المارة بأغاديس فى طريقها إلى الصحراء، كما ساعدت على ذلك هجرة السكان عند تأسيس سلطنة فلبَة. وكان فى أغاديس عام ١٨٥٠ م من ستة آلاف إلى سبعة آلاف بيت فقط بينما كان عدد سكانها فى القرن السادس عشر كما يقول بارث خمسين ألف نسمة. ويقدر فورو عدد سكانها فى وقتنا الحاضر بخمسة آلاف نسمة وهم فى حالة بؤس شديد ومعرضين للمجاعة فى الفصل الممطر.

وأهل أير مسلمون، ويوجد بالقرب من كل قرافة مسجد عبارة عن سقف يرتكز على عدد من الأعمدة أو على جدران منخفضة من الحجر. وفى أغاديس وحدها مسجد ذو منارة هرمية الشكل تكسبه مظهر المبانى الأثرية. كما يجد الإنسان فى نواح مختلفة مصليات مستطيلة تختلف مساحاتها وتحيط بها جدران تتجه من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ولكل منها نتوء شبه دائرى يتجه ناحية الجنوب الشرقى. وأشهرها ما يطلقون عليه مقام الشيخ سى عبد الكريم الذى يقول فورو إنه مقام الشيخ البغدادى. وهذا المقام على نهاية الممرات الضيقة الموصلة إلى أزدراس. وقد بنى تخليداً لذكر بعثة إسلامية أسلم الهوسة على يدها، ويظهر أهل أير تعصباً دينياً فى معاملتهم للأجانب الذين يعتبرونهم من الكفار. ولكن بارى وفورو يتفقان على أن دينهم قد امتزج به الكثير من الخرافات والسحر. وللإسلام فى تلك الربوع دعاية ناشطة لا تكل.

وطائفة الجدادين أقوى طوائف المرابطين الشماليين ، أشدهم استمساكا بالدين وتحمساً له ، ولهم في أير ، كما لهم في السودان ، مكانة خاصة . وتضم التيجـانية عددا كبيرا من الإخوان ، ولكنها لا تقـاس من حيث الأهمية بالسنوسية التي تنتشر عقائدها ويتسع نفوذها على أيدي دعاة يفدون إلى البلاد من طرابلس أو توات . ومع أن الإسلام قد غزا هذه البلاد إلا أن اللغة العربية قليلة الانتشار فيها ، وهي تعلم في مكاتب تحفيظ القرآن . وكان عدد التلاميذ في مكتب أغاديس عند ما زارها بارث ثلثمائة غلام ، ولا يفهم هذه اللغة من الأهالي إلا العلماء .؟

المصـــادر

(١) Barth : *Reisen und Entdeckungen in Nord-und Central Africa* طبعـة جوته ١٨٥٧ (٢) E. de Bary : *Journal de route* (*Zeitschr. d. géogr. Gesellsch* ج ١٥ ، برلين ١٨٨٠ (٣) *Journal de voyage d'Erwin de Bary* ترجمة وشرح Shirmer ، باريس ١٨٩٨ (٤) Schirmer: *On the ethnograply of air* (*Scott. geogr. Mag.* ج ١٥ ، ١٨٩٩ ، ص ٥٣٨—٥٤٠ (٥) E. Foureau : *D'Alger au Congo par le Tchad* ، باريس ١٩٠٢ (٦) المؤلف نفسه : *Documents Scientifiques de la Mission Saharienne* ، باريس ١٩٠٥ .

[G. Yver ايفر]

« إيساغوجي » من اليونانيـة εισαγωγή ، وهو اقتباس باللغة العربية من كتاب المدخل إلى مقولات أرسطو الذي ألفه فرفوريوس الصوري ، ويقول صاعد الأندلسي صاحب كتاب « طبقات الأمم » (طبعة بيروت عام ١٩١٢ ، ص ٤٩) إن ابن المقفع هو الذي نقل هذا الكتاب عن اليونانية مباشرة[١] ، بينما يذكر ابن النديم في الفهرست أن أيوب ابن القاسم الرقي هو الذي نقله إلى العربية عن ترجمة سريانية ، ومهما يكن الأمر فإن ترجمات كتاب فرفوريوس قد تعددت في شكل ملخصات واقتباسات وشروح ، ولم يصل إلينا من الاقتباسات إلا كتابان : أولهما لأبي الحسن بن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (Brockelman : *Gesch. d. arab. Litt* ، ج ٢ ، ص ١٤٢—١٤٣) مع شرح للسنوسي (انظر فهرس المكتبة الأهلية بالجزائر ، رقم ١٣٨٢) وثانيهما للأبهري (انظر هذه المادة ، وانظر ابن خلكان ، وفيات الأعيـان ، طبعة القاهرة عام ١٣١٠ هـ ، ج ٢ ، ص ١٣٣) وهو أشهر الكتابين ، وله شروح كثيرة .

ويتنـاول كتاب إيساغوجي في المنطق المسائل الآتية باختصار : —

---

(١) لا يفهم من عبارة القاضي صاعد ما أراده صاحب المقال فانه لم يقل عن ابن المقفع إنه نقل الكتاب عن اليونانية مباشرة وإنما يقول « وترجم ذلك المدخل إلى كتاب المنطق المعروف بالإيساغوجي لفرفوريوس الصوري »

اللجنة

الحد والتعريف والقضايا أو الحكم والتضاد والتناقض والقياس والجدل والخطابة والشعر والسفسطة . وقد نظم الأخضرى بالرجز كتاب إيساغوجى للأبهرى ؟

المصـــــادر

(١) اليعقوبى ، طبعة هوتسما ، جـ ١ ، ص ١٤٤ (٢) ابن القفطى ، طبعة ليبرت ، ص ٢٢٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٧ ، ٣٢٣ (٣) ابن أبى أصيبعة : طبعة مولر ، جـ ١ ، ص ١٠٥ ، ص ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ (٤) حاجى خليفة ، طبعة فلوجل ، جـ ١ ، ص ٥٠٢ — ٥٠٥ (٥) Wenrich : *De auctorum graecorum versionibus* ص ٢٨٠ — ٢٨٦ (٦) Steinschneider : *Die arab. Uebersetz. aus dem griechischen (Beihefte z. Centralbl. f. Bibliothekswesen)* ، جـ ١٢ ، ليبسك ١٨٩٣ ، ص ٩٧ — ٩٩ .

[محمد بن شنب]

«**إيسيك كول**» أى البحيرة الدافئة أهم بحيرة جبلية فى إقليم تركستان ، ومن أكبر بحيرات الدنيا ، على خط عرض ٤٢° ٣٠َ شمالا ، وبين خطى طول ٧٦° — ١٥َ و ٣٠َ — ٧٨° شرقاً ، وترتفع عن سطح البحر ٥١١٦ قدماً ، ويبلغ طولها ١٥٥ ميلا وعرضها ٣٧ ميلا ، وعمقها ١٣٨١ قدماً ومساحتها ٢٤٠٠ ميل مربع .

ويصب فى هذه البحـــيرة من سلسلتى جبال تيان شان وكونكى ألاتاو فى الشمال وتيرسكى ألاتاو فى الجنوب نحو ثمانين من المجارى المائية الجبلية بين صغير وكبير أهمها توب وجركلان ويصبان فيها من الشرق ؛ ومن المجارى الأخرى قره كول وقزل صو وجوكه ، أو زوكه ، وبارسكون وتن ، وتصب فى الجنوب . وهناك نهران باسم آق صو ، وثلاثة باسم قوى صو ، وتصب فى الشمال . وتختلف الآراء فى أصل منخفض كوتيالدى الذى يربط چو بإيسيك كول ، فيقال إن نهر قوچقار ، وهو الآن المجرى الأعلى لنهر چو ، كان يصب فيما مضى فى بحيرة إيسيك كول التى كان لها منفذ فى نهر چو ، أما اليوم فإن قوچقار يخرج منه نهر إلى إيسيك كول من منخفض كوتيالدى فى فصل الفيضان فقط ، أما فى بقية الأوقات فإن هناك عدة فجوات مملوءة بالماء من غير أن تكون لها وجهة معينة . وهذا الموضوع لا يهم إلا المشتغلين بالمباحث الجيولوجية والجغرافية . وكانت بحيرة إيسيك كول فى العصور التاريخية ، كما تدل جميع الشواهد ، بحيرة ملحة مقفلة .

وأقدم من وصف هذه البحيرة الكاتب الصينى هوانـ چوانج فى القرن السابع الميلادى ، والاسم الصينى الذى أطلقه عليها «چو خاى» ومعناه البحر الدافىء ، أو البحيرة التى لا تتجمد ، وهو يقابل تمام المقابلة اسمها التركى . وكان أول ظهور الاسم التركى فى كتاب «حدود العالم» (٣٧٢ هـ = ٩٨٢—

٩٨٣ م) أما فى كتاب قدامة (طبعة ده‌غوى، ص٢٦٢) فقد ورد ذكرالبحيرة دون‌اسمها ، وورد اسمها فى نسخة خطية من كتاب‌حدود العالم «إيسكوك» (ورقةرقم ٣) و «إيسكول» فى ورقة رقم ١٨ ، كما وردت هذه التسمية بعينها فى مجمل التواريخ (فى النسخة الخطية « إس — كوك » انظر Barthold ، *Turkestan..* ، ج ١ ، ص ١٩) ويرسمه الجرديزى (Barthold: *Otchet..* ، ص٨٩) «إيسغ‌كول» . ونقل‌الجيحانى‌اسم «إيسكول» عن‌الخراق فى كتاب«البتانى»لنللينو(ص١٧٥) مع‌تشديد الكاف ، وفى ظفر نامه لشرف‌الدين (طبعة الهند ، ج ١ ، ص٤٩٤ ، ج ٢ ، ص٦٣٤) وكذلك فى كتاب ابن عربشاه (طبعة مصر ، ص ١٤٦) ورد الاسم « إيسى كول » ، أما فى كتاب « تاريخ رشيدى » (النص فى كتاب بارتلد *Otchet..* ، ص ٥٠ تعليقة رقم ١) فقد رسم هكذا « إيسغ كول » .

ويستدل من الروايات الصينية القديمة التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الميلادى على أن المنطقة التى توجد البحيرة فيها كانت فى حوزة قوم « ووسون » الرحل ، ومنذ القرن السابع جاء ذكر جماعات‌استقرت فيها ومدن‌قامت‌عليها ؛ وكان أحد الطرق التجارية التى تربط بين الصين وآسية الغربية فى ذلك العهد يخترق ممر بَدَل إلى الشاطئ الجنوبى لبحيرة إيسيك كول ثم إلى وادى نهر چو ، كما كان أهم أسواقها بارسخان ، ومن المحتمل أن يكون هذا الاسم‌هو عين الاسم الحديث لنهر «بارسكون» . ويورد الجرديزى اشتقاقا شائعا فى أسطورة ذكرها عن الإسكندر الأكبر والفرس الذين خلفهم وراءه فى إيسيك كول ، وهذا الاشتقاق يجعلنا نرجح قراءة بارسخان‌على‌قراءة «نشجان» التى‌أوردها ده غوى نقلا عن ياقوت (ج٢ ، ص٨٢٣) .

ويقول الجرديزى أيضا إن بارسخان فيها ستة آلاف من المقاتلة فى حين يذهب قدامة إلى أن أهم المناطق على شواطئ هذه البحيرة تستطيع تجنيد عشرين ألفا من الرجال وهذا المؤلف يروى أن بارسخان تتألف من تسع مدن أربع منها كبيرة إلى حد ما وخمس صغيرة ، وتوجد « تونك » على مسيرة ثلاثة أيام غربى بارسخان ، ومن الواضح أن اسمها قريب‌الشبه من‌اسم نهر تون . ولا يرى المرء بين هاتين المدينتين‌سوى خيام «الجيكل» الرحل . ومدينة « يار » على مسافة اثنى عشر فرسخا غربى تونك ، وهى تستطيع تجنيد ثلاثة آلاف من الرجال .

وجاء كذلك فى كتاب حدود العالم ذكر لمكان مزدهر يختلف إليه التجار ، هو مدينة « سيكول » على التخوم التى تفصل بين منطقة الجيكل ومنطقة الخلخ (قرلق) وهم من‌الرحل. ويحتمل أن يكون اسم هذه المدينة‌مشتقا من اسم‌البحيرة. وقد ورد فى‌مصور كارتا كاتالانا Carta Catalana الذى‌رسم‌عام١٣٧٥م ، اسم مدينة إيسيك كول على الشاطئ الشمالى لبحيرة

بالاسم نفسه ، ويقال إنه كان بها دير أرمنى توجد فيه آثار القديس متى (*Notices et extraits* ، ج ١٤ ، ص ١٣٢ وما بعدها) . واندثرت مدنية هذه البلاد فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) متأثرة بنفس العوامل التى قضت على المدنية التى كانت مزدهرة فى حوض نهر چو ، ولم يبق من آثارها إلا بضعة جدران وأكوام من الآجر وبعض المقابر منها مقبرة للمسلمين على نهر كونكه ى آق صو وفيها كتابات يرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ومقبرة نسطورية على نهر جوكه كشفت عام ١٩٠٧ م وفيها كتابات بالسريانية والتركية (*Protokoli Turk. Kruzka Ljub. Arkh.* ، ج ١١ ، ص ٥ وما بعدها) . وقد نشر P. Kokowzoff فى *Bulletin de l'Academie* ، طبعة ١٩٠٩ ، ص ٤٧٤ وما بعدها و٧٨٨ وما بعدها إحدى هذه الكتابات ويرجع تاريخها إلى عام ١٣٣٠ م

واعتاد الرحل من الترك والمغل اتخاذ شواطئ إيسيك كول مشتى لاعتدال مناخ هذا الإقليم وقلة الثلوج فيه ، ولذلك نجد أن إيسيك كول ذكرت عدة مرات فى التاريخ العسكرى لآسية الوسطى ، فقد شيد تيمور حصناً على جزيرة فى وسط هذه البحيرة نفى إليها التتر المطرودين من آسية الصغرى وغيرهم . ومن الجائز أن يكون عين الحصن الذى أطلق عليه حيدر ميرزا اسم قوى صو (تاريخ رشيدى ترجمة روس Ross ، ص ٧٨) . ويقال إن أميراً من أمراء المغل أرسل أسرته إلى هذا الحصن فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) لتكون بمأمن من غزوات القلموق ، ولا وجود للجزر فى هذه البحيرة اليوم . وقد يكون اختفاء الجزيرة التى كان الحصن عليها نتيجة زلزال ، ويؤيد هذا أن مياه البحيرة كثيراً ما تجرف إلى الشاطئ قطعاً من الآجر وغيره . ويقال إنه كان على شاطئ إيسيك كول مدينة كبيرة داهمتها الأمواج . ويستطيع المرء أن يرى جدرانها ومبانيها عند ما يكون الجو صحواً ، ولكننا لا نجد ما يؤيد هذه الرواية ، ويحتمل أن تكون من القصص الشعبى الذى يتحدث عن المدن الغارقة وهو قصص يوجد فى ممالك مختلفة . وإذا كان قد حدث شىء من هذا فلا بد وأن يكون فى زمن متاخر نسبياً ، ولم يتحدث حيدر ميرزا الذى ندين له باحدث المعلومات التى جاءت فى كتب المسلمين عن إيسيك كول (تاريخ رشيدى ، ص ٣٦٦ وما بعدها) عن اختفاء الجزيرة ولا عن الأنقاض التى تقذفها الأمواج إلى الشاطئ ، ولا عن مدن أغرقتها المياه ، وما يرويه هذا المؤلف فى كتابه بوجه عام يتفق مع الحقائق ، إلا أن هناك عدة روايات انفرد بها ، فهو يذكر مثلا ان كمية الملح فى هذه البحيرة كبيرة جداً بحيث يتعذر الاغتسال فيها ، والواقع هو أن كمية الملح فيها ضئيلة .

وكانت شواطئ هذه البحيرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين خاضعة لحكم القلموق البوذيين، وفى الجنوب الشرقى للبحيرة نقوش تبتيه من هذا العهد. والاسم المغلى لإيسيك كول هو «تيمورتونور» أى بحيرة الحديد، وسميت كذلك لأن الكثير من مجاريها الجبلية تحمل تراب الحديد ويصنع منه القره قرغيز المدى وأشياء أخرى.

وكان الترك فى ذلك الوقت يطلقون على البحيرة اسم توزكول «أى البحيرة الملحة»، وفى عهد القلموق كان للقره قرغيز (انظر هذه المادة) مراع فى هذا الإقليم، ظلت فى حوزتهم بعد أن غزا الصينيون مملكة القلموق، ولم يثبت الحكم الصينى فى هذه الربوع على الرغم من المحاولات الكثيرة التى قاموا بها. وتقدم الروس حوالى منتصف القرن التاسع عشر ووصل الكولونيل كومنتوفسكى عام ١٨٥٦ م إلى إيسيك كول «وخضع فريق من القره قرغيز للحكم الروسى منذ عام ١٨٥٥م وخضع الباقون عام ١٨٦٠ م، وأنشأ الروس مدينة قره كول التى سميت منذ عام ١٨٨٨م برزفالسك Brzewalsk وهى المدينة الوحيدة فى البقاع المحيطة بإيسيك كول، وبلغ عدد سكانها ٧٩٨٧ نسمة فى إحصاء عام ١٨٩٧ م، وعددهم الآن ١٥,٠٠٠ نسمة، وهناك أيضاً عدة قرى، وهذه الأماكن كلها فى الناحية الشرقية من البحيرة، أما الناحية الغربية فليس فيها سوى أقوام رحل، ولا تزال الأماكن تسمى كما كان الشأن فى العصور الوسطى بأسماء الأنهار التى تقع عليها، وقلما تستعمل الأسماء الروسية الرسمية حتى بين الروس أنفسهم «فالفلاح الروسى يقول دائماً توب بدلا من برى أبرازنسكايا Preobr-azenskaya وقزل صو، وهو تحريف لـ «كوزلتزيرس» بدلا من بكروفسكايا Pokr-owskaya، ويعود ازدهار القرى على الرغم من كثرة الزلازل إلى خصوبة التربة (انظر *Ozero Issyk-Kul Izem levie dieniel* : L. Berg، عدد نوفمبر ١٩٠٤) ؟

[بارتولد W. Barthold]

«إيشان» : لفظ فارسى يدل على ضمير الغائب فى صيغة الجمع. وقد استعملت هذه الكلمة فى لغة التركستان بمعنى «شيخ» أو «مرشد» أو «أستاذ» أو «پير» أى معلم (انظر مادة درويش). وهذه الكلمة تقابل كلمة «مريد». ولسنا نعرف متى وجد هذا اللفظ لأول مرة، على أنه ليس من شك فى أنه كان موجودا فى القرون الوسطى. فاسم إيشان نجده دائما وصفا «لخواجه أحرار» المشهور الذى توفى فى سمرقند عام ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م) وذلك فى سيرة حياته. ويتوارث الابناء عن آبائهم هذا اللقب.

ويعيش هؤلاء الشيوخ مع مريديهم فى «خانقـاه»، وينطق بها فى أواسط آسيا

« خنكه » ، وأحيانا عند ضريح أحد الأولياء. وأغلبهم يسافرون من وقت إلى آخر إلى السهوب حيث يكثر مريدوهم بين قبائل القرغيز ويتلقون منهم هدايا أعظم قيمة من الهدايا التي يقدمها إليهم أتباعهم من بين سكان الحضر . وقد استرعى أنظار الناس إلى هؤلاء الشيوخ الثورة التي قام بها أحدهم في فرغانة عام ١٨٩٨. ولكن المصنفات التي كتبت عنهم مازالت قليلة الغناء ؟

المصـــادر

(١) J. Geljer: *Materiali* [illegible] *izucheniju bitovich chert musul'manskago naselenija Turkestanskago k. aja. 1 Ishani (Sbornik materialov dlja statistiki Sir-Dar'inskoi oblasti, vol I* (٢) *Sbornik materialov po musul' manstvu* سانت بطرسبرج ١٨٩٩ (٣) Sat.ar-Chan: *Musul' manskie ishani* (*Pravoslavnij Sobesiednih, Sept 1895*) (٤) N. P. Ostronmov: *Sorti* الطبعة الثالثة ، طشقند ١٩٠٨ ، ص ٢٠٦ — ٢٧ (٥) Prince V.Masal'skij: *Turhestanskij krai* سانت بطرسبرج ١٩١٣ ، ص٣٥٥—٣٥٦ (٦) Fr.V. Schwarz: *Turkeston*-en-Breisgau ، ١٩٠٠ ، ص ١٩٨ .

[بارتولد W. Barthold]

« الإيطاء » اصطلاح في العروض معناه تكرار القافية لفظاً ومعنى ؟

المصـــادر

(١) ابن كيسان في كتاب Wright : *opuscula arab* ، ص ٥٩ — ٦٠ (٢) شيخو : علم الأدب ، بيروت ١٨٩٧ ، ص ٤١٣ (٣) Coupry: *Traité de versificatiou arabe* : ليبسك ١٨٧٥ ، ص١٨٥—١٨٩ (٤) الخزرجية ، ترجة وشرح باسيه R. Basset ، الجزائر ١٩٠٢ ، ص ١٤٩

[محمد بن شنب]

« إيلي » أو إيله نهر كبير في أواسط آســية . ويسمى بهذا الاسم بعد التقاء نهر تكس ونهر كنجس اللذان ينبعان من منحدرات تيان شان الشمالية . ويبلغ طول هذا النهر من نقطة التقاء نهري تكس وكنجس إلى مصبه في بحيرة بالخاش (انظر هذه المادة) نحو ٩٣٠ كيلومترا ، ويبلغ عرضه في بعض الجهات نحو كيلومتر واحد . والحوض الأعلى لنهر تكس والحوض الأسفل لنهر إيلا في امبراطورية الروس ، أما حوض كنجس والحوض الأسفل لنهر تكس والحوض الأعلى لنهر إيلي فهي في امبراطورية الصين .

ونهر إيلي له عدة فروع أهمها نهر كش في أرض الصين وچرين وچليك في أرض الروس . والنهيرات في أواسط آسـية أهم للري من النهر نفسه . ويفقد النهر أهميته للري بعد أن يخرج من الجبال ويجرى في السهل

المتسع ، وليس له فروع فى هذه المنطقـة . وعدد القنوات التى تستمد مياهها من نهر إيلى فى المنطقة الروسية قليل جدا . ومن هذه القنوات قناة أق جوغان التى تخرج من المجرى الأسفل من النهر على بعد ٢٥ كيلومترا تقريبا من المصب . وتشتغل قبائل القرغيز بالزراعة فى هذه المنطقة .

ويرد ذكر نهر إيلى لأول مرة فى تاريخ أسرة تانج الصينية (من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى) . وكانت إحدى الطرق الرئيسيـة الواصلة بين الصين والتركستان تخترق وادى إيلى فى ذلك العهد E.Chavannes *Document sur les Toukine (Turcs) occidentaux* ، سانت بطرسبرج ١٩٠٣ ، ص ١١ — ١٢) . وأقدم كتاب إسلامى ورد فيه ذكر هذا النهر هو كتاب « حدود العالم » (٣٧٢ هـ = ٩٨٢ — ٩٨٣ م) . ويذكر باسم «إيله فيه» وفى غيره من المصنفات الإسلامية التى كتبت بعده . ولسنا نعرف كيف ومتى وصل الإسلام إلى هذه الجهات. وفى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) كان يقال عن نهر إيله إنه حد العالم الإسلامى . ولم يفتح المسلمون البلاد التى شرق هـــذا النهر إلا فى عهد المغل . ويمكن الرجوع إلى ماده « قولجة » للوقوف على حكم المسلمين لهذه البلاد وعلى مدنية وادى نهر إيله فيما بين القرنين السابع والثامن (الثالث عشر ـ الرابع عشر الميلادى) وعلى إذهاب هذه الحضارة ثم على استعادة مجدها خلال القرون الأخيرة فى عهد القلموق والصينيين وعلى الحركة الإسلامية الأخيرة ونتائجها وتقسيم البلاد بين الروسيا والصين .

ومعلوماتنا التاريخية عن الأجزاء الأخرى من وادى هذا النهر قليـــلة . جداً واسم نهر كنجس يظهر لأول مرة فى تاريخ غزوات تيمور (ظفرنامه ، الطبعـة الهندية ، ج ١ ، ص ٤٨١ ؛ ورسم فيها الاسم كونكز) وظهر اسم نهر تكس حوالى هذا الوقت نفسه باسم « تكه » ورسم « يكه » فى أحد المخطوطات . وكانت القبائل الرحل تتخذ من وادى هذين النهرين مراعى لمواشيهم وتجعل لهما أهميـة كبرى من أجل ذلك . وطريق البريد الذى يعبر نهر إيلا فى الوقت الحاضر عند قرية إيليسكى فيسولوك . وفيها القنطرة الوحيدة المقامة فوق هذا النهر ، يكاد يقابل الطريق الذى وصفه ربروك Rubruk عام ١٢٥٣ . ويقول ربروك أن مدينة يقطنها عرب يتكلمون الفارسية سماها اكوييوس Equius كانت قائمة شمالى نهر إيله وجنوبى الجبال عند ممر التين إيمال (*Recueil des Voyages etc* ج ٤ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ ؛ F. Schmidt : *Uber Rubruks Reise* برلين ١٨٨٥ ، ص ٤٢) ويظهر من موضع المدينة التى وصفها ربروك أنها هى نفس المدينة التى كان يسميها فى ذلك الوقت الملك الأرمنى هيثوم Hethum باسم هانابليغ ويسميها الصينيون ايله بالى أو إيلى

بالى أى ايلى بالق ومعناها مدينة على نهر إيلي. (E. Bretschneider : *Medieval Resear-* ج ١، ص ١٦٩) . ويطلق الصينيون نفس هذا الاسم فى القرن الخامس عشر على مقاطعة ، ويقولون صراحة إنها خالية من المدن وإن سكانها كلهم من القبائل الرحل (نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٤٢) . ويخترق النهر عند أسفل طريق البريد سلسلة من الصخور السماقية على بعضها نقوش وصور بوذية ترجع إلى عهد القلموق (القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر) . ولهذا يسمى القرغيز هذه الصخور باسم تمغالى تاس أى الصخور ذات النقوش (N. Pantusow et A. Pozdnejew فى *Zapiski Vost. Otd.* *Arkh. Oshc.*, ج ١١، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ وعلى بعد ١٣٠ كيلو متراً إلى الجنوب من قرية ايليسكى فيسولوك يوجد مجرى نهر جاف هو نهر بكنس الذى يبدأ من النهر الحالى ويصل إلى بحيرة بالخاش فى ثلاثة فروع . ويقال إنه يوجد هناك آثار لقنوات قديمة وبقايا مبانى قديمة العهد (L. Berg فى *Izviestiya Imp. Russkago Geogr. Obshch*، ج ٤٠، ص ٥٩٠) . ولا يمكننا القطع بنسبة هذه الآثار أو الحكم على عهدها لأن المصادر على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا قد أغفلت الكلام عنها إغفالا تاماً . ولم تكشف حتى الآن نقوش فى هذه الجهة .

ونهر إيلى شأنه شأن أنهار أواسط آسية لا يصلح كثيراً للملاحة بالرغم من الجهود التى بذلت فى سبيل ذلك . انظر مثلا الرحلة التى قام بها برج L. Berg (كتابه المذكور آنفاً ، ص ٥٨٨ — ٥٨٩) على نهر إيلى من قرية ايليسكى فيسولوك إلى بحيرة بالخاش سنة ١٩٠٣ م .

المصادر

نذكر إلى جانب المصادر الواردة فى صلب المقال Yule : *Cathay and the way thither* ج ١، ٢، ٣، ٤ .

[بارتولد W. Barthold]

« أَيِّل » (انظر الكلمة العبرية أَيَّال) : حيوان ثدىى له قرون تشبه الشجرة وصفها الدميرى فقال : « وهذا الحيوان لا تنبت له قرون إلا بعد مضى سنتين من عمره ، فإذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين ، وفى الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب فى زيادة إلى تمام ست سنين فحينئذ يكونان كالشجرتين فى رأسه ، ثم بعد ذلك يلقى قرنيه فى كل سنة مرة ثم ينبتان ، وعدد سنى عمره عدد العقد التى فى قرنه ، وهو إذا خاف من الصياد يرمى نفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك . ويصاد بالصفير والغناء . والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فإذا رأوه قد استرخت أذناه أخذوه .

ما هو الأيل على الحقيقة ؟ إن الوصف

■ إيلتتمش » شمس الدين : هو مولى قطب الدين أيبك (انظر هذه المادة) الذى زوجه من ابنته وولاه على حكم بداءون (انظر هذه المادة) . وبعد أن توفى قطب الدين أيبك عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) خلفه فى الحكم آرام شاه ابنه بالتبنى ، ولكن بعض وجوه قومه تآمروا عليه واستقدموا إيلتتمش إلى دهلى ، وسار آرام شاه بجيوشه من لاهور لملاقاة إيلتتمش ولكنه هزم ويظهر أنه قتل .

وكان لابد لإيلتتمش من القضاء على الزعماء الذين كانوا ينافسونه فى الملك قبل أن يستتب له الأمر . ففى عام ٦١٨ هـ قضى على المحاولة التى قام بها جلال الدين المنكوبرتى (انظر هذه المادة) لاقامة دولة فى الهند . ثم قام بعد ذلك بعدة غزوات موفقة بسط بها ملكه إلى أن اشتمل على لكهنوتى عام ٦٢٢هـ والسند عام ٦٢٥هـ وكواليور عام ٦٣٠ هـ . وأخضعت الغزوة التى فتح فيها مالوه عام ٦٣١ — ٦٣٢ هـ كل الهند لسلطانه شمال جبال وندهايه . وكان أول أمير هندى مسلم اعترف به خليفة بغداد المستنصر بالله . ولقب نفسه فى السكة التى ضربها وفى النقوش بعد عام ٦٢٦ هـ بلقب ناصر أمير المؤمنين . وأكمل البناء العظيم المسمى « قطب منار » ذلك البناء الذى كان قد بدأه سلفه ؟

المصـــادر

(١) منهاج سراج : طبقات ناصرى ، ترجمة رافرتى H. G. Raverty ، انظر الفهرس (٢) Elliot-Dowson : *History of India* ، انظر الفهرس (٣) E. Thomas : *Chronicles of the Pathan Kings of Dehli* ص ١٤ وما بعدها (٤) S. Lane. Poole : *Mediaeval India* ص ٧٠ وما بعدها (٥) J. Horovtz : *The inscriptions of Iltutmish* فى *Epigrophia Indo-Moslemica* عام ١٩١١ — ١٩١٢

■ إيلچى » والأصح آلچى : كلمة تركية تتألف من مقطعين الأول « ال » ومعناها السلم أو التحالف والثانى « چى » ومعناه رسول السلام أو سفير أو وزير مفوض . وكلمة « إل » بمعنى « السلم » التى توجد عند المغل والمانچو توجد كذلك فى كتاب قصص الأنبياء لربغوزى Rubghuzi ص ٥ ، ص ١٠ وفى كتاب قوتادغو بيليك Kutadghu Bilig ص ١٥٤ ، س ١٠ (Radloff : *Wörterbuch* ج ١ ، ص ٨٢٦) . وقد فرق الترك بين كلمة « بيوك إيلچى » ومعناها سفير وكلمة « إيلچى مرخص » ومعناها وزير مفوض و « أورته إيلچى » ومعناها وزير مقيم . والألقاب السياسية المستعملة الآن حددتها معاهدة فينا وهى : سفير كبير بدلا من « بيوك ايلچى » وسفير بدلا من « إيلچى مرخص » . وليس فى الدولة العثمانية لقب وزير مقيم . وللترك سفارات فى باريس ولندن وبتروغراد وبرلين وروما وفينا وطهران . وأطلق اسم « بيوك

إيلچى » على السفراء المفوضين لدى الباب العالى وحده ، ولقب « أورته إيلچى » على الوزراء المفوضين (سالنامه، طبعة عام ١٣٢٥ ، ص ١٠٧٢ ، ١٠٧٨) . وكان استقبال السلطان فيما مضى لهؤلاء السياسيين يتم فى احتفالات عظيمة ، أما اليوم فهم يقنعون باتباع العرف الأوروبى المألوف . فعند ما أوفد فرديناند أمير النمسا فى سنة ١٥٣٠ نيقولا چوريسستز وچوزيف فون لامبرج فى مهمة إلى السلطان ذهب خمسون مندوباً « چاوش » لاستقبالها على بعد نصف فرسخ من القسطنطينيــة وأخذوهما إلى «إيلچى خان» أى فندق السفراء الذى لا تزال آثاره باقيـة فى القسطنطينية ، وحجزوهما فى هذا الفندق بأمر السلطان ، وحرصوا على ألا يعوزهما شىء . وبعد ثلاثة أسابيع استقبلهما السلطان فى احتفال بالغ، فكان حرس السلطان «صولاق» يضعون على رؤوسهم قلانس مذهبة ووقف ثلاثة آلاف من الانكشارية أمام قاعة الديوان حيث كان فى انتظارهما الصدر الأعظم واثنان من الوزراء وبيكلربك الروملى وقاضيا العسكر والدفتردارون الثلاثة ووزير الخارجية (رئيس أفندى) . ثم قدمهما إلى سليمان القائد الأعلى للجيش وكبير الحجاب .

وأول مبعوث مثل الباب العالى فى فينا سنة ١٥٣٣ كان « چاوش[1] » ومعناها رسول الدولة أو حامل البريد . واستمر الحال على أن يمثل السلطان فى البلاد الأجنبية هذه الطبقة من صغار الموظفين . وفى سنة ١٦١٦ أرغم قاضى غلطة ، وكان زنجياً ، السفراء على دفع الخراج (كانت كلمة الخراج تستعمل عادة فى ذلك الوقت مرادفة للجزية (انظر Meninski : *Lexicon*) . وكان لابد من إحضار نص الامتيازات ليتمكن الصدر الأعظم من إلغاء حكم هذا القاضى . وأول ذكر للبعثات فى حوليات الدولة العثمانيـة كان فى حوادث سنة ١٠٧٦هـ (١٦٦٥م) عند ما أوفد السلطان محمد الرابع بعثة كان من بينها أوليا أفندى ومنسكى Meninski . وقد ذكر فون هامر فى آخر كتابه عن تاريخ الدولة العثمانيــة (*Histoire de l'Empire Ottoman* ، جـ ١٧ ، ص ١٣٤ وما بعدها) قائمة بالسفارات التى كانت لدى الباب العالى أو التى أرسلها الباب إلى الخارج حتى صلح قاينارجه .

وكان للفرس وحدهم سفيراً فى القسطنطينية (سفير كبير) . وكان يمثلهم فى غير تركية وزراء مفوضون ومبعوثون فوق العادة (وزير مختار وإيلچى مخصوص) يمثلونهم فى انجلترا وألمانيا وهولندا والروسيا وفرنسا والنمسا ؟

(١) تدل هذه الكلمة على رتبة عسكرية فوق رئيس العشرة وتحت الملازم الثانى . وهى تدل فى تأريخ الدولة العثمانية على حارس خاص (ياور) وناظر الدعاوى وموظف يعمل فى رفقة قائد الجيش فى نقل الأوراق وتبليغ الأوامر (أمر چاوشى) وكان يطلق على السفير والمشير والحاجب (چاوش باشى) .

حمزه طاهر

المصـــادر

(١) Ricaut : *Present State of the Ottoman Empire*، ترجمة بريو Briot ، ص ٢٦٨ وما بعدها (٢) Von Hammer : *Histoire de l'Empire Ottoman*، ج ٣ ، ص ٢٤٥ ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ، ١٧٩ ، ج ١١ ، ٢٧٥ .

[Cl. Huart هيوار]

« الإيلخانية » أسرة مغلية استوطنت فارس بين القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث والرابع عشر الميلاديين) . ويمكن الرجوع إلى مادة « هولاكو » فيما يتعلق بتأسيس إمبراطوريتهم ومعنى لقب سلاطينهم وإلى المواد « أباقا » و« أرغون » و« كيخاتو » و « بايدو » و « غازان » و « أبى سعيد » فيما يتصل بأمرائهم المتأخرين . وبموت هذا الأخير فى الخامس عشر من ربيع الثانى عام ٧٣٦ (٣٠ من نوفمبر ١٣٣٥) انقرض الفرع الرئيسى لهذه الأسرة بانقراض الذكور وكان لا يزال يوجد إلى عام ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ — ١٣٥٤م) أمراء عديدون وأميرة واحدة هى «ساتى بك» وهى أخت أبى سعيد (٧٣٩ — ٧٤٠ هـ) ولكن أكثرهم انحدر من فروع جانبية . وقد اعتلوا العرش بيد أنه لم يعترف بهم بإجماع الآراء . ويجعل بعض المؤرخين الجلائرية من الايلخانية . والحق أنهم لا ينتسبون إليهم إلا عن طريق النساء ، فإن حسنا مؤسس هذه الأسرة كان حفيداً لأرغون من ناحية أمه .

وكانت تشمل دولة الإيلخانيـــة عند تأسيسها جميع البلدان الممتدة بين نهر جيجون والمحيط الهندى ومن السند الى الفرات مع جزء كبير من آسية الصغرى وبعض أقليم القوقاس ، ثم فقدت بعد ذلك بعض أملاكها كما ناحية الشرق أخذها الجغتـاى . ومن ناحية أخرى نجد أن الأسر الحاكمة التى كانت تحتفظ بجنوب فارس وآسية الصغرى اكتسحت تدريجاً وحل محلها ولاة من قبل الإيلخانية — وفشلت المحاولة التى قاموا بها لأخذ الشام من سلطان مصر . وكان عهد الإيلخانية فى فارس ذاتها على الرغم مما جرت إليه الغزوات المغلية وسوء إدارة معظم الحكام عهد تقـــدم وازدهار من عدة وجوه . وبعـد أن اعتنق الفـاتحون الذين كان يقودهم غازان خان الإسلام نهائياً أنشئت مدن جديدة فى عهدهم فوسعت تبريز وأسست مدينـة سلطانية كما شيدت بنايات فخمة مثل ضريح الخان ألجايتو فى سلطانية .

ومن الطبيعى أن حكام المغل لم يهتموا كثيراً بالفقه الإسلامى أو الأدب الدينى ، ولـكننا نجد من جهة أخرى أن كتابة التاريخ فى فارس تقـدمت بتشجيعهم إلى درجة لم تـكن معروفة من قبل ، ولذلك فإننا نعرف عن هذا العهد أكثر مما نعرف عن حوادث العهود السابقة له . وشجعوا من العلوم الفلك والطب والرياضيات .

المصـــادر

(١) D'Ohsson: *Histoire des Mongols* ج ٣ ، ج ٤
(٢) Hammer - Purgstall: *Geschichte der Ilchane* فى مجـــلدين (٣)
Howorth: *History of the Mongols* الجزء الثالث (٤) Quatremère: *Mémoire sur la vie et les ouvrages de Raschid-eldin (Histoire des Mongols de la Perse, écrite en persan par Raschid-eldin, Paris 1836)* (٥) E. Blochet: *Introduction à l' histoire des Mongols par Fadl Allah Raschid ed-Din* ، ليدن — لندن ١٩١٠
(٦) W. Barthold فى *Mir Islama* ١٩١٢ ، ص٥٦ وما بعدها (٧) K. Sussheim: *Das Geschenk aus der Saldschukengeschichte etc* ، ليدن ١٩٠٩ ، المقدمة (٨) Barthold: *Persidskaya nadpis na stienie Anyskoi mecheti Manuche* سانت بطرسبرج ١٩١١

[W. Barthold بارتولد]

« إيلدكز » : شمس الدين أتابك أذربيجان . كان من موالى الوزير السلجوق السميرمى الذى قتل فى سنة ٥١٥ أو ٥١٦ هـ (١١٢١ أو ١١٢٢ م) ، ثم أصبح بعد ذلك من موالى السلطان مسعود الذى ولاه حكم أرّان فأصبح بعد ذلك أميرا من الأمراء المقدمين فى الدولة .

وقد تصرف إيلدكز فى حكم إقليمه الواسع تصرف الحاكم المستقل دون أن يعبأ كثيرا بإرادة مولاه السلجوق . وهيأ له زواجه من أرملة السلطان طغرل الأول فرصة مناسبة للدفاع عن أرسلان شاه ابن زوجته فرفعه إلى عرش السلاجقة فى سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) ، وأصبح إيلدكز أتابك له . وحاول بعض الأمراء مثل إنانج أمير الرى وزنكى أمير فارس أن يقيموا على عرش السلاجقة محمدا أخا أرسلان شاه ، ولكن جيوشهما لم تكن تقوى على الوقوف فى وجه إيلدكز وانتهت خطتهما بالفشل الذريع . وتخلص إيلدكز من خصمه المشاغب إنانج بأن قتله ، وأعانه على ذلك الوزير سعد الدين أسعد الأشل فكافأه إيلدكز على خدماته بأن جعله وزيرا لابنه بهلوان .

وأشعل إيلدكز حربا عنيفة ضد الكرج مرات عدة (انظر ماذكره ابن القلانسى ، طبعة أمردروز Amerdroz ، ص ٣٦١ وما بعدها) ؛ وقد أصبح بذلك الحاكم الفعلى لإمبراطورية السلاجقة ، ووطد حكم أسرته فى أذربيجان . ويروى ابن الأثير أنه توفى فى همذان سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) فى نفس الشهر الذى ماتت فيه زوجته أرملة طغرل . وإذا كان الضريح الموجود فى نقجوان الذى وصفه هارتمان (انظر : *Deutsche Bauzeitung* ،

١٨٩٩ ، ص ٢١) هو ضريح هذه الأميرة فإن اسمها يكون « مؤمنة خاتون » . ولكن ما ذهب إليه هذا الكاتب من أن إيلدكز هو الذى أقام الضريح يتناقض مع التاريخ المنقوش عليه وهو سنة ٥٨٢ هـ . ولا يدل لقب « شمس الدين » على شىء فى هذا الموضوع لأنه كان لقباً أيضاً لإيلدكز ابن بهلوان (انظر العوفى : لباب الألباب ، طبعة براون Browne ، جـ ١ ، ص ٣٥٦ وما بعدها) . ويقول دولتشاه (طبعة براون ، ص ١١٧) إن إيلدكز وزوجته دفنا فى همذان ؟

المصـــادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ١١ ؛ انظر الفهرس (٢) تأريخ كزيده ، طبعة براون ، ص ٤٧٢ (٣) ميرخواند : روضة الصفا ، طبعة لكنهؤ ، ١٨٩١ ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ وما بعدها = *The History of the Atabaks of Syria and Persia* ، طبعة مورلى Morley ، ص ١٠ وما بعدها .

« الإيلكخانية » [الدولة] : أسرة تركية فى آسية الوسطى حكمت من القرن الرابع الى القرن السابع الهجريين (العاشر إلى الثانى عشر الميلاديين) ، وقد دانت لها البلاد شمالى جبال تيـــان شان وجنوبيها ، وانحدر منها أول غزاة من الترك لبلاد ما وراء النهر فى العهد الإسلامى . وألف لأمير من أمراء هذه الأسرة أول كتاب فى الآداب الإسلامية باللغة التركية، وهو «قوداتقو بيليك» أو «قوتادغو بيليك» الذى تم تأليفه حوالى عام ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م — ١٠٧٠ م) . وتعرف هذه الأسرة فى كتب التاريخ الفارسى باسم « آل أفراسياب » و «خانات التركستان» فى بعض الأحيان . أما أمراء إيلك أو إيلكخانية فهو لقب خاص بهذه الأسرة نقله بعض العلماء الأوروبيين من المسكوكات . ولم يكن يحمل هذا اللقب جميع حكامهم ، ولا ذكر له على ما يظهر فى الكتب الإسلامية المتقدم منها والمتأخر . ومن المحتمل أن هذا اللفظ كان لقباً لأمراء الترك من المشارقة (اقرأ هذه العبارة « إيلك خان مشيخه » فى نص نشره موللر F.W Müller فى *Uigurisca* ، برلين ١٩٠٨ ، ص ٦) . ولسنا على يقين من نطق هذا اللفظ واشتقاقه ، فنحن نجد عند المؤرخين ، وكذلك على السكة ، إيلك ، وإيليك أحياناً ، وإلك (فى كتاب «قوتادغو بيليك» الذى لا يزال مخطوطا بالخط الاويغورى نجد رسم اللفظ هكذا : ألك أو إليك ؛ وفى المخطوطات العربية وفى مخطوط بالقاهرة وفى كتاب تمنجان الذى اكتشف مخطوط منه حديثا فى فرغانة يرسم هكذا : إيليك ؛ انظر Radlull : *Worterbuch* ، جـ ١ ، ص ٨١٦ ، وقد جاء فيه أن هذا اللفظ لو كان ينطق إلك فإنه يكون قريب الصلة بلفظ إيلك ومعناه الأول) .

ولقد كان نصر بن على فاتح ما وراء النهر

المتوفى عام ٤٠٣ هـ (١٠١٢ — ١٠١٣ م) يُلقب بالإيلك أو الإيلكخان وحذا حذوه أمراء ما وراء النهر الذين أتوا بعده (البيهق ، طبعة مورلى Morley ، ص ٦٣١) وخاصة فى المدة التى كانوا فيها تابعين اسميا الخانات كاشغر، وكثيراً ما استعمل لقب الخان والجمع خانيه ، أو إيلك (البيهق ، ص ٨٩٤ وما بعدها) وعلى هذا فالإيلك ليس هو الخان ، وإنما هو أمير تابع للخان ، أما الإيلك الذى ورد ذكره فى كتاب قوتادغو بيليك على أنه رمز العدالة فليس خانا ولكنه بك فقط. ولما اتخذ أمراء سمرقند لأنفسهم لقب الخانية وأقاموا دولة مستقلة أختفى لقب إيلك من سكتهم ، وقد ذكر لفظ إيلك لآخر مرة حوالى عام ١١٦٠ م على أنه لقب صاحب بلاساغون .

والمصادر التاريخية عن أسرة أفراسياب قليلة جداً ، ولذا كان من الصعب تعيين حدود مملكتهم والإمارات التى تتألف منها، وكذلك تواريخ حكمهم ، كما أن السكة لم تعيننا على تحقيق الكثير من تاريخهم . ولم يكن يحكم المملكة فى الواقع رجل واحد إذ كانت تثور بين أمراء هذه الأسرة المنازعات التى لا تقمع إلا بإعمال السيف والاستعانة بالممالك الأخرى فى أغلب الأحيان، وكان الغزنويون أول من استغل هذا النزاع ثم استغله سلاطين السلاجقة وقد تمكن آخرهم ملكشاه وابنه سنجر من بسط نفوذهما على أمراء سمرقند وكاشغر ، وانتقل هذا النفوذ بعد وقعة عام ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) إلى قره ختاى الوثنى (انظر هذه المادة) . وكان السبب فى سقوط هذه الدولة فيما وراء النهر عام ٦٠٩ هـ (١٢١٢ — ١٢١٣ م) وفى سمرقند حوالى ذلك الوقت قيام السكان المسلمين بالثورة ضد قره ختاى وما نتج عن هذه الثورة من قتال ؟

المصـــــادر

(١) B. Dorn : *Über die Münzen der Ileke oder ehemaligen chane von Turkistan* ، جـ ٨ ، ص ٧٠٣ — ٧٠٤ ، *Mélanges Asiatiques* جـ ٩ ، ص [illegible] — ٥٦ وفى هذا الكتاب مصادر عن تلك البلاد حتى عام ١٨٨٠

(٢) Radloff : *Das Kudatku Bilik in Transcription herausgegebn* ، سانت بطرسبرج ، المقدمة ، ص ٧٨ — ٧٩

(٣) F.Grenard : *La legende de Satok Boghra Khan et l'histoire* ، المجلة الآسيوية ، المجموعة التاسعة ، جـ ١٥ ، ص ٥ — ٦

(٤) W.Barthold : *Turkestan v. epokhu mongolskago noshestviya* ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧

[بارتولد W. Barthold]

« أيلة » اسم ميناء فى الزاوية الشمالية الشرقية من خليج العقبة ، على خط عرض ٢٩° ٣٠َ شمالا وعلى خط طول ٣٥° شرق جرينوتش . وهى قائمة شمالى ظهر جبل أم نصيلة المنحدر انحداراً شديداً . والاسم العربى

أيلة أو ويلة يقابل الاسم العبرى إيليم ، إيلات إيلوت ، وهو بالآرامية إيلون أو إيلونا ، وباليونانية Αἰλάθ, Αἰλὼν Αἰλείμ, Ἠλαθούς Αἴλαν, Ἐλάνα, Αἴλανα, Αἰλάνη Αἰλάς, Αἴλα, Ἥλια, وباللاتينية Ailath, Aelath, Aelana, Leena, Helim, Aila .

وكانت أيلة فى القرون القديمة وفى القرون الوسطى كذلك ، لها شأن عظيم فى التجارة البحرية وفى تجارة القوافل لأن موضعها فى أقصى خليج العقبة كان ملتقى القوافل التى كانت تذهب من مصر إلى أواسط بلاد العرب وكذلك القوافل التى كانت تتجه من الموانىء الفينيقية الفلسطينية إلى جنوب بلاد العرب . ولهذا جعل بنو إسرائيل الاستيلاء عليها نصب عيونهم عند ما كانوا يكافحون لبسط سلطانهم ، ونجح داود الذى أخضع أيدوم كلها فى فتح أيلة . وفقد سليمان الجزء الشرقى من أيدوم حتى حداد ولكن الجانب الغربى منها ظل جزءاً من مملكة يهوذا التى ظلت فى حوزته ، واستعان بالفينيقيين على بناء سفن تجارية فى أيلة (انظر سفر الملوك الأول ، إصحاح ٩ ، فقرة ٢٦ وأخبار الأيام الثانى ، إصحاح ٢٦ فقرة ٢) ولا نجد ذكراً لهذه المدينة بعد وفاته. وظلت أيلة زمناً ما تابعة لدولة يهوذا وأقام عزيا فيها الحصون (انظر: سفر الملوك الثانى ، إصحاح ١٤ ، فقرة ٢٢ ، أخبار الأيام الثانى ، إصحاح ٢٦ فقرة ٢) ولكنها سقطت بعد ذلك فى يد أهل أيدوم ثم استولى عليها القبط .

وفى سنة ١٠٥ م استولى الروم على أيلة وضموها إلى ولايتهم العربية . ونجد هذه المدينة تذكر فى مستهل القرن الرابع الميلادى باعتبارها جزءا من ولاية فلسطين وبوصفها معسكرا لفرقة من الجيش ويرجع هذا إلى أن الطرق الحربية كانت تصل بينها وبين سورية وفلسطين .

واستقرت المسيحية فى أيلة فى عصر متقدم ، فإن بطرس أسقف أيلة كان من بين من وقعوا قرار مجمع نيقيــــة . وعند ما تضعضعت قوة بوزنطة على تخوم أيلة كسدت تجارتها لأن أيلة والبـــلاد المحيطة بها كانت خاضعة لنفوذ الأمراء من بنى غسّان .

وفى العام التاسع الهجرى (= ٦٣٠ م) صالح يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة — ويقول المسعودى إنه كان أسقفها — النبى على جزية قدرها ٣٠٠ دينار وكان ذلك فى غزوة تبوك .

ولقاء هذا لم يصب المدينــة أى ضرر على يد جيوش المسلمين ، بل انتشر فيها الرخاء .

ولما أصبحت الميناء غير صالحة للملاحة نقلت إلى الجنوب من موقعها الأول وأقيمت المدينة فى هذه الجهة . وهجر الناس أيلة القديمة منذ القرن التاسع أما مدينة ويلة الجديدة وأسمها مشتق من « أيلة » فكانت فى عهد الخلفاء مركزا للثقافة العقلية والثقافة المادية .

وأمر أحمد بن طولون (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ — ٨٨٣ م) بإنشاء طريق جديد على

حافة جبل أم نصيلة بدلا من طريق القوافل القديم الذى كان ضيقا محصورا بين منحدر الجبل من ناحية وبين البحر من ناحية أخرى، فكانت تطغى عليه الأمواج فى أغلب الأحيان. وسمى هذا الممر العميق « عقبة أيلة » نسبة إلى المدينة التى كانت تجاوره.

وأراد الصليبيون أن يبسطوا سلطانهم على البحر الأحمر أيضا فظهرت جيوشهم فى أيلة سنة ١١١٦ وضموها إلى الإقليم الذى كان يحكمه « كراك دون مونتريال » Crac don Montreal ، وأقاموا الحصون فى جزيرة صغيرة أمام أيلة وأنشأوا فى المدينة نفسها حصنا صغيرا فحصروا بذلك الاتصال بين مصر وبلاد العرب (سورية). ولهذا كان لابد لصلاح الدين من استعادة المدينة والجزيرة فأرسل عمارة من السفن إلى خليج أيله، نقل أخشابها مفككة على ظهور الإبل ثم حاصر المدينة والجزيرة واستولى عليهما سنة ١١٧١. وحدثت حادثة شبيهة بهذه عند ما نقل رجنالد أمير حصن الكرك عمارة من السفن إلى هذه الجهة وحاصر بها حامية المسلمين فضيق الخناق عليهم. وفى هذا الحصار دمرت حصون الجزيرة وهدم جانب من المدينة ولكنها سرعان ما استعادت مجدها فى عهد حكام حصن الكرك من بنى أيوب ومن المماليك.

وكانت الفتن التى نشبت فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر سببا فى القضاء على تجارة أيلة وفى دمار المدينة نفسها وبقى منها فقط القلعة الموجودة على أرض القارة لتحمى العقبة طريق الحجاج الوافدين من مصر. وسميت المدينة بعد ذلك باسم العقبة فقط وأسقط من التسمية اسم أيلة.

والعقبة فى الوقت الحاضر من أعمال الحجاز وهو ولاية تركية [١]، وليست من أعمال الشام. وقد اتصلت المواصلات البرقية أخيرا بينها وبين معان دمشق وهى مقر محافظ (شريف) يخضع لوالى جدة.

وفى سنة ١٨٩٨ م كان فى العقبة نحو ٥٠ كوخا يبدو عليها البؤس والفاقة أقيمت على سهل كلسى بين جبل أم نصيلة والبحر. وفى نصف القرية الجنوبى تقوم القلعة المربعة ويحيط بها خيام على شكل نصف الدائرة، وفيها حامية قوامها ٢٢٠ جنديا. وترسو السفن التركية فى هذا المكان مرتين أو ثلاثا كل سنة لتسرح الجنود أو لتمدهم بالمؤونة. وجو هذه البقعة غير صحى ومياه ينابيعها العديدة القريبة من البحر ملحة تنشر الحميات.

ويعيش سكانها فى الغالب على التجارة وعلى الزراعة أيضا فى حالات قليلة، وهم يزرعون أشجار النخيل. ويملك زعماء البدو

(١) كان هذا وقت كتابة المقال، ولا يخفى أنه كان من نتائج الحرب العظمى أن استقل الحجاز وأصبحت العقبة تابعة لامارة شرق الأردن.

نحو ٣٥٠٠ نخلة على مقربة من العقبة وهم يدفعون لسكان القرية نحو نصف محصولها أو ثلثيه أو ثلاثة أرباعه لقاء زرعها، ولا يصاد السمك في هذا المكان، ولم يكن في سنة ١٨٩٨ سفينة واحدة في القرية كلها.

ولم يبق من آثار أيلة إلا القليل على بعد ميل وربع ناحية الشمال. وفي الجنوب الشرقي من هذه الآثار يوجد الآن شجرة سيال (سياله جرى) يقدسها الناس ويعتقدون أن روحا تسكنها. وهذا شيء جدير بالملاحظة فإن اسم أيلة القديم وهو إيلاث ومعناها شجرة مقدسة يظهر أنه نسبة إلى هذه الشجرة؟

المصـــادر

(١) Musil : *Arabia Petraea*، ج ٢، ص ٣٠٥ وما بعدها و ج ٢ (١)، ص ٢٥٦ وما بعدها و ج ٢ (ب) ص ١٨٧ وما بعدها وج ٣، ص ٤٧.

[موسيل A. Musil]

« أيلول » : اسم الشهر الثاني عشر في التقويم السوري، انظر مادة « تأريخ »

« إيليا » : انظر مادة « القدس »

« أيماق » : كلمة في اللغـــة التركية الشرقية وفي لغة المغل تستعمل في الغالب مرادفة لكلمة « ايل » في اللهجات التركية.

وهاتان الكلمتان معناهما « قبيلة » ولكنهما تستعملان أيضا للدلالة على مجموعة كبيرة من القبائل يجمع بينها اتحاد سياسي. وبلاد المغل الشمالية (خلخا) تنقسم إلى أربعـــة «أيماقات» تبعا للخانات الأربعة [تشيتوخان، تسترن خان، سين نيون وتزاسكتوخان]. وفي أفغانستان تسمى أربعة قبائل من الرحل باسم چار أيماق أي « الأيماقات الأربعة » وهذه القبائل هي : جمشـــيدي وهزاره وفيروزكوهي وتيماني؟

[بارتولد W. Barthold]

« إيمان » : الفكرة الأصلية في معنى كلمة «أمن» هي راحة العقل والطمأنينة من الخوف (انظر الراغب، المفردات، ص ٢٤؛ لسان العرب، ج ١٦، ص ١٦٠، س ١—٦). وعلى هذا فكلمة «آمن» يمكن أن يكون معناها جعله في أمان أو صدق بشخص أو شيء. والمعنى الديني لكلمة الإيمان هو :—

(١) التصديق أو الاعتقاد في الله وفي النبي ورسالته.

(٢) تصديق ما اشتملت عليه الرسالة.

وينقسم أول هذين الاستعمالين ثلاثة أقسام (انظر الغزالي، الإحياء، الكتاب الثاني، الفصل الرابع).

١) ويفرّق[1] القرآن أحيانا بين الإيمان

(١) من الأمور المقررة أن الفرق بين الايمان والاسلام عند أهل السنة هو الفرق بين العام والخاص والايمان لا يحصـــل إلا بالقلب وقد يحصـــل باللسان،

والإسلام ولا يفرّق بينهما أحيانا ، وعبارته فى صلتهما بالعمل الصالح مبهمة . واختلف علماء الكلام بعد ذلك فيهما ، مما يظهر أثره فى الأحاديث . ولهذا نجد أن اصطلاح الفقهاء على معنى الإيمان يناقض اصطلاح المتكلمين . وفى الحديث أن النبى قال : يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان . ولكن ما معنى الإيمان هنا ؟

يقول البعض إنه عقد بالقلب ، وأضاف آخرون إلى هذا ، الشهادة باللسان ، وزاد غيرهم شيئا آخر هو العمل بالأركان ، . قال بالرأى الأول الأشاعرة والماتريدية ، وقال الأحناف بالرأى الثانى ؛ أما الثالث فهو قول الخوارج . وذهب القرامطة إلى أن الإيمان هو ، التصديق باللسان ، لاغير ؛ أى ، الاقرار ، وهذا هو الإسلام فى أضيق معانيه . وقال غيرهم كالجهمية مثلا وهم فرقة من الجبرية : إن الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله ورسله وبكل ما يجب فى العقل فعله . وانتهى أهل السنة إلى رأى فى الايمان يقولون كعادتهم إنه كان رأى السلف ؛ وهو أن الإيمان هو التصديق بالقلب أى الاعتقاد (انظر هذه المـــادة) والإقرار باللسان والعمل الصالح . والإقرار باللسان أقل درجات الإسلام ، ومن صدق بقلبه وأقر بلسانه وعمل صالحا دخل الجنة .

ويذهب المعتزلة إلى أن صاحب الكبيرة إن كان مسلما مصدقا بقلبه ومات قبل التوبة فلا هو بالمؤمن ولا هو بالكافر ، وإنما هو فاسق يخلد فى النار . ويوافقهم الخوارج على الحكم الأخير ، ولكنهم يذهبون أيضا إلى أن كل معصية يخلد صاحبها فى النار . وأهل السنة يسمون صاحب الكبيرة فاسقا أيضا ولكنهم يقولون إن نهايته إلى الجنة ؛ لأن أصحاب الكبائر من المؤمنين ستطهرهم النار ولن يخلدوا فى الجحيم . وهم يرون أن العمل الصالح ليس من أركان الإيمان بل هو مزيد عليه .

أما المرجئة فهم فى جانب آخر . نشأت فرقتهم فى صدر الإسلام عند ما اختلف السلف الصالح فى أمر من كان مسلما باللسان دون العمل ، قال الخوارج فى صراحة إنه كافر ، أما المرجئة فآثروا أن يؤخروا الحكم عليه إلى أن يكشف الله ما فى غيبه ، وقالوا بإسلام من اعترف بأنه على الإسلام . وتلك مسألة أقرها الإسلام فى صيغ مختلفة ومراتب متفاوتة . فكل من عبد الله ميمما وجهه شطر القبلة وجب أن يعد مسلما دون اعتبار لأى شىء آخر . وتطرف متأخرو المرجئة فى هذا

والاسلام أعم ، لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ، ولا يكون أمراً آخر غيره مثال ذلك : الحيوان أعم من الانسان ، ولكن الحيوان فى صورة الانسان ليس أمرا ينفك عن الانسان ، والعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود ، وعلى ذلك صح القول بأن المسلم أعم من المؤمن وإطلاقه العام على الخاص لامانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما . والمطلع على القرآن والسنة يرى أنهما مملوءان بالأدلة على أن الايمان مقرون بالعمل الصالح

جاد المولى

الأمر إلى أن أصبح بدعة منكرة : قالوا إن الإيمان هو التصديق بالقلب ولا ينفع مع الكفر العمل الصالح ، ولا يضر مع الإيمان المعصية (انظر Van Vloten : *Irdja* في *Zeitschr. d. Deutsch. Morg. Gesell.* ج ٤٥ ، ص ١٦١ وما بعدها و Goldziher : *Vorlesungen index sub Murdschia*)

بقيت مسألة هي : ما حكم المسلم الذي يقرر بلسانه ويقوم بالعبادات والأعمال الظاهرة شأنه في ذلك شأن المسلمين، دون أن يؤمن بقلبه . أما مثل هذا فقالوا إنه منافق غير مؤمن . وينبغي أن تتذكر هنا أن الطاعة والعمل الصالح في الإسلام إنما يقصد بهما الطاعة للعبادات .

٢) هل يزيد الإيمان وينقص ؟

ورد في القرآن كثيرا ما يدل على أن الإيمان يزيد ، وقال السلف إن الإيمان يزيد بأعمال الطاعات وينقص بارتكاب المعاصي وذهب متأخرو المسلمين إلى أن التصديق لا تقع فيه الزيادة والنقصان وأن العمل الصالح ينبغي ألا يعد جزءا منه أو مؤثراً فيه بالضرورة ولكنه يعتبر شيئا زائدا على التصديق وبهذا يزيد في قيمته . وعلى خلاف ذلك المعاصي فإنها تقلل من قيمته التصديق وإن كان هو لا يزيد ولا ينقص . وقول النبي « مثقال ذرة من إيمان » يشير إلى أن قيمة الإيمان قد تتفاوت . وقد أوضح الغزالي هذا الأمر توضيحا نفسيا (بسيكولوجيا) صادقا وكسى عبارته طلاوة وجمالا وبين كيف أن العمل الصالح يزيد في الإيمان . ولكن المسألة ظلت مع هذا من مسائل الجدل اللفظي: فالذين قالوا إن الإيمان هو التصديق والعمل ذهبوا إلى أنه يزيد وينقص . والذين قالوا إنه التصديق فقط ذهبوا إلى أنه لا محل فيه للزيادة والنقصان .

٣) وهناك بحث آخر

اختلفوا في : هل يقول الشخص « أنا مؤمن إن شاء الله » أم يقول « أنا مؤمن » من غير عبارة المشيئة ؟ وكذلك اختلفوا في : هل يقول الشخص « أنا مؤمن حقا » أم يقول « أنا مؤمن عند الله » ؟ وقد أورد الغزالي أمثلة على هذه المسائل في كتاب الإحياء ، ج ٢ ، فصل ٥ ؛ المسألة الثالثة ، انظر شرح السيد المرتضى .

قال الأشاعرة وقال معهم معظم الشافعية والمالكية والحنابلة بوجوب إضافة عبارة « إن شاء الله » . أما الماتريدية والأحناف فأنكروا هذا وأجازوا قول الإنسان « أنا مؤمن حقا » وحجتهم في هذا إن عبارة « إن شاء الله » قد تورث الشك والشك في هذا الموضوع معناه الكفر . وأجاب الأشاعرة على هذا فقالوا إن صيغة المشيئة لا يراد بها إيقاع الشك في حقيقة التصديق العقلي ، وإنما يراد بها :—

١ — الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس (انظر سورة النساء : آية ٥٢ ، سورة النجم ، آية ٣٢) .

٢ — التأدب والتبرك وإخضاع كل شيء لمشيئة الله .

٣ — إبداء الشك فيما إذا كان الله سيسمح للمؤمن بأن يموت وهو مؤمن لأن الأمور يحكم عليها بخواتيمها . وتجد رأى الأشاعرة مبسوطا فى كتاب الغزالى الذى أشرنا إليه آنفا ، أما رأى الماتريدى فتجده فى شرح التفتازانى للعقائد النسفية ، طبعة القاهرة ، ١٣٢١ ، ص ١٢٧ وما بعدها ؟

المصــادر

فوق المصادر المذكورة فى صلب المقال راجع أيضا : —

(١) الإيجى : كتاب المواقف ، طبعة سورنسن Soerensen ، ص ٢٧٤ — ٢٩٠ ؛ طبعة بولاق ١٢٦٦ ، ص ٥٩٣ — ٦٠٠ (٢) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان (٣) *Dict. of Techn. Terms* ، ص ٩١ — ٩٨ . (٤) Krehl : *Zur Lehre vom Glauben im Islam*

(ماكدونالد D.B. Macdonald)

« إيمرتيا » انظر مادة « القوقاس »

« إينال » الملك الأشرف سيف الدين العلائى [سماه كذلك مولاه الأول] الظاهرى [نسبة إلى السلطان الملك الظاهر برقوق (انظر هذه المادة)] الأجرود : سلطان مصر والشام تولى الحكم من سنة ٨٥٧ إلى سنة ٨٦٥ هـ = ١٤٥٣ — ١٤٦٠ م . كان من الرقيق فاشتراه السلطان برقوق وألحقه بجيشه من المماليك . ثم أعتقه السلطان الناصر فرج بن برقوق وألحقه بجيش الجندارية (انظر هذه المادة) وأصبح « خاصكيا » فى عهد السلطان المؤيد شيخ (انظر هذه المادة) فأمير العشرة مماليك عند وفاة السلطان المذكور .

ووصل إينال إلى أعلى المناصب فى عهد السلطان برسباى فرقى أولا إلى منصب « طبلخاناه » ثم إلى رئيس نوبة ؛ وعين حاكما لغزة فى سنة ٨٣١ هـ . وبعد ذلك بعامين رافق السلطان برسباى فى حملته على آمد (دياربكر) ولم يوفقا فى هذه الحملة كثيراً . ولما أراد السلطان أن يضع منطقة الحدود هذه تحت إدارة يعتمد عليها ويثق فيها جعل إينال أميراً لمدينة الرها وكانت فى ذلك الوقت قد حل بها الدمار . واعتذر إينال كغيره من الأمراء عن قبول هذا المنصب ولكن السلطان أقنعه بقبوله وجعل له تقدمة أى مرتب أمير الألف وأعطاه فوق ذلك مرتب الوالى . وبعد عامين استدعاه السلطان إلى القاهرة وعينه أمير ألف من غير وظيفة معينة وجعله تحت طلبه . وفى سنة ٨٤٠ هـ عينه حاكما لصفد . ولما ارتقى السلطان جقمق عرش مصر استدعاه إلى القاهرة فى سنة ٨٤٣ هـ وجعله أمير ألف من غير منصب معين ثم رقاه فى سنة ٨٤٦ هـ إلى منصب الدوادار الكبير . وفى سنة ٨٤٨ هـ أصبح إينال أتابك أى

قائداً للجيش ، ثم اختير وهو فى هذا المنصب سلطانا لمصر بدلا من عثمان بن جقمق الذى عجز عن الاحتفاظ بالعرش بعد وفاة أبيه لما نشبت فتنة المماليك .

كان إينال حينذاك فى الثالثة والسبعين من عمره ومع هذا استطاع الاحتفاظ بالعرش بإرضاء المماليك على قدر الطاقة . وكان دائما كثير التسامح معهم ، وكان عهد السلطان إينال على وجه العموم عهد خير وبركة . وإذا كان إينال لم يستطع كبح جماح المماليك فقد وفق إلى رأب صدع آخر فى مملكته ، فقد تغلب على صعوبات جمة ووفق فى إقرار نظام للعملة بعد أن سحب من التداول النقود الفضية التى سكها سلفه من قبل وأصدر مكانها عملة جديدة .

وكان إينال موفقا كذلك فى السياسة الخارجية ، كان على خير الصلات مع أمير القطيع الأبيض وأمير ألبستان فى آسية الصغرى ومع السلطان العثمانى محمد فاتح القسطنطينية الذى أوفد إليه بعثة خاصة لتهنئته على فتح المدينة المذكورة .

وكان إينال لا يخشى القتال إذا أزمت الآزمة ، وقد اكتسح جيوش أمير قره مان الذى كان قد استولى على عدة من حصون إينال فى جليقية ، وأكرهه على مسالمته . وزجت به فى غمار السياسة الأوربية الصلات التى نشأت بين مصر وقبرص منذ عهد برسباى . ذلك أن برسباى أراد أن يحرم القرصان الذين أغاروا على ثغور الشام قاعدة تلجأ إليها سفنهم فاستولى على قبرص فى سنة ٨٣٠ هـ وأكره الملك جانوس Janus على الخضوع لسلطانه ، ثم ثبته فى ملكه على أن يدفع الجزية ، وبقيت فى الجزيرة حامية مصرية صغيرة .

وفى سنة ٨٦٢هـ = ١٤٥٦ م توفى يوحنا الثانى ، خليفة جانوس فخلفته فى الملك ابنته شرلوت . وكان له ابن يدعى جيمس أسقف نيقوسية ففر إلى مصر طلباً للنجاة وظل فيها وهو يدعى العرش لنفسه . وحاول كل فريق أن يجتذب إينال إلى ناحيته . وبعد أن تردد إينال فى الأمر وقتا طويلا تدخل سفير أمير فرسان القديس يوحنا صاحب رودس فانحاز إلى صف شرلوت . ولكن المماليك انضموا إلى صف جيمس وأكرهوا السلطان على أن يرسل معه أسطولا إلى قبرص ، استعان به على فتح عاصمتها نيقوسية من غير مقاومة ، وأطال حصار مدينة كرينيس . ويظهر أن قائد الأسطول رشته الملكة شرلوت فعاد الأسطول إلى مصر وترك فى قبرص حامية صغيرة استطاع جيمس أن يحتفظ بمساعدتها بالأراضى التى استولى عليها ، دون أن يتيسر له إجلاء شرلوت عن البلاد التى كانت فى يدها (انظر نهاية ذلك فى مادة « خشقدم »)

وكان إينال حاكما لين الجانب رحيما بالعباد يحكم الرعية بالعدل والرأفة . وتوفى

سنة ٨٦٥ هـ = ١٤٦٠ م . وخلفه ابنه أحمد على عرش مصر ، وكان حاكما بعيد النظر ، بصيراً بعواقب الأمور ، اتجه إلى ما فيه مصلحة الرعية . ولكنه كان أضعف من أن يقوى على كبح جماح المماليك ولم يستطع الاحتفاظ بملكه إلا لمدة أربعة أشهر فقط .

المصادر

(١) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، انظر « إينال » (٢) ابن إياس ، جـ ٢ ، ص ٣٩ — ٦٥ ، (٣) Weil : *Geschichte der Chalifen* جـ ٥

[M. Sobernheim سوبرنهيم]

« إينجو » هو اسم الضياع السلطانية فى عهد المغل ، وقد أطلق أيضاً على الأسرة المغلـــية التى حكمت فارس (شيراز) من سنة ٧٠٣ إلى سنة ٧٥٨ هـ = ١٣٠٣ — ١٣٥٧ م . لأن منشئها شرف الدين محمود شاه كان فى أول أمره قد أوفده ألجايتو إلى هذه الضياع ليدبر شئونها . ويروى « تاريخ كزيده » أن شرف الدين من نسل عبد الله الأنصارى (أنظر هذه المادة) .

وفى عهد أبى سعيد خليفة ألجايتو ، ظل شرف الدين فى منصبه . ولم يقتصر الأمر على هذا بل إنه أخذ يبسط سلطـانه شيئاً فشيئاً حتى أنه حوالى سـنة ٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م ، كان الحاكم الفعلى المستقل لشيراز والجزء الأكبر من فارس . ولما توفى أبو سعيـد وخلفه « اربه خان » أمر بشرف الدين فقتل سنة ٧٣٦ هـ = ١٣٣٥ — ١٣٣٦ م .

وتقول «شيراز نامه» إنه كان له أربعة أبناء هم : جلال الدين مسعود شاه وغياث الدين كيخسرو وشمس الدين محمد وأبو إسحاق جمال الدين . كان أولهم يحكم شيراز فى حياة أبيه ، وظل حاكماً لها إلى سنة ٧٣٥هـ . وتغيب عن شيراز حينذاك فثـار به أخوه كيخسرو واغتصب الحكم . ولما عاد إليها أبى كيخسرو أن يرد إلى أخيـــه حكم شيراز فاشتعلت بينهما الحرب وانتهت بقتل كيخسرو سنة ٧٣٩ هـ = ١٣٣٨ — ١٣٣٩ م .

وسجن مسعود أخاه محمداً فى قلعة سفيد ولـكنه استطاع الفرار منها ولجأ إلى بير حسين من بنى چوبان فجهز جيشاً من المغل وذهب إلى شيراز ومعـه محمد ففر مسعود ودخل شيراز بير حسين .

على أن حكم بير حسين لشيراز لم يكن طويل العهد وذلك لأنه قتل محمداً فى سنة ٧٤٠ هـ = ١٣٤٠ م فانقلب عليه أهل البلاد وآثر أن ينسحب منها ، ولـكنه عاد إليها بعد قليل ومعه جيش جديد . على أن الحظ لم يكن حليفه فى هذه المرة أيضاً فقد دب النزاع بينه وبين الچوبانى أشرف ، ولما اصطف الجيشان للقتال هجره جنوده واضطر إلى أن يلجأ إلى الشيخ حسن ولـكنه أمر به فقتل .

وكان مسعود قد اعتكف عند ذاك فى

لورستان وتحالف مع يغبستى أخى الأشرف، بينما كان الأشرف نفسه منحازاً إلى صف أبى إسحاق . ووفق مسعود بمعونة يغبستى فى الوصول إلى شيراز ، ولكنه لقى هناك ما لقيه أخوه من قبل . فقد غدر به يغبستى وقتله غيلة فى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٣ م) . وتنازع يغبستى والأشرف ولكن الأمر انتهى بينهما بالصلح ، ووحدا قواهمـــا لإخضاع فارس ، على أن جيوشهما تفرقت لما وصلت إليهـا الأنباء بأن أخاهما حسن كوچك (انظر هذه المادة) قد قتل .

وكان أبو إسحاق الأخ الأصغر لمحمود شاه، وكان يحكم أصفهان من قبل پيرحسن فأصبح بعد هذه الحوادث سيد شيراز وحاكم فارس كلها . ولما حاول بسط ســـلطانه على يزد وكرمان اصطدم ببنى المظفر (انظر هذه المادة) . واختلفت نتائج الحرب بينهما أول الأمر ثم أجلى أبو إسحاق عن يزد وكرمان وحوصر فى شيراز . وسقطت المدينة فى يد بنى المظفر سنة ٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م . وفر أبو إسحاق إلى قلعة سفيد ، ولقى شيئاً من المعونة على يد الشيخ حسن البغدادى من الدولة الإيلخانية ثم ذهب إلى اصفهان وهناك حوصر كذلك ثم أسر وأسلم الى أقارب شيخ كان قد أمر بإعدامه فقتلوه سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) . وقد خلد الشـاعر الفارسى عبيد زاكانى فى إحدى قصائده عطف هذا الأمير على الأدب والفن ؟

المصـــادر

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، طبعـــة لكنهو ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ وما بعدها (٢) حمد الله القزوينى : تأريخ كزيده ، طبعة براون ، ص ٦٢٢ وما بعدها ، وقد اشتمل هذا الكتاب على نصوص مأخوذة من كتاب شيراز نامه الذى لم يطبع ومؤلفه كان معاصرا لأبى إسحاق وكتب تاريخ حياته فى كتاب « عمدة التواريخ » الذى لم يصل إلينا (٣) ابن بطوطة ، طبعـة باريس ، جـ ٢ ، ص ٦٣ وما بعدها (٤) دولتشاه : التذكرة طبعة براون ، ص ٢٩٣ (٥) D'Ohosson : *Histoire des Mongols* ، جـ ٤ ، ص ٧٤٢ وما بعدها .

« آية » معنـاها معجزة أو فقرة من القرآن .

« أيواظ » أو عيواض : اسم يطلق على الخادم (أرمنى فى الغالب) الذى يحمل الطعام من المطبخ إلى قاعة الأكل .

[يعقوب Jacob]

« آيوالق » ومعناها « بلد السفرجل » واسمها باليونانية كيدونيا Kydonia وهى بلد من أعمال بروسة فى آسية الصغرى . ويبلغ عدد سكانها ٢٠٩٧٤ نسمة معظمهم من اليونان

الأورثوذكس[1] . وقد دمرت هذه المدينة فى حرب استقلال اليونان سنة ١٢٣٦ ه = ١٨٢١ م . ولكنها استعادت مجدها بعد ذلك وهى آخذة فى الازدهار . وفى هذه المدينة ٢٤ مدرسة يونانية منها مدرسة للنحو معترف بها فى جامعة أثينا . ويزرع أهلها أشجار الكروم والزيتون والمصطكى ويصدرون زيت الزيتون والصابون والجلود والجلود المدبوغة والزبيب والنبيذ «والكونياك» والمصنوعات الزجاجية العادية . وقضاء بروسة ليس له نواح وإنما يشتمل فقط على آيوالق وقرية أخرى صغيرة هى قرية كوچك .

المصادر

(١) جودت باشا : تاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٨٣ — ٢٨٥ وفيه تفصيلات عن سبب تدمير هذه المدينة ونقد عنيف للسياسة التى اتبعها رجال ذلك العهد (٢) على جواد : ممالك عثمانية نك تأريخ وجغرافيه لغاتى ، ص ٤٧ ، (٣) V.Cuinet : *La Turquie d' Asie Mineure* ج ٤ ، ص ٢٦٨ — ٢٧١ (٤) Ch. Texier : *Asie Mineure* ، ص ٢٠٧ (٥) E.Reclus : *Nouv. géogr Univer* ج ٩ ص ٥٩٦

[كليمان هيوار Cl Huart]

« أيوان » والأصح إيوان وتجمع على إيوانات وأواوين . كلمة عربية مأخوذة من الكلمة الفارسية «إيوان» التى يقول Salemann إنها مشتقة من الكلمة البهلوية الفارسية « بان » بمعنى بيت (انظر Grund. d. iran : Philol ج ١ ، ص ٢٧٢) .

ومعنى الكلمة الفارسية هو قاعة الاستقبال عند ملوك الساسانيين، وكانت عبارة عن بهو كبير مربع الشكل تحيط به الجدران من ثلاث جهات فقط ، أما الجهة الرابعة فكانت مفتوحة لا جدار فيها . وما زال جانب من إيوان قصر طيسفون باقيا فى بقعة مقفرة جنوبى بغداد ويسمونه « إيوان كسرى »

ومن كلمة إيوان اشتقت كلمة حديثة أخرى هى كلمة ليوان وجمعها لواوين أطلقت فى مصر والشام للدلالة على حجرة فى بيوت العرب تشبه الإيوان (انظر : Lane I *Modern Egyptions* ، ج ١ ، ص ١٨ — ٢٠ ؛ Cuche : *Dict. Drabe.* ، ص ٦١٤ ؛ A. von Kremer : *Topographie von-Damascus.* ، ص ١٩) ونجد هذه الكلمة مستعملة كذلك فى « ألف ليلة » (انظر Dozy : *Supplém.* ، ج ٢ ، ص ٥٦٣) ؟

[كليمان هيوار Cl. Huart]

« أيوب » : ورد ذكره فى الكتاب المقدس ، وقال القرآن عنه إنه من الصالحين . ويصفه الكتاب المقدس بأنه كان « عبدا للرب وكان من الصابرين » . أما القرآن فقد أوجز قصته فقال إن الله ابتلاه ونادى ربه

(١) كان هذا وقت كتابة المقال قبل الجمهورية التركية . اللجنة

فاستجاب الله له وكشف ما مسه من ضر ورد عليه أهله وماله (انظر سورة الأنبياء : الآيتان ٨٣ — ٨٤ وسورة ص ، الآية ٤١ وما بعدها) . وحكى كتّاب المسلمين عن أيوب حكايات كثيرة أخذوا مادتها من سفر أيوب ومن تفسير اليهود للتوراة المسمى « هجّاده » .

ويقال عن أيوب إنه كان روميا من نسل عيص (انظر سفر أيوب ، طبعة James «چيمس» ، الإصحاح الأول) ، وهو أيوب ابن أموص وأمه من ولد لوط ، وانفرد كاتب من الكتاب ذكره الطبرى بأن قال إنه ولد من آمن بإبراهيم . ويروى معظم كتاب المسلمين أن امرأة أيوب كانت رحمة بنت إفرايم بن يوسف . وقال أحدهم إنها « مَشير » أو «ماخير» ابنة مَنَسّا أو ميشا وأنها أنجبت غلاما ظنوه بنتا . أما البيضاوى فيقول إن امرأة أيوب هى ليا بنت يعقوب (انظر تفسير البيضاوى للآيات التى أشرنا إليها) . ويظهر أن البيضاوى خلط فى قوله هذا بين ليا زوجة يعقوب وابنته « دينا » التى جاء فى سفر أيوب وفى تفسير اليهود للتوراة أنها كانت زوجة أيوب (انظر *Batra* [redacted] ، ص ١٥ ؛ *Beréshit Rabba* ، ص ٥٧ ؛ *Targum of Jerusalem on Job* ، ج ٢ ، ص ٩) .

ووصف رجال الحديث ومنهم كعب الأحبار حتى شكل أيوب فقالوا إنه كان رجلا طويلا عظيم الرأس ، جعد الشعر ، حسن العينين والخلق . قصير العنق غليظ الساقين والساعدين . ووصفوا ممتلكاته وصفا يشبه ماورد فى سفر أيوب ، وبالغوا فى ذلك بعض الشىء بالطبع . وزعم واحد من المؤرخين أنه كان لأيوب اثنا عشر ابنا واثنتا عشرة بنتا .

وكان أيوب رجلا عظيم التقوى رحيما بالمساكين ، يكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف . وكان نبيا بعثه الله ليدعو أهل بلده إلى التوحيد وقيل إنه كان فى حوران وفى رواية أخرى إنه كان فى بثنية . وكان الذين آمنوا به يلتفون حوله كل مساء فى المسجد ويصلون معه (انظر *Baba Batra* ، ص ١٥ ؛ *Seder Olam Rabba* ، ص ٢١ ؛ *Beréshit Rabba* ، ص ٣٠ ، س ٩ ؛ *Abôt R. Natan* ، طبعة Schechter ، ص ٣٣ — ٣٤ و ص ١٦٤) . وأورد رجال الحديث حرفا حرفا جزءا كبيرا من سفر أيوب (١ : ٦ ، ٢ : ٧) وهو الجزء الذى يتحدث عن ابتلاء الله له ، وزادوا عليه أن إبليس أراد أن يقضى على أيوب حسدا منه وغيرة .

ولما سلطه الله آخر الأمر على جسد أيوب دون أن يجعل له سلطانا على قلبه أو لسانه أو عقله ، جاءه إبليس فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده وخرج به من فوقه إلى قدمه ثآليل مملوءة بالديدان . وتغير لحمه وأنتن حتى أخرجه أهل القرية منها وجعلوه على كناسة (انظر *Abôt R. Natan* ، ص ١٦٤ ؛ سفر أيوب : الإصحاح الخامس) .

وكانت إمرأة أيوب تعمل للناس وتأتى

بالطعام لها ولزوجها المنكود . ورأى إبليس أن جهوده مع أيوب باءت بالفشل والخسران ولـكنه مع هذا لم يكف عن تدبير أحاييل جديدة للإغراق فى عذاب أيوب ، وكان يظهر فى صور مختلفة : ذهب مرة إلى أهل القرية ونصح لهم ألا يستخدموا إمرأة أيوب وظهر مرة أخرى لامرأة أيوب نفسهـــا وطلب إليها أن تؤمن به وهو قادر على أن يضع حدا لآلام زوجها . ولما باء بالخسران فى ذلك كله اعترف بعجزه . ويقول أكثر علماء المسلمين إن أيوب كان فى السبعين من عمره عند ما سلط الله عليه إبليس (انظر *Bereshit Rabba* ، ص ٥٨ ، س ٣ وص ٦١ س ٤ ؛ سفر أيوب : الإصحاح ١٢ وتفسير البيضاوى للآية ٨٣ من سورة الأنبياء) .

واختلفوا فى مدة بلائه قال بعضهم إنها سبع سنوات (انظر سفر أيوب : الإصحاح الخامس) وقال غيرهم سبع سنوات وسبعة أشهر وسبع ساعات ، وقال آخرون بل ثلاث سنوات وغيرهم ثلاث عشرة سنة وثمانى عشرة سنة

ويروى القرآن (سورة ص ، آية ٤١) أن الله أمر أيوب أن يركض برجله الأرض فنبعت عين ماء اغتسل منها وشرب من مائها [فلم يبق من دائه شيء] . وتجعل الرواية الإسلامية صلة لجبريل بهذه القصة إذ تقول إن أيوب بعد أن دعا ربه تلك الدعوة التى أشار إليها القرآن ، ظللته سحابة ولمع البرق ودوى الرعد ، وسمع أيوب خلال ذلك أصواتا مختلفة تعلن إليه رحمة ربه وعفوه عنه . وفى أصيل اليوم التالى ، وكان يوم جمعة ظهر جبريل لأيوب وأجلسه وأمره أن يضرب الأرض برجله ثم أعطاه كساءين ونعلا من ذهب محلى بالجواهر وسفرجلة من ثمار الجنة . ويقول أحد الكتاب إن العين كانت فى موضع بعيد عن مكان أيوب وأنه كان لا يقوى على المشى فحمله جبريل إليها على جناحيه (انظر Robles ، *Leyendas moriscas* ج ١ ، ص ٢٢٥ وما بعدها) .

وبعد أن اغتسل أيوب عادت إليه القوة والشباب ، وتحولت الديدان التى كانت تأكل جسده إلى النحل ودود القز .

ويقول المفسرون فى تفسير الآية « وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ، إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب » إنها تتعلق بامرأة أيوب وكان قد نذر إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة . والسبب فى هذا النذر مختلف فيه ؛ يقول البعض إن أيوب غضب عليها لأن غيابها عنه طال عليه فى أحد الأيام ، ويقول آخرون إنها استحقت ذلك لأنها أشارت على أيوب بأن يعبد إبليس . ويقول المفسرون إنه لما أراد أيوب أن يبر بيمينه أمره الله أن يأخذ « جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب ، خفافا لطافا فيضربها بها ضربة واحدة » ، وقيل « غصنا فيه مائة ورقة » .

ولم يتفق المحدثون كذلك على عدد أبناء أيوب الذين ردهم الله إليه بعد شفائه . يقول

البعض إن الله رد إليه أبناءه الذين هلكوا بأعيانهم، ويقول غيرهم إن الله رد إلى امرأته شبابها وأنجبت له أبناء اختلف فى عددهم حتى قيل إنهم ستة وعشرون ولداً. وقيل إن الله أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يحثو منه فى ثوبه فناداه: يأيوب، ألم أغنك عما ترى؟ قال: بلى يارب، ولكن لاغنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك، ومن يشبع من نعمتك [redacted] » وكان له أندران: أندر للقمح وأندر للشعير. فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض».

ويروى أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة، وقيل إنه عاش بعد شفائه مثل عمره قبل بلائه. ويقول المسعودى إن دير أيوب والعين التى اغتسل بها كان الناس يقدسونهما فى عهده وأنهمـــا كانا على مقربة من نوى فى إقليم الأردن. (انظر ياقوت، معجم البلدان، ج [redacted] ص ٦٤٥، مادة «دير أيوب»). وما زال يوجد فى ذلك الموضع إلى اليوم «حمام أيوب» ومقام يسمى مقام الشيخ سعد وكان يسمى من قبل «مقام أيوب».

وينبغى أن نشير أيضاً إلى صخرة أيوب المشهورة وهى فى الواقع أثر مصرى يرجع إلى عهد رمسيس الثانى كما هو معروف. ويهمنا أن نذكر أيضاً أن «عين تفوح» المذكورة فى التوراة (سفر يشوع، الإصحاح ١٧، فقرة ٧) تسمى الآن بئر أيوب (انظر مجير الدين: تاريخ بيت المقـــدس، طبع فى *Fundgruben* *Orients* [redacted]، ج ٢، ص ١٣٠)؟

المصـــــادر

(١) الطبرى، ج ١، ص ٣٦١—٣٦٤، النص الفارسى، ترجمة زوتنبرج، ج ١، ص ٢٥٥ وما بعدها (٢) الثعلبى: قصص الأنبياء، طبعة باريس (مخطوط) والعرائس، ص ١٣٤ وما بعدها (٣) المسعودى: مروج الذهب (باريس) ج ١ ص ٩١ وما بعدها (٤) Sale: *Koran* ج ٢، ص ١٣٨ (٥) Grünbaum: *Neue Beiträge* [redacted] *semitischen sagenkunde*، ص ٢٦٢ وما بعدها.

[سليجسون M. Seligsohn]

« أيوب خان » رابع أبناء شيرعلى أمير أفغانستان، وشقيق الأمير يعقوب الذى خلف أباه شير على فى سنة ١٨٧٩ م، وكانت أمهما ابنة خان لاپوره.

وكان أيوب خان يشارك أخاه يعقوب مشاركة قوية فى الحوادث التى جرت عليه خلال حياته، فعندما غضب عليه أبوه وزج به فى السجن فر أيوب خان إلى مشهد من أعمال الفرس سنة ١٢٩١ هـ = ١٨٧٤ م وظل فيها خمسة أعوام.

ولما ارتقى يعقوب عرش أفغانستان ولى أخاه أيوب حكم هراة. ولما سقط يعقوب

جمع أيوب الجيوش ، وقوى نفسه فى هراة إلى أن اعترفت حكومة الهند بإمارة الأمير عبدالرحمن ، وعندها زحف أيوب خان بجنوده إلى قندهار وكان أميراً يحبه الناس فى أفغانستان كلها . والتقى فى « ميوند » بحامية هندية بريطانية صغيرة تحت قيادة الجنرال بروز Burrows فاكتسحها فى يولية من سنة ١٨٨٠ م . وأساء التصرف فعمد إلى حصار قندهار بدلا من التقدم وإثارة البلاد من قندهار إلى كابل ؛ وكان له فيها شيعة من المخلصين ، أما عبد الرحمن فكان مبغوضا فيها .

كان هجوم أيوب خان على الجيش البريطانى وحصاره لمدينة قندهار قد جعلا فشله أمراً لا مفر منه، فقد زحف الجنرال روبرتس Roberts زحفا سريعا من كابل إلى قندهار ومعه عشرة آلاف من الجنود ، أما الجنرال ستيوارت Stewart فبعد أن سلم كابل إلى عبد الرحمن عاد إلى الهند عن طريق جلال أباد وممر خيبر . وفى شهر سبتمبر سنة ١٨٨٠ هجم روبرتس على أيوب وهزمه وفك حصار قندهار وبهذا قضى على مشروع إقامة حكومة مستقلة فيها، وسلمها الإنجليز إلى عبد الرحمن وعاد أيوب إلى هراة ثم قام بحملة ثانية فى العام التالى .

وفى سنة ١٢٩٩ هـ = (١٨٨١ م) هزم جيوش عبد الرحمن فى كرشك واستولى على قندهار . وجمع عبد الرحمن جنوده ولجأ إلى الرشوة أيضا فرشا طائفة من شيعة أيوب ثم هزمه فى شهر سبتمبر ، وبهذا أفلتت أفغانستان من قبضته وفر إلى بلاد الفرس .

ولما نشبت فتنة الغلزائى فى سنة ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م ، تآمر أيوب وجيوش الغلزائى فى هراة وحاول دخول أفغانستان ولكنه لم يوفق فى ذلك لأن عبد الرحمن كان شديد القوة والبأس عند ذاك ، ووجد أيوب أن غايته بعيدة النوال فحزم رأيه على قبول الشروط التى عرضتها عليه حكومة الهند وأسلم نفسه إلى الجنرال مكليان Maclean القنصل العام فى مشهد ثم ذهب إلى الهند ، وعاش فى راولپندى ومرى ، وجعلت له حكومة الهند معاشا ، وأخذت على عاتقها أن تمنعه دخول أفغانستان .

وكان أيوب خان أميراً شجاعا محبوباً ولكن الأقدار كانت تعاكسه ، وقتل الضابط ماكلين Maclaine الذى وقع فى أسر أيوب فى وقعة قندهار التى حدثت فى شهر سبتمبر من سنة ١٨٨٠م ، إبان أسره ، كان يشين سمعة أيوب لو أنه تم بعلمه ، ولكن لم يقم الدليل على ذلك ، ومثل هذا العمل يناقض ماعرف عن أيوب خان ؟

[M Longworth Dames

[لونجورث ديمس

• الأيوبيون • اسم أسرة من أقوى أسر الشرق فى القرون الوسطى ، حكمت مصر والشام واليمن ، وسميت كذلك نسبة إلى أيوب بن شادى والد صلاح الدين . كان صلاح الدين هو المنشئ الحقيقى لهذه الدولة وبعد وفاته تفرقت مملكته إلى عدة إمارات منفصل بعضها عن بعض ، ثم أعيد جمع شملها مرة أخرى فى ظل مملكة واحدة لفترة مؤقتة .

وكان لهذه الأسرة عدة فروع متميزة : فرع ظل يحكم مصر إلى سنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م وآخر حكم دمشق وحلب إلى سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ ، وحكم ثالث بلاد الجزيرة فى العراق إلى سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م ، أما فرعها الرابع فحكم حماة إلى سنة ٧٤٢ = ١٣٤١ م وبلاد اليمن إلى سنة ٦٢٥ — ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م . ويعد من فروع هذه الأسرة عادة أبناء شيركوه أخى أيوب وكانوا يحكمون حمص من سنة ٥٧٤ هـ = ١١٧٨ م إلى سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م .

كان شادى أو شاذى أبو صلاح الدين كرديا من مدينة دوين وهى بلد فى أرمينية . ولسنا نعرف شيئا عن أسلافه وإن كان النسابة فى بلاط الأيوبيين المتأخرين قالوا إنه ينتسب إلى أرومة عربية مجيدة .

وكان شادى قد هاجر إلى بغداد ومعه ولداه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه وجعل مستحفظا لقلعة تكريت على نهر الدجلة بفضل شفاعة واحد من أصدقائه له عند السلاجقة . وتوفى شادى فى تكريت فخلفه أيوب ، وتقول بعض الروايات إن هذا المنصب كان من أول الأمر من نصيب أيوب لا من نصيب أبيه .

وفى سنة ٥٢٦ هـ = ١١٣٢ م هزمت سلاجقة بغداد جيوش أتابك زنكى أمير الموصل بالقرب من تكريت ، فساعده على النجاة أيوب وهو من أتباع خصومه . ولم ترض بغداد بالطبع عن هذا العمل . وبعد أعوام قليلة من هذا الحادث قتل شيركوه أخو أيوب ، واحدا من كبار الضباط للاحاة بينهما فأصبح من العسير عليهما أن يقيما فى بغداد . وولد صلاح الدين فى تكريت سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ — ١١٣٨ م ليلة رحيلهما عن بغداد أو قبل ذلك بأيام قلائل .

وذهب شيركوه وأيوب إلى زنكى الذى لم ينس يدهما فى إنقاذه ، فرحب بهما كل الترحيب ، وأقاما عنده فى الموصل زمنا ما ، واشتركا معه فى حروبه فأعاناه مثلا على فتح بعلبك ، وعهد زنكى بحكمها إلى أيوب فى أوائل سنة ٥٣٤ هـ = أواخر سنة ١١٣٩ م .

وبعد وفاة زنكى حاولت جيوش صاحب دمشق أن تستعيد بعلبك . ولما وجد أيوب نفسه غير قادر على الاحتفاظ بالمدينة انضم إليه باختياره سنة ٥٤١ هـ = ١١٤٦ — ١١٤٧ م وأصبح عنده قائدا ممتازا بل أصبح كبير القواد .

وبقى شيركوه فى الوقت نفسه فى خدمة نور الدين محمود الذى ورث عن أبيه حكم حلب ، وتاق نور الدين إلى الاستيلاء على دمشق فعهد إلى شيركوه أن ينتزعها من يد أخيه أيوب . واتفق الأخوان فيما بينهما ودخل شيركوه المدينة من غير قتال سنة ٥٤٩هـ = ١١٥٤ م ، وبالغ نور الدين فى إكرام أيوب وعينه حاكما لدمشق ، وتولى شيركوه حكم حمص وأصبحت ملكا يتوارثه أحفاده

ولما اعتزم نور الدين بعد ذلك أن يتدخل فى شئون مصر السياسية أوفد إليها شيركوه نائبا له وأمر صلاح الدين بالتوجه معه . وبعد أن كافح شيركوه كفاحا سياسيا وأبلى فى قتال جيوش مصر وملك بيت المقدس رجحت كفته وأصبح سيد الموقف فأسند إليه العضد آخر خلفاء الفاطميين منصب الوزارة.

وتوفى شيركوه فجاءة فأسندت الوزارة من بعده إلى صلاح الدين . ولم يكد صلاح الدين يستقر فى منصبه حتى توفى الخليفة الفاطمى ، فنادى صلاح الدين بخلع الخليفة المتوفى بناء على أمر نور الدين ، وأمر بأن يدعى فى الخطبة للخليفة العباسى . وكان قبل ذلك قد استقدم أباه وأسرته إلى مصر. وظل أيوب صديقا ناصحا لصلاح الدين إلى أن توفى سنة ٥٦٨هـ = ١١٧٣م على أثر سقوطه من على ظهر جواده.

وفى هذا الوقت فسدت العلاقات بين نور الدين وصلاح الدين لأن صلاح الدين أظهر الميل إلى الاستقلال عن سيده . وفى اللحظة التى بدا فيها أن النزاع بينهما أمر لا مفر منه نزل قضاء الله بنور الدين . وكان صلاح الدين قد هيأ لنفسه ملجأ يلجأ إليه ، إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، فى بلاد النوبة وفى بلاد اليمن أيضاً، وكان قد استولى عليها باسمه أخوه « تورانشاه» . وبعد أن توفى نور الدين أصبح صلاح الدين لا يخيفه شىء ، فاحتلت جيوشه الشام وبسط سلطانه على بلاد الجزيرة إلى أن وصل إلى نهر الفرات . ثم آن الأوان الذى وجه فيه قواه كلها لمحاربة الصليبيين،وفى وقعة حطين التى حدثت سنة ٥٨٣هـ = ١١٨٧م تضعضعت جيوش المسيحيين فى بيت المقدس وحوصرت المدينة نفسها ، وكان سقوطها سببا فى الحرب الصليبية الثالثة التى لم تغير كثيراً من وضع الأمور . وتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م ، وكان قبل وفاته قد قسم مملكته بين أبنائه وبين أخيه «العادل» فتولى العادل حكم بلاد الجزيرة ، والأفضل دمشق ، والعزيز مصر ، والظاهر حلب . أما اليمن فقد بقيت فى حوزة طغتكين أخى صلاح الدين الذى خلف أخاه تورانشاه فى حكمها أثناء حياة صلاح الدين .

ولم يكد صلاح الدين يغمض عينيه حتى بدأ النزاع يدب بين أبنائه . . . وانتهز العادل تلك الفرصة فخلع أبناء صلاح الدين واحداً بعد الآخر حتى استطاع أن يحمل الجانب الأكبر من مملكة أخيه تحت سلطانه . وحذا

العادل حذو أخيه صلاح الدين فقسم مملكته أثناء حياته بين أبنائه، فتولى الكامل حكم مصر نائبا عن أبيه، والمعظم حكم دمشق، والفائز بلاد الجزيرة، ثم خلفه عليها الأوحد إلى سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م، وتولى حكمها بعده الأشرف. وظلت حلب وحدها في يد أبناء صلاح الدين. ولما توفى الظاهر خلفه في حكم حلب ابنه العزيز سنة ٦١٣هـ=١٢١٦م. وكانت بعض الفروع البعيدة من الأسرة الأيوبية تحكم بلادا صغيرة ولكنها كانت جميعاً خاضعة لسلطان العادل.

وتوفى العادل سنة ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م في الوقت الذي بدأ فيه هجوم الصليبيين على دمياط بين الحملة الصليبية الرابعة والحملة الخامسة، واضطر ابنه الكامل الذي خلفه في حكم مصر إلى أن يتقهقر أمام الصليبيين لفتنة نشبت بين جنوده. واستولى الصليبيون على دمياط، ولكن جيوش الأيوبيين المتحدة صمدت للصليبيين وأوقفت تقدمهم واستعادت من قبضتهم المدينة الوحيدة التي فتحوها.

وخاف الكامل دسائس أخيه المعظم الذي كان يحكم دمشق فأخذ في مفاوضة الإمبراطور فردريك الثاني. وقبل أن يبدأ فردريك الحملة الصليبية الخامسة توفى المعظم، وقرر الكامل أن يخلع الناصر بن المعظم وأن يولي مكانه على حكم دمشق الأشرف أخا الكامل الذي كان يحكم بلاد الجزيرة وكان الكامل يثق فيه ويعتمد عليه.

على أن فردريك قد نجح بفضل حسن سياسته في إقناع الكامل بأن يسلم إليه بيت المقدس وممراً صغيراً من الأرض يصلها بالبحر، ووعد الكامل لقاء هذا أن يعينه على أعدائه جميعا، وأن يحول دون تقوية الدويلات التي كانت في شمال الشام. وفي سنة ٦٢٦ هـ =١٢٢٩م تمت بينهما هذه المعاهدة المشهورة التي سخط عليها المسلمون والمسيحيون معاً.

وأظهر الكامل براعة فائقة في إيقاف المنافسات التي اشتدت بين صغار الأيوبيين بأن وجه قواهم جميعا إلى قتال عدو مشترك. على أن تغلبه على سلاجقة قونية أثار حفيظتهم من جديد فتحالفوا ضده وانضم إليهم الأشرف صاحب دمشق. وتوفى الأشرف قبل أن تظهر جيوش الكامل أمام دمشق واضطر أخوه الصالح إسماعيل إلى تسليم المدينة، ولكن الكامل نزل به قضاء الله على أثر ذلك، وبدأت بوفاته نهاية الأيوبيين لأن القتال نشب بينهم جميعاً: ففي مصر كان الصالح بن الكامل قد نودي به خلفا لأبيه ولكن أخاه الأكبر الصالح أيوب خلعه عن عرشها، وفي الشام استعاد الصالح إسماعيل دمشق وعقد حلفا بينه وبين دويلات أخرى صغيرة ضد المصريين، واستطاعت جيوش المماليك التابعة لملك مصر بفضل ما أبدته في الحرب من وحشية وفظاعة أن تستعيد ملك الأيوبيين مرة أخرى، ولكن هذا النجاح كان نجاحا في الظاهر لا غير وذلك لأن أسرة الأيوبيين كانت قد فقدت قوتها الموروثة.

وظهرت جيوش القديس لويس «سانت لويس» وفرسان الحملة الصليبية السادسة أمام دمياط عند ما كان الصالح أيوب يعالج سكرات الموت ، وسلمت المدينة ، وأراد الجيش الفرنسى أن يتقدم أكثر من ذلك ولكنه هزم هزيمة منكرة ، وتوفى الصالح أيوب حينذاك . واحتفظت زوجته شجرة الدر وكانت امرأة باسلة نشيطة بسر وفاته إلى أن عاد إلى مصر تورانشاه خليفة الصالح فى الحكم وكان غائبا عنها . على أن تورانشاه أساء إلى المماليك فقتلوه فى سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م . ونودى بعده بشجرة الدر ثم بالمملوك أيبك . وكان أيبك هو الحاكم الفعلى لمصر ولو أن الأشرف موسى حفيد الكامل كان يدعى له فى الخطبة إلى سنة ٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ م . وأيبك هذا هو أول سلاطين المماليك البحرية .

وفى حلب خلف الناصر يوسف أباه العزيز سنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م . وبعد وفاة الصالح سلطان مصر أغارت جيوش الناصر على دمشق واستولت عليها . وطالب بملك الشام فاتصل النزاع بينه وبين مماليك مصر إلى أن قضت عليه غزوة المغل . وخضعت بلاد الجزيرة التى كان آخر حكامها المظفر غازى للمغل فى سنة ٦٤٣ هـ = ١٢٤٥ م ، واستولوا على حلب ودمشق سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م وخضع للمغل بعد ذلك الأيوبيون فى حماة ، وهم من نسل شاهنشاه أخى صلاح الدين ، وكان المظفر بن شاهنشاه هو الذى أنشأ ملكهم ، وكان المماليك قد قضوا على استقلالهم كما قضوا على استقلال أبناء شيركوه فى حمص ، ولم يبق للأيوبيين فى حماة إلا شبه سلطان باعتبارهم حكاما تابعين لمماليك مصر إلى سنة ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م ، ماعدا فترة طويلة ، وكان الأيوبيون فى حمص قد انقرضوا من سنة ٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م . وقبل ذلك بمائة عام ، أى فى سنة ٦٢٥ هـ أو ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م كان حكم الأيوبيين فى اليمن قد زال على يد أتباع الرسولى .

والنزاع المتصل بين الأيوبيين أنفسهم وانقسامهم إلى أسر متميزة ينبغى ألا يضللنا عن تلك الحقيقة الواقعة وهى أن الأيوبيين كانوا فى جملتهم ظاهرة مهمة ، فقد جمعوا شتات مملكة الفاطميين المبعثرة وضموا إليها دويلات أتابكة الشام ثم جعلوا من ذلك كله قوة واحدة مركزة استطاعوا أن يقفوا بها أمام الصليبيين . وأنجبت تلك الأسرة عددا من الشخصيات القوية ، فصلاح الدين أمره معروف ، وكان العادل والكامل أيضا حاكمين عظيمين . وكان الأيوبيون لا يقلون عن الصليبيين فى الفضائل الحربية إن لم يفوقوهم فيها ، حتى لقب كثير من أمرائهم بالفرسان . وقد تركت لنا المؤلفات التى تحدثت عن مناصب ذلك العهد معلومات قيمة عن نشاطهم الإدارى : كانوا يعنون بالزراعة

وما يتصل بها من وسائل الري، واهتموا كذلك اهتماما كبيرا بالتجارة، وتم فى عهدهم عقد كثير من المعاهدات بينهم وبين ممالك أوروبية، وما زال بعضها موجودا إلى الآن وكانت القوة الحربية فى المملكة تقوم على جيوش الرقيق والنظام الإقطاعى الذى كان — على عكس نظام أوروبا — قائما على إقطاع أرض مع خراجها. وازدادت شوكة الرقيق بالذين كانوا يشترون منهم لأغراض حربية وهم المماليك حتى أصبحوا يتلهون بالتحكم فى ضعاف الأمراء.

وامتاز عهد الأيوبيين أيضاً بأنه كان عهد لون جديد من ألوان الثقافة، فقد كانوا فى مصر يمثلون رد الفعل الدينى الذى أحدثه السلاجقة وانبعاث آثار الشرق الغابر التى بدت فى ظهور فن جديد للعمارة، وفى تغيير عادات القصر والألقاب وفيما دخل على نظام الإقطاع على وضعه التركى من تطور. ولهذه الثقافة أهمية عظمى فقد تأثر بها غربى أوروبا بوساطة الصليبيين، ونستطيع أن نتلمس كثيراً من العادات والقواعد الخاصة بنظام الفروسية فى أوروبا والتى يمكن أن ترد إلى النظام الأيوبى.

وواصل المماليك السير على تقاليد الأيوبيين واحتفظوا حتى بألقابهم ولم يغيروا فى أول الأمر شيئاً من ثقافة أسلافهم؟

المصـــادر

(١) أبو الفداء: المختصر (٢) المقريزى: الخطط (٣) المقريزى: السلوك، ترجمة بلوشيه فى *Revue de l'Orient Latin*، جـ ٨ وما بعده (٤) ابن الأثير: الكامل، طبعة تورنبرج، جـ ١١ وما بعده (٥) ابن خلكان، طبعة فستنفلد، رقم ١٠٦، ٨٥٦ (ترجمة *de Slane*، جـ ١، ص ٢٤٣؛ جـ ٤، ص ٤٧٩). (٦) أبوشامة: كتاب الروضتين (٧) ابن خلدون: العبر، جـ ٤ وجـ ٥ (٨) كمال الدين: تاريخ حلب، ترجمة بلوشيه (٩) ابن شداد: النوادر السلطانية (١٠) عماد الدين: الفتح القسى (١١) أسامة ابن منقذ، طبعة درنبورج (١٢) *Receuil des Historiens des Croisades* (١٣) H. Derenbowg: *'Oumâra du Yémen* (١٤) St. Lane Poole: *Histry of Egypt* (١٥) المؤلف نفسه: *Saladin* (١٦) المؤلف نفسه: *The Mohammedan Dynasties* (١٧) A. Müller: *Der Islam im Morgenl wend* (١٨) Amari: *Diplomi Arabi* (١٨) *Abendland* Marcel: *Histoire de l'Egypte* (١٩) (٢٠) انظر أيضاً مقالات «مصر» و«صلاح الدين» و«العادل» فى هذه الدائرة.

[C. H. Becker بكر]

حرف الباء

« باء » : الحرف الثانى من حروف الهجاء فى اللغة العربية بصرف النظر عن ترتيب الخليل لها (أنظر مادة « أبجد » : ص ١٩ من المجلد الأول) ، وهى تساوى فى العدد الرقم ٢ ، وتعرف فى الكتابة بالباء الموحدة . وقد عرّفها سيبويه تعريفاً صوتياً يشبه تعريف المحدثين لها فقال: إنها من الحروف المجهورة ومخرجها مما بين الشفتين (طبعة درنبورج ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ ، س ١٦ ، س ١٨ ، ص ٤٥٤ ، س ٧) .

والباء أيضاً حرف جر فى اللغة العربية . ومعناها الإلصاق أو الاستعانة أو المصاحبة

وإذا شئت زيادة فى الإيضاح فارجع إلى كتب النحو والمعاجم وانظر كذلك مقالات « بلاد العرب » و « كتابة » و « لهجات » .

[A. Schaade. شاده]

« پاء » : الباء الفارسية أو العجمية وهى باء من تحتها ثلاث نقط ، اخترعت فى الفارسية متممة للباء المخففة فى اللغة العربية ولتدل على ضم الشفتين عند النطق بها .

وتستبدل الپاء أحياناً بالباء مثل أسپ وأسب ؛ ودپير ودبير . وتستبدل بالفاء فى كثير من الأحيان ، مثل سپيد وسفيد و پارس وفارس . واستعمال حرف « الپـاء » فى المخطوطات حديث نسبياً ونجدها مستعملة فى بعض المخطوطات الجيدة التى يرجع تاريخها إلى القرنين السابع والثامن وإن كانت غير مستعملة غالباً فى المخطوطات التى هى أحدث عهداً من ذلك (انظر *Grundriss der Iranischen Philologie* ، ١ — ٤ ، ص ٧٣)

[R. Levy ليفى]

« پائى » : كلمة هندية تدل على أصغر أنواع العملة النحاسية فى الهند البريطانية ، وهى تساوى $\frac{1}{12}$ من « الآنا » وكانت تساوى $\frac{1}{4}$ « آنا » عندما بدأت شركة الهند الشرقية تجاربها الأولى فى إصدار عملة نحاسية [انظر مادة « پيزا »] .

وقد أصبحت « الپائى » تساوى $\frac{1}{3}$ پيزا [والپيزا = ٣ آنات] منذ قرارات سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٧٠ ؟

[J. Allan ألان]

« باب » : الفتحة المعروفة ، كان البيت العربى فى الزمن الغابر على عكس خيام البدو المفتوحة ، يشبه معقلا لا يتسنى دخوله إلا من باب . وكان الباب يختلف باختلاف شكل بناء البيت ، ولا يزال هذا شأنه إلى يومنا هذا فكان صغيرا مختفيا ثقيـلا مصفحا

أو عاليا مفتوحا . وكان الباب دائما يخفى داخل المسكن ، ولا يعرف من خارجه ما يحتويه من غنى وجمال . ثم استعملت كلمة « الباب » فى معنى مجازى للدلالة على مدخل أى شيء أو بداية غاية ما أو للدلالة على غرض من الأغراض وهذا الاستعمال المجازى فى اللغة العربية متشعب وكثير جدا ، وقد انتقل أثره إلى الغرب : فسمى قصر السلطان « The Sublime Porte » أى الباب العالى و « The Gate fo Fortune » أى باب السعادة ، وقيل « The gate of Heaven » أى باب السماء ويعبر بالبابين مجازا « the two doors » عن الحياة الدنيا والحياة الأخرى ، وتقسم محتويات الكتاب إلى أبواب عديدة . ويعبر بالأبواب «Gates» أيضا عن وسائل العيش والحرب والثورة . ويقال باب الطريق القويم وباب الشر وباب التسلط أو الموت الخ . . ويقال إن باب الله هو ملتقى المتوسلين ويقول السائلون إنهم على « باب الله » وهى فى الإيطالية « alla baballa »

المصادر

(١) Lane : *Arab - Engl. Lexicon* جـ ١ ، ص ٢٧٢ ؛

(٢) Dozy : *Supplément aux Dictionn. Arabe* جـ ١ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥

[هل J. Hell]

« بأب » : الفتحة المعروفة وقد أطلقت هذه الكلمة عند المتصوفة منذ عهد طويل للدلالة على المدخل الذى يدخل منه الإنسان أو الوسيلة التى يتصل بوساطتها بما هو فى الداخل . ويستعمل الإسماعيلية هذه الكلمة استعمالا مجازيا للدلالة على « الشيخ » أو « الأساس » الذى يعلم الناس أسرار الدين (انظر Guyard : *Fragements* ، ص ١٠٦). وكان سلمان الفارسى معروفا بين النصيرية « بالباب » لأنه كان معهوداً إليه أمر الدعوة (انظر R. Dussaud : *Nosairis* ، ص ٦٢ ، رقم ٤) . ويطلق الدروز اسم « الباب » على الوزير الروحانى الاول الذى يشمل العقل الكلى (مولاى عقل ؟ (انظر De Sacy : *Druzes* ، جـ ٢ ، ص ٥٩) .

وقد اشتهر هذا الاسم عند ما أعلن السيد على محمد الشيرازى أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه بالباب فى ٥ من جمادى الثانى سنة ١٢٦٠ = ١١ من يونيه سنة ١٨٤٤

ولد السيد على لتاجر من التجار فى أول المحرم سنة ١٢٣٦ = ٢٦ من مارس سنة ١٨٢١ . وتوفى أبوه وهو صغير فكفله خاله وواصل السيد على الاشتغال بتجارة أبيه ، وعنى فى الوقت نفسه بالمسائل الدينية . وكان يبالغ فى التقشف ويمكث فى الشمس ساعات عديدة حتى تأثر بذلك عقله؛ ثم حج إلى كربلاء ، وتلقى العلم على يد الشيوخ . ولما عاد إلى شيراز دعا دعوة

الإصلاح والقى سلسلة من المواعظ فى مسجد الحدادين حمل فيها على رجال الدين الرسميين.

وكان الشيخ حسين البشروئى يبحث فى ذلك الوقت عن رجل يجعله خليفة للسيد كاظم الرشتى الذى كان قد توفى حينذاك (١)، ووقع اختياره على السيدعلى محمد وأصبح هو أول مريديه. وعلى أثر ذلك حج السيد إلى بيت الله عن طريق بوشير ومسقط وانتهز فرصةالحج فكتب فى طريقه إليه عدة رسائل اعتبرت وحيا إلهيا. وأعلن بعد عودته صيغة للإيمان بدعوته بأن أضاف إلى قول الشيعة «على قبل نبيل» (= على محمد لأن البابية تلقب النبى بلقب النبيل) قوله إنه «مرآة يظهر فيها نفس الله».

وقام على أثر ذلك فتنة دعت الحاكم إلى أن يزج بدعاة الباب فى السجن. وذهب السيد يحيى الدارابى ليتحرى أمر هذه الدعوة الجديدة وسرعان ما آمن بها.

وانتشر وباء الكوليرا فى ذلك الوقت فهاجر من شيراز كل من استطاع إلى ذلك سبيلا. وفى أصفهان تمتع على محمد بحماية حاكمها منوچهر خان معتمد الدولة، ولما توفى تلقى خلفه أمراً بالقبض على الباب وحبسه فى قلعة ماكو بأذربيجان.

على أن ملا حسين البشروئى ظل يواصل تعاليمه وآمن بهـا أخوان فى طهران هما: ميرزا نورى الذى سمى فيما بعد «صبح أزل» وميرزا حسين على نورى الذى سمى فيما بعد «بهاء الله». وفى قزوين أعلنت فتاة اعتناقها للدين الجديد بعد مراسلة بينها وبين «الباب»، وهذه الفتاة هى زرّين تاج الملقبة بقرة العين، وهى ابنة ملا صالح برقانى وكانت فائقة الجمال شديدة الذكاء. واضطرت قرة العين إلى ترك المدينة بعد قتل عمها محمد تقى الذى كان من المجتهدين المتعصبين، وكانت متهمة بالاشتراك فى قتله. ففرت ليلا من قزوين وذهبت إلى بدشت من أعمال أذربيجان حيث عقد أول اجتماع لأتباع ذلك المصلح.

وظل على محمد سجينا فى ماكو زمنا طويلا، ثم نشبت فتنة فى قلعة الطبرسى وفى زنجان [انظر مادة بابى] نقل على أثرها إلى قلعة چهريق ثم إلى تبريز وتقرر إعدامه، ووكل هذا إلى فرقة بادران المسيحية التى أعدمته رميا بالرصاص هو وتلميذه محمد على اليزدى، وأطلق عليه الرصاص أول مرة فقطع القيود التى كان مقيدا بها، ثم أطلق عليه مرة أخرى فمات (٢٧ من شعبان سنة ١٢٦٦ = ٨ من يوليه سنة ١٨٥٠). وبعد وفاته ألقى جسده فى خندق بالمدينة ولكن أتباعه المخلصين أخذوا جثمانه إلى طهران، ودفنوه فيها ٢٩ سنة، ثم أخرج من مدفنه بناء على أمر بهاء الله وتقول إحدى الروايات إنه نقل إلى عكا.

---

(١) تزعم البابية أن آخر مبشر بعد الأنبياء والرسل رجلان عالمان وهما الشيخ أحمد الأحسائى والسيد كاظم الرشتى — تاريخ البابية، طبعة المنار، ص ١١٥

المجنز

تعاليم[1]:

تحت ستار إصلاح الإسلام أنشأ الباب دينا جديداً له معتقداته وأحكامه وتصوره الخاص لحياة الجماعة . فالله واحد ،وعلى محمد هو المرآة التى فيها يتجلى الله وفيها يستطيع كل إنسان أن يراه. ويقول كتاب «البيان العربى» (ترجمة Nicolas ص ١٣٣) « اتخذوا مرآة من نفوسكم ومن أعمالكم حتى لا تروا فى هذه المرآة إلا الشمس التى تحبون » .

وتقول تعاليم الباب إن الله خلق العالم بوساطة سبع صفات تسمى حروف الحق وهى القدر والقضاء والإرادة والمشيئة والإذن والأجل والكتاب . وللعدد عندهم شأن كبير وهم يقدسون العدد ١٩ . وهو فى حسابهم يوجد فى كلمة «واحد» وكلمة «وجود» ، ويقسمون السنة إلى ١٩ شهرا والشهر إلى ١٩ يوما (انظر البيان ص ١٩) وتساوى السنة عندهم ٣٦١ يوما . ويدبر شئون الجماعة مجلس يتألف من ١٩ عضوا وهو الذى تدفع إليه زكاة مقدارها $\frac{1}{5}$ قيمة العقار وتجمع فى كل عام من رأس المال وباعتبار أن رأس المـــال لم ينقص (ص ١٨٨) . ويطلب إلى معتنق هذا الدين دفع هذه الزكاة ولكنه لا يكره على أدائها لا بوساطة السلطة الزمنية ولا بوساطة السلطة الروحية .

وتعاليم الباب تلغى جميع العقوبات اللهم إلا دفع الدية والتفريق بين الزوجين لمدة تطول أحيانا وتقصر أحيانا . وهى تقرر حرية التجارة والتعاقد حرية تامة وتبيح دفع فائدة على البضائع التى تشترى لأجل .

والزواج إجبارى بعد سن الحادية عشرة (ص ١٨٧) ،ولا تشجع هذه التعاليم الطلاق بل تترك للزوجين سنة لمحاولة التوفيق بينهما . وإذا وقع الطلاق ، جاز الرجوع فيه بعد مضى تسعة عشر يوما ، والطلاق تسع عشرة مرة (ص ١٦٣) . وزواج الأرامل مباح بشرط دفع دية ولا يتزوج الأرمل إلا بعد مضى ٩٠ يوما على وفاة زوجته الأولى ، أما الأرملة فيمكن زواجها بعد مضى ٩٥ يوما على وفاة زوجها الأول (ص ٢٠٧) .

ولا يؤدب التلميذ بالضرب قبل الخامسة من عمره ، وبعد هذه السن لا يسمح بضربه أكثر من خمس عصى وألا يكون الضرب على اللحم (ص ١٦٣) . ويؤمر التلميذ بأن يكون حسن الأدب . وتنسخ هذه التعاليم تعاليم الإسلام القاضية بتجنب الترف ولبس الحرير واستعمال الذهب والفضة . (ص١٦٢) .

وتفرض هذه التعاليم صوم شهر (أى ١٩ يوما) فى كل سنة من شروق الشمس إلى غروبها ، والصوم إجبارى على كل من بلغ إحدى عشرة سنة ولم تتجاوز سنه الثانية والأربعين ، ولا يفرض الغسل ولكنه مستحب ، وينبغى أن يوجد حمام فى كل جهة ويجوز رؤية النساء سافرات والتحدث إليهن من غير حرج دون إساءة إليهن . غير أنه

(١) البابية مجموعة من العقائد ملفقة من أديان مختلفة وهى لاتمت إلى الإسلام بصلة. اللجنة

يحسن ألا يتجاوز الحديث معهن ٢٨ كلمة (ص ١٨١)

والحج عندهم هو زيارة البيت الذى ولد فيه الباب، وينبغى أن يقام فيه مسجد، (ص ١٤٠، ١٤٦) والمكان الذى حبس فيه وبيوت كبار تلاميذه.

ولا تحض هذه التعاليم على السفر إلا إذا كان لتجارة. ولا تبيح ركوب البحر إلا للحجيج والتجار. ولا تقام عندهم صلاة الجماعة اللهم إلا صلاة الجنازة (ص ٢٠٠)، وإن كانت تعاليمهم تحض على الوعظ فى المساجد.

ولا يوجد فى شريعتهم نجاسة بل إن مجرد اعتناقها يطهر الإنسان (ص ١٤٩) ويصبح كل ما يملكه طاهرا فى الحال؛ والماء هو الطهارة نفسها ويطهر كل شىء[١].

ولا بد من قراءة ١٩ فقرة من كتاب «البيان» فى كل يوم وأن يذكر اسم الله ٣٦١ مرة. ويجب أن يدفن الميت فى قبر من البللور (ومن هنا نشأت قصة دفن الباب فى كفن من البللور) أو فى قبر من حجر منحوت مصقول. ويلبس الميت فى يده اليمنى خاتما ينقش على فصه فقرة من البيان، حتى لا يخاف الميت فى قبره، (ص ١٥٢، ١٨٢) وينبغى ألا يضر الإنسان غيره أو يكون سببا فى أذى جاره (ص ١٦٨). وينبغى أن يجيب من يكلمه أو يكتب إليه، وألا يمزق الرسائل بل يكون أمينا فى تسليمها إلى أصحابها (ص ١٦٩). ويحرم شرب الخمر وأكل المعاجين (ص ٢٠٠) ويجب أن يدعو كل واحد ١٩ شخصا مرة فى كل ١٩ يوما ولو لشرب الماء. والشحاذة محرمة، وتعتبر هذه التعاليم أن إعطاء السائل خطيئة من الخطايا.

وتوزع التركة بعد تكاليف الدفن على[١] الوجه الآتى (ص ١٧٩): — ٩/٦٠ للأولاد و ٨/٦٠ للزوج، ٧/٦٠ للوالد، ٦/٦٠ للأم، ٥/٦٠ للأخ ٤/٦٠ للأخت، ٣/٦٠ للمعلم. ولا حق فى الميراث لغير هؤلاء، ولهم أن ينيبوا عنهم غيرهم (ص ١٩٠). وقد وضع على محمد عدة مصنفات كلها مخطوطة؛ فهو صاحب كتاب البيان (بالعربية والفارسية) وكتاب «بين الحرمين» وتفسير لسورة يوسف

المصــــادر

(١) Cte de Gobineau: *Les Religions et les Philosophie dans L'Asie centrale* باريس ١٨٦٥، ص ١٤١ — ١٧٢ (٢) ميرزا كاظم بك: [redacted] *el-les Babis* فى المجلة الآسيوية المجموعة السادسة، المجلد السابع، ص ١٢٩ وما بعدها (٣) Cl. Huart: *La Religion du Bab*، باريس ١٨٨٩ (٤) Edw. G. Browne: *A Traveller's Nar. ative*

(١) فى هذا شىء من التناقض لأن كون الماء يطهر فى عقيدتهم كل شىء يقتضى وجود النجاسة التى يطهرها الماء.

اللجنة

(١) يظهر أن توزيع التركة على هذا الوجه ناقص لأن مجموع الوزع من التركة ليس واحداً صحيحاً.

اللجنة

ص ١ — ٤٥ ، ص ٢٢٦ وما بعدها (٥) المؤلف نفسه : A year amongst [illegible] Persians ، ص٥٨ و٣٢٠ وما بعدها (٦) A.L.M. Nicolas : Sayyid Ali Mohammed dit le [illegible] باريس ١٩٠٥ (٧) Ls Béyan Arabe ترجمة Nicolas ، باريس ١٩٠٥ .

وانظر مصادر أخرى مذكورة فى Geiger [illegible] Kuhn : Grundr. der iran Philol. ج ٢ ، ص ٦٠٢ وما بعدها ، ص ٣٦٧

[Cl. Huart. هيوار]

« باب الأبواب » انظر « دربند »

« بابا » : كلمة تركية معناها أب وتطلق كذلك على كبار السن . ومعناها « جد » فى اللغة التركية الشرقية (انظر Vambéry : Chagat. Sprachstudien ، ص ٢٤٠ وسليمان أفندى : لغـــات جغتاى ص ٦٦) . ونجد هذا اللقب مذكوراً فى كتاب ألف ليلة وليلة فى قصة « على بابا والأربعون لصاً » ، التى ترجمها إلى الفرنسية Galland والتى اكتشف أصلها العربى منذ عهـــد قريب (انظر Duncan B. Macdonald : فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، عدد أبريل سنة ١٩١٠) .

وأطلق هذا اللقب على بعض الأولياء مثل كيكلى بابا ودوغلى بابا اللذين صحبا السلطان أورخان فى حصاره لمدينة بروسه ، وعلى خان القريم بابا كراى بن محمد كراى الذى خلف أباه بعد وفاته ثم قتل بعد ستة أشهر (٩٢٩ هـ = ١٥٢٢ م) . وقبـــل عهـد الإصلاح كان يطلق لقب « بابا » على الأربعين بواباً « قاپيجى » فى الحريم السلطانى . وكان يلقب رئيسهم بلقب « آغا بابا سى » (انظر Barbier [illegible] Meynard: *Supplément* ج ١ ، ص ٢٥٧) . وكان يلقب بلقب « آهو بابا » زعماء جماعات الصـــناع الذين كانوا يمنحون التلاميذ لقب صانع ومئزرة من الجلد .

ومن مشتقات كلمة « بابا » : —

(١) « بابا بورنو » : ومعناها « أنف بابا » (أسوس القديمة) : رأس عال فى البحر فى غربى آسية الصغرى بين أزمير والاستانة ، على خط طول ٤٤َ ٢٣° شرقاً وخط عرض ٢٨َ ٣٩° شمالا . وهو نهاية الطرف الغربى لجبل « إيده » . وعلى جانبه قلعة بابا ومدينة بابا التجارية . وهى تابعة لسنجق بيغا وقضاء آيواجق . ولها ميناء حصينة صغيرة تسمى « بابا ليمانى » . وعدد سكانها يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ نسمة . وكانت فى الزمن الغابر مشهورة بصناعة الخناجر .

(٢) « بابا داغى » : اسم جبـل فى آسية الصغرى [فى إقليم أيدين ، سنجق « دكيزلى » جنوبى هذه المدينة] . و « بابا داغ » أيضاً من الأسماء التى تطلق بين غيرها على جبل ومدينة فى رومانيا .

(٣) «باباى عتيق» : الاسم الرسمى للسوق التى تسمى عادة «أسكى بابا» أو «بابا أسكى» ، وهى حاضرة قضاء فى إقليم أدرنة فى سنجق قرق كليسا ، ويشمل ثلاث نواح و ٣١ قرية . وفيها محطة للسكة الحديد الواصلة إلى أدرنة ؟

المصـــــادر

(١) Barbier de Meynard : *Supplément aux dictionnaires turcs* (٢) على جواد : جغرافيه لغاتى ، ص ١٤٣ (٣) سالنامه ، ١٣٢٥ ، ص ٩٠٦ و ٩٨٠ (٤) Texier : *Asie Mineure* ، ص ٢٠ .

[هيوار Cl. Huart]

«بابابك» : اسم أمير من الأزابكة من أسرة «كنكيس» ، كان أميراً لشهر سبز إلى سنة ١٨٧٠ . وفى صيف سنة ١٨٦٨ اشترك فى حصار قلعة سمرقند التى كانت فى يد الروس حينذاك . واستولى الروس بقيادة القائد أبروموف Abromow على شهرسبز فى صيف سنة ١٨٧٠ ، ففر «بابا بك» ومعه عدد قليل من أتباعه المخلصين وذهب أولا إلى وادى زرافشا الأعلى ثم إلى فرغانة ، وهناك قبض عليه بأمر خان خدايار وسلم إلى الروس فحجزوه فى طشقند وجعلوا له معاشاً قدره ٣٠٠٠ روبل . ودخل «بابا بك» فى خدمة الروس بعد سنة ١٨٧٥ ، واشترك فى السنة نفسها فى الحملة التى جردت على خوقند ، وبعد انتهاء الحرب فى العام التالى رقى إلى رتبة «Major» . وعاش بعد ذلك فى طشقند إلى أن توفى قبل سنة ١٩٠٠ بقليل ؟

[بارتولد W. Borthld]

«بابا طاهر» : صوفى وشاعر كتب بإحدى اللهجات الفارسية . ويقول رضا قلى خان (القرن التاسع عشر) دون أن يعين المصدر الذى استقى منه إن بابا طاهر كان موجودا فى عهد الديلم وإنه توفى سنة ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م .

ومن رباعيات بابا طاهر واحدة غامضة المعنى تقول : «أنا ذلك البحر الذى دخل فى إناء ، أنا تلك النقطة التى دخلت فى الحرف ، فى كل ألف (ألف سنة مثلا ؟) يقوم رجل مستقيم كالألف (ألف قد) ، أنا هو ذلك القائم الذى جاء فى هذه الألف» . وقد فسر هذه الرباعية تفسيراً عجيباً مهدى خان ونشره فى مجلة الجمعية الأسيوية فى بنغال J. A. S. Bengal قال فى تفسيرها : إن حروف كلمة «ألف قد» تساوى فى العدد ٢١٥ ، وهو ما تساويه كلمة «دريا» وهى كلمة فارسية معناها «بحر» وما تساويه أيضاً كلمة «طاهر» وهى اسم الشاعر . فإذا أضفنا «أليف قد = ٢١٥» إلى «أليف» وهى تساوى ١١١ كان المجموع ٣٢٦ [وهذا العـــدد يساوى كلمة هزار الفارسية ومعناها «ألف» إذا تهجيناها : ها — زا — ألف — راء] . وبهذه الطريقة

يذهب مهدى خان إلى القول بأن عبارة «ألف قد فى الألف» تعطى تاريخ ميلاد بابا طاهر الذى يمكن أن يكون قد عاش إلى سنة ٤٠١ هـ

وبالرغم من خطأ هـــذا التفسير فإن الشاهد التاريخى الوحيد الذى وقفنا عليه هو ما رواه صاحب راحة الصدور (ص ٦٠١ (١٢٠٤)، طبعة جب التذكارية، ص٩٨ — ٩٩) إذ يقول إنه سمع أنه عندما دخل طغرل سلطان السلاجقة مدينة همدان سنة ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م، وجه إليـه بابا طاهر نصيحة قال فيها «أيهـا التركى، ماذا أنت صانع بالمسلمين؟» وقد تأثر الفاتح التركى كثيراً بهذه النصيحة. وهذه القصة تجعل وفاة بابا طاهر حدثت بعد سنة ٤٤٧ ولـكنها لا تناقض بأى وجه ما قيل من أنه كان موجوداً فى عهد الديلم: بنى بويه وأقاربهم، وبنى كاكاويه Kakoyids الذين ظلوا يحكمون همدان إلى حملة إبراهيم بن ينال سنة ٤٣٥ هـ. وربما كان بابا طاهر معاصراً لابن سينا الذى توفى فى همدان ســنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م)، ولـكن الأساطير التى تذهب إلى أنه حضر إعدام الصوفى «عين القضاة الهمدانى» سنة ٥٣٣ هـ وأنه كان معاصرا لنصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ، هى من وحى الخيال لا غير.

وتلقب المصادر باباطاهر أحيانا بالهمدانى (انظر المخطوط العربى، ١٩٠٣ بالمكتبة الأهلية بباريس سرانجام.... إلخ) وأحياناً تلقبـه باللورى. وهذا اللقب الأخير يبعث فينا شيئا من الدهشة. أله معنى آخر غير إبراز نسبة الشاعر إلى بلاد اللور (لورســتان)؟ ولا شك فى أنه يحسن بنا أن نتذكر أن الصلات كانت فى القرن الحادى عشر وثيقـة جداً بين همدان ولورستان، وربما عاش الشاعر مقسما حياته بينهما. وفى خُرّم آباد حى سمى باسم بابا طاهر (انظر Edmonds: *Geogr. journ.* يونية ســنة ١٩٢٢، ص ٤٤٣).

ومما له دلالة خاصة ما ورد فى معتقدات «أهل الحق» — انظر هذه المادة، مما يجعل لبابا طاهر صلة بلورستان. وفى رباعيات بابا طاهر نجد كثيراً اسم جبل الوند (انظر هذه المادة) الذى يشرف على مدينة همدان (انظر الديوان رقم ١٠٢، ٢٠٠، ٢٧٤). وقبر بابا طاهر موجود على تل صغير فى الشمال الغربى من المدينة فى حى «بن بازار»، وإلى جانبه قبر فاطمة وقبر ميرزا على نقى كوثرى (القرن الحادى عشر) وهمـا من أتباعه المخلصين. والضريح حقير البناء ولا قيمة له، وورد ذكره فى نزهة القلوب (٧٤٠ = ١٣٤٠) طبعـة جب التذكارية، ص ٧٥، ورسمـه فى Minorsky: Materiaux، طبعـة موسكو، سنة ١٩١١، ص ١١ (انظر أيضاً Williams Jakson فى: A visit to the Tomb of Baba Tahir at Hamadan: A volume presented to E. G. Browne، طبعـة كمبردج، سنة ١٩٢٢، ص ٢٥٧ — ٢٦٠.

والحكايات التى يسمعها الإنســـان فى

مازندران عن صلة بابا طاهر بهذا الإقليم لا أساس لها من الصحة ، وربما كانت من وحى أولئك الذين هاجروا من لورستان . وإلى جانب هذا نرى جميع الرحل فى بلاد الفرس يميلون إلى اعتبار باباطاهر مواطنا لهم.

لغة بابا طاهر :

لما كانت الوقائع والروايات جميعا تجعل صلة للشـــاعر بهمدان ولورستان فإنه من المعقول أن تتوقع وجود آثار من لهجة هذا الإقليم فى لغته . على أن لهجة هذا الإقليم قريبة جدا من اللهجة الفارسية ، وأشعار بابا طاهر وصلت إلينا بالنقل من فم إلى آخر ، وحاول رواتها النطق بها مفهومة واضحة ، من أجل هذا أصبح من العسير أن نضع أشعاره فى اللهجة التى استعملها هو . وربما رجح قول من قال إن باباطاهر أراد أن يقلد فى شعره لهجات أولئك القوم التابعين . وفى أيامنا هذه زعم كردى من النصارى أنه أنشأ أشعارا باللجهة الكورانية وهى متميزة عن لغته تماما ، ليؤدى بها الرسالة ، إلى أهل الحق (انظر مقال الدكتور سعيد خان فى مجلة العالم الإسلامى، The moslem World ، يناير ١٩٢٧ ، ص ٤٠) .

والبلاد الواقعة بين همدان وخرّم آباد ما زال فيها عدة لهجات ، ولكن اللهجة التى استعملها بابا طاهر ليست ذات صلة بلهجة واحدة معينة وإنمـــا هى تستمد من هذه اللهجات جميعا . ولسنا ننكر وثاقة الصلة بين النص الحالى لأشعـار بابا طاهر وبين اللغة الفارسية الأدبية ، على أننا نلاحظ أنه استعمل كلمة « نوم » بدلا من « نام » ومعناها اسم و « دستوم » بدلا من « دستم » ومعناها يدى و « رفتوم » بدلا من « رفتم » ومعناها ذهبت و « دير » بدلا من « دور » (انظر Cl. Huart ؛ ص ١٤ الديوان رقم ٨٢) وهذا الاستعمال خاص بلهجة اللور . واستعمل بابا طاهر أيضا عبـــارة « ميكرو » بمعنى يفعل وعبـارة « آيو » بمعنى يأتى وهذا يذكرنا على وجه خاص بلغـة الحديث الكورانية المستعملة ناحية الغرب على شىء من البعد غير قليل . واستعماله لكلمة « ديرم » بدلا من « دارَم » لانجد شبيها له إلا فى بلدة كازرون بالقرب من شيراز .

وقد بين « هندك » Handak فى تحليله المفصل ، وأظهر فى وضوح وجـلاء ما فى رباعيات بابا طاهر من مزج بين اللهجات المختلفة ، ولو باعتبار ما عرفنـاه من هذه اللهجات فى الوقت الحاضر على الأقل . أما تسمية « هيوار » Hurat للغة التى استعملها باباطاهر باللغة الفهلوية الإسلامية سنة ١٨٨٥ ، فهى تسمية لم يرض عنها العلماء .

ووزن الشعر فى رباعيـات طاهر وفى قصائده الغزلية يكاد يكون كلـه من الهزج المسدس المحذوف ، ولهذا فإن ناشر ديوانه حديثا سمى رباعياته بالدوبيت بدلا من الرباعيات

لأن الاسم الأخير أقرب صلة بوزن الهزج المكفوف المقصور. ويظهـــر أن بعض الرباعيات المنسوبة إلى بابا طاهر مشكوك فى صحتها. ونجد الوزن الذى استعمله فى شعره مستعملا أيضا فى بعض الأغانى الشعبية (انظر ميرزا جعفر [Korsch] .Gramm. pers Yazika ، طبعة موسكو، سنة ١٩٠١، ص٣٠٨)

بابا طاهر الشاعر

كان كل ما نعرفه عن شعر بابا طاهر إلى سنة ١٩٢٧ عبارة عن عدد قليل من قصائده ورد معظمها فى كتب الأشعـار التى جمعت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وأدت أبحاث هيوار Huart إلى نشر ٥٩ رباعية من رباعيات طاهر فى سنة ١٨٨٥ و ٥٩ رباعية أخرى وقصيدة من قصائده الغزلية فى سنة ١٩٠٨. ووجد هرون ألن ,E. Heron Allen ثلاث رباعيات جديدة ولـكن صحة نسبتها إلى طاهر مشكوك فيها. وترجم *Leszczynski* ٨٠ من رباعيات طاهر وقصيدة له فى الغزل غير التى نشرها هيوار معتمدا فى ذلك على مخطوط برلين. وفى سنة ١٣٠٦ (١٩٢٧) نشر حسين وحيـد دستجردى الأصفهانى محرر مجلة أرمغان الفارسية ديوانا لبابا طاهر يشتمل على ٢٩٦ دوبيتا و ٤ قصائد فى الغزل، وألحق الناشر بهذا الديوان ٦٢ دوبيتا وجدها فى مجموعات مختلفة والرباعيات الثلاثة التى أضافها هرون ألن. والرباعيات مرتبـة فى الديوان حسب الترتيب الأبجدى لقوافيها.

ومما يؤسف له أن النـاشر لم يتحدث عن مخطوط الديوان الذى نشره. والرباعيات الجديدة تردد فى عدد منها ذكر اسم بابا طاهر وجبال ألوند وميمند الخ. مما يؤيد الخصائص المعروفة عن بابا طاهر ولـكن هذا التـكرار يجعل أشعاره مبتذلة بعض الشىء، والذوق اللغوى يؤيد صحة نسبة هذه الرباعيات إلى بابا طاهر وإن كان تقليد مميزاته اللغوية ليس بالأمر العسير.

ولا شك فى أن هناك مجالا للتساؤل عن صحة نسبة رباعيات بابا طاهر إليه، شأنها فى ذلك شأن رباعيات عمر الخيـام. ويقول زكوفسكى *Zukowski* إن رباعيات بابا طاهر موجودة فى ديوان ملا محمد الصوفى المازندرانى المتوفى فى القرن الحـــادى عشر الهجرى، ويدعى شاطر بك محمد وهو شاعر من المحدثين فى همدان أنه صاحب بعض الرباعيات الـكردية (الفهلوية) المنسوبة إلى بابا طاهر فى ديوانه (ص ٢١).

واختيار المواضيع التى تناولها بابا طاهر فى شعره كان اختيارا محدودا جدا، ولـكن شعره ينم عن طابع شخصيته المتميزة. وسنحلل فيما يلى ٥٩ رباعية له نشرها هيوار لتمكن القارئ من الحكم عليه. ومن الصعب كما هى العادة، أن نضع حدودا فاصلة نميز بها العبارات الصوفية من عبارات الحب المبتذل؛ وهناك ٣٤ رباعية تكاد تنقسم بالتساوى إلى

نوعين من أنواع الشعر الغنائى ، ورباعيتان ليس فيهما إلا الضراعة إلى الله ، والباقى من هذه الرباعيات له طابع شخصى .

ويصف باباطاهر حياته فى هذه الرباعيات فيقول إنه درويش dervishkalander يتنقل من مكان إلى آخر ، لا يغطى رأسه سقف ؛ يتوسد فى نومه وسادة من الحجر ويزعجه القلق الروحانى باستمرار (رقم ٦ ، ٧ ، ١٤ ، ٢٨) . يمزق قلبه الكآبة والهم ، ولا يزهر فى قلبه إلازهرة الأسى وحدها ؛ حتى الربيع بما فيه من حسن وسحر يخلفه شقيا بائسا (رقم ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٥٤) . ويعبر باباطاهر عن الفلسفة الصوفية الصحيحة فيعترف بآثامه ويطلب الصفح والغفران ، ويقر بذله وينشد الفناء لأنه الدواء الوحيد الشافى لآلامه (رقم ١ ، ١٣ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٨) . ويتميز باباطاهر بنحو من أنحاء الضعف الإنسانى ، فعيناه وقلبه لا ينصرفان فى سهولة عن التعلق بأسباب هذه الحياة الدنيا ، وقلبه الثائر يشتعل بين ضلوعه ولا يريحه لحظة واحدة ، فيهتف الشاعر فى ألم « أأنت أسد أيها القلب أم نمر من النور ؟ أنت الذى لا تكف عن حربى وكفاحى . سأسفك دمك أيها القلب إذا وقعت فى يدى لأرى من أى لون أنت (٣ ، ٨ ، ٩ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٢) .

ودراسة باباطاهر من ناحية علم النفس تظهر أنه يباين عمر الخيام مباينة قوية ؛ فلسنا نجد فى شعره أثرا من قول الخيام بأن السعادة هى الغاية المثلى من الوجود ، ولانجد فى شعره كذلك ما نجده فى شعر الخيام من الاطمئنان إلى ما يتمخض عنه الموت ، على أن الخيام تنقصه تلك الشعلة الصوفية التى نجدها فى شعر باباطاهر (انظر Christensen : *Critical Studies in the Ruba 'iyat of Umar-i Khayyam* ؛ طبعة كوبنهاجن ، سنة ١٩١٧ ، ص ٤٤) .

ومميزات شعر باباطاهر التى تبعث فى النفس المتعة والسرور هى ما نلمسه فى شعره من عاطفة متوقدة قوية لم تصطبغ بما اصطلح عليه المتصوفة وألفوه ، وماله من خيال مبتكر ، وإذا تحدث عن الفزع فإنه يعبر عنه فى أسلوب سهل بسيط ؛ وإذا أتيح لشعر باباطاهر مترجم من طراز فتزجرالد Fitzgerald [مترجم رباعيات الخيام] لكان منافسا خطيرا لعمر الخيام .

باباطاهر الصوفى :

إن الدراويش من الفرس الذين تحدث إليهم زوكوفسكى ذكروا له أن باباطاهر صنف ٢٢ رسالة فى علم ما بعد الطبيعة « الميتافيزيقا » (انظر أيضا « رضاقلى خان »)، على أننا لم نعرف فى أوربا وجود تفاسير وشروح لأقواله فى أكسفورد وباريس إلا بفضل إتيه وبلوشيه Ethé and Blochet . وقد نشرت الآن رسالته الكاملة المسماة « الكلمات القصار » فى طبعة أرمغان . وهى

تتألف من ٣٦٨ مثلا بالعربية ، صنفت فى ٢٣ بابا وتتحدث عن العلم والمعرفة والإلهام والفراسة والعقل والنفس والدنيا والعقبى والسماع والذكر والإخلاص والاعتكاف.

وهاك أمثلة من حكمه : « الحقيقة المستفادة بعد علم اليقين » رقم ٦٨ ، « الوجد فقدان الموجودات ووجود المفقودات » رقم ٩٦ . «من حلّ به قضاء الله يبقى من غير حركة ومن غير إرادة » رقم ٣٦٨ . « من قتله الجهل لم يعش أبدا ومن قتله الذكر لن يموت أبدا » رقم ٣٠٠ .

ويظهر أن الأمثال القصار كانت شائعة منتشرة بين الصوفية . ويذكر الناشر الفارسى أن هذه الأمثال كتبت عليها الشروح الآتية : شرح بالعربية منسوب إلى عين القضاة الهمدانى المتوفى سنة ٥٣٣ ه والذى تربط الأساطير دائما بينه وبين باباطاهر؛ وشرح بالعربية آخر لمصنف غير معروف . وشرح بالعربية وآخر بالفارسية لملا سلطان على الكنابادى ، وقد طبع الشرح الفارسى فى سنة ١٣٢٦ه (١٩٠٦م) ولكنه نادر الوجود . ويرجو الناشر الفارسى أن يتمكن يوما ما من نشر الأمثال القصار مع أحد شروحها .

والمخطوط العربى رقم ١٩٠٣ الموجود فى المكتبة الأهليـــة بباريس يحتوى على الفصول الثمانية الأولى من أمثال باباطاهر فى شكل مختصر (ورقة ١٠٠ ب — ورقة ١٠٥ ب) وكذلك على شرح له (ورقة ٧٤ ا — ورقة ١٠٠ ا) اسمه «الفتوحات الربانية فى إشارات الهمدانية » .

ويظهر أن المخطوط كان فى حوزة جانى بك العزيزى صاحب الشرح الذى بدأ فيه فى شوال سنة ٨٩٩ وانتهى منه فى ٢٠ شعبان سنة ٨٩٠ ه (١٤٨٥ م) . وقد كتب الشرح تلبية لرغبة شيخ اسمه أبو البقاء كان فى حوزته « إشارات بابا طاهر » منذ سنة ٨٥٣ ه . ووقع المخطوط منه فى بئر زمزم بمكة ولكنه أخرجه منها بأعجوبة . وسعى العلماء فى إقناع أبى البقاء بالعدول عن كتابة شرح للمخطوط لأن أقوال بابا طاهر غامضة بعيدة الغور فكلف أبوالبقاء جانى بك بشرحه فشرحه كلمة كلمة .

بابا طاهر الولى

هنـاك كثير من الأساطير التى تتحدث عن حياة الشاعر وكراماته ، شأنه فى ذلك شأن الشعراء الصوفية أمثال العطار وجلال الدين الرومى وحافظ . ويروى أنه لما سأل بابا طاهر تلاميـذ مدرسة همدان أن يدلوه على طريق العلم أجابوه متندرين : إن الإنسان لايحصل على العلم إلا إذا قضى ليلة من ليالى الشتاء فى صهريج مملوء بماء شديد البرودة . ونفذ بابا طاهر قولهم هذا فلما أصبح الصباح ألفى نفسه مستنيراً بالعلم فهتف قائلا: « أمسيت كردياً وأصبحت عربياً » . هذه القصة سمعها زوكوفسكى فى طهران وهِرون ألن فى بوشير،

وهى منتشرة انتشاراً كبيراً فى همدان (انظر مقـدمة الديوان ، ص ١٧ وكذلك مخطوطات همدان) . على أن هذه العبارة نجدها فى مقدمة المثنوى الذى صـنفه جلال الدين الرومى منسوبة إلى جد (صوفى ؟) غير معروف لابن أخى وهو تركى من أرمية ، ونسب جامى فى كتابه المسمى « نفحات الأنس » ، طبعة *Nassau Lees* ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ هذه العبارة كذلك إلى أبى عبد الله البابونى .

وهناك أساطير لها مسحة من التقى تصور بابا طاهر يذيب البرد من فوق جبـل ألوند بقوة حرارته الروحانيـة ، وتقول إنه حل بإصبع قدمه سؤالا فى الفلك وجّه إليه ، (انظــــر ، *Allen* ، *Heron* ، *Leszczynski* *Zukowski* وكذلك مقدمة الديوان ومخطوطات همدان) .

ويقول جوبينو Gobineau فى كتابه *Asie* ، *Trois ans* ، طبعة باريس ١٨٥٩ ، ص ٣٤٤ : « إن أتباع طائفة أهل الحق يمجدون كل التمجيد مشـــاهير المتصوفة ويسمون الأماكن بأسمائهم إعجاباً بهم وبخاصـة بابا طاهر الذى يقدرون شعره المكتوب فى لهجة اللور تقديراً كبيراً وكذلك أخته « بيبى فاطمة » الخ .

وقد هيأ لنا العثور على الكتاب الدينى المسمى « سرانجام » تعيين مقام بابا طاهر فى نظرية تجسد الإله عند طائفة أهل الحق ؛ فهم يعتقدون أن الإله تجسد فى صور سبع متعاقبة : ظهر قبل الأزل فى صورة خاوندكار ، وفى المرة الثانية فى صورة على ، وفى الثالثة فى صورة بابا كوشين والرابعة فى صورة السلطان إسحاق . ويقول أهل الحق إن الإله ظهر فى كل مرة من هذه المرات يحف به أربعة من الملائكة لكل منهم وظيفته الخاصـة . ويعتبر أهل الحق بابا طاهر واحداً من الملائكة الذين صحبوا بابا كوشين وتجسد عزرائيل وتُصير . والمرتبة الصوفية التى تقابل عهد بابا كوشين هى مرتبة المعرفة ويقولون إنهـــا كانت فى لورستان وهمدان . ويروى مخطوط سرانجام كيف زار ملك العالم بابا طاهر فى همدان ، وملك العالم فى عقيـدتهم هو بابا كوشين ، ولكن يظهر أن هذه القصـة قد أوحى بها ما حدث لطغرل كما رواه صاحب كتاب راحة الصدور . وأطعم بابا طاهر جيش الملك كله بصـــاع من الأرز ، وكانت تخدمه فى ذلك « فاطمة ليره » من قبيلة بيرى شاهى التى كانت فى كوران . وعرض الملك على بابا طاهر كنوز الأرض فأباها ولم ينشد غير جمال الملك . وأرادت فاطمة أن تتبع الملك فوضعت رأسها على ركبتها وانصرفت عن الخيال . وواسى الملك بابا طاهر ثم وعده أن يجمع بينـه وبين فاطمة فى يوم الحساب وأن يجعلهما معاً مثل ليلى والمجنون . وفى كتاب سرانجام ١٣ مقطوعة شعرية ناقصة ولكنها مكتوبة فى لغـة بابا طاهر (انظر Minorsky ، ص ٢٩ ، ٣٣ ، ٩٩ — ١٠٣)

ودفنت فاطمة ليره المذكورة فى هذه القصة بجانب قبر بابا طاهر ، وينبغى ألا نخلط بينها وبين فاطمة أخرى مدفونة فى نفس البقعة .

ويذكر Gobineau و A. V. W. Jackson اختا لبابا طاهر اسمها بيبى فاطمة أو فاطمة ليلى ، ويتحدث آزاد الهمدانى عن قبر مرضعة بابا طاهر ويظهر أن كل واحد أراد أن يفسر الصلات الصوفيـة التى كانت بين بابا طاهر وفاطمة بلغة الحياة العادية ،وربما ألقت الرباعية التى ذكرناها فى بداية هذا المقـال (ألف ، ألف قد) شيئاً من الضوء على شوق بابا طاهر وتلهفه ؟

المصـــادر

ا) إن المخطوطات التى تشتمل على رباعيات بابا طاهر هى : —

(١) مخطوط الجمعيـة الأسيوية فى بنغال ، فارسى ، رقم ٩٢٣ ، فهرست إيفانوف ص٤٢٤ (مجموعة ألف (١٥٩٢) (٢) -Preuss. Staats bibl. Catal. Pertsch ، ص٧٢٧ ، رقم ٦٩٧ ، وهو مخطوط تاريخه ١٨٢٠ واستعمله Leszczynski (٣) ٥٦ رباعية فى المكتبة الأهليـة بباريس ، الفهرس الفارسى رقم ١٧٤ ، فهرس بلوشـيه ، جـ٢ ، ص ٢٩٠ — ٢٩٢ (٤) المجموعة التى جمعها بخش على قره باغى فى سنة ١٢٦٠هـ = ١٨٤٤ م . وتشتمل على ١٧٤ رباعية وقصيدة فى الغزل (٥) ووجد زوكوفسكى فى مسجد سپاه سالار ، بطهران مخطوطاً عنوانه «حالات باباطاهر بانضمام أشعارش» ، ولـكن العنوان لا يتفق ومشتملات المخطوط .

ب) مخطوطات بابا طاهر الصوفية :

(١) مخطوط المكتبة الأهليـــة بباريس رقم ١٩٠٣ ، فهرس بلوشيه جـ٢ ، ص ٢٩١ . (٢) مخطوط إتيه فى أكسفورد، فهرس المخطوطات الفارسـية بمكتبة بودليانا رقم ١٢٩٨ ، ورقة ٣٠٢ ب — ٣٤٣ .

جـ) ومجموعات الشعر التى ورد فيها ذكر بابا طاهر هى :

(١) على قلى خان واله : رياض الشعراء ، ١١٦١ هـ = ١٧٤٨ م انظر *Leszczynski* ، ص ١٠ (٢) لطف على بك : آتشكده ، ١١٩٣هـ = ١٧٧٩ م بومباى ١٢٧٧ ص ٢٤٧ وفيها ٢٥ رباعية (٣) على إبراهيم شاه ، صحف إبراهيم ١٢٠٥ هـ = ١٧٩١ م ، المخطوط الوحيد لها موجود فى مكتبة *Preuss Staatsbibl. Pertsch* ص ٦٢٧ ، رقم ٦٦٣ وقد استعمله زوكوفسكى و *Leszczynski* (٤) رضا قلى خان ، مجمع الفصحاء ، طهران ، ١٢٩٥ ، جـ ١ ، ص ٣٢٦ وفيه ١٠ رباعيات . (٥) رضا قلى خان ، رياض العارفين ، طهران ، ١٣٠٣ ، ص ١٠٢ ، وفيه ٢٤ رباعية (٦) ونشر ٣٢ رباعية من رباعيات بابا طاهر مع رباعيات عمر الخيـام فى بومباى سنة ١٢٩٧ وسنة ١٣٠٨ (٧) ٣٢ رباعية نشرت فى كتاب أنصارى المسمى « مناجات » ، طبع فى بومباى سنة ١٣٠١ (٨) ٢٤ رباعية نشرت مع رباعيات الخيام فى طهران سنة ١٢٧٤ (٩) غزل بابا طاهر طبع ملحقاً بديوان شمس المغربى فى

طهران سنة ١٢٩٨ ص ١٥٨ وفى كتاب الأنصارى الذى ذكرناه من قبل وغيره (١٠) ونشر ديوان بابا طاهر ومعه الكلمات القصار ومقدمة بقلم الناشر وتاريخ حياة بابا طاهر بقلم محمود عرفان ووصف قبره بقلم آزاد الهمدانى الخ بصفة ملحق للسنة الثامنة لمجلة أرمغان فى طهران سنة ١٣٠٦ ﻫ (١٩٢٧ م) ص ١ — ١٢٤ (١١) Cl. Huart: *Les quatrains de Baba Tahir "Uryan pehlévi musulman"* فى المجلة الآسيوية، المجموعة الثامنة، المجلد السادس نوفبر — ديسمبر ١٨٨٥، ص ٥٠٢ — ٥٤٥ (١٢) Zukowski: *Koye Cto o B. Tahire* *Oolishe Zap.*، ١٩٠٠، جـ ١٣ : ص ١٠٤ — ١٠٨ : وفيه تاريخ حياته وثلاث حكايات عنه ورباعيتان جديرتان إحداهما فى الديوان رقم ١٤٦ (١٣) انظر أيضا *Zap*، جـ ٢، ص ١٢ (١٤) The Lament : *E. Heron Allen of Baba Tahir*، لندن، ١٩٠٢ وفيه ٦٢ من رباعياته ترجها الناشر وقصيدة ترجمتها *Elisabeth Curtis* (١٥) E. G. Browne: *A.Liter. Hist. of Persia*، جـ ١ : ص ٨٣ — ٨٧ وجـ ٢، ص ٢٥٩ — ٢٦١ (١٦) ميرزا مهدى خان، *The quatrains of B. Tahir* فى مجلة الجمعية الآسيوية ببنغال، سنة ١٩٠٤، جـ ١، ص ١ — ٢٩، وقد نشر الرباعيات التى نشرها من قبل هرون ألن وأضاف إليها رباعيـــة أخرى وفيه تصحيحات قيمة وشرح جيد (١٧) Cl .Huart: *Nouvueaux quatraino de B. Tahir* فى *Spiegel Memorial Volume* الذى نشره *J. J. Modi*. فى بومباى سنة ١٩٠٨، ص ٢٩٠ — ٣٠٢ وفيه ٢٨ رباعية وقصيدة فى الغزل تكمل مجموعة سنة ١٨٨٥ التى اكتشفت حديثاً فى مستخرج من «كشكول الفقراء» الذى توجد نسخته الأصلية فى جامع الفاتح بالآستانة : وفى ديوان المغربى وفى مجموعة صور. والمجموعة الثانية التى نشرها هيوار فيها قطع شاذة وترجمتها غير موثوق بهـا (١٨) Minorsky: *Materiaux pour servir à l'étude des croyances de la sect persane dite les Ahl-i Haqq Instituta Truidi Lazarew.* فى *Ali - Ilahi* جـ ٣٣، موسكو ١٩١١، ص ٢٩ — ٣٣، وفيه ترجمة الفقرات المـأخوذة من كتاب سرانجام، والنص الفارسى وعليه تعليقات ص ٩٩ — ١٠٣ (١٩) G. L. Leszczynski: *Die Ruba ʿiyat des Baba Tahir ʿwryan oder Die Gottestränen des Herzens. d. west-medischen (Sic!) Originale*، ميونخ، ١٩٢٠ (٢٠) K. Hadnak: *Die Mundarten Kurd-pers. O. Mann* فى *V.Khun etc Forsch. V.*، المجموعة الثالثة، جـ ١، ليبسيك، ١٩٢٦، المقدمة، ص ٣٧ — ٥٥ وفيه دراسة وافية للغة بابا طاهر وقائمة بالمصادر ؟

[مينورسكى V. Minorsky]

«بابا فغانى» انظر «فغانى»

«باب الحديد» وتسمى «در آهنين» أو «در بند آهنين» وفى اللغة التركية القديمة

« ممر قبيغ » : اسم يطلق كثيرا فى العالم الاسلامى على الممرات والخوانق المهمة . وأشهرها ممر فى سلسلة جبال « بيسون تاو » طوله نحو ميلين وعرضه يتراوح بين ١٢و٢٠ ياردة ، ويمر به الطريق الرئيسى الواصل من سمرقند وبخارى إلى بلخ . وكان اليعقوبى أول من ذكر الممر باسمه الفارسى (طبعة [illegible] غوى ، ص ٢٩٠ ، س ٥) ، ولكن قوله إن مدينة كانت تسمى بهذا الاسم لم يؤيده أى مصدر آخر . وليس من شك فى أن اسم « باب الحديد » يرجع تاريخه إلى ما قبل الإسلام . وكان معروفاً للحاج الصينى «هوأنچنج» (انظر [illegible] [illegible] Mémoires Contrées Occidentales ، ترجمة ستان جليان *Stan Julien* . جـ ١ ، ص ٢٣) .

وإلى الشرق من هذا الممر تبدأ مرتفعات المجرى الأعلى لنهر سيحون التى كان العرب يطلقون عليها اسم « تخارستان » (بالصينية توهولو) .

وظلت البوذية الدين السائد فى هذه المرتفعات إلى أواخر القرن السابع الميلادى على عكس الحال فى إقليمى سمرقند وبخارى . وفى الزمن المتأخر أيضاً كان «باب الحديد» يعتبر الحد الطبيعى الفاصل بين «ماوراء النهر» وبين الأراضى التابعة لبلخ على شاطئ نهر سيحون .

وفى جبال « بيسون تاو » توجد طرق أخرى غير « باب الحديد » كانت معروفة حتى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . وقد وصف شنج شون الصينى واحدا من هـــذه الطرق مر به فى خريف سنة ١٢٢٣ (انظر E. Bretschneider : *Mediaeval Researches* ، جـ ١ ص ٩١) . على أن وجود هذه الطرق لم يؤثر فى الأهمية الحربية أو التجارية لممر باب الحديد . ونجد اسمه مذكورا دائماً فى وصف الحروب التى نشبت فى تلك الأقاليم . وفى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كان لأمير صغانيان قلعة فى باب الحديد أحرقها جيش نوح بن نصر السامانى سنة ٣٣٧هـ = ٩٤٨م (انظر "Gardizi" فى W. Barthold: *Turkestan* ، جـ ١ ، ص ٩) . والقوافل التجارية التى تنقل البضائع من الهند وتذهب عن طريق بلخ إلى سمرقند وبخارى تمر بباب الحديد . وعلى مسيرة يوم من شماله ينفصل عند كندك الطريق الواصل إلى نخشب (يسميها العرب نسف أما اسمها الحـــديث فهو قرشى) وبخارى من الطريق الواصل إلى كش (اسمها عند العرب كس واسمها الحديث «شهرسبز») وسمرقند. ويظهر من كتاب كلافيجو Clavijo (طبعة *Sreznewski* ، ص ٢٣١) أنه فى سنة ١٤٠٤ كان يوجد عند باب الحديد مكتب لتحصيل الرسوم الجركية، وكان تيمور يحصل منه على إيراد كبير . وكلافيجو على ما نعلم هو الأوروبى الوحيد الذى مر من باب الحديد إلى سنة ١٨٧٥ .

و«باب الحديد» ذكره شرف الدين يزدى

(ظفر نامه ، الطبعة الهندية ، جـ ١ ، ص ٤٩ وما بعـــدها) وكذلك بابر (بابر نامه ، طبعة Beveridge ، ص ١٢٤) باسمه المغلى « قهلغه » (وينطق بها المغل فى الوقت الحاضر « قالغه » أو « خالغه » ومنها اشتق اسم مدينة « كلجان » أى باب ؛ وليست هذه الكلمة تركية كما يزعم Le Strange فى The Lands of the Eastern Caliphate ، ص ٤٤١) .

وقد وجد الرحالة الروس الذين وصلوا إلى باب الحديد فى سنة ١٨٧٥ أن الاسم الذى كان يطلق عليه حينذاك هو « بزغاله خانة » ومعناه مأوى التيتل ، وهذا الاسم ذكره لأول مرة « محمد وفا كرمينجى » (فى « تحفة الخانى » ، وهو مخطوط فى المتحف الآسيوى وهو يصف غزوة لمحمد رحيم خان حدثت فى سنة ١١٧١ هـ = ١٧٥٧ م) .

وطريق البريد الروسى فى الوقت الحاضر الذى يذهب من سمرقنـــد إلى ترمذ يمر بباب الحديد . وليس للطريق الآن أية أهمية حربية أو تجارية . وكل أهميته عند الرحالة فى العصر الحاضر تنحصر فى اعتباره ظاهرة طبيعية مهمة تعـــين على دراسة الأحوال الجيولوجية فى المناطق المجاورة . ولم يبق فى باب الحديد أثر لبنايات ترجع إلى القرون الوسطى . ورسم الممر الذى نشره Reclus (فى Nouvelle Géographie Universelle ، جـ ٦ ، ص ٥٠٣) مأخوذ من رسم صنعه الرسام الروسى Karazin فى سنة ١٨٧٩ . وقد نشر هذا الرسم نفسه Mushketow فى (Turkestan جـ ١ ، ص ٥٥٥) .

[بارتولد W. Barthold]

« الباب العالى »

« الباب العالى » : كانت مكاتب وزراء الترك فى وقت من الأوقات فى بيوتهم الخاصة « قوناق » . فلما جاء محمد الثانى بنى فى سنة ٨٧٢ هـ = ١٤٦٧ — ١٤٦٨ م مكاتب للوزراء كانت تسمى « پاشا قپوسى » أى باب الباشا ، ثم سميت بعد ذلك « باب آصفى » أو « الباب العالى » . وكان الباب العالى الذى أصبح منذ سنة ١٦٥٤ مكتبا حكوميا لا يفصله إلا شارع من سراى السلطان القديمة « طوپ قپوسراى » . وبعد إلغاء نظام اشتغال الوزراء فى مساكنهم ، عظمت أهميـــة الصدارة العظمى ، وكان أعوان رئيس الوزراء هم :—

نائبه « كخيابك » و « رئيس الكتاب » الذى أصبح فيما بعد وزير الداخلية « داخليه ناظرى » فوزيرا للخارجية « خارجيه ناظرى » ولكنه كان دائما يشتغل فى بناء الصدارة نفسه .

ولما دخل التجديد على « الباب العالى » اشتمل فوق ما ذكرنا على مجلس الشورى « شوراى دولت » وكان يسمى قبل ذلك « ديوان آصفى » وعلى لجنة فض المنازعات « اختلاف مرجعى انجمنى » وعلى مجلس تعيين الموظفين المدنيين « مأمورين ملكيه

قومسيونى » وعلى مصلحة إحصاء الباب العالى « باب عالى استاتستيق انجمنى » والمصلحتان الأخيرتان قضى عليهما نظام تركيا الفتاة .

وبعد سنة ١٩٠٨ كانت إدارة كبير الوزراء فى معناها الصحيح تشتمل على: مكتب رئيس التشريفات « تشريفات عموميه دائره سى» ومكتب الديوان الهمايونى «آمدى ديوان همايون» ومكتب «ديوان سى همايون بكلكجيلكى» ومكتب الممتلكات غير المباشرة؟ «إيالت ممتــــازه» مختار قلمى» . وقد تأثر بناء الباب العالى كثيرا بالحريق الذى شب فى سنة ١٩١١ .

وينبغى ألا نخلط بين مكاتب الباب العالى وبين مكاتب السراى السلطانية « مابين » التى كان لها أحيانا شأن عظيم . نضرب لذلك مثلا بعهد عبد الحميد الثانى ؟

[دينى J. Deny]

« باب المندب » : مضيق بين البحر الأحمر وخليج عدن يبلغ عرضه ٢٦ كيلو مترا ويقول ياقوت (المعجم ٢ جـ ٤ ، ص ٦٥٩ وما بعدها) « مندب من ندبت الإنسان لأمر إذا دعوته إليه أو من الندب ، وهو اسم جبل على شاطئ بلاد العرب » . وذكرت إحدى الأساطير أن هذا الجبل كان فى الأصل يصل الشاطئ الغربى بالشاطئ الإفريقى إلى أن جاء ملك من الملوك فقدّه بالمعاول . ويطلق سم مندب أو مندم على ثغر من الثغور يسميه بطليموس Θκηλίς ἐμπόριον ويلوح أن موقعة كان فى الموقع المعروف الآن باسم الشيخ سعيد أو فى مكان قريب منه .

وفى هذا المضيق جزيرة بريم أو «ميوم» وهى جزيرة بركانية قاحلة احتلها الإنجليز بصفة مؤقتة من سنة ١٧٩٩ إلى سنة ١٨٠١ واستقروا بها نهائيا منذ سنة ١٨٥٧ ؟

المصــــادر

(١) ياقوت : معجم البلدان (٢) الهمدانى، طبعة مولر ، ص٥٣ ، ٩٨ ، ١٢٧ (٣) Ritter : Erdkunde ، ص ١٢ ، ٦٦٤ وما بعدها (٤) Sprenger: *Die alte Geographie Arabiens*، ص٦٧ .

« بابر ظهير الدين محمــد » : مؤسس أسرة المغل العظيمة فى الهند ، وهو الابن الأكبر لعمرشيخ ميرزا وحفيد ميران شاه بن تيمور ، ويتصل نسبه من ناحية أمه «قتلوق نكار» بجغتاى الابن الثانى لجنكيزخان. وكان بابر فى الثانية عشرة من عمره عندما خلف أباه فى فرغانة (٥ من رمضـــان سنة ٨٩٩ = ١٠ من يونية سنة ١٤٩٤) . وفى سنة ٩٠٣ هـ = ١٤٩٨ م استولى على سمرقند ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بها أكثر من مائة يوم . ثم قوّى مركزه بعد هذا فى خوقند ومنها استطاع أن يستعيد «مرغنان وأنديجان» فى شهر ذى القعدة من سنة ٩٠٤ = يونية سنة ١٤٩٩ .

ولما احتل الخان شيبانى الأزبكى مدينة سمرقند فى سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠ م ، فقد بابر ممتلكاته كلها ولكنه فاجأ المدينة بعد ذلك واستولى عليها. وانتصر شيبانى على بابر فى موقعة عظيمة حدثت عند سر پول ففر بابر ولجأ إلى خاله فى طشقند

ولما وجد بابر أن الولاية التى ورثها عن أبيه أقل من أن تستغرق نشاطه كله عبر جبل هندوكش وحاصر مدينة كابل واستولى عليها سنة ٩٠٩ هـ = ١٥٤٠ م . وخطر له أن يغزو الهند من تلك المدينة . ولكن حملته الأولى اقتصرت على الإغارة على شواطئ السند وقتال القبائل الأفغانية . وأراد بابر أن يقضى الشتاء فى خراسان التى كان الأزابكة قد رحلوا عنها ، غير أن فتنة نشبت فى كابل فاضطر إلى التوجه إليها، وحاول أن يعبر بجيشه جبل هندوكش الذى كان مغطى بالثلوج حينذاك ووفق فى ذلك بمشقة كبيرة سنة ٩١٢ هـ = شتاء ١٥٠٦ — ١٥٠٧ م .

وفى سنة ٩١٧ هـ = ١٥١١ م استطاع بابر بفضل مساعدة الشاه إسماعيل الصفوى الذى أعلن خضوعه له أن يهزم الأزابكة الذين أضعفهم موت شيبانى وأن يحتل بخارى وسمرقند . ورحل أعوانه من الفرس فى العام التالى فهاجمه الأزابكة من جديد وهزموه فى بخارى ثم فى غجدوان واضطروه الى أن ينسحب إلى كابل سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م ، وعلى أثر ذلك عدل بابر عن فتح الشمال وبدأ يحقق الخطة التى نضجت عنده منذ زمن طويل وهى تأسيس دولة له فى الهند بعد أن فتح قندهار فى سنة ٩٢٨ هـ = ١٥٢٢ م . وكان إبراهيم اللودى سلطان دهلى قد نشب النزاع بينه وبين زعماء الأفغان ، فاستغل بابر هذه الفرصة واستولى على لاهور فى سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م . ثم تولى ملك إبراهيم بعد أن انتصر عليه فى موقعة پنيپات التى حدثت فى يوم الجمعة ٨ من رجب سنة ٩٣٢ هـ = ٢٠ أبريل سنة ١٥٢٦ وقتل إبراهيم فى هذه الموقعة . واتخذ بابر « أكرا » حاضرة لملكه . واضطر إلى محاربة الزعيم الراجپوتى « رانسنكه » أمير «چيتور» وأفغان چاونپور وملك البنغال . وتوفى بابر بالقرب من أكرا فى ٦ من جمادى الأولى سنة ٩٣٧ هـ = ٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠ م ، وخلفه فى الملك ابنه الأكبر « همايون » .

كان بابر قائداً جسوراً ذا شجاعة لا تبارى. فعندما تسلق أسوار سمرقند واستولى عليها للمرة الثانية لم يكن معه إلا ٢٤٠ رجلا . وكان عبوره لجبل هندوكش فى وسط الشتاء من الأعمال العظيمة . وقد وصف الهند وصفاً يدل على شدة عنايته بالتاريخ الطبيعى . وكان بابر شاعراً صنف ديواناً بالتركية « ديوان تركى » ومجموعة من المثنوى تسمى « مبين » (انظر [illegible]rézine : *Chrestomathie turque* ؛ Spren[illegible] : *Zeitschr. d. Deutsch Morgenl. Gesellsch.* ، ج ١٦ ، سنة ١٨٦٢ ، ص ٨٧)

وترك لنا بابر أيضاً وصفاً لمغامراته فى

مذكراته (بابر نامه) التى كتبها بالتركية أو بلغة الجغتاى . ويظهر من اختلاف الأسلوب أن هذه المذكرات لابد وأن يكون أملاها المؤلف على كتاب ثلاثة . وقد نشر نصها إلمنسكى Ilminski فى قزان سنة ١٨٥٧ من نسخة نسخها Kehr فى سنة ١٧٣٧ ، ونشرت السيدة « أنيت بفردج » Mrs. Annette S. Beveridge مخطوطا كان يملكه السير سالار جنك الحيدرابادى (انظر Gibb Memorial ج ١ ، سنة ١٩٠٥ ، ومعه فهرسان) . وترجم « بابر نامه » إلى الفارسية عبد الرحيم ميرزا خان بن بيرام خان سنة ١٥٩٠ ثم ترجمت هذه الترجمة إلى الإنجليزية بواسطة ليدن وإرسكين W. Erskine و J. Leyden سنة ١٨٢٦ . أما الترجمة الفرنسية التى قام بها باڤيه ده كورتى Pavet de Courteille وطبعها فى باريس سنة ١٨٩١ فهى مأخوذة عن نسخة إلمنسكى Ilminski . وفى مذكرات بابر فراغ يرجع إما إلى رغبة المؤلف فى إغفال ذكر بعض الحوادث التى ليس فى صالحه ذكرها وإما إلى الحوادث نفسها التى حدثت له خلال حياته الحافلة بالمغامرات ؟

المصادر

(١) C. Defrémery فى *Journal des Savants* سنة ١٨٧٣ (٢) A. S. Beveridge فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية *Journal of the Royal As. Soc.* ، أعداد يولية سنة ١٩٠٠ ، ١٩٠٢ وأكتوبر ١٩٠٥ ويناير ١٩٠٦ . ونشرت منفصلة باسم *The Haydarabad Codex of the Babur* : (٣) F. Teufel *Babarnama* ل [redacted] *Adu' l-Fazl* *Zeitschr d. Deutsch Morgenl. Gesellsch.* ج ٣٧ ، ص ١٤١ ، وما بعدها) (٤) Lane — Poole : *Babar* طبعة أكسفورد ١٨٩٩ . (٥) A. Müller : *Islam* ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ وص ٣٣٠ وما بعدها وص ٣٥٣ وما بعدها وص ٣٧٣ ، ٤٠٥ — ٤١٤ . (٦) *Grundr d. iran Philil* ج ٢ ، ص ٣٦١ — ٣٦٣ .

[هيوار Cl. Huart]

« بابرت » : مدينة فى آسية الصغرى وهى عاصمة قضاء فى ولاية وسنجق أرضروم وعلى بعد مائة كيلومتر منها ، ويجرى فى وسطها نهر چوروق صو ويبلغ عدد سكانها ٨٠٠٠ نسمة وبها أطلال آثار قديمة ويصنع بها أوان من الفضة وكذلك السجاد . ويشتمل إقليم بابرت على أربع نواح و ١٩٩ قرية . ويبلغ عدد سكان هذا الإقليم بما فيه سكان العاصمة ٥٨٢١٣ نسمة . وأرضه خصبة عامرة بخلايا النحل ويصدر أهله الشمع إلى فرنسا . وفى خريف عام ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م حاصر هذا الإقليم واستولى عليه الزعيم الكردى مصطفى تلبية لأمر السلطان سليم الأول وكان ذلك أثناء الحرب مع الفرس . وجمال نساء هذا الإقليم مضرب المثل .

المصـــــادر

(١) على جودت ، جغرافيه لغاتى ، ص١٥٣
(٢) سالنامه ، طبعة ١٨٢٥ ، ص ٨٥٦ (٣)
Hist de l'Empire : Hommer - Pugstall
Ottom ، ج ٤ ، ص ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ .

(Cl Huart هيوار)

« بابك » : زعيم فرقة الخُرَّمية ، واسمه تعريب للاسم الإيرانى«بابك»ويقال إنه ابن تاجر زيت متجول وإنه كان يشتغل بمهنة حقيرة جداً عند ما لقيه جاويذان بن سهل رئيس الخرمية وعرف ما له من المواهب . ولما مات جاويذان زعم بابك أن روح جاويذان حلّت به ، وبدأ يثير الناس فى إقليم البذ من أعمال أرّان سنة ٢٠١ هـ = ٨١٦ — ٨١٧م .

وفى سنة ٢٠٤ هـ = ٨١٩ — ٨٢٠ هاجمه يحيى بن معاذ ولكنه لم يوفق فى حملته . وفى خلافة المعتصم هزم بابك بغا الأكبر فى هشتادسر عند جبال مراغة . وفى سنة ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م تجهز أفشين لإطفاء الثورة ونجح فى مفاجأة طرخان أحد زعمائها . وبعد أن استولى على مال بابك وميرة جيشه ، هاجم قائداً آخر من قواده هو آذين . ونجحت جيوش أفشين من الإيقاع بها لأنه رتب فوق رءوس الجبال رجالا معهم الأعلام السود (الكوهبانية) ، وأمرهم أن يلوحوا بها إذا رأوا شيئاً يخافونه ، وكان أفشين يتقدم قليلا قليلا ويحمى معسكره بالحسك . وفتح مدينة البذّ ودمرها فى يوم الجمعة ٨ من رمضان = ٢٦ من أبريل سنة ٨٣٧ بعد أن ردت عنها متطوعة البصرة وجيوش فرغانة . وفر بابك من البذ بعد تدميرها ثم وقع فى يد سهل بن سنباط من بطارقة أرمينية فدبر القبض عليه وهو يصطاد . وسلمه إلى أفشين فأرسله إلى سامرا فى يوم الخميس ٢ من صفر سنة ٢٢٣ = ٣ من يناير سنة ٨٣٨ . ولم يعبأ المعتصم بكتاب الأمان الذى كان قد بعث به إلى بابك ، وأمر أن يركب على فيل . ثم قطعـــه إربا وصلبه فى ناحية من المدينة سميت باسمه .

وكان حكم بابك عشرين سنة . ويورد صاحب الفهرست فى كتابه (ص ٣٤٣ — ٣٤٤) وصفا للحفلة التى أقيمت لتملكه فيقول إنهم ذبحوا بقرة وسلخوا جلدها وبسطوه على الأرض ووضعوا فوقه طستاً مملوءاً بالخمر وكسروا فيه خبزا ثم أعطته امرأة جاويذان طاقة من الريحان وهى علامة التزويج عندهم.

المصـادر

(١) الطبرى ، طبعة ده غوى ، ج ٣ ، ص ١٠١٥ ، ١١٨٧ (٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٧ ، ص٦٢ ، ١٢٣ (٣) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ج ٦ ، ص ٢١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ (٤) ابن خلدون العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ — ٢٦٢ (٥) الفهرست ص ٣٤٣—٣٤٤ (٦) G.Flügel فى *Zeitschr*

d. Deutsch Morgenl. Gesellsch ، ج ٢٣ ، ص ٥١١ (٧) Müller : Islam ، ج ١ ، ص ٥٠٤ — ٥٠٨ ، ٥٤١ .

(هيوار Cl. Huart)

« بابل » : هى مدينة بيلون القديمة على شـــاطئ الفرات ، وهى على خط عرض ٣٢° ٣٠َ ٤١َ شمالا وخط طول ٤٤° ٢٣َ ٣٠ً شرقى جرينوتش .

كان لمدينة بيلون القديمة عند المسلمين وعندنا أيضاً شأن أعظم من شأن المدينة التى كانت لاتزال موجودة فى صدر الإسلام. وكل مايعرفه المسلمون عن بابل مأخوذ من ثلاثة مصـادر : يهودية أو فارسـية أو مسيحية . ولسنا نعرف فى وضوح ما إذا كانت معلوماتهم التى يمكن ردها إلى الكتاب المقدس قد وصلت إليهم على يد اليهود أو النصارى .

وقد قيل إن آدم نفسه بعد خروجه من الجنة وكذلك قابيل وهابيل كان مقامهم فى بابل ، وقيل إنهم كانوا فى المدينة البوزنطية بيلون أو بابليون فى الفسطاط (ياقوت ، ج ١ ، ص ٤٥) . وروى أن نوحا بن كوش ابن حام وأبناءه استقروا فى بابل بعد الطوفان (ابن خرداذبة ، ص ٧٧ ، الطبرى ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، ياقوت ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٧) . ويقول ابن الفقيه ، ص ١٩٦ إن أول مدينة بنيت فى العالم هى حران والثانية بابل . وينسب برج بابل إلى النمروذ ويسمى « المجدل » (البكرى ص ١٣٦) . وقيل ان الله فرق أبناء نوح فى الأرض من بابل وفيها تبلبلت الألسن ، وصلة اسم بابل بهذه القصة من الناحية اللغوية أمر معروف (انظر سفر التكوين ، الإصحاح ١١ ، فقرة ٩ ، ابن رسته ، ص ١٠٨ ، المسعودى ، كتاب التنبيه ، ص ١٩٧ ، البكرى ، المصدر المذكور آنفا) . ويقال إن بابل كانت مقام النمروذ ابن كنعان وهو أول من ملك الأرض واستشار المنجمين وشق القنوات (انظر ابن خرداذبة ص ٧٧ ، ابن الفقيه ص ١٩٩ ، الإصطخرى ، ص ١٠١ ، ٨٦٠ ، المسعودى ، كتاب التنبيه ص ٩٤ نقلا عن التوراة وص ١٠٥ ، ١٠٦ ، مروج الذهب فى مواضع متفرقة) .

وكان إبراهيم فى عهد النمروذ ، ولد فى حران وجاء به أبوه وهو صغير إلى أرض بابل وكان يسكنها لابان فعاش فيها ثم رحل عنها بعد أن تزوج فيها (انظر الطبرى ، ج ١ ، ص ٢٥٢ وما بعدها) . وبالرغـــم من اختلاف هذه القصة عن رواية التوراة ينبغى أن نعدها من أصل يهودى ، شأنها فى ذلك شأن الروايات التى تتحدث عن تاريخ بابل فى عهدها المتأخر .

وكانت بابل مقر بخت نصر الذى دمر بيت المقدس وقاد اليهود أسارى إلى مدينته (انظر ابن الفقيه ، ٢١٨ ؛ الطبرى ، ج ١ ، ص ٦٩٢ : المسعودى ، التنبيه ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ ياقوت ، ج ١ ، ص ٤٤٨) . وما روى عن مقتل بلشزر أو المرودخ بن بخت نصر على

يد المقوقس الميدى يمكن أن يرد كذلك إلى مصادر سريانية (الطبرى، ج ١، ص ٢١٦) وكثيرا ما يرد أسماء النمروذ وبخت نصر وستحاريب وهى أسماء بابلية فى الكتب والزيجات فى النجوم (المسعودى: كتاب التنبيه ص ١٠٥). وكان المسلمون يطلقون على أهل بابل القدماء تارة اسم الكلدانيين وتارة اسم الكنعانيين أو النبطيين (الإصطخرى، ص ١٠١؛ ياقوت، ج ١، ص ٤٤٧).

وكانت الأساطير الإيرانية أيضا قبل الإسلام تربط بابل بتاريخ الأبطال الذين وردوا فى تلك الأساطير. ومنذ أن جاء الإسلام عمل على التوفيق بين الأساطير الإيرانية والقصص الوارد فى الكتاب المقدس، وكان جيومرت وهو من دنباوند أول من بسط سلطانه على بابل، وقالوا جيومرت هو آدم (الطبرى، ج ١، ص ١٤٧).

ويقول الطبرى، ج ٢، ص ١٧١ إن أوشهنج بنى مدينة بابل ومدينة السوس وهو أول من قطع الشجر وبنى البناء. وقيل إن الذى بناها هو طهمورث[١] (ابن الفقيه، ص ٢١٩؛ الطبرى ج ١، ص ١٧٥ عن ابن هشام الكلبى؛ حمزة، ص ٢٩، ٣٠). وروى أن جمشيد كان ينتقل من دنباوند إلى بابل فى يوم واحد كما كان ينتقل سليمان من بيت المقدس إلى تخت جمشيد فى برسبوليس [إصطخر] (انظر الطبرى، ج ١، ص ١٨٠). وتقول الأفستا إن الضحاك عدو جمشيد كان يحكم بابل (الإصطخرى، ص ٨٦٠؛ ياقوت ج ٦، ص ٤٤٨ نقلا عن يزدجرد بن مهبندار) وكان أفريدون يقيم فى بابل كذلك. وممن ملك بابل من الدولة الكيانية كيكاوس ولهراسب وبشتاسب (الطبرى، ج ١، ص ٥٩٧، ٦٤٢ — ٦٧٤). وذكر حمزة فى كتاب سير الملوك، ص ٣٥ أن كيكاوس هو الذى بنى برج بابل. وروى أن رستم البطل المعروف كان يقيم فى بابل.

وقد عرف العرب شيئا عن ذهاب الإسكندر إلى بابل وما رووه عن هذا الأمر أقرب إلى الحقائق التاريخية وإن كان مستقى من قصة الإسكندر كما نقلت إلى اللغة السريانية. ويذكر الطبرى (ج ١، ص ٨١٣) أنه أخذ فى هذا عن روايات النصارى، وما روى عن قتل الإسكندر لدارا بن دارا وعن إقامة الإسكندر ببابل يمكن أن نرده كذلك إلى مصدر ساسانى أى إلى قصة الإسكندر فى اللغة الفهلوية المنقولة عن السريانية، ونجد هذه الرواية أيضا فى كتاب سير الملوك لحمزة ص ٤٠ وفى كتاب الإصطخرى، ص ١٤٥. والأخبار الخاصة بذهاب بنى أرسك إلى بابل وما روى عن قيام القديس قوما بالدعوة فيها أصلها سريانى أيضا (الطبرى، ج ١، ص

(١) عبارة الطبرى هى: "وقال هشام بن محمد الكلبى فيما حدثت عنه: ذكر أهل العلم أن أول ملوك بابل طهمورث" طبعة الساسى، ج ١، ص ٨٦

اللجنة

٧٠٢ ، وما بعدها ، ص ٣٣٨) أما الأخبار التي ذكرت أن بابل كانت ملكاً للساسانيين فانا نجد أصلها في « خداي نامه » (الطبري ، ج ١ ، ص ٨١٣ ؛ الإصطخري ، ص ١٤٥ ؛ المسعودي ، كتاب التنبيه ، ص ١٤٥ ، ١٥٠ ؛ مروج الذهب ، ف ٧) ونجد في الإصطخري (ص ١٤٥) الملاحظة التاريخية الوحيدة عندما يذكر أن الساسانيين ومن بعدهم العرب اتخذوا بابل مقـــرا لهم لموقعها بالنسبة للامبراطورية الرومانية ولأنها في وسط العالم الإسلامي .

ويطلق العرب اسم بابل على المدينة والإقليم . وقد سماها الفرس والنبط بابيل (المسعودي ، كتاب التنبيه ص ٣٥) أو بافيل أو بابيلون كما ذكر ياقوت (ج ٣ ، ص ٦٣٠) ويقول المسعودي في المصدر المذكور إن الكلدانيين كانوا يسمونها خَنِيرَث . وذكر البكرى هذا أيضا . أما الحداني فقال إنهم كانوا يسمونها خنيرات . ويظهر أن الفرس كانوا قد أطلقوا اسم بابل على الإقليم الرابع مرادفا لاسم إيرانشهر . ويقول ابن خرداذبه إن بابل قلب إيرانشهر وقلب العالم (انظر الطبري ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ؛ الإصطخري ، ص ١٠) وإقليم بابل أوسط الأقاليم ولهذا كان أشرفها (ابن الفقيه ، ص ٦ ؛ ابن رسته ، ص ١٥٢ ؛ المسعودي ، كتاب التنبيه ، ص ٩) . ويصف المسعودي في كتاب التنبيه (ص ٣٢) حدود بابل فيقول إن حدها الغربي يمتد إلى الثعلبية وهي أولى محطة في الطريق الواصل من الكوفة إلى مكة ، وحدها الشرقي نهر بلخ أما الشمالي فبين نصيبين وسنجار والجنوبي وراء الديبل من ساحل المنصورة من بلاد السند . ويطلق العرب عادة أرض بابل على إقليم بابل (ابن حوقل ، ص ١٦٧) وأرض بابل إنما يقصد بها العراق . ويصف ياقوت في كتابه (ج ١ ، ص ٤٤٧) أرض بابل فيجعلها أضيق شقة من وصف المسعودي لها ، فيقول إنها بين دجلة والفرات بلغت من دجلة إلى أسفل كسكر (واسط) ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة وموضعها هو الذى يقـــال له السواد . ويقول ياقوت في فقرة أخرى إن الأنبار ، وهي مدينة على الفرات ، حد بابل من ناحية الشمال .

قلنا إن اسم بابل يطلق على المدينة وعلى الإقليم ، وفوق هذا فإنه يطلق أيضــــا على الطسوج السادس من آستان بهقباذ العليا في التقسيم الإداري للعراق الذي أخذ عن العرب (ابن خرداذبه ، ص ٨ — ١٠ ؛ قدامة ، ص ١٣٦ ؛ ياقوت ، ج ١ ، ص ٧٧٠) ويروى هذا الإقليم نهر سورى أحد فروع الفرات الذي يجرى في وسط مدينة بابل (ابن سرابيون ج ٦ ؛ نقل عنه ابن الفداء) . وكانت بابل حاضرة للإقليم إلى عهد ابن سرابيون حوالى سنة ٩٠٠ . وحدث في مدينـــة بابل « يوم الحرب »

عند ما ذبح المثنى فيل الفرس فى سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) (الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢١١٧ ، ٢١٧٧ ، ٢٤٢٢) .

أما المكان المسمى عقر بابل ، وهو الذى سقط فيه يزيد بن المهلب بعد ثورة البصرة سنة ١٠٢ هـ = ٨٢٠م فهو مكان آخر موضعه بالقرب من كربلاء على الطريق الواصل إليها من الكوفة . والكتاب المتأخرون أمثال الإصطخرى وابن حوقل عرفوا بابل على أنهـــا قرية صغيرة لاغير ، وهى تقع على الطريق الواصل من بغداد إلى الكوفة الذى يعبر الفرات عند جسر بابل (المقدسى ص١٢١) ويسرد ياقوت أسماء عدة مدن يقول إنها فى أرض بابل نذكر منهـــا : الأميرية وبرس وبرملاحة والجامعين وهى : حلة وشالها والغامرية ومدينتان باسم كوثا . ولم يذكر اليعقوبى أنه كان فى عهده من مدن بابل إلا الصرح التى كان فيها قصر لبختنصر وكورة شنوار التى ذكرها نقلا عن نصر الإسكندرى المتوفى سنة ٥٦٥٠هـ . وعند ما تكلم اليعقوبى عن خطرنية وزاقف ذكر ناحية بابل وسماها طسوج ولم يكتب لهذا التقسيم البقاء طويلا فانه عند ما تولى العباسيون الخلافة أنشئوا فى أول عهدهم مدينة بغداد وأوجدوا تقسيما جديدا هو أرض العراق ، أما بابل والأماكن المتصلة بها فأصبحت من كورة بغداد .

وعند ما يتحدث ياقوت والقزوينى عن بابل ويقصان حكايات عجيبة عن المدن السبعة التى كانت بابل تتألف منها والعجائب السبع التى كانت توجد فيها فإنهما يقصان مايظهر أنه كان من الأساطير المحلية التى اتصلت بآثار المدينة .

ونجد أن ما ورد من القصص فى القرآن وفى الكتاب المقدس عن بابل قد أدخل أيضا فى أساطير تلك البقاع . وعندما يذهب المسافر إلى بابل كان يؤخذ لمشاهدة جب دنيال أو الجب الذى سجن فيه الملكان هاروت وماروت إلى يوم القيامة (سورة البقرة ، الآية ١٠٣) . وصلى علىٌّ فى بابل ولعنها (المقدسى ، ص١١٦) . وبين الأطلال الموجودة قصر بختنصر الشمالى الذى لايزال يسمى باسم بابل وقد وجد منقوشا على آثاره نماذج عديدة من الشعر العربى فى القرون الوسطى . ولما أنشأ العرب مدينة بابل أقاموها فى موضع المدينة القديمة ومن ثم استمر الاسم القديم خلال العصور . وتسمى الأطلال الأخرى الموجودة فى العصر الحاضر بالقصر وهى أطلال قصر بيلون ، وأطلال عمران بن على وفيها ضريح لولى من الأولياء أقيم مكان معبد المدينة القديم ، وأطلال حيرة التى اكتشف فيها مسرح يونانى ، وقد استعملت أنقاض الآثار منذ قرون فى بناء المساكن وكان أول من ذكر ذلك القزوينى . ولهذا سميت

بابل باسْم المجلبة أو المقلوبة كما ذكر بوشان Beauchamp . ومع أن موقع مدينة بابل كان يعرفه الشرقيون منذ القدم إلا أن علماء الغرب أخذوا يستعيدون كشفه منذ القرن الثامن عشر ؟

المصـــــادر

نذكر إلى جانب المصادر التى ألفها المؤرخون والجغرافيون من العرب (١) G. le Strange: *Lands of the Eastern Caliphate* ص٤٢
(٢) المؤلف نفسه : *Ibn Serapion* فى *Journ. of the Roy. As. Soc.* ١٨٩٥ (٣) M. Streck : *Babylonien nach den arab. Geographen* ، فى مواضع مختلفة (٤) H. V. Hilprecht: *Explorations in [illegible] Lands during the XIX th century* أدنبره ١٩٠٣ .

[هرزفلد Ernest Hersfeld]

« بابليون » وتسمى أيضا بليون : اسم مدينة فى مصركانت موجودة فى القرون الوسطى على مقربة من موقع القاهرة ، ويقول كازانوفا Casanova إن هذا الاسم تصحيف يونانى للاسم المصرى القديم Pi-Hapi-n-on پيهاپينون ،

وقد تأثر هذا التصحيف بالاسم الآسيوى βαβυλών الذى كان يعرفه اليونان . وهذا القول لا يخلو من النقد وإن كان لا شك فى أن اسم بابليون كان يطلق على موضع وجد أيام قدماء المصريين . ويراد بهـــذا الاسم المدينة القديمة والحصن الذى أقامه اليونان على الحدود بين مصر العليا ومصر السفلى ، وكان يتسلط على داخل البلاد . ولا تزال بقايا هذا الحصن باقية إلى اليوم فى قصر الشمع ، وكان لهذا الموضع أهمية أكثر فى العصور القديمة لأن النيل كان أقرب إلى ناحية الشرق عما هو عليه الآن . وعند هذا الحصن حدثت الوقائع الحاسمة التى شنها عمرو عند فتحه مصر ، وتقرر مصير مصر عند سقوط بابليون فى ٢١ من ربيع الثانى سنة ٢٠ هـ = [illegible] من أبريل سنة ٦٤١ م . وقد ضربت جيوش العرب خيامها بالقرب من بابليون ثم تطور معسكرهم فأصبح فيما بعد فسطاط مصر الذى كان له أهمية من الوجهة الحربية ، واستعملوا أيضا الحصون القديمة . وتدلنا أوراق البردى على أن الفسطاط كان متميزا عن بابليون عند نهاية القرن الأول الهجرى . ونزل المهاجرون فى الفسطاط وهناك اختطوا الخطط . وكان فى بليون مركز الحكومة وتجارة الغلال . وكانت دار الصنعة القائمة فى جزيرة الروضة والتى ورد ذكرها فى أوراق البردى وثيقة الاتصال بالحصن . وقد زال التميز الأول بين الفسـطاط وبابليون ، ولم يستعمل العرب اسم بابليون وبقى هذا الاستعمال بين القبط وحدهم .

واتسع مدلول هذا الاسم بينهم لأنهم أطلقوه للدلالة على جميع المدن الممتدة من

قصر الشمع إلى الفسطاط فالقاهرة فالمطرية بعـــين شمس. وهذا يعلل لنا ظهور اسم بابليونيا Babilonia مرسوما فى صيغ مختلفة كاسم للقاهرة وذلك فى المعاهدات التجارية العديدة التى أبرمت بين مصر ودول الغرب والتى نشرها أمارى Amari. ونجد هذا الاسم كذلك فى المصنفات الأوروبية التى كتبت فى ذلك العهد وكذلك فى المصورات مثل مصور ماندفلى «Mandevilli» وبوكاشيو «Boccaccio» الذى سمى صلاح الدين Soldano di Babilonia نقلا عن وثائق تاريخية ؟

المصـــادر

(١) ياقوت: المعجم، جـ ١، ص ٤٥٠ (٢) المقريزى: الخطط جـ ١، ٢٨٧ (٣) أبو صالح طبعة Evetts and Butler ورقة رقم ٢٣ (٤) Casanova: *Les noms Copts du Caire et des localités voisins* فى [redacted] *Instit. Franç. Archéo. Orientale* جـ ١، ص ٢٦ . (٥) Amilineau: *Géographie de l'Egypte* [redacted] *l'Epoque Copte* ص ٧٥ وفى مواضع أخرى (٦) Quatremère: *Memoires* [redacted] *l'Egypte* جـ ١، ص ٤٥ (٧) *Papyri Schott - Reinhardt* ص ٩٨ (٨) *Zeitschrift für Assyr.* جـ ٢٠، ص ٨٤، ٩١ (٩) Léon Caetani: *Annali dell' Islam* جـ ٤، ص ٢١ (١٠) A. R. [redacted] *Foundation of Fustat*; [redacted] فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية، ١٩٠٧، ص ٤٩ وما بعدها (١١) M. Amari: *I. Diplomi* [redacted] *R. Archivio Florentino*، فيرنزة، ١٨٦٣.

[بكر C. H. Becker]

«بابى»: اسم يطلق على أتباع الباب وإن كانوا يؤثرون أن يسموا أنفسهم «أهل البيان». بدأت دعوة البابية بإرسال الدعاة إلى أقاليم الفرس المختلفة (انظر مادة باب)، وأثارت تعاليمهم ثائرة الشيعة فاضطهد البابية ولكنهم قاوموا ما وقع عليهم من اضطهاد. ونشأ عن هذا أن هذه الفرقة التى كانت أول أمرها ذات صبغة دينية بحتة تحولت إلى حزب سياسى. وعقد أتباع الباب اجتماعا فى بدشت ليتدبروا أمرهم، ثم خرج ملا حسين البشروئى على رأس جيش صغير إلى «بارفروش» ولكنه لم يستطع الدفاع عن تلك المدينة فلجأ إلى مقام الشيخ الطبرسى واحتمى به بعد أن حوله إلى قلعة. وحاصرته جيوش الحكومة، وأفلح عدة مرات فى الخروج من حصاره ومقاتلة محاصريه ولكن انتهى الأمر بوقوعه فى أيديهم. واشتدت المجاعة بين البابية فعقدوا مع الحكومة اتفاقاً، ولكنهم بالرغم من هذا مثّل بهم فى سنة ١٢٦٥ هـ (يوليه — اغسطس ١٨٤٩ م). وكان البابية قد هاجموا قلعة على مردان خان فى زنجان حاضرة إقليم خمش واستولوا عليها، ولكن

جيوش الحكومة أفلحت بعد محاولات عدة في التغلب عليهم وإجلائهم عنها (مايو سنة ١٨٤٩ — فبراير ١٨٥٠).

وكان أهل نيريز ساخطين على عمال الحكومة فاتجهوا إلى السيد يحيى الدارآبى وطلبوا إليه أن يتولى قيادتهم فاحتمى بقلعة قديمة ظل فيها أياماً قلائل (يناير ١٨٥٠).

وتعدى البابية على الشاه نصير الدين وجرحوه في ٢٨ من شوال سنة ١٢٦٨ (١٦ من أغسطس سنة ١٨٥٢) فكان عليهم هذا إيذاناً بما وقع عليهم من اضطهاد عام، وكانوا قد انتشروا في فارس كلها.

وأعلن ميرزا يحيى نورى الذى لقب فيما بعد بلقب «صبح أزل» أنه خليفة الباب، وذهب إلى بغداد ثم نفته الحكومة التركية إلى قبرص وحجزته في «فاجوسته». أما أخوه ميرزا حسين على الملقب بلقب «بهاء الله» فقبض عليه ثم أفرج عنه بعد سؤاله، وأذن له بالحج إلى كربلاء واستقر في بغداد (انظر مادة «بهاء الله»).

وفي عهد أحدث من هذا أعدم في أصفهان ملا كاظم وميرزا أشرف لاتهامهما بأنهما من أتباع هذا الدين (أكتوبر ١٨٨٨). واضطهد البابية في «سديه ونجف آباد» فلجأ عدد منهم إلى «عشق آباد» التابعة للروسيا وهناك أبيح لهم أن يبنوا لهم مسجداً. وأدى الاختلاف بين صبح أزل وبهاء الله إلى انقسام البابية إلى فرقتين هما الأزلية والبهائية. والأزلية عبارة عن دين الباب كما هو، وأتباعها قليلون الآن؛ أما البهائية فلا تعتبر الباب إلا سلفاً لبهاء الله وهى منتشرة في العالم، وبين أتباعها عدا الفرس بعض الأوروبيين والأمريكيين؟

المصادر

(١) Cte de Gobineau: *Les Religions et les Philosophie dans l'Asie centrale*، ص ١٧٥ — ٣٠٧ (٢) ميرزا كاظم بك: *Bab et les Babis*، في المجلة الأسيوية، المجموعة السادسة، المجلد السابع (٣) E. G. Browne: *A Traveller's Narrative*، ص ٦٤ وما بعدها، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية، ١٨٨٩ (٤) المؤلف نفسه: *A Year Amongst the Persians*، ص٥٨ وما بعدها، ص٥١٤، ٥٦٢ (٥) Andreas: *Die Babi in Persien*، ليبسك وبرلين ١٨٩٦ (٦) المؤلف نفسه: *Grundr. d. Iran Philol*، جـ ٢، ص ٦٠٢ وما بعدها.

[هيوار Cl. Huart]

«باتمان»: وتكتب عادة باطمان، وفي لغة القرغيز «بات بان»، كلمة تركية معناها «وزن ثقيل». وكلمة بات باندای معناها ثقيل ثقل الكنتال. ويرجح أن أصل هذه الكلمة هو المقطع بات ومعناه «انخفض». ولو أن F. W. K. Müller (*Sitzungsber. Preuss.*

Akad ، ١٩٠٩ ، ص ٨٤٧) يؤكد أن هذه الكلمة من اللغة الفارسية التي كانت مستعملة في القرون الوسطى ، وأنها ككثير غيرها من الكلمات الإيرانية دخلت لغة المغل بوساطة الأويغور . وليس لدينا ما يدل على صحة هذا الرأي . ولا نعرف الوزن الذي كانت تدل عليه هذه الكلمة في أول الأمر ، ولكنها تدل اليوم في اللهجات التركية المختلفة على أوزان متفاوتة . وأثقل الأوزان التي يطلق عليها اسم « باتمان » هو المستعمل في بخارى ويزن ١٣١ كيلو جراماً ، وأخفها هو المستعمل في فارس وهو يتراوح بين ٢½ و ٥ كيلو جرامات. والباتمان وحدة الأوزان في بخارى. وقد سرد بوداجوف Budagow القيم المختلفة لمدلول هذه الكلمة في اللهجات المستعملة في الوقت الحاضر سرداً مستفيضاً (قاموسه التركي الروسي : *Sravnitel'nij slovor' turecko-tatarskich nariechii* ج ١ ، ص ٢٣١) . أما رادلوف Radloff فلم يذكر إلا بعض مدلولاتها (*Versuch eines Wörterbuchs der Türk-Dialekte* ، ج ٤ ، ص ١٥١٦) ويستدل من كتاب لمؤلف عربي غير معروف نشره مينورسكي باسم (*Arab. Filolog. O. turckom. iazikie*، سنت بطرسبرج ١٩٠٠ ، ص ٨٢) على أن الباتمان التركي كان في القرون الوسطى يشبه المن الذي كان يستعمل عند العرب أو بالأحرى عند قدماء الساميين.

ويطلق هذا الاسم العربي اليوم في بخارى على نفس الوزن الذي يطلق عليه الاسم التركي ؟

[بارتولد W. Barthold]

« باتوخان » : أمير من أمراء المغل ، فاتح بلاد الروس وجد القبيلة الذهبية (١٢٢٧ — ١٢٥٥ م) . ولد في مستهل القرن الثالث عشر وهو الابن الثاني للزعيم جوچي . وكان جنكيزخان قد أعطى أثناء حياته أبناءه الثلاثة الكبار : جوچي ، چغتاي ، أوكتاي نواحي متفرقة من مملكته الواسعة، أما ابنه الأصغر ، تولي فلم ينل نصيبه إلا بعد وفاة أبيه وعندها أخذ الجزء الشرقي من مملكة المغل وهو الأقليم الذي ورثه أبوه . ووفقاً لأحكام القانون القبلي عند المغل، والذي ما زالت بعض القبائل التركية الرحل تتبعه حتى الوقت الحاضر كان الأب يعطي لكبار أبنائه ما يكفل لهم العيش أثناء حياته . أما الابن الأصغر فكان يعتبر وارثاً لمنزل أبيه ، ويظهر أن جنكيزخان فعل هذا بأن أعطى ابنه الأكبر أبعد أجزاء مملكته وخص الصغار بالأجزاء القريبة ، وهذا يفسر لنا لماذا كانت أملاك الابن الأكبر تمتد دائماً نحو الغرب كلما نجحت جيوش جنكيزخان في فتوحه .

وفي سنة ١٢٢٧م وهي السنة التي توفي فيها ذلك الفاتح كانت أراضي السهوب من غربي نهر أرتش إلى أقصى البقاع التي وطأتها جيوش

المغل، وكذلك الأراضى الزراعية المجاورة مثل خوارزم والأقاليم الفارسية على الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين . كانت كل تلك البقاع تعتبر من ممتلكات جوجى وأبنائه . وتوفى جوجى نفسه قبل أبيه بستة أشهر حوالى فبراير سنة ١٢٢٧م بعد أن أعقب أربعة عشر ولداً . واختارت القبيلة الذهبية فى الغرب ابنه الثانى باتو خلفاً لأبيه وأيد هذا الاختيار فيما بعد جنكيز خان ثم خليفته أوكتاى . وكانت الحدود بين أرضه وأرض جغتاى وأوكتاى لم تعينها اتفاقات أو معاهدات، ولم يكن من الميسور بيان الحقوق التى كان يمكن أن يدعيها باتو قبل إخوته الآخرين أو قبل الخان الأكبر الذى كان يحكم فى منغوليا . وبالرغم من التقسيم الذى أحدثه جنكيز خان فى مملكته فإنها ظلت بعد وفاته تعتبر مملكة واحدة كما كان الحال فى أثناء حياته. ووفقاً لفهم القبائل الرحل لقانون التملك كانت الدولة تعتبر ملكا لأسرة الحاكم بأسرها ، وكان أعضاؤها يعطون أجزاء منها للقيام بأودهم .

وكل الذى نعرفه عن باتو فى السنوات العشر الأولى من حكمه هو أنه حضر المجلس الذى عقد فى منغوليا سنة ١٢٢٩ أو ١٢٢٨م كما جاء فى القصيدة المغلية التى ترجع إلى حوالى سنة ١٢٤٦ . وفى هذا المجلس أختير أوكتاى خانا أكبر ، وربما حضر أيضاً المجلس الذى عقد سنة ١٢٣٥م والذى تقرر فيه إشعال الحرب من جديد ضد الروسيا والبلاد المجاورة . ولم يذهب باتو أبداً إلى آسية الشرقية بعد ذلك .

وكان أبناء جغتاى وأوكتاى وتولى فى الجيش الذى زحف فى ربيع سنة ١٢٣٦م ، وقد التحقوا به لأهمية الحرب بالنسبة للدولة كلها لا بالنسبة لجزء منها فقط . وكان الجيش كله بطبيعة الحال تحت قيادة باتو . ويقال إن الجيش وصل فى خريف العام نفسه إلى أرض البلغار عند نهر الفلجا . وورد ذكر تخريب مدينة البلغار التجارية المهمة عند الجوينى، كما ورد ذكر ذلك أيضاً فى الحوليات الروسية، ولكن الروس يقولون أن ذلك حدث فى خريف سنة ١٢٣٧م، ولم نعرف أخبار الحروب التى تلت ذلك إلا مما رواه مؤرخو الروسيا وغربى أوربا (أفاض فى الكلام عن ذلك O. Wolff فى *Geschichte der Mongolen oder Tataren* طبعة برسلو ١٨٧٢) . ولم يذكر المؤرخون المسلمون إلا النذر القليل عن تلك الحروب (d'Ohsson : *Histoire des Mongols* ج٢، ص ٦١٢ وما بعدها ؛ Hammer-Purgstall : *Geschichte der Goldenen Horde* ص١٠٢ وما بعدها) . وغزا التتر الروسيا بين سنتى ١٢٣٧ و١٢٤٠م بعد أن عبروا فى نوفمبر من سنة ١٢٣٧م نهر الفلجا الذى كانت تغطيه الثلوج ، وأغاروا على بولندا فى سنة ١٢٤١—١٢٤٢م وعلى المجر ودلماشيا فى السنة نفسها . وفى يوم عيد الميلاد من سنة ١٣٤١م عبر باتو خان نهر الدانوب الذى كان متجمداً لشدة البرد

وسرعان ما استولى بعد ذلك على مدينة جران وأغار على بلغاريا فى ربيع عام ١٢٤٢م ، وسار من هناك فى شتاء عام ١٢٤٢ — ١٢٤٣م مخترقاً الأفلاق والبغدان إلى إقليم الفلجا مرة ثانية . ولم يهزم جيشه مرة واحدة فى الروسيا أو غربى أوربا . وكان السبب فى انسحاب المغل يرجع من ناحية إلى خلافات حدثت بينهم إذ ثار على باتو كيوك بن أوكتاى وبورى حفيد جغتاى ولهذا يقال إن أوكتاى استدعاهما إليه ، ومن ناحية أخرى إلى الأنباء التى جاءت بوفاة الخان الأكبر فى ديسمبر سنة ١٢٤٢م .

ولم يشترك باتو فى أى حرب بعد سنة ١٢٤٣م . أما البلاد التى أغار عليها بين سنتى ١٢٣٧ و ١٢٤٢م فلم يبق خاضعاً منها للتتر إلا بلاد الروس ، حتى أنه فى سنة ١٢٤٣ ذهب الأمير الأكبر يارسلاو Jaroslaw إلى معسكر باتو وقدم نفسه إليه فأيده فى مرتبته باعتباره زعيماً لأمراء الروس . وفى سنة ١٢٥٠م تأيد فى مركزه دانيال أمير غاليسيا المستقل الذى أصبح ملكاً فى سنة ١٢٥٥م بالطريقة نفسها وقدم خضوعه إلى الخان .

ووجهت الحوادث التى وقعت فى تلك السنوات نظر باتو إلى الشرق ، وكان كيوك الابن الأكبر لأوكتاى عدواً لباتو ، وخلف أباه وارتقى العرش فى المجلس الذى عقد فى سنة ١٢٤٦م . وحضر خمسة من إخوة باتو هذا المجلس ، ولكن باتو نفسه اعتذر عن الحضور لمرضه . وفى العام التالى أعلن الخان الأكبر عزمه على الذهاب إلى المقاطعة التى ورثها عن أبيه على نهر إيميل وهو نهر فى إقليم تاربغاتاى الحديث على الحدود بين الروسيا والصين ، وذلك لأن جو هذا الإقليم أكثر موافقة لحالته الصحية . وذهبت الأنباء إلى باتو بأن الخان الأكبر يضمر له العداء فتقدم لمقابلته على رأس جيشه . وبعد مسيرة خمسة أيام أو ستة نحو الشمال من مدينة تبش باليق ، وهى كوچن الحديثة ، توفى كيوك فجأة وهو ما زال فى بلاد المغل . ويقول أبو الفرج إن وفاته كانت فى ٩ من ربيع الآخر سنة ٦٤٧ (٢٢ من يوليه سنة ١٢٤٠) . أما الصينيون فيقولون إن وفاته حدثت فى الشهر الثالث أى فى ربيع سنة ١٢٤٨م ، وكانت وفاته فى مكان يسميه أبو الفرج قستكى (طبعة پوكوك Pocock ، ص ٤٩٢) ويسميه الجوينى ومن نقل عنه من الكتاب سمرقند ، وهو غير المدينة المشهورة على نهر زرافشان ، أما الصينيون فيسمون هذا الموضع «هنج سيانج يى إول» . ويظهر أنه على نهر أورنكو . ووصل خبر وفاته إلى باتو وهو فى آلاقماق عند جبل آلا تاو جنوبى نهر إيلى وعلى مسيرة سبعة أيام من مدينة قيالغ التى يسميها ربريكى Rubruquis كيلك وهى على مقربة من مدينة قاپال الحديثة .

وكان لباتو أخ أكبر منه سناً اسمه أوردة وكان لا يزال حياً ومع هذا فقد اعتبر باتو أكبر أعضاء الأسرة الحاكمة ، ويقال إن جميع الأمراء أظهروا خضوعهم له وأعطوا استعدادهم

للنزول على حكمه فى أمر من يرتقى العرش . ودعا باتو الجمعية التى كان لها أن تقرر هذا الأمر إلى الاجتماع فى آلاقماق وهناك بايعوا الأمير منكو أكبر أبناء تولى وجعلوه خاناً أكبر بناء على اقتراح من باتو نفسه . أما أبناء وأحفاد چغتاى وأوكتاى فيظهر أنهم لم يحضروا بالمرة إلى آلاقماق أو أنهم غادروها قبل أن يبت فى الموضوع . ولما عرفوا نتيجة الاجتماع عقدوا العزم على مناهضة ذلك القرار . وكان لا بد من إقامة حفلة التتويج فى مؤتمر (قورولتاى) يعقد فى بلاد المغل . ولم يتم ذلك إلا فى سنة ١٢٥١ عندما نجح بركة أخو باتو فى أداء ما طلبه إليه أخوه فعقد المؤتمر الذى أقيمت الحفلة فيه وكان ذلك فى ٩ من ربيع الثانى سنة ٦٤٩ (٣٠ يولية سنة ١٢٥١) .

ولم يحضر حفلة التتويج الأمراء من بيت چغتاى أو بيت أوكتاى ولكنهم جاءوا بعدها مباشرة لتقديم خضوعهم إلى الملك الجديد . وذهبت الأنبــاء إلى الخان الأكبر بأنهم يتجهزون لمفاجأة معسكره والقضاء عليه وعلى أتباعه، فقبض عليهم، ولما حاكمهم ثبتت عليهم التهمة فأنزل بهم وبأسرهم وعشائرهم عقاباً صارماً ، وقتل شباب البيتين ونفى من لم يقتل منهم ، وأسلم الأمير بورى إلى باتو فآذاه ثم أمر بإعدامه . وبعد هذا الحادث كانت مملكة المغل مقسومة بالفعل بين منكو وباتو ولو أن اسم الخان الأكبر كان منقوشاً على العملة فى الدولة كلها وفى بلاد البلغار أيضاً . ويقول ربريكى الفرنسسكانى إنه سمع منكو فى سنة ١٢٥٤ يقول « إن سلطانى وسلطان باتو يمتدان على جميع البلاد كما ترسل الشمس أشعتها فى كل مكان » . ويقول ربريكى إن الحدود بين أرض منكو وأرض باتو كانت فى بلاد السهوب بين نهر تالاس ونهر چو، وهو يروى أن شعب باتو كان يلقى من الاحترام فى مملكة الخان الأكبر أكثر مما كان يلقى شعب الخان الأكبر فى أرض باتو . وليس من شك فى أن باتو الذى كان يعتبر أكبر أعضاء الأسرة الحاكمة والذى كان الخان الأكبر مديناً بعرشه إليه ؛ ليس من شك فى أنه كان يستمتع بمقام عظيم . وكان باتو يستعمل حقوق الملك حتى فى البلاد التى لم تكن من الملك الذى ورثه جوچى وأبناؤه مثل بلاد ما وراء النهر ؛ فمثلا يقول الجوينى (النص الفارسى فى شيفر Schefer : *Chresto-mathie Persane* ، ج ٢ ، ص ١١٧) إنه ولى ابن تيمور ملك الذى أبلى فى الدفاع عن خجندة مكان أبيه وورثه متاعه وأملاكه.

ويقول ربريكى إن باتو كان له ٢٦ زوجة، أما رشيد الدين فيقول إنه كان له أربعة أبناء. وتقول الحوليات الروسية إن أمراء الروس كانوا بعد سنة ١٢٤٩ يقدمون خضوعهم عادة إلى سرتاق الابن الأكبر لباتو الذى يظهر أن أباه عهد إليه أثناء حياته بجزء من مملكته. ويروى رشيد الدين أن باتو توفى فى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ - ١٢٥٣) . ويقال إنه

كان عند ذاك فى الثامنة والأربعين من عمره، ولكن التاريخ الذى ذكره رشيد الدين لا يمكن أن يكون صحيحاً لأن باتو استقبل دبريكى فى أغسطس سنة ١٢٥٣ وكان الخان حياً أيضاً أثناء عودة ذلك الرحالة من سفره (أكتوبر — نوفمبر ١٢٥٤). وعلى هذا فإنا نفضل رواية الجوينى الذى يقول إن باتو أوفد ابنه سرتاق إلى الخان الأكبر فى بلاد المغل سنة ٦٥٣ (١٠ من فبراير ١٢٥٥ — ٢٩ من يناير ١٢٥٦) وأنه علم فى طريقه بوفاة أبيه. ويظهر من رواية دبريكى أن باتو عاش السنوات الأخيرة من عمره على الشاطىء الأيسر لنهر أيتل (الفلجا) وكان يذهب فى الصيف إلى خط عرض ٥٢° شمالا ويقضى الشتاء عند مصب النهر حيث أنشأ فى السنوات الأخيرة من حكمه مدينة السراى على نهر آقتوبه.

كان الروس لا يعرفون عن باتو إلا أنه كان حاكماً قاسياً، أما مواطنوه فكانوا يلقبونه «ساين خان» أى الخان الطيب وقد وصفه بالعدل ولين الجانب والحكمة مؤرخون مثل الجوزجانى الفارسى (طبقات ناصرى، ترجمة رافرتى Raverty ص ١١٧١ وما بعدها) ومغكيه الأرمنى (ترجمه باتكانوف Patkanow إلى الروسية، ص ١٨). ومثل هذين المؤرخين لم يكن هناك ما يدفعهما إلى التحيز فى حكمهما للمغل. ويروى يوحنا ده بلانو كاربينو الفرنسسكانى Johannes de Piano Carpino أنه كان قاسياً فى حربه ولكنه كان حاكماً رحيما برعاياه. ويروى الجوزجانى أن باتو اعتنق الإسلام سراً أما وصّاف (مطبوع على الحجر، ص ٥٧٩) فيقول إنه كان مسيحياً. ويظهر أنه حدث خلط فى هذه القصة بين باتو وبين ابنه سرتاق. ويظهر أن الأرجح هو ما ذكره الجوينى من أن باتو لم يكن يفضل أى دين من الأديان السماوية وأنه آثر التمسك بعقيدة آبائه فى معرفة الله «يزدان شناسى» أى عبادة السماء؟

المصـــــادر

(١) الجوينى: تأريخ جهان كشاى (٢) رشيد الدين: جامع التواريخ (٣) d'Ohsson: *Histoire des Mongols* ج ٢، ص ١٢٠ وما بعدها (٤) Hammer-Purgstall: *Geschichte der Goldenen Horde*، ص ٩٥ وما بعدها (٥) Howorth: *History of the Mongols*، ج ٢، ص ٣٦ وما بعدها (٦) الحوليات الروسية *Lietopis po Lavrentewskomn spisku*، نشرها Archaeographic Commission فى سانت بطرسبرج فى عام ١٨٧٢ (٧) وتوجد روايتى يوحنا ده بلانو كاربينو ودبريكى الفرنسسكيين فى *Recueil de textes et de mémoires, publié par la Société de géographie*، ج ٤.

أما القصيدة المغلية التى كتبت فى عام ١٢٤١ فلم تنشر إلا ترجمتها الروسية (ومن الصينية: *Trudi rossyskoi duchovnoi missii v*

Pekinie ، ج ٤) وانظر كذلك K. Patkanow: Istorya monglov inoka magakii ج ١٣ ، سانت بطرسبرج ١٨٧١ .

[بارتلد W. Barthold]

« باج » كلمة فارسية معناها هدية أو ضريبة أو مكس . . . الخ

« باجدا » كانت فى العهد الإسلامى بليدة محصنة جنوبى حرّان من أعمال الجزيرة على الطريق الواصل إلى رأس عين شرقى البليخ ، وقد اشتهرت ببساتينها . ويظهر أنها اندثرت الآن . واسمها الآرامى בּ־יִגְדָּא ومعناه « بيت الجَد » وربما كانت باجدا هذه هى « عين جدا » أى « منبع الجَد » التى ذكرها الدمشقى . و « جدّا » فى لوحة بوتنجريانا Peutingeriana(1) بالشـــام (انظر نولدكه Nöldeke فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ، ج ٢٩ ، ص ٤٤١) .

المصــــادر

(١) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج١ ص ٤٥٣ (٢) البلاذرى ، طبعة [illegible] غوى ، ص ١٧٤ ، س٧٢ ، ويجب أن نقرأ فى هذا الكتاب باجَدا لا باجُدا (٣) G. le Strange. [illegible] Lands of the Eastern Caliphate ، كبردج ١٩٠٥ ، ص ١٠٥

[ستريك Streck]

« باجَرْما » أو باجرمق : اسم إقليم فى دجلة الشرقية بين حوض الزاب الأدنى فى الشمال وجبل حمرين فى الجنوب، وكانت عاصمتها فى العصور الوسطى مدينة كركوك (بالسريانية Karkha de Beth Slokh) وكانت باجرما فى عهـــد الخلفاء ناحية من نواحى الموصل (انظر ابن خرداذبة ، ص ٩٤ س ٧) . واسم باجرما تحريف عربى للاسم السريانى بيته (بى) بكرماى Bèth (Bè)-Garmai ، أما اسم باجرمق فيظن أنه مشتق من لفظ كرمكان الذى كان يطلق على هذا الإقليم فى لغة فارس الوسطى .

وهذه الصيغة نفسها مشتقة من اسم كرمو Gurumu وهو اسم قوم رحل ورد ذكره فى النقوش المسمارية وهو عين اسم Γαραμαῖοι الوارد فى كتاب بطليموس .

المصــــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، ج ٥ ، ص ٣٥ ، ٢١ ، ١٧٩ ؛ ج ٦ ص ٩٤ (٢) البلاذرى ، طبعة ده غوى ، ص٢٦٥ ،

(1) نسبة إلى بوتنجر كونراد Peutinger Konrad (١٤٦٥ — ١٥٤٧) وهو الأثرى المشهور الذى كان أول من نشر ما ورد بالنقوش الرومانية، وقد اشتهر باللوحة المنسوبة اليه وهى عبارة عن مصور للطرق العسكرية فى الإمبراطورية الرومانية الغربية . وهذه اللوحة كشفها كونراد كلتس Konrad Celtes وسلمها إلى بويتنجر لنشرها . اللجنة

٢٣٣ (٣) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ١ ص٤٠٤ (٤) G Hoffmann : *Auszuge* [illegible] *syrischen Akten persischer Martyrer* ليبسك ١٨٨٠ ، ص ٤٤ ، ٢٥٣ وما بعدها (٥) M.Streck : مادة *Oaramaioi* فى *Realencykl der klass. Altertumswissensch* لمؤلفه Pauly-Wissowa وفى هذا الكتاب مصادر أخرى .

[ستركM. Streck]

« بَاجِسْرا » : بليدة بالعراق يقول ياقوت إنها شرقى بغداد — والأصوب أن نقول شمالى شرقى بغداد — بينها وبين حلوان، على عشرة فراسخ من بغـــداد . أما ابن خرداذبة وابن سرابيون فوصفهما للمدينة أدق من ياقوت . فهما يقولان إن باجسرا على قناة « قاطول نهروان » العظيمة المتفرعة من الدجلة ، أو بتعبير أدق فى الجزء الأوسط منها المعروف بنهر « تامرّا » أى بالقرب من المكان الذى تخرج من تامرا فيه قناة تعرف بالخالص فتصب فى الدجلة عنـــد « بَرَدَان » شمالى بغداد .

وكانت باجسرا فى عهد ياقوت مدينة عامرة نزهة كثيرة النخل والأهل . ولكنها هُجرت كما قال صاحب المراصد فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وليس لها الآن وجود .

وكلمة باجسرا فى العربية بيت على الجسر (בֵּינְשְׁרָא) ؟

المصـــادر

(١) ابن سرابيون ، طبعة G. le Strange فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية عام ١٨٩٥ ، ص ١٩ ، فصل ١١ (٢) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، جـ٣ ، ص ٥٣ ، ١١٥ ؛ جـ٦ ، ص ١٧٥ (٣) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد جـ١ ، ص ٤٥٤ (٤) مراصد ، طبعة جوينبل ، ليدن ١٨٥٠م وما بعدها ، جـ١ ، ص١١٥ (٤) Quatremère : *Histoire des Mongols de la Perse* ، باريس ١٨٣٦ ، جـ١ ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ (٥) G. le Strange : *The Lands of The Eastern Caliphate* ، كبردج١٩٠٥ ص ٥٩ .

[ستركStreck]

« باجوران » : قوم يسكنون على الحدود التركية الفارسية فى ولاية الموصل بقرى عمرخان وتوپراخ زيارت وتل يعقوب وبشيپتاوغيرها . ويقول أنستاسP.Anastase إن الباجوران يتكلمون لهجة خليطة من لغات عدة . ولهم آراء وطقوس دينية خاصة شبيهة بما للشبك والصارليه (انظرهاتين المادتين) ؟

المصـــادر

(١) P. Anastase فى مجلة المشرق، جـ٥ ، ص ٥٨٠ .

« الباجورى » أو البيجورى إبراهيم ابن محمد : ولد عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٣) . فى الباجور وهى قرية على مسيرة اثنى عشرة ساعة من القاهرة . درس فى الجامع الأزهر ابتداء من عام ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) واعتكف فى الجيزة إبان الاحتلال الفرنسى . وفى سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) رجع إلى تحصيل العلم بالقاهرة . وبعد ذلك بقليل بدأ الباجورى فى إلقاء الدروس بالأزهر وحاز شهرة علمية كبيرة بحيث كان يستمع إلى دروسه المئات من الطلاب . وقد قال عنه أحد تلاميذه : إنه كان أعلم من درس فى الأزهر من غير منازع (ترجمة الشيخ الطنطاوى لسيرته فى : *Zeitschrift für die Kunde des Morgenl* ، جـ ٧ ، سنة ١٨٥٠ ، ص ٥٢–٥٨) .

وفى شهر شعبان من سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧م) عيّن الباجورى شيخاً للأزهر واحتفظ بمنصبه هذا إلى أن توفى فى شهر ذى القعدة من سنة ١٢٧٧ (يونيه سنة ١٨٦١) . وفى أواخر أيامه أقعده الكبر عن القيام بأعباء منصبه فعينت الحكومة أربعة وكلاء لأداء عمله .

وكانت مؤلفاته العديدة تدور حول المسائل العلمية التى كان يعنى بها فى العصور الوسطى ومعظمها شروح وتعليقات أخذ جل مادتها من العلماء المبرزين الذين تقدموه . وأشهر مؤلفاته ما يأتى :

ا — كتب الفقه .

(١) حواشى على شرح أبى شجـــاع لابن قاسم وقد اتخذ سخاو Sachau هذه الحواشى أساساً لبحثه المسمى « *Muhamm. Recht nach schafiitischer Lehre* » والذى نشره فى برلين سنة ١٨٩٧ .

(٢) حواشى على شرح الأرجوزة الرحبية للشنشورى (انظر : J. D. Luciane : *Traité des succeseions musulmanes; éxtrait du commentaire de la Rahbia par chinchouri, de la glose d'El-Badjouri et d'autres auteurs arabes* ، باريس ، ١٨٩٠) .

ب — كتب الكلام .

(١) حاشية على شرح السنوسى تسمى « أم البراهين » .

(٢) حاشية على شرح إبراهيم اللقانى المسمى « جوهرة التوحيد » .

(٣) شرحه لكتاب شيخه الفضالى المسمى « كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام » .

حـ — كتب فى السيرة النبوية .

(١) حاشية على شمائل الترمذى .

(٢) حاشية على مولد ابن حجر الهيتمى .

(٣) حاشية على تفسير ابن هشام لبانت سعاد .

(٤) حاشية على شرح خالد الأزهرى للبردة .

ء — كتب فى النحو والمنطق والبلاغة :

(١) حاشيـــة على شرح العمريطى لأجرومية الصنهاجي.

(٢) حاشيـــة على رسالة فى البيان للسمرقندى.

(٣) حاشية على مختصر فى المنطق للسنوسى.

(٤) حاشية على شرح الأخضرى المسمى «السلم فى المنطق».

ونجد فهرساً تاريخياً كاملا لمصنفات الباجورى التى طبع معظمها فى مصر فى آخر شرحه لابن القاسم الذى ذكرناه فيما سبق.

المصـــادر

(١) A. von Kremer: *Agypten*، ليبسك ١٨٦٧، جـ٢، ص٣٢٢—٣٢٣ (٢) C. Snouck Hurgronje فى *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch.* جـ ٥٣، ١٨٩٩، ص ١٤٤، ١٤٦ — ١٦٧، ٧٠٣ — ٧٠٤ (٣) C. Brockelman: *Gesch. der arab. Litteratur*، جـ ٢، ص ٤٨٧.

[Th. W. Juynboll جوينبل]

تاج الدين إسماعيل وسيف الدين بن المظفر المتوفى عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م).

المصـــادر

(١) محمد حسن خان: مرآة البلدان، جـ ١، ص ١٥٠ (٢) محمد عوفى: لباب الألباب، جـ ١، ص٦٨، جـ ٢، ص ١٥٦ (٣) رضا قلى خان: مجمع الفصحاء، جـ ١، ص ٢٤٤ (٤) Edw. G. Browne: *Literary history of Persia*، جـ ٢، ص ٣٥٥ (٥) Barbier de Meynard: *Dictionnaire de la Perse*، ص ٧٤.

[Cl. Huart هيوار]

«باخَرْز»: كورة فى خراسان بين نيسابور وهَرَاة قصبتها مالين وهى سوق. وقد خرج منها على بن الحسن بن أبى الطيب صاحب كتاب «دُمية القصر»، والشاعران

«الباخرزى» على بن الحسن بن على بن أبى الطيب السِّنْخِى أبو القاسم أو أبو الحسن، وهو صاحب ذيل يتيمة الدهر المعروف بـ«دمية القصر وعصرة أهل العصر». وهذا الذيل يتحدث فى بعض الأحيان عمن تحدثت عنهم تتمة اليتيمة. وقد طالع عماد الدين كتاب دمية القصر بإصفهان فى دار الكتب التى لتاج الملك فبعثه ذلك على تأليف كتاب «خريدة القصر فى شعراء العصر». وذكر الباخرزى فى مقدمة كتابه أنه تلقى العلم فى بلده، وأنه أخذ فى التجوال من عام ٤٣٤ إلى ٤٦٤ هـ فزار أول الأمر نيسابور وهراة وهما مجاورتان لموطنه، وقصد بعد ذلك إلى مرو وبلخ والرى وإصفهان وهمذان وبغداد

والبصرة وواسط ثم أورد أسماء المشاهير الذين تعرف إليهم فى كل من هذه البلدان مثل الثعالبى الذى لقيه فى نيسابور . ولا بد أن تكون هذه الزيارة قبل ذلك لأن الثعالبى توفى عام ٤٢٩ هـ .

واشتغل الباخرزى بالفقه على مذهب الإمام الشافعى قبل اشتغاله بالأدب وتعرف إلى محمد بن منصور الكندرى الذى وزر لطُغرل بك فيما بعد أثناء استماعه بنيسابور إلى دروس أبى محمد عبد الله بن يوسف الجوينى المتوفى عام ٤٣٨ كما يقول السمعانى. ويقال إن هجاء الباخرزى للكندرى بقصيدة مطلعها كلمة «أقبل» أكسبته رضا هذا الوزير فألحقه بحاشيته عند دخول السلطان السلجوقى بغداد عام ٤٤٧ هـ . وتذهب رواية أخرى إلى أن الباخرزى مدحه فى بغداد فأجزل له العطاء وأعجب بشعره . وأقام صاحب الترجمة بالبصرة برهة ثم شرع فى الكتابة مع الوزير الكندرى واختلف إلى ديوان الرسائل . ولما ورد إلى بغداد عام ٤٥٥ هـ مدح القائم بأمر الله بقصيدة ا واستهجن البغداديون شعره أول الأمر ولكنه انتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها فتمكن من الخلاص من برودة العجم وعاد البغداديون إلى استحسان شعره . ثم رجع بعد ذلك إلى بلده وهناك ضربه رجل تركى فى مجلس أنس فقتله وذهب دمه هدراً ، وكان ذلك فى ذى القعدة من عام ٤١٧ هـ .

وأشهر أبيات الباخرزى هى تلك التى يواسى بها الكندرى على جب مذا كيره ، ويلوح أن المترجم له كان حسن الصلات بنظام الملك بعد سقوط الكندرى وأفاد من دار كتبه فى تصنيفه لكتاب «دمية القصر» .

والمصنف السابق الذكر فى سبعة أبواب هى :—

(١) شعراء البادية وشعراء الحجاز .

(٢) شعراء الشام وديار بكر وأذربيجان والجزيرة والمغرب .

(٣) شعراء العراق .

(٤) شعراء الرى والجبال .

(٥) شعراء جرجان وأستراباذ ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهر.

(٦) شعراء خراسان وقوهستان وسجستان وغزنة .

(٧) الكتاب .

وقد ذيلت بعض مخطوطات الدمية بمختارات من شعر المؤلف . وكان للباخرزى ديوان كبير ؟

المصـــادر

(١) مقدمة الدمية (٢) ياقوت : إرشاد الأريب ، جـ ٥ ، ص ١٢١ ، ١٢٨ .

[مرجليوث D. S. Margoliouth]

■ باخمرا » : موضع بالعراق لم يعين مكانه بالضبط ، يقول المسعودى إنه كان جزءا من الطّف وهى أرض العرب التى كانت تشرف على ريف العراق ، وهو على مسيرة ستة عشر فرسخا (حوالى ٩١ كيلومترا) من الكوفة . ويقول ياقوت إنه موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب .

وتشتهر باخمرا فى تاريخ العباسيين بالموقعة التى حدثت بها بين أصحاب أبى جعفر المنصور الذين كان يقودهم عيسى بن موسى وأصحاب إبراهيم بن عبد الله العلوى ، وقتل إبراهيم فى هذه الموقعة سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) .

والاسم الآرامى لهذا الموضع معناه بلد الخمر (قارن هذا بتسمية «قرية العنب» لمكان فى فلسطين فى الشمال الغربى لبيت المقدس؟

المصــــادر

(١) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة فستنفلد، جـ ١ ، ص ٤٥٨ (٢) المسعودى ، مروج الذهب، طبعة Barbier de Meynard. et P. de Courteille ، جـ ٦ ص ١٩٤ (٣) Weil : *Geschichte der chalifen* ، جـ ٢ ، ص ٥٥ . وذكرها خطأ باسم « باشمرا » .

[ستركM. Streck]

■ بادَرَايا » : كورة بالعراق شرقى الدجلة ، وعلى مقربة من سلسلة جبال Zagros زكروس ولا يزال هذا المكان موجودا إلى اليوم، ويسمى بدره وهو جنوبى خط عرض ٣٣° شمالا وعلى خط طول ٤٦° شرقى جرينوتش، ويسميها جغرافيو العرب بادرايا وكذلك باكسايا ، ويقولون إن البندنيجين عاصمة الكورتين . ويذكرون من صادراتها بوجه خاص التمر اليابس الغاية فى الجودة واليبس.

ونقل خسرو أنوشروان الأول جانبا من سكان أنطاكية بعد أن دمرها إلى بادرايا.

وورد ذكر بادرايا كثيرا فى الكتب السريانية باسم « بيت درايه » وكذلك فى التلمود باسم בידראי إن لم يكن هذا هو اسم بادورايا (انظر هذه المادة) . وقد ذكر ياقوت فى الجزء الأول من معجمه بلدة باسم بردرايا وكذلك كتاب المراصد جـ١، ص١٤١. ويظهر أن هذا تحريف لكلمة بادرايا .

والمقطع درايا فى كلمة بادرايا مثل المقطع كسايا « فى باكسايا» (انظر هــــذه المادة) هو فى الأصل من غير شك اسم لقبيلة . انظر كذلك اسم « مادرايا » وهو اسم موضع جنوبى واسط . وانظر عن هذا الاسم الأخير Streck : *Babylonien nach den Arab. geographen* ، جـ ٢ ، ص ٣١٠ ؟

المصــــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية طبعة دى غوى ، فى مواضع متعددة (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة

فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٤٥٩ (٣) G Hoffmann : *Auszuge* [illegible] *syrischen Aklen persischer Märtyrer* ، ليبسك ١٨٨٠ ، ص ٦٩ (٤) Nöldeke فى *Zeitschr. der. Deutsch. Morgenl. Gesellsch.* ، جـ ٢٧ ، ص ١٠١ (٥) المؤلف نفسه *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden* ، ١٨٧٩ ، ص ٢٣٩ (٦) G. le Strange : *The lands of the Eastern Caliphate* ، ١٩٠٥ ، ص٦٣—٦٤ ، ٨٠ (٧) E. Herzfeld فى *Memnon* جـ ١ ، ١٩٠٧ ، ص١٢٦ ، ١٤٠ .

[ستُرك Streck]

« پادشاه » لقب حكام المسلمين وبخاصة الأباطرة منهم: والاصطلاح الفارسى «پادشاه» معناه السيد الملك ، وكلمة «پاد» تتصل بالكلمة السنسكريتية « پاتس » ومعناها سيد أو زوج ومؤنثها « پاتنى » والكلمة اليونانية πότνια و δεσ-πότης واللاتينية Potens (G.Curtius: *Griech. Etymol.* ، ص ٣٧٧) . ويقول بتنر Bittner (فى E.Oberhummer: *Die Türken und des Osmanische Reich* ، ليبسك ١٩١٧، ص ١٠٥) إن هذا اللقب كان فى الأصل مقصوراً على الملك ثم أصبح بتوالى الزمن وبحكم اتصال العثمانيين الطويل بدول الغرب يطلق على بعض الحكام الغربيين . وربما كان الصدر الأعظم قيوتلو مراد باشا المتوفى فى ٥ أغسطس من عام ١٦١٢ م أول من استعمل لقب پادشاه فى الرسائل المتبادلة بين الباب العالى والدول الغربية إذ أطلقه على رودلف الثانى إمبراطور النمسا . وطلبت روسيا فى مؤتمر نمرو الذى عقد عام ١٧٣٧م إطلاق هذا اللقب على قياصرتها (J.V.Hammer فى *Gesch.Osman.Reiches* ، جـ ٧ ، ص ٤٨٨) وطالبت به ثانية فى مؤتمر بوخارست عام ١٧٧٣ م (المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤١٢) ويلوح أن لقب پادشاه لم يكن معروفاً تمام المعرفة عند ما أطلق على سلطان الترك (پادشاه آل عثمان) ، وعلى أى حال فإننا نجده ضمن جميع الكلمات المسجوعة فى الوثائق التركية منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى . وقد استعمل حوالى نهاية القرن الخامس عشر بدلا من « خنكار » وهو لقب مهجور مأخوذ من « خداوندكار » (المجلة الأسيوية ، المجموعة الثانية ، المجلد ١٥ ، ص٢٧٦ ، ٥٧٢) كما أن لقب « سلطان » كان يستعمله دراويش الصوفية وظل يطلق على آل عثمان إلى آخر عهد السلطنة (*Der Islam*، جـ ١١ ، ص ٧٠) فكان رعايا السلطان وجنده يحيونه إلى عهد قريب هاتفين « پاد شاهم چوق أوبك يشا » ؟

المصـــادر

(١) St. Kekulé : *Ueber Titel, Aemeter, Rangstufen und Anreden in der offiziellen osmanischen Sprache* ،

هال ١٨٩٢ ، ص ٣ (٢) P. Horn : Oran-driss der neupersischen Etymologie ستراسبورج ١٨٩٣ ، ص ٦١ ، رقم ٢٦٦ ويروى هذا الكتاب اشتقاقا آخر من اللفظ الفارسى القديم پاد أى الحامى وشاه أى الحاكم ، انظر Horn فى G. I. Ph. ، مجلد ١ ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ، ٣٠٩ ، مجلد ١ ، ج ٢ ، ص ٤١ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٥٩ وفيها ذكر للصيغ الفارسية القديمة والبهلوية وغيرها .

[Franz Babinger بابنجر]

« بادُورَيا » : كورة فى الجنوب الغربى من بغداد وتشمل الأراضى فى جنوبى نهر السراة وهو فرع من قناة نهر عيسى المتفرعة من الفرات . ويفصل نهر السراة كورة بادوريا من قطربل . وكان الجزء الجنوبى من النصف الغربى لمدينة بغداد التى تسمى مدينة المنصور وكذلك ضاحية الكرخ من أرض بادوريا . التى كانت طسوج من كورة الأستان العالى شأنها فى ذلك شأن قطربل ؟

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، ج ٧ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ؛ ج ٦ ، ص ٧ ، ٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ (٢) البلاذرى ، طبعة ده غوى ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥ (٣) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٦٠ (٤) Streck : Babylonien nach den arab. Geogr. ، ١٩٠٠ ، ج ١ ، ص ١٦ ، ١٩ ، ٢٥ (٥) G. le Stronge : Baghdad during the Abbasid Caliphate ، ١٩٠٠ ، ص ٥٠ — ٥١ ، ٣١٥ (٦) المؤلف نفسه : The Lands of the Eastern Caliphate ، ١٩٠٥ ، ص ٣١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨٢ .

[ستريك Streck]

« بادوسبان » (پاذوسپان) : مؤسس أسرة فى رُويان ورستدمار ونور وكجور (انظر مادة « دابوَيه ») .

« بادولت » لقب الأمير يعقوب بك الكاشغرى (انظر هذه المادة) .

« باديس » ابن حبُوش بن ماكسن الصنهاجى الملقب بالمظفر : ابن عم باديس أبى مناد (انظر هذه المادة) وهو ملك غرناطة من بنى زيرى ، حكم من عام ٤٢٩ إلى عام ٤٦٥ هـ (١٠٣٨—١٠٧٣ م) وكان مستبداً يدمن الشراب ويميل إلى سفك الدماء ، وقد تمكن بمساعدة وزيره اليهودى الداهية إسماعيل ابن نَغديله من أن يصبح الحاكم المطلق لغرناطة وكان ذلك بعد وفاة أبيه حَبُّوس وتنازل أخيه الأصغر بلكين الذى كان يؤيده حزب قوى فى المملكة . وأراد باديس توطيد سلطانه بقتل مناوئيه زهير الصقلبى أمير المريّة ووزيره

ابن عباس . ولم تنته إلى نتيجة حاسمة الحرب التى دامت عدة سنين والتى شنها على العباسيين فى إشبيلية من أجل امتلاك الأندلس . وتحالف باديس مع الأمير البربرى محمد صاحب قرمونة وإدريس الأول المالقى فتمكن من هزيمة القائد العباسى إسماعيل بن القاضى أبى القاسم محمد الأول الذى كان يحاصر قرمونة عند إستجه عام ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) ولكنه لم يستطع الحيلولة بين الخليفة القاضى، المعتضد العباسى وبين الاستيلاء على كثير من الدويلات الأندلسية البربرية الصغيرة مثل ميرتلة وولبة وليلة ورندة وموزور (Moron) واستولى آخر الأمر على قرمونة عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٧م) واستعاد باديس مالقة من يد المعتمد بن المعتضد وكان قد انتزعها فى المرة الأولى عام ٤٤٩ هـ (١٠٩٧ م) عقب سقوط بنى حمُّود.

وأراد باديس أن يثأر لعدد من أشراف البربر قتلهم المعتضد فقر رأيه على أن يعمل السيف فى جميع العرب فى غرناطة وهم يؤدون فريضة الجمعة ، بيد أن وزيره إسماعيل أفلح فى أن يصرفه عن هذا الرأى بعد مشقة. ويعود الفضل فى ازدهار غرناطة وتقدمها إلى مواهب هذا الوزير . فقد كانت الحصون والمبانى الجميلة التى زين باديس بها العاصمة رمز قوة البربر فى الأندلس، ولكن ما إن توفى الوزير إسماعيل عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) حتى تمزقت أوصال المملكة.

وتوفى باديس عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٥ م) وبوفاته انتقل ملك غرناطة إلى حفيده عبد الله ومالقة إلى أخيه تميم ؟

المصــــادر

(١) المقرى : جـ ٢ ، ص ٣٥٩ وما بعدها

(٢) ابن خلدون ، العبر ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ ، ترجمة ده سلان ، جـ ٢ ، ص ٦٢ وما بعدها

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، المقدمة ص ٨٠ - ١٠٢ (٤) Dozy: *Scriptorum Arahum loci de Abbadidis* ، جـ ١ ، ص ٥١ ، ١١٩ ، جـ ٢ ، ص ٣٣ وما بعدها ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٧

(٥) David Cassel : *Lehrb. der jüd. Gesch. u Litt.* ، ليبسك ، ١٨٧٩ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٤ (٦) Tornberg : *Annales regum Mauritaniae* ، وبه جداول بنسب بنى زيرى

(٧) Müller : *Der Islam* ، جـ ٢ ، ص ٥٨٣ ، ٥٨٥ وما بعدها ، ص ٥٩٦—٦٠١ .

[شمتس M. Schmitz]

« باديس » أبو مناد ناصر الدولة : هو ابن وخليفة المنصور أحد أمراء بنى زيرى. خلف أباه فى ٣ من ربيع الأول سنة ٣٨٦ (٢٦ من مارس سنة ٩٩٦) على حكم إفريقية وبلاد المغرب الوسطى ، وأقره على ملكه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله الذى كان يحكم مصر . وواصل باديس محاربة زناته وبعد أن عهد إلى عمه يطوّفت بحكم تاهرت أوفد عمه الثانى حمادا لمقاتلة زيرى بن عطية صاحب

فاس ولكنه هزم فى أمسار . فسار باديس بنفسه لملاقاة خصمه الذى تقهقر أمامه؛ ولكن بينما كان صاحب إفريقية مشغولا فى الغرب ثار عليه فلفل بن سعيد صاحب طبنة وحاصر باغاية دون أن يظفر منها بطائل فاتجه إلى القيروان ظناً منه أنه يستطيع التغلب عليها . وسار فى طلبه باديس فلقيه عند وادى أغلان وهزمه شر هزيمة . وفر فلفل إلى الصحراء ثم ذهب إلى طرابلس وهناك توفى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ — ١٠١٠ م) فخلفه أخوه «ورو»، وسار باديس إلى طرابلس فدخل فى طاعته «ورو».

وفى أثناء تلك الحوادث ثار حماد الذى شيد قلعة بنى حماد لأن باديس أغضبه بأن أراد أن يحرمه حكم مدينتى تيجس قسطنطينة فسار إليه باديس على رأس جيشه والتقى الجيشان عند نهر شليف فهزم حماد وتشتت جيشه واستولى باديس على أمواله ولكن حمادا نجح فى الفرار إلى قلعته . وتوفى باديس فى ليلة ٢٩ أو ٣٠ من ذى القعدة سنة ٤٠٦ (٩ أو ١٠ من مايو سنة ١٠١٦) ؟

المصادر

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ١ ص ٢٥٧ — ٢٦١ (٢) ابن الأثير : طبعة تورنبرج، جـ ٩، ص ٨٩ — ٩٠ وص ١٠٧ — ١١٠، ١٧٢ — ١٧٩ (٣) ابن خلدون : كتاب العبر، جـ ٦، ص ١٩٧ — ١٩٨ وجـ ٧، ص ٤٠ — ٤١.

[رينيه باسيه R. Basset]

«بادية» : مقام بنى أمية . كان لابد للعرب الفاتحين الذين اعتادوا حياة البداوة وهواء الصحراء الطلق من وقت ما حتى يألفوا الإقامة فى المدن التى كثيراً ما كانت عرضة لتفشى الأوبئة؛ ومن ثم جاء قولهم الصحة فى الصحراء . وقد نشأ بعض الساسانيين أيضاً أبناءهم فى الصحراء عند بنى لخم الذين كانوا يسكنون صحراء الحيرة من وقت إلى آخر . وكراهية العرب للمدن تفسر لم كان معاوية الأول وعبد الملك يسكنان خارج دمشق . وكانت البادية تقوّم ألسنتهم وتحفظ عاداتهم الموروثة التى كان يهددها الاحتكاك بأهل البلاد التى فتحوها، ولهذا كانوا يسمون البادية مدرسة الأمراء.

وقد سمح معاوية عن رضى، لابنه يزيد فى أن يقيم فيها، وأسف عبد الملك لأنه لم يبعث بالوليد الأول إلى البادية لتقوم لسانه . ونجد كذلك أن بنى أمية كانوا يقضون جزءا من العام فى الصحراء وبخاصة شهور الربيع؛ وكانوا يسمون مقامهم فيها «البادية» ومنها كلمة تبدّى . وكان كل خليفة يختار ناحية من صحراء الشام ليستمتع فى باديتها بمحاسن الربيع وهو أجمل وقت فى حياة البدو، وكان يحذو حذوه فى ذلك أعضاء أسرته. وقد

ذكر الإخباريون ذهاب الخلفاء إلى البادية وعودتهم منها. واعتاد معاوية قضاء الشتاء في صِنَّبرة على شواطئ بحيرة طبرية، ويظهر أنه لم يهتم بالبادية. أما يزيد فكان يتبدى في حُوَّارِين، وكان عبد الملك يقضى الربيع في جابية. وسار خلفاؤه على نهجه وبخاصة الوليد الثانى، وكانوا يؤثرون التبدى في الخلاء القريب من بلقع. وكانوا يعيشون في خيام ويبدون فيها من ضروب الكرم والجود ما أثر عن سادة العرب في الزمن الغابر، ويستقبلون فيها الشعراء والوفود. وكانت البادية تتجلى فيها أحيانا الفوضى التى تمثل لنا حيرة الغساسنة وبنى لخم: فتضرب فيها خيام العسكر وتبنى فيها بيوت للخلفاء ونسائهم.

وكان بعض الخلفاء يفضلون سكنى الحصون التى أقامها الروم، وشيد بعضهم فى أحضان الصحراء قصورا أو منازل للصيد أحسن رياضات الصحراء، وكانوا يقيمون بين نسائهم وعسكرهم، وبعض هذه القصور يزينها الرخام النفيس وجدرانها منقوشة بماء الجير.

وقد مكنتنا الخرائب التى زارها الدكتور موسيل A. Musil من تحديد كثير من مواقع هذه القصور وأن نتخيل مظهر تلك الدور التى كانت من الأشياء المستحبة عند بنى أمية.

المصـــادر

(١) الأغانى، جـ ١، ص ١٩؛ جـ ٢، ص ٣٥ — ٣٦، ٣٨، ١٠٨؛ جـ ٤، ص ٦١؛ جـ ٥، ص ١١٢—١١٣، ١٣٦؛ جـ ٨ ص١٨٣ (٢) البلاذرى، طبعة أهلوردت Ahlwardt، ص٢٠٠ (٣) الطبرى، طبعة ده غوى، جـ ٢ ص ١٧٨٣، ١٧٩٣ (٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ ١، ص ٢٩٣ (٥) ابن قتيبة، عيون الأنباء، طبعة بروكلمان Brockelmann ص ٢٦٧ (٦) A. Musil: *Kuseir 'Amra* ص ١٥١ — ١٦١ (٧) H. Lammens: *La Badia et la Hîra les Omaiyades* في *Mél. de la Facult. orient de Beyrouth*، جـ ، ص ٩١ — ١١٢

[لامنس H. Lammens]

« باذغيس » ويقال أيضاً بادَغيس: ناحية فى الجزء الشمالى الغربى من أفغانستان الحديثة، وأصلها الفارسى « باذخيز » ومعناه قيام الريح دلالة على كثرة الرياح بها. ويقول جغرافيو القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إن الناحية التى فى شمال غربى هراة، أى ما بين هذا البلد وسرخس، هى وحدها التى تعرف بـ « باذغيس ». وعلى كل حال فإنها كانت تحمل هذا المدلول عند ياقوت فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى). ولم يكن للقرى والحصون التى فى باذغيس شأن يذكر، وتُعتبر قلعة « نَوْ » الآن قصبة هذه الناحية. والأنهار بما فيها روافد نهر مرغاب عبارة عن مجارى مائية صغيرة ماؤها ملح كما كانت منذ

ألف عام ، ولذلك يعتمد الأهالى فى رى زراعتهم على ماء العيون والأمطار . وما زالت بباذغيس أشجار الفستق التى ذكرها العرب وإن كانت قد قلت بعض الشىء . وتشتهر المدينة إلى جانب ما ذكرنا بجودة مراعيها . ويذهب فرير Ferrier (١٨٤٥ — ١٨٤٦ م) إلى أن مراعى قلعة « نو » هى خير مراعى آسية كلها . إلا أن هذه الميزة التى اختصت بها قد عاقت تقدمها لأن البدو الذين فى جوارها كانوا يغيرون عليها دائماً من أجل هذه المراعى . بل إن الحرب التى قامت بين الفرس ومغل آسية الوسطى عام ١٢٧٠ ترجع إلى تنازعهم عليها وأغلب سكان باذغيس الآن بدو من قبيلتى هزارة وجشيد ؟

المصـــادر

(١) W. Barthold : *Istoriko-geogr-aficheskij obzor Irana* ، سنت بطرسبرج ١٩٠٣م، ص٣٣ومابعدها (٢) G. le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، كمبردج ١٩٠٥ ، ص ٤١٢ ، وبه بيان بالمصادر .

[بارتلد W. Barthold]

« بارا وفات » هو الاسم الذى يطلقه الهنود على اليوم الثانى عشر من ربيع الأول ، وهو مركب من كلمتين هما « بارا » ومعناها اثنا عشر و « فات » ومعناها « وفاة » . وهذا اليوم يعتبر من الأيام المباركة لأن الرسول توفى فى مثله . وفيه تتلى سيرة النبى وتعاليمه فى المساجد والبيوت فى الهند كلها ، ويحتفل به المسلمون فى جميع بقاع العالم ، وهم يعدونه كذلك يوم مولد النبى (انظر مادة « مولد ») ؟

المصـــادر

(١) Herklots : *Qanoon-e-Islam* ، طبعة ١٨٣٢ ، ص٢٣٣ ومابعدها (٢) Garcin de Tassy : *L'Islamisme* ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٣٦ وما بعدها (٣) Sell : *The Faith of Islam* ، الطبعة الثانية ، ص٣١٣ وما بعدها .

[محمد هدايت حسين]

« بَارفُروش » ويقال « بالفُرُوش » وأصح من هذا وذاك « بارا فروش ده » : مدينة من أعمال مازندران الفارسية فى إقليم منخفض منبسط على نهر بابل وعلى الطريق الذى يصل سارية بآمل ، وتبعد عن « مشهد سار » وهى من ثغور بحر قزوين ، ثمانية عشر ميلا روسياً .

لم يعرف جغرافيو العرب مدينـــة « بارفروش » باسمها هذا ، وإنما يذكرون فى مكانها مدينة « ممْطِر » (ياقوت : المعجم ، ج ٤ ، ص ٦٤٢) ويقول أهلها إن مدينتهم أنشئت عام ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) . وذكرها أحد الرازى لأول مرة باسم بارفروش فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . ونبه ذكرها فى عهد « فتح على شاه » ولو أن عباسا

الأول كان قد أنشأ بها قبل ذلك حدائق للنزهة وقصوراً صيفية لا تزال أطلالها باقية فى جنوبى المدينة وتعرف باسم « باغ شاه » إلى الآن . وبارفروش من أهم المدن التجارية بفارس . وتصدر على وجه الخصوص الحرير والقطن والأرز . ويقدر عدد سكانها بـ ٥٠,٠٠٠ نسمة . وبالقرب منها قرية « الشيخ الطبرسى » التى أصبح لها شأن فى تاريخ البابية ؟

المصـــــادر

(١) Dorn : *Muhammedanische Quellen* ، ج [redacted] ، ص ٩٩ (٢) G. le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate* ، ص ٣٧٣ (٣) Melgunof : *Das südliche Ufer* [redacted] *Kaspisehen Meeres* ، ص ١٧٧ وما بعدها .

« باركزائى » : اسم فرع من قبيلة درانى التى تحكم أفغانستان فى العصر الحاضر وقد بدأ شأن هذه العشيرة يظهر فى شخص فتح خان وزير الشاه محمود سدوزائى ، وقد أمر الشاه به فسملت عيناه فى سنة ١٨١٨م ثم أعدم بعد ذلك . وبعد كفاح دام عدة سنوات نجح أخوه دوست محمد سنة ١٨٣٥ م فى الحصول على لقب الإمارة وأنشأ الأسرة التى تحكم أفغانستان إلى الوقت الحاضر ؟

المصـــــادر

انظر المصادر فى مقال أفغانستان .

[كوتون J. S. Cotton]

« بارما » جبل يعرف الآن بـ « جبل حَمْرِين » ، وهو فرع غربى منعزل من الجبال التى على حدود إيران ، ويخرج طرفه الشمالى من الجزيرة جنوبى جبل سنجر وتشقه دجلة عند « الفتحة » ، ويقطعه عند « شهربان » الطريق الكبير الواصل من بغداد إلى همدان وطهران ، ويفصل عند الأهواز سهول عيلام القديمة ، وهى المعروفة الآن بـ « خوزستان » عن سهول شطر العرب ثم يتحد آخر الأمر بهضبة إيران فى ولاية فارس . وكثيراً ما تغير اسم هذا الجبل ، وليس يعرف اسمه الأشورى على التحقيق . وكان السريان يطلقون عليه « أُورُخ » أو « أُرُخ » ذكره پوليبيوس Polybius عند كلامه على حملة أنطيوخس الثالث على مولون Molon باسم τὸ Ὀρειηὸν ὄρος .

و « بارمّا » هو أقدم الأسماء العربية ، وقد يرد إلى الكلمتين السريانيتين « بيث — رمّان » ، أى معبد رمُّون ، وربما كان معبداً أشورياً ؛ وأخذت الجبال هذا الاسم من قرية على الضفة الشرقية لنهر دجلة حيث يفيض النهر بينها . وهذه القرية على الطريق الطويل الممتد بين بغداد والموصل ، وكان يسكنها

يعاقبة اجتمعوا فى « بيت وازيق » وأسسوا أسقفية مدة من الزمن، ويطلق قدامة وياقوت الاسم السريانى « ساتيدما » على الفرع الغربى من هذه السلسلة الجبلية بالجزيرة ومعناه المخضل بالدم وهو يرد فى مواضع كثيرة على أنه اسم أنهار على الحدود. وروى ابن حوقل أن هذا الفرع الغربى يسمى « جبل شقوق » ونحن نجد أن القرية الحديثة المعروفة بـ « الشق » قد أخذت منه اسمها. ويروى الإصطخرى وياقوت عن أبى زيد البلخى أنَّ فى الماء عيوناً للقار والنفط كما هو الحال إلى الآن فى الموضع الذى يشق فيه الدجلة جبل بارما، وأن سلسلة الجبـــال هذه تمتد من وسط الجزيرة فى الغرب إلى حدود كرمان فى الشرق حيث تعرف بجبل « ماسبذان ». وقد أطلق الإدريسى على جبل بارما اسم جبل الكرد، وذلك إذا كان هذا النقل عن الإدريسى صحيحا. وياقوت هو أول من ذكرَ الاسم الحديث « حَمرين » ولكنه ضبطه هكذا « حُمْرين ». ويسمى جزء الجبل غربى دجلة الآن جبل مكحول وهناك سلسلة محاذية لهذا الجزء يطلق عليها « جبل مكيحل » وربما يكون هذا الاسم مشتقاً من اسم قرية على نهر دجلة (Assemani: *Bibl. Orient*، جـ٢، ص٢١٢، كتاب المراصد) وهذه الأسماء المشتقة من الألوان تحل الآن محل الأسماء القديمة فى العربيـــة. بل إن « حمرين » اسم حديث مأخوذ من الأحمر بالرغم من أن الاسم السريانى القديم ينتهى بالياء والنون. وفى جوار دجلة مكان له اسم واضح قديم هو « خنوقة » ومعناه « المخنوق »؟

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة دهغوى، الفهارس (٢) ياقوت، جـ ١، ص ٤٦٤ (٣) مراصد، طبعة جوينبل فى مادة بارما (٤) Assenani: *Bibliotheca Orientalis*، جـ٢، ص٢١٨ (٥) Georg. Hoffmann: *Syrische Akten Persischer märtyrer*، الفهرس، مادة بيث رمان (٦) G. le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate*، الفهرس (٧) E. Herzfeld: *Untersuchungen zur Topographie*، فى Memnon، جـ ١، ١٩٠٧، ص ١ و ٢ (٨) Friedr. Sarre and E. Herzfeld: *Archaeologische Reise im Euphrat ■ Tigris-Gebiet*، برلين ١٩١٠—١٩١١، الفصل الثالث.

[هرزفلد E. Herzfeld]

« پاره »: عملة تركية كانت فى أول الأمر قطعة من الفضة تساوى ٤ « آقچه ». أصدرت لأول مرة فى أوائل القرن السابع عشر وسرعان ما حلت محل الآقچه باعتبارها الوحدة النقدية. وكان وزنها فى أول الأمر ١٦ قمحة (= ١ و ١ جراما) وانخفض وزنها إلى ربع ذلك فى أوائل القرن التاسع عشر، وقل ما فيها من فضة قلة كبيرة

تبعاً لذلك . ومركباتها ذات الخمسة بارات (بشلك) ؛ وذات العشرة (أونلق) ؛ وذات الخمسة عشرة (أونبشلك) ؛ وذات العشرين (يكرمى باره لك) ؛ وذات الثلاثين (زولته) ؛ وذات الأربعين وهى القرش (غروش) . وقد أصدر من وقت إلى آخر قطع أخرى أكبر من هذه وهى ذات الستين بارة (التمشلك) وذات الثمانين (إيكيلك) وذات المائة (يوزلك).

وفى نظام العملة المجيدى الجديد الذى اتبع منذ عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) أصبحت البارة قطعة صغيرة من العملة النحاسية ، ومن مركباتها قطعة ذات الخمس بارات (بش باره لك) وذات العشرة (أونباره لك) وذات العشرين (يكرمى باره لك) وذات الأربعين (غروش) . وقد استبدلت القطع النحاسية بعملة من النيكل فى السنوات الأخيرة من عهد السلطنة التركية . أما فى العهد الجمهورى فقد أصبحت البارة لا وجود لها إلا فى الحساب ، وأصبحت المائة بارة أو القطعة ذات القرشين ونصف ، وهى من البرنز، أصغر أنواع العملة .

ولما استقلت بلاد العرب احتفظت باسم البارة وأطلقته على أصغر أنواع عملتها ، وفعل ذلك الجبل الأسود أيضاً . وما زال الاسم مستعملا فى يوجوسلافيا فأصغر عملة فيها هى قطعة من النيكل تساوى خمسين بارة وفى خلال احتلال الروس لبلاد الأفلاق والبغدان من سنة ١٧٧١ إلى سنة ١٧٧٤ أصدروا عملة من النحاس كانت تقوم بالبارة و « الكويك » ، ؟

المصـــادر

(١) Lane-Poole : *Catalogue of the oriental coins in the British* [redacted] جـ ٨ ، لندن ١٨٨١ (٢) Belin فى المجلة الآسيوية ، المجموعة السادسة : جـ ٣ ، ص ٤٤٧–٤٥١ .

[ألان J. Allan]

« البارىء » : من أسماء الله الحسنى (انظر مادة « الله ») .

« بازار » ومعنـــاها سوق وهى فى الفهلوية فاچار وفى الفارسية أباچارى (J. Darmesteter : *Etudes Iraniennes* ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ؛ P. Horn فى *Grundriss der iranischen Philologie* ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ص ١١ ؛ Horn : *Grundriss der neupers. Etymol.* ، رقم ١٦٦ ، [redacted]artholomae : *Zum altiranischen Worterbuck* ص ١٠٤–١٠٥) . والبازار عبارة عن مجموعة من الدكاكين فى شارع مسقوف بسقف من الخشب أو الحجر ، وله بابان يقفلانه من طرفيه . وعند ما يتقاطع هذا الشارع مع آخر تسمى نقطه تقاطعهما مربعاً وهى بالفهلوية «چهارسوك» وبالفارسية

« چارسو » وبالتركية « چارشى » . وتفتح أبواب الخانات عادة فى وسط البازار . وقد بنى الوزير ميرزا تقى خان فى القرن التاسع عشر « بازار أمير » فى طهران . وفى تلك المدينة أسواق أخرى أصغر منه فى أحياء مختلفة وتسمى « بازارچه » . ويقضى الكسالى ساعات يتحدثون فى البازار ويسمون بازارى أو بازار كرد ؟

المصـــادر

(١) J. E. Polak : *Persien* ، ج ١ ، ص ٨١ ،

[هيوار Cl. Huart]

« بازبهادر » أو بايزيد : حاكم مالوه بالهند الوسطى فى القرن السادس عشر ، وهو ابن شجاع خان الذى أقامه الملك الأفغانى « شيرشاه » والياً على مالوه . وأعلن استقلاله بعد وفاة أبيـــه عام ١٥٥٤ م واتخذ مدينة سارنك پور حاضرة لملكه ، وضرب السكة باسمه . وفى عام ١٥٦٠م غزا أكبر إمبراطور المغل مدينة مالوه فناضل بازبهادُر عنها بضع سنين ولكن بلا جدوى ثم سلم عام ١٥٧٠م ونال الحظوة عنده . وتوفى المترجم له فى « أجّين » عام ١٥٨٨ م .

واشتهر بازبهادر فى القصص بغرامه الشديد بزوجته الهندية « روپمتى » وهى صاحبة الألحان التى تنشد إلى اليوم فى أنحاء مالوه ؟

المصـــادر

(١) طبقات أكبرى (Elliot Dowson : *History of India* ، ج ٥) (٢) Blochmann : ترجمة لكتاب آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

« پاسبان » أوغلى (قاموس الأعلام ج٢، ص ١٤٦٧) أو بازَوانداوغلى (عبدالرحمن شرف : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٠) أو طبقاً للرسم الحديث « پازوانت أوغلى » (حامد ومحسن : تركية تاريخى ، ص ٤٢٣) وكتب على خاتمه « پازواندزاده عثمان » (Oreshkow ، المصادر) باشا ودين الثائر (١٧٥٨ — ١٨٠٧م) وأسرته من توزلة من أعمال البوسنة ، وأقطع جده پاسبان أغا حوالى عام ١٧٣٩م قريتين بالقرب من ودين فى بلغاريا مكافأة له على حسن بلائه فى حروب النمسا . ولم تقتصر ثروة عمر أغا پاسبان أوغلى والد عثمان على هاتين القريتين اللتين آلتا إليه بل كان بصفته « بيرقتار » رجلا غنياً مبرزاً (آيان) وقد قتـــله والى الجهة لخروجه عليه .

ولم ينج عثمان نفسه من القتل إلا بالفرار إلى ألبانيا ، ولكنه عاد إلى موطنه بعد أن تطوع فى الحرب التى نشبت من ١٧٨٧ إلى عام ١٧٨٩ م وسرعان ما عاد إلى ميدان القتال

وأبلى فيه بلاء حسناً ثم عاد إلى ودين عام ١٧٩١ م وفيها أخذ يعد هو ورجاله الحملات وينفذها إلى بلاد الأفلاق والصرب . ولما أراد السلطان معاقبته على ذلك خرج عن طاعته عام ١٧٩٣ م واعتصم بالجبال وغزا ودين فى أواخر عام ١٧٩٤ مستعيناً بعصابته، وأصبح الوالى الحقيقى عليها . وأعاد تحصينها فأضحت ملتقى قطاع الطريق والمتـــذمرين من الإنكشارية الذين أخرجوا من الصرب عام ١٧٩٢م. وتزعم پاسبان جميع الذين يعارضون سليما الثالث .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل إن پاسبان أوغلى هاجم عام ١٧٩٥ م والى بلغراد الحاج مصطفى باشا المؤيد للاصلاحات والذى نيط به التخلص من المترجم له ، فما كان من الباب العالى إلا أن جرد فرقا قوية من الجنود على پاســـبان ولكنها باءت بالفشل ، ثم بدأت المفاوضات فى أواخر عام ١٧٩٥ م بيد أن پاسبان أوغلى ظل فى الواقع مستقلا بالجزء الأعلى من بلغاريا كله .

ولما لم يعترف الباب العالى رسميا بـ « پاسبان » عمـد هذا إلى طرد واليـه على ودين وغزا الولايات المجـــاورة عام ١٧٩٧ م واحتلت جنوده وهددت فى الشرق بلدانا كثيرة فى بلغاريا وإن كانت قد هزمت عند « ورانة » Varna وهاجمت فى الجنوب « نيش » (انظر هذه المادة) ولكنها لم تفلح فى احتـــلالها. وتقدمت فى الغرب حتى وصلت بلغراد وفتحت المدينة غير أن الترك والصرب الذين سلحهم الحاج مصطفى صدوهم عن قلعتها . ونتج عن هذا أن أرسل الباب العالى عام ١٧٩٨ م جيشاً عدته مائة ألف مقاتل تحت قيادة أمير البحر كوچك حسين باشا ، وكان من البواعث التى دفعت الباب العالى إلى ذلك المفاوضات التى دارت بين پاسبان من ناحية وبين فرنسا والروسيا من ناحية أخرى. وحاصر هذا الجيش التركى ودين عبثاً إلى شهر أكتوبر ثم اضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر فادحة ، ودفعت هذه الهزيمة مضافا إليها غزو نابليون لمصر الباب العالى إلى الصلح مع پاسبان فى الظاهر ومنحه لقب باشا (وزير) عام ١٧٩٩ م .

ومع ذلك فقد صرح بعدائه للإصلاحات ومعارضته للحكومة المركزية وعدم ولائه للسلطان سليم الثالث وأنفذ أيضاً عدة حملات لسلب الأفلاق (١٨٠٠–١٨٠١م) وحرض الانكشارية الذين كانوا قد عادوا إلى بلغراد على احتلال القلعة (صيف عام ١٨٠١) وعلى قتل الحاج مصطفى باشا فى أواخر العام نفسه.

ولم يكتف پاسبان بهذا بل ألح على القيصر أن يعتبره من رعاياه المخلصين كما عرض خدماته على فرنسا . وعاد الباب العالى من عام ١٨٠٣ م إلى قتال المترجم له بعد أن كان قد عفا عن هفواته جميعا، ولكن فتنة الصرب التى شبت عام ١٨٠٤ حالت بين الترك وبين قتاله، واضطر پاسبان من ناحيته إلى المبادرة بإخماد

فتنة بنتزو Bintzo فى الجزء الغربى من ممتلكاته. وأغراه ظهور الروس على الضفة اليسرى لنهر الدانوب عام ١٨٠٦ بأن يعرض خدماته على الباب العالى، ولكن الباب العالى صرف نظره عنه وأعطى القيادة العامة إلى قائد «روسچك» فزاد هذا من حفيظته وصمم على أن يدافع عن ولايته وحدها ضد هجمات الروس والصرب إلا أن المنية عاجلته فى ٢٧ يناير عام ١٨٠٧ م.

ويعود الفضل فى ثبات پاسبان أوغلى إلى الحظ ثم إلى حالة الدولة العثمانية فى ذلك الوقت وإلى مواهبه وبعد نظره، يشهد على ذلك عدم تخليه عن ودين. وكان يجبى من ولايته المكوس والضرائب فى حزم واستبداد لا يخلوان من اللين والعدل. ومع أن صحته كانت سيئة بعض الشىء نتيجة لإجهاد عقله فإن الطموح كان يحدوه إلى أن ينزع للاستقلال الذى نجد مصداقه فى السكة التى ضربها والمعروفة بـ «بازوان چته».

المصـــادر

نجد كثيراً من النبذ عن پاسبان أوغلى فى رحلات الرحالتين المحدثين G. A. Oliver (١٨٠١) و L. Pouqueville (١٨٠٥). ولكنا لم نحظ بالوصف الشامل له إلا فى *Notes sur Passvan-Oglou 1758-1807 par L'adjudant-commandant Mériage* التى ألفها مبعوث الفرنسيين فى ودين (١٨٠٧—١٨٠٨)، وهذه النبذ هى أهم ما كتب عنه وقد نشرها Grgur Jakskic فى *La Revue Slave*، مجلد ١، باريس ١٩٠٦، ص ٢٦١—٢٧٩ و ٤١٨—٤٢٩؛ مجلد ٢، ١٩٠٦ م، ص ١٣٩—١٤٤ و ٤٣٦—٤٤٨؛ مجلد ٣، ١٩٠٧، ص١٣٨—١٤٤، ص٢٧٨—٢٨٨، وترجمت إلى اللغة الصربية الكرواتية فى *Glasnik Zemaljskog muzeja*، مجلد ١٧، سيراجيفو ١٩٠٦، ص ١٧٣—٢١٦.

(١) J. W. Zinkeisen فى *Gesch. Osm. Reiches in Europa*، جـ ٧، جوتا ١٨٦٣ م، ص ٢٣٠—٢٤١ (٢) C. Jirechek: *Gesch-ichte der Bulgaren*، براغ ١٨٧٦، ص٤٨٦ — ٥٠٣ (٣) Iv. Pavlovich: *Ispisi iz francuskih Archiva*، بلغراد ١٨٩٠ وبخاصة ص١٠٣—١٢٨، وهى عبارة عن تقارير سياسية عن پاسبان أوغلى من ١٧٩٥—١٨٠٧ م (٤) M. Gavrilovich فى *La Grande Encyc-lopédie*، مجلد ٢٦، باريس، ص ٦٨ (٥) St. Novakovich: *Tursko carstvo pred srpski Ustanak 1780-1804*، بلغراد ١٩٠٦، ص ٣٣٢—٣٨٩ (٦) M. Vukichevich: *Karadorde*، مجلد ١، بلغراد ١٩٠٧، ص١٦٦—١٧٦ و ١٨٥—٢٠٨ (٧) P. Oreshkov: *Nekolko dokumenta za Pazvantoglu i Sofroni Vrachanski (1800-1812)*، المأخوذة من وزارة الخارجية الروسية، فى *Sbornik* الخاصة بأكاديمية العلوم، مجلد ٣، صوفيا ١٩١٤ المقال الثالث، ص ١—٥٥ (٨) V.Chorovich

فى *Narodna enciklopedija* ، المجلد الثالث ، زغرب ١٩٢٨ ، ص ٢٧٢ .

[Fehim Bajraktarevich
[فهيم بجركتاروِتش

« الباسط » اسم من أسماء الله الحسنى (انظر مادة « الله ») .

« باسى » : إقليم على الشاطئ الشمالى لآشى فى سومطرة ، والرأى السائد بين أهلها أنها تمتد من نهر جمبو آيى فى الشرق إلى الضفة الأخرى من نهر باسى فى الغرب . وتنقسم باسى كلها إلى أقاليم صغيرة لكل منها زعيم يعرف بـ « أولى بالانج » .

وكانت باسى حيناً من الدهر مملكة معروفة فى شرق آسية ، وكان الشاطئ الشمالى لـ « آشى » فى العصور الوسطى على الطريق التجارى البحرى من الهند إلى الصين ، وقد جاء الإسلام إليها من هذا الطريق وتوطدت أقدامه فى الهند ثم على طول هذا الشاطئ . وكان هذا الشاطئ هو أول بقعة وصل الإسلام إليها فى جزائر الهند الشرقية . وإنا لنعلم أنه كان هناك حكام من المسلمين فى القرن الثالث عشر الميلادى ، أحدهم هو الملك الصالح المتوفى عام ١٢٩٧ م وهو الذى أنشأ هذه الدولة وأدخلها فى الإسلام كما يعتقد أهلها . واكتُشف قبره المشيد من الحجر المجلوب من كنباى من أعمال الهند إلى جانب مقابر أخرى غير بعيد عن البحر على الضفة اليسرى من نهر باسى . ويقال إن موقع حاضرة المملكة كان فى هذه البقعة . وهناك عاصمة أخرى إلى الغرب هى « سامَدرة » Samadra وكانت مقر المُلك عندما زارها ابن بطوطة فى القرن الثالث عشر الميلادى فى ذهابه إلى الصين وعودته منها . والاسم الحالى الذى يعرف به الغربيون الجزيرة هو « سومترا » Sumatra ، وهو مأخوذ من سامدرة هذه (ويرسم عند ابن بطوطه « سمطرة ») . وإذن فقد كانت باسى بلاداً مزدهرة على الشاطئ ، حاكمها هو ملك الثغر وهو الذى يرسل المراكب للتجارة . وقد رأى ابن بطوطة إحدى مراكبه عند ثغر شؤنشؤ فى جنوبى الصين . وكانت الحياة فى بلاط هذا الملك على نسق الحياة فى بلاط أمراء الهند المسلمين . وكان الملك فى ذلك العهد مسلماً شديد الغيرة على الإسلام وله مشاركة فى العلم . وقد أعلن الجهاد على الأهالى الذين يقطنون البلاد التى فى محاذاة الشاطئ . وضربت السكة فى باسى من الرصاص كما أن الذهب الصينى الخام كان أداة البيع والشراء . والغذاء الرئيسى فى هذه المملكة هو الأرز .

واضطر ملك باسى إلى الاعتراف بسلطان دولة ماجاپيت الهندية الجاوية قبل عام ١٣٦٥ أى بعيد رحيل ابن بطوطة . وقد اكتشف بالقرب من « لهو » موكون » قبر لملكة أو أميرة

نقش على الحجر الأعلى منه كتابات عربية أرّخت فى عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩م) ونقش على الحجر الأسفل كتابات متآكلة فى لغة جاوية قديمة لم تفك طلاسمها إلى الآن . وذكر المبعوث الصينى تشنج هو عام ١٤١٦ أن باسى اشتبكت فى حرب مستمرة مع ناكو (پيدى) ، وقال إن حاصلاتها هى الأرز والفلفل، وتربى فيها دودة القز. وجذب الفلفل البرتغاليين إليها، فأنشئوا محلة محصنة فى باسى عام ١٥٢١ غير أن سلطان دولة آشى التى أخذ نفوذها فى الظهور طردهم منها عام ١٥٢٤ . وبذلك أصبحت باسى من ولايات هذه الدولة. وفى عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨—١٦٣٩ م) نجد أن سلطان آشى المشهور إسكندر ثانى أخذ يزور مقابر حكام باسى. أما الآن فقد انمحت ذكرى هذه المملكة القديمة ، وملأ الغرين مصب نهر باسى ، ولا نستطيع تبين المكان الذى كانت تقوم عليه العاصمة .

وكان لباسى خلال السنين أثر عظيم فى أرخبيل الملايو بفضل بعثاتها وعلمائها المسلمين الذين حفظت الأخبار الملاوية والجاوية ذكراهم ؟

المصــــادر

(١) C. Snouck Hurgronje : Vers-preide Geshriften ، مجلد ٤ ، جزء ١ ، ص ٤٠٢ وما بعدها ؛ مجلد ٤ ، جزء ٢ ، ص ١٠١ وما بعدها (٢) C. Defrémery and B. R. Sanguinetti : Voyages d'Ibn Batoutah ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ وما بعدها (٣) W. P. Groeneveldt : Notes [redacted] Malay Archipelago and Malacca فى Miscellaneous Papers relating [redacted] Indo-China and the Indian Archipelago ، المجموعة الثانية، مجلد ١ ، لندن ١٨٨٧ ، ص ١٧١ و ٢٠٨ وما بعدها (٤) J. P. Moquette : De eerste vorsten [redacted] Samoedra-Pasè (Noord-Sumatra) فى Rapporten Oudheidk. Dienst Nederlandsch-Indië ، ١٩١٣ م ، ص ١ وما بعدها (٥) Oudheidk Verslag ، ١٩١٥ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

[R. A. Kern كرن]

« باش » : كلمة تركية معناها رأس أو طرف أو قمة أو زعيم أو قائد أو البداية أو المبدء أو القاعدة أو الأساس . ومن مركباتها: بكار باشى ومعناها منبع ، ويبل باشى ومعناها رأس السنة ، وباش وكيل ومعناها رئيس الوزراء أو رئيس المجلس فى النظام الدستورى، وباشكاتب ومعناها كبير الكتاب وباش بوغ وهى كلمة خليط من التركية والبلغارية ومعناها قائد فرقة أو قائد جيش وتستعمل قليلا بمعنى قائد الأسطول . وتطلق أحياناً بمعنى ضابط الماعون بحرى . وفى بلاد الجزائر تدل كلمة « باش أغا » على رئيس عربى لعدة أغوات تحت إمرته وكلمة « باش عدل » على مساعد القاضي وكاتب المحكمة ؟

المصـــادر

(١) Barbier de Meynard : Supp. [redacted] aux dictionnaires turcs، [redacted] ١، ص ٢٦١، ٢٦٤

(٢) Belin : Fiefs militaires dans l'islamisme فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٧٠، ص ٤٩ .

[هيوار Cl. Huart]

« باشا » : كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية « بادشاه » ، ويظهر أنها تأثرت بالكلمة التركية « بسقق » وهى تدل على أعلى الألقاب الرسمية التى كانت مستعملة فى تركية إلى عهد قريب والتى ما زالت مستعملة فى بعض الممالك الإسلامية التى كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية مثل مصر والعراق والشام . وكلمة باشا تستعمل دائماً مع اسم العلم شأنها فى ذلك شأن ألقاب الشرف فى أوربا ، إلا أنها تذكر بعد الاسم . أما ألقاب الشرف فى أوربا فتذكر قبله . ويستعمل على هذا النحو أيضاً لقبا بك وأفندى وهما أقل شأناً من لقب باشا ، ويختلف هذا اللقب عن الألقاب الأوربية بأنه لا يورث ولا يترتب عليه مرتبة للزوجات ولا يقترن ذكره بذكر إقطاع من الإقطاعات ، فهو ذو طابع عسكرى أكثر من أن يكون له طابع إقطاعى . ولم يكن منح هذا اللقب مقصوراً على العسكريين وحدهم ، بل كان يمنح أيضاً لبعض كبار الموظفين المدنيين من غير رجال الدين .

وظهر لقب باشا لأول مرة فى القرن الثامن . ومن العسير أن نعين على وجه الدقة استعماله الأصلى ، وعلى أية حال فإن هذا اللقب كان فى بادئ أمره يدل على معنى « المولى » ، وسرعان ما فقد هذا المعنى (انظر ديوان تركى سلطان ولد ، ص ١٤ ، سنة ٧١٢هـ = ١٣١٣م ، فى هذا الديوان تضرع إلى الله بعبـــارة « أى باشا » أى يا مولى) . وفى هذا العهد كان لقب باشا مثل لقب سلطان يمنح للنساء أحياناً (اسماعيل حق : كتابلر ، ١٩٢٧ ، الفهرس ؛ قادم باشا : سلجوق باشا) . وقد حدث هذا المنح مرة واحدة فى القرن التاسع عشر وذلك فى حالة أم الخديو .

وفى عهد سلاجقة الأناضول كان لقب باشا ، من حيث هو اختصار لكلمة « بادشاه » ومشابه لكلمة سلطان ينعم به من وقت لآخر على بعض رجال الدين الذين كانوا فى الوقت نفسه رجال حرب والذين لم نعرف بعد تاريخهم معرفة وافية . ونستدل من سلسلة النسب التى وصفها عاشق باشا زاده عن نفســه أن هذا اللقب كان مستعملا بالفعل فى النصف الأول من القرن الثالث عشر . ويروى على أفندى أن مخلص الدين موسى بابا وإلياس شيخ مخلص أو مخلص باشا قبضا على أزمة السلطان فى إقليم قره مان أوغلى بعد هزيمة السلطان السلجوقى غياث الدين كيخسرو الثانى سنة

History of Ottoman : Gibb) ١٢٤٣م
Poetry ، ج ١ ، ص ١٧٧) .

ويظهر أنه فى آخر القرن الثالث عشر أضيف لقب باشا إلى أسماء بعض أمراء الدويلات التركية والتركمانية التى اقتسمت حكم آسية الصغرى وكان عددهم محدوداً . وكانوا إما حكاماً وإما أعضاء من الأسر الحاكمة . وكان الأمر على هذه الحال أيضاً فى إمارات تلك وإيدين ودنزلى وكرل أحدلى وربما كان الأمر كذلك أيضاً فى إمارات الأناضول الصغيرة (انظر ما ذكره على باشا عن صاروخان كما رواه شهاب الدين بن العمرى ونقله عنه القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ١٦ ، س ١٤) .

ولقب اثنان من أسرة بنى عثمان بلقب باشا : هما علاء الدين بن عثمان وسليمان ابن أرخان .

وقصة علاء الدين هذا غامضة جداً ، فهناك شخصان مختلفان بهذا الاسم أحدهما علاء الدين بك بن عثمان والآخر علاء الدين باشا وزير عثمان ، ويظهر أنهم خلطوا بين الاثنين (انظر حسين حسام الدين : علاء الدين بك ، أربع مقالات منشورة فى تاريخ عثمانى انجمنى مجموعه سى ، السنة الرابعة عشرة والخامسة عشرة) ونضيف إلى هذا أن علاء الدين أو واحداً من الاثنين اللذين عرفا بهذا الاسم ربما كان يلقب « بيكلر بك » أيضاً (انظر Orudj's Chronicle ، طبعة بابنجر ، ص ١٥ ، س ١٥)

ومهما يكن من أمر هذه المشكلة التى لم تحل فإنه يبدو من المؤكد أن لقب باشا أنعم به على بعض السياسيين منذ عهد طويل (انظر ما ذكر عن سنان باشا فى عهد أرخان ، ومادة « ترك ») .

وعلى أية حال فإن لقب باشا سرعان ما أصبح امتيازاً لطبقتين من أصحاب المناصب: الأولى حكام الأقاليم « بيكلربك » ، والثانية وزراء العاصمة ، ثم أنعم بهذا اللقب بعد ذلك على أصحاب المناصب المماثلة .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع عشر (سنة ١٣٥٩ أو سنة ١٣٦٢ ؟) كان لاله شاهين الذى يقول المؤرخون العثمانيون إنه كان أول « بيكلربك العثمانلى » قد منح لقب باشا فى الوقت الذى أسند إليه فيه هذا المنصب ، ثم أعطى هذا اللقب إلى بيكلر بك الأناضولى وبهذا احتفظ بفكرة وجود اثنين من البيكلر بك أحدهما فى الشرق والآخر فى الغرب . وكلما كبرت الدولة أنشئ فيها مناصب جديدة وأعطى اللقب إلى أصحاب هذه المناصب من الولاة (بيكلر بك) .

وكان الأمر على هذا فيما يختص بالوزراء الذين كان أولهم ، كما جاء فى رواية المؤرخين العثمانيين ، چندرلى خليل الملقب بخير الدين باشا (٧٧٠هـ = ١٣٦٨ — ١٣٦٩م) وارتفع عدد الوزراء الذين كانوا يسمون إلى عهد أحمد الثالث « قبه وزيرلى » إلى ثلاثة ثم إلى تسعة وأعطى لقب وزير إلى كبار الموظفين

مثل قبودان باشا النشانجى والدفتردار وأصبح هذا اللقب شيئاً فشيئاً من ألقاب الشرف وكان يقترن بلقب باشـا . ولـكن بما أنه لم يكن فى العاصمة نفسها إلا وزير واحد لاغير، أصبح لقب باشا من غير إضافة يطلق على كبير الوزراء الذى سمى فيما بعد «اولى وزير» أو «صدر أعظم»، وظل الأمر على ذلك وقتاً طويلا . وقد نشأ عن ذلك لقب «باشا قاپيسى» الذى استبدل فيما بعد بالباب العالى أى مقام كبير الوزراء .

ولم يزد عدد من كان يلقب بلقب باشا فى أول الأمر زيادة سريعة . وقد ذكر دارامون D'Aramon أربعة أو خمسة من الباشاوات أو الوزراء الباشاوات ، وفى الوقت الذى كتب فيه (سنة ١٥٤٧ م) كان يوجد ثلاثة من الباشاوات لاغير وهم : أياز وكوزلجه قاسم وإبراهيم وكلهم من أصـل نصرانى . والواقع أنه يشير بهذا إلى ما كان منهم فى العاصمة وحدها . أما فى الولايات فقـد أصبح عددهم كبيراً وكانوا طبقتين متمايزتين: الأولى طبقة الباشاوات أصحاب ثلاثة من ذنب الجواد وكانوا يلقبون بلقب «توغ» أو وزير ، ومرتبتهم هذه أصبحت شيئاً فشيئاً من مراتب الشرف وكانت تمنح فى الولايات حتى قضت على رتبة البكلر بك . والثانية طبقة الباشاوات أصحـاب ذنبى الجواد أو «الميرميران» وهى رتبة فارسية كانت فى أول الأمر مرادفة للكلمة التركية بكلر بك وللكلمة العربية أمير الأمراء ثم أصبحت أقل شأناً على مر الزمن . هذا إلى أن قدماء بكوات السناجق كانوا أصحاب ذنب جواد واحد ولكنهم رقوا إلى رتبة الميرميران وبهذا أصبحوا من الباشاوات .

وبعد قانون «التنظيمات» أعطى لقب باشا إلى الأربعة الأوائل من تسـعة من أصحاب المناصب المدنية وهم : «وزير وبالا وأولى وثانيه صنف أولى» وإلى مثلهم من رجال الجيش وهم : «مشير وبرنجى فريق وفريق ولواء» وكذلك إلى الأعيان (٣ روم ايلى بكلربكى و٤ ميرميران) . وكان يلقب بلقب باشا من غير حق أصحاب رتبة «ميرالأمراء» بعد اعتزالهم العمل وفى هذه الحالة كان اللقب شرفياً لأصحاب الرتبة السادسة .

وبعد سقوط آل عثمان ألغيت الرتب واحتفظت الجمهورية التركية بلقب باشـا للعسكريين وحدهم ، وقد ألغى هذا اللقب المجلس الوطنى الكبير بأنقرة فى ٢٦ من نوفمبر سـنة ١٩٣٤ واستبدل لقب باشا بلقب جنرال ولقب مشير بلقب مرشال . وكان الأوربيون ينطقون هذه الكلمة أول الأمر باشا Basha ولم ينطقوا بها باشا Pasha إلا فى القرن السابع عشر وكانت تكتب فى الإيطالية باشا Bascia وفى اللاتينية باسا [illegible] وفى الفرنسية باشا Bacha أو باسا Bassa وفى الإنجليزية باشو Bashaw هذا بصرف النظر عن اختلاف رسمها .

وكان الأمر على عكس هذا فى اللغة اليونانية فإن كلمة باشا هى الأقدم ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر، ولكن يظهر أن اليونانية تأثرت باللغات الأوربية إذ نجد فيها أيضاً كلمة باشا فى القرن السادس عشر (انظر Ducange : *Glossarium mediae et infimae Graecitatis*، كلمة μπασίας) .

ويرجع نطق الأوربيين لهذه الكلمة «باشا» إما إلى تأثرهم باللغة العربية فى مصر أو إلى خلط بين كلمة باشا وبين اللقب التركى القديم باشا (انظر آخر المقال) .

أصل كلمة باشا :

سنتحدث فيما يلى عن الآراء المختلفة التى قيلت فى أصل هذه الكلمة :

١ — قيل إن أصلها باى‌شاه ومعناها قدم الملك ، وقد بنى هذا التأويل على أساس أن الفارسية القديمة كان فيها موظفون يسمون باسم عيون الملك ، ونجد هذا التأويل فى قاموس تريفو Trévoux ، وقد بعثه من جديد فون هامر Von Hammer ولسنا نرضى بهذا الرأى .

٢ — وقيل إن أصلها هو الكلمة التركية باش بمعنى رأس أو زعيم ، وقد ذهب إلى هذا أنطوان جيفروى Antoine Geuffroy فى *Briesve description de la* [redacted] *grand Turc* سنة ١٣٤٢ ، ولينكلافيوس Leunclavius : *Pandectes historiae turcicae* فى ملحق حولياته سنة ١٥٨٨ ، وانظر كذلك قاموس تريفو وملحق Barbier de Meynard ولسنا نرضى بهذا الرأى أيضاً .

٣ — وقيل إنها مأخوذة من الكلمة التركية « باش آغا » وقيل فى تأييد هذا إن معنى هذه الكلمة الأخ الأكبر ، وهذا الرأى هو الذى كان يقبله الترك إلى وقت متأخر (محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ ٤ ، ص ٧٢٨ ؛ شمس الدين سامى : قاموس تركى ، انظر مادة باشا) وهو ينهض على أن سليمان باشا وعلاء الدين باشا كانا على التوالى أكبر أبناء أورخان وعثمان . وقد نبه على أفندى فى كتابه « كنه الأخبار » الذى صنفه بين سنة ١٥٩٣ وسنة ١٥٩٩ (ص ٤٩ ، س ٢٣) وكذلك عثمان زاده أحمد تائب المتوفى سنة ١٧٢٤ إلى استعمال كلمة باشا بين التركمان (انظر كتاب حديقة الوزراء ، طبعة استانبول ، ١٢٧١ ، ص ٤ ، س ١٦) . ويقول أيضاً هيدبورن Heidborn (*Manuel de Droit Public et Administratif Ottoman* ، فينا ١٩٠٨ ، ص ١٨٦) إن كلمة باشا معناها عند يونان قرمان الأخ الأكبر ، ولكن يظهر أنه لا يوجد ما يؤيد هذا القول . وقد أقر هذا الرأى بعض مؤلفى القواميس من الترك مثل أحمد وفيق (انظر كلمة باشه) وصلاحى ، وقالوا إن اشتقاق هذه الكلمة كان على درجتين ؛ فان كلمة باشا أخذت من اللقب التركى « باشا » وهذا كان معناه فى أول الأمر « باش آغا » . وسنتكلم على

كلمة «باشا» هذه فيما بعد، ويظهر أنها جاءت بالفعل من كلمة باش آغا ولكنها لا صلة لها بكلمة «باشا» كما ظننت أول الأمر.

٤ — وقيل أيضا إن كلمة «باشا» مأخوذة من اللفظ الفارسى «پاد شاه» ومعناه ملك. قرر هذا الرأى القاموس التركى الروسى الذى صنفه بوداجوف Boudaguv سنة ١٨٦٩، ثم أيدته من جديد دائرة المعارف الروسية التى أصدرها بروكهاوس وإفرون Brockhaus and Efron. وهو الرأى الوحيد الذى يمكن التسليم به مع إمكان تأثره بالقول الوارد فى الفقرة الخامسة. وكان «دربلو» «d'Herbelot» قد أبدى مثل هذا الرأى من قبل عند كلامه على كلمة «pascha» بمناسبة هجائها مع حرف h فى آخرها. وهذا الرأى ينهض على استعمال كلمتى سلطان و«پادشاه» إذ أنهما فى الغالب يقعان بعد الاسم إذا أطلق على أشخاص من ذوى المرتبة السامية فى عالم الدين كالدراويش مثلا (انظر Giese: تركيات مجموعه سى، جـ ١، ١٩٢٥، ص ١٦٤). ويظهر أننا نستطيع أن نفسر بواسطة كلمة «پادشاه» العبارة الغامضة التى قالها أورخان لعلاء الدين باشا والتى وردت فى عاشق پاشا زاده (طبعة Giese ص ٣٤—٣٥): يقول له أورخان «ستكون «پاشا» بالنسبة إلى» وكان قد سأله قبل ذلك بأسطر قليلة أن يكون «چوبان پادشاه» أى راعيا لشعبه.

ومن وجه آخر نلاحظ أن لقب «پاشا» يستعمل غالبا لا كمرادف لكلمة «پادشاه» فقط وإنما باعتباره مرادفا لكلمة «شاه» أيضا وفيما يلى أمثلة على ذلك: —

فشجاع الدين سليمان من دولة قيزيل أحمد لى يسمى «پادشاه» فى كتاب ابن بطوطة (طبعة Defrémery and Sanguinetti، ٣، ص ٣٤٣)؛ وورد لقب سليمان پاشا فى كتاب التعريف بالمصطلح الشريف الذى صنفه شهاب الدين بن العمرى، طبعة القاهرة، ١٣١٢، ص ٤ مرسوما «باشا» حسب الكتابة العربية لهذا اللقب؛ وورد كذلك أيضا فى «منجم باشى»، جـ ٣، ص ٣٠. وقد لقب إبراهيم بن سليمان وخليفته بلقب «شاه» فى كتاب ابن العمرى وبلقب «پاشا» فى «منجم باشى». ولقب سليمان پاشا بن أورخان بلقب الشاه سليمان فى «دستورنامه انورى» (طبعة مكرمين خليل، ص ٨٣ — ٨٤). وقد ذكر ابن العمرى على بن چيچك الحاكم الإيلخانى لمدينة بغداد المتوفى سنة ١٣٣٦ باسم على باشا. ويقول «نظمى زاده»، فى كلشن خلفاء، (طبعة القسطنطينية، ١١٤٣) إنه ذكر فى بعض المخطوطات باسم «على شاه» وقد ذكر أيضا باسم «على پادشاه» (انظر Huart: *Histoire de Bagdad*، ص ١٠).

ويلقب حكام الدويلات الصغيرة فى اللغات الشرقية بلقب پادشاه، ولم يتطور هذا اللقب فى تلك البقاع إلى كلمة باشا ولكنه أصبح «پاتشا» بين القرغيز و«بوتشو» بين

الأزابكة .

٥ — وقيل إن هذا اللقب مأخوذ من الكلمة التركية «باشـــقاق» (وقد رسمت « باشكاك؟ و باشكان؟) ومعناها حاكم أو صاحب الشرطة (انظر قاموس Pavet de Courteille وكذلك قاموس Boudagov مادة « باسمق »). ويقول فولر إن هذه الكلمة من اللغـــة الخوارزمية وإنها انتقلت إلى بلاد الفرس فى عهد الدولة الإيلخانيـة ، وكانت تطلق عند المغل على المندوبين والولاة الذين أوفدوهم إلى الأقاليم التى فتحوها فى الغرب وبخاصة فى بلاد الروسيا . والاشـتقاق المسلم به لهذه الكلمة هو أنها مأخوذة من الفعل « باسمق » ومعناه يضغط ، يحشد ، يظلم ، يكره . ونلاحظ أن كلمـــة «باسقاق» كانت تطلق على أحد الموظفين ومعناها ظالم أو مغتصب (انظر دائرة المعارف الروسية والبولندية) . وكانت الوظيفة الرئيسية لهذا الموظف جباية الضرائب والخراج . ومهما يكن من غرابة هذا التفسير للقب صاحب هذا المنصب فإنه يؤيده التشـابه الموجود فى كلمة « دارغه » فى لغة المغل تلك الكلمة التى تقابل كلمة «باسقاق» فى لغة الترك . ويمكننا أن نوازن كلمة «دارغه» بالكلمة المغلية «داروخو» وهى فعل مرادف لكلمة « باسمق » بمعنى يكره . وقد تكون هذه هى الاشتقاقات الشائعة .

ويقول شيفر فى الطبعـة التى أصدرها لكتاب *Vayage de M. d'Aramon* (ص ٢٣٨ ، هامش ٣) إن الاشتقاق الذى ذكره جيفروى Geuffroy لكلمـة باشا وهو أنها مأخوذة من الكلمة التركية « باش » خطأ . فإن باشا صيغة مخففة لكلمة «باشكاك» أو «باشكاك» ومعناها حاكم عسكرى . ويترجم كربينى Carpini الكلمة المغليـة «باسقاق» بكلمة «باسشاتى» (وردت فى المخطوطات باسكاتى وباستاسى، انظر *The Texts and versions of John de Pl. Carini...*, *Hakluyt Society*، لندن ١٩٠٣ ، ص ٦٧) . وفى هامش طبعـة سنة ١٥٩٨ وفى كتاب *Hakluyt* الشرح الآتى : « باشا كلمة تترية يستعملها الترك » . وهذا الشرح فيه أيضا خلط بين كلمة باسقاق وكلمة باشا.

وليس من المستحيل أن يكون الترك أنفسهم قد خلطوا بالفعل بين كلمة «باد شاه» (باشا) وبين كلمة «باسقاق» التى ترادف الكلمة المغلية « دارغه » . وقد ذهبنا إلى هذا الرأى حتى قبل أن نرى تعليقات شيفر Schefer وهكليوت Hakluyt . ويمكننا أن نلاحظ أن لقب باشا ، وهو لم يرد فى المصادر الفارسية كما يقول محمد القزوينى ، أطلق إما على أهل الأناضول الخاضعين بالفعل أو بالاسم إلى المغل أو على موظفى المغل الإيلخانية ، مثل والى بغـداد الذى أسلفنا ذكره (انظر ما ورد فى « بزم رزم » لعزيز بن أردشير الاستراباذى عن بيسر على باشا ، طبعة كوبريلى ، ص ٢٨٩ ، س ٨) . ومما يسهل لنا تفسير هذا الخلط ورود كلمة «باسقاق» وإن كانت لا ترد

إلا نادراً (الجوينى : تأريخ جهان كشا ، ١٢٦٠ ، طبعة محمد قزوينى ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، تعليق رقم ٩ ؛ وفى هذه الفقرة إشارة إلى موظف خوارزمى كان موجودا سنة ٦٠٩ أى قبل فتح المغل) .

ويمكننا أن نفترض أنه لولا التأثير الذى حدث من خلط لقب « باسقاق » ولقب باشا لما كان لهذا اللقب الأخير الأهميـــة التى أصبحت له .

لقب باشا عند الترك

ينبغى ألا نخلط بين هذا اللقب ولقب باشا الذى تحدثنا عنه أو بينـــه وبين النطق العربى أو الشرقى القديم للقب باشا. وكان لقب باشا يستعمل بعد اسم العلم ويطلق على الجند وصغار الضباط وبخاصة الأنكشارية ، ويظهر أنه أطلق أيضا على وجوه الأقاليم (Meninski : *Thesaurus* ، ج ١ ، عمود ٦٦٢ ، ٢٩٤ ، ج ١ ، عمود ١٨ ؛ *Onomasticon* ، عمود ٤٢٧ ؛ ومادة باشا فى *d'Herbelot* ؛ Viguier : *Elements de la langue Turque* ، ١٧٩٠ ، ص ٢١٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٧ ؛ *Zenker* ، ص ١٦٤ ، عمود ٢ ، ومن المحتمل أن يكون قد أخذ عن Meninski ؛ *De La Mottraye* : *Voyages* ، عام ١٧٢٧ ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، تعليق ا ؛ أوليا چلبى ، ج ٥ ، ص ١٠٧ ، ٢١٦ ؛ نعيما ، ج ٥ ، ص ٧١ ؛ إسماعيل حق : كتابلر ، سفربشه ، ص ٤١ ، ٨) . ونجد أن Boullaye-Le-Gouz يميز أيضا فى كتابه (Voyoges ، سنة ١٦١٧ ، ص ٥٩ ، ١٥٢) لقب بشه ويترجمه بكلمة مسيو [redacted] . وقد ذكر Meninski أيضا فى كتابه سالف الذكر كلمة « بشى » ولاحظ أنها غير كلمة « بش » التى يتلوها حرف « الياء » وهو ضمير الغائب فى حالة الإضافة ، وكان Meninski يجيد التركية إجادة تمنعه من الخطأ فى هذا . أما كلمة بش التى ذكرها Chloros فهى مأخوذة من كلمة بشه (انظر أحد وفيق باشا : زورا كى طبيب الفصل الأول ، القسم الثانى ؛ وقد أطلقها فى هذا الموضع على امرأة من قبيل التهكم) على أن منسكى Meninski كان ينطقها مع هذا « بشه » .

وكما أن أصحاب المعاجم قد خلطوا بين كلمة باشا وكلمة باشا ، فقد ظن بعضهم أن الكلمة الأولى معناها أيضا الأخ الأكبر (انظر محمد صلاحى : قاموس عثمانى ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ومابعدها ، وقد أخذ عنه Chloros) . وأظن أن فى الأمر مسألتين مختلفتين وأن كلمة باشا تستعمل حقيقة محل كلمة باش أغا بمعنى كبير الأغوات وهو لقب عسكرى . ويقول روهرج Roehrig إن جماعة « القواص » ويسمون أيضا الأنكشارية أو الياساقجى ، كان يطلق عليهم كذلك اسم « باش آغا » . وتجد المعانى الأخرى لكلمة « باش آغا » . كما تجد تفصيلات أوفى عن بعض النقط الواردة فى هذا المقال فى J.Deny : *Sommaire des [redacted]rchives turqves [redacted] Caire*

ملاحظة على النطق : —
يمد فى كلمة باشا المقطع الأخير منها أما كلمة باشا فيمد فيها المقطع الأول وهذا يوضح تخفيف الحركة الأخيرة فى باتسى كما ذكرنا من قبل .

[J. Deny دنى]

استمر اللقبان التركيان « آغا وباش آغا » يستعملان فى بلاد الجزائر ، وأطلقا فيها على بعض قادة (زعماء) القبائل الكبيرة أو على زعماء القبائل المتحدة ، وقد أسبغت عليهم الإدارة الفرنسية فى تلك البلاد صفة رسمية ، أما لقب باشا فقد اختفى منهـــا بينما بقى مستعملا بين شرفاء مراكش ، وظهر هذا اللقب بينهم فى القرن السادس عشر عند ما تأثرت بعض التأثر حكومة بنى سعد بالمؤثرات التركية . وفى بداية عهد الحماية الفرنسية فى مراكش اندثر لقب باشا ولم يكن يطلق إلا على بعض زعماء القبائل مثل قبيلة شراجة فى شمال فارس وقبيلة العبد الأحمر على شاطئ المحيط الأطلسى . واحتفظت الدولة الحامية بهذا اللقب عن غير قصد لحل رسميا فى القرى محل لقب «قائد» . وهذا اللقب الأخير يفضل أصحاب القضايا إطلاقه على القاضى . وفى منطقة النفوذ الفرنسى وكذلك فى منطقة النفوذ الإسبانى باشاوات فى جميع البلاد المزودة بالمجالس البلدية . وينطقون فى تلك البلاد اللقب باشا ويجمعونه على باشاوات ؟

« باسالق » كلمة تركيـة لهـا معنيان أولهما منصب الباشا أو لقبه (انظر مادة باشا) وثانيهما الإقليم الذى يحكمه الباشـــــا فى الولايات .

وقد منح بعض الولاة الذين كانوا يعرفون باسم « سنجاق بكى » أو « ميرلوا » لقب باشا فسميت الولايات التى يحكمونها (كالسنجاق أو اللوا) بـ « باشالق » .

وفى أوائل القرن التاسع عشر كان سبعون سنجقاً من السناجق البالغ عددها ١٥٨ يطلق عليها «باشالق» : منها ٢٥ « باشا سنجاغى » أى السناجق التى فيها حاضرة الإيالة مقر حكم الوالى وللتوسع فى هـذا الموضوع انظر
Tableau général: Mouradgea d'Ohsson

[J. Deny دنى]

« باشغرد » ويقـال أيضـا باشجرد وباشغرت وباشغرد وباش قرد أو باش قُرد: الاسم العربى للباشقر والمجر . والباشغرد كانوا يسكنون ما يعرف الآن بناحيتى أوفا وأورنبورج Orenburg و Ufa ، وأول من ذكره فى إيجاز هو الإصطخرى (طبعة دى غوى ص ٢٥٥ ، ٢٢٧) ثم فصل ابن فضلان الكلام عنهم (ياقوت ، جـ ١ ، ص ٤٦٨ وما بعدها) .

والباشغرد قليلو العدد ، وهم يبلغون فى رواية الإصطخرى ألفى نسمة ، وكانت أرضهم مغطاة بالغابات كما هو الحال فى بعضها الآن

وهى على مسيرة ٢٥ يوما من أرض المجر .

وكان الباشغرد خاضعين للبلغار، وإن كانوا قد ظلوا وثنيين . وذكر ابن فضلان أن كل واحد منهم قد نحت خشبة وجعل منها صنما يحمله معه دائما ويصلى له إبان الشدة وفى ساعة الخطر . وحل القرن الحادى عشر ولم يُسلم الباشغرد أجمعين . ويقول الرحالة روبريكى إنهم ظلوا خاضعين للبلغار إلى أن جاء التتر فأسلم معظمهم .

والواقع أن الروس هم أول من عرف فى القرن السادس عشر الميلادى أن الباشغرد أصبحوا أمة إسلامية بالمعنى الصحيح .

وقد سمع روبريكى من قساوسة من أصل مجرى سكنوا تلك البلاد قبل مجىء التتر أن لغة الباشغرد هى عين اللغة المجرية . ولغة الباشغرد اليوم تنتسب، إذا استثنينا بعض الخصائص الصوتية وقواعد القلب والإبدال إلى مجموعة اللغات التركية وليست تابعة للمجموعة الفينية كلغة المجر (انظر وصف روبريكى فى O. Wolff : *Geschichte der Mongolen oder Tartaren* ، برسلاو عام ١٨٧٢ ، ص٢٦٣ وما بعدها) . بل إن التفسير الشائع لاسم القوم يذهب إلى أنه مكون من « باش » ومعناها رأس و « قورت » ومعناها ذئب أو « قورت » بمعنى دودة أو نحلة .

ومن المشكوك فيه أن يكون الأمر على عكس ذلك فى القرن الثالث عشر الميلادى . ويرى مركار (Marquart : *Osteuroptische Streifzüge* [redacted] *und ostas* ، عام ١٩٠٧ ص ٦٩) أن هذا التقارب بين الباشغرد والمجر ووصف بلاد الباشغرد بأنها المجر العظمى *Magna Hungra* لا يفسران إلا الرجوع إلى مدلول هذا الاسم عند العرب . ومما يجدر ذكره هنا أن قوزاق الروس أطلقوا اسم الباشقر على المجر إبان حملة عام ١٨٤٩م .

واضطر الباشغرد إلى الخضوع للروسيا عقب فتح قازان ، وفى القرن السابع عشر كانت هناك حروب كثيرة بين الباشغرد والقالموق ثم بينهم وبين القيرغيز فى القرن الثامن عشر أضف إلى ذلك أنهم كثيراً ما انتقضوا على حكم الروس ، إما باشتراك مع تتر القريم وإما بتحريض شيوخهم على حكم الكفار ، وقد حدث هذا ثمانى مرات فى القرن السابع عشر وأربعا فى القرن الثامن عشر . وذُكر اسم الباشغرد مع الثوار فى الفتنة الكبيرة التى قام بها بوغاچوف Pugachew (١٧٧٣ — ١٧٧٤ م) فاتبعت الحكومة الروسية سياسة الإيقاع بين قبائل البدو الثائرة كى يفنى بعضها بعضاً . وقام الباشغرد وحدهم عام ١٧٥٥ م بآخر فتنة لهم فأخضعتهم قبائل القيرغيز بعدما أنزلت بهم أشد ضروب القسوة .

وتدرب الباشغرد فى خدمة الفرسان غير النظاميين منذ عام ١٧٨٩ واشتركوا فى الحملات التى وجهت إلى غرب أوروبا (١٨١٣—١٨١٤) ولو أن سلاحهم كان القوس والنشاب ، ولم

يحملوا الأسلحة الحديثة إلا فى عهد متأخر . ولما أدخل نظام التجنيد الإجبارى عام ١٨٧٤م ألفت فرقة من الباشغرد، وفى عام ١٨٧٨ م ألفت منهم فرقة من الفرسان ولكنها سرحت عام ١٨٨٢ م .

وعاقت الحروب التى نشبت فى القرن الثامن عشر تقدم هؤلاء القوم : أضف إلى ذلك أن جزءاً كبيرا من الأرض حصل عليه موظفو الروس فى ذلك الوقت وماتلاه بأثمان بخسة يضرب بها المثل فى الروسيا، وابتاعت الحكومة الروسية من هؤلاء الموظفين جزءا كبيرا من هذه الأراضى ثم أعادتها إلى الباشغرد باعتبارها وقفاً لا يحل فيه البيع أو الشراء. ويعطى الآن لكل فرد منهم خمسة عشر دستان (٣١٧ فدانا) من الأرض وهو قسط ضئيل لا يكفى البدوى ولذلك فإن غالب القوم ركنوا إلى حياة الاستقرار. ويبلغ عدد الباشغرد الآن مليونا من الأنفس

المصادر

(١) E. Reclus : *Nouvelle géographie universelle*، باريس ١٨٨٠، ج ٥، ص ٧٥٣ وما بعدها (٢) Liewschin : *Opisanije kirgiz-haisackich ord i stiepej*، سنت بطرسبرج، ١٨٣٢، ج ٢، ص ١٢ وما بعدها (٣) N. Aristow : *Zamietki ob etnicheskom sostavie tjurkskich narodnostiej i sviedienija o jich chislennosti*، سنت بطرسبرج ١٨٩٧، ص ١٣١ وما بعدها (٤) ونشر W. Katarinskij و Orenburg عام ١٨٩٩ قاموساً صغيراً فى لغة الباشغرد عنوانه *bashkirsko-russkij slovar*.

ونحن نجد أن المجر سموا بالجمغرية منذ ابن رسته (طبعة = غوى، ص ١٤٢ ومابعدها) وكلمة باشغرد أو باشقرد لم ترد فى هذا المعنى عند ياقوت لحسب (ج ١، ص ٤٦٩ وما بعدها) بل وردت كذلك فيما كتب عن حملات المغل D'Ohsson: *Historire des mongols* ج ٢ ص ٦٢٠) ولم يشر العرب إلى المجر إلا إشارات ضئيلة، فالمجر الوثنيون يعتبرون دائما عباد نار . ورواية رشيد الدين تشير فى الواقع إلى هذا (جامع التواريخ . باب تاريخ الفرنجة ولم ينشر بعد) فهو يقول إن أوتو الأول نصر كثيرين من عباد النار (كابران) وليس من السهل أن نفسر قصة المجر المسلمين الذين رآهم ياقوت فى حلب

[بارتلد W. Barthold]

« باشماق » كلمة تركية معناها «نعل» ويطلق اسم «باشماق شريف» على نعل من مخلفات النبى ورد ذكره فى القرن الرابع الهجرى. وقيل إنه كان فى حوزة السلطان الأشرف المصرى المتوفى سنة ٦٣٥هـ=١٢٣٧م مثال له أهداه إلى جامع الأشرفية الذى أنشأه فى دمشق . وفى فاس نموذج آخر من هذا

النعل وصفه المقرى وصفا مفصلا فى رسالة عنوانها « فتح المتعال فى وصف النعـال » . انظر أيضا: « باشماق شريف خاصيتلرى برله» طبعة قازان ، سنة ١٨٤٨ . ويوجد أيضا بين مخلفات النبى المحفوظة فى استانبول « باشماق شريف » ؟

المصـــادر

(١) Dozy : *Dictionnaire détaillé des* [illegible] *des vêtements chez les Arabes* ص ٤٢١ — ٤٢٢ (٢) Goldziher : *Muhammedanische Studien* ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ — ٣٦٣ .

«باشماقلق» أو باشماقلق ومعناها ضريبة الحذاء وتطلق على الإيرادات التى كانت تخصص للسلاطين والأميرات. وكانت الباشماقلق خاضـــعة بوجه عام للقيود التى خضعت لها ضريبة «الآرپا لق» (١) أى أنه كان من المحظور أن تعطى إقطاعات بالفعل باسم باشماقلق أو آرپا لق ، وكان مقدار ما يخصص لهذه الإيرادات لا يتجاوز بحال من الأحوال ١٩٩٩٩ آقچه لا كما ذكر هامر خطأ أنها ٩٩٩٩ آقچه وذلك فى كتابه *Geschichte des Osmanischen Reiches* (ج ٢ . ص ٦٦٨ انظر أيضا : قوچى بك ، القسطنطينية ، سنة ١٣٠٣ ، ص ٧ وقد نشر فى *Zeitschrift der Deutsch Morgenländ Ges* ، ج ١٥ ، ص ٢٧٨)

وعلى أية حال فإن هذه القيود قد زالت منذ وقت طويل ؟

[F. Giese جيس]

«باشى بوزوق» : كلمة تركية معناها « ذو الرأس المخبول » تطلق على فصائل من الجند غير نظامية تجند بصفـــة خاصة من الألبان والكرد والجركس عند قيام حرب كبيرة فى بلاد الترك . وهم لا يخضعون لنظام ما . وقد اشتهروا بشجاعتهم وفظاعتهم فى الحرب وتعطشهم للسلب والنهب .

ويظهر أن هذا الاسم أطلق لأول مرة فى سنة ١٨٥٣م عند حرب الترك ضد الروس ؟

المصـــادر

(١) Barbier de Meynard : *Supplément* [illegible] *dictionnaires turcs* ، المجلد الأول ، ص ٢٦٣ (٢) A. Gallenja : *Two years of the Eastern question* ، لنـدن ١٨٧٧ ، ج ١ ، ص ٣٩١ ، ج ٢ ، ص ١٣٩ (٣) A. Ubicini : *Lettres sur* [illegible] *Turquie* ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ (٤) Belin : *Fiefs militaires dans l'Islamisme* ، فى المجلة الآسيوية سنة ١٨٧٠ ، ص ٣٨ ، تعليق رقم ٢ .

[Clement Huart. هيوار]

---

(١) انظر هذه المادة فى العدد التاسع من المجلد الأول ص ٥٧٨ اللجنة

« باطن » الباطن الخفى وهو خلاف الظاهر . ولهاتين الكلمتين شأن كبير فى علم التفسير . انظر مادتى « باطنية » و«ظاهرية» . والباطن مقرونة بأداة التعريف من أسماء الله الحسنى (سورة الحديد، آية ٣) ؟

« الباطنية » هذه الكلمة مشتقة من كلمة باطن كما يدل على ذلك اسمها . والباطنية هم أولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للكتاب ويجعلون لكل تنزيل تأويلا . وقد أطلق مؤلفو العرب اسم الباطنية على فرق عديدة متباينة كان لها شأن سياسى هام وأهمها: الخرامية والقرامطة والإسماعيلية . وهذه التسمية أطلقت أيضا على فرق ليست من فرق المسلمين، إذ يعد منهم المزدكية وهى فرقة مانوية أسسها مزدك وظهرت فى عهد الملك الساسانى قباد بن فيروز .

ويقول الشهرستانى إن الباطنية يسمون بالعراق القرامطة والمزدكية، ويسمون فى خراسان التعليمية والملحدة . وقد أطلق اسم الباطنية أيضا على بعض الصوفية . وعلى هذا فليس يوجد مذهب عام يقابل هذه التسمية بل لكل فرقة منها مذهبها الخاص . ومع هذا فقد شرح الشهرستانى عند كلامه على الباطنية مذهبهم على نحو يجعله قريبا جدا من مذهب الإسماعيلية، ولاحظ بحق أن هذا المذهب قد استمد كثيرا من آراء الفلاسفة . ولنذكر بعض آرائهم :

لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل ولا يصح أن نصف الله بصفات مما نصف بها البشر فلا يقال إنه عالم ولا جاهل أو إنه موجود أو لا موجود فإن ذلك يجعلنا نقع فى خطأ تشــــبيه بالمخلوقات . وقد تضمن مذهبهم ما تضمنه مذهب ابن سينا وغيره من الفلاسفة من القول بالأفلاك السماوية والتمييز بين العقل والنفس وأن النفس أقل مرتبة من العقل . وقالوا أيضا بوجود عقل كلى ونفس كلية فى العالم العلوى ، ويقابلهما فى العـالم الدنيوى الناطق والأساس أى النبى والإمام الذى يجىء بعده . وهما مكلفان بتحريك النفس والعقل [بالشرائع] لتبلغ النفس إلى حال كمالها ، وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به . وفى اليوم الآخر يحاسب الخلق فتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلية وجزئيات الباطل بالشيطان أى العدم وهذا هو الذى يسميه الباطنية البعث . ويظهر لنا مما ذكرناه مثل من أمثلة التأويل أو البحث عن المعنى الباطن لعقيدة من العقائد .

[B. Carra de Vaux كاراده فو]

« الباطية »صورة جنوبية من الصور السماوية وتعرف أيضاً بـ«المِلْف» (القزوينى: طبعة فستنفلد ، ص ٤٠ ؛ Ideler : *Untersuchungen über Urspr. n. d. Bed. der Sternnamen* ، ص ٢٧١)

« باع » ويقال أيضاً بَوْع وبُوع وجمعها أبواع : مقياس طولي يسمى بالتركية «قولاج».

« باعث » : من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين ؟

« باغ » كلمة فارسية معناها حديقة . و« باغ زاغان » أي حديقة الغربان ناحية من نواحي هَرَاة . ونحن نعرف «باغ لاله زار» في طهران ومعناها حديقة الخزامى ، كما نعرف حدائق « باغ نَوْ » و« باغ شَيْخ » و« باغ تخت » بشيراز . والحديقة التي يقطعها ممران متقاطعان يقسمانها إلى أقسام أربعة تعرف باسم « چهارباغ » . و« باغ سياو شان » و «باغ شيرين» و« باغ شهريار » و« باغ أردشير» هي أسماء ألحان موسيقية . وأصبح معنى كلمة باغ في التركية الكرم؟

المصادر

(١) A. [illegible] Biberetein Kazimirski : *Menoutchehri* ، باريس ١٨٨٧ ، ص ٢٩١ ، ص ٣٠٩ ، تعليق ٣ ، ص ٣٥٠ ، تعليق ٤ و ٥

(٢) Edw. G. Browne : *[illegible] year [illegible]mongst the Persians* ، ص ٩٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ .

[Cl. Huart هيوار]

«باغچه سراى» ومعناها بالتركية « قصر الحديقة » ، وتنطق في الروسية « باخچى سراى » : مدينة تترية بناحية طوروس في شبه جزيرة القريم على مسيرة عشرين ميلا من سمفروبول Simferopol عاصمة الناحية ، وتبعد عن الشاطئ بمقدار عشرين ميلا أيضاً . وهذه المدينة في وادي چرك صو الضيق ، ويرسمه بالاس [illegible] چوروك صو Dschuruk Su ومعناه الماء الآسن . ويجرى وادي سلچك ناحية الشرق تجاه القلعة الجبلية المعروفة الآن بـ «چُفُت قلعة» أي قلعة اليهود وهي أقدم محلة في جوار باغچه سراى وكانت أهم موطن لليهود القرّائين في القريم إبان العهد التترى . وظل هؤلاء يستعملون الاسم القديم « قِرْق يِر » إلى القرن التاسع عشر الميلادى . وذكر أبو الفدا هذه القلعة لأول مرة في كتابه تقويم البلدان ، (طبعة رينو Reinaud ، ص ٢١٤) على أنها موطن ألألان (آص) ورسم اسمها هكذا « قِرقرى » ، ولكن قوله بأن معناه أربعون رجلا يقتضى أن يكون الرسم هكذا «قِرْق أر» ويفسر آخرون الاسم بقولهم إنه «قِرْق اور» أي القبور الأربعون . ولكننا لا نجد على السكة سوى « قِرْق يِرْ» أي الأماكن الأربعون . ويظن سميرنوف Smirnow أن الاسم عبارة عن إشتقاق تركي شائع من الكلمة اليونانية : Καλλιάμρα وقد أنشأ حاجى كراى مؤسس أسرة كِراى حاضرته [illegible] قِرْق يِر حوالي عام ٨٥٨ ﻫ (١٤٥٤م) وهذه

السنة هى تاريخ أول سكة ضربها فى قرق يرـ وقبره فى وادى سلچك . أما أقدم محلة ، وهى المعروفة الآن بـ «إسكى يورت» فنى وادى چرك صو على مسيرة ثلثى الميل غربى المدينة الجديدة، وهناك قبور معظم خانيـــة القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ثم أصبح القصر الذى أخذت باغچه سراى اسمها منه سرّة المدينـة ، أما قرق يرـ وإسكى يوت فقد خلتا من السكان . وورد فى كتابة عربية على الباب الكبير لهذا القصر أن منكلى كراى هو الذى شيده عام ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ - ١٥٠٤م) . وكانت باغچه سراى على نقيض قرق يرـ مكشوفة بل إن القصر نفسه لم يكن محاطا بما يحصنه . ووصف المبعوث البولندى برنيفسكى Broniewski باغچه سراى عام ١٥٧٨ م فقال إنها بليدة بها قصر للخانية (جمع خان) ومسجد مبنيّان من الحجر أخذت أحجارهما من مبان مسيحية . وتتصل بها بليدة سلچك فى الوادى المعروف بالاسم نفسه ، وبنى خانقاه للدراويش من أطلال المبانى الرومية . ولم تعرف المدينة فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) باسم قرق يرـ إلا على السكة . أما اسم باغچه سراى فكان ظهوره فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) . وكانت باغچه سراى المكان الوحيد فى بلاد القريم الذى تضرب فيه السكة بعد عهد إســـلام كراى الثالث (١٦٤٤ — ١٦٥٤ م) .

وفى ٢٨ (١٧) يونية من عام ١٧٣٦ م غزا الروس بقيادة مينخ Münnich وسلبوها وحرقوا جزءا منها وخربوا الحى الذى يضم القصر والمسجد الجامع ودار الكتب التى أسسها سليم كراى الأول الذى حكم أربع مرات (١٦٧١—١٦٧٨ ؛ ١٦٨٤ — ١٦٩١ ؛ ١٦٩٣—١٦٩٩ ؛ ١٧٠٢ — ١٠٧٤ م) ودار البعثة اليسوعية ومكتبتها . وكان بالمدينة إذ ذاك ألفا بيت يملك ثلثها النصارى من الروم ، وكانت لهم فيها كنيسة وأعيد بناء الحى الذى خرّبه الروس فى عهد سلامت كراى الثانى (١٧٤٠ — ١٧٤٣م) . وشيد فى عام ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ — ١٧٤١ م) مسجداً تجاه القصر زوده السلطان محمود الأول بالكتب من الآستانة . وبنى الخان عام ١١٥٦ هـ (١٧٤٣م) فى القصر بهوا يستقبل فيه الناس ، وذكر كليمان N. E Kl[redacted] الذى زار باغچه سراى عام ١٧٦٩ م أن بالمدينة فيما عدا القصر والمسجد دار السكة الخانية إلى يمين القصر وقصر القنصل الفرنسى الذى كان أجمل مبانى المدينـة بعد قصر الخان . وكانت المساكن لا تـكون شوارع ممتدة بل كانت متناثرة وعلى ذلك فقد شغلت المدينة بالنسبة لسكانها حيزاً أكبر مما ينبغى .

ولما دخلت القريم فى حوزة الروس عام ١٧٨٣م رمم پوتمكين Potemkin القصر عام ١٧٨٤ م استعداداً لزيارة القيصرة كاترين الثانية، ويقول پالاس Pallas إن المدينة كان بها فى

ذلك الوقت ٣١ مسجداً مبنيـــاً من الحجر وكنيسة للروم وأخرى للأرمن وبعتان وحامان و ١٦ خاناً و ١٥٦٦ بيتاً و ٣١٦٦ من الذكور و ٢٦١٠ أنثى . ورممت الحكومة الروسية القصر بعد ذلك وأعادت إليه سالف بهائه ورونقه ليكون نموذجاً للعمارة الشرقية. ولم يبق من مبانى خانية قبيلة الاوردا الذهبي سوى باغچه‌سراى ، وهو لذلك الأثر الوحيد لهذا الفن فى جنوبى الروسيا ويعرف بقصر الحمراء التترى ، وخلد بوشكين Pushkin اسم هذا القصر فى الشعر الروسى بقصيدته المسماة « نافورة باغچه سراى » . ومخطوطات قصر باغچه سراى عبارة عن وثائق على جانب كبير من الأهميـــة اكتشفها سميرنوف فى سمفروبولى وهى فى ١٢٤ مجلدا تضم كل ما بقى من التخريب الذى حاق بالمدينة عام ١٧٣٦ م ومكانها الآن بالمكتبة القيصرية فى مدينة سانت بطرسبرج [1] . ولم يستغل المؤرخون مادة هذه المخطوطات تمام الاستغلال بعد .

ومدينة باغچه سراى اليوم مركز صناعى ثقافى للتتر. ويصدر إسماعيل ميرزا غاسبرنسكى جريدة « ترجمان » باللغتين التترية والروسية ، وهى جريدة لها خطرها ، وأسس هذا الرجل أيضاً داراً للطباعة يصدر عنها كثير من الكتب التترية كل عام .

المصـــادر

كتب الرحلات : Broniewski (١) *Russia* [illegible] *moscowia* : (Broniovius) *Itemique Tartaria* ، كولونيا ، ١٥٩٥ م ، ليدن ١٦٣٠ ، والترجمة الروسية الواردة فى *Zapiski Odesskago obshchestva Istorii i Drevnostei* ، ج ٦ ، ص ٢٣٣ وما بعدها (٢) Nikolaus Ernest Kleemann : *Reisen* ، ليبسك ١٧٧٣ ، الترجمة الفرنسية ، نيوشاتل ١٧٨٠ (٣) Pallas : *Bemerkungen aus einer Riese in die südlichen Statthalterschaften des Russischen Reiches in* [illegible] *Jahren 1793 und 1794* ، المجلد الثانى ، ليبسك ١٨٠١ ، ص ٢٦ — ٣٧ .

وقد جمع بورزنكو ودومبروفسكى A. Borzenko, F. Dombrovski النقوش التركية والعربية لباغچه سراى وما جاورها وذلك فى الأعوام من ١٨٣٦ إلى ١٨٤٧ ونشراها بعد ذلك فى *Zapiski Obshchestva Istorii i Drevnostei* ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ وما بعدها .

ونشر دومبروفسكى Dombrovski أيضاً وصفاً لباغچة سراى فى *Ocherki Bachchisaraja* ، أودسا عام ١٨٤٨ .

ولدينا رواية شاهد عيان للفتح الروسى الذى وقع عام ١٧٣٦ وهو الكابتن مانشتين Mannstein فى *Mémoires historiques politiques et militaires* [illegible] *la Russie* ، الطبعة الجديدة ، باريس عام ١٨٦٠ م ، ج ١ ، ص ١٨٣ وما بعدها .

وأوفى المراجع عن تاريخ أسرة كراى هو W. Smirnow : *Krimskoje chanstvo* ،

---

[1] وقت كتابة المقال

سانت بطرسبرج عام ١٨٨٧ إلى القرن الثامن عشر وأودسا عام ١٨٨٩ إلى القرن الثامن عشر .

ووصف رتوفسكى O. Retovski السكة وصفاً مفصلا فى *Die Münzen der Giref*، موسكو ١٩٠٥ ؛ وانظر أيضاً W.H.Valentine : *Modern Coins of the Muhammedans*، لندن ١٩١١ م ، ص ٩٦ — ٩٩ .

أما عن المخطوطات التى أسلفنا الإشارة إليها فانظر مقال K. Inostrantzew فى *Zapiski Vost. otd. Arch. obshchestva*، المجلد الثامن عشر ، ص ١٨ .

[W. Barthold بارتولد]

« الباقر » : لقب الإمام محمد بن على [انظر هذه المادة]

« الباقلانى » أبو بكر بن على بن الطيب(١) مؤلف عربى ومن علماء الكلام ، قرأ على أبى العباس بن مجاهد الطائى البصرى تلميذ أبى الحسن الأشعرى . وتوفى لسبع بقين من ذى القعدة سنة ٤٠٣ هـ = ٦ من يونية سنة ١٠١٣ م أو كانت وفاته ببغداد. واشتهر الباقلانى بما كتبه فى الجدل والمناظرة ، وقد مزج علم الكلام بآراء جديدة أخذها عن الفلسفة اليونانية أو ربما أخذها عن عقائد الكنيسة الشرقية مثل ذلك : قوله فى الذرة والخلاء وأن العرض لا يقوم بعرض وأن العرض لا يبقى وحدتين من الزمن . ولم يبق من مصنفاته إلا « كتاب فى إعجاز القرآن » ، طبع فى القاهرة سنة ١٣١٥ هـ = ١٨٩٧ م . ويروى السيوطى فى كتابه « الإتقان » (طبعة القاهرة سنة ١٢٧٨ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٤٤) نقلا عن ابن العربى أن كتاب الباقلانى هو أحسن ما كتب فى موضوعه . وذكر ابن حزم فى كتابه المسمى فيصل (١) أن الباقلانى صنف كذلك كتاب « الاستبصار فى القرآن » وكتابا فى مذاهب القرامطة ؟

المصـــادر

(١) ابن خلكان ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩ رقم ٨٥٠ (٢) A.F. Mehren فى : *Travaux [illegible] la IV éme Session du Kongrés international des orient.* سانت بطرسبرج ، سنة ١٨٧٦ ، جـ ٢ ، وطبع كذلك فى ليدن سنة ١٨٧٩ ، ص ٢٢٨ (٣) M. Schreiner فى : *Actes [illegible] VIII éme congrés international des orient. tenu [illegible] à Stockholm et à Christiania* ، طبع فى ليدن ١٨٩١ ، ص ١٠٨ .

[C. Brockelmann بروكلمان]

(١) هو القاضى أبو بكر بن الطيب بن جعفر ابن القاسم المعروف بالباقلانى — انظر ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ، ص ٤٨١

اللجنة

(١) هكذا فى الأصل ولعل المقصود كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل »

اللجنة

« الباقى » : من أسماء الله الحسنى (انظر مادة « الله »)

« باقى » : أكبر الشعراء الغنائيين عند الترك واسمه الكامل محمود عبد الباقى ، ولد بالقسطنطينية سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦ — ١٥٢٧ م) وكان أبوه مؤذناً فى جامع المحمدية. اشتغل أولا بصناعة السروج ثم انصرف عنها إلى دراسة الفقه رغبة منه فى الاشتغال به . وفى سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) رفع إلى السلطان سليمان بعد عودته من فارس قصيدة يهنئه بها فألحقه ببطانته حيث حاز رضاء سليم الثانى ومراد الثالث . وولى القضاء فى مكة والقسطنطينية ثم عين ثلاث مرات « قاضى عسكر » للأناضول والروملى ، وتوفى لسبع بقين من رمضان سنة ١٠٠٨ هـ (٧ من نوفمبر سنة ١٦٠٠ م) . ويشتهر باقى بصفاء أسلوبه وحماسة عبارته ، ولكنه لم يكن أكثر شعراء الترك من المدرسة الفارسية مغالاة ، تلك المدرسة التى سادت الشعر التركى حتى القرن التاسع عشر ؟

المصادر

(١) J. von Hammer : *Baki's des grossten turkischen Lyrikers Diwan* فينا ١٨٢٥ ، ويشتمل هذا الصنف على أقل من نصف الديوان مترجماً إلى الألمانية (٢) المؤلف نفسه *Geschichte der osmanischen Dichtkunst* جـ ٢ ، ص ٣٦٠ (٣) E. J. W. Gibb : *A history of ottoman poetry* جـ ٣ ، ص ٣٦٠ (٤) *Baki's Diwan Ghazaliyat* نشره R. Dvorak ، المجلد الأول عام ١٩٠٨ (٥) R. Dvorak : *Baki als Dichter* فى *Zeitschr d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch* جـ ٤٢ سنة ١٨٨٨ ، ص ٥٦٠ وما بعدها

[هيوار Cl. Huart]

« باكر كنج » أو باكر كنك : مقاطعة فى إقليم البنغال الشرقية وآسام من بلاد الهند البريطانية عند ملتقى دلتا نهرى الكنج وبراهمابوترا . وتبلغ مساحتها ٤٥٤٢ ميلا مربعا ويبلغ عدد سكانها حسب تعداد سنة ١٩٠١ : ٢,٢٩١,٧٥٢ نسمة منهم ٦٨٪ مسلمون . ونستدل على سيادتهم فى هذه المقاطعة من تسمية لغتهم « بالمسلمانى » . وقد اشتق اسم هذه المقاطعة من اسم « آغا باكر » خادم نواب مرشد آباد فى القرن الثامن عشر . وحاضرة هذه المقاطعة هى مدينة بريسال وهى مركز هام للتجارة النهرية

المصادر

(١) *Imperial Gazetteer of India*

[كوتون J. S. Cotton]

« باكسايا » : اسم موضع وناحية فى

العراق . ويتألف أستان بزيجى خسرو شرقى الدجلة من باكسايا وبادرايا والنواحى الثلاثة على قناة النهروان الكبيرة (انظر Streck : Babylonien nach d. arab. geogr جـ ١ ، ص ١٥) . ولا تزال باكسايا باقية إلى اليوم شأنها فى ذلك شأن بادرايا ، وقد اعتاد جغرافيو العرب ذكر المدينتين معا . وتعرف مدينة باكسايا الآن باسم بكسية أو بكسا ، وهى فى الجنوب الشرقى من بادرايا وعلى خط طول ٢٥ً ٤٦ْ شرقى جرينوتش بالقرب من الحدود الفارسية (انظر Steiler : Han-datlas ورقة رقم ٥٩ ، سنة ١٩١٠)

ويطلق اسم « كسايا » ، كما أومأ إلى هذا G. Hoffman « هوفمان » على شعب من الشعوب ، وهو المعروف عند السريان باسم « كُسَّايه » ، وعلى هـــذا تكون كلمة « باكسيا » بمعنى موطن هـذا الشعب واسمها اليونانى Κοσσαῖοι ، وذكروا فى النقوش المسمارية باسم « كَشُو » . ويتفق هذا التفسير تمام الاتفاق مع موضع باكسايا الذى هو على مقربة من « زجروس » موطن هذا الشعب فى الزمن القديم ؟

المصــــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة دهغوى فى مواضع مختلفة (٢) ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٤٧٧ (٣) C. Hoffmann : Auzüge aus syrischen Akten persischer Martyrer ليبسك ١٨٨٠ ص ٦١ ، ٩١ (٤) Noldeke فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges ، جـ ٢٨ ، ص ١٠١ (٥) المؤلف نفسه : Geschichte der Perser u. Araber zur Zeit der Sasaniden ، ١٨٧٩ ، ص ٢٣٩ (٦) G. Westphal : Untersuch. über die Quellen u. die Glaubwurdigkeit der Patriarchenchroniken Mari ibn Sulaiman etc ، سنة ١٩٠١ وهى رسالة قدمت إلى جامعة ستراسبرج ، ص ١٢١ (٧) le Strange : The lands of the Eastern Caliphate كمبرج ١٩٠٥ ، ص ٦٣ ، ٨٠

[ستريك Streck .]

« باكو » : وتعرف عند جغرافيى العرب باسم باكه أو باكوه أو باكويه وهى أهم الثغور على شاطئ بحر قزوين . وأهل باكو اليوم يذهبون فى تفسير هذا الاسم مذهبا ربما كان يتمشى مع اشتقاق معروف شائع هو أن « باكو » معناها مهب الريح ، وهذا التفسير يظهر أنه أحدث عهدا من تلك الأسطورة التى تقول إن هذه المدينة أسسها كسرى أنوشروان . والرأى القـــائل بأن اضطرام النار باستمرار فى منابع نفط تلك المدينة كان ذا أثر فى عبادة الفرس للنار رأى لا يعتمد على أى مصدر تاريخى ، فإن عبادة النار إنما دخلت هذه الناحية فى القرن الثامن

عشر على يد الهنود ومجوس الفرس الذين هاجروا إلى الهند عند الفتح الإسلامى لفارس. وأول من وصف منابع النفط هم جغرافيو العرب.

وقد أفاض فى ذلك المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » (ج ٢، ص ٢٥ — ٢٦) وياقوت فى كتابه « معجم البلدان »، انظر مادة « باكويه ». وفى تلك المدينة نبعان كبيران أحدهما يسيل بالنفط الأبيض أو الأصفر، ويقول المسعودى إنه لا مثيل له فى العالم، والآخر يسيل بالنفط الأسود أو الأخضر ويسيل من كل عين فى اليوم ألف درهم. وقدر الباكوهى فى القرن التاسع الهجرى الموافق الخامس عشر الميلادى كمية النفط المستخرجة فى اليوم بمقدار ٢٠٠ حمل بغل. وجاء فى كتاب « دربندنامه »، طبعة كاظم بك، ص ١٣٦ — ١٣٧ أن منابع النفط ومستودعات الملح فى باكو كانت موقوفة على أهل دربند، ثم وقفت بعد ذلك على السادة الأشراف كما جاء فى نقش يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ — ١٥٠٤ م). وأول من ذكر باكو على أنها فرضة هو المقدسى، طبعة دهغوى، ص ٣٧٦، س ٦. وبالرغم من حسن موقع هذه الفرضة فإنه لم يكن لها أهمية تماثل أهمية دربند التى كانت فى ذلك العهد ثانى مدينة عظيمة فى القوقاز. ولم نقف على معلومات ما عن تاريخ باكو: فالطبرى لم يذكرها مطلقا ولم يذكرها كذلك ابن الأثير.

ويقال إن الروس تقدموا حتى بلغوا منابع النفط حوالى سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ — ٩١٤ م) ثم أصبحت باكو بعد ذلك تابعة لمملكة شروان شاه وذكرت فى القرن السادس الهجرى الموافق الثانى عشر الميلادى على أنها كانت مقر هذا الأمير. وكان الأمراء من بيت شروان شاه يسكنون فى ذلك الوقت وبعده فى « شماخى ». وجاء فى نقش أن المسجد الجامع فى مدينة باكو بنى سنة ٤٧١ هـ (١١٧٨ — ١١٧٩ م) ويظهر أن هذه المدينة أصبح لها أهمية كبرى كمركز تجارى فى عهد المغل وبعدهم حتى أن بحر قزوين كان يطلق عليه منذ ذلك العهد اسم بحر باكو. على أن المصادر التى يرجع تاريخها إلى ذلك الوقت لا تمدنا بمعلومات كافية، بل إنا نجد معلومات أوفى مما جاء فى تلك المصادر فى مؤلفات حمد الله قزوينى (القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر الميلادى) وكذلك فى مصنفات عبد الرشيد الباكوى (القرن التاسع الهجرى = الخامس عشر الميلادى). وجاء فى كتاب حمد الله أنه لم يكن فى باكو لعهده إلا قرية وحصن على رابية يشرف عليها وكان يسكنه رئيس للرهبان « بزرك كشيشان » يسمى « مرجائيا » (ولعله أجاثياس ؟).

أما الباكوهى فقد ذكر قلعتين إحداهما عالية تكاد تكون قد تدمرت فى عهده، أما الثانية فكانت على شاطئ البحر وكانت تشتهر بمناعتها الفريدة حتى أن المغل لم يستطيعوا

الاستيلاء عليها . وكان مستوى البحر فى ذلك الوقت مرتفعا ارتفاعا محسوسا عن ذى قبل بحيث أن المياه غمرت جزءا كبيرا من المدينة . وأصبحت الجهات المحيطة بمدينة باكو قاعا بلقعا وظلت على ذلك إلى الوقت الحاضر . أما بساتين أهل هذه المدينة فقد غرست فى مكان بعيد . ويجلب الأهالى حوائجهم من شروان أو من موقان . وتنتج مدينة باكو الحرير عدا النفط والملح . ويرجع تاريخ قصر شروان شاه إلى القرن التاسع الهجرى الموافق الخامس عشر الميلادى وكذلك الضريحين القريبين منه كما جاء فى نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٨٦٩ هـ = ١٤٦٤ — ١٤٦٥ م . وهذا القصر يستعمل الآن مستودعا من مستودعات الجيش وإن كان قد تخرب الجانب الأكبر منه . وفى سنة ١٩٠١ اكتشفت صدفة مقبرة قديمة على أحد قبورها شاهد تاريخه رجب سنة ٨١٨ هـ = سبتمبر — أكتوبر سنة ١٤١٥ ، كما اكتشفت أحجار بعض القبور وليس عليها تاريخ ، ولكن يستدل من شكل الكتابات التى عليها أنها أقدم من هذا التاريخ

وفى سنة ٩٠٦ هـ = ١٥٠١ م . حاصر الشاه إسماعيل مؤسس دولة الفرس الجديدة مدينة باكو وفتحها ثم استولى على كنوز شروانشاة . وفى سنة ١٥٨٣ م سلمت المدينة للجيش التركى بقيادة عثمان باشا وظلت فى حوزتهم إلى سنة ١٦٠٦ م . وبعد أن استعاد الفرس المدينة أعاد الشاه عباس الأول بناء أسوارها كما جاء فى نقش يرجع تاريخه إلى سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٨ — ١٦٠٩ م) وفى يولية سنة ١٧٢٣ سلمت باكو للقائد الروسى Matjuschkim متجشكيم بعد مقاومة لم تدم طويلا ثم استعادها الفرس ثانية سنة ١٧٣٥م. وكان أمراء باكو مستقلين استقلالا صحيحا منذ أن توفى نادرشاه فى سنة ١٧٤٧ م .

وفى خلال الحرب التى نشبت بين الفرس والروس بالقوقاز فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كان حسين قلى خان أمير باكو ينحاز مرة إلى الفرس وأخرى إلى الروس . فبين ٨ و ٢٠ فبراير من سنة ١٨٠٦ م سلم هذا الأمير مفاتيح المدينة إلى القائد الروسى الأمير Tzitzianow زتزيانوف ولكن هذا القائد قتل غيلة عند مقابلته له وأرسلت رأسه إلى تبريز . وفى خريف ذلك العام نفسه تقدم القائد Bulgakow بلجاكوف نحو باكو ففر الأمير إلى فارس وسلمت المدينة من غير مقاومة بين ٣ و ١٥ أكتوبر وألحقت نهائيا بالإمبراطورية الروسية .

واستغلال منابع النفط فى باكو كان وقفا على حكامها القدماء الذين كانوا يربحون منها ٤٠,٠٠٠ ريالا روسيا فى السنة كما جاء فى رواية الرحالة جملان Gmelin أما فى عهد الروس فقد أصبحت هذه المنابع من أملاك التاج . ومنذ سنة ١٨٧٢م أصبح استغلالها حرا وبيعت بالمزاد العلنى . وازداد استخراج

النفط منذ ذلك الوقت وسارت المدينة خطى سريعة فى طريق الرقى وبخاصة بعد اتصالها بطريق السكك الحديدية بمدينة باطوم على البحر الأسود وبداخل الروسيا. وجاء فى كتاب رتر Ritter: *Geographisch Statistisches Lexicon*، الطبعة الخامسة، سنة ١٨٦٤ م أن مدينة باكو يبلغ عدد سكانها ١٠,٠٠٠ نسمة فقط. أما الدليل الرسمى الذى نشر فى تفليس سنة ١٨٨٨ م فقد جاء به أن عدد سكانها ٤٥,٦٧٩ نسمة. وباكو فى الوقت الحاضر مدينة كبيرة حديثة يزيد عدد سكانها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة ؟

المصـــادر

(أ) مصادر عامة :

(١) G. le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate* طبعة كمبردج، سنة ١٩٠٥، ص ١٨٠-١٨١ (٢) E. Weidenbaum: *Putevoditel po Kawkasu*، طبعة تفليس سنة ١٨٨٨، ص ٣٤٢ — ٣٤٣

(ب) مصادر عن الحروب الروسية :

(١) المسعودى : مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٠ — ٢١ وقد أورد Ch. Schefer نص كتاب حمد الله قزوينى المسمى «سياست نامه» فى ترجمته لكتاب الباكوى فى *Notices et extraits*، ج ٢، ص ٥٠٩ — ٥١٠.

(ح) مصادر عن المقبرة القديمة

(١) W. Barthold فى *Izvjestija Imp. Archeolicheskoj Kommissii*، ج ١٦، سانت بطرسبرج سنة ١٩٠٥، ص ١١٦ — ١١٧

(ى) مصادر تاريخية منذ القرن الثانى عشر :

(١) B. Dorn: *Beiträge zur Geschichte der Kaukasischen Länder und Völker nach morgenländischen Quellen* ج ١، ص ٦٦ — ٦٧، ج ٢، ص ٤٩ — ٥٠، ٩٤، ١٠٩ — ١١٠ (٢) J. v. Hammer: *Geschichte des Osmamischen Reiches* الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٠٠.

[بارتلد W. Barthold]

«بالا» قضاء فى ولاية وسنجق أنقره حاضرته قرية «قرهلى» أو «قره على» ويضم هذا القضاء ناحية «طبانلى» وواحداً وتسعين قرية. وعدد سكانه ٢١,٥٩٣ نسمة وتشتهر «قره بل» بصناعة السجاد والأخراج وبها مناجم للفحم. وبالقرب من «قره لى» غابة جميلة يصطاف فيها أهل القرية

المصـــادر

(١) على جواد : جغرافية لغاتى، ص ١٤٩

(٢) سالنامه : ١٣٢٥ هـ، ص ٧٨٩.

[هيوار Cl. Huart]

«بالا» : كلمة فارسية معناها ارتفاع أو مرتفع. وتستعمل حرف جر بمعنى على،

وهى كذلك كثيرة الاستعمال فى الأسماء المركبة وتجد الشواهد على ذلك فى المقالات التالية.

و«بالا» أيضاً لقب موظف فى الحكومة التركية فى مرتبة قائد لواء وهو يلى المشير والوزير مباشرة. ويخاطب فى المراسلات الرسمية بـ «عطوفتلو أفندم حضرتلرى».

المصادر

(١) سالنامه، ١٣٢٥هـ، ص٣٨ ومابعدها

[هيوار Cl. Huart]

«بالا حصار» كثيرة الاستعمال فى الهند وغيرها بمعنى قلعة، وأهم هذه القلاع: قلعة پشاور والقلعة التى فى كابل عاصمة أفغانستان.

«بالا حصار» ونطقها المتداول «بال لوحصار»، وهى عبارة تركية معناها قلعة الشهد: بليدة وسوق بآسية الصغرى فى ولاية وسنجق أنقره بقضاء «سيورى حصار» على مسيرة ثلاث ساعات من أنقره. وعدد سكانها ٣٠٠٠ نسمة وبها أطلال مدينة پسينوس Pessinus ومعبد للآلهة «سيبيل» Cybele (١).

(١) سيبيل «ابنة السماء، وإلهة الأرض، وزوجة ساترن وأم جوپيتر ونبتون وپلوتون فى الأساطير الرومانية **اللجنة**

المصادر

(١) على جواد: جغرافيه لغاتى، ص ١٥٧

(٢) Texier: *Asie Mineure*، ص ٤٧١.

[هيوار Cl. Huart]

«بالاغات» أى فوق الغات، والغات الممر: كلمة لها مدلولات عديدة فى جغرافية الهند. ويقصد بها الرحالة الغربيون المتقدمون هضبة الدكن وراء سلسلة جبال سهيادرى المعروفة الآن بجبال غات الغربية. ويستعملها المسلمون للدلالة على ذلك الجزء من فتوحاتهم فى أقصى الجنوب مثل بالاغات أو هضبة بجاپور فى مقابل «پاين غات» أى الأرض المنخفضة. ومعناها عند أهل «برار» الأرض المرتفعة فوق ممر «أجنته». وعند أهل حيدر آباد الهضبة التى تحيط بها الجبال فى غرب هذه الإمارة.

وفى عام ١٨٦٧ أطلق هذا الاسم على ناحية أنشئت حديثا فى الولايات الوسطى تضم جزءا من هضبة «ساتپرا». ومساحة هذه الناحية ٣١٣٢ ميلا مربعاً، وبلغ عدد سكانها عام ١٩٠١: ٣٢٥,٣٧١ نسمة.

وأطلق هذا الاسم أيضاً على الحاضرة «برهه»، ولو أنها تقع فى الوادى؟

المصادر

(١) *Imperial Gazetteer of India*

[كتن J S. Cotton]

« **بالاهنك** » أو بالهنك: كلمة فارسية معناها سير من الجلد أو حبل أو زمام، وتطلق على الحبل الذى يضعه الدرويش حول عنقه ويعلق فى طرفه غالبا نجمة من العقيق ذات أضلاع كثيرة فى حجم الريال وتسمى «تسليم تش» وكانت تعطى لصغار الدراويش عند مايتمون عهد التحصيل، ويعلق بعض الدراويش وبخاصة البكتاشية (انظر مادة بكتاش) فى هذا الحبل عدة أحجار شفافة شهباء على شكل الزيتون. وهذه الأحجار توجد فى بلاد الجزيرة وتسمى «در النجف». ويقال إن اليشب الذى تصنع منه هذه الأحجار يوجد بجوار الحاج بكتاش

المصادر

(١) Th. Ippen: *Skutari und die nordalbanische Küsteneben*، طبعة سراجيفو سنة ١٩٠٧، ص ٧٨.
(٢) John Porter Brown: *The Dervishes or Oriental Spiritualism* طبعة *H. A. Rose*، لندن ١٩٢٧، ص ٢١٤

[بابنجر Franz Babinger]

« **بالس** » مدينة شمالى الشام على الفرات عند تحول النهر من مجراه الجنوبى إلى الشرق، وهى على خط عرض ٥٩َ ٣٥° شمالا وخط طول ١٢َ ٣٨° شرق جرينوتش، واسمها بالآرامية [illegible] ويرسمه المؤلفون الأقدمون برباليسوس Barbalis[illegible]. ويظهر أن أكزنوفون Xenophen هو أقدم من ذكر هذه المدينة، فقد ذكر قصراً وملعبا فى هذا الموضع لـ «بليسيس» Belesys حاكم سورية ويضع بطليوس برباريسوس فى موقعها الصحيح، وتذكرها لوحة بوتنجريانا Tabula Peutingeriana على أنها محطة على طريق الفرات. وتقول Notitia Digentiatum حوالى عام ٤٢٥م إنها من بلاد الفرات الكبيرة وكان فيها حامية لفرسان الدلماشيين والإيليريين وإنها كانت تابعة لدوق سورية. ويقول ستيفان Stephan البوزنطى قبل عهد يوستنيانوس إنها قلعة مسورة. أما فروقوفيوس فيستدل منه على أن خسرو الثانى أنوشروان لابد وأن يكون قد خرب المدينة فى غارته على الشام عام ٥٤٠م، ثم أعاد يوستنيانوس بناء الحصون.

وعرف العرب المدينة باسم «بالس» فقد فتحها المسلمون تحت إمرة أبى عبيدة من غير قتال، بيد أن غالب سكانها هجروها. وكانت المدينة فى عهد عمر وعثمان إحدى الحصون المشيدة على التخوم لحمايتها من الروم وذكرها هارون مع جند العواصم التى منها قورس وجَوْمَه ومَنْبِج وأنطاكية وتوزين وبالس ورصافة هشام. ولما امتدت التخوم حتى اقتربت من آسية الصغرى أصبحت بالس تابعة لناحية قنسرين وهى واحدة من نواحى الشام الست. وفى عام ٢٤٥هـ (٨٥٩م) حدث فيها زلزال أثر أيضاً فى الرقة وحران

ورأس العين والرها وحمص ودمشق وساحل الشام ومنخفض كليكيه . وفى عام ٢٥٩ هـ (٨٨٢ – ٨٨٣ م) دخلت بالس فى حوزة أحمد بن طولون . وفى عام ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) أصبحت قاعدة حربية للخليفة المعتضد فى حملته على كليكيه . وأخذت بالس فى الاضمحلال بعد عهد سيف الدولة الحمدانى (٣٣٣–٣٥٦ هـ = ٩٤٤ – ٩٦٧ م) وقلت زيارة القوافل لها عن ذى قبل . ويصفها الإصطخرى عام ٣٠٩ هـ (٩٢١ م) بأنها بليدة صغيرة وياقوت عام ٦٢١ هـ (١٢٢٤م) بأنها قرية . وفى أيام الحروب الصليبية حوالى عام ١١١١ م كانت بالس لأمد وجيز فى حوزة الفرنج تحت إمرة تنكرد صاحب أنطاكية . وزارها بنيامين صاحب تطيلة عام ١١٦٣م والحق أن قوله بأن بالس هى مدينة بلعام بن باعورا ما هو الا ترديد للرواية اليهودية للأسطورة التى حاكها العرب عن بالعة فى البلقاء . وبالس عند العرب هى مدينة بالس بن روم بن يكان بن سام بن نوح . وهم بذلك قد احتفظوا بتاريخ المدينة قبل الإسلام .

ويقول ابن شداد إن بالس كانت تابعة للملك الظاهر غازى الأيوبى صاحب حلب المتوفى عام ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) ثم انتقلت بعده الى الملك العادل أبى بكر أخى صلاح الدين ، وقد أقام فيها مأذنة نقش عليها اسمه ثم أقطعها ابنه الملك الحافظ . ويؤكد ياقوت وتبعه فى ذلك صاحب المراصد والقزوينى ، أن الفرات الذى كانت المدينة على شاطئه أخذ يتراجع عنها تدريجاً حتى أنه كان فى عهده يبعد عنها بمقدار أربعة أميال ، ولكن المسافة بين النهر والمدينة فى أيامنا ميلان فقط تقريباً ، ويظهر أن النهر يعاود الاقتراب من المدينة . وتحول اتجاه الفرات لا بد وأن يكون قد سارع باضمحلال المدينة . ولم يرد عن بالس شىء جديد بعد ياقوت فإن أبا الفداء يعيد كلام من سبقوه . ولقد تم خراب المدينة على يد جنود جنكيزخان .

وبالس على الطريق الكبير الممتد من بغداد أو الموصل ماراً بالرقة إلى بلاد الشام وهى المدينة الأولى على هذا الطريق ، ونظراً لهذا الموقع الفريد يتخذها الجغرافيون مركزا عند وصفهم لحدود الشام . وهى كذلك على الخط الفاصل بين مناخين مختلفين تمام الاختلاف ، فنى هذا الموضع ننتقل من مناخ هضبة حلب الجاف إلى مناخ الجزيرة المعتدل كما أن النبات والحيوان يتغيران هنا تغيرا كاملا . وتوصف بالس بأنها ثغر الشام على الفرات ، وبالرغم من حسن موقعها لم تستطع المدينة استعادة مكانتها مما أصابها من غزوات المغل .

واسم بالس الآن « إسكى مسكين » تبعاً للقاعدة الحربية ومحطة البريد الحديثة التى فى جوارها . وأطلالها البالغة مساحتها خمسة أفدنة على رأس فى الشاطئ الأعلى ممتد فى وادى الفرات . ونستطيع أن نميز الأسوار

المحيطة بها، ومنها ثلاثة أبواب على الطرق الموصلة إلى حلب وحمص ودمشق وبغداد. ويفصلها عن الجبال المرتفعة غور سحيق، وعلى هذا المرتفع خرائب حصن يوستنيانوس ومنها مقر الوالى الرومانى والبرج المنيع. وليس من شك فى أن هذا الحصن القديم قد استعمل طوال العهد الإسلامى. وأرض المدينـــة مملوءة ببقايا الأوانى الفخارية مما يدل على أنه قد ازدهرت فيها صناعة الخزف. وتقوم فى وسط المدينة مئذنة ثمانية الأضلاع وهى التى جدد بناءها الملك العادل أبو بكر كما يتضح ذلك من الكتابات المنقوشة عليها وقد اختفى منها اسم الأمير الذى أشرف على التجديد كما زال التاريخ، ويطلق المهندس على نفسه أسم عبد الله. ولا يزال بجنوبى المدينة بقايا ضريح مجهول لولى يعود تاريخ بنائه إلى القرون الوسطى، وبه قبران.

المصـــــادر

(١) البلاذرى: فتوح البلدان، طبعة ده غوى ص ١٥٠ وما بعدها (٢) ابن خرداذبة: طبعة ده غوى، ص ٧٥، ٩٨ (٣) ابن الفقيه: طبعة ده غوى، ص ٩٢، ١١١ (٤) قدامه: طبعة ده غوى، ص ٢٢٨ (٥) الطبرى، جـ ٣، ص ٥٢، ١٤٤٠، ٢٠٢٨، ٢٢٠٠ (٦) الإصطخرى: طبعة ده غوى، ص ١٣ وما بعدها، ص ٢٧، ٦٢ (٧) ابن حوقل، طبعة ده غوى، ص ١٧، ١٩، ٣٤، ١١٩ (٨) المقدسى: طبعة ده غوى، ص ٥٤، ١٥٤ وما بعدها (٩) ياقوت، جـ ١، ص ٤٧٧ وما بعدها (١٠) ابن شداد: أعلاق، سنت بطرسبرج، المتحف الآسيوى، رقم ١٦٢ ب فى أعلاها (١١) كمال الدين فى Rosen: *Notices sommaires*، ورقة ٦٤، *Rev de l' Orient. Latin*، جـ ١٥، ص ٢٢٣ (١٢) Ritter: *Erdkunde*، ١٠ (١٣) Chesney: *Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris*، لندن ١٨٥٠م (١٤) V Chapot: *La Frontière de l' Euphrate*، باريس ١٩٠٧ (١٥) G. le Strange: *Palestine under the Moslems*، لندن ١٨٩٠م، ص ٤١٧ (١٦) المؤلف نفسه: *The Lands of the Eastern Caliphate*، كمبردج ١٩٠٥، ص ١٠٧ (١٧) M. van Berchen-E. Herzfeld فى: *Sarra-Herzfeld*: *Archaeologische Reise im Euphrat-Und Tigrisgbiet*، برلين ١٩١٠ — ١٩١١م، الفصل الأول والثالث.

[هرزفلد Ernst Herzfeld]

« بالش » : وحدة نقدية عند المغل كانت مستعملة فى عهد جنكيزخان. ويظهر أنه بعد أن انقسمت دولة المغـــل إلى عدة ولايات مستقلة، بطل استعمال هذا اللفظ واقتصر تداوله على بلاد الصـــين حيث كان الأهالى هناك فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) يتخذون البالش

وحدة للعد . وقد جمع كاترمير Quatremère *Histoire des Mongols de la Perse par Rashid-al-Din* ، ص ٣٢٠ ومابعدها) المصادر الشرقيـــة المختلفة الخاصة بهذه العمـلة ، وإن كان من الصعب التوفيق بين ماجاء فى فقراتها المختلفـة . والذى يمكن إضافتـه إلى المعلومات التى ذكرها هـذا العالم مستقى أكثره من كتاب الجوزجانى المسمى « طبقات ناصرى » (ترجمة ده رافرتى de Raverty ص ١١٠) ويساوى البالش ، وفقا لما ورد فى هذا الـكتاب الأخير ، ستين درهماو ثلثا.وجاء فى كتاب «تأريخ وصّاف» (طبعة حجرية فى بمباى عام ١٢٦٩ = ١٨٥٣م ، ص ٢٢) أن البالش الذهب يزن خمسمائة مثقال أى ٢ ½ كيلو جرام ، ولهذا القول أهمية خاصة ، فهو يتفق وماجاء فى كتاب الجوينى . ويساوى البالش الذهب وفقا لما جاء فى كتاب وصاف ٢٠٠٠ دينار ، بينما يساوى البالش الفضى ٢٠٠ دينار والبالش الورق عشرة دنانير . وجاء فى موضع آخر من كتاب وصاف (ص ٥٠٦) عند حديثه عن سفارة عام ٦٩٧ — ٩٠٤ هـ (١٢٩٧ — ١٢٩٨ = ١٣٠٤—١٣٠٥) أن البالش الورق لا يساوى إلا ستة دنانير (انظر فيما يختص بهذه السفارة كتاب d'Ohsson : *Histoire des Mongols* جـ ٤ ، ص ٣٢٠ — ٣٢٣ ، Elliot : *History of India* ، جـ ٣ ، ص ٤٥ — ٤٦) .

ومن الواضح أن كلمة دينار لا يقصد بها العملة الذهبيـة المسماة بهذا الاسم وإنما يقصد بها العملة الفضية التى تزن ثلاثة مثاقيل أى ١٢,٧٥ جرام . وقد لاحظ رشيد الدين هذا الأمر أيضـا (انظر عن هذا الموضوع d. Ohsson : *Histoire des Mongols* جـ ٤ ، ص ٤٦٤) .

[بارتلد W. Barthold]

« **بالطه جى** » أى حامل « البلطة » اسم أطلق فى نظام البلاط العثمانى القديم على فرقة من حراس القصر تتألف من أربعمائة رجل يرأسهم القيزلر أغاسى.وهم يقومون بصفة خاصة بحراسة أمراء البيت المالك وأميراته فضلا عن حراستهم للحريم السلطانى ، ويضعون فوق رءوسهم قلنسوة من الصوف مدببـة الطرف فى لون الظباء يقال لها « كلاه » ويعسكرون فى إسكى سراى .

وأفراد هذه الفرقة يصحبون الحريم إبان الحرب ويسيرون إلى جانب العربات المقلة له ويضربون خيامهم حول أخبيته ؛ وسلاحهم هو « البلطة » ومن ثم جاء اسمهم .

أما قائدهم فيلقب بـ «بالطه جيلر كخياسى» وهو يحمل أوامر السلطان إلى الصدر الأعظم ويساعد الأئمة فى النزول من المنبر فى المولد النبوى .

والزلفلو بالطه جى عبارة عن فرقة قوامها مائة وعشرون رجلا يلحقون بخدمة أمناء القصر « خاص أوطه لى » ويأتمرون بأمر السلحدار أغا . وقلنسوتهم قمتها أقل ارتفاعا

من قلنسوة البالطه جى وتتميز عنها بشريطين من الصوف المنسوج يتدليان فوق خدودهم (زلف) ومن ثم كانت تسميتهم.

وإنا لنجد فى قباء باب سلورى بالقسطنطينية عصاة ضخمة كان يلوح بها فى الفضاء ولى بهلوان وهو من أفراد فرقة البالطه جى التى كانت تعسكر فى إسكى شهر ؟

المصـادر

(١) Mouradgea d' Ohsson: *Tableau général de l' empire ottoman*، ج ٢، ص ٢٦٣ ؛ (٢) Cl.Huart: *Helete*، ج ٧، ص٣٠ *Szemle*؛ ج ١، ١٩٠٠ م، ص ٩٥.

[Cl. Huart هيوار]

«بالطة ليمانى» : اسم جون على شاطئ البوسفور من الجانب الأوربى بين «بوياجى كوى» و «روم ايلى حصارى»، وسمى كذلك نسبة إلى «بالطه أوغلى سليمان بك» أول أمير للأسطول العثمانى وهو الذى عبأ عمارة بحرية كانت تتألف من ٤٢٠ سفينة ساهمت فى حصار القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ = ١٤٥٣م. وكان هذا الجزء من الشاطئ يسمى فى الزمن القديم «فيداليا» Phidalia . ومازال يرى فيه القصر القديم الذى كان يملكه رشيد باشا والذى وقعت فيه المعاهدة التجارية بين تركية وفرنسا سنة ١٨٣٨ م ومعاهدة الدول الخمس سنة ١٨٤١ م والاتفاق الخاص بامارات الدانوب سنة ١٨٤٩ م ؟

المصـــادر

(١) على جواد : جغرافيه لغاتى، ص١٥٠ (٢) Hammer-Purgstall: *Constantinopel und der Bosporus*، ج ٢، ص ٢٢٧ (٣) المؤلف نفسه : *Histoire de l'Empire Ottoman*، ص ٤٠١، ٥١٩ (٤) Emile Isambert: *Itinéraire de l'Orient* (Guide Jouane) الطبعة الثانية، سنة ١٨٧٣م، ص٥٩٥

[Cl. Huart هيوار]

«بالغ» : (انظر «بلوغ»)

«بالفروش» : (انظر بارفروش)

«بالق» أو باليق أو بالغ : كلمة تركية مغلية معناها مدينة. وهى تستعمل كثيرا فى الأسماء المركبة للبلدان مثل «بيش باليق» أى المدن الخمس وهى اليوم عبارة عن خرائب بالقرب من مدينة كوچان فى التركستان الصينية ، و «خان باليق» أى مدينة الخان وهو الاسم التركى المغلى الذى يطلق على بيكين، وقد استعمل هذا الاسم أيضا كثير من الرحالة الأوربيين فى العصور الوسطى . «وإيلى باليق» وهى على نهر إيلى وتعرف اليوم باسم ايليسكى كما تستعمل أيضا فى غير ذلك من البلدان.

وقد ذكر اسم مدينة «بيش باليق» فى نقوش أورخان التى يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الميلادى. ويستخلص من ذلك أن كلمة «باليق» بمعنى مدينة من أقدم الكلمات التركية وأن كلمة « باليق » بمعنى سمكة شائعة كذلك فى جميع اللهجات التركية .

[W. Barthold بارتلد]

«بالق بن صافون» : (انظر «عوج ابن عناق ») .

« بالَنپور » : دولة إسلامية بالهند تدخل الآن فى وكالة دول الهند الغربية . والمنطقة التى تضمها هذه الوكالة تشمل ما كان يعرف بـ « كاتهياوار » كما تشمل أيضا وكالتى كوتش Cutch وپالنپور . وقد دل إنشاء هذه الولاية فى أكتوبر من عام ١٩٢٤ على انتهاء سلطان حكومة بومباى السياسى وبدء الصلات المباشرة بحكومة الهند . وكانت وكالة پالنپور القديمة وحاضرتها پالنپور عبارة عن عدة دول فى كجرات (انظر هذه المادة) بين خط عرض ٢٣° ٢٥َ شمالا وخطى طول ٧١° ١٦َ و ٧١° ٤٦َ شرقا . ويحدها من الشمال الدولتان الراجبوتيتان أديپور وسروهى ومن الشرق وكالة « كاتها » ، ومن الجنوب دولة بروده وكاتهيـــاوار ومن الغرب « رَنّ » Rann وكوتش .

وغزا اللوهانيون دولة پالنپور حوالى نهاية القرن السادس عشر ، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالجالورى وإنا لنجد مختصرا لتاريخ هذه الدولة فى عهد أباطرة المغل فى Gazetteer of Bombay ، ج ٥ ، ص ٣١٨ — ٣٢٤ وفى كتاب « مرآت أحمدى » (Ethé ، رقم ٣٥٩٩، ورقة رقم ٧٤١) . ويرجع تاريخ العلاقات الإنجليزية بپالنپور إلى عام ١٨٠٩م عندما تدخل الإنجليز فى أمورها وكان من شأن هذا التدخل أن اتخذت التدبيرات المؤدية إلى دفع الجزية إلى كيكور بروده Aitchison ، ج ٦ ، ص ٨٩) . وقوى شأن الإنجليز بالمعاهدة التى أبرمت فى ٢٨ نوفبر من عام ١٨١٧ م (نفس المصدر ، ص ٩١) . وفى عام ١٨٤٨م ألغى تعيين مندوب من قبل الكيكور وظل الإنجليز يشرفون على شئون الدولة المالية حتى عام ١٨٧٤ ثم نيط ذلك بحاكم پالنپور .

ولا يزال اللوهانيون يحكمون پالنپور . ويبلغ عدد سكان هذه الدولة ٢٦٤١٧٩ نسمة يتكلم ٢٤٥٠٠٠ منهم اللغة الكجراتية . أما من جهة الدين فإن الهندوس يبلغون ٢٢٢٧١٤ نسمة والمسلمين ٢٨٦٩٠ والجاين ١٢٥٤٢ .

المصـــــادر

(١) C. U. Aitchison : *Treaties, Engagements and Sanads* ، المجلد السادس عام ١٩٠٩ (٢) *Census of India* ، المجلد العاشر : *The Western States Agency* ،

(٣) Gazetteer of the Bombay ١٩٣٣
Presidency، المجلد الخامس، عام ١٨٨٠ (٤)
Imperial Gazetteer of India، مادة بالنبور
(٥) على محمد خان: مرآت أحمدى، المكتب الهندى، فهرس Ethé، رقم ٣٥٩٧ — ٣٥٩٩
(٦) Selections from the Records of the Bombay Government، رقم ٢٥، ١٨٥٦

[كولن ديفيز C. Collin Davies]

«البالبار»: وتسمى باليونانية Βαλιαρεῖς، وباللاتينية Baliares وهو فى رأى الثقاة أصح من تسميتها Baleares، ويقال عادة، وإن كان هذا القول غير صحيح، إن اسمها مشتق من الكلمة اليونانية βάλλειν بمعنى ألقى. وذلك لأن سكانها القدماء كانوا مهرة فى الرشق بالمقلاع فاستخدموا لهذا فى جيش الرومان وفى حروب روما وقرطاجنة. والبالبار التى كان يطلق عليها باللاتينية أيضا اسم Gymnesiae insulae أى جزر الملعب لأن فرسانها كانوا عراة تقريبا، هى مجموعة من الجزر فى غرب البحر الأبيض المتوسط. وفى معنى أضيق يطلق اسم البالبار على الجزيرتين الرئيسيتين الكائنتين فى الشمال الشرقى وهما: جزيرة «ملورقه» Mallorca أى الجزيرة الكبيرة وقد سميت منذ عهد فروقفيوس Procope باسم مجووريكه أو مجوركه Majorica و Majorca. وجزيرة منوركه Menorca أى الجزيرة الصغرى وتكتب أيضا Minorica, Minorca. كما يشمل مدلول الاسم أيضا ثلاث جزر أصغر من هاتين هى: جزيرة «كبريرا» Cabrera وتكتب كذلك Capraria ومعناها جزيرة الماعز؛ وجزيرة «كنجيرا» Conejera وتكتب أيضا Cunicularia ومعناها جزيرة الأرانب، وكلتا الجزيرتين جنوبى جزيرة «ملورقه»، أما الجزيرة الثالثة فهى جزيرة «دراجونيرا» Dragonera (أو Triquadra) وهى موجودة فى الغرب.

ويطلق اسم البالبار بمعنى أوسع فيشمل أيضا مجموعة الجزر التى تسمى بتيوز Pityuses أو iles des pins أى جزر الصنوبر الكائنة فى الجنوب الغربى وهى: يابسة «Ibiza» (أو Ebusus وبالفينيقية אבשם)، و«فورمنترا» Formentera (Ophiusa). ويراد هذا المعنى الواسع عندما يتحدثون اليوم عن مقاطعة جزر البالبار Provincia de Islas Baleares أو عندما كانوا فى وقت مضى يتحدثون عن مملكة ملورقه Reino de Mallorca التى كان يحكمها فرع الأخ الأصغر من أسرة أرجون Aragon بين سنة ١٢٧٦م وسنة ١٣٤٣ م.

أما العرب فكانوا يسمون هذه الجزر جزائر شرق الأندلس أو الجزائر الشرقية. أما اسم جزائر البالبارة الذى ورد فى دائرة المعارف للبستانى ج ٤، ص ١٤٩ وفى قاموس الأعلام لسامى بك، ١٢١٨ م، وكذلك

اسم جزائر البالیار الذى ورد فى قاموس الجغرافیة القدیمة لأحمد زکى بك (بولاق ١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م ، ص ٣١) کل هذه الأسماء إنما هى أسماء حدیثة . والجزر الکبیرة یسمیها العرب میورقة أومیرقة ومنورقة أو منرقة وکثیرا ما کان یحدث اللبس بین هذه الأسماء ، وإبزة أو یابسة .

وخضعت جزر البالیار فى العصور القدیمة لحکم الفینیقیین ویونان رودس وأهل قرطاجنة ، ثم فتحها فى سنة ١٢٢ قبل المیلاد Q.Caecilius Metellus Baliaricus کیکلیوس متلوس بالیاریکوس وأنشأ فى جزیرة میورقه مدینتى بلما وبولنشیا Pollentia و Palma . أما مدینة ماجو Mago أو ماهون Mahon ومدینة جامو «Jamo» (Jamna أو Ciudadela) فى جزیرة منورقة فلیس من شك فى أنهما أنشئتا فى عهد قرطاجنة . وفى سنة ٤٦٥ م خضعت جزائر البالیار لحکم الفندال فى عهد جیسریش Geiserich . وفى سنة ٥٣٤ م ضمتها جیوش القائد بلزاریوس Bélisaire إلى أملاك الدولة الرومانیة الشرقیة . ولم تخضع البالیار مطلقا لحکم القوط الغربیین .

وفى سنة ٧٠٧ — ٧٠٨ م مربها عبد الله ابن موسى بن نصیر ابتغاء فتحها وتدمیرها (؟) . وفى سنة ٧٩٧ — ٧٩٨ م أغار علیها العرب مرة إثر أخرى ، ولکنها تخلصت من غاراتهم بفضل شرلمان سنة ٧٩٩ م . وبعد هذا بوقت قصیر أغار علیها العرب من جدید وکان یشد أزرهم فى هذا النورمان الذین انضموا إلیهم . ولکنها لم تخضع لحکم العرب بصفة مستمرة إلا بعد أن فتحها عصام الخولانى سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) وضمها إلى أملاك بنى أمیة فى الأندلس .

وفى سنة ٤٠٥ هـ = ١٠١٤ — ١٠١٥ م سقطت جزائر البالیار فى ید أبى الجیش مجاهد الموفق العامرى ملك الطوائف فى دانیة وکانت مملکته غربى جزائر البالیار وعلى الشاطئ المواجه لها . وخلف هذا الملك ابنه إقبال على الدولة وظل فى الحکم من سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ — ١٠٤٥ م) إلى سنة ٤٦٨ هـ (١٠٧٦ م) عندما خلعه حموه المقتدر من بنى هود ملك سرقسطة وضم دانیة إلى أملاکه . واستقلت البالیار فى عهد المرتضى عبد الله ٤٦٨ — ٤٨٦ هـ = ١٠٧٥ — ١٠٩٣ م ومباشر بن سلیمان ٤٨٤ — ٥٠٩ هـ = ١٠٩١ — ١١١٥ م وأبى ربیع سلیمان . وفى السنة التى تولى فیها هذا الملك الأخیر أى سنة ٥٠٩ هـ = ١١١٥ م فتح المرابطون جزر البالیار وظل یحکمها من قبلهم ابن أبى بکر إلى سنة ٥٢٠ هـ = ١١٣١ م ، ثم حکمها بنو غانیة وهم أمراء من المرابطین مستقلون من سنة ٥٢٥ هـ إلى سنة ٥٩٩ هـ = ١١٣١ — ١٢٠٢ م ، نذکر منهم محمداً بن على ابن غانیة الذى حکمها من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥٤٦ هـ = ١١٣١ — ١١٥١ م وابنه أبا إبراهیم إسحق بن محمد الذى حکمها من سنة ٥٤٦ إلى سنة ٥٨١ هـ = ١١٥١ — ١١٨٥ م .

وتعاقب على حكم جزائر الباليار حكام من الموحدين من سنة ٦٠١ إلى سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٠٤ — ١٢٢٩ م. وظلوا يحكمونها إلى أن فتحها نهائيا جاك Jacques أو جيم الأول Jaime ملك أرجون فى سنة ١٢٢٨ م والسنين التالية لها. ومن سنة ٦٣٠ إلى سنة ٦٨٥ [redacted] = ١٢٣٢ — ١٢٨٦ م ظل الحكيم أبو عثمان سعيد ابن الحكم القرشي واليا على منورقة من قبل ملك أرجون وكان يلقب بالمشارف Almojarife وكانت سلطته عليها بالاسم فقط وظلت كذلك إلى أن أجلى العرب جميعهم عنها. وأشهر أهل ميورقة هو المؤرخ الحميدى (انظر هذه المادة).

المصادر

(١) Alvaro Campaner y Fuertes : *Bosquejo hestorico de la dominacion islamita en las Islas Baleares* طبعة بالما سنة ١٨٨٨ (٢) المؤلف نفسه : *Numismatica Balaer* ، بالما سنة ١٨٧٩ (٣) Codera : *Decadencia y desaparicion de los Almoravides en Espana* سرقسطة سنة ١٨٩٩ (= ٣ *Collection des Estudios arabes*) ص ١٦٧ — ١٧٨ (٤) المؤلف نفسه : *Estudios criticos de Historia arabe espanola* ، سرقسطة سنة ١٩٠٣ = *Coleccion de Estudios arabes* المجلد السابع ص ٢٤٩ — ٣٠٠ ، وفيه نص كتاب Bosquejo الذى صنفه Campaner وتعليق عليه ([redacted]) Alfred Bel : *Les Benou Ghânya, derniers représenants* [redacted] *l'empire almoravide* طبعة باريس سنة ١٩٠٣ (٦) Luigi Salvadore d'A'ustria : *Voci di origine arabe nella lingua delle Baleàrii* (٧) Francisco Hernandez Sanz : *Compendio de geografia é historia de* [redacted] *isla de menorca* طبعة ماهون سنة ١٩٠٨

[زيبولد C. T. Seybold]

«باليكسرى» أو باليكسر: مدينة فى تركية آسية، وهى عاصمة سنجق قرەسى التابع لإقليم خداوندكار. ويبلغ عدد سكان هذه المدينة ١٣١١٨ نسمة، منهم ٩٨٧٥ مسلم و١٢٦٦ من الروم الأرثوذكس و١٩٤١ من الأرمن الكركوريين(١). وتقوم هذه المدينة على سفح يلان طاغ ويرويها مجرى دافق من الماء يجف فى الصيف. وعند ذلك يجلب الأهالى ما يحتاجونه من الماء من بتلاق.

وكانت باليكسرى العاصمة القديمة لأمراء قرسى، واستولى عليها عجلان زاده عام ٧٢٧ هـ (١٣٣٦ م) فى عهد السلطان أورخان. ويقام فى هذه المدينة سوق أسبوعى ومعرض فى كل عام. ويصنع بها القماش السميك المعروف باسم «عباء». وبهذه المدينة ٩١ مسجدا بعضها قديم العهد وبرج ساعة قديم كما أن بها رباطا للبيرامية وقبرا للشيخ لطف الله أحد أتباع

(١) كان هذا وقت كتابة هذا المقال.

هذه الطريقة مع بعض المنشئات الدينية الأخرى الخاصة به . ويضم القضاء الذى عاصمته باليكسرى خمس نواحي و٣٢٨ قرية ويبلغ عدد سكانه ٩٠٠٠٠ نسمة .

وأهم حاصلات هذا الإقليم : الأفيون والقطن والفاكهة والحبوب والشمام اللذيذ المعروف باسم « حسن بك » كما يشتهر بالعسل .

المصـــادر

(١) على جواد : جغرافيه لغاتى ، ص ١٥١

(٢) سالنامه ، عام ١٣٢٥ ، ص ٧٧٢ (٣) Turquie d'Asie : Cuinet ، ج ٤ ، ص ٢٦٢

[C. Huart هيوار]

« بالية » اسم كان يطلق إبان الجاهلية على الناقة أو الفرس أو الدابة من دواب الحمل التى تعقل عند قبر مقاتل أو شريف وتترك دون طعام أو شراب إلى أن تهلك .

ومنشأ هذه العادة هو الاعتقاد بأن الميت لا بد له من دابة تحمله عندما يبعث وإلا اضطر إلى السير على قدميه شأن السواد .

وتقول رواية أخرى إن البالية قد تكون بقرة أو نعجة أو ماعزة وإنها تذبح عند القبر .

وبالنظر إلى اختفاء هذا الاعتقاد فإنه يلوح لنا أن تقديم القربان إلى الميت أصبح المظهر البدائى للاعتقاد فى البعث .

المصـــادر

(١) G. W. Freytag : Einleitung in das Studium der arab Sprache ، ص ٣٦٨

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ وما بعدها (٣) Wellhausen : Reste arabischen Heidentums ، الطبعة الثانية ، ١٨٩٧ م ، ص ١٨٠ وما بعدها (٣) G. Jacob : Altarabisches Beduinenleben ، ص ١٤١ .

[J. Hell. هل]

« باليوس » : من الكلمة اللاتينية bajulus ومعناها وصى . وهى لقب ممثل جمهورية البندقية لدى الباب العالى . وحدث بعد أن استولى الترك على القسطنطينية أن قتل الوصى جيرولامو مينوتو Girolamo Minotto عند استيلاء الترك على غلطة . وقد دارت المفاوضات بعد ذلك بين الباب العالى وجمهورية البندقية لإعادة الصلات فيما بينهما وإرسال وصى جديد يكون له نفس حقوق وواجبات الوصى إبان الدولة الرومانية الشرقية . وكان بارتلميو مارسلو Bartolomeo Marcello أول ممثل أرسلته البندقية على هذا الأساس فى عام ١٤٥٤م . وكان يستبدل هذا الممثل السياسى مرة فى كل سنتين ، ولكن لما كان عليه أن يظل فى مركزه حتى يصل خلفه فإنه يظل فى الواقع فى منصبه ثلاث سنوات .

وجاء فى نصوص الامتيازات التى تجددت عند اعتلاء السلطان سليمان العرش

(٩٢٦هـ = ١٥٢٠م) أنه لا يجوز سجن هذا الوصى بسبب الدين. وكان من أعماله الحكم فى قضايا الميراث الخاصة بمواطنيه، كما كان يعطى التجار البنادقة الترخيص اللازم الذى لا يمكنهم بدونه التجوال فى أنحـاء الإمبراطورية العثمانية؟

المصـادر

(١) Belin : *Relations diplomatiques de Ventise* فى المجلة الآسيوية، المجموعة السابعة، جـ ٨، سنة ١٨٧٦، ص ٣٩٠ - ٤١٤ (٢) N. Jorga : *Geschichte des osmanischen Reiches* جـ ٢، ص ٣٦، ٤٥

[هيوار Cl. Huart]

« باميان » ووردت مُعرفة فى كثير من المؤلفات العربيـة : مدينة شمالى السلسلة الرئيسية لجبال هندوكش فى واد جبلى يرتفع عن سطح البحر بمقدار ٨٤٨٠ قدما، ويمر بها طريق من أهم الطرق التى تصل البلاد التى يرويها نهر جيحون بنهر السند. وهى لذلك مركز تجارى هام، وكانت أيضا قلعة حصينة فى القرون الوسطى

والباميان تلحق من الوجهة السياسـية بكابل وغزنة أكثر مما تلحق ببلاد نهر جيحون بالرغم من أن الوادى الذى هى فيه من وديان هذا النهر وأنه يفصلها عن كابل ممرات جبلية مرتفعة مثل ممرى خلم وكندز . وكان ممر «أق رباط» فى شماليها يفصل فى القرن التاسع عشر ناحية كابل عن كندز . وهو يفصل الآن كابلستان نفسها عن التركستان الأفغانية.

وفى القرن السابع الميلادى وصف الرحالة الصينى هيان جوانج Hüan Ci uang المدينة والوادى الذى هى فيه (*Mémoires sur les contrées occidentales*، ترجمها Stan - Julien، جـ ١، ص ٢٦ وما بعدها؛ *Histoire de la vie de Hiouen-Thsang* : ص ٢٨ وما بعدها) . وقد كتبت المدينة فى مؤلف ماركار باسم فانيذًا (Marquart : *Eranshahr*، ص ٢١٥ وما بعدها) . بينما يذهب ده جروت وشلجل G. Schlegel و de Groot إلى أنها كانت تنطق قديما « بأنجذًا » . ويقول ماركار إن اسمها فى لغـة إيران الوسطى القديمة هو « باميكان » . وفى هذا الوقت لم تكن الناحية تابعة لإقليم نهر جيحون بالرغم من أن الحروف الأبجدية واللغة نفسها إلى حد كبـير، ونظام الحكومة والسكة كانت جميعا واحـدة فى المدينة والإقليم.

وتتفق المصادر العربية القديمة والرحالة هيان جوانج فى أن أهلها كانوا يعتنقون الديانة البوذية التى كانت منتشرة انتشارا واسعا فى ذلك الوقت فى جميع البلاد شمالى وجنوبى هندوكش. وكان بها فى عهد هذا الرحالة عشرة معابد يقوم عليها أكثر من ألف راهب. والصنمان العظيمان اللذان نقرا فى الجبل شمال الوادى كانا موجودين أيام هيان

جوانج. وقد وصفهما العرب فقالوا إنه ليس لهما فى الدنيا نظير (انظر ياقوت،جـ١،ص٤٨١) والصنم الأكبر لرجل ، ويزعم الرحالة المتأخرون أن طوله ١٢٠ قدما أما الأصغر ويبعد عن الأول ٢٠٠ ياردة فيمثل امرأة. وعرف الصنمان فى القرون الوسطى باسم «سرخبد» و«خنكبد» أى الصنم الأحمر والصنم الأبيض. وقد شوهتهما قنابل المدافع فى العصور الحديثة ، ويقال إن ذلك حدث بأمر الإمبراطور الهندى أو رنك زيب. ومع كل فقد نسبت المدينة إليهما وأطلق عليها اسم «بت باميان» فى القرن التاسع عشر كما جاء فى رواية عبد الكريم البخارى (طبعة شفر ، ص ٤ وما بعدها) والرحالة الإنجليزى موركرفت Moorcroft (Himalayan Provinces ، جـ٢ ، ص ٣٨٧) . ولم يبق الآن من النقوش [1] التى ذكرها ياقوت إلا أثر ضئيل . وقد أورد برنز Burnes وغيره صورة للصنمين فى حالتهما الراهنة فى كتابه Travels into Bukhara (لندن ١٨٣٩ ، جـ ٢ ، ص ١٥٩)

وكان بباميان فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) معبد عظيم لبوذا به عدد من الأصنام أيضاً ، وفى عام ٢٥٦هـ(٨٧٠م) خرب يعقوب الصفارى هذا المعبد وجلبت الأصنام إلى بغداد فى ربيع الثانى من عام ٢٥٧ (٢٦ فبراير — ٢٦ مارس من عام ٨٧١ (انظر المقارنة التى عقدها بارتلد بين رواية الطبرى ، جـ ٣ ، ص ١٨٥١ ورواية الفهرست ص٣٤٦ فى Nöldeke-Festschrift : Oriental. Stud. جـ ١ ، ص ١٨٧)

والمدينة نفسها فوق جبل ، ويصفها الرحالة هيان چوانج والمقدسى (ص ٣٠٣) من بعده بأنها مدينة صغيرة ، ويذهب الإصطخرى (طبعة ده غوى ، ص ٢٨٠) إلى أنها نصف بلخ فى المساحة ، بينما يزعم اليعقوبى (طبعة ده غوى ، ص ٢٩٩) وياقوت أن بالباميان قلعة حصينة ومهما يكن الأمر فإن المدينة لم تكن محاطة بسور . وهناك باب بغزنة ، وهو الباب الشمالى فيما يظهر ، يعرف بباب باميان (المقدسى ، ص ٣٠٤) . وإذن فقد كانت باميان على شىء من الأهمية فى ذلك الوقت ، ولكن تجارتها لم تكن ناشطة بالقياس إلى ما كانت عليه فى العصور المتأخرة وشاهد ذلك البيان الذى أورده ابن خرداذبه (طبعة ده غوى ، ص ٣٧٢) عن الضرائب والمبلغ الضئيل المحصل بمقتضاها ، وهو يبلغ فى روايته خمسة آلاف درهم

ويلقب أمير الباميان بلقب «شير» — ويكتب «شار» أيضا — وقد زعم اليعقوبى خطأ أن معناه هو الأسد (ص ٢٨٩) ، وحقيقة الأمر أن معناه «الملك» ، وهو مشتق

(١) روى ياقوت أن بالمدينة (بيت ذاهب فى الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله على وجه الأرض يتناوبه الدعار)

من اللفظ الفـــارسى القديم « خشثريه » (Eranshahr : Marquart)

ويقول اليعقوبى فى مؤلفه «كتاب البلدان» إن أمراء الباميان اعتنقوا الإسلام إبان عهد العباسيين فى خلافة المنصور، بينما يزعم فى تاريخه (طبعـــة هوتسما ، ج ٢ ، ص ٤٧٩) أنهم اعتنقوه فى خلافة المهدى . والحق إن علاقات العباســـيين بالبلاد التى فى شمال هندوكش وجنوبه ليست واضحة تمام الوضوح . فاليعقوبى يقول إن الباميان كانت تابعة لطخارستان ، أى البلاد التى فى إقليم جيحون : وربما كانت رواية الطبرى (ج ٢ ، ص ١٦٣٠ ، س ١) بأن أعجميامن باميان حكم «خُتَّل» فى شمال نهر جيحون حوالى عام ١١٩هـ (٧٣٧ م) تؤيد ماذهب إليه اليعقوبى . ونجد الإصطخرى من جهة أخرى (ص ٢٧٧) يقول إنَّ عمل الباميان يضم البلاد التى فى جنوبى هندوكش بما فيها فروان وكابل وغزنة . وجاء فى وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ٧١٨ م ونشرت فى المصادر الصينية أن أمير الباميان وأمراء البلاد الممتدة إلى نهر السند كانوا من أتباع الأمير التركى « يبغو » الطخارستانى (E.Chavannes : *Documents* [illegible] *les Tou-kiue (Turcs) occidentaux*، سانت بطرسبرج، عام ١٩٠٣ م ، ص ٢٠١ و ٢٩١) .

وولى أعضاء أسرة الباميان ، شأن كثير من أمراء آسية الوسطى مناصب ذات خطر ببلاط بغداد فى أواخر عهد العباسيين . ويذكر لنا الطبرى (ج ٣ ، ص ١٣٣٥) أن أميرا من الباميان ولى على اليمن فى ربيع الثانى من عام ٢٢٩ (٢٨ ديسمبر ٨٤٣ — ٢٥ يناير ٨٤٤) .

ويظهر أن الأسر الوطنية قد تغلب عليها الغزنويون آخر الأمر . وشاهد ذلك أن فرعا من أسرة الغوريين حكم الباميان نصف قرن (٥٥٠–٦٠٩هـ=١١٤٤–١٢١٢–١٢١٣م) وكانت المدينة وقتئذ حاضرة مملكة تضم كل طخارستان وبعض النواحى فى شمالى نهر جيحون وتمتد شمالا بشرق حتى تصل إلى حدود كاشغر . ودخلت هذه المملكة شأن بلاد الغوريين الأخرى دولة محمد شاه الخوارزمى فى بداية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . ومنحت الباميان وغزنة وغيرهما إلى جلال الدين أكبر أولاد خوارزمشـاه (النسوى ، طبعـــة هوداس ، الأصل ص ٢٥ ، والترجمة ص ٤٤) . ومعنى ذلك أن الباميان انفصلت ثانيـة عن طخارستان وضمت إلى الأقاليم التى فى جنوبى هندوكش ، ثم خرب المغل المدينة بعيد ذلك عام ٦١٨هـ (١٢٢١م) وسقط «متكن» Mütügen حفيد جنكيزخان أثناء حصار المدينة . فأخذ هذا بثأر حفيده ودمر المدينـة تدميرا وأفنى أهلها . ومن ثم سميت «موبالق» أى المدينة المشؤومة ، ويروى رشيد الدين أنها سميت «موقورغان» أى القلعة المشؤومة . وكانت المدينـة مهجورة فى أيام الجوينى المؤرخ وبذلك تكون قد ظلت على هذه الحال أربعين عاما .

ومن الواضح أن المدينة التى بنيت فوق تل وخربها جنكيزخان هى عين الأطلال المعروفة الآن «كلكله». وهذه الأطلال فوق تل فى الجنوب وتواجه الصخرة التى نقر فيها الصنمان.

وباميان الحديثة على مسيرة بضعة أميال غربى أطلال المدينة القديمة وليس لها الآن شأن سياسى يذكر ويقتصر الرحالة المحدثون فى وصفها على أنها قرية كبيرة. وكانت باميان فى القرون القليلة الأخيرة تضم دائما إلى كابل وغزنة. وقد ألحقت شأن هذين البلدين بدولة المغل حتى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ثم ألحقت بعد ذلك بمملكة أفغانستان الحديثة النشأة. ويقول عبد الكريم البخارى (طبعة شفر، ص ٤ وما بعدها) إن مائة ألف روبية كانت تجبى سنويا من الباميان لحكام أفغانستان فى بداية القرن التاسع عشر. وذهب الرحالة الهندى «منشى موهان لال» إلى أن ما يحصل من الرسوم الجركية وحدها بلغ سبعين ألف روبية (*Journal of a Tour through the Pangab.*، ١٨٣٥ م، ص ٣٧). ويقول هذا الرحالة أيضا إن أهل الباميان يتكلمون لغتين، الفارسية والبشتو.

وسكان الوادى هم فى الغالب من جنس الـ «هزارة» ؟

المصـــادر

(١) الفقرات التى جمعها ماركوارت J. Marquart مما كتبه العرب والصينيون فى Eranshahr برلين ١٩٠١ م، انظر الفهرس (٢) Le Strange: *The Lands of the Eastern caliphate*، كمبردج عام ١٩٠٥؛ ص ٤١٨ ويجب ألا يؤخذ ما ورد فى هذا الكتاب على عواهنه، لأن ما رواه المقدسى، ص ٣٠٣ وما بعدها عن غزنة طبق خطأ على الباميان (٣) أما عن تاريخ الغوريين فى باميان فانظر: طبقات ناصرى، طبعة Nassau Lees، ص ١٠١ وما بعدها، والترجمة التى قام بها Raverty، ص ٤٢١ وما بعدها

أما فيما يختص بفتح المغل للمدينة فانظر (١) الجوينى: تاريخ جهان كشاى فى مؤلف Schefer: *Chrestomathie Persane*، ص ١٤٢ وما بعدها (٢) رشيد الدين: جامع التواريخ فى Berezin: *Trudi. vost. otd, Imp. Russk. Archeol Obshch.*، جـ ١٥ من النص، ص ١١٦ (٢) d'Ohsson: *Historee des Mongols*، جـ ١، ص ٢٩٤ وما بعدها (٣) Minaiew: *Sviedieniya stranach po vierchovyam Amu-Daryi*، سانت بطرسبرج، عام ١٨٧٩؛ انظر الفهرس. وقد جمع المؤلف فى هذا الكتاب ملاحظات الرحالة المحدثين

[بارتلد W. Barthold]

«بأن» (كلمة موجودة فى اللغتين العربية والفارسية، وهى مأخوذة من الكلمة الهندية بهن Behen): يذكر أبو حنيفة وديسقوريدس

Discoride أن شجرة البان تشــــبه شجرة الكشت أى التمرهندى الشرق، فهى شجرة عالية باسقة، خشبها لين وأفرعها خضراء مرنة. وجاء فى كتب القدماء أن هذه الشجرة كانت منتشرة بصفة خاصة فى بلاد العرب السعيدة. وهى اليوم عين الشـــجرة المعروفة باسم Moringa aptera كما ذكر سكنبرج Sickenberg. ومنطقة هذا النوع من الشجر تمتد من مصر العليا حتى بلاد الهند. ويستخرج من بذور هذه الشجرة أحسن أنواع الزيوت النباتية، وكانت هذه البذور مشهورة فى الأزمان القديمة، وكانت معروفة عند الرومان باسم glans unguentaria وعند الروم باسم βάλανος μυρεψική كما جاء فى كتاب ديسقوريدس. أما ثمر هذه الشجرة فأخضر اللون فاتحه على شكل الفولة، ويسميه العرب «حب البان» أو «جوز البان» أو «فستق البان»».

وجرت العادة بأن تدق بذور هذا الشجر فى هاون ثم تنخل وتعصر. وكان العرب فى العصور الوسطى يستخدمون الزيت المتحصل من هذه البذور فى الطب علاجا ناجعا لشفاء كثير من الأمراض الجلدية مثل القروح والبرص. وإذا أخذ مثقال (٦ جرامات) من بذور هذا الشجر وخلط بماء العسل فانها تكون مسهلا ومقيئا. وإذا خلط زيت هذه البذور بالماء والخل فانه يشفى أمراض القلب التى تعترى الخيل مثل مرض القلاب. وإلى جانب هذه الوصفات الطبية فان زيت البان يستعمل بصفة خاصـــة فى ترطيب الشعر (كوزمانيك)؟

المصـــادر

(١) موفق، طبعة Seligmann، ج ١، ص ٤٤ (٢) Achundow فى *Hist. Stud. aus d. pharmakol. Inst zu Dorpat* ج ٣، ص ١٦٥، ٣٤٩ (٣) ابن البيطار، طبعة لكليرك Leclerc، رقم ٢٢٦، ٩٣٢ (٤) ابن العوام، ترجمة Clément-Mullet، ج ٢، القسم الثانى، ص ١٤٥.

[هل J. Hell]

«باندا»: اسم مدينة وناحية فى «بندل خاند» بالولايات المتحدة بالهند. وتبلغ مساحة الناحية ٣٠٦٠ ميلا مربعا أو ٧٩٢٥ كيلومترا مربعا، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء سنة ١٩٠١: ٦٣١٠٥٨ نسمة سدسهم مسلمون. أما المدينة فهى على نهر «كن» ويبلغ عدد سكانها ٢٢٥٦٥ نسمة. وفى بداية القرن التاسع عشر كانت «باندا» مقر «شمشير بهادر» حفيد «مرهته باجى راس» من زوجة مسلمة. وقد غادر هذه المدينة آخر حكامها (النواب) على أثر الفتنـــة التى نشبت سنة ١٨٥٧ م. وأجرت الحكومة البريطانية لأسرته معاشا فى الوقت الحاضر؟

المصــادر

(١) *District Gazetteer of* [illegible] *United Provinces* ، [illegible] ٢١ ، طبعة الله آباد سنة ١٩٠٩

[كوتون J. S. Cotton]

« بانكيبور » : الضاحية الغربية لمدينة « پتنه » على الشاطئ الأيمن لنهر الكنج وهى على خط عرض ٣٧َ ٢٥° شمالا وخط طول ٨َ ٨٥° شرق جرينوتش . والمكتبة العامة الموجودة فى هذه الضاحية فيها أحسن المجموعات من المخطوطات العربية والفارسية التى توجد فى الهند ويبلغ عددها نحو ٦٠٠٠ مخطوط . وهذه المكتبة أنشأها مولوى محمد بخش خان المتوفى سنة ١٨٧٦ م ، وكان شديد الميل إلى جمع المخطوطات النادرة .

المصــادر

(١) فهرست المخطوطات العربية والفارسية الموجودة بمكتبة بانكيپور الشرقية : *Catalogue of the Arabic and Persian manuscripts in the Oriental Public Library of Bankipore* طبعة كلكتة ، سنة ١٩٠٨ م وما بعدها .

« بانو » : اسم مدينة وناحية فى مقاطعة الحدود شمال غربى الهند ، وتبلغ مساحتها ١٦٧٠ ميلا مربعا أو ٤٣٢٥ كيلومترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء سنة ١٨٠١م ٢٢٦,٧٧٦ نسمة ٩٠ ٪ منهم تقريبا مسلمون . وهذه الناحية عبارة عن حوض يرويه نهرا كرّم وتوچى ويحيط به الجبال من كل ناحية . وأكثر من نصف عدد سكانها من البطهان الذين يتكلمون لغة البشتو . وأهم القبائل فيها هى : قبيلة المروات والبنوچى والوزير . وتنتج هذه الناحية الحنطة والحمص والأذرة . وتروى الحقول بقنوات صغيرة .

ومنذ الاحتلال البريطانى سادت السكينة هذه الربوع ولم يعكر صفوها إلا فتن صغيرة نشبت على الحدود .

ومدينة بانو كانت تسمى من قبل إدواردز آباد وقد أنشأها فى سنة ١٨٤٨م السير هربرت إدواردز . وكان عدد سكانها فى سنة ١٩٠١ م بما فى ذلك عدد حاميتها ١٤٢٩١ نسمة وهى مركز بعثة طبيـــة هامة تشتغل بين قبائل الحدود ؟

المصــادر

(١) S.S. Thorburn : *Bannu or our Afghan Frontier* سنة ١٨٧٦ (٢) *Bannu Gazetteer* ، بشاور سنة ١٩٠٧ (٣) T. L. Pennell : *Among the Wild Tribes of the Afghan Frontier* .

[كوتون S. S.Cotton]

« بانياس » وهى بانيس Paneas القديمة ، وقد اشتق اسمها من پانيون Paneion وهى

مغـارة خاصة بالإله بان Pan على المنبع الأصلى لنهر الأردن على سفح هرمون Hermon وسميت بعد ذلك قيصـــارية فلبى Caesara Philippi ولـكن غلب عليها — كما هو العادة — الاسم القديم. وذكرت المغارة والمدينة وما جاورهما باسم بانياس لأول مرة فى عهد الإغريق. ولـكن ربما كان لهذا الموضع اسم آخر فى كتب العهد القديم. وقد شيد هيرود الأكبر معبداً جميلا لأوغسطس فى جوار المغارة، وزاد ابنه فيليب فى مساحة المدينة ونظمها وأطلق عليها قيصارية Caesarea تعظيماً لذكرى أوغسطس. وكان بها فى القرن الخامس عشر أسقفية. أما فى العهد الإسلامى فقد سكن مدينة بانياس بنو قيس ويقول اليعقوبى إنها كانت قصبـة جولان، ويضم إليها المقدسى المدينة التى فى الغور على الحدود بين حُولة والجبال فى إقليم دمشق ويصفها بأنها مدينة كثيرة الخيرات وأنها بمثابة سوق لدمشق وأن سكانها فى أيامه أخذوا فى الزيادة لأن أهل التخوم رحلوا إليها بعد فتح طرسوس عام ٩٦٣ م. وفى عام ١١٢٦م كانت هذه المدينة إحدى مراكز الإسماعيليـة عندما سلبها الأتابك طغتكين صاحب دمشق إلى بهرام. وكانت بانياس وقلعة الصُبيْبة المرتفعة القائمة على صخرة فى عهد الصليبيين مركزاً للوقائع والحروب. وفى عام ١١٣٠ م سلبها الإسماعيليـــة إلى الفرنجة الذين أقطعوها للفارس رنييه بروس Renier Brus. ولـكن سرعان ما استعادها شمس الملوك أتابك دمشق عام ١١٣٢ م ثم سلمت إلى زنكى، ولـكن الفرنجة اتحدوا مع الدمشقيين واستعادوها وأقطعوها مرة أخرى إلى بروس وأصبحت مقر أسقفية للمرة الثانية. وبعد محاولة فاشلة غزا نور الدين المدينة عام ١١٥٧ م ولـكنه لم يستطع الاستيلاء على قلعة الصبيـة من أيدى الصليبيين، بيد أنه أرغم على تسليمها عند اقتراب بلدوين الثالث مع جيشه. وفى عام ١١٦٤م تمكن نور الدين من احتلال المدينة والقلعة. ومنذ ذلك الحين ذهبت جميع محاولات الفرنجة أدراج الرياح (مثل محاولتهم عام ١١٧٤م). ووهب صلاح الدين بانياس لابنه الأفضل. ثم استولى عليها بعد ذلك المعظم (١٢١٨ — ١٢٢٧ م) الذى أقطعها لأخيه العزيز عثمان. فلما توفى العزيز أصبحت من نصيب ابنه السعيد. وأعاد عثمان والسعيد الحصون التى خربها المعظم كما يتضح ذلك من النقوش التى لا تزال باقية إلى الآن. وبعد ذلك بزمن خرب المغل قلعة الصبيبة إلا أن بيبرس أعاد بناءها عند فتحه لمدينة بانياس عام ١٢٦٠ م.

ويصف الدمشقى مـدينة بانياس حوالى عام ١٣٠٠ م بأنها مدينة قديمة حصينة ويذكر — كما فعل أبو الفدا — قلعة الصبيبة المجاورة لها. وفى القرن الخامس عشر الميلادى قال الظاهرى إنها مدينة جميلة ولم ينس أن يذكر الأرز الذى يزرع فيها ويصدر منها. ويستدل من الآثار الباقية فيها على ما بناه الفرنجة

وما أضافه العرب

وهناك مدينة تعرف باسم بانياس أيضا على الشاطئ الشامى شمالى طرابلس ، وهى مدينة بالانيه Balanaea القديمة التى حرف العرب اسمها إلى بلنياس Bulunia[illegible] ثم إلى بانياس كما ورد فى ابن الأثير (جـ ١٠ ، ص ٣٣٤)

المصـــادر

(١) Robinson : *Palästina* ، جـ٣، ص٦٢٦—٦٣٠ (٢) المؤلف نفسه : *Neuere biblische Forschungen* ، ص ٥١٩ — ٥٣٨ (٣) Guérin : *Galilée* جـ ٢ ، ص ٣١٦ وما بعدها (٤) *Palestine Exploration Fund* ، *Memoirs* ، جـ ١ ، ص ١٠٩ وما بعدها (٥) Max V Berchem : *Le chateau de Bâniâs et* [illegible] *inscriptions* فى المجلة الآسيوية ، جـ ١٢ ، ١٨٨٨م ، ص ٤٤٠ وما بعدها (٦) اليعقوبى : المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، جـ ٧ ، ص٣٢٦ (٧) المقدسى ، المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٣ ، ص ٥٤ ، ص١٥٤ ، ص ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٩٠ وما بعدها (٨) الدمشقى : طبعة مهرن ، ص ٢٠٠ (٩) أبو الفدا : طبعة رنو وده سلان ، ص ٢٤٩ (١٠) R.Hartmann : *Die Geogr. Nachrichten in Khalil Al-zahiris Zubda* ، ص٥٥ (١١) ابن الأثير : طبعة تورنبرج جـ ٥ ، ص ٤٤٥ ، ٤٦١ ، ٤٨١ وما بعدها ، جـ ١١ ، ص ٣٦ ، ٤٩ ، ٢٠١ ، ٢٦٩ ، جـ ١٢ ، ص ٦٣ (١٢) المقريزى : السلوك ، ترجمة كاترمير Quatremère ، جـ ١ ، ص ١٤١ .

فيما يتعلق بمدينة « بلنياس » انظر « أبو الفداء » ص ٢٥٥ و « الدمشق » ، ص ٢٠٩ ، والمجلد السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ص ٣٢٥ وياقوت ، معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ ، ص ٧٢٩ .

[بول Fr. Buhl]

« بانيبت » مدينة وتحصيل فى إقليم كَرنال بالبنجاب (انظر هذه المادة) وقد تحدد فى ثلاث مناسبات مختلفة مصير بلاد الهند فى سهل بانيبت : الأولى فى عام ١٥٢٦ وذلك عند ما هزم بابر (انظر هذه المادة) التركى البرلاسى إبراهيمَ لودى ، والثانية فى عام ١٥٥٦ عند ما قضى أكبر (انظر هذه المادة) على قوات هيمو ، أما آخر مرة فكانت فى عام ١٧٦١ وذلك عند ما قضى أحمد شمس درانى (انظر هذه المادة) على المرهتـــة . والعوامل الرئيسية التى سببت هذه الحوادث ترجع إلى موقع هذا الإقليم الجغرافى مضافاً إليه انحـــلال الأمور فى الداخل وضعف وسائل الدفاع على الحدود . ونجد أن طريق الغزاة من ناحية الأفغان يمر بممرات خيبر وكرّم وتوچى وكومال إلى سهول البنجاب وهذه الممرات أضعف الجهات مقاومة . ولم يكن نهر السند يوما ما حائلا دون التقدم نحو هذا الإقليم . ولما كانت صحراء راجبو تانا تحمى هذا الإقليم من ناحية الجنوب فقد

اضطرت الجيوش المغيرة أن تنفذ إلى وديان نهر الكنج وجمنة عن طريق الممر الضيق بين الحد الشمالى الشرقى للصحراء وسفح جبال هملايا

وكان الرأى السائد لعهد طويل ، أن انتصار بابر على إبراهيم لودى فىعام ١٥٢٦ يعزى إلى اعتماده الكبير على فرق المدفعية . ومصدر هذا الخطأ الترجمة غير المضبوطة لكلمة « عربة » . فإن بابر قداستخدم حقيقة سبعمائة عربة ولكن من الخطأ أن نعتبرها عربات لجر المدافع لأن الكلمة لا تدل إلا على معنى العربة لا غير . وليس هناك من النصوص أو الشواهد ما يدل على أنه كان لبابر مثل هذا العدد الكبير من المدافع بحيث يحتاج إلى سبعمائة عربة لنقلها . والذى نستدل عليه من سيرة بابر التى كتبها بنفسه أنه كان يملك مدفعين فقط ، وأن بابر نفسه يجعل هذا الانتصار راجعا إلى رماة النبال . وتعود أهمية الحرب الأولى التى حدثت فى بانيبت إلى أنها حددت مصير أسرة لودى . وأعظم من ذلك تلك المقاومة التى بدت من جانب الراجبوتيين عند قهانوه فى العام التالى

وللحرب الثانية التى حدثت فى بانيبت عام ١٥٥٦ والتى هزم فيها أكبر هيمو أهمية كبرى فى تاريخ الهند ، لأنه لم تكن هناك إمبراطورية مغلية قبل عهد أكبر ، ولكن كانت هناك محاولات لإنشاء هذه الإمبراطورية. وبعد أن هزم أحمد شمس درانى المرهته فى عام ١٧٦١ لم يحاول تثبيت مركزه فى بلاد الهند بل رجع إلى أفغانستان . ولم تكن هزيمة المرهته فى تلك الموقعة إلا شيئاً مؤقتا لأنهم سرعان ما استعادوا قوتهم وأصبحوا مرة أخرى فى عام ١٧٧١ خطرا يهدد السلام فى الهند . وترجع أهمية هذه الحرب إلى أنها سهلت تضخم النفوذ البريطانى فى تلك الجهات

المصـــادر

(١) A.S. Beveridge : بابرنامه ، ج ٢ ، عام ١٩٢١ (٢) H. Beveridge : أكبرنامه ج ٢، ص ٥٨ وما بعدها (٣) على محمد خان : مرآة أحمدى (*Ethé* ، رقم ٣٥٩٨ ، ورقة رقم ٨٣ه وما بعدها) (٤) نجارنامه هند ، *Orme* عام ١٨٩٦ ، انظر كذلك *Asiatic Researches* ج ٣ ؛ Elliot and Dowson ج ٨، ص ٢٩٦ — ٣٠٢ (٥) *Selections from the Peshwa's Daftar, Letters and Dispatches relating to the Battle of Panipat 1747—1761* طبعة عام ١٩٣٠ .

[C Collin Davis كولن دافيز]

« باهله » : يطلق على قبيـــلة معن فى شمال الجزيرة العربية عادة « بنى باهلة » نسبة إلى « باهلة » بنت صعب التى بنى بها ابن زوجها « معن » . وكانت مراعيهم فى القديم جنوبى اليمامة ، ويقال إنهم ظلوا هناك إلى

القرنين الرابع والخامس الميـــلاديين . ثم نجدهم بعد ذلك يحتلون بئر الحفير على مسيرة أربعة أميال من البصرة ، وهذا البئر على جانب من الأهمية لوقوعه فى طريق الحجاج .

وكانت قبيلة باهلة سيئة السمعة حتى أن النسبة إليها وهى « باهلى » تعتبر من ألفاظ الهجاء ؟

المصـــادر

(١) F. Wüstenfeld : *Register den Genealogischen Tabellen* ، ص ١٠٤ . (٢) O. Blau : *Die Wanderungen der sabaischen Stammē* فى *Zeitschr. Deutschen. Morgenl Gesell.* ، ج ٢٢ ، ص ٦٧٠ (٣) O. Blau : *Arabien in sechsten Jahrhundert* ib ج ٢٣ ، ص ٥٨٤ (٤) I. Goldziher *Muhammedanische Studien* ، ج ١ ، ٤٩ (٥) ديوان الفرزدق ، طبعة Boucher-Hell رقم ١٣٢ ، ١٣٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٤٧٦ ، ٦٣٢

[هل J. Hell]

« الباهلى » الحسين بن الضحاك الأشقر ، مولى باهله : شاعر عربى يطلق عليه غالبا اسم « الحسين الخليع » بسبب مسلكه الماجن . ويذكر الخطيب البغدادى أن الباهلى ، وهو من أهل خراسان ، ولد عام ١٦٢ هـ (٧٧٨ — ٧٧٩ م) . وذهب الباهلى بعد ذلك إلى بغداد وأصبح فى عام ١٩٨ هـ (٨١٧ م) أحد المقربين إلى الخليفة الخليع الأمين . وبعد ذلك بقليل توفى الأمين ، فكتب الباهلى مرثية بمناسبة ذلك الحادث المحزن . وقد ظل الباهلى بعد هذا موضع تقدير كبير فى بلاط الخليفـــة الجديد إلى أن توفى فى عام ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) بعد أن بلغ من العمر عتيا

وقد تحدث كتاب سيرته كثيرا عن العلاقة التى كانت بينه وبين أبى نواس ؟

المصـــادر

(١) كتاب الأغانى ، ج ٦ ، ص ١٧٠ وما بعدها (٢) ابن خلكان ، طبعة فستنفلد ، رقم ١٩٠ (٣) الطبرى ، طبعة ده غوى ، ج ٣ ، ص ٨٦٩ وما بعدها

« الباهلى » : أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلى : من علماء العرب فى اللغة والأدب ، كان من تلاميذ الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ، وعلى هذا فهو من مدرسة البصرة . عاش أولا فى بغـــداد ثم انتقل منها إلى إصفهـــان ثم استقر آخر الأمر ببغداد وتوفى هنـاك سنة ٢٣١ هـ (٨٥٥ م) . وقد سار فى تصانيفه بصفة عامة على نهج من تقدمه وكتب مثلهم كتابا فى الشجر والنبات والجمال والحبوب والنخيل والخيل والطير والجراد . وعالج فى مصنفاته الكلام عن الكتابة فى الشعر واشتقاق أسماء الأعلام وأخطاء اللسان عند العامة . ولا شك أنه

لو وصلت إلينا مصنفاته لأفدنا منها ووجدنا فيها ملاحظات قيمة ولكنها ضاعت ؟

المصـــادر

(١) G. Flügel : *Die grammatischen Schulen der Araber*، طبعة ليبسيك سنة ١٨٦٢ ص ٨١ (٢) كتاب الفهرست طبعة فلوجل ، جـ ١ ، ص ٥٦ (٣) *Zeitschrift der Deutschen Morgenl Gesellsch.* ، جـ ١٢ ، ص ٥٩٥

[هل J. Hell]

«باهنك» : (أنظر شـــبه جزيرة «الملايو»)

« باورد » أو أبيورد (انظر هذه المادة) مدينة وإقليم على المنحدرات الشمالية لجبال خراسان فى مكان تابع الآن لجمهورية التركمان المستقلة التى تكون جزءا من الولايات الروسية السوفيتية المتحدة . وإقليم الواحات هذا بأجمعه بما فيه نسا (انظر هذه المادة) وباورد وغيرهما ، والذى يعرف بالتركية باسم «أتك» أى سفوح التلال كانت له أهميـة كبرى فى الأزمنـة القديمة إذ كان بمثابة خط الدفاع الأول الذى يحمى خراسان من هجمات القبائل الرحل .

وكان هذا الإقليم فى عهد الأشكانيين فى المملكة التى توارثتها هذه الأسرة Arsacid . ويقول ازيدور الخركسى (الفصل ١٣) فى بداية العهـــد المسيحى إن إقليم Απαυαρκτιμηνή بما فيه مدينة 'Απαυαρκτική يقع بين ناحية Παρθυηνή بما فيها مدينة نسا (انظر هذه المادة) ومدينة Μαργιανή التى عرفت فيما بعد باسم مرو (وقد ذكر Pliny جـ ٦ ، ٤٦ : Apaortene ؛ و Justin جـ ٤١ ، ص ٥ ، س ٢ إقليم Mons (z) apaortenon بما فيه مدينة دره المنيعة التى ابتناها أشك Arsak ، وربما كانت مدينـة دره هى عين مدينـة قلات . وظلت هذه المملكة فى عهد الساسانيين مقسمة إلى دويلات صغيرة . وقد أورد ابن خرداذبة (ص٣٩) أسماء ملوك سرخس (زادوية) ونسا (أبراز ؟) وأبيورد (بهمنة) وقد يكون اسم هذا الملك الأخير له صلة باسم مدينة مهنه Mahana أو ميهنة فى إقليم خاوران الواقع إلى الشرق من ابيورد .

وفى عهد المأمون ابتنى عبد الله بن طاهر رباط كوفن وهو على مسيرة ستة فراسخ إلى الغرب بين أبيورد .

وقد احتل الترك الخلج هذا الإقليم ومن المحتمل أن يكون ذلك قبل هجرة الغز (انظر مادة غز) الكبرى (انظر كتاب محمد بن نجيب بكران : جهاننا ، كتب فى عام ١٢٠٠) . واحتل هذا الإقليم بعد الترك الخلّج بعض القبائل التركمانية .

وسقطت أبيورد فى أيدى أمراء جون غربانى وهم من أصل مغلى وذلك خلال المدة التى بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر (انظر مادة طوس) . وفى عهد عباس الأول (انظر هذه المادة) كانت « أتك » خارج منطقة النفوذ الفارسى . وأصبحت أتك فى عهد

نادر (أنظر هذه المادة) ، وهو من أبناء هذا الإقليم ، المكان الذى بدأ منه مغامراته المشهورة . وكان نهر تزن (المعروف باسم هرى رود) فى ذلك الوقت يعتبر الحد الشرقى للأراضى الزراعية فى إبيورد (منتهاى معمورة سرحدات أبيوردات ؛ انظر كتاب تأريخ نادر فى حوادث عام ١١٤٢ هـ . وقد ورد فى هذا المصدر عينه بين الجهات التابعة لأبيورد : يكى قلعة بغوادا ، زغچند وغيرها) . وبعد انقضاء عهد نادر بسط خانات كلات (أنظر هذه المادة) شبه المستقلين نفوذهم فى هذا الاقليم حتى عام ١٨٨٥ ، إذ عينت الحدود بعد ذلك بين الروس والفرس فألحقت أتك وسكانها التركمان بالأراضى الروسية . وكان من نتائج عودة الأمن إلى بلاد خراسان الشمالية أن تمكن الفرس من النهوض بالزراعة فى المجارى العليا من الأنهار التى تجرى نحو أتك وكان من أثر ذلك أن تأخر الرى كثيرا فى هذا الإقليم الأخير .

العاديات :

تقع أطلال المدينة القديمة (كهنه أبيورد) على بعد خمسة أميال وربع إلى الغرب من محطة كهكه (قهقهه) على الخط الحديدى الذى يقطع منطقة بحر قزوين ، وهذه الأطلال فى مساحة قدرها ١٤٠٠٠ ياردة مربعة . ويبلغ ارتفاع التل الأوسط ٦٠ قدما كما يبلغ محيطه ٧٠٠ قدم . على بعد ميلين إلى الشمال الشرقى من كهنة أبيورد تل نمازكاه الصغير ، كما يقع إلى الشمال منه مكان بعض المدن القديمة يعلوه بوابة « بيش طاق » ويبلغ ارتفاعها ٤٥ قدما .

وهناك موضع آخر هام يسمى كهنه — قهقهه وهو حصن أعاد بناءه تيمور عام ٧٨٤ هـ = ١٣٨٢ م (ظفرنامه ، جـ ١ ، ص ٣٤٣) . والأقليم بأجمعه غنى بتلاله (قورغان) . على بعد ١٤ ميل إلى الجنوب من قهقهة أطلال خيوه — آباد وهى مدينة أسكن فيها نادر المسجونين الذين أطلق سراحهم بعد استيلائه على خيوه . وتقع على بعد ١١ ميلا إلى الجنوب الشرقى من محطة أرتق أطلال مدينة جغندر نسبة إلى ضريح ولى من أولياء الله يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر . ويرجع تاريخ كثير من هذه الأماكن إلى عهد الاشكانيين (يذكر ازيدور الخركسى مثلا مدينة Παγαῦ وغيرها) كما أن بعضها يرجع إلى ما قبل التاريخ. (أنظر Pumpelly : *Explorations in Turkestan* ، واشنجتن ١٩٠٥ ، معهد كارنيجى *Carnegie Institution* رقم ٢٦ ، حفريات أنو Anau) ؟

المصادر

(١) Tomaschek : *Zur histor. Topographie von Persien* ، جـ ١ ، فى *Sitzungsberichte der Ak. der wiss. in Wien* جـ ١٠٢ (٢) المؤلف نفسه فى Pauly-Wissowa:

Real. Enc. مادة Apauarktike ومادة Dara (٣) A. W. Komarov في Peterm. Mitt عام ١٨٨٩، ج ٧، ص ١٥٨ — ١٦٣ (٤) Barthold : Istoriko-geogr. ocherk Irana سانت بطرسبرج عام ١٩٠٣، ص ٦٠ — ٦٢ — ٧٠ (٥) المؤلف نفسه : Gibb في Turkestan، Memorial Series الفهرس (٦) المؤلف نفسه Kistorii oroshemiya Turkestana، سانت بطرسبرج ١٩١٤، ص ٤١ — ٤٣ (٧) A. A. Semenov وغيره : Drevnosti Abiverdskago rayona في Acta Universitatis Asiae Mediae، المجموعة الثانية، عدد ٣ Orientalia، طشقند ١٩٣١ (بعثة عام ١٩٢٨)

[مينورسكى V. Minorsky]

« باوند » : اسم أسرة إيرانية حكمت فى طبرستان من سنة ٤٥ ﻫ (٦٦٥م) إلى سنة ٧٥٠ ﻫ (١٣٤٩ م)؛ وجد هذه الأسرة هو باو بن سابور بن كيوس الذى عاصر خسرو برويز، وعينه خسرو فى منصب «إسپهبد» أو «سپاذ بتيه» أى رئيس الجيش. وأسرة باوند تشمل ثلاثة فروع : أولها يتألف من ١٣ أميرا حكموا من سنة ٤٥ ﻫ إلى سنة ٣٩٧ ﻫ (٦٦٥ — ١٠٠٦ م)؛ والثانى يتألف من ثمانية أمراء حكموا من سنة ٤٦٦ ﻫ إلى سنة ٦٠٦ ﻫ (١٠٧٣ — ١٢١٠م). وكان الثالث أيضا يتألف من ثمانية أمراء حكموا من سنة ٦٣٥ ﻫ إلى سنة ٧٥٠ ﻫ (١٢٣٧—١٣٤٩م)

المصـــادر

(١) تاريخ منجم باشى، المجلد الثانى، ص ٤٠١ وما بعدها (٢) Fr. Justi : Iranisches Namenbuch، ص٤٣١—٤٣٢ (٣) Edw. G. Browne : History of Tabaristan تاريخ طبرستان لمحمد بن الحسن بن اسفنديار نشر فى مجموعة جب التذكارية، المجلد الثانى، ص ١٨ وما بعدها.

[هيوار Cl. Huart]

« باونى » : الولاية الإسلامية الوحيدة فى بندلخند Bundekhand فى الهند الوسطى بين خطى عرض ٥٤َ — ٢٥° و١٠َ — ٢٦° شمالا وخطى طول ٤٥َ — ٧٩° ٢َ — ٨٠° شرقاً. وتبلغ مساحتها حوالى ١٢٢ ميلا مربعاً. وكان عدد سكانها عام ١٩٠١ : ١٩٫٧٨٠ نسمة منهم ٢٤١٥ مسلما فقط. وحاكمها من نسل عماد الملك غازى الدين حفيد آصف جاه الملقب بنظام الملك صاحب الدكن (١٧٢٠—١٧٤٨ م). وأقطعه بشوا المرهتى عام ١٧٨٤م اثنين وخمسين قرية (باون بالهندية ومنها أخذت الولاية اسمها).

وعمل نواب محمد حسين خان وابنه على إنقاذ حيـــاة الكثيرين من الأوروبيين معرضين أنفسهما للخطر أثناء ثورة ١٨٥٧م؟

المصـــــادر

(١) C. U. Aitchison : *Treaties, Engagements and Sanads relating to India* ، كلكته عام ١٩٠٩، جـ ٥، ص ٤١ وما بعدها
(٢) *Imperial Gazetteer of India* مادة باؤنى

« باى » : كلمة تركية ، أو إذا شئت الدقة صفة معناها غنى ، وقد ظهرت بهذا المعنى فى أقدم آثار اللغة التركية وهى كتابات أورخون. وقد تكون اسما بمعنى مالك الأرض أو العقار. أما فى آسية الوسطى فكثيراً ما كانت تضاف إلى أسماء الأعلام إشارة إلى أنهم من السراة لا من العامة . وأقدم النصوص التى ظهرت فيها بهذا المعنى قصة «محمود باى» وزير الأمير كورخان زعيم القره خطاى الواردة فى تاريخ «جهان كشاى» للجوينى (القرن السابع الهجرى = الثالث عشر الميلادى) (أنظر d. Ohsson : *Histoire des Mongols* ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ، W. Barthold : *Turkestan* جـ ١ ، النص ، ص ١١٣ ، جـ ٢ ، ص ٣٨٤ وما بعدها) .

[بارتلد W. Barthold]

« باويان » : قرية كردية تتألف من خمسة أو ستة أكواخ ، على مسيرة نصف ميل إنجليزى من قرية « جنَّص » التى تزيد عنها فى عدد السكان . وقرية « باويان » فى مقاطعة الكرد المازورية ، بين ناحية « توكر » فى جبل مقلو بالقرب من الموصل وناحية عمادية المشهورة بالنقوش السريانية التى توجد على الصخور الموجودة فى خانق «خازر» القريب منها . وهذه النقوش زارها لأول مرة «روويه» M. Rouet القنصل الفرنسى الذى خلف «ده بوتا» de Botta ، ثم زارها المستر روس Mr. Ross وهو تاجر إنجليزى فى الموصل وصديق للسير هنرى لايارد Sir Henry Layard ، ومستر روس هذا هو غير م . د . روس M. D. Ross المشهور ، وقد ذكر لنا لايارد نتائج زيارة روس فى كتابه المسمى (*Miniveh and its remains* ، الجزء الثانى ، ص ١٤٢) . وقد نقل هذه النقوش بعد ذلك «پلاس» V. Place الذى كشف « خُرْساباد » ، ثم السير هنرى لايارد . وتوفى المستر بل Mr. Bell أحد الذين كانوا يرافقون لا يارد فى تلك المنطقة سنة ١٨٥١ أثناء استحمامه . ولم يؤخذ صور فوتوغرافية لهذه النقوش بعد كما أنه لم تنقل صورة منها بضغط الورق عليها . والنقش الذى عمل فى عهد سنحريب (٧٠٥—٦٨١ ق م) يشتمل على « تاريخ بقيان » الذى يذكر أن سنحريب أحضر إلى موطنهم بعد ٤١٨ سنة صور آلهة مدينة « إيكلاتيه » التى أنشأها «مردُكنادنهيه» الأكادى (بابليون) فى عهد « تجلثپلزر الأول » وهذا النقش يشتمل على مسألة هامة فى التاريخ الآشورى ؟

المصـــــادر

(١) H. Layard: *Niniveh and its remains*، جـ ٢، ص١٤٢؛ (٢) المؤلف نفسه: *Niniveh and Babylon*، ص٢٠٧ وما بعدها (٣) V. Place: *Ninive et l' Assyrie* (٤) Pognon: *L'inscription de Bavian*، طبعة باريس سنة ١٨٧٩—١٨٨٠ (٥) O. Hoffmann: *Syrische Akten Persischer Märtyer*، أنظر الفهرس، مادة Bavian و Hinnis (٦) C. F. Lehmann-Haupt: *Zwei Haupt-probleme der alt. orient. Chronologie* سنة ١٨٧٨ (٧) P. Schnabel: *Studien zur babylon-assyr. Chronologie* نشرت فى *Mitteilungen der Vorderasiat Ges*، سنة ١٩٠٨، جـ ١.

[هرزفيلد E. Herzfeld]

« بايدو » : أمير مغلى (إيلخان) من أمراء فارس وهو حفيد الأمير هولاكو مؤسس دولة المغل . ولم يحكم هذا الأمير إلا شهورا قلائل.

وكان بايدو قد خلع الأمير كيخاتو وأعدمه خنقا فى يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة من سنة ٦٩٤هـ (٢١ أبريل من سنة ١٢٩٥). على أنه قتل هو نفسه فى يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة من السنة نفسها (٥ اكتوبر) بعد أن تغلب عليه غازان . كان بايدو صغير السن خامل الذكر وكان ابن عمه كيخاتو قد أهانه ، ومع هذا فقد دعاه كبار الدولة إلى تولى العرش . ولكى يبرروا خلع سلفه وقتله قالوا إن كيخاتو عاش عيشة لا تليق بمقام الجالس على العرش وإنه كثيرا ما خالف القانون الذى فرضه جنكيزخان ويسمى « ياسا » ، ولهذا فقد استحق الحرمان من الحقوق التى كان يستمتع بها . وكانت هذه هى نفس الأسباب التى أبداها بايدو ليبرر بها عصيانه عندما زحف فيما بعد الأمير غازان من خراسان وطلب تسليم قتلة عمه كيخاتو . وعقد اتفاق بين الخصمين أول الأمر ولكن الحرب نشبت بينهما فيما بعد ، وانتصر فيها غازان من غير سفك للدماء بفضل مقدرة قائد جيشه «نوروز» . وتفرق أصحاب بايدو وتخلوا عنه فقبض عليه أثناء فراره وسجن فى نقجوان بأرمينية . وتروى المصادر المسيحية والمصادر الإسلامية على السواء أنه أثناء حكمه القصير كان شديد الحدب على النصارى ورهبانهم ولهذا أسخط عليه المسلمين . (أنظر الفصل الذى كتبه عنه D'Ohsson فى كتابه *Histoire des Mongols*، جـ ٤، ص ١١٥ — ١١٦ ؟

[بارتلد W. Barthold]

« بايزيد » : مدينة فى آسية الصغرى وحاضرة سنجق فى مقاطعة أرزن الروم ، وهى فى سفح جبل أراراط على مسيرة ١٦٤

كيلومترا من أرزن الروم وتبعد ٢٦ كيلومترا من الحدود الفارسية . ويبلغ عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة تقريباً أغلبهم من الأرمن . وقد أنشأ هذه المدينة السلطان بايزيد الأول ليتخذ منها مركزا لكشف حركات تيمور ، وهى عبارة عن قلعة قديمة ترجع إلى ذلك العصر ، وفى داخلها مسجد جميل بناه بهلول باشا . وفى سنة ١٨٠٥م سجن فى هذه القلعة لمدة ستة أشهر «أميديه جوبير» Amédée Jaubert الذى كان قد أوفده نابليون فى مهمة سرية (أنظر : Voyage en Armenie ص ٢٩ وما بعدها) .

ومدينـــة بايزيد تشرف على الطريق الواصل إلى أذربيجان وقد استولى عليها الروس فى سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٧٧ ، وهاجر أهلها فى المرة الأولى إلى أريوان والكسندروبول (مدينة الاسكندر) فأصبحت المدينة خراباً بلقعاً .

وهذه المدينة حاضرة قضاء يشتمل على ١١٠ قرية منها ٧٨ تتبع المدينة التى تعتبر مركز الناحية . ويبلغ عدد سكان القضاء ٧٧٨٥ نسمة وهو مشهور بصناعة سجاد كردستان وبمراعيه الخصبة وبتربية الماشية

المصـــادر

(١) على جواد : جغرافيه لغاتى ، ص ١٥٣

(٢) سالنامه ، طبعة سنة ١٣٢٥ ، ص ٨٦٠

(٣) سامى بك : قاموس الأعلام ، جـ ٢ ، ص ١٣٣٤ (٤) V. Cuinet : *Turquie d'Asie*، جـ ١ ، ص ٢٢٨

[Cl. Huart. هيوار]

« بايزيد » : أنصارى پيرروشن وهو ابن الشيخ عبد الله من زوجته بنين ، ولد فى جالندهر فى البنجاب حوالى عام ١٥٢٥ م ، من أبوين أفغانيين ، ولما هزم بابر إبراهيم لودى وقضى على الدولة الأفغانية انتقلا إلى كانكورم فى الإقليم الجبلى القريب من قندهار . وبايزيد من نسل الولى سراج الدين أنصارى ، وظهر شغفه المبكر بالدين والتصوف ، ويقال إنه تمسك فى شبابه بقواعد الإسلام على مذهب أهل السنة ولكنه أخذ بمذهب وحدة الوجود تدريجاً حتى قال فى نهاية الأمر بأنه لا موجود غير الله ، وكان قليل الاهتمام بالسير على قواعد الشرع . وقد أعلن أنه الپير الكامل ووعد بالخلاص جميع الذين يؤمنون به . وقام بدعاية ناشطة كان لها أثر واضح عند الأفغان .

ويظهر من فقرة فى الـ « دبستان » (ص ٣٨٧) الذى ترجمه ليدن Leyden ترجمة غير موفقة أنه فى عام ٩٩٤ هـ (١٥٨٥ م) أرسل إلى أكبر خبر وفاة بايزيد ، ولكننا إذا أخذنا بما قاله نظام الدين أحمد (أنظر *Elliot - Dowson* ، جـ ٥ ، ص ٤٥٠) نرى أن بايزيد توفى فى عام ١٥٨١م أو قبله لأنه يقول فى حديثه عن السنة الواحدة والثلاثين من حكم أكبر إن بايزيد ذهب إلى جهنم وإن ابنه جلال الدين ، وكان فى الرابعة عشرة من

عمره مثل بين يدى أكبر فى عام ٩٨٩ هـ وكان جلال الدين هذا خامس أبناء بايزيد وخلفه فى دعوته ، ورحب به أكبر ولكنه سرعان ما هجر معسكره ، وأصبح زعيما من زعماء الدين ، ومعكراً للأمن حتى قتل بين عامى ١٦٠٠—١٦٠١م ، فخلفه ابن أخيه «أحداد» الذى قتل بدوره بين عامى ١٦٢٥—١٦٢٦ م ويقول «أخوند درويزه» إن بايزيد كان كافرا ومن قطاع الطرق وقد هزمه مرتين رجل يدعى محسن خان غازى الذى ربما كان خادماً لأخ غير شقيق لأكبر اسمه ميرزا محمد حكيم ، ولكننا يجب أن نأخذ قول اخوند بشىء من الاحتياط لأنه كان من المعارضين المتعصبين لتعاليم بايزيد الدينية وهو كذلك مصدر متأخر ، فقد صنف كتابه عام ١٠٢١ هـ (١٦١٢م) فاذا كان بايزيد قد ولد بعد عام ٩٠٠ هـ ببضع سنين — كما يقول — ما استطاع أن يتعرف إليه شخصيا . أما إذا أخذنا بما ورد فى الـ «دبستان» فإن بايزيد يكون قد اشتهر عام ٩٤٩ هـ (١٥٤٢) .

وقد خلف بايزيد كتابا ضمنه تعاليمه عنوانه «خال نامه» كما صنف أيضا «خير البيان» إلى غير ذلك من المؤلفات ، ولكن واحداً منها لم يصل إلينا . ونرى فيما أورده خصمه العظيم أخوند درويزه واسمه الحقيقى عبد الكريم ، أن أهم تعاليم بايزيد هى أن كل الموجودات مظاهر لله أعلاها البير أو الانبياء والمحك الوحيد للخير والشر فى طاعة البير وكل من يعصيه فى شرعته يقتل والقرآن والحديث لا يفسران بحروفهما وإنما يفسران تفسيرا صوفيا لا يصدر إلا عن البير الذى يعتبر لذلك مصدر كل معرفة سامية ؟

المصـــادر

(١) أخونددرويزه : مخزن الاسلام (فهرس إتيه *Ethé* للمخطوطات الفارسية فى المكتب الهندى ، رقم ٢٦٣٢—٢٦٣٨) (٢) دبستان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٠ ، طبعة كلكته (٣) مآثر الأمراء جـ ٢ ، ص ٢٤٢ (المكتبة الهندية) (٤) Leyden : *On the Roshenian Sect and its Founder Bayezi Ansari* ، *Asiatic Researches* ، جـ ١١ ، ص ٣٦٣ وما بعدها (٥) Graf Noer : *Kaiser Aklar* ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ وما بعدها . ويوجد بمكتبة المتحف البريطانى مخطوط (فهرس المخطوطات الشرقية بلغة اليشتو لريو ، جـ ١ ، ص ٢٨) ويظهر انه النسخة الفارسية لمصنف أخوند درويزه الذى وصفه ليدن Leyden ويعرف بـ «تذكرة الأبرار» وورد ذكر بايزيد فى هذا الكتاب فى صفحة ١١٤ وما بعدها

[H. Beveridge بفردج]

« **بايزيد الاول** » : (وهو النطق التركى للفظ العربى أبو يزيد) ويلقب باسم « يلدرم » أى البرق : سلطان العثمانيين وهو ابن مراد الأول خدواندكار وخلفه . تزوج من ابنة أمير كرميان Germiyan فقدمت مدينة كوتاهية صداقا لها كما قدمت ثلاث محلات أخرى ، وخلف أباه بايزيد على العرش بعد مقتله فى وقعة قوصوه عام ٧٩١هـ (١٣٧٩م) .

وقد أمر بايزيد بقتل أخيه الوحيد يعقوب لأنه خشى من تعلق الشعب به وأصبحت هذه الجريمة سنة جرى عليها سلاطين آل عثمان حتى عهد الإصلاح. وغزا بايزيد بلاد الصرب وأبرم مع الأمير إيتيِن Etienne ابن لازار Lazare محالفة كان من شروطها أن يخضع هذا الأمير لسلطان العثمانيين. وقد نصب بايزيد على عرش القسطنطينية يوحنا السابع أحد أبناء اندرونيقوس الرابع Andronicus محل الإمبراطور يوحنا باليولوج الخامس Paléologue ثم عزله بعد ذلك ونصب مكانه ابن هذا الأخير ويسمى مانويل الثانى وذلك عام ١٣٩٠. وغزا الجنود اليونانيون الذين أعدهم مانويل «الأشهر» (فيلادلفيا) التى أبى حاكمها التسليم. وقد خضع له أمير أيدين. وألحقت إمارات صاروخان ومنتشة بالإمبراطورية العثمانية. أما علاء الدين وهو من أسرة قرهمان، فقد تخلى عن آق شهر ونجده فى آق سراى عام ٧٩٣ هـ (١٣٩١م). وأرسل بايزيد عدة حملات خربت جزيرة خيوس chio وإيبيه Eubée وأتيكا، ثم حاصر القسطنطينية مدة سبعة أعوام وأسرع يوحنا باليولوج فى تحصينها، وقد تمكن مانويل من الدخول إلى القسطنطينية خفية.

وأخضع بايزيد أمير قرهمان الثائر وألحق مدن قونيه ولارنده بالدولة العثمانية. وفضل أهالى توقات وسيواس وقيصرية أن يسلموا بلادهم إلى بايزيد على أن يستولى عليها ابن القاضى برهان الدين عام ٧٩٥ هـ (١٣٩٢م) ولما فر كوتورم بايزيد أمير سنوب وهو من أسرة بنى اسفنديار، وقع جميع إقليم قستمونى فى أيدى بايزيد.

وانزعج سيجسموند Sigismond ملك المجر من ذلك التقدم الذى أحرزه بايزيد عند حدود أملاكه فأعلن عليه الحرب بعد أن استمال إليه ملوك أوربا ومن بينهم شارل السادس ملك فرنسا الذى أرسل إليه فرقة من الجند تحت إمرة الكونت نافار Comte de Nevers ولدوق برجونى Bourgogne الذى عرف بعد ذلك باسم «جان سان بر» Jean - Sans - Peur أى جان الذى لا يهاب وانضم إلى هذه الحلة كبير رهبان التيوتون وفردريك كونت هوهنزلرن وفيليبرت Philibert أمير نيياك naillac وكذلك كبير فرسان جزيرة رودس

وحاصر هؤلاء الحلفاء نيقية ولكنهم هزموا عند أسوارها فى عام ٧٩٨هـ (١٣٩٦م) وبعد هذا الانتصار أغار العثمانيون على سرميا Syrmie وستيريا Styrie والبوسنة، وزادت أملاكهم فى آسية باستيلائهم على كرغرى ودوريكى وبهسنى وملطية وكماخ، كما استولوا فى أوربا على يكى شهر وترحاله، ووصل العثمانيون فى غزواتهم إلى أثينا كما وصلوا إلى البلوبونيز.

وبينما كان بايزيد يجنى ثمار انتصاراته عند بروسه، إذ نجد تيمور يستولى على

أرزنجان وسيواس، فحول ذلك الأمر نظر بايزيد عن القسطنطينية وكان يفكر فى فتحها وذهب لملاقاة هذا المغير الجديد الذى انضم إليه الأمراء الذين جردهم العثمانيون من ممتلكاتهم . وأدى حصار تيمور لأنقرة إلى أن يذهب بايزيد حتى أسوار تلك المدينة ، وهناك نشبت الحرب بين الفريقين فى سهل جبوق آباد فى الشمال الشرقى من المدينة . وفى تلك الحرب انضمت الجنود الاحتياطية المجندة من ولايات صاروخان ، ومنتشه ، وكرميان القديمة إلى العدو إذ وجدوا أنفسهم بين سادتهم القدماء . أما الصربيون فقد حافظوا على ولائهم للعثمانيين . وحارب بايزيد إلى أن أرخى الليل سدوله تحيط به جنوده من الإنكشارية الذين قتل أكثرهم فى تلك الموقعة . ثم حاول الهرب ولكن جواده كبا به فوقع أسيرا فى يد العدو وذلك فى التاسع عشر من ذى الحجة عام ٨٠٤ هـ (٢٠ يوليه ١٤٠٢ م) . وعامل تيمور أسيره بالحسنى ولكن بايزيد حاول الفرار من أسره ، فلم يسع تيمور إلا تقييده أثناء الليل بالأغلال ووضعه أثناء السفر فى قفص يجره جوادان . وكلمة قفص هى التى أوجدت الاعتقاد بأن بايزيد سجن فى قفص من الحديد وقد أيد هذا عبارة غامضة لابن عربشاه كما أيدته كلمة Κουβουκλιου التى أوردها فرانتزيس Phrantzès فى كتابه (ج ١، ص ٢٦)

واصطحب تيمور بايزيد فى عودته إلى سمرقند بعد استيلائه على مدينة أزمير من فرسان جزيرة رودس . وتوفى بايزيد بداء النقرس فى مدينة آق شهر وذلك فى الرابع عشر من شعبان سنة ٨٠٥ هـ (٨ من مارس سنة ١٤٠٣ م) .

ودفنه فى بروسة ابنه موسى . وقضى بوفاته على الإمبراطورية العثمانية ولم تقم لها قائمة إلا بعد ذلك بعشرة أعوام وذلك بفضل همة السلطان محمد الأول ؟

المصادر

(١) Hammer-Purgstall : *Histoire* [redacted] *l'empire ottoman* ، ج ١ ، ص ٢٩٢ — ٣٥٦ ، ج ٢ ، ص ١ — ١٢٠

(٢) Jouannin et Van Gaver : *Turquie* ، ص ٣٨ — ٤٦

(٣) N. Jorga : *Geschichte* [redacted] *osmanischen Reiches* ، ج ١ ، ص ٢٦٦ — ٣٢٣

(٤) A. Müller [redacted] *Der* [redacted] *im Morgen und Abendland* ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ — ٣٠٨

(٥) سعد الدين : تاج التواريخ ، ج [redacted] ، ص ١٢٥ — ٢٠٨ .

[هيوار Cl. Huart]

« بايزيد الثانى » بن محمد الثانى : سلطان عثمانى كان واليا على أماسية عندما توفى أبوه . وقد توطد عرشه بفضل الفتنة التى قام بها الانكشارية فأحبطوا دسائس الصدر الأعظم « نشانى محمد » الذى كان يناصر أخاه الأصغر « جم » . وكافأهم بايزيد على ذلك عند اعتلائه

العرش فى ٢١ من ربيع الأول من عام ٨٨٦ﻫ (٢٠ من مايو من عام ١٤٨١م) ونفحهم بمنحة أضحت تقليدا جرى عليه خلفاؤه.

واستولى جم على بروسة، غير أنه هزم عند «ينيشهر» فى ٢٦ من ربيع الثانى (٢٠ من يونيه) ففر إلى قونية ثم إلى الشام فمصر. وأدى بعد ذلك فريضة الحج ثم حاول أن يجرب حظه من جديد فعاود الهجوم وتقدم من حلب إلى قونية ثم اتجه إلى أنقرة وفيها خذله جنوده فالتجأ إلى فرسان جزيرة رودس. وعهد بايزيد إلى البابا إسكندر السادس (بورجيا) وأغراه على أن يخلصه من أخيه التمس. وقد دفنه بعد موته فى ٢٩ من جمادى الآخرة عام ٩٠٠ ﻫ (٢٤ من فبراير ١٤٩٥ م) بمقبرة مراد الثانى فى بروسة.

وفى ١٠ من سبتمبر من عام ١٤٨١ م اضطر خير الدين الذى كان يدافع عن أترانتو فى إيطاليا إلى التسليم. وتوالت الحملات على البوسنة ودلماشيا والمجر، وأخضعت الهرسك إخضاعا تاما. وكان بايزيد يقود الحملة على البغدان بنفسه فاستولى على «كيليا» وأق كرمان بمساعدة تتر القريم فى جمادى الآخرة من عام ٨٨٩ (يوليه ١٤٨٤م).

أما فى آسية فقد أمر على الجيش هرسك أحمد باشا ووجهه إلى تأديب مماليك مصر ولكنه هزم، وخسر بايزيد أذنة وطرسوس عام ٨٩١ ﻫ (١٤٨٦ م)، واستعيدت هاتان البلدتان بعد ذلك بسنتين ثم فقدتا فى الموقعة التى حدثت فى ٨ من رمضان عام ٨٩٣ (١٧ أغسطس ١٤٨٨م) بين العثمانيين والمصريين عند «آغا چايرى». ولم يعقد الصلح بين الطرفين إلا فى عام ١٤٩١م.

وتخلى بايزيد عن حصار بلغراد لتوالى انتصار المجر، ثم وجه همه إلى ألبانيا فخرب ستيريا Styria وكارنثيا Carinthia وكارنيولا Carniola. وهزم الترك بالقرب من فلاَّتش Villach وقتل قائدهم ميخال أوغلى على باشا. وحاق الانكسار بالمجر بعد ذلك عند «أبدره» Abdera (٩ سبتمبر ١٤٩٣).

وتخلى أسطول البنادقة عن «آين بختى» (Naupactus, Lipanto) فاضطرت إلى التسليم فى ٢٦ من أغسطس من عام ١٤٩٩م وأصبحت دار الصنعة العثمانية للبلاد المجاورة.

وفى العام التالى غزا السلطان مودونى Modoni ونافارينو وكورون Coron ولكنه فشل فى الاستيلاء على نوپليا Nauplia. وتحالف البنادقة والبابا والمجر واجتاحوا بحر الأرخبيل بمساعدة الأسطولين الفرنسى والأسپانى وهددوا الجزائر وسقطت سانتا موره (Leucadia) فى يد الحلفاء. غير أنها أعيدت إلى العثمانيين عندما عقد الصلح فى ١٤ ديسمبر من عام ١٥٢٢ م.

وقامت الفتن الداخلية فى وجه بايزيد إلى جانب مشاغله فى الخارج. وسبب ذلك أن ابنه سليما استاء من أن والده قد عقد البيعة لأخيه أحمد فترك منصبه فى آسية وحارب أباه بمساعدة الإنكشارية عند كورله Corlu إلا أن

الدائرة دارت عليه فى ٨ من جمادى الأولى عام ٩١٧هـ (٣ أغسطس من عام ١٥١١م) فاحتمى بعميه خان القرم . وعلا نجمه فى السنة التالية وذهب إلى القسطنطينية ثم تمكن بفضل الجيش من إجبار والده على التنازل له فى صفر من عام ٩١٨ هـ (٢٥ من إبريل من عام ١٥١٢) .

وأراد بايزيد أن يعتكف فى مسقط رأسه ديمتوقه Demotika بيد أن المنية عاجلته بعد ذلك بثلاثة أيام فى أيه Aye بالقرب من حفصة فى ١٠ من ربيع الأول (٢٦ من مايو) .

وكان هذا السلطان متصوفا مخلصا لمذهب الصوفية ومن ثم لقب بالولى . وقد بنى مسجدا بالقسطنطينية ودفن فيه وألحق به عمارة بها مأوى ومطبخ لإطعام الفقراء . وبنى أيضا مسجدا آخر بأدرنة وعدة تكايا للدراويش فى العاصمة والأقاليم، وشيد جسورا على نهرى قزيل ايرماق وسقاريا ؟

المصـــــادر

(١) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ٢ ، ص٢ — ٢١٥ (٢) كلشن معارف ، جـ ١ ، ص ٥٢٧—٥٣٦ (٣) روضة الأبرار ، ص٣٨٨ — ٣٩٨ (٤) Hammer-Purgstall : *Histoire de l'Empire Ottoman* ، جـ ٣ ، ص ٣٣٧ — ٣٧٤ ، جـ ٤ ، ص ١ — ١٣٥ (٥) Jouannin et van Gaver : *Turquie* ، ص ٩٣ — ١٠٦ (٦) N. Jorga : *Geschichte* [illegible] *Osman-ischen Reiches* ، جـ [illegible] ، ص٢٣١ — ٣١٥ (٧) الحاج إسماعيل إيوان سرايلى : حديقة الجوامع ، جـ ١ ، ص ١٤ .

[هيوار Cl. Huart]

« بايزيد البسطامى » واسمه أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان : متصوف مشهور توفى عام ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) أو عام ٢٦٤ هـ (٨٧٧ — ٨٧٨ م) وكان جده مجوسيا . ولا نعرف عن حياته إلا أنه عاش عيشة كلها زهد . ولذلك فإن الأساطير قد امتزجت بسيرته واستنتجت من بعض كلمات صوفية لم تفهم على وجهها الصحيح أنه صعد إلى السماء (معراج) . ووصل إلينا شىء من مذهبه بفضل الكلمات المتناثرة الواردة فى كتب العطار وغيره .

ونستدل من كلماته هذه على أنه كان يقول بوحدة الوجود وأنه ربما كان أول من قال بمذهب الفناء (Nirvana) . ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية ولا يزال قبره فى بسطام كعبة المتصوفة الأتقياء . وقد أقام أُلجايتو قبة على ضريحه عام ٧٠٠هـ (١٣٠٠— ١٣٠١ م) ؟

المصـــــادر

(١) ابن خلكان : الوفيات ، مادة طيفور (٢) القشيرى : الرسالة ، طبعة سنة ١٢٨٧ هـ ، ص ١٦ ، (٣) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ، طبعة نيكلسون ، جـ ١ ، ص ١٣٤ وما

بعدها (٤) جامى: نفحات الأنس، ص ٦٢ (٥) الشعرانى: الطبقات الكبرى، جـ ١، ص ٦٨ (٦) المجويرى: كشف المحجوب، ترجمة نيكلسون، ص١٠٦ وما بعدها ص١٨٤ وما بعدها (٧) Nicholson فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام ١٩٠٦، ص ٣٢٥ وما بعدها.

«بايسنغر»: اسم أمير من أمراء الآق قيونلو فى فارس، وهو ابن السلطان يعقوب وخلفه، حكم مدة قصيرة من سنة ٨٩٦هـ إلى سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٠ — ١٤٩٢ م) ثم خلعه ابن عمه رستم؟

[W. Barthold بارتلد]

«بايسنغر»: الابن الثانى للسلطان محمود صاحب سمرقند وحفيد السلطان أبى سعيد (انظر هذه المادة). ولد عام ٨٨٢هـ (١٤٧٧— ١٤٧٨ م) وقتل فى العاشر من المحرم عام ٩٠٥هـ الموافق ١٧ أغسطس من عام ١٤٩٣م.
وكان أميراً لبخارى فى حياة أبيه. فلما توفى هذا فى ربيع الآخر من عام ٩٠٠هـ (٣٠ ديسمبر من عام ١٤٩٤ — ٢٧ من يناير ١٤٩٥م) استدعى بايسنغر إلى سمرقند ثم خلعه أخوه السلطان على، ولكن إلى أمد وجيز (٩٠١هـ = ١٤٩٥ — ١٤٩٦ م). فى أواخر ربيع الأول من ٩٠٣هـ (نوفمبر ١٤٩٧ م) خلعه نهائياً ابن عمه بابر. فذهب إلى حصار حيث استطاع أن يهزم أخاه مسعودا، واستعاد حكم البلاد بمساعدة الأمير خسرو شاه ولكن لم يمض طويل وقت حتى غدر به خسرو شاه فقتل.
ويصف بابر غريمه بايسنغر بأنه كان أميراً شجاعاً عادلا، وقد اشتهر كذلك بقرض الشعر باللغة الفارسية وعرف باسم «عادلى». وذاعت مقطوعاته الغزلية فى سمرقند حتى لايكاد يخلو منها بيت (بابرنامه، طبعة Beveridge، ورقة رقم ٦٨، ب).

[W. Barthold بارتلد]

«بايسنغر» غياث الدين ابن شاهرخ وحفيد تيمور، عينه أبوه عام ٨٢٠هـ (١٤١٧م) قاضيا للقضاة، ولما توفى قره يوسف سنة ٨٢٣هـ (١٤٢٠م) استولى على تبريز؛ ثم نصب حاكماً لاستراباذ فى صفر من عام ٨٣٥ هـ (أكتوبر ١٤٣١م) ولكنه لم يرتق العرش بتاتا. وتنبأ له المنجمون بأنه لن يعيش أكثر من أربعين سنة، فانغمس فى الملذات، وتوفى فى هراة يوم السبت السابع من جمادى الأولى عام ٨٣٧هـ الموافق ١٩ من ديسمبر من عام ١٤٣٣م بالغاً من العمر ستة وثلاثين سنة، ودفن فى ضريح الأميرة جوهر شاد.
وكان بايسنغر غياث الدين من رجال الفن والمشجعين عليه، شغوفا بالرسم والزخرفة. وقد اشتغل بنسخ المخطوطات فى المكتبة التى أسسها أربعون نسّاخاً من تلاميذ مير على منشى

الخط المعروف باسم « نستعليق » . وكان له أثر ظاهر فى تطور فن الرسم أيام بنى تيمور فى فارس . وفى عام ٨٢٩هـ (١٤٢٥—١٤٢٦م) أمر بكتابة نسخة مصححة من شاهنامة الفردوسى مع مقدمة لها ، وهى أطول النسختين اللتين وصلتا إلينا . وينسب إلى بايسنغر عادة التاريخ الكبير للعالم الذى بدأ حافظ أبرو فى تصنيفه عام ٨٢٦ هـ (١٤٢٢ — ١٤٢٣م) فيقـال « زبدة التواريخ بايسنغرى » ؟

المصـادر

(١) Cl. Huart : *Calligraphes et miniaturistes* ، ص ٩٧ ، ٢٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ (٢) G. Mohl : فى ترجمته لشاهنامة الفردوسى ، *Livre des Shâhnâma* ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، تعليق ١ (٣) ميرخوند فى روضة الصفا ، جـ ٦ ، ص٢١٢— ٢١٣ (٤) خوندمير: حبيب السير، جـ٣ القسم الثالث ص ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ (٥) Geiger-Kuhn : *Grundr. der iran. Philol* ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ — ١٤٤ ، ٢٠٥ وما بعدها (انظر الفهرس) .

[هيوار Cl. Huart]

« بايقرا » : أمير من بيت تيمور وهو حفيده . كان فى الثانيـة عشرة من عمره عند ما توفى جده فى شعبان سنة ٨٠٧ هـ (فبراير سنة ١٤٠٥ م) ، ولهذا يقال إنه ولد حوالى سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ — ١٣٩٣ م) . وتوفى أبوه عمر شيخ قبل وفاة جده تيمور .

ويقول دولتشاه (طبعة براون . ص٣٧٤) إن بايقرا كان فى حسن يوسف وشجاعة رستم . وإنه كان أميرا على بلخ زمنا ما .

وفى سنة ٨١٧ هـ (= ١٤١٤ م) أقطعه شاهرخ حكم لورستان وهمدان ونهـاوند وبروجرد . وفى العام التالى ثار بايقرا على أخيه اسكندر واستولى على شيراز . ولكن شاهرخ تغلب عليه ثم صفح عنه وأرسله إلى الأمير قيدو فى قندهار وكرمسير . على أنه أثار هناك أيضا فتنة أخرى فقبض عليه قيدو فى سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ — ١٤١٧م) . وعفى عنه شاهرخ مرة أخرى وأذن له بالسفر إلى الهند ولم يسمع عنه بعد ذلك شىء .

ولا تتفق رواية دولتشاه مع هذا الذى ذكرناه نقلا عن حافظ أبرو . فدولتشاه يقول فى كتابه الذى أشرنا إليه آنفا « إن بايقرا ذهب باختيـاره من مكران إلى شاهرخ فأوفده هذا إلى سمرقند ، وهناك حرض عليه ألغ بك أو كما تقول رواية أخرى بعض حاشية الأمير شاهرخ فى هراة فقتل فى تاريخ سابق للتاريخ الذى قيل إنه قتل فيه . وتذكر بعض الروايات أيضا أن سنة ٨١٩هـ هى السنة التى قتل فيها الأمير بايقرا .

ويروى بابر (طبعة بفردج Beveridge ، ص ١٦٣ ب) أن اسم بايقرا سمى به أيضا حفيد لهذا الأمير ؛ هو الأخ الأكبر للسلطان حسين . وكان بايقرا الثانى هذا حاكما لبلخ زمنا ما ؟

المصـــادر

(١) وصلت إلينا المعلومات التى ذكرها حافظ أبرو عن حوادث السنوات الأولى للقرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) فى كتاب «مطلع السعدين» لعبد الرزاق السمرقندى. (٢) وانظر خلاصة ذلك فى Quatremère : *Notices et Extraits*، جـ ١٤، الفصل الأول (عن حوادث ٨٠٧—٨٢٠ هـ). (٣) وانظر ما كتبه W. Barthold بارتلد: *al-Muzaffariya* (*Sbornik statei ucenikov bar. Rozena*) طبعة سانت بطرسبرج، ١٨٩٧، ص ٢٥—٢٦، وذلك عن النص الأصلى لكتاب حافظ أبرو الذى ورد فى مخطوط بمكتبة بودليانا بأوكسفورد (*Elliot*، ص ٤٢٢).

[W. Barthold بارتلد]

«بيشتر»[1]: قلعـــة متهدمة فى جبال الأندلس يقول الغزيرى وكوند Casiri et Conde إنه حدث خلط بينها وبين بربشتر ومن أعمال أرجون[1] Barbastro d' Aragon

(١) بيشتر بضم ففتح فسكون ففتح فراء أخيرة مدينة بالأندلس قريبة من قرطبة، وقد تشبع الباء الثانية فيقال: بياشتر، وكانت فى عهد العرب من أعمال رية التى كانت منهـا مالقة، أما الآن فهى من أعمال إقليم قرطبة. وفى الادريسى أنها قلعة فى غاية الامتناع والتحصين والصعود إليها على طريق صعب.

أما مدينة بربشـتر بفتح فسكون فضم فسكون ففتح وراء أخيرة، وهى التى كثيراً ما خلطت بها مدينة بيشتر لما بينهما من القرابة اللفظية القريبة، فهى فى شرقى الأندلس لا فى جنوبيها إذ هى إحدى مدن إقليم وشقة بالتقسيم الادارى الحالى وعلى ٥٠ كيلو متراً من مدينة وشقة قاعدة ذلك الاقليم، وفى التاريخ أن بربشتر صارت للأفرنج سـنة ٤٥٢ هجرية (سنة ١٠٦٠ للميلاد) ولـكن لم يلبث المسلمون أن استردوها بعد أربع سنين فى أمارة أحمـد بن سليمان بن هود وإليها ينسب المقرىء أبو القاسم خلف بن يوسف البربشـترى وغيره من جلة العلماء.

(١) أرجون هو التعريب الصحيح لكلمة Aragon إذ يطابق لفظها مطابقة تامة، وقد ورد فى نفح الطيب تارة بهذا الرسم بعينه وطوراً بالابدال من الجيم غيناً هكذا أرغون، على أن المراكشى فى كتابه المغرب فى تلخيص أخبار المغرب حذف من هـذا الرسم الأخير واوه، إذ قال: «وجزيرة الأندلس يملك جهاتها الأربع أربعة ملوك من الروم، وإحدى هـذه الجهات تسمى «أرغن»». وقد جرى ابن خلدون على هذا الرسم فى الفصل الذى عقده من تاريخه لسيرة ملوك شمالى الأندلس.

ويحسن فى حالة تفضـيل كلمة أرجون على أختيها أرغون، وأرغن ألا يخلط بينها وهى قطر كبير فى شمالى إسبانيا وبين أرجونة التى هى مدينة من مدن إقليم جيان Jaen فى جنوبيها واسمها بالأفرنجية Arjona لا Aragon

غير أنه دفعا للالتباس بين كلمات أرجون وأرغون وأرغن وأرجونة يحسن الرجوع إلى الاسم الذى ظل العرب يطلقونه على بلاد أرجون مدة ثمانيـة قرون ألا وهو الثغر الأعلى، وما كانت تسميتهم إياها بالثغر لأنها متصلة بالبحر كما يتبادر إلى الخاطر أول وهلة، وإنما لقربها من أرض العدو وتعرضها لغاراته تعرض الثغور للهجمات من ناحية البحر. والثغر فى اللغة مأخوذ من الثغرة، وهى الفرجة فى الحائط.

وكتب التاريخ والجغرافيا العربية حافلة بذلك الاسم دلالة على الأقاليم التى تضمها الآن مقاطعة أرجون. ومن ذلك قول المقرى فى نفح الطيب: «أما شرقى الأندلس ففيه من القواعد مرسـية ودانية والسهلة والثغر الأعلى» الخ ...

وكذلك بينها وبين وشقة Huisca فى أقصى الشمال الشرقى من مقاطعة غرناطة Granada ثم جاء دوزى Dozy فظن أنها هى نفس الخرائب القديمة المعروفة باسم *Municipium Singiliense Barbstrense (Singilia Barba)* (انظر Dozy : *Recherches* ج ١ ، ص ٣٢٣ — ٣٢٧ ؛ *Histoire des Musulmans* ج ٢ ، ص ١٩٥) . وتعرف اليوم باسم قسطيلة el Castillon (١) وهى بالقرب من تبة Teba غربى أنتقيرا (١) Antequera فى وادى الحرس (٢) الأعلى Guadalhorce .

أما سيمونيه Simonet فيبحث عنها بحق هى وإستبانز كلدرون Estebanez Caldêron بين انتقيرا وأردال Ardales, وكرابونيلا Casarabonela فى *Las Mesas de Villaverde* على بعد فرسخ ونصف فى الشمال الشرقى من مدينة كراتراكا Carratraca الحالية وعلى ارتفاع صعب المنال فوق قمة عند وادى الحرس الأوسط . وفى سنة ٢٦٧ هـ (٨٨٠ — ٨٨١ م) كانت هذه الصخرة الحصن المنيع الذى احتمى به الثائر عمر بن حفصون (أنظر هذه المادة)

المصادر

(١) أنظر بصفة خاصة Simonet: *Historia de los Mozárabes de Espana* ■ ، ص ١٧٣ وما بعدها (٢) انظر أيضا التعليق الذى علق به

---

(١) يلوح لى أن مؤلف المادة مخطىء فى رسم Castillon بحرف l بعد t اسما لمدينة فى أحد الأقاليم الجنوبية من اسبانيا إذ الصواب أن المدينة التى غربى أنتقيرة وعلى مقربة من بلدة تبة هى قسطيلة المسماة فى اللغة الاسبانية Cazdila ■ Puelba لاقسطيلة التى هى اسم مدينة فى شمال أفريقية

وفى شرقى أسبانيا على بحر البحر المتوسط بين ثغرى بريانة بضم الباء وياء مشددة Burriana وبنشكلة Beniscola مدينة تدعى Plana ■ ■ Castellon بحرف e بعد t لا بحرف i وهى غير Cazdila لاختلاف موقعيهما وتباين المراد منهما ولأن اسمها المعرب ما برح موضع الشك والتضارب فبعضهم يسميها قشتليون ، وهذا غير صحيح لأن قشتليون حصن من أعمال شنترية بداخل الأرض فى غربى الأندلس إلى جنوب بينا هى على البحر فى شرقه كما ذكر والبعض الآخر يسميها رابطة كشطالى ولكن رابطة كشطالى إنما هى المسماة عند الفرنج Castillo de Chivert التى ترى أطلالها الدارسة على مقربة من Chivert ■ Alcala الثغر الواقع فى الشمال الشرقى من ثغر Castellon فمما تقدم يستنتج أن المراد فى المادة هو Cazdila لا Castellon ولا Castillon التى هى اسم مدينة فى فرنسا لا فى إسبانيا .

(١) أنتقيرة بكسر التاء وفتح القاف وياء ساكنة حصن بين مالقة وغرناطة منها كما جاء فى معجم يا قوت يحيى بن محمد بن يحيى الانصارى الانتقيرى . وتعد الآن من مدن اقليم مالقة وهى على ٤٠ كيلو مترا من الشمال الشرقى لثغر مالقة واسمها اللطينى القديم هو Antecaria وقد أعاد العرب بناءها على أطلال بلدة قديمة وجعلوها موقعا من مواقعهم الحصينة .

(٢) وادى الحرس والحرس بضم الهاء هو القمح للبربر معناه وادى القمح أو الحنطة اذا صح ما ذكره العلامة فليان دى سان مارتن فى موسوعته الجغرافية من أن كلمة Guadalhorce مؤلفة من كلمتين عربيتين الاول وادى والثانية هرس بالمعنى المتقدم .

« محمد مسعود »

de. Castro ده كاسترو فى ترجمته لكتاب Dozy:
Historia de los Musulmanes Espanoles
ج ٢ سنة ١٨٧٧ ، ص ٤٣١ — ٤٣٦

[C. F. Seybold زيبولد]

« الببغا » : لقب الشاعر العربى أبى الفرج عبدالواحد بن نصر من نصيبين الذى كان يعيش فى بلاط سيف الدولة . وبعد أن توفى هذا الأمير انتقل الببغاء إلى الموصل ثم إلى بغداد وتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ (١٠٠٧ م) .

وهذا الشاعر أقل مرتبة فى الشعر من معاصره المشهور المتنبى ، غير أنه كان مع هذا يعتبر شاعراً خفيف الروح ومن أحسن شعراء عصره . وقد عالج القريض فى جميع أبوابه ووفق توفيقا عظيما فى قصائده التى مدح بها الأمراء ، غير أن شعره فى الغزل لم يسم إلى مرتبة قصائده فى المديح ؟

المصـــادر

(١) الثعالبى: يتيمة الدهر، ج١، ص١٧٣ — ٢٠٥ (٢) تاريخ أبى الفداء *Annales muslemici*، ج ٢ ، ص ٦١٨ (٣) Ph. Wolff: *Carminum* *Abulfaragii Babbagae Specimen*، طبعة ليبسيك ١٨٣٤ (٤) E. G. Schultz : *Variae lectiones e cod. ms. Paris collectae* ، طبعة رجيومون سنة ١٨٣٨ (٥) *Der vertraute Oefährte des Einsamen* ، طبعة فلوجل ، فينا سنة ١٨٢٩ (٦) C. Brockelmann: *Geschichte der arab. Litteratur* ، ج ١ ، ص ٩٠ .

[J. Hell هل]

«البتّانى»[1] أبو عبد الله محمد بن جابر ابن سنان البتانى الحرانى الصابىء المعروف

---

(١) الوضع الصحيح لهذا الاسم هو : أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرانى الصابىء المعروف بالبتانى، لا الحرانى البتانى كما ذكر مؤلف المادة ، وفى كتاب القاضى صاعد الاندلسى : أنه أبو جعفر محمد بن سنان ابن جابر . قال القفطى فى كتابه إخبار العلماء : هو أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين فى علم الهندسة وهيئة الافلاك وحساب النجوم وصناعة الاحكام . وقد أجمع علماء الفرنجة المحققون على أنه كان فى علمه أسمى مكانة من بطليموس القالوذى اذ احتوت مصنفاته فى شتات الحقائق الفلكية أكثر مما احتوته منها مصنفات الفلكى الاغريقى . ولهذا عده لالند Lalande الفلكى الفرنسى الكبير المتوفى سنة ١٨٠٧ من الفلكيين العشرين المبرزين الذين أنجبتهم الانسانية منذ خلق الله الخلق حتى الآن .

أما كتاب الزيج وهو الرابع من مصنفاته التى سردها مؤلف المادة فقد اشتهر بالصابىء فحسب وقد ضمنه نتائج أرصاد للكواكب الثابتة لسنه ٢٩٩ هجرية ضمن ما قام به من الأعمال الفلكية المختلفة التى تتابعت من سنة ٢٦٤ الى سنة ٣٠٦ أى مدة ٤٢ سنة .

وفى مكتبة الفاتيكان نسخة من هذا الزيج . وقد طبعه العلامة نللينو فى العقد الأول من هذا القرن عن نسخة محفوظة فى مكتبة الاسكوريال بالاندلس وترجم مرارا إلى اللغة اللطينية وكذا إلى الإسبانية

وكان البتانى يرصد فى الرقة على الضفة اليسرى من الفرات وموقعها على الدرجة السادسة والثلاثين من العرض

عند الغربيين فى العصــــور الوسطى باسم Albategni أو Albatenius ، من أكبر علماء الفلك عنـــد العرب ، ولد قبل عام ٢٤٤ ﻫ (٨٥٨ م) . ويرجح أن مولده كان فى حران أو ما جاورها . ولسنا نعرف أصل النسبة « بتانى » على التحقيق . وكانت أسرته من الصابئة ، ولذلك عرف بالصابئ مع أنه كان مسلماً . وصرف معظم حياته فى الرقة على الضفـة اليسرى لنهر الفرات حيث استقرت أسر حرانية كثيرة . ووقف نفسه على رصد الأفلاك من عام ٢٦٤ ﻫ (٨٧٧ م) واستمر على ذلك بقية حياته . وذهب إلى بغداد فى عمل له ومات فى عودته منها عند قصر الجص الذى لا يبعد كثيراً عن الدجلة ناحيـة الشرق على مقربة من سامرا ، وكان ذلك عام ٣١٧ ﻫ (٩٢٩ م) .

وتصانيف البتانى هى : —

(١) «كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك» أى مطالع نقط البروج التى ليست فى وقت معلوم واحدة من الأوتاد الأربعة (انظر مادة « تنجيم ») ويتناول هذا الكتاب الحل الرياضى للمسألة التنجيمية لاتجاه الراصد .

(٢) « رســـالة فى تحقيق أقدار الاتصالات » أى الحلول المضبوطة بحساب المثلثات للمسألة التنجيميـة Proiectio radiorum عند ما تكون النجوم المقصودة لها خط عرض أى خارج فلك البروج (أنظر مادة « تنجيم ») .

(٣) شرح المقالات الأربع لبطليوس

(٤) الزيج ، وهو أهم تصانيفه ، ولم يصل إلينا غيره ، وبه نتائج رصود البتانى ، وقد كان له أثر كبير ، لا فى علم الفلك عند العرب فحسب ، بل فيـه وفى حسـاب المثلثات الكرى عامة فى أوروبا خلال العصور الوسطى وأول عصر النهضة ، وقد ترجمه إلى اللاتينية روبرتوس رتنس Robertus Retinensis أو كتننسس Ketenensis المتوفى فى بمبلونة من أعمال أسبانيا بعد عام ١١٤٣ م ، وضاعت هذه الترجمة ، كما نقله إلى اللغة نفسها أفلاطون تيباستينوس Plato Tibastinus فى النصف الأول للقرن الثانى عشر الميلادى ، وقد نشر المتن من غير الجداول الرياضية فى نورنبرج

الميل . وقد ذكر مؤلف المادة أنه وهو مقيم بتلك البلدة حدد بالدقة ميل « دائرة فلك البروج » يريد بهذه الدائرة ما اصطلح الفلـكيون على تسميته بالدائرة الـكسوفية .

والواقع أن البتانى حدد هذا الميل بـ ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة وهذا تمارى ما كان يبلغ إليه محقق من الدقة فى زمن لم تـكن الآلات الفلـكية قد عرفت أو اخترعت وفيه كل الفخر له، لأن العلامة الفلكى لالند الآنف الذكر قام بحساب ذلك الميل بعـد ألف سنة تقريبا من وفاة البتانى فوجد أنه ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة و ٤١ ثانية أى بزيادة هذا الفـرق من الثوانى لأنه أضاف إلى تقدير البتانى ٤٤ ثانية للانـكسار ثم طرح منها ثلاث ثوان للاختلاف الأفق ولم يكن البتانى قد عمل لهما حسابا .

والبتـانى هو أول من كشف السمت azimuth والنظير nadir وحدد نقطتيهما من السماء، كما أنه أول من أبدل أوتار القسى بالجيوب فى قياس المثلثات والزوايا .

« محمد مسعود »

عام ١٥٣٧ م ، وفى بولونيا عام ١٦٤٥ م . وأمر الفونس العاشر صاحب قشتالة (١٢٥٢ —١٢٨٢م) بأن يترجم هذا الزيج من العربية إلى الأسبانية رأسا ، ولهذه الترجمة مخطوط غير كامل فى باريس .

وهناك ثلاث رسائل لاقيمة لها فى التنجيم بقيت منها نسخة لاتينية فى عدة مخطوطات وقد وضع عليها اسم المؤلف هكذا : Bethem أو Boetem أو Bereni أو Bareni ، وهى منسوبة خطأ للبتانى .

وحدد البتانى فى كثير من الدقة ميل الدائرة الكسوفية ، وطول السنة المدارية والفصول، والمدار الحقيقى والمتوسط للشمس، كما أضحد مذهب بطليموس القائل بثبات الأوج الشمسى مقيما الدليل على تبعيته لحركة المبادرة الاعتدالية واستنتج من ذلك أن معادلة الزمن تتغير تغيرا بطيئا على مر الأجيال . وقد أثبت على عكس ما ذهب إليه بطليموس تغير القطر الزاوى الظاهرى للشمس واحتمال حدوث الكسوف الحلقى . وصحح البتانى جملة من حركات القمر والكواكب السيارة. واستنبط نظرية جديدة تشف عن شيء كثير من الحذق وسعة الحيلة لبيان الأحوال التى يرى بها القمر عند ولادته . وضبط تقدير بطليموس لحركة المبادرة الاعتدالية. وله رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها دنثورن Dunthorne سنه ١٧٤٩ فى تحديد تسارع القمر فى حركته خلالة قرن من الزمان . وأعطى حلولا رائعة بوساطة المسقط التقريبى لمسائل فى حساب المثلثات الكرى ، وقد عرف هذه الحلول رجيومنتانوس المشهور Regiomontanns (١٤٣٦ — ٣١٤٧٦) وسار على منهاجها .

المصــــادر

(١) Albatenii: ...*Opus astronomicum* *Arabice editum, Latine versum, adnotationibns instructum a C. A. Nallino,* Mediolani Insubrum, *1899-1907* فى ثلاثة مجلدات .

[نللينو C. A. Nallino]

«بتجان» من جزائر الملوك Moluques : جزيرة بركانية خصبة تبلغ مساحتها ٥٠ ميلا مربعا وهى مركز سلطنة بتجان . ويبلغ ارتفاع الجبل الذى بها نحو ١٥٠٠ متر وسلطنة بتجان هى وسلطنتا ترنات Ternate وتيدور Tidore تابعة فى حكمها للإدارة الهولندية المركزة فى ترنات .

ولما كانت جزيرة بتجان مشهورة بالتوابل وخاصة القرنفل فقد جذبت إليها التجار الأجانب منذ عهد متقدم . واعتنق أهلها الإسلام منذ القرن الخامس عشر على يد التجار الجاويين المسلمين الذين وفدوا إليها .

واستقر البرتغاليون (حوالى عام ١٥٢٤ م) والإسبان والهولنديون (حوالى عام ١٦٠٩) فى هذه الجزيرة يشتغلون بتجارة التوابل وبمثابة حلفاء لأميرها، وقد تزوجوا من نساء هذه الجزيرة وأنجبوا منهن أطفالا كما أنهم نشروا المسيحية فيها . ولا يزال إلى اليوم جزء من سكان هذه الجزيرة معتنقا المسيحيــة وهم يسكنون العاصمة لبو[redacted] Lobuha ويبلغ عددهم ٣٥٠ نسمة تقريبا . ولا يزيد عدد السكان المسلمين ، وهم خليط ، عن ثلاثة آلاف نسمة وهم يقطنون بعض القرى على شاطئ البحر . أما داخل الجزيرة فمغطى بالغابات وغير مأهول بالسكان .

وتشتمل سلطنة بتجان هذه الجزيرة وعدة جزائر أخرى مجاورة صغيرة وغير مسكونة . وامتد نفوذ هذه السلطنة قبل مجىء الأوربيين وخلال القرن الأول الذى أعقب مجيئهم حتى بلغ سرام Ceram ولكنه كان دائما أضعف من نفوذ سلطنة ترنات أو تيدور .

وكانت تجارة التوابل عماد تلك السلطنة وقد أصاب الضعف سلطنة بتجان فيما بعد أى عند ما أجبر الهولنديون أمراء جزائر الملوك فى القرن السابع عشر على التخـــلى عن زراعة التوابل نظير تعويض يدفعونه إليهم . وخضعت سلطنة بتجان تماما إلى الهولنديين منذ عام ١٧٨٠ . ولم ينجح الأوربيون فى استغلال هذه الجزيرة فى العهد الأخير وأهم حاصلاتها الآن : التمر هندى وجوز الهند ؟

المصـــــادر

(١) Wallace : *Molay Archipelago*
(٢) J. Bleeker : *Reis door de Molukken* [redacted] *den Molukschen Archipel* بتافيا ١٨٥٦
(٣) Bokemayer : *Die Molukken* ليبسك ١٨٨٨
(٤) K. Martin : *Reisen in din Molukken* ، الجزء الجيولوجى طبع فى ليدن عام ١٩٠٣
(٥) W.Kukenthal : *Im Malayis- chen Archipel* فرانكفورت ١٨٩٦
(٦) المؤلف نفسه : *Ergebnisse einer zoolog. Forschungsreise in den Molukken und Borneo* [redacted] عام ١٨٩٧
(٧) *Tijdschrift v. h. Batav. Genootschap v. Kunsten en Wetenschappen* ، ج ٥ ، ص ٣٢٣ ، ج ١٤ ، ص ٤٠١
(٨) *Natuurkundig Tijdschrift v. Ned. Indie* ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ ، ج ٦ ، ص ١٦٣ ، ٣٦٥ ، ٥٣٨ ، ج ٨ ، ص ١٩١ ، ج ١٢ ، ص ٣٢٤ ، ٤٨٢ ، ج ٢٣ ، ص ٣٣٦ ، ج ٢٦ ، ص ١١٧
(٩) *Indische Gids.* ج ٢
(١٠) *Tijdschrift* [redacted] *Nederlandsch Indie* ١٨٨١
(١١) *Yaarboek* [redacted] *het Mijnwezen in Ned. Indie* عام ١٨٩٥ ، ص ١١٥ - ١١٨

[A. W. Nieuwenhuis نيونهويس]

«بتّدين» : وهى اختصار لبيت الدين: بليدة بلبنــــان يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نسمة وبالقرب منها دير القمر ويفصلها عنه واد عميق .

وحوالى عام ١٨١٢ م بدأ الأمير بشير شهاب (انظر هذه المادة) يبنى بها قصراً أحاطه بالحدائق والأفنية البديعـة التنسيق . وهى الآن مصيف حاكم لبنان . وبالمدينـة علاوة على هذا القصر قصور أخرى يعيش فى إحداها مدة من الزمن قائمقام قضاء الشوف.

ويضم القصر مبانى الحكومة وبيوت الموظفين وبعض الحوانيت والفنادق .

وألحقت بتدين بناحية دير القمر لأغراض إدارية . ومع أن هذه الناحية فى وسط قضاء الشوف إلا أنها ليست جزءا منه ، ويديرها حاكم لبنان مباشرة .

المصــــادر

(١) Ritter : *Erdkunde* ، جـ ١٧ ، ص ٦٧٩ ومابعدها (٢) von Oppenheim : *Vom Mittelmeer Zum Persischen Golf* ، جـ ١ ، ص ٢٦ ومابعدها (٣) دليل لبنان طبع فى بعبدا عام ١٩٠٦ ، ص ٧٠٤ .

[هارتمان R. Hartmann]

« بتجكى » : كلمة فى لغة الترك الشرقية معناها « كاتب » مشتقة من الفعل « بِتمك » بمعنى يكتب . قال شراتورى Shiratori فى أصل اشتقاقها إنها مأخوذة من الكلمة الصينية بت «pit» ومعناها « فرشة الألوان » (أنظر *Sinologische Beiträge zur Geschichte der Türkvölker* ، سانت بطرسبرج سنة ١٩٠٢ جـ ٢ ، ص ١٦) . وقد أبدى مثل هذا الرأى أخيرا ردلوف W. Radloff (أنظر *Alttürkische Studien* فى *Bulletin de l'Acad* ، سنة ١٩١١ ، ص ٣١٩) . وقد تعلم كثير من شعوب آسية الوسطى فن الكتابة متأثرين بالصينيين شأنهم فى هذا شأن سكان اليابان وأهل كوريا . ويضيف شراتورى إلى النتائج اللغوية التى تؤيد هذه الحقيقة ، الكلمة المجرية « بتو » betu . والوثائق الصينيـة التى كشفها هذا المؤلف تظهر أن آسية الوسطى كانت تعرف منذ عهد أسرة توباڤاى (٣٨٦—٥٥٨م) كلمة بِى—ته (ويرجح أنها كانت بمعنى «بتك» أى الكتابة) وكذلك وظيفة ألبى—ته—چن (ويرجح أنها بمعنى بتكچى) . وكلمة «بتمك» بمعنى يكتب و«بتك» بمعنى الكتابة ظهرتا قبل ذلك فى نقوش الأورخون ، أما لقب بتكچى فيقول ردلوف إنه ظهر للمرة الأولى فى « قودا تقوبيليك » (انظر: Worterbuch ، جـ ٤ ، ص ١٣٤٦ كلمة *pidikci*). ثم أخذ المغل بعد ذلك هذا اللقب نفسه وأطلقوه فى القرن الثالث عشر الميلادى على مؤدبيهم الذين يسمون الـ « أويغور » . وفى المصادر التاريخية ووثائق عهد المغل نجد كلمـــة « بتكوچى »

مستعملة أيضا إلى جانب كلمة « بتكجى »

[بارتلد W. Barthold]

« پتنى » : ناحية فى الجنوب الأقصى لمملكة سيام على الشاطئ الشرقى لشبه جزيرة ملقا. ويحدها من الجنوب الأقصى الدولتان الملاويتان الواقعتان تحت الحماية الإنجليزية وهما « كيلنتن » و « كيدَه » Kēlantan and Kédah. وتنقسم الناحية كلها إلى سبع دويلات ملاوية يحكم كلا منها زعيم وطنى يعاونه موظف سيامى. وقد أبقى على النظم الملاوية الإدارية ويعيش المندوب السامى السيامى فى حاضرة الناحية المعروفة أيضا باسم پتنى ، ومشورته مسموعة لدى زعماء الدويلات السبع.

وأهل الناحية مسلمون. وبها مساجد جامعة ومساجد أخرى تعرف بـ « سُرو » Surau ويقوم بشئونها خدمها.

وهناك محاكم فى جميع الدويلات. وتتبع الشريعة الإسلامية فى المسائل التى تتعلق بالأسرة بينما يطبق القانون السيامى فى المسائل الأخرى.

وپتنى ناحية تكثر فيها الجبال وليس فيها سوى سهل ضيق يمتد على طول الساحل. وتبلغ مساحتها ١٣٠٠٠ كيلو مترا ويقدر عدد سكانها بـ ٣٥٠٠٠٠ نسمة ، معظمهم من المسلمين والبقيـــة الباقية من السياميين والصينيين. وبالناحية طرق قليلة. والخط الحديدى الذى يصل سكة حديد سيام الجنوبيـة بالخطوط الإنجليزية فى ملقا يسير على مسافة قصيرة من الجزء الساحلى لپتنى.

والزراعة متأخرة فى الناحية. ولا يزرع الأرز إلا فى ضواحيها وضواحى « نونك تشك » وأهلها يعيشون من صيد السمك وهم يملحونه بملح مستخرج من الناحية نفسها.

أما من حيث الصناعة فإن مقدار القصدير الذى يستخرج من مناجمها فى زيادة مطردة.

وتصـــدر پتنى السمك المجفف والملح والماشية والفيلة والقصدير. وتتصل ببانكوك Bangkok وسنغافورة بواسطة بواخر صغيرة.

ويبلغ دخلها خمسة وأربعين ألفا من الجنيهات يخصص ثلثه للحكام الملاويين كدخل خاص لهم ولعائلاتهم ، وثلث آخر للشئون الادارية. أما الثلث الباقى فيرصد لأغراض أُخرى وإن كانت العادة قد جرت بأنفاقه أيضا فى الشئون الإدارية.

وفى عام ١٣٢٣ ذكر « فرا أدوريجو البردنونى » Fra Odorigo of Pordenone مكانا فى هذه المنطقة يعرف باسم « پتن » Paten وزعم أنه عين « ثلاماسين » Thalamasyn. ومن المشكوك فيه أن تكون إشارة أدوريجو قد قصد بها پتنى.

والحق أن اسم پتنى لم يرد صراحة إلا فى القرن السادس عشر عند ما بدأ البرتغاليون يفدون عليها للتجارة.

وكانت هذه الناحية تابعة لسيام منذ عدة

قرون، وآية ذلك أن السياميين تقدموا جنوبى «ثاى» *That* ووصلوا إلى «لجور» *Ligor* حوالى عام ١٢٨٤، ونستدل على هذا من الكتابة السكهوتائية *Sukhotai* التى وجدت على الساحل شمالى بتنى بقليل. وفى عام ١٣٥٠م أصبحت شبه جزيرة الملايو كلها خاضعة للحكم السيامى، وقد فتحت بتنى فيما بين عامى ١٢٨٤ و ١٣٥٠ م.

وورد فى «ناجرَ-كرَ-تاجما» عام ١٣١٥ أن مملكة «مجاپيت» اليابانية غزت «جيره» — جيرنج الحديثة — وهى إحدى الدويلات السبع بما فيها حاضرتها التى على البحر شرق مدينة بتنى بقليل.

وبدأ البرتغاليون يتجرون فى بتنى بُعَيد فتح مدينة ملقا عام ١٥١١، واستقر فيها عدد كبير منهم، وحوالى عام ١٦٠٠م ظهر فيها الهولنديون والإنجليز، وكانت الناحية فى ذلك الوقت مركزاً تجاريا زاهرا ومحطة بين ملقا والصين، ومكانا لتبادل البضائع الواردة من الصين من ناحية، ومن أهم ثغور أرخبيل الهند الشرقى من ناحية أخرى. وبدأ الفتور يدب فى أوصال بتنى عام ١٦٢٠ ففقدت أهميتها وهجرها الأوربيون.

ولا نعرف على التحقيق متى اعتنقت هذه الناحية الدين الإسلامى، والذى نعرفه أنها كانت بلاداً إسلامية حوالى عام ١٦٠٠ م، والملكة التى حكمتها فى هذا الوقت خلفت زوجها قبل ذلك بخمسة عشر عاماً، إلا أنه من المرجح أن بتنى كانت تدين بالإسلام قبل أن يزورها مندز بنتو Mendez Pinto (١٥٣٤ — ١٥٤٠).

وتزعم الروايات الوطنية أن فاتح بتنى «شوسرى بنكسا» ابن ملك سيام اعتنق الإسلام ولقب نفسه بالسلطان أحمد شاه، ثم حمل أهلها على اعتناقه، ويقال أيضا إنه أعلن الولاء لملقا، وهذا يجعلنا نظن أن ملقا هى التى حملت بتنى على الإسلام إذ لا يخفى أنها كانت فى القرن الخامس عشر الدولة السائدة فى شبه جزيرة الملايو.

المصادر

(١) G. P. Rouffaer: *Oudste ontdekkingstochten tot 1497* فى *Encyclopaedie — Nederlandsch-Indië*، مادة بتنى؛ توشتن، جـ ٤، ص ٣٨٠، وبها مصادر (٢) P. A. Tiele: *De Europeërs in den Maleischen Archipel* فى *Bijdragen Kon Instituut*، المجموعة الرابعة، جـ ٣، ص ٣٥، ٦٦؛ جـ ٤، ص ٣٠١؛ جـ ٦، ص ١٧٨ وما بعدها؛ جـ ٨، ص ٧٧؛ المجموعة الخامسة، جـ ١، ص ٢٦٧ وما بعدها؛ جـ ٢، ص ٢٤١ وما بعدها (٣) *Begin ende Voortgangh van de Oost-Indische Compagnie*، امستردام عام ١٦٤٦ م، جـ ١، ص ٧ (٤) Peter Floris، ناشر *Moreland*، *Hakluyt Society*، المجموعة الرابعة والسبعون، لندن ١٩٣٤ م (٥)

British Settlements : T. J. Newbold in Malacca ، لندن ۱۸۳۹ ، ج ۲ ، ص ٦٧ وما بعدها (٦) Nagarakrtagama طبعة Krom ، لاهای ۱۹۱۹ م ، ص ٥١ (٧) F. Mendez Pinto : Wonderlijke Reise ، امستردام عام ١٦٥٣ (٨) A. W. Graham : Siam ، لندن ۱۹۱۲ .

[R. A. Kern كرن]

« البتول » أنظر فاطمة ومريم .

« بثرون » أو البثرون ، ويفضـــل جغرافيو العرب ، كتابتها من غير أداة التعريف فيقولون « بثرون » : حصن صغير فى الشام على شاطئ البحر بين جبيل وطرابلس ، واكتسب هذا الإقليم فى عهد مماليك مصر أهمية من جراء نيابته عن مدينة طرابلس ، وقد عاق تقدم هذا الإقليم عدم وجود فرصة له ، وكذلك قربه من قمم جبال لبنان العالية . وكانت بثرون فى أوائل القرن التاسع عشر مدينة صغيرة ، ولكن بعد إنشاء متصرفة لبنان المستقلة غدت هذه المدينة عاصمة إقليم له نفس الاسم . واتسعت هذه المدينة بمضى الزمن ، ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة منهم بعض الأسر المسلمة

المصـــادر

(١) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٤٩٤ (٢) الإدريسى بالشام ، طبعة جلدميستر Gildemeister ص ١٧ (٣) H. Lammens : Le Liban, [illegible] archéologiques. historiques ethnographiques et geographiques ، بالعربية ، ج ١ ، ص ١١٧-١١٨ (٤) [illegible]ter : Erdkunde ج ١٧ ، ص ٥٨٤ — ٥٨٨ (٥) Renan : Mission [illegible] [illegible] ، ص ٢٤٩ (٦) E. G. Rey : Fâmilles d' Outremer ، ج ٢٥٧ — ٢٥٩ (٧) الدمشق : Cosmographie ، ص ٢١٣ .

[H. Lammens لامنس]

« البثنية » : يقابل هـــذا الاسم كلمة « بشن » الواردة فى العهد القديم ، ويقول العرب فى التفسـير اللغوى لكلمة « البثنة » إنها الأرض الرخوة الخصبة ، على أن البثنية من الناحية التاريخية لا تقابل مملكة البشن التى ورد ذكرها فى العهد القـديم ، تلك المملكة كانت تشغل النصف الشمالى من البلاد التى كانت شرقى الأردن ، ويطلق اسم البثنية قبل كل شىء على مقاطعة بتنيه Batanée التى كانت فى العهد اليونانى الرومانى عبارة عن الجزء الأوسط فقط من المملكة المعروفة بهذا الاسم ، وكانوا يفرقون بين مقاطعة جولانيتس Gaulanitis ، ومقاطعـــة تراخونيتس Trachonitis ومقاطعة أورانيتس Auranitis ومقاطعة بتنية ، وذكر العرب اسم جوال وحوران بالقرب من البثنية ، ومما يؤيد أن بتنية والبثنية شىء واحد ، دليل جديد ، هو أن

يوسفوس Eusèbe ذكر أذرعات Adraa (أنظر هذه المادة)، وقال إنها بلدة فى بثنية بينما يعدها العرب من بلاد البثنية، وعند ما توغل العرب فى هذه الربوع سنة ١٣ هـ كانت أذرعات حاضرة البثنية، إذ أقطع صاحب أذرعات المسلمين خراج أرض هذه الناحية، واحتفظ العرب بهذا النظام فى هذه الناحية، كما فعلوا فى نواحى أخرى، وذلك لأن المؤرخين والجغرافيين يذكرون دائماً أذرعات باعتبارها حاضرة البثنية، وتعيين حدود البثنية بالدقة فى عهد المسلمين ليس أسهل علينا من تعيينها فى عهد اليونان، وليس هناك مجال للشك فى أنه كان فى وسطها النقرة Nukra وكثبان زُمَل الكائنة فى جنوبها الشرق، وذكر كذلك أن «تُبْنا» من بلاد البثنية، وهذا يجعل السهل الموجود شرق «اللجاء» من أرضها، وقيل إنها تحد من الجنوب الشرق بحوران وعاصمتها بصرة (انظر هذه المادة)، ومن الشمال الغربى بمقاطعة الجيدور وفى غربها أرض الجيدان التى تمتد فى الأردن الأعلى وبحذاء بحيرة طبرية، ويتبع العرب فى وصفهم هذا ما ذكره الكتاب فى العهد اليونانى مع جعلهم أسماء بعض هذه البلاد أوسع مدلولا، فنجد الكثير منهم يطلق اسم «البثنية وحوران» على النصف الشمالى من الإقليم الموجود شرق الأردن، بينما يجعل غيرهم كياقوت مثلا لحوران من الاتساع إلى حد أنها تشمل النواحى الأخرى والقطر الأوسط لغاية اليرموك، أما البثنية اليوم فتدل على السفح الشمالى الغربى لجبال الدروز والسهل المنبسط ناحية الشمال، وكانت فى الأصل تسمى «بُثنية»، وهى غير البثنية.

وقد عنى جغرافيو العرب عناية خاصة بالإشارة إلى خصب أرض البثنية وحوران خصوبة نادرة، وتقول الأساطير إنها كانت مملكة أيوب ؟

المصـــادر

(١) الإصطخرى: المكتبة الجغرافية العربية، جـ ١، ص ١٣، ٦٥، ٦٧ (٢) ابن حوقل: نفس المصدر، جـ ٢، ص ١٢٤ (٣) المقدسى: نفس المصدر، جـ ٣، ص ١٥٤، ١٦٠، ١٩٠ (٤) ابن الفقيه: نفس المصدر، جـ ٥، ص ١٠٥ (٥) اليعقوبى: نفس المصدر، جـ ٧، ص ٣٢٦ (٦) المسعودى: نفس المصدر، جـ ٨، ص ٢٨٦ (٧) البكرى: معجم البلدان طبعة فستنفلد، ص ١٣٨ (٨) ياقوت: معجم البلدن طبعة فستنفلد، جـ ١، ص ٤٩٣؛ جـ ٢، ص ١٥٩ (٩) البلاذرى: طبعة دهغوى، ص ١٢٦ (١٠) الطبرى: التاريخ طبعة ده غوى جـ ١، ص ٢١٥٤؛ جـ ٣، ص ٥٢ و ٢٢٥٧ (١١) Schürer: *Geschichte des jüdischen Volkes z. Teit Jesus Christi* الطبعة الثالثة، جـ ١، ص ٤٢٥ ومابعدها (١٢) Buhl: *Geographie des alten Palästina* ص ٨٣ (١٣) Wetzstein: *Reisebericht*

über Hauran [redacted] *die Trachone* : سنة ١٨٦٠ ، ص٨٣ ومابعدها (١٤) Schumacher في : *Zeitschr. d. deutschen Palästina-Vereins* جـ ٢٠ ، ص ٦٧ — ٧٠ (١٥) Nöldeke : في *Zeitschr. der deutschen Morgenl. Ges.* جـ ٢٩ ، ص ٤٣١ .

[Fr. Buhl بوهل]

« بثينة » صاحبة جميل (أنظر هذه المادة)

« بجاپور » أو فجَيپور أى مدينة النصر : مدينة وإقليم فى الهند الإنجليزية تابع فى الإدارة لبمباى ، وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٤٧٣٩ كيلو مترا مربعا ، وكان عدد سكانه فى ١٩٠١ : ٧٣٥٤٣٥ نسمة منهم ١١٪ فقط مسلمون ، والجزء الأكبر من هذا الإقليم عبارة عن هضبة قاحلة يكثر فيها الجفاف ، ومعظم السكان يتكلمون لغة الكنارسى Kanaresten وهم تابعون فى جملتهم إلى فرقة « لنجايت » .

أما مدينة بجاپور فهى عاصمة الإقليم منذ عام ١٨٨٥ وكانت تسمى قبل ذلك « كلادجى » وبلغ عدد سكانها ٢٣٨١١ نسمة فى عام ١٩٠١ ، وكانت هذه المدينة عاصمة ممتلكات أسرة عادل شاه الذين استقلوا عن البهمنية فى عام ١٤٩٠ ، وقد استولى أورنكزيب على هذه المدينة عام ١٦٨٦ ، ولا تزال إلى اليوم كثير من القصور الجميلة والمساجد والمقابر وغير ذلك من الآثار الموجودة فى تلك المدينة محتفظة بكيانها ، وكذلك أسوار المدينة التى تحيط بجزء كبير منها .

ونذكر بصفة خاصة من بين هذه الآثار روضة إبراهيم عادل شاه المتوفى عام ١٦٢٦ ، و « كل كباز » محمد عادل شاه المتوفى عام ١٦٧٣ ، وقد قامت الحكومة الإنجليزية أخيراً بكثير من الإصلاحات الدقيقة بقصد تجديد تلك الآثار وإرجاعها إلى حالتها الأولى .

المصـــادر

(١) H. Cousens : *Guide to Bijapur* بمباى ١٩٠٥ (٢) *Bombay Gazetteer* جـ ٢٣ (٣) J. Ferguson et P. Meadows Taylor : *Architecture at Beejapoor* لندن ١٨٨٦

[J. S. Cotton كوتون]

« بجاق » : الاسم التركى للسهوب التى تكون الجزء الجنوبى من إقليم بساراپيا الروسى وهو على مقربة من إقليم أكرمان ، ويطلق هذا الاسم كذلك على إقليم بساراپيا بأجمعه . وفى عهد بايزيد الثانى خضع هذا الإقليم لسلطان الترك عام ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) وظل فى حوزتهم حتى صلح بوخارست فى عام ١٨١٢ م وفيه ألحقت بساراپيا نهائيا بالروسيا بعد أن احتلتها عدة مرات خلال حروبها مع

تركيا ، ويمكن الرجوع إلى مقال كاكوز فيما يختص بالعناصر التركية التترية من السكان ؟

« بجاناك » : شعب تركي قديم رسم اسمه في صور مختلفة (بجناك ، پچنك وباليونانية Πατζιναχῖται, Πατζινάχαι وباللاتينية Patzinacitae ، Patzinacae ، Pincenakiti ، Piecinigi و Pecenaci إلخ ثم Byssen و Bessi ويسمون في لغة المجر Besenyok إلخ) . وليس من شك اليوم في أن هذا الشعب كان فرعا من الجنس التركي ، كما أن رشيد الدين (في القرن الثالث عشر ، أنظر مادة «غازان») وكذلك محمود كشغري المتوفى سنة ١٠٧٣ قالا إنهم من قبائل الغز (أنظر هذه المادة) . ويضع هذا المؤلف الأخير في كتابه « ديوان لغات الترك » (ج ١ ، ص ٢٧ ؛ K Cs. A ، ج ١ ، ص ٣٦) البجاناك بين مجموعة الشعوب التركية الشمالية التي ينتسب إليها أيضا القفجاق والأغوز وغيرهما ، ويقول في تعيينهم « إنهم أقرب الناس إلى الروميين « Rhoméens » ، وعلى هذا فهم قوم الترك الذين استوطنوا أقصى الغرب .

وتدل جميع الظواهر على أن البجاناك افترقوا قديما عن إخوانهم منذ كانوا في مهدهم البدائي بالتركستان ، ويقال إن إقليم « امبا — أورال — فلجا » Emba—Oural—Wolga كان أقدم موطن لهم ، ويروى البكري والكرديزي أن عرضه كان مسيرة ثلاثين يوما وطوله كان كذلك ، ونزلوا هناك بالقرب من الخزر في الجنوب الغربي والأغوز في الجنوب الشرقي . ويظهر أن نزولهم في تلك الربوع كان في عصر متقدم بعض الشيء . وكانوا يتاجرون مع الفرس وأهل خوارزم .

على أنه منذ حوالى سنة ٨٦٠ بدأ الأغوز يمتدون نحو الغرب ويدفعون أمامهم البجاناك من إقليم الأورال .

وحوالى نهاية القرن التاسع اتفق الأغوز (Ὀζοι ، Ὀ و Uzes) والخزر فيما بينهم وطردوا الجانب الأكبر من البجاناك من موطنهم القديم حتى أن ابن فضلان لم يجد منهم في تلك البقاع حوالى سنة ٩٢٢ إلا العدد القليل ، ويقول مؤلف « *De administrando imperio* » (ص ١٦٦) إن الذين بقوا في تلك البلاد من البجاناك ظلوا فيها باختيارهم .

وعندما فر البجاناك أمام الأغوز اصطدموا في طريقهم بالمجر القدماء فساقوهم أمامهم إلى « هنغاريا » واحتلوا بلادهم ، فاحتلوا أولا الإقليم بين الطونة ودنيپر ثم وصلوا بعد ذلك إلى نهر الدانوب .

وسجل قسطنطين فورفيروجينيت Constantin Porphyrogénète الذي كتب حوالى سنة ٩٥٠م تاريخ هذه الحادثة إذ يقول « إنها وقعت منذ خمسين عاما » ؛ ولكن المؤرخ رجينو Regino يقول إن التاريخ الصحيح الذي حدثت فيه هو سنة ٨٨٩ م .

وانتهى الأمر إلى أن امتد شعب البجاناك من روسية الجنوبية إلى الكربات الشرقية مخترقا بسارابيا وملدافيا .

وكان البجاناك رجال حرب ذوى بطش وقوة ، ولهذا كانوا مصدر خطر دائم على البلاد المجاورة لهم . ولسنا نستطيع إلا أن نجمل هنا القول فى العلاقات التى اتصلت بينهم وبين الروسيا وهنغاريا وبوزنطة ، ففى خلال القرن العاشر والقرن الحادى عشر خرجوا من الكربات الشرقية وهاجموا هنغاريا عدة مرات ، وعلى العكس من هذا نجدهم قد استقروا أحياناً فى بعض مقاطعاتها من غير حرب (أنظر خريطة تبين أماكنهم فى هنغاريا فى *Die Inschriften des Schatzes* : Nemeth *von Nagy — Szent — Miklos* ، الملحق الأول) . وكانت جالياتهم لا تزال تستمع فى القرن الثالث عشر ببعض الامتيازات السياسية فى هنغاريا ثم قضى عليها القومان

وكانت العلاقات بين روسيا والبجاناك سلمية أحياناً ، إذ كانوا يبيعون الروس الخيل والبقر والماشية كما يقول صاحب كتاب *De administrando imperio* ، (ص ٦٩) ، وكانوا أحياناً يحالفون الروس ضد بوزنطة وبلغاريا ، كما حدث فى عهد إيجور Igor سنة ٩٤١م . ومع هذا فكثيراً ما شنوا الغارة على بلادهم ، فقد حاصروا كييف Kiew فى سنة ٩٦٨ م ، وفى سنة ٩٧١ م ذبحوا الدوق الكبير سفياتسلاف Swjatoslaw عند انسحابه من بلاد البلغار ، واضطر الروس إزاء هذا إلى تشييد حصون عديدة ليدفعوا عنهم غارات البجاناك ، فاستطاعوا بهذا صد آخر غارة شنوها على بلادهم سنة ١٠٣٤ م . وأخذ الأغوز يتقدمون فى زحفهم (١٠٦٥م) ويسوقون أمامهم البجاناك فى اتجاه الدانوب ثم انثنوا بعد هذا إلى شبه جزيرة البلقان .

وأوصى الكاتب الإمبراطورى البوزنطى فى كتابه المسمى *De administrando imperio* (ص٦٨) بمسالمة البجاناك ، والواقع هو أنه عقد معهم حلفا ، ولكنهم انضموا إلى الروس فى مهاجمة بوزنطة منذ سنة ٩٧٠م . واتصلت الحرب بين البجاناك وبوزنطة منذ ذلك التاريخ إلى أن هزمهم ألكسيس الأول بالقرب من مصب نهر مرتزه سنة ١٠٩١ م ، وفى نفس هذا المكان هزمهم مرة أخرى حنا الثانى هزيمة منكرة سنة ١١٢٢ م . وانضم فريق ممن بقى من البجاناك إلى جيوش بوزنطة ، أما الفريق الآخر فقد سكن بلاد البلقان وبخاصة بلغاريا . ويعتبر الكاكوز Oaganzes (انظر هذه المادة) فى الغالب البقية الباقية من البجاناك ، ولكن اللغة التى يتكلمونها لا تسمح بتأييد هذا الرأى . وعلى أية حال فان أسماء كثير من الأماكن فى بلاد البلقان تذكرنا بالبجاناك القدماء .

وإذا علمنا أن البجاناك كانوا من الرحل سهل علينا أن نعرف أن النظام القبلى كان له بينهم شأن كبير . ويروى قسطنطين فورفيروجينيت أن البجاناك انقسموا إلى

ثمان قبائل كل أربعة منها على شاطئ من شاطئى الدنيبر. وكان بينهم كثير من الغراندوقات grands - ducs ، وانقسمت هذه القبائل إلى أربعين عشيرة كان على رأس كل منها أمير من صغار الأمراء ، ويقول Németh إن أسماء القبائل كانت تتألف على وجه خاص من أسماء الخيول وأسماء الزعماء ، فمثلا اسم «سوروكول بك» ، وهو باليونانية Συρουχαλπέη معناه القبيلة ذات الخيول الشهباء ، والقبائل الثلاثة التى امتازت بشجاعتها ونبلها هى التى يسميها فور فيروجينيت باسم كنكر (Κάγγαρ) وأشهر أسماء الأمراء من غير منازع هو اسم « قورقوت » أمير قبيلة جولا . وفى عهد كدرنوس Kadrenos (جـ ٢ ، ص ٥٨١ — ٥٨٢) كان يوجد ثلاث عشرة قبيلة من البجاناك ورث كل منها الاسم الذى كان يسمى به جد القبيلة ورئيسها الأكبر .

ولسنا نعرف عن دين البجاناك إلا الشىء القليل. فالبكرى يقول إنهم كانوا فى قديم الزمان من المجوس عبدة النار ، ولكن هناك دلائل أخرى تدل على أنه كان بينهم عدد كبير من المسلمين فى أوائل القرن العاشر الميلادى .

أما فيما يتعلق بلغة البجاناك فقد قررت أنّا كومنين Anna Comnéne فى القرن الثانى عشر الميلادى أن لغتهم هى نفس اللغة القومانية (أنظر مادة « قفجاق ») ، والآثار القليلة الباقية من تلك اللغة تكاد تنحصر حتى اليوم فى الأسماء التى ذكرها قسطنطين فور فيروجينيت ، وهى أسماء قبائل وأمراء وحصون البجاناك .

على أنه فى سنة ١٩٣١ نجح Németh فى حل نقوش كنز « نجى سزنت مكلوس » Nagy — Szent — Miklôs ورأى فى وضوح أن الأوانى Vases الذهبية والفضية التى وجدت فى ذلك الكنز كانت ملكا لأمير البجاناك المسمى « بوتاؤول چبان » ، والذى عاش حوالى سنة ٩٠٠ و ٩٢٠ م ، ووجد أيضا هناك آثاراً لغوية جديدة للغة البجاناك استخلص منها وثاقة القرابة بين تلك اللغة ولغة القومان فى بلاد المجر (هنغاريا) والنقوش القومانية Codex Cumanicus .

أما الخط المستعمل فى النقوش التى أشرنا إليها ، فيمكن تسميته بالخط البجاناكى الرونى وهو من نوع الخط التركى المسمى « كوك » « Kök » ويصور لنا وثاقة الصلة بينه وبين الخط المجرى الرونى .

وأخيراً إنه بالنظر لوجود حوضين للتعميد فى كنز « نجى سزنت مكلوس » يمكننا أن نفترض أن أميرين من أمراء البجاناك اعتنقوا النصرانية . ولسنا نعرف عن البجاناك شيئا من هذا . ومع ذلك انظر فهرس المواد فى كتاب ديتريش K. Dietrich المذكور فى المصادر .

المصادر

(١) إن أقدم المصادر العربية الخاصة

بالبجاناك مثل ابن رسـتة والبكرى وكذلك المصادر الفارسية مثل كرديزى تعتمد جميعا على الجيحانى (فى القرن العاشر) وكذلك على مصدر آخر يرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الحادى عشر، وهى لا تتحدث جميعا إلا عن الموطن القديم لهذا الشعب، أما ما ذكره المسعودى فيشتمل كذلك على العهد اللاحق لإخراج البجاناك من إقليم الفلجا، وقد نقد هذه الروايات بنوعيها وعلق عليها بارتلد ومركار J. Marquart,:

W. Barthold (٢) ن، عاصم و م. عارف: عثمانلى تاريخى، القسطنطينية، ١٣٢٥، ج ١، ص ٧٥ وما بعدها (٣) سامى بك: قاموس الأعلام، ج ٢، ص ١٣٠٦ (٤) Constantin Porphyrogénéte: طبعة بون سنة ١٨٤٠، ج ٣ أنظر الفهرس التاريخى Index Historicus « الفصل ٣٧ بتمامه خاص بالبجاناك » (٥) P. Golubovskiy: Pecênêgi, torki i polovci de nashestviya tatar.: كييف سنة ١٨٨٤ (٦) K. Krambacher: Geschichte der byzantinischen Litteratur سنة ١٨٩٧ ص ١١٠٥ (٧) Enciklopediceski Slovar, Brokgaus-Efron، ج ١٣، ص ٥٣٨ وما بعدها، سانت بطرسبرج، سنة ١٨٩٨ (٨) J. Marquart: Osteuropäische und ostasiatische Streifzüge، ليبسك، سنة ١٩٠٣، أنظر الفهرس (٩) Nagy Réval Lexikona، بودابست سنة ١٩١١، ج ٣ أنظر مادة Besenyok (١٠) K. Dieterich: [redacted] Byzantinische Quellen zur Länder Völkerkunde عام ١٩١٢، الفصل الثانى وبخاصة ص ٥١ — ٥٨، ١٤٧ و ١٨٦ (١١) G. Oberhummer: Die Türken und das Osmanische Reich، ليبسك وبرلين ١٩١٧، أنظر الفهرس (١٢) Z. Gombocz: Über den Volksnamen Turan، بودابست، ١٩١٨، ص ٢٠٩ — ٢١٥ (١٣) W. Bang: Über den Volksma[redacted] besenyo، الموضع المذكور ص ٤٣٦ — ٤٣٧ (١٤) G. Fehér: Die Petschenegen und die ungarischen Hunnenagen، فى A .K Cs، ج ١، ص ص ١٢٣ — ٢٤٠ (١٥) Gy.Czebe: Turco-byzantische Miszellen فى K Cs. A، ج ١، ص ١٠٩ — ٢١٩ (يهاجم فروض Fehér ويؤيد هذا التفسـير اللغوى الذى ذهب إليه Németh ويحلل من جديد الفصل الذى كتبه Porphyrogénéte عن البجاناك) (١٦) W. Barthold: Orta Asya Türk Ta'rikhine hakkinda Dersler، استانبول ١٩٢٧، ص ٢٣ و ص ٩٢ وما بعدها (١٧) J.Németh: Zur Kenntnis der Petschenegen فى K Cs. A، ج ١، ص ٢١٩ — ٢٢٥ (١٨) المؤلف نفسه: Die petschenegischen Stammesnamen فى Ungarische jahrbucher، ج ١٠، عام ١٩٣٠، ص ٢٧ — ٣٤ (١٩) المؤلف نفسه: Die inschriften des Schatzes [redacted] Nagy-Szent-Miklos، بودابست — ليبسك ١٩٣٠، ص ٣٦، ٤٥ — ٥٩ (٢٠) Hüseyin Namik: Peçenekler استانبول ١٩٣٣

[فهيم بجركترقتش Fihim Bajraktarevic]

« بَجّانة »: مدينة قديمة مهمة فى الجنوب الشرقى من الأندلس شمالى المرية (أنظر هذه المادة) التى كانت تسمى فى الأصل « مرية بجانة » ولا يفصلها عنها إلا عشرة كيلومترات . كانت بجانة حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى مقر جمهورية بحرية أقامها رجال بحر أندلسيون كان لهم أيضا مستعمرة على شاطئ الجزائر فى تنيس Ténés (أنظر هذه المادة) وكانت هذه المدينة تتألف من عدة أحياء تفصل البساتين بعضها عن بعض ، ثم أصبحت حاضرة كورة سميت باسمها . ولكن سرعان ما احتلت مكانها مدينة المرية المجاورة لها ، وهاجر إليها سكان بجانة واستقروا فيها ؟

المصـــادر

الإدريسى : نزهة المشتاق ، طبعة دوزى وده غوى ، ص ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ من النص العربى وص ٢٠٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ من الترجمة (٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة رينو وده سلان Reinaud et de Slane ، ج ٢ ، ص ١٧٧ — ٢٥٤ (٣) ياقوت : معجم البلدان طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (٤) ابن عبد المنعم الحيرى : الروض المعطار ، طبعة اسبانيا ، رقم ٣٧ (٥) Simonet: *Descripcion del reino de Granada* ، غرناطة ، ١٨٧٢ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ و ص ١٤٥ .

[ليفى بروفنسال O. Lévi-Provençal]

« بجاوه » أنظر بجه

« بجايه » مدينة بالجزائر على شاطئ البحر تابعة لإقليم قسنطينة ، وهى على خط طول ٩َ ٥° شرق جرينوتش ، وخط عرض ٤٩َ ٣٦° ، شمالا ويبلغ عدد سكانها وفقا لتعداد سنة ١٩٠٦ ، ٥٥٢٨ نسمة .

وقد بنيت هذه المدينة على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية لجبـــل جورايه (٦٦٠ متراً) وهى تطل على خليج تحميه من الرياح العاصفة عدة كتل عالية من الصخور ، ومناخ هـذه المدينة معتدل جدا فى الصيف ، ويكثر سقوط المطر الغزير فى تلك المنطقة ، ولهذا تكثر المزروعات مثل أشجار الزيتون والصفصاف والشوير وغير ذلك .

ولا نعرف إلا القليل عن تاريخ بجاية خلال القرون الثلاثة الأولى التى أعقبت الفتح الإسلامى ، بل إننا لا نعرف أيضا العهد الذى اختفت فيه المدينـة الرومانيـة سالدى Saldae التى كانت تشغل المكان الذى قامت عليه مدينة بجاية الحالية . ويظهر مع ذلك أن الملاحين لم ينقطعوا عن التردد على هذه الفرضة وأن ضاحية من الضواحى قد ظلت باقية على سفح جبل جوراية . وقد ذكر البـكرى (كتاب المسالك والممالك ، ترجمة ده سلان ص ١٩٢) بجاية على أنها مدينة قديمة يسكنها الأندلسيون ولها ميناء جيد ومشتى جيل .

وذكر ابن خلدون (تاريخ البربر ، ترجمة سلان ، ج ٢ ، ص ٥١) أنه كان فى تلك البقعة مدينه تسكنها قبيلة بربرية تسمى بجاية أو بقايه كما ينطق بها أهالى تلك المنطقة وتعرف فى لغة أهل القبائل باسم بجيث Begaith .

ولم يكن لبجاية شأن هام فى تاريخ البربر إلا فى عهد بنى حماد (انظر هذه المادة) وذلك عند ما رأى سلاطين قلعه أنهم مهددون بغزوات العرب الهلاليين فعزموا أن يكونوا على مقربة من الشاطئ . ففى عام ٤٥٣ هـ (١٠٦٢—١٠٦٣) استولى الناصر بن علناس رابع سلاطين بنى حماد على جبل بجاية وابتنى هناك مدينة سماها الناصرية ، ولكن الأهالى ظلوا يطلقون عليها اسم بجاية . واجتذب إليها عددا كبيرا من السكان، إذ كان يعفى جميع السكان الجدد من الضرائب، وتذهب الروايات كذلك أنه كان يجبر الأهالى على بناء المساكن كما كان يفرض على كل من يدخل هذه المدينة أن يجلب معه حجرا أو يدفع قطعة من الذهب . واستقر هو نفسه فى تلك المدينة عام ٤٦١ هـ وابتنى بها قصرا أسماه قصر اللؤلؤ كما ابتنى رصيفا ممتدا فى البحر ودارا لصناعة السفن وقناطر معلقة لجر المياه وسورا حول المدينة به أبراج . ونقل ولده وخليفته المنصور عاصمة ملكه من قلعة إلى بجاية وذلك عام ٤٨٣ هـ (١٠٩٠—١٠٩١) وشيد هناك قصر أميمون وابتنى مسجدا تزينه منارة ارتفاعها ستون قدما وواجهة بها ١٧ باكية Porticoes كما جلب إليها المياه من جبل توجه بواسطة القناطر المعلقة . وغدت بجاية بذلك من أهم مدن المغرب، وكانت هذه المدينة مقسمة إلى ٢١ حيا وتضم ٧٢ مسجدا وقد أشاد الرحالة بغناها وعظمتها وبنشاطها التجارى . وذكر الإدريسى فى كتابه أن بجايه هى عاصمة بنى حمّاد وأن السفن كانت ترسو بها والقوافل تفد عليها وأنها بمثابة مخزن للبضائع . وسكانها أغنياء يحترفون عدة فنون ومهن لانجدها بوجه عام فى غيرها من البلدان ، كما انتعشت التجارة فيها . وتجار هذه المدينة على صلات بتجار إفريقية الغربية وتجار الصحراء والشرق ، كما نجد بها كثيرا من مختلف البضائع . ويوجد حول هذه المدينة السهول الخصبة التى يزرع فيها القمح والشعير والفاكهة بكميات كبيرة . وقد بنيت فى تلك المدينة الأبنية الضخمة وكذلك السفن والمراكب لأن الجبال والأودية المجاورة يكثر فيها الأخشاب كما أنها تنتج الراتينج والقطران الجيد النوع . . . ويشتغل السكان باستغلال مناجم الحديد التى تغل منه كميات كبيرة ، وعلى الجملة فالمدينة مركز صناعى هام كما أنها ملتقى للمواصلات (الإدريسى ، ترجمة غوى ودوزى ص ١٠٤) ولم تكن العلوم فى تلك المدينة بأقل شأنا من التجارة والصناعة . فقد ذكر الغبرينى المؤرخ ، وهو من أهل بجاية ، تراجم ١٠٤ شخصا اشتهروا إما بالعلم أو بالتقوى عاشوا فى بجاية خلال القرن

السابع الهجرى . ويمكننا أن نذكر من بينهم الفقهاء الآتية أسماؤهم : عمارة بن يحيى الحسينى . وعبد الحق بن ربيع . وعبد العزيز ابن عمر القيسى .

ومن بين المؤرخين : عبد الله بن محمد بن عبادة . ومحمد بن الحسن بن ميمون . وأحمد ابن عيسى العمرى . وأبو الحسن بن أبى نور . وناصر فتح بن عبد الله .

ونذكر من الأطباء ، أحمد بن خالد . ومحمد بن أحمد الأموى . وأبو العباس أحمد وأصله من فارس استوطن بجاية بعد أن زار الصين والهند وأرمينية . وتقى الدين وهو من أهل الموصل ، وعبد الحق بن إبراهيم بن سبيم وغيرهم ... والشاعر ابن فقون الذى نظم أخبار رحلته فى مراكش بالشعر ، ومنافسته الشاعرة عائشة ابنة الفقيه الحسينى . ونذكر كذلك ابن تومرت الذى استوطن بجاية فى عهد عبد العزيز وسيدى ابو مدين الذى درّس فى بجاية عدة سنوات (انظر مادتى ابن تومارت ، و ، ابو مدين) وظلت بجاية رافلة فى حلل السعادة حتى عهد دولة بنى حماد واستمرت فى رخائها فى عهد الموحدين . وفى عام ٥٤٦ هـ (١١٥٢ م) استولى عبد المؤمن على هذه المدينة وخلع السلطان يحيى من على العرش ، نصب مكانه أحد أبنائه . وأصبحت بجاية من ذلك الوقت عاصمة إقليم وكلت إدارته إلى أمير من أمراء الأسرة الحاكمة . وفى عام ١١٨٣ احتل تلك المدينة ابن غانية (انظر مادة المرابطين) وقد استعاد الموحدون فتح تلك المدينة بعد ذلك بقليل واستولى عليها الحفصيون (انظر هذه المادة) بعد ذلك عندما أعلن أبو زكريا الأول استقلاله فى الشرق عام ٦٢٩ هـ (١٢٩٨ م) . وجرى أبو زكريا على سنة الموحدين فأسند حكومة هذه المدينة إلى ولده الأكبر . وكان تاريخ بجاية خلال النصف الأخير من القرن الثالث عشر وفى القرنين اللذين أتيا بعده كثير الحوادث والانقلابات . فقد تمكن الأمراء الحفصيون فى عدة ظروف (١٢٨٤ — ١٣٠٩ ؛ ١٣١٠ — ١٣١٨ ، ١٣٦٤ — ١٣٦٨) من التحرر من سلطان تونس وجعلوا من بجاية عاصمة لولاية مستقلة تشمل الجزء الأكبر من إقليم قسنطينة المعروف الآن . كما أنهم صدوا هجمات بنى عبد الواد أصحاب تلمسان والمرينيين أصحاب فاس (انظر مواد : عبد الواد ، بنى زيان بنى مرين) . وقد حاصر بنو عبد الواد بجاية فى الأعوام ١٣١٠ ، ١٣١٦ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩—١٣١٩ ولكن دون أن يظفروا بطائل ، ولكى يبلغوا مرامهم ويحاصروا المدينة حصارا تاما استقروا فى تمزردك فى وادى سمّم . وكان المرينيون أسعد منهم حظا إذ استولوا على المدينة فدخلها أبو الحسن دون قتال عام ١٣٤٧ وظل سلطان المرينيين قائما بها حتى عام ١٣٦١ وفى تلك السنة استعاد الحفصيون سلطانهم فى تلك المدينة وأصبحت بجاية عاصمة ولاية تحت إمارة أحد أولاد سلطان

تونس ، وكانت بذلك كما كان الحال فى قسنطينة بمثابة معاش خاص لأمراء البيت المالك ، ولكن حسن الوفاق لم يكن قائما بين حكام قسنطينة وبجاية فقد خضبت حروبهم المتوالية أرض الجزائر خلال القرن الخامس عشر وطيلة السنوات الأولى من القرن السادس عشر .

واستمرت بجاية على الرغم من هذه الحوادث تحتل مركزاهاما فى الحياة الاقتصادية لإفريقية الشمالية ، فقد وطد بنو حماد منذ أول الأمر صلاتهم الودية مع الممالك المسيحية وخاصة مع روما والجمهوريات الإيطالية ، وعقد الناصر محالفة مع أهل بيزا خول لهم فيها حق المتاجرة فى بلاده . واتبع الموحدون نفس تلك السياسة فجددوا المحالفة التى عقدها الناصر مع أهل بيزا وأعطوا مثل هذه الامتيازات لأهل جنوا ولأهل مرسيليا ، وكان أهل قطلونية Catalans وبروفنس Provencaux والبنادقة يترددون كثيراً على ميناء بجاية ويعرف فى المؤلفات الغربية باسم *Bugia* أو *Buzia* أو *Bugea* أو *Buzana* . وكان للتجار النصارى فنادق خاصة بهم فى تلك المدينة ، وكانوا يشترون منها الصوف والزيت والجلود والشمع ، غير أن الحال تغير عن ذلك فى أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر عقب عودة القرصنة إلى الظهور؛ تلك القرصنة التى لم يقض عليها قضاء تاما . وقد اشتهر من هؤلاء القرصان بعض أهل بجاية وكانوا يلقون الرعب فى قلوب الملاحين المسيحيين .

ولما اعتزم الإسبانيون الاستيلاء على بعض الأماكن الهامة على شاطىء بلاد البربر ، فكروا فى انتزاع بجاية من أيدى المسلمين ، فاستولى بدرو نافارو Pedro Navarro على هذه المدينة فى شهر فبراير من عام ١٥٠٩ م ، وجدد الإسبان حصونها ، أما المدينة نفسها فنهبت وخرب قصربنى حماد الذى كان لا يزال قائما ، وأغار القرصان التركى اوروج (أنظر هذه المادة) على بجاية عام ١٥١٣ م ولكن الإسبان أفلحوا فى مقاومته واحتفظوا بالمدينة حتى عام ١٥٥٥ م غير أن سلطانهم فيها كان مزعزعا .

وظل أهل القبائل يحاصرون هذه المدينة دون انقطاع فى حين أن حاميتها من الإسبان لم يزودوا بالمعونة الكافية من الرجال والزاد والذخائر ، وكانت أسوار هذه المدينة قد تخربت عند ما جاء بكلر بك صالح رئيس لمحاصرتها ، فلم يمض ستة أيام حتى تم له النصر وأجبر ألونسو [redacted] بيرالتا D. Alonso de Peralta حاكم المدينة على التسليم فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٥٥٥ م ، وعندما رجع هذا الحاكم إلى أسبانيا حوكم أمام مجلس عسكرى وحكم عليه بالموت فقطعت رأسه .

واحتفظ الترك بسلطانهم فى هذه المدينة مدة ١٨٨ سنة ووضعوا هناك حامية ولكنهم لم يتمكنوا قط من استمالة القبائل المجاورة أو إعادة تلك المدينة إلى سالف مجدها ، ولم

يكن فى هذه المدينة فى القرن الثامن عشر إلا خمسمائة أو ستمائة نسمة عدا حاميتها ويبلغ عددها ١٦٠ جنديا من الإنكشارية .

وعندما استولى الفرنسيون على الجزائر عام ١٨٣٠ م طردت القبائل العساكر الترك واستولوا على المدينة. ورأت الحكومة الفرنسية بادئ الأمر أن تولى والياً أو زعيما على تلك المدينة من أهلها ، ولكنها عادت فقررت الاستيلاء عليها، وربما كان ذلك خوفا من أن تحتلها دولة أخرى فأعدوا حملة فى طولون على رأسها القائد ترزل Trezel فوصلت إلى هذه المدينة فى ١٩ من سبتمبر عام ١٨٣٣م ، وبعد قتال عنيف فيما بين ٣٠ سبتمبر و١٢ أكتوبر استولى ترزل على المدينة ، وظل مركز الفرنسيين فى بجاية مدة طويلة متحرجا بسبب مناوشات أهل القبائل حتى أنهم فكروا فى مناسبات مختلفة فى التخلى عن هذه المدينة إذ شعروا أن احتلالهم لها غير مجد ، ولم يستتب لهم الأمن فيها إلا بعد غزو أهل القبائل عام ١٨٤٧ — ١٨٥٧ ، ومنذ ذلك الوقت أخذ الفرنسيون فى تحسين وادى سمّم واستغلال المناجم العديدة الموجودة فى ذلك الإقليم وإنشاء الطرق ومد السكك الحديدية التى تربط بجاية بأهل القبائل الكبرى من جهة، وبسهول سطيف المرتفعة وبجانة من جهة أخرى ، وهذه العوامل كلها جعلت المدينة ترفل فى حلل الرخاء كما أنها أعطت ميناءها قيمة تجارية هامة ؟

المصـــادر

(١) Féraud: *Histoire de Bougie* ، قسنطينة ١٨٦٩ . (٢) Cherbonneau : تعليقات ومقتطفات من كتاب «عنوان الدراية فى مشايخ بجاية» ، نشرها فى *Rev. Algerienne Coloinale* يونيه عام ١٨٥٩ . (٣) *Aïcha poetesse de Bougie* فى *Rev. Africaine* ، ج ٤ ، عام ١٨٩٨ ، ص ٣٤ . (٤) Daumas: *La Kabylie* باريس ١٨٤٦ ص ٤٣ — ٩٦ (٥) الغبرينى : عنوان الدراية ، الجزائر عام ١٩١١

[إيفر G. Yver]

« بجرمى » ويقال بقيرمى وبكيرمى : بلاد فى أواسط السودان جنوبى بحيرة شاد ، وقد ظل الأوربيون يجهلونها مدة من الزمن إلى أن قام أحدهم ، وهو «دنهام» Denham ، بزيارة الجزء الشمالى منها عام ١٨٢٤م ، وفى ٥ مارس من عام ١٨٥٢م خرج بارث Barth من برنو فوصل إلى « مسنيا » *Massenya* ، وجمع فى رحلته هذه التى انتهت فى ٢٢ أغسطس من العام نفسه معلومات تاريخية هامة عن بجرمى . وفى عام ١٨٨٢ م سار ناشتجال Nachtigal بمحاذاة نهر «شارى» حتى «بينغنية» *Bainaghenné* ولكنه لم يستطع أن ينفذ إلى داخل البلاد لاضطراب الأحوال فيها .

ويمكننا أن نضيف إلى تقارير هؤلاء الرحالة ما قام به المستكشفون القادمون من

إقليم الكنغو أمثال ميستر Maistre وجنتيل Gentil الذى زار تسنيا عام ١٨٩٧ م . وقد قام الضباط والموظفون الفرنسيون الذين نيط بهم إدارة أقاليم بحيرة شـــاد بتكميل وتصحيح هذه التقارير جميعا منذ عام ١٩٠٠م

وتضم الدولة الوطنيـة التى أطلق عليها اسم بجرمى بعض دويلات أخرى تابعة لها إلى جانب بجرمى الحقيقية ، مثل إقليم بونه وإقليم كِردى على الضفة اليمنى لنهر شارى وهو يمتد حتى خط عرض ١٠ شمالا ، وإقليم دجانه Degana بالقرب من بحر الغزال وإقليم « دكا كريه » Dekakiré الجبلى فى الشرق ، وإقليم حُـزام و «دِبَبَـه» بالقرب من واداى . وتبلغ مساحة بجرمى ودويلاتها وفقا لا حصاء عام ١٩٠٣م حوالى ٣٠٠٠٠ ميلا وقد بلغت ٤٠٠٠٠ ميلا فى أحدث الاحصاءات التى قام بها الكولونيـــل « لارجو » Largeau (*Revue de* فى *L'occupation du* [illegible]) *Paris* ، عدد أول يناير سنة ١٩١٠ ، ص٢٩) .

وبجرمى الحقيقيـة سهل يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٢٥٠ ميلا وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٥٠ ميلا ومساحته حوالى ثمانية آلاف ميـل . وهذا السهل الذى يبلغ ارتفاعه ألف قدم يأخذ فى الانحدار تدريجا نحو الشمال الغربى تجاه بحيرة شاد، أما جزؤه الشمالى الشرقى فينحدر نحو بحر الغزال. والسهل مستو فى بعض أجزائه حتى أن الماء يجرى فيه بل تتكون منه المســـتنقعات ، وهناك بعض المرتفعات المتفرقة حول هذه البلاد . ففى الشمال تلال « نجورّه » *Ngourra* التى تفصل بجرمى عن حوض نهر « فِتْـرى» *Fittri*. وإلى الشرق ترتفع جبال « غيريه » *Ghéré* التى لا نعرف عنها إلا القليل . والجزء الأكبر من المياه يفيض نحو بحيرة شاد بوساطة نهر شارى الذى يحد بجرمى إلى مسافة ١٧٠ ميلا وبحر أرجج ، ويسميه بارث باتشـــيكام *Batschikam* « أى نهر أوراق الشجر ، الذى هو فى الواقع فرع من نهر شارى ينفصل عنه عند « ملتو » *Miltu* ويصب فيه ثانية عند بجمان *Buguman*. ويتراوح اتساع نهر شارى بين ٢٠٠ و ٥٠٠ ياردة ولذلك فهو صالح للملاحة دواما . أما النهر الأخير فلا يصلح للملاحة لأنه ضيق تملؤه النباتات . وكلا النهرين تنتابه تغييرات كبيرة فى منسوبه تبعا لاختلاف الفصول . وهناك فصلان : فصل الأمطار ويستمر عادة أربعة أشهر وفصل الجفاف ويستمر ثمانية أشهر ويمتد أحيانا فيضر الزراعة ضررا بليغا .

وبجرمى بلاد خصبة نسبيا إذا استثنينا الجفاف الذى يطرأ عليها فى بعض الأحيان . ويزرع فيها السرغو والدخن وهما الغذاء الدائم لأهلها كما يزرع فيها الفول ونبات آخر يفضله الأهالى سماه بارث « جوجو » . أما الأرز فينبت فى المستنقعات إبان فصل الأمطار ، والقمح نادر فى هذه البلاد ، ويقول بارث إنه يحتفظ به للسلطان .

والمراعى كثيرة تصلح لتربية الماشية . أما من جهة الأشجار والشجيرات ففيها تمر الهند واللوز والقطن والنيلة وشجر الزبد . وتكثف الغابات كلما اتجهنا ناحية خط الاستواء .

والحيوانات كثيرة فى بجرمى . ففيها يعيش الفيل والزرافة والفهد والتيتل وفرس البحر والخرتيت والتمساح وتتكاثر كلها على ضفاف الأنهار أو فى جوارها .

أما الحشرات فعديدة نخص بالذكر منها النمل العادى والنمل الأبيض الذى هو مصدر خطر على المحاصيل بل وعلى الإنسان .

وسكان بجرمى الذين يبلغون مليونا ونصف فى رواية بارث ومليونا فقط فى رواية ناشتجال آخذون فى النقصان لأن الحروب المستمرة تفتك بهم . وقد قدر عددهم فى تعداد عمل سنة ١٩٠٤ م بـ ٤٢٠٠٠٠ نسمة ، ويذهب اللفتننت كولونل لارجو إلى أن هذا العدد يجب أن ينخفض إلى ٨٠٠٠٠ نسمة منهم ١٦٠٠٠ فى بجرمى الحقيقية أى بواقع ٠٫٣ إلى ٠٫٩ من النسمة للميل المربع .

وأهلها يختلفون فى العنصر اختلافا كبيرا إذ هم يتألفون من :

١ — الباجرميين : وهم قوم نشئوا من اختلاط السكان الأصليين بالفاتحين الأجانب

٢ — الكنورى : الذين استقروا بالولايات فى مختلف البقاع

٣ — العرب : من أصيلة وسلمات وحُزام وأولاد موسى وشوه وهم متناثرون فى أنحاء البلاد ويعيشون فى القرى التى هى مقصورة عليهم تقريبا .

٤ — الفلبة وجلهم من الرعاة ويكثرون فى الجنوب .

٥ — قبائل السود التى تشمل قبيلة جابرى على الضفة اليمنى لنهر لجون وقبيلة ساره فى الحوض الأوسط لنهر دار كوتى وقبيلة تموك *Tummok* و « نيلم » وغيرهما . وكل هذه القبائل تتباين فى مقدار قرابتها للبجارمة وإن كانت تتكلم لغة مخالفة ، وهم جميعا عباد أوثان .

والبجارمة يتميزون من بقية أقوام إفريقية بكمال تركيبهم الجسمانى . وقد لاحظ الرحالة امتشاق قامتهم واعتدال قسماتهم ولين أطرافهم . واشتهر نساؤهم بالجمال .

وهم يتكلمون لغة تعرف بـ « باجرما » . ويقول بارث إنها تنتسب إلى اللغة التى يتكلم بها فى « كوكه » .

وكان البجارمة يعبدون الأوثان أول الأمر ثم اعتنقوا الإسلام منذ ثلاثمائة سنة على يد الفلبة ، غير أنهم احتفظوا بالكثير من طقوسهم الوثنية . وأخذ الإسلام ينتشر بفضلهم ناحية الجنوب حاملا مبادئ الحضارة إلى تلك البلاد التى يعيش أهلها على الفطرة .

وعلى الرغم من هذا كله فإن حظهم من الثقافة مازال ضئيلا . ويقول بارث إنه ليس بينهم من يعرف الكتابة . والذين يذهبون

منهم إلى مكة للحج هم وحدهم الذين يعرفون شيئا عن اللغة العربية . والبجرميون أكثر مهارة فى الصناعة من جيرانهم . فنهم أصحاب حرف ممتازون كالصباغين والنساجين . وأسرى البجرميين الذين جلبهم السلطان « سبون » إلى وادای ، هم الذين أدخلوا صناعة النسيج فى هذه البلاد . وكانت تجارة الرقيق هى أهم حرفة يحترفها البجرميون حتى نهاية القرن التاسع عشر . وليس هناك شك فى أن هذه التجارة وصعوبة المواصلات بين بجرمى وبين إفريقية الشمالية واستمرار الحروب فيها كل ذلك قد عاق تقدم البلاد .

وكانت أهم مدينة فى بجرمى أيام بارث هى حاضرتها مسنيــــا ، وقد بنيت هذه المدينة شمال بحر إرجج وأحيطت بأسوار محيطها سبعة أميـال . أما بيوتها فهى أكواخ من الطين فيما عدا قصر السلطان ومسجدا بنى من الحجر . وخرب أهل وداى جزءا منها عام ١٨٧٠ م وهجرها أهلها عقب غزوة « رباه » . وهى الآن تلى فى المرتبـــة بُجُمان التى على الضفة اليسرى لنهر شارى وتبعد ٦٠ ميلا ناحية الغرب . وعلى مسيرة ١٥٠ ميلا من شرق مسنيا فى سفح « غيريه » نجد مدينـة « كنجه » التى تزعم الروايات الوطنية أنها منشأ الأسرة الحاكمة .

وحكومة بجرمى ملكية مستبدة ، السلطان حاكمها المطلق ، والأهالى يقدمون له فرائض الاحترام التى تنطوى على الذلة . وإذا مثلوا فى حضرته وجب عليهم أن يكونوا حاسرى الرءوس وأن يعفروا جباههم بالتراب ، ولا يسمح بالجلوس على البسط إلا لنفر قليل من وجوه القوم . والملكة الوالدة والابن الأكبر هما وحدهما من بين أقربائه يتمتعان ببعض النفوذ . وتسمل إحدى عينى كل واحد من أخوته الذكور حتى يصبحوا غير أهل للحكم . وكبار رجال الدولة من أبناء السفاح أما الباقى فيختارون من بين العبيد . وأقوى رجال الحكم هو الـ « كَشْمَا » أى رأس الجيش وهناك موظفون يناط بهم الإشراف على الغابات والمراعى وإدارة الأقاليم العامة .

ويتكون دخل السلطان من الضرائب التى يجبيها من السكان المسلمين ومن الجزية التى يفرضها على القبائل الوثنية . والمسلمون يقدمون له الحبوب والماشية والمنسوجات القطنية ، أما الوثنيون فيمدونه بالعبيد الذين كانوا فى عهدى بارث وناشتجال عماد ثروته وما زالوا إلى الآن المصدر الحقيقى لها .

وأنشئت دولة البجرميين فى القرن العاشر الهجرى الموافق القرن السادس عشر الميلادى على يد أولئك المغامرين الذين أتوا من الشرق ، وربما يكونون قد وفدوا من « فترى » . وهزم هؤلاء المغامرون الـ « بُلاله » ثم اندمجوا فيهم وتمكنوا بوساطتهم من بسط سلطانهم على القلبة وعلى جماعات العرب المستقرة فى هذا الإقليم . وفرض الفاتحون الجزيه على هؤلاء جميعا ، ثم اعتنقوا دينهم وزعموا شأن معظم

من أسسوا دولا بالسودان أنهم عرب وأنهم قدموا من اليمن .

وتقول الروايات الوطنيـــة إن زعيم الفاتحين « دوكنج » هو الذى أسس مدينة مسنيا وغزا الممالك الصغيرة الأربع التى انقسمت إليها الأراضى التى يرويها نهر باتشيكام، وزاد خلفاؤه فى رقعة أملاكهم ناحيتى الشرق والجنوب . واعتنق أحدهم الإسلام وتسمى بعبد الله . وكان هذا الملك معاصرا لعبد الكريم مؤسس مملكة واداى . وتقلب أربعون أميرا على عرش بجرمى فى الفترة التى تبدأ بهذا الوقت وتنتهى بعهد عبد القادر الذى استقبل بارث فى رحلته إلى مسنيا . وقوى نفوذ أمراء بجرمى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر على حساب عباد الأوثان ، ونمت ثروتهم بفضل تجارة الرقيق .

وأعقب هذا الرخاء فترة اضمحلال . ودب الخراب فى بجرمى من جراء النضال الذى شب بينها وبين سابون سلطان واداى المتوفى عام ١٨١٥ م . وتفصيل الأمر أن قائد جيش السلطان عبد الرحمن غدر بمولاه ، فقتل السلطان وأسر كثير من البجرميين . ودب الخلاف عقب موته بين أولاده ، وزادت دسائس قائد الجيش المسمى « رويلى » Rueli الحالة سوءا فعادت واداى إلى التدخل فى شئون بجرمى . واعتلى عثمان بُرجندَه أكبر أبناء عبد الرحمن العرش آخر الأمر غير أنه اضطر إلى أن يدين بالولاء لسلطان واداى وأن يدفع [redacted] الجزية .

وهدأت الأحوال عدة سنين ثم عادت العداوة إلى الظهور عقب وفاة سابون . فهجم سلطان واداى وحليفه شيخ برنو على بجرمى وأطلقوا فيهـا يد التخريب ، غير أن عثمان استطاع أن يثبت أمام جميع أعدائه . وكان عثمان هذا حاكما مقتدرا لا يرعى دينا ولا قانونا يسلب أصدقاءه وأعداءه على السواء ، ولا يحجم عن الزواج بأخته .

أما ابنه عبد القادر فقد حاول أن يعيش فى سلام مع جيرانه هؤلاء ، وقصر همه على شن الغارات على القبائل الوثنية . إلا أن أهل واداى عادوا إلى سالف عهدهم فغزوا بجرمى ثانيـة (١٨٦٠—١٨٧٧ م) فى عهد أبى سكين وفتحوا مسنيا وطردوا أباسكين وأقاموا مكانه واحدا من أبنـــاء عمومته . واستعاد هذا الأمير العرش ثانية عام ١٨٨٢ م وظل يحكم حتى وفاته عام ١٨٩٤ م . وألقى على عاتق خلفه « جورَنج » صد غارات ذلكم العدو الجديد « رباه » الذى وطد سلطانه فى برنو وأصبح بذلك قادرا على تهديد سلامة بجرمى فى كل وقت .

ودخلت بجرمى فى منطقة النفوذ الفرنسى بمقتضى المعاهدة التى أبرمت بين الفرنسيين والألمان فى ٤ من فبراير عام ١٨٩٤ م ، وقبل جورنج من غير تردد الاعتراف بالحمـــاية الفرنسية ووقع اتفاقا بهذا المعنى مع المستكشف جنتيل عام ١٨١٧ م . وأثار هذا الاتفاق حنق

رباه على جورنج فاجعه . ولما لم يستطع جورنج دفع هذا الهجوم عمد إلى مسنيا وأشعل فيها النار بنفسه . وهزم الحاكم برتونيه Bretonnet الذى أرسل لنجدته وذبح عند « تجاو » Tagboa فى ١٧ من يولية عام ١٨٩٩م . ولكن قوات القائد « لامى » Lamy تمكنت من هزيمة رباه وقتله عند « كسورى » فى ٢٢ من أبريل عام ١٩٠٠ م وبذلك عادت السكينة إلى هذه البلاد التى أنهكتها الحروب .

وتدخل بحرى الآن فى نطاق إقليم شاد الحربى . ويقوم بإدارتها وطنيون تحت إشراف السلطات الفرنسية ؟

المصـــــادر

(١) Barth : *Reisen* ، ج ٣ ، فصل ١١ — ١٥ (٢) Nachtigal : *Sahâra und Sudan* ، برلين ١٨٨١م ، مجلد ٢ ، ص ٤٣٩ — ٧٢٩ (٣) E. Gentil : *La Chute de l'empire de Rabah* ، باريس ١٩٠٢ (٤) شيخ وتونسى : رحلة إلى وداى ، ترجمة Perron ج ٥ ، ج ٦ (٥) Escayrac de Lauture : *Mémoire* [redacted] *le Soudan* ، باريس ١٨٥٥ ، ص ٧٣ وما بعدها (٦) A. Fourneau : *Deux années dans la région du Tchad* فى *Bulletin du Comité de l' Afrique française* ، عام ١٩٠٤ ، الوثائق ، ص ١٢١ وما بعدها (٧) Avon : *Monographies Centre Africaine* ، المجلة السابقة ، الوثائق ص ٣٠٠ وما بعدها ، ص ٣٤٠ وما بعدها (٨) Barth : *Sammlung und Bearbeitung central africanischer* Vok[redacted] ، جوتا ، ١٨٦٢ — ١٨٦٤ م (٩) Gaden : *Essai de grammaire de* [redacted] *langue baguirmienne* ، باريس ١٩٠٤ .

[يفر G. Yver]

« بِجكم » أمير الأمراء : كان بجكم من الموالى الأتراك اتصل أول الأمر بمرداويج بن زياد أمير جيلان ثم هجره لأنه احتقر أبناء جلدته . وفى عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) قتل مرداويج ولما كان بجكم على رأس الذين قتلوه فقد فر خشية الانتقام وقصد الخليفة فنصبه أمير الأمراء محمد بن رائق قائداً للفرق التابعة له ولذلك لقب بالرائقى . وفى عام ٣٢٥ هـ (٩٣٦ — ٩٣٧م) هزم مرتين جيش الثائر أبى عبـــد الله البريدى ولكن الآية انعكست عندما طلب البريدى العون من بنى بوَيه ، ففر بجكم وارتد إلى واسط ، وأخذ يحتال على تنصيب نفسه أميراً للأمراء . وكان الوزير أبو على بن مقلة يعمل على إسقاط ابن رائق فتفاوض مع بجكم ، وبلغ ذلك أمير الأمراء فزج بابن مقلة فى السجن ولم يلبث أن مات فيه . وعندئذ أراد ابن رائق أن يتغلب على البريدى خصمه القديم ، ولكن بجكم كان قد تغلب على البريدى واضطر هذا إلى أن ينحاز إليه وذهبت كل جهود ابن رائق أدراج الرياح . وفى ذى القعدة من عام ٣٢٦هـ

(سبتمبر من عام ٩٣٨) دخل بجكم العاصمة ونصبه الخليفة أميراً الأمراء مكان ابن رائق وكانت مهمته الأولى أن يرغم الحدانيين على الوفاء بوعودهم ذلك لأنهم رفضوا دفع الجزية بيد أن بجكم لم يكد يذهب إلى الموصل لمحاربة حسن الحمدانى حتى ظهر ابن رائق فجأة فى بغداد على رأس ألفى مقاتل واضطر بجكم إلى عقد الصلح مع حسن عام ٣٢٧ ھ (٩٣٨ م) والعودة إلى العاصمة . وسرعان ماوصلا إلى اتفاق سلمى أخذ ابن رائق بمقتضاه حكم حرّان والرها وقنسرين ونواحى الفرات الأعلى والحصون التى على التخوم . وبذلك لم يبق أمام بجكم له سوى بنى بُوَيه . ولهذا أرسل البريدى جيشاً لمهاجمة سوس ، فلم يستطع معزالدولة البويهى الدفاع عنها فتقدم أخوه ركن الدولة لمساعدته وتقدم نحو واسط واحتل شطراً من المدينة ووصل بجكم بجيشه فاضطر ركن الدولة إلى الانسحاب . وبينما كان بجكم والبريدى يضعان خطة مشتركة لنجاح الحرب بدأ الأخير فى الدس بغية الانفراد بالسلطان ، فصرف عن منصبه ، وتوفى الخليفة الراضى بعد ذلك بقليل ، فخلفه المتقى الذى ثبت بجكم فى منصب أمير الأمراء وأرسل هذا جيشاً لمحاربة البريدى ، ولكن قائده هزم فرأى بجكم أن يقود الجيش بنفسه ، وقبل أن يصل إلى ميدان القتال كان البريدى قد هزم شر هزيمة . وبعد ذلك بأمد وجيز فاجأ جماعة من الكرد بجكم وقتلوه فى رجب من عام ٣٢٩ (أبريل ٩٤١ م)

وامتدح المؤرخون من المشارقة بجكم لا لكفايته فى شئون الحرب فحسب ولكن لمواهبه فى فروع الحياة الأخرى ؟

المصـــادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ وما بعدها (٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٣٢ وما بعدها (٣) أبو الفداء ، طبعة ريسكه ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ وما بعدها (٤) Weil : *Gesch. d. Chalifen* ، ج ٢ ، ص ٦٦٤ وما بعدها (٥) Müller : *Der Islam in Morgen-und Abendland* ، ج ١ ، ص ٥٦٦

[K. V. Zetterstéen زترشتين]

« البجلى » الحسن بن على بن ورسند : زعيم فرقة البجلية الموجودة بين البربر فى مراكش . وذكر البكرى أن البجلى ابتدأ حياته تلك قبل وصول أبى عبد الله الشيعى (أنظر هذه المادة) إلى إفريقية (قبل عام ٢٨٠ ھ = ٨٩٣ م) . وكان البجلى من أهل نفطه ، والتف حوله أتباع كثيرون من بنى لماس . أما مذهبه فهو شبيه بمذهب الروافض ، إلا أنه يقول إن الإمامة لا تكون إلا فى نسل الحسن . وهذا ما يذكره البكرى وابن حزم وهو يناقض ما ذكره ابن حوقل (طبعة ده غوى ، ص ٦٥) الذى يؤكد أن البجلى كان موسوى المذهب أعنى أنه كان

يقول بإمامة موسى بن جعفر من نسل الحسين .

وقد حارب عبد الله بن ياسين فيما بعد البجلية وقضى عليهم ؟

المصـــــادر

(١) ابن حزم : الملل والنحل ، جـ ٤ ، ص ١٨٣. (٢) البكرى : كتاب المسالك والممالك ، طبعة دە سلان، ص١٦١ (٣) Friedlander فى *journal of* [illegible] *American orient.* [illegible] جـ ٢٩ ، ص ٧٥

« بجمزى» أو بكزى : قرية فى شمال شرقى بغداد على مسيرة فرسخين من بعقوبا التقى فيها الخليفة المكتفى بأمر الله بجيوش السلطان السلجوقى محمود الثانى التى كان يقودها البقش كون خر سنة ٥٦٩ هـ = ١١٥٤ م

المصـــــادر

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٩٧ ، ٧٠٦ (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ١١ ، ص ١٢٩ (٣) Houtsma : *Recueil des textes relat.* [illegible] *l'hist. des Seldjouc.* ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ وما بعدها

« بجنور » أو بجنر . مدينة وناحية بروهيلخند فى الولايات المتحدة بالهند . ومساحة الناحية ١٧٩١ ميلا مربعا ويبلغ عدد سكانها وفقا لتعداد عام ١٩٠١: ٧٧٩٩٥١ نسمة منهم ٣٥ ٪ من المسلمين . أما المدينـة فبلغ عدد سكانها وفقا لهذا التعداد ١٧٥٨٣ نسمة ، وهى قليلة الأهمية بعكس الناحية التى لها شأن كبير فى تاريخ الروهيلة .

وتضم الناحية مدينة « نجيب آباد » التى أسست حوالى عام ١٧٥٠م على يد نجيب الدولة أبى « زابته خان » وزير دهلى فيما بعد .

وكان أحد أحفاد زابته خان الملقب بنوّاب نجيب آباد من أقوى أعداء الانجليز فى العصيان الذى حدث عام ١٨٥٧م . وتوفى هذا النوّاب فى السجن آخر الأمر وصودرت ممتلكاته وقوض قصره ؟

المصـــــادر

Bijnor Gazetteer ، الله آباد عام ١٩٠٨ .

[كتن T. S. Cotton]

« بجه » يطلق اسم بجَـه أو بُجَـه — وعلى الأصح أن تُنطق بِكَه أو بُكَه — على مجموعة من القبائل الحامِيَّـة التى تعيش بين النيل والبحر الأحمر ، وقد امتد نفوذها فى يوم من الأيام من القاهرة فى الشمال إلى حدود الحبشة . ونجد اسم بكه فى الآثار التى يرجع تاريخها إلى ما قبل البعثة النبوية أى بين ٣٠٠ و ٥٠٠ م فى كتابات أيزاناس Aizanas (E. Littmann-D. Krencker : *Inscriptions Dorbericht der* D[illegible] *Aksum* —

expedition ، برلين سنة ١٩٠٦ ، ص ٦ وما بعدها كما نجد فى النص اليونانى كلمة ملك وهى إشارة إلى « ملك البكه » (D.H.Müller: *Exigraphische Denkmäler* فى *Denkschr.* *Ak. Wiss. phil. hist. Kl*, ج ٤٣ ، فينا ، ١٨٩٤ ، ص ١٦) وكلاهما لقب لأمير أكسوم . واسم بجه عنـــد جغرافيي العرب ، يشير إلى ما يعرف الآن بقبائل البضويه أو البجويه ومنه سميت لغتهم باسم بضويه (Leo Reinisch : *Wörterbusch der Bedauye-Sprach* ، فينا عام ١٧٩٥) .

وكثيراً ما خلط بين قبائل البجه والبلميس Blemmyes ولكن من المؤكد أن الأخيرين ليسوا من مجموعة تلك القبائل ، فالاسم القديم بلميس لم يتحور إلى بجه وإنما تحور إلى بليون Baliyün الذى قال [redacted] غويه (الإدريسى ، ص ٢٦ ، تعليق ٣) إنه عين بلميس .

واعتبر المسلمون البجه فى صدر الإسلام قبائل همجية وثنية غير جديرة بالتحالف معها، ولم تبدأ مفاوضاتهم معها إلا فى أوائل القرن الثانى للهجرة عند ما عقد معها عبد الله بن الجبحب اتفـــاقاً تجدد فى أيام المأمون . واجتذبت أراضيهم العرب بما فى تربتها من الأحجـــار الكريمة كالذهب (العلاق) والجواهر (الزمرد) . وسكنت ربيعة وجهينة ولاسيما الأولى منهما أراضى البجه ، ولكنهما اختلطا بالسكان الأصليين تدريجاً ، وعرف منذ القديم اسما طبقتين من البجه: فالمقريزى يقول إن الحدارب هم الطبقة الحاكمة فى الأمة والزناقج أو الزناقج هم نوع من العبيد ، ويروى ابن بطوطة (ج ١ ، ص ١١٠) أن ملك عيذاب كان يسمى « الحدربى » ، وقيل إن الأمر كان على العكس ، ودخل الحدارب فى الإسلام مبكرين والمرجح أنهم اعتنقوا الدين الجديد من الوثنيـة رأساً لا من المسيحية كما تقول بعض المصادر ، ونضيف إلى ما قاله فولرز Vollers (انظر مادة « عبابده ») عن إسلامهم أن بناتهم كن لا يرثن (ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ١١٠) ولما كانت قواعد الشريعة فى هذه الناحية مخالفة للعرف القديم فإنه لم يكن من الممكن تطبيقها . وبالرغم من غلبة الدم العربى عليهم فإن قبائل البجه قد احتفظوا بشخصيتهم إلى اليوم وأهم فروعهم العبابدة (انظر هذه المادة) البشارين (انظر هذه المادة) .

المصـــادر

تذكر إلى جانب ما ورد من المصادر فى مادتى « العبابدة » و « البشارين » المراجع الآتية :

(١) Schweinfurph : *Bega - Gräber*) فى *Verhandlungen der Berliner Gesellschaft für Anthrapologie, Ethnologie uud Urgeschichté* ، ١٨٩٩ ، ص ٥٣٨ وما بعدها (٢) W. Munzinger : *Sitten und Recht der Bogos* ، ١٨٥٩ (٣) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٤ وما بعدها (٤) الإدريسى ، طبعة ده غوى ودوزى ، ص ٢١ وما بعدها ، ٢٦ وما بعدها (٥) ابن بطوطة ، فهرس ، مادة

« بغاه » (٦) على مبارك : الخطط الجديدة ، جـ ٩ ، ص ٨ وما بعدها

[Ch. Becker بكر]

« بجور » بلاد جبلية على الحدود الشمالية الشرقية للهند. وتقدر مساحتها بخمسة آلاف ميل انجليزى مربع تقريبا (١٢٨٠٠ ك . م) ، ويبلغ عدد سكانها ١٠٠ ألف نسمه تقريبا . ويسكن بجور عدة قبائل مختلفة من البطحان أو الأفغان وهم يعترفون اسميا بسلطان خان نوكاى ؟

المصادر

(١) *Imperial Gazetteer of India*

[J. S. Cotton كوتون]

« پچوى » إبراهيم : مؤرخ عثمانى ولد فى سنة ٩٨٢ هـ = ١٥٧٤ م فى بلدة فنف كرشن « Fünfkirchen ومعناها الكنائس الخمس » (تكتب بالمجرية Pécs وبالتركية پچوى وعلى هذا فحقيقتها پچوياى) وإليها ينسب لقبه الذى معناه « رجل الكنائس الخمس » (انظر مادة پچوى فى : تأريخ ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ وجـ ٢ ، ص ٤٣٣ ؛ وفى *J. v. Hammer* : *G.O.R.* جـ ٤ ، ص ٥ ، الهامش) .

وكان أجداد پچوى من أصحاب الإقطاعات فى البوسنة والمجر، على أنه لم يذكر لنا اسم أبيه (تأريخ ، جـ ١ ، ص ٨٧) . وعلى أية حال فإن أباه كان يقيم فى فنف كرشن . وكانت أمه من نسل أسرة « صوقوللو » Sokolovich

ولسنا نعرف عن پچوى فى صغره إلا أنه كان يتيما ، ولما بلغ الرابعة عشرة من سنه ذهب إلى بيت عمه فرهاد باشا حاكم بودا Bude ثم كفله بعد ذلك قريب من أقربائه يسمى لالا محمد باشا وظل فى كنفه خمسة عشر عاما . وفى سنة ١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ م دخل فى خدمة الجيش ، واشترك فى حروب سنان باشا فى بلاد المجر ، وحضر حصار غران *Grau* (انظر تأريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ، ١٨٠) وموقعة إكر *Eger* وحصار وارادين *Petrovaradin* ، وقضى السنوات التى تلت ذلك على وجه خاص فى ركاب لالا محمد باشا الذى أصبح كبيرا للوزراء منذ سنة ١٠١٣ هـ ١٦٠٤ م . وقد ذكر پچوى بالتفصيل فى كتابه التاريخى المناصب المختلفة التى شغلها بعد ذلك : فبعد أن توفى لالا محمد باشا سنة ١٠٢٤ هـ (١٦١٥ م) أرسله خلفه إلى بلاد الأناضول ليصف بعض سناجقه، فشغل منصب دفتردار مدينة « توقات » زمنا قصيرا وبعد ذلك عهد إليه بالمنصب نفسه فى الروملى ثم أسند إليه منصب دفتردار الأناضول.

وقضى پچوى بقية عمره فى موطنه الأصلى ، كان أولا متصرف شتول فيسنبرج *Stuhlweissenburg* ثم دفتردار المدينة طمشوار

Tmesvar . واعتزل الخدمة فى سنة ١٠٥١ ﻫ (١٦٤١ م) وعاد إلى بودا Bude وقضى فيها أو فى بلدته الأصلية بقية حياته منصرفاً إلى كتابة مؤلفه التاريخى . ولسنا نعرف تاريخ وفاته على وجه الدقة وإن كان الأرجح أنه توفى حوالى سنة ١٠٦٠ ﻫ (١٦٥٠ م) .

وإبراهيم بچوى الذى أظهر منذ صباه ميلا كبيراً إلى التاريخ، هو صاحب كتاب يعتبر من أحسن المصادر العثمانية عن تاريخ السنوات ٩٢٦ — ١٠٤٩ﻫ (= ١٥٢٠—١٦٣٩ م) . وهو يعتمد فى تأريخ الحوادث السابقة على الروايات القديمة التى رواها مؤرخون عثمانيون كما يعتمد أيضاً على المؤرخين من المجر مثل استفانفى N.V. Istvaneffy وهلتاى K. Heltai ، ويسرد بچوى الحوادث التى حدثت فى عهده باعتباره شاهد عيان أو راوية لما سمع . وكتابه مكتوب فى لغة سهلة واضحة ولدينا منه عدة مخطوطات (زد على المخطوطات المذكورة فى بابنجر : Babinger : G.O.W. ، ص ١٩٤ ، مخطوطين آخرين بمكتبة الجامعة فى أوبسالا أنظر فهرس Zetterstéen ، ص ٣٣١ ومخطوطاً بمكتبة حافظ أحمد برودس رقم ٤٤٦) . على أنه لا يوجد إلى الآن طبعة مصححة لهذا الكتاب . وفى الكتاب أجزاء مختلفة كتبها المصنف دون أن يعيد النظر فيها وهى ترجع إلى تواريخ مختلفة وربما كانت قد أكملت فيما بعد . وكتاب تأريخ بچوى يشتمل على تاريخ الحوادث من قيام سليمان الكبير إلى وفاة مراد الرابع سنة ١٠٤٩ ﻫ ، وقد طبع فى استانبول فى جزءين (٥١٤ ص و ٤٩٤ ص طبعت فى سنة ١٢٨٣ﻫ انظر Journal Asiatique ، سنة ١٨٦٨ ، ج ١ ، ص ٤٧١ و ٤٨٤ وكذلك ما كتبه كرايلتس F. V. Kraelitz فى Isl. ، ج ٨ ، ص ٢٥٩) .

المصـــادر

(١) F. v Kraelitz : *Isl.* ، ج ٨ ، ١٩١٨ ، ص ٢٥٢ وما بعدها (٢) انظر أيضاً المصادر المذكورة فى Babinger : *G.O.W.* ، ص ١٩٥ .

[بابنجر F. Babinger]

بجيلة : قبيلة عربية من البدو الذين نزحوا من جنوب بلاد العرب وتقدموا نحو الشمال واحتلوا الجزء الأوسط من جبال «سارات» بالقرب من الطائف بعد أن أجلوا عنه قبيلة بنى ثائر وهم السكان الأصليون لتلك المنطقة . وقد أضعفت هذه القبيلة الحروب التى شنتها ضد القبائل المجاورة وكذلك المنازعات الداخلية التى شبت بين بطونها المختلفة ، وكانت نتيجة ذلك أن انقسمت قبيلة بجيلة إلى عدة أقسام اندمجت بالقبائل العربية الأخرى وذلك منذ الجاهلية ، ومع ذلك فقد ظل قسم من هذه القبيلة محتفظاً باسمها القديم وأشاد بذكره الفرزدق فى قصائده التى أنشأها فى عهد الدولة الأموية .

المصـــادر

(١) F. Wuestenfeld : Register [redacted] genealogischen Ta[redacted] ، ص ١٠١ وما بعدها (٢) كتاب الأغانى، ج ١٣ ، ص ٤—٥ (٣) O. Blau : *Die Wanderungen der sabaeischen Volkerstamme im zweiten Fahrh* فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch* ، ج ٢٢ ، ص ٦٦٧ (٤) ديوان الفرزدق، طبعة بوشر وهل Boucher et Hell ، رقم ٢٢ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٦٤٤ .

[هل J. Hell.]

« البحترى » أبو عبادة الوليد بن عُبيد : شاعر عربى وجامع للشعر ، من أعلام القرن الثالث الهجرى (٢٠٤ — ٢٨٤ ﻫ تقريباً) ونسبته « البحترى » تدل على أنه من عشيرة بحتر من قبيلة طيء التى كثيراً ما فاخر بمحامدها . وكانت ولادته فى منبج ، وفى رواية أخرى فى قرية بالقرب منها اسمها زَرْدَفْنه . وهو يصف منبج إذا تحدث عنها بأنها وطنه ، وكانت له فيها ضياع ورثها فيما يظهر لابنه ثابت الذى عاصر الاصطخرى . أما المرأة التى أكثر من ذكرها فى غزله فاسمها علوَة ابنة زُرَيقة ، وهى من بُطياس قرب حلب ؛ وقد ذكرها فى قصيدة مدح بها الفتح بن خاقان فى غير المقدمة الغزليـــة لتلك القصيدة (الديوان ، ج ١ ، ص ٤٤) . وقال فيها إنها دخلته وهوى فؤاده ، وإنه خلفها وراءه فى الشام . وفى قصيدة أخرى هجاها وأفحش فى هجائها (ج ٢ ، ص ١٠٩) ، وليس من شك إذن فى وجودها التاريخى على عكس الأخريات اللاتى ذكرهن فى غزله . وتصل الروايات الراجحة بينه وبين شاعر طائى آخر من الفحول هو أبو تمام ، ولو أنها تختلف فى ذكر كيفية لقائهما ، ويقال إن أبا تمام بعثه بوصية منه إلى أهل معرة النعمان الذين أعطوا شاعرنا أربعين ألف درهم ، وهذا إذا صح دل على أن شعر هذه الحقبة لم يرد فى الديوان الذى ورد فيه ذكر قرية النعمان فى الحديث عن ابن ثوابة (ج ١ ، ص ١١٧) الذى عرفه الشاعر فيما بعد .

ويظهر من أشعاره المبكرة الواردة فى الديوان أنه مدح كثيراً من الأسر الطائية مثل بنى حُميد الثلاثة : أبى نهشل (الأغانى ، ج ٩ ، ص ١٠٢) وأبى مسلم ، وأبى جعفر ، ومن الصعب أن نقول إن هذا الأخير هو عين الرجل الذى قتله بابك (المصدر المذكور ، ص ٢١٤) ، ومثل أسرة أبى سعيد محمد بن يوسف (المصدر نفسه، ص ٢٣٦) الذى يقال إن البحترى لقى أبا تمام فى بيته ، وربما كانت القصيدة التى عزى فيها أبا سعيد فى وفاة المعتصم أولى قصائد الديوان (ج ١ ، ص ١٦٩ ؛ قد يكون ذلك عام ٢٢٧ ﻫ) . وأول من قرب إليه البحترى هو الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات، وقد مدحه فى عهد الخليفة الواثق (ج ٢ ، ص ١٩٤) كما مدح

بيت عبد الله بن طاهر الذى نُصب ابنه محمد حاكماً على بغداد عام ٢٣٧هـ، وربما كانت القصيدة التى قالها فيه قد أنشئت بعد ذلك بأمد وجيز تهنئة له بهذا المنصب (ج ٢، ص ١٢٥)، ومدح البحترى كذلك ولدين آخرين من أولاد ابن طاهر هما سليمان وعبيد الله كما مدح بعض أقاربهم.

ويظهر أن البحترى أصبح شاعر البلاط لأول مرة فى عهد المتوكل عند ما نال حظوة الفتح بن خاقان الذى أهدى إليه كتاب الحماسة. وقد قال فى المتوكل والفتح كثيراً من قصائده ولو أن صلتـــه بالفتح كانت تنصرم بين حين وحين. وعندما عهـد الخليفة المتوكل بولاية العهد لأبنائه الثلاثة على التعاقب عام ٢٣٥ هـ أخذت مدائح البحترى تتحدث عن حوادث الحكم: مثل ثورة أرمينية عام ٢٣٧هـ، وانتقال الخليفة إلى دمشق سنة ٢٤٣هـ، وبنائه للمتوكلية من عام ٢٤٥—٢٤٦ هـ. وقد أورد المسعودى رواية ذكر فيها أن البحترى شهد مقتل سيديه، والحق أنه اعترف فى مرثيته للمتوكل (ج ١، ص ٢٨) بأنه حضر مصرعهما. ويعتذر عن عدم دفاعه عن مولاه بأنه كان أعزلا لا سيف معه، وأنه دافع عنه باليدين، وظل يعتبر القتيلين أهم أوليائه (ج ٢، ص ١٦٣، ج ١، ص ١١٢). وعاد الشـاعر بعد هذا الحادث إلى منبج ولـكنه سرعان ما عاد بقصيدة يمدح بها المنتصر. وظل شاعر البلاط فى عهد المستعين والمعتز والمهتدى والمعتمد على التوالى. ويظهر أنه كان أثيراً عند المعتز الذى خصه بعدة قصائد وتوسط له عند ابنه عبد الله. وقد ضعف فيما يلوح لنا قبل خاتمة حكم المعتمد.

واتصال البحترى بالبلاط العباسى جعله يتصل بأعلام الرجال فى الدولة، وغالب الأسماء التى أوردها فى ديوانه غير معروفة لنا، ومن الأعلام الذين ذكرهم الوزير عبيد الله ابن يحيى بن خاقان، وحسن بن مخلد، وسليمان ابن وهب، واسماعيل بن بلبل وغيرهم من القواد والعمال مثل إبراهيم وأحمد ولدى المدبر، وأحمد بن طولون، ومالك بن طوق، وأخيه محمد، ومن الوزراء أمثال ابن ثوابة، وأبى نوح، وعيسى بن إبراهيم وغـيرهم، ومن رجال البلاط على بن المنجم، وابن حمدون، والمبرد النحوى، وابن خرداذبه الجغرافى، وأبو العيناء الأديب ولذلك فان ديوانه مادة خصبة لتاريخ هذا العصر وإن كان لا يضيف شيئـاً من التفاصيل لحوادثه، وحسبه أنه ذكر الأسماء الـكاملة للأشخاص وذكر حوادث أغفلها المؤرخون.

وتحوى القصائد التى قيلت فى الخلفاء إشارات عدة إلى المنافسات التى كانت قائمة بين العباسيين والعلويين من جانب وبينهم وبين الأمويين من جانب آخر. ولم يترحم على أيام بنى أمية إلا فى مناسبة واحدة سُلم فيها عامل من المسلمين إلى النصارى فعذبوه. أما فى موضوع حق العم فى ولاية الأمر فقد كان

البحترى يفضل العباس ويذكر قيامه بالسقاية التى يفسرها الشاعر بأنها قدرة سحرية على استنزال المطر (ج ١ ، ص٢١–٢٣) كما يذكر خدمات الموالى من الفرس للإسلام ومساواتهم للعرب، ووصف خدمات العباسيين للعلويين وصفا نهج فيه نهج المنصور (ج ١ ، ص٦٣). ويكلف البحترى بوصف القصور مثل قصر الزاو والقصور التى شيدها المتوكل ودوسق المعتز وقصر المعتمد المعروفين بالمعشوق والمشوق ، وأطلال إيوان كسرى التى زارها صحبة ابنه أبى الغوث ، وله فيها قصيدة رائعة (ج ١ ، ص١٠٨) كما وصف الأسطول (ج ١ ، ص ٢٥٧)والعيون التى شيدتها أم المعتز لسقاية الحجيج (ج ٢ ، ص١٤٦) وحروب الموفق وقواده فى ثورة الزنج .

وكان البحترى ، شأن غيره من طبقته ، يلتمس بالشعر العون على خراجه (ج ص ١٠٦ ، ١٢٧ ، ١٨٩) أو مساعدته فيما يتصل بضياعه (ج ١ ، ص ١٥٠ ، ج ٢ ، ص ١٥٢) أو يشكو العمال الذين يحاولون اغتصاب أملاكه (ج ٢ ، ص١٥٣) أويشكو قلة أعطياته (ج ٢ ، ص ٢٥٧) أو إخلاف ما وعد به (ج ١ ، ص٢٢٢). ونحن نراه فى الأغانى يتوسل للحصول على المال بطريقة فريدة : هى إغراء إخوانه بشراء عبد له اسمه نسيم ثم يشكو فراقه بحرارة حتى يعاد إليه ، ويدل على هذا مجموعة من القصائد مدح بها إبراهيم بن المدبر (ج ١ ، ص ١٧٩ ، ١٨١) .

ويقال إن البحترى عند ما بلغته الوفاة أوصى بأن تحرق أهاجيه . ويرى صاحب الأغانى أن ذلك ذهب بخير شعره ، ومع هذا فقد بقى منها عدد ليس بالقليل يتضح منه أنه اتبع الطريقة الشائعة فى الحصول على الصلات، وهى تهديد الذين يرفضون مدائحه بالهجاء حتى أننا نجد فى ديوانه أشخاصاً مدحهم وهجاهم فى وقت معا ، ولكنه كان يصدر فى أحوال اخرى عن بواعث غير انتظار الهبة مثال ذلك مدحه لابن طولون فإنه لم يكن لاعتبارات شخصية فحسب، وإنما كان لبواعث سياسية أيضاً . وقد هجا من لداته الشعراء على بن الجهم (ج ٢ ، ص٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٧) والحسن بن رجاء (ج ٢ ، ص١٠٧) بينما كان حسن الصلة بالشاعر دعبل (ج ٢ ، ص١٧٧) . وهاجم النحاة فى إحدى قصائده (ج٢، ص١٣٢)وهجا النصارى فى أكثر من موضع (ج ٢ ، ص ٩٦ ، ١١٢) .

والنقاد يضعون البحترى مع أبى تمام والمتنبى كثالث الفحول الثلاثة فى العهد العباسى ، وقد خاض هؤلاء النقاد فى موضوع الموازنة بين البحترى وأبى تمام . ويقول شاعرنا إن جيده أقل من جيد أبى تمام ورديئه أحسن من رديئه . ويخصص المسعودى عدة صفحات من كتابه للبحث فى هذا الموضوع، كما فصل الكلام فيه الحسن بن بشر الآمدى فى كتاب عنوانه « الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وهو يتهم بتحيزه الظاهر للبحترى. أما النقاد الغربيون فيرون أن البحترى أقل

فطنة من المتنبي وأكثر شاعرية من أبي تمام.

وينسب صاحب الفهرست للبحترى غير ديوانه كتاب معانى الشعراء وكتاب الحماسة ومنه مخطوط فى ليدن نسخ ونشر عام ١٩٠٩م (أنظر مادة « حماسة ») وطبع الديوان فى القسطنطينية عام ١٣٠٠ هـ من مخطوط يرجع تاريخه إلى عام ٤٢٤ هـ، وهذه النسخة مرتبة بأسماء الأشخاص والأسر الذين قيل الشعر فيهم ، ولو أن هذا الترتيب لم يكن مرعياً على الدوام . وفى مكتبة فينا نسخة مشابهة لهذه (فهرس ، جـ ١ ، ص ٤٣٦) . ورتب الصولى القصائد على حروف المعجم ، ويوجد جزء من هذه النسخة فى مكتبة ميونخ (رقم ٥٠٨) ويقال إن على بن حمزة الإصفهانى رتب القصائد على الموضوعات (ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ؛ الفهرست ، ص ١٦٥) ويسمى الديوان أحياناً باسم « سلاسل الذهب » وقد طبعت فقرات من شرح أبى العلاء لهذا الديوان ، وهو الشرح المعروف بـ « عبث الوليد » فى المقتبس . ويذكر أبو العلاء فى رسائله التى نشرت بأكسفورد (ص ٩٠) وصفاً عجيباً هو أن البحترى كانت له قدما ديك ؟

المصـــــادر

(١) الأغانى : جـ ١٨ ، ص ١٦٧ — ١٧٥

(٢) ابن خلكان : ترجمة ٥ سلان ، جـ ٣ ، ص ٦٥٧—٦٦٦ .

[A. S. Margoliouth مرجليوث]

« بحث » : معناها لغة التفحص والتفتيش واصطلاحاً إثبات النسبة الايجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال (انظر كتاب التعريفات ، مادة بحث) . والبحث معناه فى الاستعمال المناقشة أو فن المناظرة والجدل . ونجد فى المسعودى مثالا جيداً لهذا الاستعمال (مروج الذهب ، جـ ٦ ، ص ٣٦٨) فهو يروى أن يحيى بن خالد البرمكى كان ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام وغيرهم من أهل البحث والنظر .

وكان كثير من علماء الشرق وأمرائه مشغوفين بالمناظرة . فالمسعودى يحدثنا عن مناظراته مع اليهود (التنبيه ، ص١٦٥ ومابعدها) وكان ابن سينا يجادل فى حضرة علاء الدولة . ولدينا أخبار كثيرة عن المناظرات التى كانت تحدث بين المسلمين والنصارى فى أزمان مختلفة ؟

[كارا ده فو Carra De Vaux]

« بحدل » بن أنيف بن ولجة بن كنانة من قبيـــلة بنى حارثة بن جناب من الفرع المعروف باسم « البيت » ، وهو أشرف بطون كلب . وكان بحدل نصرانياً كأكثر رجال قبيلته وترجع شهرته إلى أنه أبو ميسون التى أنجبت يزيد بن معاوية .

وكانت قبيلتـــه وهى من العرب الرحل تقطن البقاع الواقعة جنوبى تدمر

وفيها نشأت ميسون فيابعد ابنها يزيد . وقد اجتمع الأمويون فى تلك البقعة أيضاً قبل حلف جابية ووقعة مرج راهط . وكان بحدل أصل هذا المجد العظيم الذى حازته قبيلة كلب طيلة عهد الأمويين . أما هو فلم يكن له فى السياسة شأن . واتهم ولده إبان خلافة يزيد ابن معاوية بأنه كان يضمر النصرانية . ولابد أن يكون بحدل قد توفى وهو على النصرانية بعد أن بلغ من العمر عتياً . ومن المحتمل أن يكون ذلك قبل وقعة صفين التى قاد فيها أحد أبنائه قضاعة دمشق . وحل محله بعد وفاته أولاده وغدوا أهم الشخصيات فى الدولة الأموية . وأصبح أتباع بنى أمية يعرفون بعد ذلك باسم « البحدلية » .

وحاول حفيده حسان . مؤدب أولاد يزيد ، أن يمهد السبيل بعد وفاة معاوية الثانى لكى يخلفه يزيد على العرش .

وكان ذلك التفوق المبالغ فيـــه الذى وصلت إليه أسرة بحدل وبنى كلب على حد سوله بعد موقعة مرج راهط من العوامل القوية التى أدت إلى انقسام العرب إلى حزبين : حزب قيس وحزب اليمن ؟

المصـــــادر

(١) الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٥٧٧ (٢) ابن دريد ، طبعة فستنفلد ، ص ٣١٦ (٣) الحماسة ، طبعة فريتاج Freytag ، ص ٢٦١ ، ٣١٨ — ٣١٩ ، ٦٥٩ (٤) ابن عبدربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ (٥) الدينورى ، طبعة جرجاس Guirgass ، ص ١٨٤ ، ٢٧٥ (٦) المسعودى : التنبيـــه والإشراف ، طبعة ده غوى ، ص ٣٠٥ (٧) A. Musil : *Kuseir Amra* ، ص ١٥١ .

[لامنس H. Lammens]

« بحر » : وتطلق هذه الكلمة أيضاً على الأنهار فيقال البحر الأبيض والبحر الأزرق وبحر الغزال (انظر هذه المادة) . والبحر يدل فى علم العروض على الوزن (انظر مادة عروض).

« البحر الأبيض » الاسم العربى لما يعرفه الغربيون بالبحر المتوسط Mediterr-anean (انظر مادة « بحر المغرب ») .

« البحر الأسود » : يسمى فى اللغة التركية « قره دكز » ، وكان يسمى فى الجغرافية القديمـــة والبوزنطية بحر بنتس Pontus *Euxinus* . وأخذ جغرافيو العرب الاسمين اليونانيين *Pontas, Maeotis* بنتس ومايوتيس (أى بحر آزوف) ورسموهما بنطس وملوطيس ، ثم نطقهما العرب وكتبوهما منذ وقت متقدم بنطاش ومانيطش (انظر ما كتبه جوينبل Juynboll عن كتاب مراصد الاطلاع ، جـ ٤ ، ص ١٩٤) . واستمرت هذه الأسماء المصحفة

تستعمل إلى أن وصلت إلينا فى آخر ما صنفه الجغرافيون الشرقيون . وأطلق العرب على البحر الأسود أسماء أخرى مثل بحر طرابزندة وبحر القرم وبحر الروس (انظر فيما يتعلق ببحر الروس *Mer de Rossia* فى Villehardouin طبعة وايلى Wailly رقم ٢٢٦) . ويفسر هذه الأسماء اشتغال مسلمى الشرق بالتجارة مع أطرابزندة وسواحل روسيا الجنوبية (انظر ياقوت : معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٩٩ ؛ الدمشقى : نخبة الدهر ، طبعة مهرن Mehren فى مواضع مختلفة ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، طبعة رينو Reinaud فى مواضع مختلفة ؛ المسعودى : مروج الذهب ، طبعة باريس ، ج ١ ، ص ٢٦٠ وما بعدها ؛ Marquart : *Osteurop-äische u. ostasiatische Streifzüge* ، ص ١٦٢ ، ٣٣٣) . وقد أطلق اسم بحر الروم أحيانا، وهو اسم البحر الأبيض المتوسط وحده، للدلالة على البحر الأسود . وفى هذه الفقرات ينبغى أن نقرأ الاسم بحر الروس لا بحر الروم (انظر كرديزى فى Marquart ، المصدر المذكور آنفاً ، ص ١٦١ ؛ الدمشقى : كتابه المذكور ، ص ١٣٨ ، س ١٨ ، ص ٢٥٩ ، س ٤ وما بعده) . وقد أطلق اسم بحر الخزر أيضاً ، وهو فى الأصل اسم بحر قزوين ، للدلالة على البحر الأسود (انظر ابن خرداذبه : المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٦ فى مواضع مختلفة ؛ المسعودى : كتاب التنبيه ، المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٨ فى مواضع مختلفة) . ويقول المسعودى فى صفحة ٦٧ إن الخلط بين الاسمين نشأ من ظن البعض خطأً أن البحرين متصل أحدهما بالآخر . كما أطلق فى الوقت نفسه اسم ماؤطيس (مانيطش) على البحر الأسود (انظر المسعودى : كتاب التنبيه ، ص ١٣٨ ، ١٤٠ : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٧٢ وما بعدها ؛ الدمشقى كتابه المذكور آنفاً ، ص ١٣٨ ، س ١٨ ، ص ١٤٣ س ١٣ و ص ٢٢٨ ، س ١٧) . وربما كان اسم بحر الخزر لم يطلق إلا للدلالة على بحر آزوف ثم استعمل خطأً ليشمل مدلوله أيضاً البحر الأسود .

هذه الأسماء التى ذكرناها قضى عليها جميعاً اسم قره دكز الذى نجده مستعملا لأول مرة فى القرن الثالث عشر ؛ ولا شك فى أنه الاسم الذى أطلقه على البحر الأسود الترك والتتر الذين نزلوا على شواطئه فى جنوب الروسيا . وقد فهم كتاب الغرب فى ذلك الوقت أن اسم قره دكز معناه البحر الأعظم (انظر *Locus classicus Rubruquis* : طبعة برجرون Bergeron ، ص ٢ حيث يقول : فى بحر بنطس الذى يسميه البلغار البحر الأعظم ؛ *Vincentius* : Haython فى *Mare Majus* ; *Bellovacensis* ؛ Marco Polo ، الفصل الأول ؛ *Ghillebert de Lannoy* فى *Mar Majour* ; *Bertandon de la Broquière* ؛ *Mer Mayor* ; Clavijo فى *The Grete See* ؛ Chaucer ؛ *Prologue* ، ١ ، ٥) . وفهم القليل من هؤلاء الكتاب أن اسم قره دكز معناه البحر الأسود (انظر Schiltberger الذى ذكره أيضاً باسم

البحر الأعظم فى كلامه عن حوادث سنة ١٣٣٨ م فى بوله وكاثاى وغيرهما ، الطبعة الجديدة التى أصدرها كورديه H. Cordier ، ج ٣ ، لندن ١٩١٤ ، ص ٨١ ؛ وذكر باسم البحر الأسود فى وثيقة تاريخها سنة ١٤٧٣ م فى Berchet : *La Reppublica di Venezia e* [illegible] *Persia* ، البندقية ١٨٦٥ ، ص ١١) .

وقد أطلق عليه العرب اسم البحر الأسود (انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٣١ ؛ الدمشقى: كتابه المذكور آنفاً ، ص١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٢٢٠ . أما البحر الأعظم الذى ورد ذكره عند ابن خرداذبه ، ص ١١٠ فينبغى أن يفسر على أنه شىء آخر) .

أما اليونان فلم يطلقوا عليه إلا اسم *Mavri thalassa* ونجد هذا الاسم لأول مرة فى المعاهدة التى عقدت مع البندقية سنة ١٢٦٥ م . (انظر : *Fontes Rerum Auster* ج ٢ ، ف ١٤ ، ص ٦٢) كما نجده مذكورا بهذا الاسم فى مصنفات القرن السادس عشر (انظر Leunclavius: *Pandectes Hist. Turc.* ف ١٤٨) .

أما الفرنسيون والإيطاليون فقد أطلقوا عليه اسم *Mare Maggiore* و *Mer Majour* إلى النصف الأول من القرن السابع عشر . ومنذ ذلك الوقت نجد اسم البحر الأسود فى جميع المصنفات الجغرافية .

والتفسير القديم لاسم « قره دكز » على أنه « البحر الأعظم » يقول إن كلمة «قره» فى هذا المقام لا شأن لها باللون، ولكن معناها — كما لو كانت مقرونة باسم العلم هو : العظيم أو القوى أو الفظيع . وربما كان المراد بهذا الإشارة إلى مخاطر السفر فى ذلك البحر الذى تكثر فيه العواصف والأنواء فى الطقس الردىء.

وينبغى ألا نقبل جميع المحاولات الأخرى التى اجتهدت فى تفسير معنى هذا الاسم ، وبخاصة قول أولئك الذين أرادوا أن يجدوا اسم البحر الأسود مستعملا عند اليونان والبوزنطيين . أو الرأى الذى ذهب إليه ده سوسير Le. [illegible] Saussure فى مقاله القيم الذى كتبه بعنوان « أصل أسماء البحر الأحمر والبحر الأبيض والبحر الأسود *L'origine* [illegible] *de Mer Rouge, Mer Blanche et Mer Noire* » ونشره فى « *Le Globe* » (ج ٤٣ ، ص ٣ ، وما بعدها) ، وأراد به أن يرد هذا الاسم إلى طريقة تصور أهل الشرق الأقصى للعالم

وليس ينبغى لنا كذلك أن نذكر فى تأييد أن كلمة «قره» فى هذا المقام معناها الأسود تسمية الترك للبحر الأبيض باسم «آق دكز» أى البحر الأبيض ، يقصدون بذلك المقابلة بين الوصفين، كما أننا لا نستطيع تبرير وجود التسمية «السحر الأسود» فى القرون الوسطى بقولنا إنه كانت توجد فى ذلك الوقت تسمية هى السحر الأبيض .

وقد بقى إلى الأزمنة الحديثة اسم بحر الخزر مصحفا باسم بحر الخزر على أنه اسم

لبحر آزوف ، وهذا التصحيف سببه الخطأ فى تنقيط الحروف .

وبعد أن ظل البحر الأسود مغلقا فى وجه التجارة خلال القرون التى شهدت عهد البوزنطيين ، أبيح للبنادقة وأهل جنوة فى النصف الأخير من القرون الوسطى أثناء حكم الكومنين والباليولوج وبهذا أصبح مفتوحا للتجارة الأوربية مع الشرق الأدنى والشرق الأقصى .

وأنشأ الفرنك مستعمرات مستقلة فى الكفة وتانه وأماصره وصامسون ، وغيرها أصغر منها فى سنوب وأطرابزندة . وبعد سقوط القسطنطينية أغلق محمد الفاتح البحر الأسود فى وجه السفن الأجنبية بأن سد المضيقين ، وقضى تدمير أمصره سنة ١٤٥٩م وسنوب وأطرابزندة سنة ١٤٦١م والكفة سنة ١٤٧٥ على تجارة الفرنك قضاء مبرما ، وأصبح البحر الأسود بحرا تركيا داخليا «Πόντος Ἄξενος» وليس لعلم أن يرفرف على سفينة فيه إلا إذا كان علما تركيا ، وكان تقدم الإمبراطورية الروسية نحو الشاطئ الشمالى للبحر الأسود السبب فى أن فتح للتجارة البحرية الروسية بموجب المادة العاشرة من معاهدة «كوچوك قينارجه» التى عقدت سنة ١٧٧٤ م ؛ ثم للتجارة النمساوية بعد ذلك بعشرة أعوام أى فى سنة ١٧٨٤م ، وللتجارة البريطانية سنة ١٧٩٩ . وفى القرن التاسع عشر أبيح دخول البحر الأسود للسفن الأوربية الأخرى ؛ فسمح لسفن فرنسا بذلك فى سنة ١٨٠٢ م ، ثم تبعتها الدول البحرية الصغرى وعقدت فى سنة ١٨٢٧م آخر معاهدة خاصة بهذا الموضوع . ولم يكن مسموحا حتى فى الزمن الأخير للسفن الحربية الأجنبية بأن تعبر المضيقين للذهاب إلى البحر الأسود .

المصـــادر

لم يكتب بعد تاريخ الأسماء المختلفة التى أطلقت على البحر الأسود .

(١) والكتاب الرئيسى الذى صنف فى موضوع التجارة فى ختام العصور الوسطى هو W. Heyd *Histoire du Commerce du Levant*، ليبسك ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ؛ ونشر مرة أخرى فى سنة ١٩٢٤ م (٢) انظر فيما يختص بالتجارة فى عهد الترك Ch. Peyssonel : *Traité sur le commerce de la Mer Noire* [redacted] باريس ، ١٧٨٧ (٣) وعن العهد الأخير Hommaire [redacted] Hell : [redacted] *Les Steppes* [redacted] *Mer Caspienne* ، باريس وستراسبورج ١٨٤٣ — ١٨٤٥ (٤) P. Hadji Mischef : *La Mer Noire et le Détroits* [redacted] *Constantinople* باريس ١٨٩٩ وقد ناقش فيه المؤلف بالتفصيل الحوادث السياسية التى أدت إلى فتح البحر الأسود للسفن فى القرن الثامن عشر (٥) انظر التعليق على الكتاب السابق فى : جودت: تأريخ ، جـ [redacted] ص ٢٨٤ و جـ ٧ ، ص ٨٤٥ وما بعدها (٦) Noradounghian : [redacted]

[redacted] *l'Empire Ottoman* ج ١ ، ج ٢ ؛ باريس وليبسيك ١٨٩٧—١٩٠٠م وقد أورد المصنف فى هذا الكتاب الوثائق التى تتعلق بالموضوع

[J. H. Mordtmann مورتمان]

« بحر البنات » هو الاسم الذى أطلقه العرب على جزر الأرخبيل عند الشاطئ الغربى للخليج الفارسى . ويطلق الإدريسى عليه « بحر الكثر » ؟

المصـــادر

Ritter : *Erdkunde* ، ج ١٢ ، ص ٣٩٠ ، ٥٨٩ وما بعدها .

« بحر الخزر » ويسمى بالفارسية «دريای خزران». يطلق معظم جغرافيو العرب اسم بحر الخزر على بحر قزوين نسبة لشعب الخزر الذين يسكنون تلك البلاد . وكانت هذه البلاد فى العهد الذى نشطت فيه كتابة المؤلفات الجغرافية العربية أى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تمتد على الشاطئ الجنوبى لبحر الخزر بما فيه مدينة إتل التجارية الهامة القريبة من مصب نهر إتل (الفلجا) . وليس من شك فى أن هذا الاسم كان يطلق فيما ندر (عند ابن خرداذبه ومن أخذ عنه كقدامة والمسعودى) على البحر الأسود بما فيه بحر آزوف (مانيطش) لأن سلطان الخزر كان يمتد كذلك على جزء من شبه جزيرة القريم .

ويظهر أن هذه التسمية لم تكن مستعملة فى غير العالم الإسلامى . أما الاسم الروسى القديم Khwalimskoje [redacted] ، ويكتب كذلك Khwalisskoje more أو -Khwal inskoje more ، فهو مطابق لاسم « بلاد خوارزم » وإن كان العرب والفرس لا يقصدون من اسم بحيرة أو بحر خوارزم إلا بحر آرال .

ويسمى بحر قزوين كذلك فى المؤلفات الإسلامية بأسماء أخرى تبعاً للأقاليم المختلفة على شواطئه . فهو يسمى « بحر جرجان » وهذا الاسم مرادف للاسم القديم « البحر الهيرقانى » mer Hyrcanienne ، وبحر آبسكون نسبة للثغر الواقع عند مصب نهر كركان وبحر طبرستان أو مازندران ، وبحر الديلم ، وبحر جيلان . وسمى هذا البحر كذلك منذ العهد المغلى باسم بحر شيروان أو بحر باكو . وظهرت هذه التسمية الأخيرة كذلك فى المصادر الأوربية خلال العصور الوسطى هى واسم بحر سراى .

وكثيراً ما يطلق اسم بحر القلزم وهو الاسم الخاص بالبحر الأحمر على بحر قزوين. ويسمى هذا البحر كذلك فى المصادر التركية باسم « بحر الغز » نسبة للقوم الرحل المعروفين الذين انحدر منهم التركمان والعثمانيون، ويسمى

كذلك «آق دكز» وإن كان هذا الاسم يطلق بصفة خاصة على البحر الأبيض المتوسط ؟

المصـــادر

(١) G. le Strange : *The lands of the Eastern Caliphate* ، كبردج ١٩٠٥ ، ص٢٢–٢٣ ، ١٣٦ ، ١٨٠ (٢) J.Marquart : *Osteuropäische und Ostasiatiscge Streifzüge* ، ليبسك ١٩٠٣ ، ص ٣٣٥ ؛ وفى هذا الكتاب ذكر لفقرات المسعودى التى لا تشير إلى بحر آزوف وإنما تشير إلى البحر الأسود (٣) P. Raphaël du Mans : *Estat de la Perse 1660* ؛ نشره شيفر Schefer بباريس عام ١٨٩٠ ، ص ١ (٤) *Carta Catalana* فى *Notices et Extraits* ج ١٤ القسم الثانى ، ص ١١٨–١١٩ .

[بارتولد W. Barthold]

«بحر خوارزم» أو بحيرة خوارزم أو بحيرة آرال، واسمه بالروسية «أرالسكوى موره» *Aralskoie more* أى بحر آرال ؛ بحيرة عظيمة فى آسية الوسطى تبلغ مساحتها فيما عدا الجزائر وفقاً لأحدث تقدير (١٩٠٠ — ١٩٠٢ م) ٢٦١٤٠ ميلا مربعاً، ويصب فيها أهم نهرين فى التركستان الروسية وهما جيحون وسيحون (انظر هاتين المادتين). ويظهر أن القدماء لم يعرفوها. وربما كانت الأقوال المتناقضة عن بحر ماؤطيس *Maiotis* فى وسط آسية وعن مستنقعات نهر أكسوس *Oxus*، أى جيحون (*Oxiané limné, Palus Oxiana* ؛ وفى أميانوس ماركلينوس : *Palus Oxia*) راجعة إلى فكرة غامضة جالت فى رءوس بعض القدماء عن وجود هذه البحيرة. وإنه ليظن أن بحر آزوف قد أطلق على بحيرة آرال كما أطلق اسم «تنايس» أى الـ«دون» على نهر سيحون. والمصادر الصينية القديمة تشير فى كلمات عامة إلى وجود بحر شمالى أو بحـــر غربى فى إقليم بحيرة آرال. ولا نستطيع على التحقيق معرفة ما إذا كانت بحيرة «لمنيه» *Limne* التى ذكرها المبعوث البوزنطى زيمرخوس (٥٦٨ م) هى عين بحيرة آرال.

والحق أن روايات جغرافيي العرب أدق من روايات من ذكرنا. ومن الممكن أن تكون بحيرة خوارزم قد ذكرت باسم بحيرة «كُرْدر» فى رواية جغرافى آخر عاش قبل ابن خرداذبه. وفى أواخر القرن الثالث الهجرى (بداية القرن العاشر الميلادى) وصفها ابن رسته دون أن يذكر اسمها فقال إن البحيرة التى يصب فيها نهر آمودريا (جيحون) محيطها ثمانون فرسخاً بينما يذكر الإصطخرى ومن جاء بعده أن محيطها نحو ١٠٠ فرسخ. ويظهر أن الشاطئ بالقرب من مصب نهر «سير» وعلى مسيرة يومين من القرية الحديثة لم يتغير إلا تغيراً طفيفاً عما كان فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى). وهذه القرية يعرفها الفرس بـ«ده نو» والترك بـ«يكى كنت»،

وموقعها تحدده خرائب «جانكنت» على مسيرة أربعة عشر ميلا جنوبى غرب « قضا لنسك» الحديثة . ويلوح أن ما قلناه عن الشاطئ بالقرب من مصب نهر سير ينطبق على شاطئ البحيرة الجنوبى .

ويروى المقدسى أن الرحلة إلى البحيرة تستغرق يومين من مِزداخان إلى كردر ويومين آخرين ومرحلتى بريد من كردر إلى « براتكين» ويقال أيضاً براتكين وفراتكين ، ويوماً واحداً من براتكين إلى شاطئ البحيرة . ومزداخان هذه تجاه كركانج أوكنيه أوركنج الحديثة ، على مسيرة فرسخين من الضفة اليمنى لنهر آمو فى ذلك الوقت .

وبالقرب من جبل خوارزم أحواض جفت الآن إلى حد كبير . وليس فى مقدورنا أن نعرف ما إذا كانت هذه الأحواض قد انصبت إلى البحيرة فى ذلك الوقت شأن «ايبوكر» ، ونستطيع أن نقطع من جهة أخرى بأنه لم تكن هناك صلة بين نهر «صارى قاميش» وبحيرة خوارزم .

ويقول الكرديزى إن المسافر من خوارزم إلى بلاد البجاناك Pecheng لابد له من أن يسلك الطريق الموصل من كركانج (جرجانية) إلى جبل خوارزم (چنك) والبحيرة على يمينه ثم يقطع بعد ذلك الصحراء القاحلة .

وقد أصاب الاصطخرى والجغرافيون المتأخرون فى قولهم إن بحيرة خوارزم هى بحيرة ماؤها ملح وليس لها مخرج إلى البحر ، ويسميها المسعودى بحيرة جرجانية نسبة إلى المدينة المعروفة بهذا الاسم ، وهو المؤلف الوحيد الذى زعم خطأ أن هناك صلة بينها وبين بحر الخزر . ووردت بحيرة خوارزم وبحيرة جند جنبا إلى جنب فى جهان نامه (بداية القرن السابع الهجرى الموافق الثالث عشر الميلادى) وفى المؤلفات التى اعتمدت عليها بما فيها مؤلف الجرجانى المتوفى عام ٨٨١ هـ (١٤٧٦ — ١٤٧٧ م) . وقد نسبت بحيرة جند إلى مدينة جند المشهورة على الحوض الأدنى لنهر سير

والمصادر التى تتحدث عن بحيرة خوارزم من القرن السابع الهجرى إلى القرن العاشر كلها مأخوذة من المؤلفات المكتوبة قبل ذلك الوقت . ويزعم حافظ أبرو (٨٢٠ هـ = ١٤١٧ م) أن بحيرة خوارزم المذكورة فى كتب القدماء لم يكن لها وجود فى زمنه . وكان نهر جيجون يعتبر فى ذلك الوقت فرعا من بحر الخزر . وتذهب بعض المصادر إلى أن نهر سير لم يعد متصلا ببحيرة آرال . ويروى الجغرافى ابن فضل الله العمرى عن التاجر بدر الدين الرومى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى فيقول إن نهر سير غير مجراه على مسيرة يومين جنوبى جند . أما حافظ أبرو فيزعم أن النهر يتصل بنهر آمو بينما ورد فى بابر نامه أنه لا يتصل بنهر ما ، وإنما تغيض مياهه فى رمال الصحراء . ويمكننا أن نتحقق

من هذه الأوصاف الجغرافية فيما يختص بنهر آمو وذلك بالرجوع إلى الروايات الخاصة بالحوادث التاريخية التي وقعت في حوضه الأدنى . ويتعذر علينا ذلك فيما يختص بنهر سير لأنه ليس لدينا شيء من أمثال هذه الروايات .

ويطلق أبو الغازى على بحيرة خوارزم اسما آخر هو بحر سير « سير تنكزى » ويظهر أنه لم يفطن إلى الرواية التي تذهب إلى أن نهر سير ظل حينا من الزمن غير متصل بالبحيرة ، وهو يقول أيضا إن نهر آمو لم يشق طريقه عائدا إلى بحيرة خوارزم ألا بعد عام ٩٨٠هـ (١٥٧٢ — ١٥٧٣ م) .

ولا يمكننا معرفة ما إذا كانت الأقوال الغامضة التي وردت في رحلات الرحالة الإنجليزى جنكنسون عام ١٥٥٨م تشير إلى بحيرة آرال . وكلمة آرال وردت لأول مرة في أبو الغازى على أنها اسم المكان الذى ينصب منه ماء النهر إلى البحيرة ، ومعنى هذه الكلمة في اللغة التركية الجزيرة وربما يكون قد قصد بالتسمية في هذه الحالة دلتا النهر ، وبمضى الزمن أطلقت هذه التسمية على البحيرة نفسها وعرفها القرغيز باسم « آرال تنكزى » . وفي القرن الثاني عشر الهجرى الموافق الثامن عشر الميلادى أضحت جزيرة الدلتا المسماة بآرال دولة مستقلة حاضرتها « كونكرات » *Kungrat*، ولم تعد إلى الانضمام إلى خيوة إلا في عهد محمد رحيم خان (١٢٢١ — ١٢٤٧ هـ = ١٨٠٦ — ١٨٣٢ م) .

وأول مصدر روسى ذكر بحيرة آرال هو ما يعرف بالمصور الجغرافي الكبير الذى يعود تاريخه إلى بداية القرن السابع عشر . وقد وردت في هذا المصدر باسم *Sineye more* أي البحر الأزرق الداكن ، وقرنت خطأ بحر الخزر . وسميت البحيرة بهذا الاسم الروسى في المصور الجغرافي الملحق بكتاب وتسن (Witsen: *Noord-en Oost-Araliskole*، الطبعة الأولى عام ١٦٨٧ م) . وفي عام ١٦٩٧ ورد اسم أرالسكوى موره *Aralskioe* لأول مرة في الوثائق الروسية . ونجد هذا الاسم أيضا في مصورات جغرافية رسمها الأوربيون الغربيون في عام ١٧٢٣ (انظر مصور *de l' Isle*) بالرغم من أن الرحالة البوزنطى بازليوس بتاتزس Bazilios Batatzes الذى زار أواسط آسية عام ١٧٢٧ قد زعم أنه أول من جلب معلومات عن البحيرة إلى أوربا . وقد قوبلت أقواله بحماس كبير في لندن .

والحق أن أول من خطط البحيرة ووصفها وصفا علميا هي البعثة التي قام بها بوتاكوف Butakow وپوسپلوف Pospelow (١٨٤٧ — ١٨١٨م) .

وقد نشأ عن امتداد شاطئ البحيرة الذى لوحظ في بعض الحالات رأى يذهب إلى أن مساحتها قد نقصت خلال الأزمان التاريخية وهذا الرأى لا يتمشى مع الأقوال التاريخية

التى أسلفنا بيانها . ومع كل فإنه قد شوهد أن منسوب ماء البحيرة والبحيرات الأخرى فى بلاد التركستان يرتفع فى خلال العشرين سنة الأخيرة . ووصل ماء البحيرة إلى الحدود التى كان عليهـــا عام ١٨٤٧ وطغى عليها فى كثير من الأحيان . وعلى ذلك فإنه يلوح أن منسوب الميـــاه فى البحيرة كان يتراوح بين الزيادة والنقصان فى القرون السالفة . ومما لا مرية فيه أن دراسة جغرافيي العرب قد قضت قضاء تاما على النظرية العلميــة التى تذهب إلى أن البلاد الداخلية مثل بلاد فارس والتركستان وغيرهما آخذة فى الجفاف سريعاً ؟

المصـــــادر

(١) قام برج L. Berg باستكشاف البحيرة من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٠٢ تحت رعاية الجمعية الجغرافية الروسية الإمبراطورية ، قسم التركستان (٢) انظر تقارير هذا القسم فى *Izwiestiya* ، المجلد الثالث ، طشقند عام ١٩٠٢م وبه مجموعة للأقوال التاريخية فى البحيرة أعدها بارتولد، انظر المجلد الرابع والمقال الموجود فى *Mitteil des Seminars für orient. Sprachen Westas. Stud*، جـ ٦ ص ٢١٦ (٣) *Zemlewiedienie* ، ١٩٠١ م (٤) الرسالة المفصلة التى كتبها بارتولد بالروسية ونشرها عام ١٩٠٨ ، وعنوانها بالألمـانية هو *Der Aral-See-Versuch einer physisch-geographischen monographie* .

[بارتولد W. Barthold]

« بحر الروم » : الاسم العربى للبحر الأبيض المتوسط ، وهذا الاسم مشتق من اسم بلاد الروم أى الإمبراطورية البوزنطية . ويطلق على هذا البحر أسماء أخرى مثل «بحر المغرب» (انظر هذه المادة) .

أما اسم « أدريا » الذى كان يطلق فى الأصل على البحر الإدرياتيكى فقط فكان يطلق فى العصور القديمة المتأخرة على جزء من بحر الروم يمتد ناحية الشرق . فنجد مثلا أن يوردانس Jordanes يتحــدث عن رودس عاصمة جزائر البحر الأبيض . كما أنه يستدل من لوحة بوتنجريانا *Tabula Peutingeriana* أن البحر الإدرياتى يمتـــد حتى كريت . (انظر Pertsch, Pauly-Wi *Realenzykle* ، جـ ١ ، عمود ٤١٨ ؛ A. Ronconi : *Per l'onomastica antica dei mari* فى *Studi italiani di filologia classica* ، جـ ٩ ، طبع فى فلورنسا عام ١٩٣٢ ، ص ٢٧٠—٢٨٢) . وفى عهد الإمبراطورية البوزنطية كان اسم Ἀδριάς يطلق على البحر الأبيض المتوسط كله ، أما باين وسميث Payne-Smith (*Thesaurus Syriacus* ، جـ ١ ، ص ٤٢) فيستثنيان من تلك التسمية البحر الأسود، ولكن هذا خطأ . وهذا الاسم أخذه الكتاب الشآميون وحرفوه إلى أدريوس (انظر يعقوب الرهاوى فى المجلة الآسيوية عام ١٨٨٨، جـ٢، ص ٤٢٦؛ Nallino فى البتانى *Opus astronom.* ، جـ ١ ، ص ١٧١ تعليق رقم ٧ ؛ *Livre de l'ascension*

l'esprit [redacted] لمؤلفه ابن العبرى ، ترجمة نو Nau ، ص ١١٩ ، تعليق رقم [redacted] ؛ Nau: *Le livre des trésors* لمؤلفه Jacques de Bart[redacted] فى المجلة الأسيوية عام ١٨٩٦ ص ٣٠٩ — ٣١٢ ؛ *Mose Bar Kefa* مخطوط سريانى رقم ٣١٩ ، ورقة ٨٣ ، ٨٩) ؟

المصـــــادر

(١) المسعودى : كتاب التنبيه فى المجموعة الجغرافية العربية ، ص ٥١ (٢) ابن خلدون فى *Notices et Extraits des manuscrits* [redacted] *la Bibliothèque* [redacted] *Roi* ، ج ١٩ ، ص ٣[redacted] (٣) G. Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* كبردج ١٩٠٥ ، ص ١٢٧ ؛ وانظر كذلك مادة بحر المغرب .

[هونجمان E. Honigmann]

« بحر الزَّنج » يقصد العرب ببحر الزنج الجانب الغربى من بحر الهند (انظر هذه المـــادة) الذى يطل عليه الشاطئ الشرقى لإفريقية والذى ذهب العرب بمعلوماتهم القليلة إلى أنه يمتد من خليج عدن المعروف أيضاً بالخليج البربرى إلى سفالة ومدغشقر ، وسمى ببحر الزنج نسبة إلى الشاطئ المطل عليه المسمى بلاد الزَّنج أو زنجبار (ومعناها أرض الزَّنج) ويعنى العرب بكلمة الزنج البانتو السود الذين يختلفون تماماً عن البربر والحبش . والزنج اسم قديم جداً استعمله بطليموس بقوله Ζήγγισα ἄκρα و Kosmas Indicopleustes كزماس أنديكو پليوستس من τό λεγόμενον Ζίγγιον ولم يفسر هذا الاسم . ويُقصد به اليوم جزيرة زنجبار ونهير من فروع نهر الزمبيزى اسمه زنجوى Zangue . وإشارات العرب عن شاطئ الزنج وبحره ضئيلة متناقضة فى بعض أجزائها . فقد كانوا يخافون البحر ولا يقصدونه، ولم يبحر فيه إلا الرحالتان المسعودى وابن بطوطة ، ولكنهما اهتما فيما أورداه بالأرض وسكانها أكثر من اهتمامهما بالبحر نفسه . ومن الواضح أن العرب تخيلوا الشاطئ يسير فى اتجاه يختلف تماماً عن اتجاهه الحقيقى . وقد أعطانا توماشك W. Tomaschek رسوماً قيمة لما تصوره العرب فى *Die topographischen Capitel* [redacted] *indischen Seespiegel Mohit* ، فيينا عام ١٨٩٩ م كما جمع مارسل دفك L. Marcel Devic كل ما قاله جغرافيو العرب عن بلاد الزنج وبحره بطريقة لا تضارع فى *Le Pays des Zendjs* [redacted] *la côte Orientale d'Afrique* [redacted] *Moyeu âge* باريس عام ١٨٨٣ .

وتنظم الرياح الموسمية الملاحة فى هذا الجزء من المحيط الهندى ، ومن ثم قامت العلاقات بين بلاد اليمن والشمال الغربى لبلاد الهند من جانب وبين الساحل الشرقى الإفريقى من جانب آخر (إذا أردت التفصيل فارجع إلى مادتى « بحر الهند » و « الزنج ») ؟

[بكر C. H. Becker]

« بحر العلوم » : هو العياش محمد عبد العلى بن نظام الدين بن قطب الدين سهالى ولد عام ١١٤٤هـ (١٧٣١م) فى «فرنكى محل» من أعمال لكهنو . وكان أورنك زيب قد ولى أباه عليها . وأسرة بحر العلوم من أهل هراة وقد أقطعها « أكبر » قطعة من الأرض . واستوطن جده الأكبر من جديد قرية سهال بالقرب من لكهنو . واشتهر جده وأبوه بالعلم والتدريس . وأخذ بحر العلوم العلم على أبيه وعلى ملا كمال الدين الذى جاء بعده ، وانتهى به الأمر إلى أن أخذ يدرس مكان أبيه . وأدت رسالته الجدلية إلى النضال بين الشيعة وأهل السنة فنفاه شجاع الدولة أمير أوده وعاش زمنا ما فى «شاهجهانپور» فى رعاية عبد الله خان حاكم (نواب) هذه الجهة . وبعد مقتل هذا النواب فى عام ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) أخذ بحر العلوم يدرس فى رامپور وبهار وانتهى به المطاف إلى مدراس حيث توفى فى الثانى عشر من رجب عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م)

واشتهر المترجم له فى جنوب الهند باسم « ملك العلماء » وفى شمالها باسم (بحر العلوم) . وكان أستاذا مبرزا وكاتبا مكثرا . وأهم مصنفاته شروح لكتب العرب فى الفقه والمنطق والكلام

المصـــادر

(١) الندوة ، الأعداد من أبريل — يونيه سنة ١٩٠٧ (٢) محمد صديق حسن خان : أبجد العلوم ص ٩٢٧ (٣) حسن بن عبد الله العباسى : آثار الأول ، ص ٢٤

[محمد هدايت حسين]

« بحر الغزال » رافد من روافد النيل الأبيض واسم مديرية فى السودان المصرى . وقد نشأ بحر الغزال من اتحاد مجارى مائية صغيرة تفيض ناحية الشمال والشمال الشرقى من خط تقسيم المياه بين الكنغو والنيل ، ويلتقى به بحر العرب الآتى من دارفور وهو أهم روافده . وبعد اتصال بحر الغزال ببحر الجبل الذى ينبع من بحيرات إفريقية الوسطى يسمى بالبحر الأبيض أو النيل الأبيض . وليس بحر الغزال مجرد نهر ولكنه مجموعة مجارى مائية ممتدة ومتداخلة على شكل بحيرات مع انحدار خفيف . وهى تصبح فى موسم الأمطار صفحة من الماء لا يبلغ البصر مداها . وعند انحسار الماء تصير مستنقعاً مملوءاً بالسدود الطافية التى تجعل الملاحة متعذرة فى أماكن ومستحيلة فى أخرى .

وا كتشف بحر الغزال لأول مرة عام ١٨٥٤م تاجر من الخرطوم اسمه «حبشى» وفى عام ١٨٥٦م زاره القنصل بتريك Petherick ووصفه بدقة بعد ذلك شوينفرث Schweinfurth . وكانت الملاحة قبل أن يقوم الإنجليز بتطهير مجرى النهر من السدود تنتهى عند مِشرَع وهى نقطة الابتداء لكل بعثات الاستكشاف فى الأراضى المجاورة وتعرف على الخرائط

أيضاً بمشرع الرق . ويرى شوينفرث أن الرق إحدى قبائل الدنكا بالقرب من هذا الإقليم .

والمنطقة التي بين خطي عرض ٥° و١٠° شمالا وخطي طول ٢٥° و٣٠° شرقاً تعرف ببحر الغزال ومن ثم أخذت إحدى مديريات السودان المصرى هذا الاسم . ويسكن هذه المنطقة زنوج وثنيون هم الشلوك والدنكا وينقسمون إلى عدة قبائل صغيرة . ولا بد أن يكون هؤلاء الناس قد عاشوا في هذه البقعة قروناً طوالا لأنهم تكيفوا وفق ظروف الحياة في هذه المنطقة الكثيرة المستنقات ، وأهم ما يشتغلون به تربية الماشية من ذوات السنام كما يشتغلون بصناعة الحديد الذى يستوردونه من الخارج . ولما كانت القبائل تنتشر أو ترغم على ترك مساكنها في المناطق المجاورة وتستقر في بحر الغزال فقد أصبح سكان هذا الإقليم متباينين في الجنس ، وذكر سلاطين Slatin (ترجمة ونجت Wingate ، ص١٩٤) منهم ما يأتى : كاره وكُنجه وفرتت وكرتش وبايه وتيجه وبنده ونيام نيام وبنجو ومنبتو وغيرهم . ولكل من هذه القبائل زعيم وهى تتحارب بشدة فيما بينها وأهلها جميعاً وثنيون . وغالب الأسماء الجغرافية هناك عربية ويعود هذا إلى الحملات المستمرة (قوافل التجارة وقنص العبيد) التي قام بها رعاة كردفان ودارفور المستعربون أو دناقلة النيل من زمان بعيد .

وتاريخ بحر الغزال ليس في الحقيقة إلا وصفا لحملات قنص العبيد التي أشرنا إليها وللتنازع الشديد القائم بين أشباه العرب والدناقلة . ولا نستطيع أن نتحدث عن تاريخه بالمعنى الضيق لهذه الكلمة إلا منذ اشتركت مصر في مطاردة تجارة الرقيق ووضعت يدها من أجل ذلك على إقليم بحر الغزال . ولما احتل خديو مصر السودان للمرة الأولى في القرن التاسع عشر كان بحر الغزال تابعاً لمديرية دارفور . وفي عام ١٨٦٠ نجح الزبير وهو من أشباه العرب في الحصول على السلطان وقام بحملات طويلة من مكان حصين على طريقة قناص العبيد ، وكانت قصبته تسمى ديم الزبير وقد أصبحت فيما بعد أهم مدن بحر الغزال ومقر المدير ، وكان الزبير أول من تولى هذا المنصب وقد اعترف الخديو بسلطان هذا الرجل عام ١٨٤٣م . وغزا الزبير دارفور من قبل مصر ثم استدعى إلى مصر عام ١٨٧٦ م عند ما استفحل نفوذه ، وحرمت عليه العودة إلى السودان عدة سنين ، وخلفه ابنه سليمان في حكم بحر الغزال ، فنازع السلطات المصرية وشق عصا الطاعة عليها ، وبعد وقعة شديدة أســقطه رومولى جسى الإيطالى Romoli Gessi ثم قتل . وكان جسى باشا هذا أول مدير أوروبى لبحر الغزال . وحل محله عام ١٨٨١ لبتون بك Lupton الذى اضطر إلى الخضوع للمهديين عام ١٨٨٤ م . وقبل ذلك أيضاً عين محمد أحمد المهدى رجلا اسمه حسب

الله حاكماً لبحر الغزال . والحق أن سكان الإقليم الوثنيين لم يرغموا ليتون على الخضوع وإنما الذى اضطره إلى ذلك هم ضباطه وجنوده . وظل بحر الغزال أكثر من عشر سنوات جزءاً من مملكة المهدى وخليفته عبد الله . ولم يعد الأمن إلى السودان إلا بعد استعادة فتحه على يد الإنجليز . ونستطيع أن نقدر التقدم الذى وصل إليه تحت الحكم المصرى الإنجليزى من التقارير السنوية عن مصر والسودان . وبحر الغزال كبقية السودان الشرقى خاضع للحكم المصرى والإنجليزى (معاهدة ١٩ يناير عام ١٨٩٩ م) .

وكان بحر الغزال موضوع مشاكل سياسية استمرت مدة طويلة لأن فيه الحدود التى تفصل السودان المصرى عن الكنغو الفرنسية والكنغو البلجيكية . وفى عام ١٨٩٨ نشأت أزمة سياسية بين إنجلترا وفرنسا من جراء حادثة فاشـــودة ، وقد كادت تنتهى بالحرب لولا تسليم فرنسا بالمنطقة المتنازع عليها . كما نشأت صعوبات تتعلق بالحدود البلجيكيـــة ولكنها حلت وفقاً لما ورد فى الكتب الزرقاء الأخيرة

المصادر

(١) Schweinfurth : [illegible] *the Heart of Africa* ، لندن ١٨٧٨ م (٢) Slatin Pasha : *Fire* [illegible] *Sword in* [illegible] *Sudan* ، لندن ١٨٩٦ (٣) Lord Cromer : [illegible] *Egypt* ، (٤) تقارير المندوب السامى والقنصل الجنرال عن شئون مصر والسودان الادارية والمالية (٥) إبراهيم فوزى باشا : كتاب السودان بين يدى غردون وكتشنر : القاهرة عام ١٣١٩ [illegible] وما يليها (٦) راجع كتباً أخرى لشوينفرث عن بحر الغزال فى قائمـــة المراجع لكتابه *Veröffentlichte Briefe, Aufsätze und Werke* ١٨٦٠ — ١٩٠٧ ، برلين

[بكر C.H. Becker]

« بحر فارس » : هو الاسم الذى أطلقه الإصطخرى (ص ٦) وابن حوقل (ص٣٥—٤١) على المحيط الهندى ، وفى هذه التسمية شىء كثير من التوسع يخرجها عن المعنى الصحيح . وهذا الاسم لا يدل فى كتاب المقدسى (ص١٧) والمسعودى (مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٠٧) إلا على الخليج الفارسى ابتداء من عبّادان على مصب نهر دجلة (شط العرب) إلى عمان بما فى ذلك الخليج المسمى باسمها .

وهناك مخاضات خطرة عند مدخل شط العرب تسمى الخشبات ولهذا أقيم فى تلك الجهة فنار كما وضع حارس يشعل النار لكى يكشف المدخل أمام السفن . وتوجد هناك مصائد اللؤلؤ فى جزيرة خارك قبالة ثغر جنّابة .

وأهم الثغور على الشاطئ الفارسى هى : عبـــادان ، مهروبان ، سينيز ، جنابة ،

سيراف ، حصن ابن عمارة ، هرمز ، تيز (مكران) هذا إلى ثغور : بوشهر ، بندر عباس (كمرون) ولكنها وقد أصبحت من الأهمية بمكان .

وتفصل جبال دُردور (كُسير وعوير) الخليج الفارسى عن المحيط الهندى وهى تحطم كثيرا من السفن . وتوجد هناك جزر : أوال ، خارك ، كيش (قيس وكشم) واللار (لارك).

وأهم الثغور على الشاطئ العربى هى : الكويت ، القطيف ، مسقط ؟

المصـــادر

(١) محمد حسن خان : مرآة البلدان ، ج ١ ، ص١٧٦ – ١٩١ (٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ .

[هيوار Cl. Huart]

« بحر القلزم » : البحر الأحمر . لم يستعمل العرب الأسماء القديمة التى تطلق على البحر الأحمر فى حين أنهم عرفوا الاسم العبرى لبحر البوص (يام سوف) وأطلقوه خطأ على البحر الأحمر كله ، وهم يطلقون عليه غالباً اسم بحر القلزم نسبة لمدينة القلزم التى كانت معروفة قديماً باسم كليسما Klysma فى أقصى شمال هذا البحر بالقرب من مدينة السويس . أما اسم بحر الحجاز فهو شائع الاستعمال ومذكور فى « المحيط التركى » وفى المصورات الجغرافية الحديثة ، فى حين أن اسم بحر السويس لا يطلق إلا على خليج السويس . أما خليج العقبة فيسمى خليج أيلة وهو يعرف الآن باسم بحر العقبه . وقد طغت الرمال على مدينتى أيلة وقلزم شأنهما فى ذلك شأن جميع الثغور فى الأراضى الجبلية المرتفعة .

وتذهب الرواية الإسلامية إلى أن البحر المحيط الذى يحيط بالعالم يتفرع منه بحر كبير فى الشرق وبحر آخر كبير فى الغرب . وهذان البحران يقتربان من بعضهما أشد الاقتراب عند قلزم والفرما (برزخ السويس) . والقسم المتوغل جهـــة الغرب من البحر الشرقى المعروف كذلك باسم البحر الصينى أو البحر الهندى هو بحر القلزم . وحد هذا البحر جهة الشمال معلوم ، أما جهة الجنوب فيحده بوغاز باب المندب . ويعد البعض كذلك خليج عدن والخليج البربرى (نسبة إلى بربرا) نهاية لبحر القلزم ، وقد وصف معظم الجغرافيين البلاد على شاطئ هذا البحر ابتـــداء من باب المندب . وكان بوغاز باب المندب الضيق باعثاً لقيام أسطورة من الأساطير تذهب إلى أن البحر الأحمر كان فى سالف الأزمان أرضاً خصبة فجاء ملك وقدّ الجبل الموجود عند باب المندب بقصد إغراق بلاد العدو بواسطة قناة صغيرة تتصل بالمحيط الهندى ، غير أن مياه المحيط بأجمعها اندفعت إلى داخل هذه الأراضى فكونت بذلك بحراً مكان البلاد المزدهرة .

وقد ذكرت المعلومات الآتية فيما يختص

باتساع هذا البحر : يقطع المسافر طول هذا البحر فى ثلاثين مرحلة كما يبلغ عرضه فى أوسع نواحيه مسيرة ثلاثة أيام ، أى أن طوله ١٥٠٠ ميل وعرضه ٤٠٠ ميل (يذكر البعض أن عرضه ٩٠ ميلا) والصحيح هو أن طول هذا البحر من السويس حتى باب المندب ٢٢٤٠ كيلو متراً كما يبلغ عرضه فى أوسع نواحيه ٣٥٠ كيلومتراً .

ولبحر القلزم شهرة سيئة عند العرب بسبب الزوابع والصخور التى به (الحواجز المرجانية) وخاصة فى الجزء الشمالى منه . ولهذا السبب تتجنب السفن التجارية السيرفيه (انظر مادة عيذاب) . وكانوا يخشون كذلك الملاحة عند الطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناء بسبب اصطفاق الرياح التى تهب من ناحية شعبتيه الشماليتين وخاصة بالقرب من جزائر تيران التى كثيراً ما تعرف فى المصادر العربية باسم تاران وهى عند مدخل خليج العقبة وعند جُبال التى هى عين جبيلات أو جبيلان على مدخل خليج السويس ، وهم يذكرون أن فرعون مصر وجيشه هلك فى تلك المنطقة فى بحر القلزم ، وتلك هى القصة التى ورد ذكرها كثيراً فى القرآن . ويذكر القلقشندى (ضوء الصبح ، ص ٢٢٥) والعمرى (التعريف ، ص ١٢٣) أن بحر البوص يسمى بركة الغرندل وهى عين سُرنَدَلَة أو أرنَدَرة المذكورة فى كتب الحجاج المسيحيين . وبسبب العواصف فى هذا البحر فإن السفن كانت ولا تزال تسير بالقرب من الشاطىء إبان النهار فإذا ما أرخى الليل سدوله ألقت مراسيها متزوية بين الحواجز المرجانية . ومع ذلك فقد كانت التجارة مزدهرة منذ عهد قديم فى البحر الأحمر . وفى بداية العهد الإسلامى كانت هناك قناة تربط النيل بالقلزم وكانت السفن المحملة بالغلال تجرى ما بين الفسطاط و «الجار» ثغر المدينة . وكانت السفن التى تنقل التجارة ما بين أوربا والهند والتى كانت فى أيدى اليهود تقطع برزخ السويس ثم تتابع السير فى البحر الأحمر دون أن تقف بالسواحل المصرية حتى تصل الحجاز وجدة ، ومن هناك تتابع السير إلى الهند والصين . وفى عهد ازدهار الخلافة العباسية كانت تجارة التوابل العظيمة تأخذ عادة طريق بغداد ، ولكنها تحولت كذلك نحو وادى النيل نتيجة للمكانة الهامة التى أخذت تحتلها مصر . وكانت عدن أهم مرسى لهذه السفن ومن هناك تبحر نحو موانى الحجاز ونحو القصير وميناء قوص المصرى ثم كانت تذهب بعد ذلك طيلة عدة قرون إلى ميناء عيذاب . ولم تصبح لمدينة الطور التى فى الشمال عند سفح جبل سيناء أهمية كبرى إلا منذ نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وأدت حركة الحجاج إلى قيام الصلات القوية بين القصير وعيذاب والطور وجدة من جهة أخرى كما أدت إلى قيام الصلات بين جدة والموانئ الجنوبيــة . ويظهر أن حركة الملاحة فى النصف الجنوبى

من البحر الأحمر كانت فى جميع الأوقات أنشط منها فى الجزء الشمالى منه وذلك بسبب الحضارة القديمة التى للأقاليم التى على شواطئه وكذلك بسبب اعتدال الرياح فى ذلك النصف الجنوبى، وربطت الصلات القديمة بصفة خاصة ما بين اليمن والحبشة. وكان باب المندب والمناطق بالقرب منه بمثابة معبر مشهور أمام الشعوب المختلفة.

وقد درس كلونزنجر Klunzinger فى كتابه *Oberägypten* شعوب البحر الأحمر وحركة هذا البحر وسير السفن فيه ونشاط ثغوره. وفى لغة الأهالى الذين يسكنون شواطئ هذا البحر عدد من الألفاظ المستعملة بين أهل الشاطئ الشرقى لإفريقية والتى تشبه اللغة المستعملة بين أهل المحيط الهندى. وقد حاولوا بمختلف أنواع السحر تجنب الأهوال التى تكتنف السفر فى ذلك البحر، تلك الأهوال التى كثيرا ما وصفها الرحالة العرب. ونجد بعضها مذكورا فى *Archiv für Religions-wissenschaft* (جـ ١١ عام ١٩٠٨، ص ١٥٧ وما بعدها).

والأماكن التى على بحر القلزم والتى سنذكرها فيما بعد تصطبغ بالصبغة الأسطورية. وهم يقولون إن جبل المغناطيس جنوبى القلزم يجذب الحديد، ولذلك فإن السفن التى تبنى فى تلك الجهة لا يدخل الحديد فى بنائها، وإن جزيرة الجسّاسة أو الجاسة عبارة عن حيوان يتلقط الأخبار بقصد إبلاغها إلى الدجال.

ويتحدثون كذلك عن الأسماك التى يبلغ طول الواحدة منها أكثر من مائتى ذراع والأسماك التى تشبه رءوسها رأس البومة وغير ذلك من الحيوانات البحرية العجيبة. وأساس هذه الروايات كلها إما أن يكون ملاحظات غير دقيقة وإما أن يكون من نسج الأساطير الشرقية مثل قصة الإسكندر

المصـــادر

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ ١، ص ٥٠٣، جـ ٤، ص ١٥٨ (٢) المكتبة الجغرافية العربية، جـ ٣، ص ٢، جـ ٦، ص ١٥٣ (٣) الإدريسى، طبعة دوزى وده غوى، ص ١٦٤، ١٩٥ (٤) القلقشندى، ترجمة فستنفلد، ص ١٦٩ (٥) القلقشندى: ضوء الصبح، ص ٢٢٤ (٦) المقريزى: الخطط، جـ ١، ص ١٦ — ١٧ (٧) ابن الوردى: جزيرة العجائب، القاهرة عام ١٣١٦، ص ٩٦ — ٩٧ (٨) Bittner et Tomaschek: *Die topographischen Capitel des indischen Seesdiegels Mohit*، فينا عام ١٨٩٧ (٩) C. B. Klunzinger: *Bilder aus Oberägypten, per Wüste und dem roten Meer* (١٠) von Neimans: *Das Rothe Meer und Küstenländer im Jahre 1857 in Handelspolitischer Beziehung* (١١) *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges.* جـ ١٢ عام ١٨٥٨، ص ٣٩١ وما بعدها (١٢) Heyd: *Levantehandel* (١٣) W. Weber

Der [redacted] *Meerbusen* عام ١٨٨٨(١٤) *Expedition "Pola"* [redacted] *das* : S. M. Schiff *RotheMeer (Denksch. d. Wiener Akademie, Mathem. nat Kl* : ج ٦٥، ٦٩)

[بكر C. H. Becker]

« بحر لوط » : الاسم الذى يطلقه العرب اليوم عادة على البحر الميت ، ويسميه جغرافيو العرب فى الغالب البحيرة الميتة أو البحيرة المنتنة ، أو البحيرة المقلوبة لأنها فى الأرض المقلوبة أو أرض قوم لوط . كما يسمونه أيضا بحيرة صوغر (زغر) وبحيرة سدوم وكرة . ويظهر أن ناصرى خسرو الفارسى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كان أول جغرافى عرف اسم بحيرة لوط .

ويتصل اسم بحر لوط بالقصة المذكورة فى الإصحاح ١٩ من سفر التكوين ، والتى ورد ذكرها كثيرا فى القرآن دون أن يذكر اسم البحيرة نفسها .

والنكبات التى يتحدث عنها سفر التكوين الإصحاح ١٩ ، تذكرنا بها الآن أسماء بعض الأماكن القريبة من البحر الميت مثل جبل سدوم (أسدم) والأساطير الشائعة بين الناس هناك . وهى من غير شك تعتمد على على ما ورد فى الكتب أكثر من اعتمادها على الأساطير الشعبية .

جغرافية بحر لوط :

يمتد البحر الميت من الجنوب إلى الشمال بين أرض صحراء يهوذا الوعرة الجرداء ومنطقة منبت الجبلية . ويبلغ طوله ٧٦ كيلو مترا ومتوسط عرضه نحو ١٢ كيلو مترا . وهو منخفض عن سطح البحر بنحو ٣٩٤ مترا ؛ أى أن موقعه بين خطى عرض ٥َ ٣١° و٤٥ً ٣١° شمالا وعلى خط طول ٢٠َ ٣٥° شرقى جرينوتش. وهو بحر راكد ، وعمقه فى أبعد أغواره ٧٩٣ مترا . ويمتد من شاطئه الشرقى لسان يفصل الجزء الجنوبى من البحر وهو جزء ضئيل ، عن الحوض الشمالى . وعلى الشاطئين الغربى والشرقى جبال قائمة يبلغ ارتفاعها أكثر من ١٠٠٠ متر عن سطح البحر . ويمتد الانحدار إلى الشمال حتى مدخل الأردن . أما فى الجنوب فترتفع الأرض تدريجا فى الغور والعربة حيث ينبغى البحث عند الشاطئ الشرقى للسبخة عن مدينة بنتبول (سدوم ؟) Pentapole التى ورد ذكرها فى الإصحاحين الرابع عشر والتاسع عشر من سفر التكوين . والملح موجود فى ماء البحر بكثافة غير مألوفة جعلت الماء غير صالح للاستعمال فى حاجات الحياة بل وجعلته غير صالح للملاحة أيضا . وتوجد واحات ماهولة يكاد يكون لها خصائص منطقة المدارين فى بعض نواحى الشاطئ لا غير .

طبقات الأرض « الجيولوجيا » :

يغطى البحر الميت الجزء الأكثر انخفاضا

من المنحدر الذى تكون فى سوريا فى آخر العصر الجيولوجى الثالث. وفى أزمنة الأمطار التى هطلت فى عصر الطوفان وما عقبها من جفاف. ملأت السيول العظيمة الجزء الأكبر من وادى الأردن وجانبا من العربة فجعلت فيهما بحيرة داخلية لم تتصل بالبحر الأحمر قط. ولما كانت مياه هذه البحيرة تتبخر دون أن تتصل بغيرها أصبحت مياهها التى جاءت إليها من منابع غنية بالمواد المعدنية مثقلة بعناصر من الملح عجيبة التكوين.

وفى عصر الجفاف الذى حدث فى الأزمنة التاريخية انكمش البحر إلى القاع الذى يشغله الآن. على أنه قد لوحظ فى القرن الماضى أن مستوى سطح البحر يرتفع فى بطء. وقد أثرت حركات الزلازل فى الجزء المحيط بالبحر حتى فى العصر الحاضر وكانت إحدى هذه الحركات التى حدثت أخيرا السبب فى تكوين الحوض الجنوبى.

واستخرج الأسفلت من البحر الميت فى العصور القديمة (لاحظ اسم بحيرة الأسفلت *lacus asphaltitis*)، ويظهر أنه كان له شأن كبير فى العصور الوسطى أيضا. وكان الأسفلت يستعمل للوقاية من الحشرات فى الكروم كما استعمل أيضا فى أغراض طبية كثيرة، ونسب إلى مياه البحر نفسها قوة على شفاء الأمراض.

وكانت المحصولات الكثيرة التى تنتجها واحة زغر القريبة من مدينة «غور الصفية» الموجودة الآن تنقل عبر البحر الميت، وقد مخرت عبابه أيضا سفن الفرنج الصليبيين.

ومنذ عهد الصليبيين تلاشت الأهمية السياسية للبحر الميت والبلاد المحيطة به

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية، جـ ١، ص ٦٤، جـ ٢، ص ١٢٣ وما بعدها، جـ ٣، ص ١٧٨، ١٨٤ وما بعدها، جـ ٥، ص ١١٨، جـ ٦، ص ٧٩ جـ ٧، ص ٣٢٩، جـ ٨، ص ٧٣ وما بعدها (٢) المسعودى: مروج الذهب، طبعة باربيه ده مينار، جـ ١، ص ٩٦ (٣) الادريسى: *Zeitschr. d. Deutseh Pal - Vereins* جـ ٨، ص ٣ (٤) ياقوت: معجم البلدان، جـ ١، ص ٥١٦، جـ ٢، ص ٩٣٤ (٥) الدمشقى، طبعة مهرن، ص ١٠٨ (٦) أبو الفداء، طبعة رينو Reinaud، ص ٢٢٨ (٧) ابن البيطار: (ترجمة Sontheimer، شتتجارت ١٨٤٢) جـ ٢، ص ٣٠٩ وما بعدها (٨) ناصرى خسرو، طبعــة شيفر، ص ١٧ وما بعدها. وقد جمع المصادر الاسلامية وترجمها G. le Strange ونشرها فى كتابه *Palestine under the Moslems* ص ٦٤ — ٦٧ و ص ٢٨٦—٢٩٢ (٩) وقد جمع المعلومات السابقة Meusberger واستخدمها فى كتابه *Das Tote Meer*، طبعة بركسن ١٩٠٧ — ١٩٠٩

[هارتمان R.Hartmann]

«بحر المحيط» : تصور العرب المحيط على النحو الذى رواه الجغرافيون من اليونان: نهرا واسعا ممتدا مستديرا فى الغالب يحيط بالمعمور من الأرض . ولهذا أسموه البحر المحيط ، وقد سموه أيضا البحر الخارجى وبحر الظلمات أو البحر الأخضر . وشبه الإدريسى الأرض الموجودة فى وسط المحيط ببيضة موضوعة فى كأس وقد غمرتها المياه . وكما يحيط الماء بالأرض يحيط الهواء بالماء وتحيط النار بالهواء تحت التجويف الموجود فى فلك القمر .

ويرى بعض علماء الشرق أن جميع البحار ينبغى أن تتصل بالمحيط . وليست البحار إلا خلجانا أو امتدادات لها ، أما المحيط فهو منبع جميع البحار الأخرى ، ويقول المسعودى إن هذا الرأى هو الرأى السائد (مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٥٨) . والبحار التى تبدو فى الظاهر مقفولة لابد من اتصال بعضها ببعض إما من تحت الأرض وإما بوساطة مجرى غير معروف ، ومن ثم قيل إن بحر الخزر كان متصلا ببحر الروس أو بحر أطرابزندة ، وبحر زغر كان متصلا ببحر القلزم ، وبحيرة هجر كانت متصلة ببحر فارس ، على أن هذا الرأى لم يأخذ به جميع الجغرافيين (انظر الدمشقى ، طبعة مهرن Mehren ، ص ١٢٧) . ويروى المسعودى أن بعض العلماء يعتقدون فى وجود محيط عذب المياه متميز عن البحر الخارجى ويقولون إنه منبع جميع الأنهار (مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٠٢) .

ويقول صاحب كتاب مختصر العجائب *l'Abrégé des Merveilles* (ص ٤٥) إن المحيط يشتمل على ٢٧٠٠٠ جزيرة ، وينسب هذا القول إلى بطليوس ، فى الشمال الشرقى وفى أقصى الجزء المعمور من الأرض توجد جزيرة تولى *Thule* الأسطورية التى ذكرها بثياس وبطلميوس وهى على خط عرض ٦٣° شمالا وفى الجانب الغربى منه تصطفق مياه المحيط على شواطئ برطانية وكثير من المدن الموجودة على شاطئ المغرب وبلاد البربر الذين يسكنون أكواخا من الغاب . ويوجد فى المحيط أيضا جزائر المباركين *The Isles of the blessed* (انظر المسعودى : كتاب التنبيه والاشراف ، ص ٩٨) . ويقول الإدريسى إن جزيرة المباركين هذه هى التى أقام فيها هرقل الأصنام التى كانت بوضعها وبما عليها من نقوش تشير للمسافر بأنه لا يستطيع أن يذهب أبعد من ذلك . أما المسعودى فيجعل هذه التماثيل مرة فى قادس وأخرى فى مضيق جبل طارق . ويقال إنها كانت منارات للسفن . ويقول العرب إن المحيط هو الذى كون البحر الأبيض فان مياهه هدمت حائطا طبيعيا كان يصل الأندلس ببلاد المغرب ثم تدفقت على الأرض وكانوا يظنون أن إفريقية تنتهى ناحية الجنوب على مسافة غير بعيدة من جنوب مصر . وأن المحيط موجود هناك أيضا تصطفق مياهه على شواطئ بلاد الزنج .

أما فى جنوب آسية فقد سمى المحيط بحر الهند وبحر سرنديب وبحر هركند وبحر قُنْشُر وبحر مهراج وبحر الزنج . وسمى جزؤه الشرقى باسم بحر الصنف أو بحر الصين (انظر مادة بحر الهند ») .

وقد تكلم علماء العرب عن سبب المد وسبب ملوحة مياه البحر . وهم ينسبون مد البحر فى العادة إلى فعل القمر ، ويعتبرون الأرض نوعا من الحيوان وأن البحر هو طبائعه ، وعندما يمتلىء القمر يهيج تلك الطبائع

أما عن ملوحة ماء البحر فإن المسعودى يلاحظ أنها لا يمكن أن تكون ناشئة عن أثر الحرارة فى الماء العذب كما ظن كثير من القدماء لأن تقطير الماء لايحدث مثل هذا (انظر كتاب التنبيه والإشراف ، ص ٢٧٩)

وقد ذكر جغرافيو العرب أيضا مقاييس لطول الجزء المعمور من الأرض فقالوا إن طوله يساوى قطر المحيط

[كارا دەفو Carra de Vaux]

« بحر المغرب» عرف البحر الأبيض المتوسط عند العرب بأسماء عدة نلاحظ فى كثير منها أن اسم الجزء قد أطلق على الكل فيقال مثلا بحر طنجة وبحر إفريقية . وأكثر هذه الأسماء تداولا هى : —

١ — بحر المغرب والبحر المغربى أو الغربى وقلما يقال : الدبورى

٢ — بحر الروم أو البحر الرومى ، ويرد باسم بحر الإفرنج نادرا ، وهو يطلق فى هذه الحالة على الأجزاء الأوربية

٣ — بحر الشام أو البحر الشامى .

أما « البحر المتوسط » فهو اسم قديم بعكس « البحر الداخلى » الذى يلوح أنه اسم حديث . وبحر الإسكندرية أو بحر مصر يردان نادرا وهما يستعملان فقط عند الكلام على الجزء الجنوبى الشرقى .

ويسمى هذا البحر كثيرا باسم البحر الملح تمييزا له عن بحر النيل ذى الماء العذب ، ويطلق عليه أيضا البحر الأبيض (بالتركية آق دكز) والبحر الأخضر تمييزا له عن المحيط الأطلسى الذى يسمى بالبحر المحيط المغربى وبحر الظلمة أو الظلمات والبحر المظلم والبحر الأسود والبحر الأعظم أو الأكبر ومعناه المحيط . ولا شك أن الاسم الأخير يطلق كذلك على البحر الأبيض فى بعض الأحيان .

ويقول معظم جغرافيى العرب إن البحر الأبيض لا يبدأ بمضيق جبل طارق الذى يسمونه الزقاق وإنما يضم أيضا خليج فارس حتى الشمال الغربى والجنوب الشرقى لهذا المضيق ، ويمتد محاذيا ساحل مراكش إلى أن يصل إلى سلا ورباط . وهم يتخيلون أن مجمع البحرين غربى عمد هرقل وهناك يلتقى البحر الأبيض أو الأخضر بالبحر المظلم أو الأسود فينشأ عن ارتفاع مياههما وانخفاضها المد والجزر . ويسمى المحيط الأطلسى أيضا القاموس

وهذا اللفظ مأخوذ من الكلمة اليونانيـــة ςιηεανός .

ويقول العرب إن كتب الأخبار تزعم أن البحر الأبيض نشأ من غلبة مياه البحر المحيط على الأراضى المنخفضة التى أصبحت الآن بحراً . أو إن البحر الأبيض كان فى القديم بحراً داخلياً مقفلا ثم حدث أن فتق ملوك أسطوريين من ملوك مصر ، أو الإسكندر الأكبر ، البحر فنفذ الماء من مضيق جبل طارق (انظر قصة عمد هرقل). ومما يذكر فى هذا الشأن أن علم طبقات الأرض قد أثبت أن الأندلس كانت متصلة بمراكش فى وقت ما .

ويطلق على البحر الإدرياتى عادة اسم بحر أوجون البندقيـة أو البنادقة كما أطلق اسم بحر أو خليج القسطنطينية على بحر إيجة، وهذه التسمية تضم فى كثير من الأحيان بحر الأرخبيل وبحر مرمرة والبوسفور جميعاً . ويسمى البحر الأسود ببحر بنطس ، وهذا الاسم يرد محرفاً فى كثير من الأحيان فيقال « نيطس (ش) » ، كما يسمى أيضـــاً ببحر أطرابزندة وبحر الروس والبلغار أو بحر القرم ثم أطلق عليه فى العصور المتأخرة اسم البحر الأسود أسوة بالاسم التركى قره دكز والاسم الروسى [redacted] Ischerneje .

أما بحر أزوف فيقال له « مانيطس (ش) » ، أو مانيطس (ش) أو مايطس (ش) ، وهو يقابل Palus Maeotis المحرف عن الكلمة اليونانية Μαιωτις .

وقد أمدنا العرب بتقديرات مختلفة عن طول البحر الأبيض من الشرق إلى الغرب متبعين فى ذلك تقدير بطلميوس الذى غالى فيه كثيراً (أنظر مقدمة رينو Reinaud لكتاب أبى الفداء ، ص ٢٧٦) .

وكما سهل البحر الأبيض سبيل التجارة فى قديم الأزمان للفينيقيين والقرطاجنيين والإغريق، ومكن الإمبراطورية الرومانية فى أوربا من الاتصال بولاياتها فى إفريقية وآسية فإنه قد فصل فى منتصف القرن السابع بين الثقافة الإسلامية والحضارة المسيحية فى أوربا الوسطى وذلك بعد فتح العرب لشواطئ الشام وإفريقية الشمالية وغزوتهم القصيرة الأمد للأندلس والجزائر الهامة .

وطرد المسلمون من صقلية والأندلس إلا أنهم عوضوا ذلك بعد فشل الأوربيين فى الحروب الصليبية ، ففتح الأتراك شرقى أوربا وتوغلوا فى شبه جزيرة البلقان من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر . ثم إن الدول الإسلامية المشرفة على البحر الأبيض والتابعة للعثمانيين — فيما عدا مراكش — اضمحلت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الوجهتين السياســية والعسكرية فسادت الحضارة الأوربية المسيحية فيها وعلت كلمة الأوربيين بين ربوعها واحتلت انجلترا سيدة البحار مصر وأهم المحطات فى ذلك البحر

بينما احتلت فرنسا بلاد تونس وغزت الجزائر عام ١٨٣٠ ؟

المصـــادر

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ — ٥٠٥ (٢) مراصد الاطلاع ، جـ ٤ ، ص ٢٦٢ وما بعدها (٣) الإصطخرى ، المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ١ ، ص ٦٨ — ٧١ (٤) ابن حوقل ، المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ — ١٣٧ (٥) القزوينى : عجائب المخلوقات ، ص ١٢٣ — ١٢٧ (ابن الوردى : ١٣٠٩ هـ ، ص ١٠١ — ١٠٤ (٦) الدمشقى ، ترجمة مهرن ، ص ١٧٩—١٩٤ (٧) أبو الفداء ، طبعة رينو ، ص ٢٧ وما بعدها ، الترجمة ، جـ ١ ، ص ٣٢ — ٤١ (٨) الإدريسى ، ص ١٦٥ ، الترجمة ، ص ١٩٧ ، ص ٥٣ (٩) عبد الواحد المراكشى ، تاريخ الموحدين ، طبعة دوزى ، جـ ٤ .

[C. F. Seybold سيبولد]

« بحر الهند » هو الاسم الذى يطلقه العرب عادة على المحيط الهندى ، ويسمى أيضا بحر الزنج عند شاطئه الغربى ، ويطلقون اسم الجزء على الكل فيقولون «البحر الحبشى» كما يقصدون ببحر فارس المحيط بأسره .

ويقول ابن رسته إن شواطئ بحر الهند الشرقية تبدأ عند « تيزمكران » والغربية عند عدن ، أما أبو الفداء فيرى أن حده الشرقى هو بحر الصين والشمالى الهند والغربى اليمن أما الجنوبى فليس معروفاً .

ولأجزاء البحر المختلفة أسماء خاصـــة مأخوذة من أسماء البلاد والجزر المختلفـة . وإذا أغفلنا هنا ذراعيه الشماليين وهما بحر القلزم وبحر فارس فى معناهما الضيق ، وقد تكلمنا عنهما فى مقالين منفردين ، فإنا نجد أن جزءه المسمى بحر اليمن يمتد على طول الشاطئ الجنوبى لجزيرة العرب ويشمل جزائر كوريا موريا وسقطرا .

وعلى الشاطئ الإفريقى عند باب المندب نجد أولا أرض بربارا أى بلاد الصومال إلى ثغر مَنْكَه ثم نجد بلاد الزنج (انظر مادة «بحر الزنج ») وفيها مدينة براوة وملنده وممباسا وجزيرة زنزبار ، أو بعبارة أخرى إفريقية الشرقية الألمانية والبريطانية حتى جزيرة قنبلو (وهى من غير شك جزيرة مدغشقر) وتتصل سفالة بقنبلو ثم نجد أخيرا جزائر واق الواق على مسافة غير محققة . وإذا خرج الإنسان من بحر فارس عند تيز مكران فإنه يصل إلى شاطئ السند مع دال نهر الكنج ومدينـة الديْبَل التجارية ، وعلى شاطئ بحر لارَوَى مدينة كمبايا (Cambay) وسوباره وصيمون وصِنْدَابوره (جوه) ويفصل بحر لاروى هذا عن بحر هَرَكَنْد أرخبيل الديبجات وجزائر لكاديف وملاديف . وآخر ثغور شاطئ الملابار هى كولملى (Quilon) وأقصى جزائره جزيرة سرنديب (Ceylon) . ويظهر

أن الطريق إلى جزائر الهند الشرقية كان عبر بحر هركند وبحر شلاهيط إلى جزيرة الرّامني التي تحيط بها مياه بحر هركند وبحر شلاهيط ومن الواضح أن جزيرة الرامني (التي تسمى أيضا الرامي ، الرّمين = اللامري ، ومن ثم يسمى البحر هنا ببحر لامري) هي سومطرا ، أو شمالي سومطرا إذا شئنا الدقة ، في حين أن اسم بحر شلاهيط هو البحر الموجود جنوبي مالقة . وكان على الرحالة الذاهبين إلى الصين أن يبتعدوا ناحية الشمال لأنهم يمرون بجزائر لنقبالوس أو لنجبالوس أو جزائر نيقوبار وتوجد شماليها جزائر أندمان ، ومنها يذهب المسافر إلى كلاه بار (كده Kedah) في شبه جزيرة الملايو ومن ثم سمي بوغاز مالقه ببحر كلاه (كلاه بار) أما بحر شلاهيط فهو البحر المتصل به من ناحية الجنوب . وقد وصلنا الآن إلى بلاد مهاراج ووسطها أرض الزابج ، وكان هذا الاسم يدل في الاصل على وسط سومطرا وجنوبها ، وهنا يجب أن نبحث عن إقليم سربوزو أو بالنبانج الذي كان يشمل جزيرة جاوه (جابه) وكان مدلوله السياسي يشمل مجموعة من الجزائر الصغيرة وشاطئ مالقة . ويوجد بعد هذه الجزر بحر كردنج وخليج سيام الذي يمتد على شاطئ قمار (خمير = كمبجه) في بحر صنف ، كما نجد بحر أنّام والبحار المتصلة به عند الجنوب . وإذا تركنا جزيرة صندرفولات (تمي - نن؟) نصل إلى البحر الصنجي أي البحر الصيني حيث توجد خنفو (هنك — چو) وهي سوق عظيمة للتجارة مع الغرب . وكانت معلومات العرب عن سيلا (كوريا) وجزائر واق الواق (اليابان) مهوشة ومحدودة .

وكانت أقوال العرب عن بحر الهند في القرن العاشر تزداد غموضاً كلما اتجهت ناحية الشرق أو الجنوب كما أن تفاسير أقوالهم يشوبها الشك ، وقد رددوا أقوال سلفائهم اليونان في أحوال كثيرة . أضف إلى ذلك أنهم استغلوا أوصاف رحلاتهم ، والتفصيلات التي أخذوها من المصادر المختلفة لم يعنوا بترتيبها كي تبرز في صورة منسجمة . فهم يقولون تارة إن بحر الهند يؤدي إلى « بحر الظلمات » الذي تظل أمواجه تلعب بالملاحين الذين يضلون طريقهم إلى الأبد ، كما يعتقدون أحياناً أن بحر الهند يتصل بـ « البحر الاسود » شمالي آسية ويقولون أيضا إن شرق آسية وجنوبي إفريقية متصلان ويتبين ذلك من إطلاق اسم واق الواق على بلاد اليابان وكذلك على أرض في جنوبي إفريقية ، كما يطلق أحيانا على مدغشقر . ويؤيد الإدريسي هذا الرأي فهو يقول إن جزائر الزابج مقابلة لبلاد الزنج .

وكان رحالة العرب والفرس الذين استغلوا الرياح الموسمية يبدأون سفرهم من الخليج الفارسي وفيه سيراف وصحار وهما ثغران مهمان ، ويظهر أن بلاد الزنج كانت أهم مراكز التجارة يبحرون إليها حتى من جزائر الزابج ، وكان يستعمر مدغشقر أناس

من جزائر الملايو والزابج التي كانت على اتصال بالصين . وتوقفت تجارة المسلمين مع الصين عام ٢٦٤ هـ (٨٧٨م) تبعاً للانقلابات السياسية . ولم يزد مصنفو العرب شيئاً على المعلومات القديمة التي حفظوها لنا ، ولم تستعد التجارة نشاطها إلا بعد طويل وقت في عهد المغل كما يتضح ذلك من وصف ابن بطوطة لرحلته ؟

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، ج ١ ، ص٢٧ — ٣٦ ؛ ج ٢ ، ص٣٥ — ٤١ ؛ ج ٣ ، ص ١٠ — ١٩ ؛ ج ٤ ، ص ٧ ، ص ٩ — ١١ ج ٦ . النص ، ص٦٠ — ٧٢ ، الترجمة ، ص٤٠ — ٥٣ ؛ ج ٧ ، ص ٨٣ وما بعدها ، ص ٨٨ ومابعدها ؛ ج ٨ ، ص٥١—٥٦ (٢) اليعقوبي : طبعة هوتسما ، ج ١ ، ص٢٠٧ وما بعدها (٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، الفصل العاشر والسادس عشر (٤) بزرك بن شهريار : عجائب الهند ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣ — ١٨٨٦ م (٥) Reinaud : *Relation des voyages faits par les Arabes et les Persans dans l'Inde et a la Chine* ، باريس ، ١٨٤٥ (٦) الإدريسي : ترجمة جوبير ، ج١ ، ص٤٤—١٠٣ (٧) القزويني ، طبعة فستنفلد ، ص١٠٦—١٢٣ (٨) Reinaud: *Introduction to Abu-l-Fida* *Geography CCCdXVIII CdXLV* (■) Sprenger : *Post und Reiserouten* عام ١٨٦٤ ، ص ٧٩ — ٩١ (١٠) G. Ferrand في المجلة الآسيوية ، ج ١٠ ، المجموعة ١٠ ، عام ١٩٠٧ ص ٤٣٣ — ٥٦٦ ؛ ج ١٥ ، ١٩١٠ ، ص ٢٨١ — ٣٣٠

[R. Hartmann هارتمان]

« بحرى » هو الاسم الذى أطلق على المماليك الذين اشتراهم السلطان الصالح أيوب (انظر هذه المادة) وأسكنهم الروضة وهى جزيرة على النيل (البحر) . وقد تزوجت شجرة الدر بعد وفاة زوجها الصالح أيوب من المملوك أيبك الذى استطاع أن يرقى إلى العرش عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ، فكان بذلك أول سلاطين المماليك البحرية . وكان لإسرة السلطان قلاوون المكانة الأولى فى دولة المماليك البحرية لأنها حكمت — مع استثناء فترات قصيرة — من عام ٦٧٨ إلى عام ٧٨٤ هـ (١٢٧٩ إلى ١٣٨٢م) حتى تغلب عليهم السلطان برقوق أول المماليك البرجية ؟

[M. Sobernheim سوبرنهيم]

« البحرين » مجموعة من الجزر بالقرب من الشاطئ الغربى للخليج الفارسى على خط عرض ٢٦° شمالا وأكبرها جزيرة البحرين ويطلق عليها اسم أوال أو سمك ويبلغ طول هذه الجزيرة حوالى ثلاثين ميلا وعرضها اثنى عشر ميلا . وأعظم مدنها وثغورها منامة . أما الجزر التى تصغرها فهى : محرّك [المحرقة؟] وأرَد وستره [الستار ؟] والنبى صالح وصاية

وخصيفة . وتشهر هذه الجزر باستخراج اللؤلؤ وهى صناعة أهلها منذ أقدم العصور. ويعطينا الجغرافى العربى الإدريسى وصفاً دقيقاً لعملية استخراجه .

ويظهر أن اسم البحرين مشتق من شبه الجزيرة التى تمتد من الحسا وتقسم البحر شطرين . وقد سكنها الناس منذ بداية التاريخ لوجود مصائد اللؤلؤ فيها ويقال إن سرجون الأكبرغزاها . واسم تلوون الذى يطلق على إحدى الجزر يرجع إلى العصر الأشورى وهو يقابل اسم تيلوس الذى ذكره تيوفراستوس وبليناس . وذكر أولها اسم أرد ورسمه أردس Aradus وكانت البحرين تابعة للخلافة الإسلامية فى القرون الوسطى . وكان للبرتغال محلة فيها من عام ١٥٠٧ إلى ١٦٢٢ م ثم أرغموا على تركها عند ما ضاعت منهم هرمز . وحكمها الفرس من عام ١٧٣٥ إلى ١٧٨٤ م ثم تمتعت بشىء من الاستقلال وكان يحكمها أمراء من أهلها ولكنها دخلت فى حماية بريطانيا منذ عام ١٨٠١ م . والمندوب البريطانى الذى تعينه حكومة الهند هو الحاكم الفعلى لهذه الجزر أما شيخها فحكمه اسمى .

وعلاوة على مصائد اللؤلؤ تحصل الجزائر على إيراد لا بأس به من أحراش النخيل الجميلة التى تغطى الأراضى الحسنة الرى . أما سكان هذه الجزر فيتكلمون العربية ويفهمون الفارسية وهم من جنس مختلط . ونظراً لموقع هذه الجزر المنعزل فإن أهلها قد احتفظوا بعاداتهم القديمة مثال ذلك أنهم لا يزالون يصيدون بوساطة الصقور على النمط الذى كان مألوفاً فى العصور الوسطى .

ويوجد فى أكبر هذه الجزر عدد كبير من القبور الحجرية المتقنة البناء وهى الآن خالية ومقسمة إلى مجموعات كبيرة وصغيرة وأكبرها فى قرية أبى على التى تبعد حوالى ستة أميال عن ثغر الجزيرة ، ولم يلتفت علماء الآثار إلى هذه القبور إلا مؤخراً . وقد فتح معظمها المندوب الإنجليزى المستربريدكس ، وظهر من البحوث التى أجريت عنها إلى الآن أنها مبنية على طراز واحد فمدخلها يواجه الغرب والبناء من طبقتين من صخور مكعبة عنى بنحتها . والطبقة السفلى أكثر ارتفاعاً من العليا . وتوجد على جانبى دهليز يؤدى إلى الشرق حنيات كانت معدة لتوابيت حجرية يرص الواحد منها فوق الآخر وإلى جانب هذه الحنيات فجوات صغيرة من الواضح أن قضباناً خشبية كان من الممكن وضعها فيها كى تعلق عليها القرابين والنذور .

ولم يعثر للأسف فى تلك البقعة على شىء يستدل منه على الأصل التاريخى لهذه القبور . ووجدت هناك عظام بشرية وحيوانية منها جمجمتان قطرهما من الأمام إلى الخلف أطول من قطرهما الجانبى بشكل واضح ، وعدد كبير من عظام اليربوع ويظهر أنها تسللت كما هى عادتها إلى المقابر كى تموت فيها . كما عثر أيضاً على جزء صغير من تمثال ثور

عاجي وأسورة من الذهب وكية كبيرة من الأوانى الفخارية بعضها صحيح وبعضها مهشم وهى مزينة بخطوط سوداء على طريقة خاصة بها . وهذا كله لا يمكن أن يتخذ أساساً لحكم نطمئن إليه من الوجهة الأثرية . ولم يكشف بعد عن شيء من الكتابات .

والنمط الذى بنيت عليه هذه المقابر يتفق إلى حد عجيب مع ما خلفه الفينيقيون ، وقد لاحظ هذا سترابو Strabo الذى قال إن مقابر البحرين مشابهة لمقابر الفينيقيين ، (المجلد ١٦ ، ص ٣) . ويقول هيرودوت فى بداية تاريخــــه إن الفينيقيين جاءوا من الخليج الفارسى . ومما يساعد على هذا الظن أن أسماء الجزر أرد Aradus وتيلس Tylus وتيرس Tyrus تشير إلى هذا الاتجاه وأسماها السـائح الإنجليزى تيودور بنت الذى كان أول من لفت النظر إليها باسم المقابر الفينيقيـة معتمـداً على الحقـائق السابقة دون سواها . وعارض بعض الباحثين هذا الفرض وقالوا إن المقابر يعود تاريخها إلى زمن متأخر عن ذلك الزمن ، وإن البحرين كانت بمثابة المدفن لسكان الشاطئ المقابل بين لنجا وبوشهر . وهذا لا ينهض إلى جانب ما أورده سترابو وهيرودوت . ومن المحتمل أن تستعمل الأجيال المتأخرة هذه القبور . وليس من السهل إنكار أن الحضارة التى ظهرت أثناءها كانت وثيقة الصلة بالحضارة الفينيقية . ولكنا لن نصل إلى الرأى القاطع فى هذه المسـألة إلا بدراسة منظمة لعدد أكبر من القبور التى فتحت إلى الآن ؟

المصـــــادر

(١) Sprenger : *Die alte geographie Arabiens* ، ص ١١٧ وما بعـــــدها (٢) Wüstenfeld : *Bahrein und Femama Nach arabischen geographen beschrieben* (*Collection of Notices by Arab. Writers*) جوتنجن ١٨٧٤) (٣) Palgrave : مجلة الجمعيـة الجغرافية الملكية ، ج ٢٩ (٤) Theodare Bent فى أبحاث الجمعية الجغرافية الملكية ، المجموعة الجديدة ، ج ١٢ .

[أويسترب J. Oestrup]

« البحرين » : الاسم العربى القديم لإقليم فى جزيرة العرب على الشاطئ الغربى للخليج الفارسى أمام جزائر البحرين . وهذا الإقليم يعرف اليوم باسم الحسا (انظر هذا الاسم) ؟

« البحرية » : مجموعة من الواحات فى صحراء ليبيـة . وهى أقرب مجموعات الواحات المصرية الثلاثة الموجودة فى صحراء ليبية إلى الشمال ، وفى قبالة الواحات البحرية التى يطلق عليها كذلك اسم الواحة البحرية توجد الواحات القبليـة أو الداخلة (انظر

هذه المادة وكذلك مادة «خارجة») . ويوجد بين هاتين المجموعتين من الواحات واحة الفرافرة الصغيرة التي يجعلهـــا بعضهم من الواحات الداخلة . ويسمى البكرى واليعقوبى هذه الواحة باسم الفرفرون . وهم يقسمون أيضا الواحات الثلاث الكبرى إلى : واح أولى وواح وسطى وواح قصـــوى . والواح الأولى هي البحرية التي تسمى كذلك الواح الصـــغرى ، وتسمى في بعض الأحيان باسم البهنسية لأنهم كانوا يصلون اليها بادئ الأمر من البهنسا . وقد فرق البكرى (كتاب المغرب ، ص١٤) بين بهنسا الصعيد وبهنسا الواحات . ويرسل البريد اليوم ثلاث مرات[١] في الشهر من مغاغة إلى الواحة البحرية وجاء في قاموس بوانيه بك (Boinet Bey : Dictionnaire Geographique) أن الواحة البحرية مركز من مراكز مديرية المنيا ، وهى تشمل أربع نواحى ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٦٠٠٠ نسمة . وعاصمة هذه الواحة بلدة الباويط وعدد سكانهـا ١٧١٤ نسمة ومن بلدانها : القصر وعدد سكانها ١٧١٢ نسمة ومنديشـة وعدد سكانها ١٦٨٣ نسـمة ويصل هذا العدد إلى ١٧٩٨ إذا أحصـــينا سكان بلدة العجوز الملحقة بها ، والذبو وعدد سكانها ٨٥٨ نسمة . وتشتهر الواحات البحرية بخصـــوبتها الوافرة كغيرها من الواحات الأخرى . وكان لبلحها وعنبها شهرة كبيرة في العصور الوسطى . ويزرع فيها كذلك الحبوب والأرز وقصب السكر وخاصة النيلة . ويوجد بها معدن الشبه وسلفات الحديد ولكن ليس هذا مقصورا على الواحات البحرية وحدها لأن معلوماتنا في هـــذا الموضوع تجعلنا نقول بوجود هذه المعادن في أكثر الواحات . وترجع خصوبة الواحات إلى الينابيع السـاخنة والعناصر المختلفة الموجودة في مياهها .

وليس لدينا إلا معلومات قليلة عن تاريخ الواحات البحرية . ففي عام ٣٣٢ هـ (٩٤٣-٩٤٤ م) كانت الواحات تحت سلطان أمير من البربر هو عبد الملك بن مروان وكانت مستقلة بذاتها ، أما في عهد الفاطميين فكان يحكمها وال مصرى هو أبو صالح . وفى زمن المقريزى والقلقشندى أى في عهد المماليك كان يدير شؤونها مباشرة الملتزمون لا الحكومة . وكانت الواحات في جميع الأزمان عرضة لغزوات البدو من العرب والبربر فالواحات الجنوبية (وربما كانت البحرية كذلك) كانت في ظروف مختلفة الهدف الذى يوجه إليه ملوك النوبة حملاتهم . ولم تضم هذه الواحات إلى الحكومة المصرية إلا في عهد متأخر . وقد زارها شـــوينفورث Schweinfurth عام ١٨٧٠م ، وكثيرا مازارها بعد ذلك الرحالة الأوربيون .

ويقال إنه كان لهذه الواحات شأن

(١) يرسل البريد الآن من القاهرة اسبوعيا بالسيارات

اللجنة

كبير فى الزمن السالف . ويظهر أن الرمال طغت عليها بعد ذلك فاضمحل شأنها وذلك لأننا نجد الروايات والأساطير تتحدث عن آثارها وازدهارها فى الزمن القديم ، ويظهر أن الكنيسة القبطية كان لها شأن يذكر فى تلك الواحات حتى عهد متأخر ، فهم يتحدثون عن المواكب الرسمية التى كانوا يضعون فيها جثة أحد القديسين فى تابوت يجره زوج من الثيران فى شوارع هذه الواحات . وربما كان ذلك القديس هو القديس بارثلى .St Barthélemy أو القديس جرجس أو الاثنان معاً .

المصـــادر

(١) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة ده سلان ، ص ١٤ — ١٥ (٢) الإدريسى ، طبعة دوزى وده غوى ، ص٤٤ (٣) أبو صالح ، طبعة *Evetts* ، ورقةرقم٩٣ ، ٧٥ (٤) المقريزى: الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ (٥) القلقشندى ، ترجمة فستنفلد ، ص ١٠٢ (٦) ابن دقاق ، جـ ٥ ، ص ١١—١٢ (٧) على مبارك: (٨) الخطط الجديدة ، جـ ١٧ ، ص ٢٩ — ٣٠ Baedeker : *L' Egypte* ، ص ٢٩٠ (٩) Schweinfurth : *Prof. Dr. Aschersons Rise nach der Kleinen Oase (Peteremanns Geogr. Mitteil.,* جـ ٢٢ ، ص ٢٦٤

[بكر C. H. Becker]

« البحوث » اسم من أسماء السورة التاسعة فى القرآن .

« بحيرا » : اسم راهب نصرانى : يذكرون أن النبى محمداً عند ما بلغ الثانية عشرة من عمره خرج إلى الشام مع عمه أبى طالب فى قافلة له . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام أو ما جاور تلك المدينة لاحظ راهب كان يقطن تلك الجهة فى صومعة له أن أحد أفراد ذلك الركب كانت تظلله غمامة وأن الشجرة التى جلس تحتها قد تهصرت أغصانها حتى أظلته . وقد صنع الراهب بحيرا لهذا الركب طعاماً ودعاهم إليه ، فاجتمعوا إليه إلا محمداً إذ تركوه لحراسة القافلة . ولما نظر بحيرا فى القوم لم ير بينهم صفة الشخص الذى وصفته كتبه أنه آخر الأنبياء ، فسألهم عما إذا كان قد تخلف أحد منهم ، فلما أخبروه الخبر أصر على أن يحضر هذا الغلام إلى طعامه . ولما جاء الغلام ودخل إلى القوم أخذ بحيرا يلحظه لحظاً شديداً ثم سأله بحق اللات والعزى أن يخبره عما يسأل عنه ، ولكن محمداً أظهر بغضه للآلهة الوثنية ثم أجاب الراهب عما سأله عنه فتأكد هذا أنه هو النبى الموعود ونصح عمه أبا طالب أن يحذر عليه من اليهود.

تلك هى القصة التى يرويها ابن هشام (ص١١٥ وما بعدها) . ويذكر بعض المؤلفين الآخرين أن أبا بكر كان حاضراً ذلك الحادث وكان حتى فى ذلك الوقت نفسه على استعداد للاشتراك فى الحوادث المقبلة[1]. ويذكر

(١) حضور أبى بكر تلك الحادثة لم يثبت ، بل استغربه علماء الحديث ، ورأوا أن ذكره خطأ من

المسعودى (طبعة Barbier de Meynard ، ج ١ ، ص ١٤٦) أن هذا الراهب كان يدعى جرجس(١) وأنه من عبد القيس . أما الحلبى (ج ١ ، ص ١٥٧) فيذكر أنه كان يسمى جرجيس أو سرجيوس .

ويذكرون إلى جانب هذه القصة قصة أخرى لمقابلة أخرى شبيهة بالأولى حدثت بعدها بنحو اثنى عشرة سنة . فهم يذكرون أن محمداً خرج فى رحلة إلى الشام فى مال لخديجة وبرفقته غلام له يقال له ميسرة . وهناك فى بصرى قابل راهباً آخر يسمى نسطور عرف فى محمد علامات خاصة تدل على أنه هو النبي الجديد . ويذكرون كذلك أن بعض أهل الروم حضروا إحدى هذه المقابلات وكان غرضهم البحث عن النبي الجديد .

ولا نجد فى أقدم المصادر عن النبي (ابن هشام ، ص ١١٩—١٢٠) اسم هذا الراهب . أما فى المصادر النصرانية والإسلامية المتأخرة فإن هذا الراهب يدعى سرجيوس أما اسم بحيرا وهو مشتق من الكلمة الآرامية بحيرا ومعناها المنتخب فهو لقب له .

وليس لدينا ما نقوله إلا القليل من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير لأن المعلومات تنقصنا فى هذا الموضوع . وهذه القصص قسم خاص من مجموعة الأساطير التى أحاطت بسيرة النبى محمد ، ولها نظائر كثيرة من نفس النوع وكلها ترمى إلى أن « أهل الكتاب » عرفوا من كتبهم من قبل بعثة النبى محمد(١) (انظر Wensinck : *Mohammed en de Foden te medina* ، ص ٥٤—٦٠) .

وشخصية بحيرا مذكورة باسم سرجيوس منذ عهد متقدم فى المؤلفات البوزنطية بشكل يجعلها متفقة مع التراجم الإسلامية المختلفة (انظر Sprenger : *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad* ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ وما بعدها) .

الراوى . قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة (ج ١ ص ١٨٣) : « قد وردت هذه القصة بإسناد رجال ثقات ، من حديث أبى موسى الأشعرى ، أخرجها الترمذى وغيره ، ولم يسم فيها الراهب ، وزاد فيها لفظة منكرة ، وهى قوله : وأتبعه أبو بكر بلالا ، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلا ، ولا اشترى يومئذ بلالا ، إلا أن يحمل على أن هذه الجملة مقتطعة من حديث آخر وأدرجت فى هذا الحديث . وفى الجملة هى وهم من أحد رواته » . وكذلك ضعفها الحافظ ابن كثير فى تاريخه (البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٥) .

(١) كذا فى نسخة المسعودى المطبوعة ببولاق (ج ١ ص ٣٥) وفى جميع الكتب التى نقلت ذلك عن المسعودى سمى باسم « جرجيس » بزيادة ياء بعد الجيم الثانية .

أحمد محمد شاكر

(١) ليست هذه القصص بالأساطير ، بل كثير منها ثابت بأسانيد صحيحة ، وعلم أهل الكتاب بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ثابت عند المسلمين بنص القرآن الصريح ، وليسوا فى حاجة إلى افتعال أساطير يؤيدون بها ما أثبته الوحي المنزل من عند الله ، وهو ثابت أيضا عند المسلمين فيما قرؤه من كتب أهل الكتاب مما بقى فى أيديهم من الصحيح من أقوال أنبيائهم المنقولة فى كتبهم .

أحمد محمد شاكر

فنجد مثلا أن تيوفانس Theophanes (طبعة كلاسن Classen، ج١، ص١٢ه) وجرجيوس فرانتز Georgius Phrantzes (طبعة بكر Bekker، ص ٢٩٥—٢٩٦) يذكران أنه بعد ظهور جبريل لأول مرة وإصابة النبي بالغشيان ملئت خديجة فزعاً فلجأت إلى راهب ملحد منبوذ يدعى سرجيوس فطمأنها وأكد لها أن الملك جبريل يرسل لجميع الأنبياء[١].

أما الروايات الإسلامية الخاصة ببحيرا فقد تطورت تطوراً عجيباً وجمعت كلها بالتفصيل في سفر بحيرا وهو كتاب مسيحي من المحتمل أن يكون قد وضع في شكله الحالي في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر. وقد حفظ لنا هذا الكتاب مترجماً إلى اللغتين السريانية والعربية في نسخ متعددة (انظر *A Christian Bahira legend* : Gottheil في *Zeitschr. f. Assyriologie*، ج١٣ وما بعده) وهذا المصنف الذي ألفه شخص يدعى إشوعيب ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: الأول وفيه القصص التي تتحدث عن القبائل العربية التي شاهدها سرجيوس بحيرا في جبل سينا. والثاني عبارة عن أحاديث سرجيوس مع الشاب محمد في صحراء يثرب. والثالث عبارة عن تنبؤات سرجيوس وهي إلى حد ما ترديد لما ورد في الجزء الأول. وقد ورد في الجزء الثاني كيف لقن سرجيوس محمداً عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن وذلك بقصد أن يجعل العرب يعترفون بإله واحد. ومن الواضح أن هذا الجزء من الكتاب يراد به إظهار محمد أنه نبي كاذب تلقى وحيه من راهب ملحد.

وقد ورد كذلك ذكر سرجيوس في مؤلفات العصور الوسطى؟

(١) الزعم بأن قصة خديجة كانت مع من يدعى سرجيوس خطأ، ومخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة: فقد روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم قصة تعبد النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء ومجيء الملك إليه بالوحي أول مرة ونزول قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم) وفيها: «فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة — وأخبرها الخبر —: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية» إلى آخر الحديث، وهو مشهور معروف في أول صحيح البخاري. فهذا صريح في أنها ذهبت به إلى ابن عمها العربي النسب، ولم تذهب إلى رجل أعجمي يدعى «سرجيوس». أحمد محمد شاكر

المصـــــادر

(١) ابن هشام، طبعة فستنفلد، ص ١١٥ وما بعدها، ١١٩—١٢٠ (٢) ابن سعد، طبعة متفوخ Mittwoch، ص ٧٦، ٨٢ وما بعدها (٣) الطبري، طبعة ده غوى، ج ١، ص١١٢٣ وما بعدها (٤) السيرة الحلبية، طبعة القاهرة

عام ١٢٩٢ هـ، جـ ١، ص ١٥٦ وما بعدها، ١٧٧ ومابعدها (٥) الترمذى، طبعة القاهرة ١٢٩٢ هـ، جـ ٢، ص ٢٨٣ (٦) تأريخ الخميس، طبعة القاهرة عام ١٢٨٣ هـ، جـ ١، ص ٢٥٧—٢٥٨، ٢٦٢ — ٢٦٣ (٧) الفهرست، طبعة فلوجل، ص ٢٢ (٨) Noldeke فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch*، جـ ١٢، ص ٦٩٩ ومابعدها (٩) Sprenger فى *Zeitschr. d. Deutsch. morgenl. Gesellsch*، جـ ١٢، ص ٢٣٨ وما بعدها، جـ ٣، ص ٤٥٤، جـ ٤، ص ١٨٨ — ١٨٩، جـ ٦، ص ٤٥٧ — ٤٥٨، جـ ٧، ص ٤١٣ وما بعدها، ص ٥٨٠، جـ ٨، ص ٥٥٧ وما بعدها، جـ ٩، ص ٧٧٩ — ٧٨٠، جـ ١٠، ص ٨٠٧ (١٠) Sprenger: *Leben und Lehre des Mohammad*، جـ ١، ص ١٧٨ وما بعدها (١١) ابن حجر: الإصابة، جـ ١، ص ٣٥٧ وما بعدها (١٢) D'Ancona: *La leggenda [illegible] Maometto in ocidente, Giornale storico della letteratura italiana*، عام ١٨٨٩، جـ ١٣ (١٣) Carra de Vaux: *La légende de Bahira*، باريس.

[A. J. Wensinck فنسنك]

« بَحِيرة » هى الناقة أو الشـاة (١) المبحورة الأذن. ويبين لنا القرآن والشعر القديم (انظر ابن هشام، ص ٥٨) أن العرب فى الجاهلية كانت لهم بعض شعائر دينية خاصة بأنعامهم. ومن هذه الشعائر إخلاؤهم سبيل الحيوان فلا يفيدون منه فائدة ما، وتجويز كل لحمه ميتا للذكور دون الإناث. ويطلق عليه فى الحالات المختلفة أسماء خاصة هى: بحيرة وسائبة ووصيلة وحامى (انظر مؤلف فلهوزن المذكور فى المصادر). وقد اختلف علماء اللغة فى الأحوال التى تبحر فيها أذن الناقة أو الشاة. فيقول بعضهم إن ذلك يكون إذا نتجت عشرة أبطن ويقول آخرون إذا نتجت خمسة بطون آخرها أنثى الخ.

ولما جاء النبى أبطل هذه العادات ووصمها بالكذب والافتراء. وجاء فى القرآن، سورة المائدة آية ١٠٢ «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون». وجاء فى سورة الأنعام الآيتين ١٣٨، ١٣٩ «وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ■ وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم».

المصادر

(١) تفاسير الآيات السالفة من القرآن
(٢) لسان العرب، جـ ٥، ص ١٠٥ وما بعدها
(٣) Freitag: *Einleitung i. d. Studium*

(١) أى اشتقاق

d. arab. Sprache ، ص ٢٣٨ ومابعدها (٤) *Reste arab. Heidentums* : Wellhausen ص ١١٢ وما بعدها (٥) Rasm[redacted] : *Additamenta* ، ص ٦٦ من الأصل العربي وص ٦٠ من الترجمة.

[فنسنك A. T. Wensinck]

« البحيرة » اسم المديرية الشمالية الغربية بمصر، وهي تضم جميع الأراضي غربي فرع رشيد. وحدها الشمالي البحر والجنوبي التلال عند الجزء الجنوبي لوادي النطرون الذي يفصلها عن مديرية الجيزة عند خط عرض ٢٥ َ ٣٠ °. وكان عدد(١) سكان مديرية البحيرة عام ١٨٩٩ : ٦٣١٢٢٥ نسمة. ومراكزها سبعة هي: أبوحمص وشبراخيت ودمنهور وكفر الدوار والنجيلة ورشيد واتياي البارود. وهذه المراكز تشمل ٣٦٥ بلدا وقرية و ٢٥٨٢ ناحية. ولا تضم هذه المديرية مدينة الإسكندرية التي لها إدارة خاصة بها.

ويرجع إنشاء البحيرة إلى عهد الخليفة المستنصر الفاطمي الذي قسم القطر المصري إلى أعمال. وهي تقابل بصفة عامة الحوف الغربي القديم الذي كان مقسما إلى إحدى عشرة كورة وقد أطلق على واحدة منها اسم البحيرة في رواية القضاعي. ويظن القلقشندي أن هذا الاسم يشير إلى بحر أبوقير. وهذا الفرض صحيح فيما إذا كان اسم البحيرة نسبة إلى واحدة من البحيرات الكبيرة في الشمال التي تجف في بعض المواسم، وأطلق على المديرية بأسرها. وربما كان اسم البحيرة تصغير لبحرة التي هي فيما يقول لين Lane عبارة عن بقعة فسيحة من الأرض المنخفضة. وكانت البحيرة مدة من الزمن في العصور الوسطى أكثر اتساعا مما هي عليه الآن لأنها كانت تضم مركز فوه الذي هو تابع الوقت الحاضر لمديرية الغربية. ودمنهور هي حاضرة المديرية منذ التقسيم الذي قام به المستنصر.

ويروى ابن الجيعان أن الضرائب التي كانت تجبى من المديرية بلغت ⅔ ٧٤١٢٩٤ دينارا وأنه كان بها ٢٢٢ ناحية.

المصادر

(١) W. Willcocks : *Egyptian Irrigation* ، الطبعة الثانية، ج ٢٢١ وما بعدها (٢) Boinet Bey : *Diction. Géographique de l'Egypte* ، مادة بحيرة (٣) القلقشندي: ضوء الصبح، ص ٢٣٩ (٤) نفس الكتاب، ترجمة فستنفلد، ص ٩٩، ١١١ (٥) ابن دقماق ج ٥، ص١٠١ (٦) ابن الجيعان: التحفة السنية، ص٤ (٧) المقريزي: الخطط، [redacted]، ص٧٢ ومابعدها، ١٦٩ (٨) ياقوت، ج ١، ص٥١٤

[بكر Ch. Becker]

« البحيرة المنتنة » انظر «بحر لوط»

(١) في تعداد سنة ١٩٢٧ كان عدد سكان البحيرة ٩٧٦٩٦٥ نسمة ومراكزها هي أبوحمص واتياي البارود والدلنجات ودمنهور ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حمادة.
اللجنة

«بخارى»: مدينة كبيرة فى التركستان على المجرى الأسفل لنهر زرافشان. وليس لدينا عن تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام إلا معلومات قليلة جدا. على أنه مما لا شك فيه أنه كان للإيرانيين منذ عصر قديم جدا مبانى بل ومدن على نهر زرافشان؛ ففى أيام الإسكندر المقدونى كان فى بلاد الصغد إلى جانب مدينة مركندة أو سمرقند مدينة ثانية على المجرى الأسفل للنهر، ولكن ليس من المؤكد أن تلك المدينة هى مدينة بخارى الحالية. وروايات أهل تلك البلاد التى رويت فى القرون الأولى للهجرة كانت تذهب إلى أنه كان فى الإقليم نفسه بعض بلاد أخرى أقدم من مدينة بخارى؛ من تلك البلاد قرية راميثان أو رياميثان أو أرياميثان وتسمى اليوم جارشنبه راميتان Charshambe-i Ramitan ويعتبرها المقدسى بخارى القديمة (طبعة ده غوى، ص ٢٨٢).

ومهما يكن من شىء فإن مدينة أنشئت قبل الإسلام بقرون عدة فى الموضع الذى توجد فيه بخارى الحالية؛ وهذه المدينة أسماها الصينيون منذ القرن الخامس قبل الميلاد باسم «نوى»، وهو اسم يقابل الاسم القديم «نومجكات»[1] الذى كان معروفا أيضا فى العهد الإسلامى. ويظهر أن اسم بخارى وهو بالصينية «پوهو» عرفه لأول مرة الحاج الصينى «هوان چوانج» فى سنة ٦٣٠ ويمكن أن يكون الأمر كما قيل، وهو أن اسم بخارى هو «بخر»، وهى صيغة تركية مغلية للكلمة السنسكريتية «فهاره» ومعناها صومعة أو دير. وقد ذكر الجوينى هذا المعنى فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) (انظر نص كلامه فى Schefer: *Chrestomathie persane*، ج ٢، ص ٢٢٢)، وعلى أية حال كان للبوذيين معبد فى بخارى أو على مقربة منها فى بلخ وسمرقند.

والمعلومات التى سنذكرها فيما بعد عن تخطيط بخارى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تسمح لنا أيضا بأن نعين على وجه التقريب موضع ذلك المعبد.

أما الأسرة الوطنية (وربما كانت تركية) التى كانت تحكم بخارى وهى أسرة «بخار خدات» (أو بخارا خداه ومعناها أمراء بخارى) تلك الأسرة التى كانت موجودة عند الفتح العربى فإنا لا نعرف عنها إلا ما جاء فى المصادر الصينية: من أن أميرا من أمرائها ادعى فى سنة ٦٢٧م أن أسلافه حكموا البلاد منذ ٢٢ جيلا. وكل الذى نعرفه غير ذلك عن أسرة «بخار خدات» هو الذى رواه الكتاب فى العهد الإسلامى. وإلى جانب ما نجده مذكورا عن بخارى فى كتب التاريخ العام أو فى الكتابات الخاصة بالفتوح فإن هناك تاريخا خاصا لتلك المدينة ألفه فى سنة (٣٣٢هـ = ٩٤٣ — ٩٤٤م) محمد النرشخى ولكنه بقى لنا فقط فى نقول متأخرة. وهذا الكتاب يشتمل على عدد من المعلومات

(١) فى معجم البلدان بومجكث

القيمة، وبخاصة ما كان منها متعلقاً بالتخطيط التاريخي لتلك المدينة. أما ما رواه النرشخي عن تاريخ بخارى قبل الإسلام فمن الواضح أنه لا يعتمد على أية رواية محققة: فمثلا هناك كثير من الشك في أن النرشخي كان له ما يؤيد دعواه التي ذهب فيها إلى أن أول أمير لبخارى «بخار خدات» ضرب السكة في تلك المدينة كان معاصراً للخليفة أبي بكر (١١ — ١٣ هـ = ٦٣٢ — ٦٣٤م).

والمعلومات التي وصلت إلينا عن الفتوح العربية الأولى فيما وراء النهر يشوب بعضها الأساطير وهي في حاجة إلى التمحيص والتحقيق. ظهر الجيش العربي الأول أمام بخارى سنة ٥٤ للهجرة (٦٧٤م) وكان تحت إمرة عبيد الله بن زياد. وكان على عرش بخارى في ذلك الوقت امرأة هي أرملة الأمير المتوفى وتسمى في أغلب المصادر باسم واحد — هو «خاتون» (ومعناه بالتركية امرأة، أما الطبري، جـ ٢، ص ١٦٩ فيذكر مكانها قبج خاتون لا باعتبارها أرملة أمير بخارى ولكن بوصفها زوجة الأمير التركي الحاكم).

أما النرشخي فيقول (طبعة شيفر، ص ٧) إنها حكمت ١٥ عاماً بدلا ابنها القاصر «تغشاده» ويسميه الطبري «طوق سياده» (جـ ٢، ص ٣٩٩٣)؛ ومع هذا فإنا نجد نفس هذا الأمير يذكره الطبري عند كلامه عن حوادث سنة ٩١ الهجرة (٧١٠م) على أنه كان في سن الشباب عند ما جعله قتيبة بن مسلم أميراً لبخارى بعد أن أجلى عنها أعداءه. وقتيبة هو الذي وطد أقدام المسلمين لأول مرة في بخارى. واعتنق تغشاده نفسه الإسلام في الظاهر على الأقل، وحكم ثلاثين سنة أخرى. وفي رمضان من سنة ١٢١ للهجرة (١١ من أغسطس — ٩ من سبتمبر سنة ٧٣٩م) اغتاله أميران في معسكر الحاكم نصر بن سيار في سمرقند. وحدثت خلال حكمه الطويل عدة ثورات ضد السيادة العربية كما هاجم الترك البلاد عدة مرات. وفي سنة ١١٠ للهجرة (٧٢٨ — ٧٢٩م) ضاعت المدينة من يد العرب ثم حاصروها بعد ذلك وفتحوها في السنين التالية (الطبري، جـ ٢، ص ١٥١٤، ١٥٢٩). وليس من المعروف كيف كان مسلك تغشاده خلال هذه الحروب.

وكان ابنه وخليفته قد سمي قتيبة تكريماً للفاتح العربي. وسلك في أول الأمر مسلك المسلم الصالح واستحق الثناء من بيت الرسول، وذلك أنه في سنة ١٣٣ للهجرة (٧٥٠—٧٥١م) أشعل العربي شريك بن شيخ الفتنة في بخارى ضد أسرة الخلافة الجديدة، تلك الفتنة التي قضى عليها زياد بن صالح الذي أوفده أبو مسلم، وأعانه في ذلك قتيبة أمير بخارى. على أنه بالرغم من هذا فإن هذا الأمير اعتبر فيما بعد مسئولا عن انحلال الإسلام في تلك البلاد، وقتل بأمر أبي مسلم. ولقي أخوه وخليفته «بنيات» (وهناك شك في

بسم هذا الاسم) المصور نفسه فى خلافة المهدى ١٥٩ — ١٦٩ ﻫ (٧٧٥ — ٧٨٥ م) فإنه قتل بأمر المهدى لاعتباره شريكا للمقنع الزنديق.

ومنذ ذلك الوقت لم يظهر لأمراء بخارى شأن باعتبارهم أمراء تلك البلاد، ولكنهم ظلوا يحتفظون بنفوذ قوى باعتبارهم من أصحاب الأملاك. وفى السنوات الأولى من حكم إسماعيل السامانى خلال حياة أخيه نصر كان أمير بخارى يسمى أبا إسحاق إبراهيم. واستولى إسماعيل على أملاكه ولكنه أجرى عليه من خزانة الدولة مبلغاً يعادل ما كانت تدره عليه أملاكه (٢٠,٠٠٠ درهم)، ولسنا نعرف إلى متى استمر قيام الحكومة بهذا الالتزام نحو «بخار خدات» أو أبنائه.

وإلى جانب أمير بخارى من أسرة «بخار خدات» كان فى بخارى منذ السنوات الأولى للفتح العربى أو منذ عهد قتيبة بن مسلم على الأقل عامل عربى تابع لأمير خراسان الذى كان يقيم فى مرو. وكانت بخارى بسبب موقعها الجغرافى أقل اتصالا بمرو منها بسمرقند وغيرها من بلاد ما وراء النهر. وكان لأمير بخارى نفسه قصر فى مرو (انظر الطبرى، جـ ٢، ص ١٨٨٨، س ١٤ ؛ ص ١٩٨٧، س ٧ ؛ ص ١٩٩٢، س ١٦). وعند ما نقل أمراء خراسان محل إقامتهم إلى نيسابور فى القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادى) بقيت إدارة بخارى منفصلة عن إدارة الأجزاء الأخرى لبلاد ما وراء النهر. وفى سنة ٢٦٠ للهجرة (٨٧٤ م) لم تكن بخارى تابعة للسامانيين وإنما كان يحكمها أمير خاضع لبنى طاهر. وكان للأبناء الحكام السامانيين فيما بعد قصر فى مرو كذلك (انظر الإصطخرى، طبعة دى غويه، ص ٢٦٠).

وبعد سقوط دولة بنى طاهر سنة [illegible] للهجرة (= ٨٧٤ م) اعتبر فى بخارى زمنا ما يعقوب بن الليث الذى اغتصب ملكهم أميرا لخراسان — واتجه العلماء والناس إلى نصر ابن أحمد السامانى الذى كان يحكم بسمرقند فولى على بخارى أخاه الأصغر إسماعيل. ومنذ ذلك الوقت استمرت بخارى فى حوزة بنى سامان وأبنائهم إلى أن سقطت دولتهم. واستمر إسماعيل يقيم فى بخارى بعد وفاة أخيه نصر سنة ٢٧٩ للهجرة (= ٨٩٢ م) حتى أصبحت بلاد ما وراء النهر جميعها فى حوزته، وظل يقيم فيها كذلك حتى بعد أن انتصر على عمرو بن الليث سنة ٢٨٧ للهجرة (= ٩٠٠ م) وبعد أن ثبته الخليفة أميرا لخراسان. وبهذا أصبحت بخارى مقر أسرة الأمراء القوية وحاضرة دولة عظيمة، إذ كان فيها مقر الحكم ولكنها مع هذا لم تبلغ فى العظمة والثروة حتى فى ذلك العهد شأو الحاضرة القديمة لبلاد ما وراء النهر.

وقد وصف بخارى بالتفصيل كما كانت فى عهد بنى سامان جغرافيو العرب فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى). وفى

ندين بالكثير من المعلومات للنرشخى والكتاب الذين نقحوا كتابه فيما بعد. ومقارنة هذه الوثائق بأوصاف المدينة الحالية (توجد كاملة فى *Opisanie* : Khanikow *Bukharskago Khanstva* ، سان بطرسبرج ، ١٨٤٣ ، ص ٨٩ — ٨٠) تظهر فى وضوح أن بخارى على عكس مرو وسمرقند وغيرهما لا يشاهد فى عصور تاريخها إلا امتداد الجزء المسكون منها؛ دون أن تنتقل المدينة مطلقا من موضع إلى آخر.

ولم تكن بخارى بالطبع أقل من مدن آسية الوسطى تعرضا للغزو والتخريب ولكنها مع هذا كان يعاد بناؤها دائما فى مكانها الأول وعلى تخطيطها السابق الذى أنشئت عليه فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى). وهذه الحقيقة قد سهلت إلى حد كبير فهم الوثائق التى نجدها فى المصادر . ويندر أن نجد مدينة من مدن القرون الوسطى يمكن تعيين تخطيطها وماجرى عليه من تطور تعيينا دقيقا كما نستطيع ذلك فى بخارى.

ويميز جغرافيو العرب فى بخارى، كاميزوا فى أغلب المدن الإيرانية، أجزاء ثلاثة: القلعة (بالفارسية كهندز ومعناها «الحصن القديم» وتكتب فى العربية عادة قهندز ثم أصبحت تكتب بعد ذلك كُنديز أو كندز)؛ والمدينة (بالفارسية شهرستان) والضاحية القائمة بين المدينة القديمة والحائط الذى بنى فى عهد المسلمين. ولا تستعمل المصنفات الفارسية كلمة للدلالة على هذه الضاحية إلا الكلمة العربية «رَبض».

وكانت القلعة منذ أقدم العصور موجودة فى نفس الموضع الذى توجد فيه الآن شرق المكان الذى يسمى، كما كان يسمى فى عهد الساسانيين، باسم ريكستان Rigistan . وكان للقلعة بابان لم يبق منهما اليوم إلا واحد فقط ناحية ريكستان. وهذان البابان هما: باب ريكستان فى الغرب وباب «غوريان» أو باب المسجد الجامع فى الشرق. وكان هناك طريق يصل أحد البابين بالآخر. وكما أن دائرة القلعة تعينها تضاريس الأرض على وجه غاية فى الدقة فإن داخل هذه الدائرة لم يصبه تعديل ما منذ أقدم العصور. ويبلغ محيط القلعة اليوم نحو كيلو متر ونصف وتبلغ مساحتها نحو ٢٣ فدانا. وكان يوجد قصر «بخارخدات» داخل القلعة ولعله كان فى المكان الذى يوجد فيه اليوم قصر أمير بخارى. وهذا القصر لا بد أن يكون قد بنى قبل الفتح فى القرن السابع للميلاد. وكان يقوم على سبعة أعمدة من الحجارة تمثل الصورة الفلكية لبنات نعش، وكان عند مدخل القصر لوحة من الحجر عليها نقش باسم الذى بناه.

وكانت هناك عقيدة قديمة شائعة بين الناس هى: أنه ما من أمير فر من ذلك القصر أمام خصمه، و أنه لم يمت فيه أمير قط، وإنما نزلت المنية بالأمراء جميعا وهم خارج القصر. ويؤكد أحمد القوبوى مترجم كتاب تاريخ

بخارى الذى كتب فى جمادى الأولى من سنة ٥٢٢ (مايو سنة ١١٢٨) أن هذا القصر هدم فى عهده للمرة الأولى ، وأن اللوحة المنقوش عليها اسم صاحبه أزيلت فى تلك الحادثة . وعلى أية حال فانه كان لا يزال يستعمله السامانيون كما يقول الإصطخرى (ص٣٠٦) أما المتأخرون منهم فلم ينزلوا فيه . ويقول المقدسى (ص ٢٨٠ ؛ س ٩) إنه لم يكن باقيا منه إلا ردهات الكنز والسجون . وكان فى داخل القلعة غير القصر المسجد ، الجامع القديم الذى أسسه قتيبة ، وكان يوجد فى هذه الجهة من قبل معبد وثنى (بتخانه) . ولما كان المسجد القديم قد استبدل بآخر أكبر منه فقد استعمل بناؤه لديوان الخراج وهدمت القلعة وأعيد بناؤها عدة مرات خلال القرنين السادس والسابع للهجرة (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) ، وأزيل ما بقى من أنقاض المبانى القديمة فى سنة ٥٦٠ للهجرة (= ١١٦٤ — ١١٦٥م) واستعمل فى بناء السور الجديد الذى بنى حول المدينة .

وعلى عكس الحال فى أغلب المدن الأخرى لم تكن القلعة داخل المدينة (شهرستان) وإنما كانت خارجها . وكان فى شرق القلعة فضاء مكشوف يفصلها عن المدينة أقيم فيه المسجد الجامع منذ القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى) ، وظل فى ذلك المكان إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

ويمكن أن نعين على وجه الدقة فى أى جزء من المدينة الحالية كانت المدينة القديمة ؛ إذ أنه — كما قال الإصطخرى — (ص٣٠٧) لم يكن هناك أى مجرى للماء داخل القلعة أو فى المدينة لارتفاع مكانهما إذ كانا فوق مرتفع عن الأرض . ووفقاً للرسم الذى أرفقه خانيكوف Khanikow بمصنفه تبلغ مساحة هذا الجزء المرتفع من المدينة مايقرب من ضعف مساحة الجزء الذى تشغله القلعة . وبالطبع مضى زمن طويل والقلعة لايحيط بها سور خاص كما كان حالها من قبل .

وكان لهذا السور سبعة أبواب ذكر لنا أسماءها النرشخى وجغرافيو العرب . وكما كان الحال تقريباً فى جميع بلاد آسية الوسطى وفى بلاد فارس كان مكان السوق قبل الإسلام خارج أسوار المدينة عند الباب الذى سمى فيما بعد « باب السوق » ، وسماه النرشخى باب العطارين « درعطاران » ، وكان جغرافيو العرب يسمونه باب الحديد . وينبغى البحث عن هذا الباب فى الناحية الشرقية من المدينة .

وقد ذكر صراحة (النرشخى ، ص ٢٩) أنه فى عصر الفتح كانت المدينة كلها لا تشتمل إلا على شهرستان . وفى خارج شهرستان كانت هناك قصور ومنازل متفرقة لم تكن قد انتظمت بعد فى وحدة واحدة . وقد أمدنا النرشخى بمعلومات دقيقة عن تخطيط شهرستان فأصبح من الممكن أن نعين من غير شك ما يقابل الشوارع التى ذكرها من

شوارع المدينة الحالية ، على أن دراسة كهذه لم تعمل حتى الآن . وعلى عكس أغلب المدن الأخرى احتفظت شهرستان بخارى فيما بعد بشيء من أهميتها الأولية بعد اتساع المدينة . وفى شهرستان ، وربما كان فى الجزء الجنوبى منها ، يقوم الآن الجامع الكبير وبه مدرسة « مير عرب » التى أنشئت فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وكذلك المئذنة الكبيرة ، كما يوجد به أيضاً مسجد جامع جديد أنشــأه أرسلان خان محمد ابن سليمان سنة ٥١٥ هـ (١١٢١—١١٢٢م) .

وحدث فى العصر الإسلامى فقط أن اجتمعت شهرستان والضواحى فى مدينة واحدة يحيط بها سور عام ، ويقول النرشخى إن هذا حدث ابتداء من سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ — ٨٥٠ م) . وفى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كان يوجد إلى جانب السور القديم سور جديد أوسع منه دائرة . وكان كل من السورين — مثل سور المدينــة الحالية — له أحد عشر باباً ، ومما يؤسف له أنه لم تذكر الأبعاد التى تفصل بين الأبواب الداخلية والأبواب الخارجية فى السورين ، ولو ذكر ذلك لاستطعنا أن نعين التطور الذى حدث للمدينـــة بعد أن أصبحت حاضرة للدولة .

وموضوع معرفة النسبة بين الأسماء التى أطلقها العرب على أبواب المدينة وبين أسمائها فى الوقت الحاضر يمكن الحكم عليه فى يقين يكاد يكون تاماً . فهناك باب هو باب سمرقند الموجود فى الجانب الشمالى ، يسمى اليوم بنفس الاسم ، شأنه فى هذا شأن الأبواب المقابلة فى الأسوار الداخلية والخارجية لعهد السامانيين ، ويمكن تعيين الأبواب الأخرى فى سهولة ويسر . وقد أحصى الإصطخرى أبواب السورين حسب الترتيب الدقيق الذى كانت فيـــه : ففى السور الخارجى يبدأ الإصطخرى بذكر « باب الميدان » الموجود فى الجنوب الغربى ، والذى يصل إليه الآتى من طريق خراسان ، ويسمى اليوم باسم باب قره كول Karakul ، ثم يمر بعد هذا إلى درب إبراهيم ويسمى فى الوقت الحـاضر « باب الشيخ جلال » ، وهو موجود فى شرق الباب الأول مباشرة . وبهذا يمر المسافر بالجانب الجنوبى ثم الشرقى فالشمالى فالغربى.

ولما ذكر الإصطخرى الأبواب الداخلية بدأ بباب سمرقند (فى الشمال) دون أن يذكر موضعه بالنسبة للباب الذى ذكره بعده . وبهذا لم نستطع أن نقول فى تعيين — كما قلنا فى غير هذا الموضع — أى ترتيب اتبعـه النص العربى .

ومع هذا فإن النرشخى (ص ٩٣—٩٤) قد أجلى لنا الموضوع عند حديثه عن الحريق الذى شب فى سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٧م) فذلك أنه سمى أبواب السور الداخلى التى ذكرها الإصطخرى ، وكانت موجودة شمالى القناة الكبيرة ، كما سمى الأبواب التى كانت موجودة

جنوبى هذه القناة . ولما كنا نستنتج من رواية المقدسى (ص ٣٣١) أن هذه القناة تقابل القناة التى تخترق المدينة فى الوقت الحاضر (وباب «كل آباد» يقابل الباب الحالى المعروف باسم باب «قرشى» فى شرق المدينة) فقد سهلت المعلومات التى أمدنا بها النرشخى تحديد مواضع هذه الأبواب تسهيلا كبيراً . ويبين لنا وصف النرشخى كذلك أن الإصطخرى سار ناحية الشرق من باب سمرقند وأنه أحصى أسماء الأبواب الأخرى مبتدئاً بالناحية الشرقية فالجنوبية فالغربية .

وتعيين كل واحد من هذه الأسماء يمدنا بمعلومات عن التاريخ السابق للمدينة . فمن الواضح أن اسم «نوبهار» الذى أطلق على باب من أبواب السور الخارجى يسمى اليوم باسم «باب مزار» كان اسمه معبد بوذى ، وهذا أمر غريب . ويمر من هذا الباب نفسه الطريق المؤدى إلى أهم ضريح فى جوار بخارى وهو ضريح بهاء الدين النقشبندى المتوفى فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى). ومن العسير أن نحدد النسبة بين هذا الضريح وبين الأمكنة المسماة باسم نوبهار والتى يقول الإصطخرى إنهـا كانت موجودة فى شهرستان وفى الضواحى كذلك .

وسمى بابان من أبواب السور الداخلى موجودان فى الجزء الجنوبى الشرقى من المدينة باسم «جامع ماخ» . وهذا يسمح لنا بأن نعين على وجه التقريب مكان هذا المسجد . ويقول النرشخى (ص١٩) إن المسجد المذكور مشيد فى الناحيـــة التى كانت مخصصة أول الأمر لعبادة الأوثان (ولعلها نوع من العبادة البوذية) ثم لعبادة النار بعد ذلك . وهناك مجال للشك فى ذلك الرأى الذى قال به كرستنزن Christensen (انظر *Orient. Litt. Zeit.* ، المجلد الثانى ، ص ٤٩ وما بعدها) والذى يذهب إلى أن كلمة «ماخ» ينبغى فهمها على أنها صيغة للهجة من اللهجات لكلمة «ماه» ومعناها قمر ، وأن تلك العبادة كانت فى سذاجتها الأولى متصلة بعبادة القمر . ويقول النرشخى الذى ولد سنة ٢٨٦ هـ (= ٨٩٩ م) إنه فى يومين معلومين من السنة كان يعرض للبيع فى عهده عدد كبير من الأصنام . ولعلها كانت تماثيل صغيرة مصنوعة من الصلصال من نوع تلك التماثيل التى توجد كثيرا فى حفائر سمرقند . على أنها لم تكن تعتبر فى القرن الرابع إلا نوعا من الدمى .

ومما يستحق الالتفات باب من أبواب السور الداخلى هو «باب سكة السحرة» (باب سكة مغان) الموجود فى الجزء الشمالى الغربى من المدينة . وربما كان هذا الجزء من المدينة هو الذى كان لا يزال يسمى فى عهد بنى سامان باسم «قصر السحرة» (كوشك مغان). ويروى النرشخى (ص ٢٨ — ٢٩) أنه بعد الفتح انسحب إلى هذه الناحية ثراة التجار الذين كانوا يسمون باسم «كوشش كشان» . وفرضت أحكام المعاهدة التى عقدت مع قتيبة

على السكان أن يتنازلوا للعرب عن نصف منازلهم ونصف ضياعهم . ولكن هذه المعاهدة لم تطبق على مايظهر إلا على المدينة نفسها أى على « شهرستان » . وقرر ثراة التجار « كش كشان » أن يتنازلوا للعرب عن جميع منازلهم فى شهرستان ، وبنوا لأنفسهم ٧٠٠ قصر فى الجهات المجاورة . وكان أمام كل قصر من هذه القصور حديقة ومنازل لسكنى الأتباع والخدم . وفى عهد أبى مسلم أصبح عدد سكان هذه المحلة الجديدة أكثر من عدد سكان المدينة نفسها (انظر النرشخى ، ص ٦٢) .

وقد هدمت هذه القصور فيما بعد فى إحدى الفتن واستعملت أبوابها التى كان أصحاب القصور قد نقشوا عليها صور الأصنام التى كانوا يعبدونها فى توسيع عمارة المسجد الجامع . ويقول أحمد القبوى الذى أشرنا إليه من قبل إنه كان لا يزال يوجد فى عهده أى فى القرن السادس الهجرى (= الثانى عشر الميلادى) باب من هذا النوع (انظر النرشخى ، ص ٤٧ — ٤٨) .

وإلى جانب قصر القلعة كان لأمراء بخارى أيضا فى العهد الذى سبق الإسلام قصور فى فى ريكستان . ثم جاء نصر الثانى السامانى فيما بعد (٣٠١ — ٣٣١ هـ = ٩١٤ — ٩٤٣ م) فبنى مكانها قصرا ، وجعل فى البنايات التى أمام مدخله دواوين الحكومة العشرة (ديوانها) التى ذكر لنا النرشخى أسماءها (ص ٢٤) . وفى السنوات الأولى من حكم منصور بن نوح (٣٥٠ — ٣٦٥ هـ = ٩٦١ — ٩٧٦ م) شب حريق فى ذلك القصر فأتى على بنائه كله ولم يجدد بناؤه قط منذ هذه الحادثة . ومع هذا فان المقدسى يؤكد أن « دار الملوك » كان لا يزال يوجد فى عهده أمام القلعة فى ريكستان ، وأنه لم ير قط فى بلد من بلاد الاسلام أثراً أكثر منه روعة . وكانت ريكستان تستعمل أيضاً مصلى (بالفارسية نمازكاه) إلى سنة ٣٦٠ للهجرة (٩٧١ م) .

وفى عهد بنى سامان كان يوجد أيضاً قصر ملكى آخر على قناة جوى موليان Dju-i Muliyan التى كانت موجودة — على ما يظهر — غير بعيد من القلعة ومن ريجستان ، وكانت تتجه نحو الشمال . وهذا القصر بناه إسماعيل بن أحمد ثم بدأ يتهدم بعد زوال دولة السامانيين .

وكان لا بد من التفكير فى عهد منصور ابن نوح فى إنشـــاء مصلى جديدة إذ أن ريكستان لم تعد فى ذلك العهد كافية لجمهور المؤمنين ، فأقيم مكان العبادة الجديد سنة ٣٦٠ للهجرة (٩٧١ م) على بعد نصف فرسخ (٣/٤ كيلو متر) من القلعة وعلى طريق سملين ، ومما يؤسف له أننا لا نملك أية معلومات عن موضع هذه القرية . وكان الناس يذهبون إلى هذه الاجتماعات (الصلاة) وهم مسلحون أخذاً بالعادة القديمة ، وذلك لأن عادة حمل السلاح كانت لاتزال شائعة فى عهد بنى سامان (انظر هلال الصابى ، طبعة أمدروز Amedroz ،

ص ٤٠٢) . وبين القلعة وشهرستان وإلى جانب المسجد الجامع كان يوجد مصنع كبير للنسج (كارگاه ويسمى أيضاً بيت الطراز)، ويقال إن مصنوعاته كانت تصدر إلى الشام ومصر وبلاد الروم (انظر النرشخى، ص ١٨). وما يذكره المقدسى عن السلع التى كانت تصدر من بخارى يشهد بتقدم تجارتها وصناعتها. وكانت أعنة الخيل التى تصنع فى المحابس من الأصناف التى تصدر أيضاً من هناك .

وكان المعروف عن المدينة منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أنها تضيق بسكانها وأنها غير صحية، رديئة الماء فاسدة الهواء الخ. كانت طرقاتها واسعة ومع هذا فلم تكن هذه الطرقات كافية لعدد السكان . ولقد شكا المقدسى وبعض الشعراء (انظر يتيمة الدهر، جـ ٤، ص ٨-٩) من قذارة المدينة فى عبارات قوية . حتى أن المقدسى يقول إن بخارى كانت مذبلة الأقليم . وذكر ذلك الكاتب نفسه بين ما ذكره من عيوب بخارى أخطار الحريق فيها . ومن الجلى أنه كان فيها فى ذلك الوقت بيوت من الخشب أكثر مما فيها فى الوقت الحاضر ، وكان الجزء الأعلى من مأذنة الجامع الكبير نفسه مصنوعاً من الخشب فأدى هذا إلى حريق المئذنة ثم الجامع الكبير أثناء موقعة حدثت فى سنة ٤٦٠ للهجرة (١٠٦٨ م) بين اثنين كان كل منهما يدعى العرش لنفسه ، فأراد كل منهما أن يضع يده على القلعة . وأعيد بناء المأذنة بعد هذه الحادثة وصنعت كلها من الطوب المحروق (انظر النرشخى، ص ٤٩) .

وقد ذكر لنا جغرافيو العرب كما ذكر لنا النرشخى أيضاً معلومات مفصلة عن الرساتيق التى كانت تحيط ببخارى، وأمدنا الإصطخرى (ص ٣١٠-٣١١)، والنرشخى (ص ٣٠-٣١) بأسماء القنوات التى كانت تستمد الماء من نهر زرافشان لرى الحقول . ويقول الإصطخرى إن بعض هذه القنوات لم يشق إلا فى عهد المسلمين . ويبين لنا ستنچاكوفسكى Sitnjakowski أن كثيراً من هذه الأسماء لا يزال قائماً حتى اليوم (انظر *Izviestija Turkest. Otdiela Imp. Russkago Gevgraf. Obshc*، المجلد الثانى، العدد الأول، ص ١٣٦-١٣٧). ومن المهم لدراسة أحوال الأرض فى آسية الوسطى وما طرأ عليها من تغير فى العصور التاريخية أن نحدد ما إذا كانت القنوات التى يرجع تاريخها، حسب المعلومات التى وصلت إلينا، إلى ما قبل الإسلام، تجرى الآن فى قاع أعمق من القيعان التى كانت تجرى فيها فى عصور متأخرة عن ذلك . على أن هذا الموضوع لم يدرس حتى اليوم .

وكان الفضل لستنچاكوفسكى فى أن يبين بقايا الأسوار الطويلة التى كان يراد بها فى عهد العباسيين أن تحمى المدينة وما حولها من هجمات الترك . وهذه المعلومات ما زالت معتمدة حتى اليوم . ويقول النرشخى (ص ٣٢٩

وما بعدها) إن هذه الأسوار بدئ في إقامتها سنة ١٦٦ للهجرة (= ٧٨٢ — ٧٨٣ م) وانتهى من ذلك في سنة ٢١٥ للهجرة (= ٨٣٠ م). وهنا مجال للتساؤل عما إذا كان ماذكره النرشخي إنما ينصرف، كما ذكر المسعودي في كتاب التنبيه (ص ٦٥) إلى تجديد السور القديم وذلك لأن مباني من ذلك النوع كانت موجودة في آسية الوسطى منذ عهد متقدم جدا كما يتضح من وصف سترابون Strabon (الفصل ٥١٦) لإقليم مرغيانه وهو إقليم مرو الحالية. ولم تكن المدينة في وسط الفضاء الذي كانت تحيط به الأسوار وإنما كانت في جزئه الغربي. وكانت قرية تواويس Tavawis القائمة على طريق سمرقند موجودة أيضا داخل السور على بعد سبعة فراسخ من بخارى. وكان باب السور الموجود على طريق خراسان على مسيرة ثلاثة فراسخ من تلك المدينة (انظر ابن خرداذبة طبعة دخوى، ص ٢٥؛ كتاب التنبيه، ص ٦٥) ومن النواحي الموجودة شمالي المدينة قرية زندنة وهي على مسيرة أربعة فراسخ من بخارى، وقرية مغكان Maghkan على مسيرة خمسة فراسخ منها (الإصطخري ص ٣١٣، ٣١٥). وكل من هاتين القريتين كان داخل الأسوار. ولم يقل لنا أحد مدى اتجاه هذه الأسوار نحو الجنوب. وليس من الثابت أن بخارى كانت محمية من هذه الناحية ببناء من هذا القبيل. ولم تتخذ أعمال خاصة لصيانة الأسوار منذ عهد إسماعيل بن أحمد الذي قال «سأكون سورا يحمي أرض بخارى ما دمت على قيد الحياة». سميت الأسوار المتهدمة بعد ذلك باسم «كنپرك»، ويحسن قراءتها «كمپيرك»، ومعناها المرأة العجوز، وتسمى بقايا هذه الأسوار القديمة الباقية حتى الآن في الشمال الشرقي على الأقل، باسم «كمپيردوال» ومعناها أسوار المرأة العجوز وهي على حدود السهوب الممتدة بين الأراضي الزراعية في بخارى وفي كرمينه Karmina (انظر *Protokoli Turk. Kruzka Ljub archeologii*، ج ٣، ص ٨٩ - ٩٠).

وكان دخول نصر بن علي الإيلكي l'Ilek مدينة بخارى في ١٠ من ذي القعدة سنة ٣٨٩ للهجرة (= ٢٣ من أكتوبر سنة ٩٩٩ م) خاتمة لدولة بني سامان بالرغم من أن الفاتحين ظلوا أعواما (إلى سنة ٣٩٥هـ = ١٠٠٤ — ١٠٠٥ م) يقاتلون إسماعيل المنتصر آخر السامانيين في سبيل العرش، وبالرغم من أنهم أخرجوا من العاصمة القديمة لتلك الدولة في لحظة من اللحظات. وكان سقوط السامانيين متصلا بضياع ما كان للمدينة من شأن قديم في السياسة. فمنذ ذلك العهد أخذ يتولى حكمها في الغالب أمراء أو حكام، ولم تعد حاضرة لدولة كبيرة إلا في القرن العاشر الهجري (= السادس عشر الميلادي). وأقام نفر قليل لا غير من أمراء الإيلك أو القراخانية في بخارى وشيدوا فيها بعض المباني. وفي

النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (= الحادى عشر الميلادى) شيد الخان شمس الملوك نصر بن إبراهيم قصرا له فى جنوب المدينة ، وأعد فيها مكانا للصيد والقنص . وامتد الخراب إلى ذلك المكان الذى كان يسمى « شمس آباد » بعد وفاة الملك التالى خضر خان . وفى عهد أرسلان خان محمد ابن سليمان أنشئت مصلى فى مكان الصيد سنة ٥١٣ للهجرة (= ١١١٩ — ١١٢٠ م) وما زالت مستعملة فى هذا الغرض حتى اليوم . وينسب إلى هذا الأمير نفسه كثير من المبانى التى شيدت فى بخارى (انظر النرشخى ، ص ٢٣ وما ذكرناه قبل ذلك عن المسجد الكبير) ويقال أيضا إن الأمير قلج تمغاج خان مسعود جدد أسوار المدينـــة فى سنة ٥٦٠ للهجرة (= ١١٦٥ م) .

وظلت المدينة محتفظة فى عهد انحطاطها السياسى بما كان لها من شهرة قديمة كمعقل للإسلام ومركز للعلوم الدينية . وكان قد خرج من بخارى أو ما حولها فى القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادى) طائفة من العلماء المشهورين مثل صاحب « جامع الصحيح » . وفى القرن الســـادس للهجرة (الثانى عشر الميلادى) نجحت أسرة شريفة من العلماء عرفت فيما بعد باسم آل برهان (انظر مادة برهان) فى أن هيأت للمدينة لمدة مؤقتة على الأقل نوعاً من الحكومة الدينية وجعلت لها استقلالا كاملا عن سلطان سادة هذه البلاد.

وبعد أن حدثت موقعة قطوان (٥ من صفر سنة ٥٣٦ هـ = ٩ من سبتمبر سنة ١١٤١ م) اضطرت المدينـــة لأول مرة منذ الفتح الاسلامى إلى أن تسلم مقاليد حكمها لشعب غير إسلامى هو شعب القراختاى ، على أن صدر بخارى استطاع مع هذا أن يحتفظ بنفوذه أمام العدو . وقتل الصدر حسام الدين عمر بن عبد العزيز عند استيلاء العدو على المدينة . ومع هذا فان الصـــدر أحمد بن عبد العزيز ، ولعله أخ للأول ، اشتغل مستشارا للحاكم الذى ولاه الفاتحون (انظر: *Receuil de textes relatifs à l'hist. des Seldjoucides* ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ ، چهار مقاله ، طبعة ميرزا محمد ، ص ٢٢) . وينسب ابن الأثير (جـ ١١ ، ص ٢٠٥) إلى ابن محمد بن عمر المقتول أنه أثنى فى سنة ٥٥٩ للهجرة (١١٦٣—١١٦٤م) على اعتدال الفاتحين . واضطر صدور بخارى إلى أن يلتمسوا لهم ملجأ بالقرب من الفاتحين أنفسهم عند ما ثار الشعب بهم وطردهم من بخارى وصادر ممتلكاتهم (انظر العوفى : لباب الألبـاب ، طبعة براون ، جـ ٢ ، ص ٣٨٥) .

ويقول الجوينى إنه كان على رأس هذه الفتنة رجل من طبقة العمال هو ابن تاجر من تجار الدروع (مجان فروش) وإنه كان يحترم أصحاب الحرمات فى المدينة . وتولى هذا الزعيم حكم بخارى زمناً ما كأمير مستقل وسمى نفسه « سنجر ملك » . على أنه سرعان ما سقطت المدينة فى يد خوارزمشاه محمد بن

تكش الذى قاد الأمير سنجر إلى خوارزم ثم أتبعه بالصدر برهان الدين . وكانت المدينة التى اخضعها خلفاء محمد أمداً وجيزاً قد ظلت فى حوزة خوارزمشاه السنوات التالية ما عدا بعض فترات من الزمن خلال المحاولات الأخيرة التى قام بها أمير القرا ختاى وانتهت بفوزه فيها . وكان خوارزمشاه قد جدد بناء القلعة وشيد بعض المبانى الأخرى .

وعند ما فتح المغل الدولة التى أنشأها محمد ، كانت بخارى مدينة من المدن الأولى التى اضطرت إلى التسليم لجنكيزخان . ويقول ابن الأثير إنها سلمت له فى الرابع من ذى الحجة سنة ٦١٦ للهجرة (١٠ من فبراير سنة ١٢٢٠م) أما القلعة فلم تؤخذ إلا بعد اثنى عشر يوماً من ذلك التاريخ .

وترك الفاتح بخارى عرضة للنهب فنشب فيها حريق دمر المدينة كلها ما عدا المسجد الجامع وبعض قصور مشيدة من الطوب المحروق ، على أن بخارى أعيد بناؤها من جديد فى عهد أوكيدى خليفة جنكيزخان ، وكانت مدينة غنية عامرة بالسكان وموطنا للعلوم . وفى سنة ٦٣٦ للهجرة تعرضت المدينة لأخطار جديدة وذلك لأن الشعب ثار ضد المغل وضد طبقة الملاك كذلك . على أن الحاكم محمود يلواج الذى كان يقيم فى خجندة نجح بعد القضاء على الفتنة فى أن يبعد عن المدينة انتقام الفاتحين . ويقول الجوينى (انظر النص فى Defrémery : *Journ. Asiat.* المجموعة الرابعة ، جـ ٢٠ ، ص ٣٧٢ — ٣٧٣ وفى Schefer : *Chrestomathie persane* ، جـ ٢ ، ص ١١٧ — ١٢٨) وهو مصدرنا الوحيد فى هذه الحادثة إن الفتنة لم تنشب هذه المرة بين طبقات العمال كما حدث هذا منذ ثلاثين سنة خلت ، وإنما نشبت بين طبقات الزراع . وليس لدينا أية معلومات محققة عن طريقة حكم هذه المدينة وما حولها فى السنوات الأولى من حكم المغل . ويذكر الجوينى فى كلامه على سيرة أويغور كوركوز اسم «ساين ملكشاه» بوصفه أميرا لبخارى . ولسنا نعرف عنه شيئا أكثر من هذا (انظر D' Ohsson : *Histoire des Mongoles* ، جـ ٣ ، ص ١٠٧ — ١٠٨)

ويذكر وصّاف (طبعة هامر Hammer ، ص ٢٥ ؛ طبعة الهند ، ص ١٢) أنه منذ عهد أوكيدى كان يحكم سمرقند وبخارى چنكسان طايغو إلى جانب بوقا بوشا المغلى . وطايغو هذا يظهر أنه صينى الأصل وذلك يفسر لنا وجود عملة من نحاس عليها نقوش صينية ضربت ببخارى فى ذلك العهد .

ويقول أيضاً إن محمود يلواج ثم ابنه مسعود بك (انظر مادة «بيشبالق») وهما من مسلمى خوارزم قد اقتسما حكم ما وراء النهر . ومع أن رجال الدين من المسلمين قد وقفوا فى ثبات ضد المغل للدفاع عن البلاد وظلوا بعد ذلك خصوماً للفاتحين فان «الملاء» والأشراف كانوا معفيين من جميع الضرائب

فى دولة المغل أسوة بكهنة الأديان الأخرى .

ومما يستحق الذكر أيضاً ما رواه الجوينى (انظر D'Oh[illegible] : *Histoire des Mongoles*، ج ٢ ، ص٢٦٧) الذى يقول إن سيوركَكتنى النصرانية أم الخانين الأعظمين « منكو » و « خُبيلاى» بنت من مالها مدرسة فى بخارى تسمى « خانيّـــــة » ، وأن العلامة المشهور سيف الدين باخرزى المتوفى فى ذى القعدة من سنة ٦٥٩ هـ (٢٧ سبتمبر — ٢٦ اكتوبر سنة ١٢٦١ م) عين مدرساً لهذه المدرسة ومتولياً لها . وأنشأ مسعود بك مدرسة أخرى سميت المسعودية نسبة إليه فى ميدان بخارى ولعله ريكستان . وكان يتعلم فى كل من هاتين المدرستين حوالى ألف طالب .

وفى اليوم السابع من شهر رجب سنة ٦٧١ هـ (٢٨ من يناير سنة ١٢٧٣ م) فتح بخارى مغل الفرس بقيادة نكبى بهادر قائد الإيلخان أباقا (انظر هذه المـادة) وظلوا يعملون فيها السلب والنهب سبعة أيام متواصلة ودب الخراب فى المدينة وكاد يقضى عليها قضاء تاما بالحديد والنار . وبعد هذا بثلاثة أعوام أخذ الأميران چوبه وقَان وهم من الچغتاى من بقية أهل المدينة ما بقى فى أيديهم . ولم يصب بخارى مثل هذا البلاء قط كما يقول وصاف (طبعة هامر ، ص ١٤٨ . طبعة الهند ، ص ٧٨) ، ولم يبق فيها كائن حى خلال الأعوام السبعة التالية . وكان فى ذلك الوقت لاغير أى حوالى عام ١٢٨٣ م أن أمر الأمير قيدو مسعود بك فعمل على إقامة المدينة من جديد ثم جلب إليها السكان . وكانت المسعودية قد دمرت أيضاً فى سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣م) فجدد مسعود بناءها ، ثم دفن فيها فى شوال سنة ٦٨٨ هـ (١٨ من اكتوبر — ١٥ من نوفمبر سـنة ١٢٨٩ م) (انظر « جمال القرشى » فى Barthold : *Turkestan v epokhiu mongols-kago nashestviya*، ج ١ ، ص ١٣٩) . وجاء إلى المدينة مرة أخرى مغل الفرس ومعهم حليفهم يساور أمير الچغتاى وذلك فى رجب سنة ٧١٦ هـ (١٩ من سبتمبر — ١٨ من اكتوبر سنة ١٣١٦ م) وأخرجوا بالقوة عدداً كبيراً من سكان بخارى وغيرها من المـدن وأسكنوهم فى إقليم جيحون (انظر d'Ohsson : *Histoire des Mongols*، ج ٤ ، ص ٥٦٧ — ٥٦٨) .

وفضلا عن هذا فإنه يظهر أن بخارى لم يكن لها شأن ما فى الحياة السياسية لإقليم ما وراء النهر أثناء حكم بيت چغتاى (انظر هذه المادة) وبعد ذلك أيضا فى عهد تيمور وأسرته . ويوجد كتاب قيم يتكلم عن الحياة السياسية والدينية التى ازدهرت فى هذه المدينة بعد ذلك العهد [illegible] كانت مزدهرة من قبل . وهذا الكتاب القيم مجهول فى أوروبا الغربية ولكن توجد منه مخطوطات كثيرة منتشرة فى الروسيا ويسمى « كتاب ملازاده » لأحمد بن محمد المسمى معين الفقراء ويرجح أنه كتب فى القرن التاسع الهجرى = الخامس عشر الميلادى

انظر خلاصته فى Turkestan etc : Barthold ، جـ ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧) . وارجع إلى كتاب « رشحات عين الحياة » (طبعة Ethé إتيه فى: Grundriss der iranischen Philologie جـ ٢ ، ص ٣٦٥) للوقوف على سيرة بهاء الدين النقشبندى المتوفى سنة ٧٩١ هـ (= ١٣٨٩م) وعلى أخبار معلميه وتلاميذه وعلى طريقة الدراويش النقشبندية التى أسسها . وقد أنشأ الأمير ألغ بك المتوفى سنة ٨٥٣هـ (١٤٤٩م) والذى عرف بحمايته للعلم مدرسة ببخارى فى چارسو (وسط المدينة) .

وفى أواخر سنة ٩٠٥ هـ (صيف سنة ١٥٠٠ م) فتح الأزابكة مدينة بخارى بقيادة شيبانى خان ، وظلت فى حوزتهم منذ ذلك العهد ما عدا فترة قصيرة بعد موقعة مرو التى كانت وبالا عليهم (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م) . وكانت دولة الأزابكة كجميع حكومات الرحل تعتبر ملكا لكل أعضاء الأسرة الحاكمة وتنقسم إلى عدد كبير من الإمارات الصغيرة . واعتبرت سمرقند كما كانت من قبل حاضرة للدولة ومقرا للخان ، وكان فى الغالب أكبر أمراء الأسرة الحاكمة سنا . ومع هذا فإن الأمير الذى كان ينادى به « خانا » كان يحتفظ بإمارته الموروثة ويواصل فى العادة الإقامة فى حاضرته القديمة فكان طبيعيا أن يوجه إليها من العناية أكثر مما يوجهه إلى حاضرة الدولة .

وأقام فى بخارى اثنان من أشهر أمراء بنى شيبان هما : عبيد الله بن محمود الذى أقام فيها منذ سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وتوفى سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩م) وعبد الله بن إسكندر الذى اقام فيها سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) وتوفى سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٧ م) . وظل هذان الأميران عهدا طويلا يتركان لقب الخان لأسن أمراء الأسرة الحاكمة ، ولكنهما كانا يستمتعان بالسلطة كلها ، وأصبحت بخارى بفضل شهرتهما مركزا للحياة السياسية والروحية .

واتخذ أمراء الأسرة التى جاءت بعد هؤلاء وهى أسرة الجانية Djanides أو الأشترخانية Ashtarkhanides بخارى مقرا لملكهم ، أما الحاضرة القديمة سمرقند فقد فقدت كل ما كان لها من شأن تقريبا ، وبخاصة منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى (القرن الثامن عشر الميلادى) .

ومصادر المعلومات عن بخارى فى ذلك العهد لا يمكن الحصول عليها حتى الآن إلا فى المخطوطات ، ولم يدرس ذلك العهد إلى الوقت الحاضر إلا دراسة قليلة ، شأنه فى هذا شأن التاريخ العام لآسية الوسطى خلال القرون الأخيرة . وهناك معلومات كثيرة عن الآثار التى شيدت فى القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة (السادس عشر والسابع عشر للميلاد) وردت فى الرسالة التاريخية المعروفة باسم «تأريخ مير سيد شريف راقم» (ألفت سنة ١١١٣ هـ — ١٧٠١ — ١٧٠٢ م ، انظر Bar. v. Rosen فى *Collections*

seientifiques de l' Institut [redacted] *langues orientales* [redacted] *ministére des affaires étrangères* ج ٣ ، ص ١١٥ — ١١٦) .

وهناك معلومات عن الحياة العقلية فى زمن عبيد الله أمدنا بها على وجه خاص معاصره « واصفى » صاحب كتاب « بدائع الوقائع » انظر C. Saleman فى *MélangesAsiatiques* ج ٧ ، ص ٤٠٠) أما المصادر الخاصة بتاريخ عبد الله بن إسكندر فقد ذكرناها عند الكلام عليه (راجع مادة عبد الله بن اسكندر) . وفى كتاب « عبد الله نامه » وصف لبخارى يدل على أن المؤلف كان فى حوزته نص أكمل من نص كتاب « تأريخ النرشخى » الذى وصل إلينا . أما عن تاريخ بخارى فى القرن الحادى عشر (السابع عشر الميلادى) فراجع بصفة خاصة كتاب « بحر الأسرار فى مناقب الأخيار » لمحمود بن أمير والى (الفهرس المنتدى الرسمى ، رقم ٥٧٥).

وقد توثقت الصلات منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) بين دولة الأزابكة وقياصرة موسكو فأصبحت بخارى بهذا معروفة فى الروسيا وأوروبا الغربيـة أكثر من ذى قبل . وكان الروس فى القرنين السابع عشر والثامن عشر يطلقون اسم « بخارى » على جميع التجار والمهاجرين من آسية الوسطى الذين كانت مواطنهم ممتدة حتى «توبولسك » . وأطلقت هذه التسمية كذلك على سكان التركستان الصينية الحالية التى كانوا يميزونها باسم بخارى الصغيرة .

وكان عهد الخان عبد العزيز (١٠٥٥ — ١٠٩١ هـ = ١٦٤٥ — ١٦٨٠ م) معتبرا فى نظر مؤرخى تلك البلاد الذين جاءوا بعده آخر العهود السعيدة . وعجز الأمراء بعده عن الاحتفاظ بوحدة الدولة فاستقل أمراء قبائل الأزابكة بالحكم فى كثير من البقاع ، وأصبح الخان المقيم فى بخارى لا يحكم إلا جزءا صغيرا من دولته القديمة ، بل إنه لم يكن يباشر السلطان بالفعل بل كان يباشره باسمه أمير يسمى بك أو « آتاليق» .

وفى سنة ١١٥٣ للهجرة (١٧٤٠ م) خضعت بخارى لحكم نادرشـاه ولم تستعد استقلالها إلا بعد وفاته . وفى ذلك العهد نفسه قامت أسرة جديدة فى بخارى إذ نادى الآتاليق محمد رحيم فى أسرة منغيت بنفسه خانا فى سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) ، ولكنه توفى سنة ١١٧٢ هـ (١٧٥٩م) (انظر تاريخه بقلم معاصره « محمد وفا كرمينكى » بعنوان «تحفة الخانى »)

على أن خلفه « دانيار بك » قنع من جديد بلقب « آتالق » وترك لقب الملك لواحد من نسل جنكيزخان . ولما جاء بعده ابنه مراد ويسمى مير معصوم ، طالب من جديد بلقب الملك لنفسه فى سـنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٥ م) ولكنه لقب هو ومن جاء بعده من خلفائه لا بلقب الخان وإنما بلقب الأمير فقط .

وكان مراد وخلفه حيدر (١٢١٥ —

١٢٤٢ هـ = ١٨٠٠ — ١٨٢٦ م) يراعيان شرائع الدين مراعاة دقيقة زادت فى تزمتها حتى على التزمت الذى أبداه عبيد الله فى القرن السادس عشر .

وأخذت « بخارى الشريفة » تسترد شيئاً فشيئاً شهرتها باعتبارها مدينة الإســلام والشريعة ηατ'ἐξοχήν ، وكان فى سيرة الملك نفسه ما يرضى نزعة التشدد فى الدين . وكان حيدر يحاضر فى العلوم الدينية ويستمع إليه خمسمائة من المستمعين غير أنهم أخذوا عليه انهماكه فى ملاذ « الحريم » فقد كان يغير زوجاته باستمرار ويقتنص لحريمه كل شهر غوانى جديدات . وكان آخر أمراء بخارى الذين ضربت العملة باسمهم ، ومنذ وفاته حتى اليوم تضرب العمـــلة باسم الأمير المرحوم حيــدر .

ثم جاء بعد ذلك الأمير نصر الله (١٢٤٢ — ١٢٧٧ هـ = ١٨٢٧ — ١٨٦٠ م) ونجح فى توطيد مركز العرش إزاء أشراف الأزابكة وفى بسط سلطان الدولة خارج حدودها . وكانت قوة الأشراف قد ازدادت ثباتاً بفضل ما أصاب الدولة من انحلال ، ولكن نصر الله قضى عليها بضربة واحدة فى خيوة وخوقند Khokand وبخارى وسفك فى سبيل ذلك الدماء . ويصفه مؤرخو تلك البلاد وكذلك الرحالة الأوروبيون بأنه كان طاغية محباً لسفك الدماء . وقد جند له جيشاً ثابتاً يحمل محل الجنود الذين كانوا يجندون من قبائل الأزابكة ، وعهد بمناصب الإدارة إلى رجال من أصل وضيع . وجعل على رأس الحكومة موظفاً فارسى الأصل غالبـاً وكان يسمى « قوش بكى » .

وكانت دولة بنى منغيت لا تشتمل فى أول أمرها إلا على وادى نهر زرفشان والبلاد الموجودة جنوبه حتى نهر جيحون Oxus . أما فى الجنوب الشرقى فكانت تمتد إلى سرخان Surkhan ، واشتملت أحياناً على أجزاء من الأرض جنوبى جيحون مثل مرو وبلخ . أما بلاد ما وراء النهر القديمة فكان يحكمها أمراء من خوقند . وكثيراً ما نشب القتال بين هاتين الحكومتين وبخاصة حول جزق Djhizak وأوراتوبه Ura-tübe . وكان النصر فى هذه الحروب حليف أمير بخارى فى العادة .

وفى سـنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) فتحت خوقند نفسها وخضعت بلاد ما وراء النهر جميعا لسلطان الأمير ، غير أنه لم يستطع الاحتفاظ بفتوحاته باستمرار .

وعندما اعتلى مظفر الدين العرش (١٨٦٠ — ١٨٨٥) — وهو خليفـة نصر الله — كان الروس قد وطدوا مركزهم عند المجرى الأسفل لنهر سيحون ومن هناك تقدموا تدريجاً نحو الأجزاء الأخرى من بلاد ماوراء النهر القديمة . وبعد أن هزم ذلك الأمير عدة مرات اضطر إلى التخلى عن مطالبه فى حكم وادى نهر سيحون الذى استولى عليه الروس ، كما أنه تخلى لهم عن جزء كبير من أراضيه

بما فيه جزق ، واوره توبه . وسمرقند وكته قورغان (١٨٨٦ م) أما العاصمة فهى على العكس من خيوة وخوقند لم يحاصرها العدو حتى ذلك الوقت ولم يغزها . وكانت الأراضى التى خسرها ذلك الأمير فى حربه مع الروس أكثر من الأراضى التى استولى عليها فى غزواته التى قام بها فى السنوات العشر التالية وساعدة الروس فيها بعض المساعدة . فقد استولى هذا الأمير على البلاد التى كانت منذ أكثر من قرن من الزمان منفصلة سياسياً عن بخارى مثل شهر سبز وحصار أو التى لم تكن تابعة على الدوام لحكام بخارى مثل قراتكين ودرواز . أما فى الغرب فقد اتسعت إمارة بخارى فى عام ١٨٧٣ على حساب خيوة التى فتحها الروس . وعلى ذلك فإن أملاك الأمير لم تصل إلى ما وصلت إليه الآن إلا بعد سيطرة الروس . وقد أقيمت الحدود لأول مرة بين بخارى وأفغانستان فى عهد الأمير عبد الأحد (١٨٨٥ — ١٩١٠) . وأصبحت بنج بمقتضى الاتفاق الذى عقد بين الروسيا وإنجلترا (١٨٨٥) تؤلف الحد الفاصل بين بخارى والروسيا . وتخلى أمير بخارى بعد ذلك عن جزء من إقليم درواز للأفغان ولكنه أخذ عوضاً عنه إقليمى روشن وشغنان وفى هذا العهد نفسه نظمت العلاقات بين بخارى والروسيا . وأصبحت إمارة بخارى منذ عام ١٨٨٧ يخترقها خط حديدى روسى . وهذا الخط الحديدى لا يمر بالبلدان الهامة ومن بينها العاصمة . وعلى بعد خمسة عشر كيلو متراً من بخارى القديمة أقيم على الخط الحديدى بعض المنشآت الروسية وسميت بخارى الجديدة . وتعرف محطة السكة الحديد بها اليوم باسم قغان . وأصبحت بخارى الجديدة بعد ذلك مقر المبعوث الروسى وربطت بالعاصمة القديمة بخط حديدى أنشىء على نفقة أمير بخارى . وتدخل إمارة بخارى بأجمعها ضمن منطقة النفوذ الجمركى الروسى ، وقد أنشئت الجمارك الروسية على حدود أفغانستان كما أنشئت مراكز عسكرية فى كرك وترمذ على نهر جيحون و « خُرُّج » فى إقليم شغنان . ويتم الاتصال التجارى بين ترمذ والمدينة الروسية المسماة بترو الكسندروفسك على نهر جيحون بواسطة بواخر روسية . وتتصل ترمذ بسمرقند من جهة أخرى بواسطة طريق لنقل البريد ، كما تربطها ببخارى وسمرقند أسلاك البرق.

وإمارة بخارى رغم كل ذلك لم تتأثر إلا قليلا بالحضارة الروسية . فنجد أن النظام الإدارى والمالى حتى ما كان منه سائداً فى الأقاليم المفتوحة حديثاً لا يزال كما كان منذ أربعة قرون ، ونجد أن الأمير وموظفيه وعماله يعاملون السكان اليوم معاملة قاسية كما كان الحال فى الزمن السابق . ومنذ أن لقب الأمير بصاحب السمو وتقرب من العائلة الإمبراطورية الروسية أصبحت له سلطة لا تنازع وفى استطاعته أن يعمل

مستقلا أكثر من ذى قبل إزاء المبعوث السياسى والحاكم العام المقيم فى طشقند .

وكانت السياسة التى اتبعها أمير بخارى موضع نقـــد شديد من بعض الكتاب الروس (انظر خاصه مؤلفات لوجفت D.N. Logofet التى نشرت بعناوين مختلفـــة : (١) Strana (٢) Na granicakh Sredniey Azii Bukharskoie Khanstvo (٣) bezpraviya pod russkim protektoratom . ولا يمكن أن تنكر أن تلك السياسة تؤدى إلى نتائج وخيمة بالنسبة لرعايا الأمير ولمكانة الروسيا فى آسية الوسطى .

ومير عالم هو أمير بخارى منذ عام ١٩١٠ وهو ابن الأمير السابق عبد الأحد . وقد تربى مير فى الروسيا فى مدرسة سانت بطرسبرج الحربية .

وحفز النجاح الذى اكتسبته روسيا فى آسـية الوسطى العلماء إلى دراسة هذه البلاد من الوجهة الجغرافية وكذلك من الوجهة البشرية إلى حد ما . فقد ظهر منذ عام ١٨٧٠ عدد كبير من الأبحاث والمؤلفات العامة باللغة الروسية عن إمارة بخارى وكل إقليم من أقاليمهـــا (انظر مثلا P. Maiew : Ocherki Bukharskago Khanstva ، طشقند ١٨٧٦ : L. Kostenko : Turkestanskij kray ، ج ٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ ؛ Kuzne[illegible]v : Darwoz ، نوفج مرجلان Novij Margelan ١٨٩٣ ؛ A. A. Semenov : Etnograficheskie ocherki Zarafshanskikh gor, Karategina i Darwaza ، موســكو ١٩٠٣ ؛ G. A. A. : Gorci verchoview Pjandja : Bobrinskoy ، موسكو ١٩٠٨ ؛ A. Serebrennikov : Pamir (Ezegodnik Fer ghanskoy oblasti) ج ١ ، ص ٩٠-٩١) .

وعلى العكس من ذلك فإنه لم يدرس ماضى تلك البلاد ومركزها الحالى من وجهة نظر المستشرقين إلا دراسة ضئيلة . ونجد أن مؤلفات المؤرخين من أهل البلاد ومن بينهم مؤرخو القرن التاسع عشر لا يمكن الحصول عليهـــا إلا مخطوطة اللهم إلا القليل منها (انظر F. Teufel : Quellen zur Geschichte der chanate وقد نشرته على حدة مجلة Zeitschr d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch ج ٣٨) . فى حين أننا لا نجد حتى الآن فى بخارى نفسها أو فى البلدان الأخرى مثل شهر سبز ، وفيها قصر آق سراى الذى ابتناه تيمور أو ترمز وبها أطلال قلعة قديمة وضريح جميل لمحمد بن على الترمذى المتوفى عام ٢٥٥ = (٨٦٩ م) ، أى دراسة أثرية أو تاريخية تخطيطية ذات قيمة (انظر عن هذا الموضوع R. Rozevic فى Izviestiya Imp. Russkago Geograf. Obshchestva ، ج ٤٤ ، ص ٦٤٤-٦٤٥ وبه لوحه) . ولم يظهر أى وصف للمركز الحالى للبلاد بقلم أى مستشرق منذ أن توطد مركز الروس فيها ، ولهذا السبب لا يمكن أن نقول بأن هناك مصنفا آخر فاق مصنف

خانيكوف Khanikow الذى نشر عام ١٨٤٣ . أما المؤلفات التى نشرت عن هذه البلاد وماضيها باللغات الأوروبية الغربية فهى أيضاً غير كافية .

(انظر Vámbéry : Travels in Central Asia لندن ١٨٦٤ ، ولهذا الكتاب ترجمة باللغة الألمانية ؛ Vámbéry : Geschichte Bochara's oder Transoxaniens شتوتجارت ١٨٧٢ ؛ Howorth : History of the Mongols ، ج ٢ ص ٦٨٦ — ٦٨٧ ؛ Skrine and Ross : The heart of Asia ، لندن ١٨٩٩ ، الفصل التاسع من هذا الكتاب عنوانه Bokhara, a Protected native state ، وانظر كذلك المقارنة غير الموثوق بها بالروايات العربية التى عقدها له سترينج : G. le Strange فى كتابه The lands of the Eastern Caliphate ، كمبردج ١٩٠٥ ، ص ٤٦٠ — ٤٦١ .

[بارتولد W. Barthold]

« بخارست » ، بالتركية بوكرش : عاصمة رومانيا (انظر مادة إفلاق) . وقد أبرم فى هذه المدينة الصلح بين الروسيا وتركيا فى الثامن والعشرين من مايو سنة ١٨١٢ م ، وبمقتضاه حددت الحدود بين الدولتين بنهر بروث حتى مصبه ثم بالشاطىء الأيسر لنهر الدانوب حتى مصبه فى البحر الأسود ؟

« البخارى » أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى : مصنف عربى ولد فى الثالث عشر من شوال عام ١٩٤ هـ الموافق ٢١ يوليه من عام ٨١٠ م فى مدينة بخارى ، وجده بردزبه فارسى . وقد بدأ دراسة الحديث فى سن مبكرة إذ لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره . ولما بلغ السادسة عشرة حج إلى مكة وحضر على أشهر شيوخ الحديث فى مكة والمدينة ثم رحل إلى مصر فى طلب العلم ، وأنفق الستة عشر عاماً الثانية — ومنها خمسة فى البصرة — فى التجوال بين ربوع آسية ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ، ووافته منيته فى الثلاثين من رمضان عام ٢٥٦ هـ الموافق ٣١ من أغسطس عام ٨٧٠ م . ودفن فى خرتنك على مسيرة فرسخين من سمرقند .

وتعتمد شهرته على جامعه فى الحديث وعنوانه « الجامع الصحيح » ، وقد رتبه على أبواب الفقه ، واصطنع لذلك طريقة كاملة وإن لم يوفق إلى إيجاد مواد الأحاديث اللازمة لجميع الفصول . وأظهر فى اختياره للأحاديث براعة فائقة ومحصها تمحيصاً دقيقاً ، كما أنه كان عظيم الأمانة فى إيراد المتن وبذل جهداً لا يبارى لكى يصل إلى أضبط ما يمكن الوصول إليه . ولم يتردد فى تفسير المواد بتعليقات موجزة متميزة عن النصوص . وكانت نصوص الصحيح منذ أول الأمر محل عناية كبيرة ، بيد أن البخارى لم يستطع التخلص من الاختلافات التى ذكرها لنا الشراح

والنسخة المتـداولة الآن نشرها لأول مرة محمد اليونينى المتوفى عام ٦٥٨ هـ (١٢٦ م) بمساعدة اللغوى المشهور ابن مالك المتوفى عام ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) (انظر طبعة كرهل لصحيح البخارى ، ليدن ١٨٦٢ — ١٨٦٨ م، وقد أتم نشره Th. W. Juynboll ، المجلد الرابع ، المصدر نفسه ، عام ١٩٠٨م) وقد طبع فى بلاق عام ١٢٨٠ و ١٢٨٢ و ١٢٨٤ و ١٢٨٩ هـ ، وطبع فى القاهرة على الحجر عام ١٢٧٩هـ، وطبع طبعة عادية عام ١٣٠٥ و ١٣٠٧ و ١٣١٢ و ١٣١٤ هـ فى تسعة مجلدات ، كما طبع فى دهلى عام ١٢٧٠ هـ و ١٨٨٩ م ، وفى بمباى عام ١٢٦٩ هـ و ١٨٦٩ م و ١٨٧٣ م وفى مرته عام ١٨٧٣م. أما فيما يختص بمخطوطاته فانظر R. Basset فى مجلة الجمعية الآسيوية الإيطالية ، المجلد العاشر ، ص ٧٦ — ٩١ ، وقد ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه ووضع له فهرساً O. Houdas و W. Marçais وطبعته مدرسة اللغـــات الشرقية الحية ، المجموعة الرابعة ، المجلد السادس وما بعده ، وطبعت ترجمة الأجزاء الثلاثة الأولى فى باريس عام ١٩٠٣ و ١٩٠٦ و ١٩٠٨ وترجمه إلى الفرنسية أيضاً ووضع له شروحاً وتعليقات L. Peltier، باريس عام ١٩٠٩ بعنوان *Le Livre des testaments du Çahîh d'Al-Bokhârî* وقد طبع من الشروح الكثيرة على الصحيح ما يأتى : —

(١) « فتح البارى فى شرح البخارى » لابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ (١٤٢٨ م)، بلاق عام ١٣٠٠ ، ١٣٠١ هـ .

(٢) « عمدة القارى فى شرح البخارى » لمحمود بن أحمد العينى المتوفى عام ٨٥٥ هـ الموافق ١٤٥١م ، القاهرة ١٣٠٨هـ ، الآستانة ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ م .

(٢) « إرشاد السارى فى شرح البخارى» لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى المتوفى عام ٩٢٣ هـ الموافق ١٥١٧م ، بلاق ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٨٨ ، ١٣٠٤—١٣٠٥ هـ ، القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٢٥ — ١٣٢٦ مع تحفة البارى لزكريا الأنصارى المتوفى عام ٩٢٦هـ الموافق ١٥٢٠ م ، لكنهو ١٨٦٩ ، ١٨٧٦ ، دهلى ١٨٩١ م .

(٤) شرح لأبى زيد عبد القادر بن على الفاسى ، فاس ١٣٠٧ هـ (انظر كتاب ولى الله الدهلوى المتوفى عام ١١٧٦ هـ الموافق ١٧٦٢م وعنوانه «شرح تراجم أبواب صحيح البخارى» حيدر آباد عام ١٣٢٣ هـ .

وقد صنف البخارى فى حجته الأولى إلى المدينة كتاباً عن تراجم رجال السـند عنوانه « التأريخ الكبير » ، وهو بمثابة المقدمة لصحيحه (آيا صوفيا ، ٣٠١٩ — ٣٠٧١ ، Horovitz فى *Mitteilungen des Seminars für orient. Sprachen zu Berlin* برلين ، المجلد العاشر العدد الأول، ص ٤٠). ومنه موجز عنوانه

«التاريخ الصغير» (Ahlwardt: *Verzeichnis der Ar. Hdss. der Kgl. Bibliothek zu Berlin* برلين رقم ٩٩١٤). وللبخارى أيضا مجموعة فى الحديث عنوانها «الثلاثيات» (Ahlwardt المصدر السابق، من رقم ١٦٢٠ — ١٦٢١) و «تفسير القرآن» الذى لا يزال فى حاجة إلى دراسة دقيقة (انظر الغزيرى: Casiri: *Bibliotheca Arabico — Hispana*، رقم ١٢٥٥؛ Fagnan: مخطوط بالجزائر ٣٠١٦٨٨).

وينسب للبخارى كذلك «تنوير العينين برفع اليدين فى الصلاة» كلكتة ١٢٥٦ هـ (مع ترجمة أرديه) وهو عين «قرة العينين» على هامش «جد الكلام فى القراءة خلف الإمام» القاهرة ١٣٢٠ هـ، وهى تنسب إليه أيضاً ؟

المصـــــادر

(١) السبكى: طبقات الشافعية، جـ ٢، ص ٢ — ١٩ (٢) Wüstenfeld: *Geschichtsschreiber der Araber*، رقم ٦٢ (٣) المؤلف نفسه: *Schafiten*، رقم ٤٤ (٤) Krehl فى *Zeitschr. d. Deutsch Morgenl. Ges.* المجلد الرابع، ص ١ وما بعدها (٥) Goldziher: *Muhamedanische Studien*، ص ٢٣٤ — ٢٤٥ (٦) Brockelmann: *Gesch. d. arab Lit.*، جـ ١، ص ١٥٨.

[بروكلمان C. Brockelmann]

البخارى

مولده ونشأته:

هو أبو عبد الله محمد إبن اسماعيل إبن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى.

وكان بردزبه فارسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفى والى بخارى، فنسب إليه نسبة ولاء عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له، ولهذا قيل للبخارى الجعفى.

وكان مولد أبى عبد الله البخارى يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ببخارى. وهى من أعظم مدن ماوراء النهر، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام، وتوفى أبوه إسماعيل وهو صغير فنشأ يتيما فى حجر والدته.

وكان عبد الله نحيفا ليس بالطويل ولا بالقصير وكان قد ذهبت عيناه فى صغره فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى المنام فقال لها قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له، فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

بدء أمره:

حدث البخارى عن نفسه قال: ألهمت الحديث فى المكتب ولى عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من المكتب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلى وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس «سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم، فقلت له إن أبا الزبير

لم يرو عن إبراهيم ، فانتهرني ، فقلت له ارجع إلى الأصل إن كان عندك . فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لى ، كيف هو يا غلام قلت هو : الزبير بن عدى عن إبراهيم فأخذ القلم منى وأصلح كتابه وقال صدقت فقال بعض أصحاب البخارى له : ابن كم كنت ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة . ثم قال

فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ، يعنى أصحاب الرأى ، ثم خرجت مع أخى أحمد وأمى إلى مكة ، فلما حججت رجع أخى إلى بخارى فمات بها . وكان أخوه أسن منه ، وأقام هو بمكة لطلب الحديث . قال .

ولما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنفت التاريخ الكبير إذ ذاك عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة ، وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة ، الا أنى كرهت تطويل الكتاب .

فكان أول سماعه سنة خمس ومائتين ثم رحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده من سادة وقته ، فسمع ببلخ وسمع بمرو وسمع بنيسابور وبالرى وببغداد وسمع بالبصرة وبالكوفة وبمكة وبالمدينة وبواسط وبمصر وبدمشق وبقيسارية وبعسقلان وبحمص من خلائق يطول سردهم حتى أنه قال كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث

وحدث بالحجاز والعراق وخراسان وماوراء النهر وكتب عنه المحدثون وما فى وجهه شعرة .

قال محمد بن أبى حاتم وراق البخارى : ـــ حامد بن إسماعيل وآخر يقولان : كان البخارى يختلف معنا الى السماع وهو غلام فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أياما فكنا نقول له ، فقال إنكما أكثرتما على فاعرضا على ما كتبتما ، فأخرجنا اليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها على ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال أترون انى اختلف هدرا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا انه لا يتقدمه أحد .

قالا : فكان أهل المعرفة يعدون خلفه فى طلب الحديث وهو شــــاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه فى بعض الطريق فيجتمع اليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه . وكان شابا لم يخرج وجهه.

وقال البخارى . دخلت على الحميدى وأنا ابن ثمـانى عشرة سنة يعنى أول سنة حج ، فاذا بينه وبين آخر اختلاف فى حديث ، فلما بصر بى قال جاء من يفصل بيننا ، فعرضا على الخصومة فقضيت للحميدى وكان الحق معه .

وقال أيضا : قال لى محمد بن سلام البيكندى انظر فى كتبى فما وجدت فيها من إخطأ فاضرب عليه فقال له بعض أصحابه من هذا الفتى قال هذا الذى ليس مثله .

وكان محمد بن سلام المذكور يقول : كلما دخل على محمد بن إسماعيل تحيرت ولاأزال خائفا منه يعنى يخشى أن يخطىء بحضرته .

وقال محمد بن يعقوب الاخرم سمعت أصحابنا يقولون : لما قدم البخارى بنيسابور استقبله أربعة

آلاف رجل على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا سوى الرجالة.

قال البخارى : دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات واقمت بالحجاز ستة أعوام ولا أحصى كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين .

ثناء الائمة عليه :

قال قتيبة بن سعيد ، جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة وعنه ايضا انه قال : لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة ، لكان آية

وقال ايضا : لقد رحل الى من شرق الارض ومن غربها فما رحل الى مثل محمد بن إسماعيل . وقال رجاء بن رجاء الحافظ : فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء . وقال ايضا هو آية من آيات الله تمشى على الأرض .

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت منهم أجمع من محمد بن إسماعيل .

وقال أيضا : هو أعلمنا وافقهنا وأكثرنا طلبا .

وسئل عن حديث وقيل له إن البخارى صححه فقال : محمد بن إسماعيل ابصر منى وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به وما نهى عنه فى كتابه وعلى لسان نبيه ، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر فى أمثاله وعرف حلاله من حرامه .

وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقولون ، ما فى الدنيا مثل محمد بن إسماعيل فى المعرفة والصلاح ، ثم قال عبد الله ، وأنا اقول قولهم .

وقال موسى بن هارون الحمال الحافظ البغدادى عندى لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن اسماعيل لما قدروا عليه .

وقال إمام الائمة ابو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل وقال ابو عيسى الترمذى لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن اسماعيل البخارى وقال له مسلم : أشهد انه ليس فى الدنيا مثلك .

وروى الحاكم ابو عبد الله ان مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح جاء الى محمد بن اسماعيل البخارى فقبله بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل رجليك يا استاذ الاستاذين وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله .

شمائله :

كان رحمه الله غاية فى الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد فى دار الدنيا دار الفناء والرغبة فى دار البقاء .

وكان يقول أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا . ويشهد لهذا كلامه فى التجريح والتضعيف ، فان ابلغ ما يقول فى الرجل المتروك او الساقط : فيه نظر . اوسكتوا عنه . ولا يكاد يقول فلان كذاب .

وكان قليل الأكل جدا كثير الإحسان إلى الطلبة مفرطا فى الكرم

خبر من أخبار عن سعة حفظه وسيلان ذهنه

روى الحافظ بن حجر بسنده إلى الحافظ ابن عدى انه قال :

سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون إن محمد ابن اسماعيل البخارى قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا ، وأرادوا امتحان حفظه ، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، وأخذوا عليه الموعد للمجلس . فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين ؛ فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى لا أعرفه ، فمازال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ والبخارى يقول لا أعرفه ، وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون فهم الرجل ، ومن كان لم يدر القصة يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الحفظ ، ثم انتدب رجل من العشرة ايضا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال لا أعرفه ، فسأله عن آخر فقال لا أعرفه ، فلم يزل يلقى عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول لا أعرفه ، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة والبخارى لايزيدهم على «لاأعرفه» فلما علم انهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال : أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا وحديثك الثانى كذا وصوابه كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى إسناده وكل إسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ واذعنوا له بالفضل .

وهنا يقول الحافظ : هنا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة .

كتاب الجامع الصحيح :

أما كتابه الجامع الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله . وقد رتبه على أبواب الفقه فكان عدة كتبه سبعا وتسعين احتوت على قسم العبادات وقسم المعاملات وسيرة الرسول عليه السلام مع مغازيه ومعجزاته وما ورد منه المأثور فى تفسير آى الذكر الحكيم وغير ذلك من الكتب التى لا يسع المسلم جهلها . وقد روى من وجهين ثابتين عن البخارى انه قال : اخرجت هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله .

قال الفربرى : سمعت محمد بن إسماعيل يقول ما وضعت فى كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين .

وقال الحاكم أبو أحمد : رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام فانه ألف الأصول وبين للناس .

وكل من عمل بعده فانما أخذه من كتابه ، كسلم ، فرق أكثر كتابه فى كتابه ، وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إليه .

وقال أبو الحسن الدارقطنى الحافظ : لولا البخارى لما راح مسلم ولا جاء . يقصد الإمام مسلم بن الحجاج .

شرط البخارى فى صحيحه

قال الحافظ أبو الفضل بن طاهر : شرط البخارى أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلا غير مقطوع ، وإن كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن ، وإن لم يكن إلا راو واحد وصح الطريق إليه فكفى .

وقد التزم فيـــه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً ثم رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام .

أصل اليونينى :

وقد اعتنى الحافظ شرف الدين أبو الحسن على ابن شيخ الإسلام ومحدث الشام تقى الدين ابن محمد بن أبى الحسن أحمد بن عبد الله اليونينى الحنبلى رحمه الله تعالى بضبط رواية الجامع الصحيح وقابل أصله الموقوف بمدرسة اقبغا آص بسويقة العزى خارج باب زويلة من القاهرة المعزية بأصل مسموع على الحافظ أبى ذر الهروى ، وبأصل مسموع على الأصيلى ، وبأصل الحافظ مؤرخ الشام أبى القاسم بن عساكر ، وبأصل مسموع على أبى الوقت ، وذلك بحضرة سيبويه وقته الامام جمال الدين بن مالك بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة وقد بالغ رحمه الله فى ضبط ألفاظ الصحيح جامعا فيه روايات من ذكرناه راقماً عليه ما يدل على مراده .

ولقد أبدع فيما رقم، وأتقن فيما حرر وأحكم، ولقد عول الناس عليه فى روايات الجامع لمزيد اعتنائه وضبطه ومقابلته على الأصول المذكورة وكثرة ممارسته له حتى أن الحافظ شمس الدين الذهبى حكى عنه أنه قابله فى سنة واحدة إحدى عشرة مرة .

ولكونه ممن وصف بالمعرفة الكثيرة والحفظ التام للمتون والأسانيد كان الجمال بن مالك لما حضر عند المقابلة المذكورة إذا مر فى الألفاظ ما يتراءى أنه مخالف لقوانين العربية قال للشرف اليونينى هل الرواية فيه كذلك؟ فان أجاب بأنه منها شرع ابن مالك فى توجيهها حسب إمكانه .

نبأ وفاته :

ولما رجع إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهلها حتى لم يبق مذكور . ونثر عليه الدراهم والدنانير ، وبقى مدة يحدثهم ، فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلى نائب الخلافة العباسية يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به فى قصره ، فامتنع البخارى من ذلك . وقال لرسوله قل له أنا لا أذل

العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجة إلى شىء منه فليحضر إلى مسجدى أو دارى ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجلس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة ، أنى لا أكتم العلم . فحصلت بينهما وحشة ، فأمره الأمير بالخروج عن البلد فدعا عليه وكان مجاب الدعوة فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على خالد فى البلد ، فنودى على خالد على أتان ، وحبس إلى أن مات ، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتلى ببلاء شديد .

ولما خرج البخارى من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه إلى بلدهم فسار اليهم ، فلما كان بخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند ، بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة ، فقوم يريدون دخوله ، وآخرون يكرهونه ، وكان له أقرباء بها فنزل عندهم حتى ينجلى الأمر ، فأقام أياما فمرض حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها ، قال أرسلونى فقد ضعفت ، فأرسلوه ، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى ، فسال عرق كثير لا يوصف . وما سكن عنه العرق حتى أدرج فى أكفانه وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً .

المصـــــادر

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى الجزء الثانى.(٢) مقدمة فتح البارى للحافظ العسقلانى (٣) الجزء الأول من إرشاد السارى شرح صحيح البخارى للعلامة القسطلانى .

محمد فؤاد عبد الباقى

«البخارى» محمد بن عبدالباقى أبو المعالى علاء الدين المكى : مؤلف عربى كتب عام ٩٩١هـ (١٥٨٣م) رسالة فى محاسن الأحباش أخذ فيها عن رسالة السيوطى التى عنوانها «الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش» وعن غيره (انظر Ahlwardt : *Verzeichnis der* *Berlin* [redacted] *Hdss. der kgl. Bibliothek.* [redacted] رقم ٦١١٨ ؛ Pertsch : *Die arab. Hdss. der herzogl. Bibliothek* [redacted] *Gotha der Islam u. s. w. Hdss. der Universitäts-bibliothek zu Leipzig* ، رقـــم ٧٣٨ ؛ *Catalogus codd.* [redacted] *or. qui in Museo Brit. asserv. II codd. arab.* ، رقم ٣٢٣ و ١٢٦٨ ؛ Riéu : *Supplement to the Catalogue of the Arabic Mss. in the Brit. Mus.* ، رقم ١٢٦٨ ؛ *Bibliothecae Bodleianae codd. mss. or. cat.* ، [redacted] ١ ، ص ٦٥٩ ؛ فهرست دار الكتب المصرية ، جـ ٦ ، ص ٨١ ؟

المصـــــادر

(١) Flügel فى *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Ges.* ، جـ ٥ ، ص ٨١ ؛ جـ ١٦ ، ص ٦٩٦ — ٧٠٩ .

[بروكلمان C. Brockelmann]

« بختاورخان » خصى كان مقربا من الإمبراطور أورنك زيب الذى أمره على ثلاثة آلاف فارس وجعله كبير حجابه (ميرسامان) . وينسب إلى بختاورخان عادة كتاب « مرآت العالم » وهو تاريخ للعالم كتب باللغة الفارسية بيد أنه لا شك فى أن مؤلفه هو صديقه محمد بقا الذى حبب إليه بختاورخان الانضمام إلى بلاط أورنك زيب وكان سببا فى توليته منصبا من المناصب الهامة .

وتوفى بختاورخان عام ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥ م) ؟

المصـــــادر

(١) Elliot-Dowson : *History of India* ، جـ ٧ ، ص ١٥٠ (٢) Rieu : *Catalogue of Persian mss. in* [illegible] *British Museum* ، جـ ٣ ، ص ٨٩٠ وما بعدها .

« بختكان » أو بيجكان ويطلق عليها الآن عادة اسم «دريا نيريز» أكبر البحيرات الملحة فى إقليم فارس بإيران .

وقد عرف الإغريق بوجود بحيرات فى فارس (Koilé Persis) بعد عهد الإسكندر (اسـترابون ، جـ ١٥ ، ص ٣ ، ١٠٣) ويذكر جغرافيو العرب بصفة عامة خمس بحيرات لا تعرف أعيانها على وجه الدقة كما أن أسماءها وردت فى صيغ مختلفة . وهناك مصدر واحد قبل الإصطخرى أشار إلى بحيرة بختكان أو بحيرة جوباتان دون أن يذكر اسمها (انظر ابن خرداذبة ، ص ٥٣) .

ويذكر الإصطخرى البحيرات الآتية :

(١) بحـــيرة البختكان وتكتب فى المخطوطات عادة بجكان ، وهى فى كورة إصطخر .

(٢) بحيرة بدشت أرزن فى كورة سابور

(٣) بحيرة تَوَّز فى سابور عند كازَرون وقد ورد فى كتاباتها عدة روايات مختلفة .

(٤) بحيرة الجَنْكَان عند شيراز .

(٥) بحيرة الباسْفَهوية فى كورة إصطخر .

ويطلق الإصطخرى أيضا اسم بجفوز على بحيرة بختكان .

ويعطينا المقدسى الأسماء الآتية :

(١) البختكان وتسمى أيضا بجكان .

(٢) دَشْت أرزن .

(٣) كازرون .

(٤) الجنكان .

(٥) الباشفوية .

وأخيراً يروى لنا ياقوت ما يلى :

(١) البجكان .

(٢) دشتأوزن .

(٣) التوّز .

(٤) الجوذّان .

(٥) جَنْكان .

أما مصوراتنا الجغرافيـــة الحديثة فقد ورد فيها :

(١) بحيرة بختكان باسم نيريز .

(٢) بحيرة دشت أرجان الصغيرة بنفس الاسم .

(٣) بحيرة كازرون باسم درياچه شيرين أو فمور .

(٤) بحيرة شيراز باسم درياچه مهارلو .

وهناك بحيرة أخرى خامسة لم يذكرها الجغرافيون القدماء وهى ناحية الشمال فى إقليم سرحد چهار لانكه وتسمى درياچه كافتر . وباسفويه أو باشفوية أو باسّفويه فى رواية حمد الله مستوفى ماهو إلا اسم جزء من بحيرة بختكان وربما كان عين بجفوز .

وترجع كثرة الأسماء التى أطلقت على بحيرة بختكان إلى أنها تشمل عدة أجزاء يصل كل جزء بالآخر لسان ضيق . وقد تغيرت مساحة البحيرة تغيراً كبيرا ولذلك فربما تكون بعض أجزائها قد انفصلت وكونت فى بعض الأحيان بحارا قائمة بذاتها . ومن ثم يطلق اسم بجفوز وباسفوية أو جوبانان على جزئها الشمالى بينما يطلق اسم بختكان ونيريز على جزئها الجنوبى . ويطلق على الركن الشمالى الشرقى فى الوقت الحالى اسم بحيرة نرجيس .

والبحيرة هى حوض إقليم مقفل يصب فيه نهر كر أو « رود خانه بند أمير » الذى يتكون من ملتقى نهر « رودخانه كام فيروز » بنهر فرواب المعروف الآن بـ « پلوار » . والبحيرة ضحلة ماؤها آخذ فى النقصان . ويصل عمقها على مسيرة ربع ميل من الشاطىء مايوازى ركبة الرجل . ولذلك فان ماءها شديد الملوحة تتبخر منه كميات كبيرة ويحيط بالبحيرة فى موسم الجفاف نطاق من الملح .

وبختكان ليست بحيرة جبلية وإنما هى وسط بين البحيرة الجبلية والملاحات الصحراوية الكبيرة التى تكثر فى أواسط بلاد الفرس وتسمى « كوير » . وقد مسح البحيرة الكابتين ولز Capt. H. L. Wells .

المصـــــادر

(١) ابن خرداذبة ، طبعة ده غوى ، ص ٤٨ ، ٥٣ (٢) قدامة ، طبعة ده غوى ، ص ١٩٥ (٣) الإصطخرى ، طبعة ده غوى ، ص ١٢١ وما بعدها (٤) المقدسى ، طبعة [illegible] غوى ، ص ٤٥٥ (٥) ياقوت فى مادة بجكان (٦) B. Lov[illegible] : *Surveys [illegible] the road from shiraz [illegible]* فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ج ٤٢ ، ١٨٧٢ م ، ص ٢٠٢ وما بعدها (٧) H. L. Wells : *Surveying Tours [illegible] Southern Persia* فى المجلة السابقة ، ج ٥ ، ١٨٨٥ م ، ص ١٣٨ وما بعدها (٨) George N. Curzon : *Persia [illegible] Persian Question* ، ١٨٧٢ م ، انظر الفهرس (٩) G. le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، ص٦ ، ٢٧٧–٢٧٩ ، ٢٩٨ (١٠) نفس المؤلف : *Mesopotamia and Persia under the Mongols from [illegible] Nuzhat [illegible] Kulub of Hamd Allah Mustawfi* : *Asiatic Society Monographs* ، ج ٥ ، المصورات الجغرافية التى رسمها ميرزا سيد حسن

الشيرازى واعتمد فيها على المصور الجغرافى الخاص بأجزاء من الهند وبلاد فارس الذى أعده قسم حساب المثلثات بمساحة الهند بناء على رغبة الكولونيل روس Ross ، المقيم السياسى بالخليج الفارسى (١١) المصور الجغرافى الخاص ببلاد الفرس فى ثمانى ورقات ، وقد قام بعمله مكتب رسم سملا بمساحة الهند .

[هرزفلد E. Herzfeld]

« بخت نصر » خلط العرب فى اسم بختنصر بين نابو نصر Nabonassar [1] ونبوشادنزر Nebuchadnazzar [2] ، وقد اتبع بطلميوس هيبارخوس Hipparchus فاستعمل فى كتابه المجسطى التأريخ المسمى بتأريخ نابو نصر وهو يبدأ من عام ٧٤٧ قبل الميلاد ، ويعرف البيرونى والمسعودى هذا التاريخ (كتاب التنبيه والاشراف ، الترجمة الفرنسية ،ص٢٦٥) فالمسعودى يقارنه بالتأريخ الفارسى فيقول « بين تاريخ بختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وسبعون سنة فارسية وثلاثة أشهر » بينما يذهب البيرونى إلى أن بين تاريخ بختنصر الأول (نابونصر) وتاريخ بختنصر الثانى (نبوشادنزر) مائة وثلاث وأربعون سنة (الآثار الباقية ، ص١٣١ وانظر عن تاريخ نابونصر كتاب Paul Tennery: [illegible]rches sur [illegible] l' astronomie ancienne ، طبعة ١٨٩٣ ، ص ١٥٨ ، ١٦٢) ويذكر البيرونى أيضاً أن الصيغة الفارسية لاسم بختنصر هى « بخت نَرْسى » وقيل فى تفسيره إنه كثير البكاء والأنين أما الصيغة العربية له فهى بختنصر .

وقد شوّه المؤرخون المسلمون كثيراً قصة بختنصر الواردة فى الكتاب المقدس ، فهم يجعلونه مرزباناً على العراق يحكم باسم ملك الفرس حيث كانت دار مملكته بلخ (المسعودى مروج الذهب ، ج ١ ، ص١١٧) وبعد أن فتح بيت المقدس سجن الملك منسى Manasseh وجاء فى الكتاب المقدس أن الذى سجن هو صدقيا Zedekiah (الطبرى ، ترجمة زوتنبرج ، ج ١ ، ص ٤٩١) ويقول المسعودى إن عدة من سباهم بختنصر من بنى إسرائيل ثمانية عشر ألفاً وإنه أخذ التوراة وطرحها فى بئر ولما رجع بنو إسرائيل إلى بلادهم أخرجوا التوراة من البئر (مروج الذهب فى الموضع المذكور) وتزوج بختنصر عذراء من سبايا بنى إسرائيل يقال لها دينازاد — وفى رواية أخرى أن الذى تزوجها هو ملك فارس — فكانت سبب رد بنى إسرائيل الى بيت المقدس ، وهكذا

(١) نابونصر : ملك الكلدانيين ، ولى عرش بابل من عام ٧٤٧ إلى ٧٣٣ قبل الميلاد ويبدأ به تقويم بطلميوس .

(٢) نبوشادنزر : ولى عرش بابل من عام ٦٠٥ إلى ٥٦٢ قبل الميلاد وقد نشبت بينه وبين فرعون مصر «أمازيس» عدة حروب وهو الذى فتح بيت المقدس ، وتقول الروايات اليهودية أن نقمة الله حلت به فاختلط عقله وعاشر الوحوش أسبع سنين رد إليه عقله بعدها فعاد إلى عرشه .

حرف المسعودى قصة إشتر (ج ٢ ، ص ١٢٢) ولو أنه يقول إن هناك روايات عديدة فى هـذا الشأن . وغزا بختنصر بعد ذلك بيت المقدس مرتين وخربها مرتين . وما إن انتهى من حصاره الأول حتى أغار على مصر . وفى الروايات الفارسية التى أوردها الطبرى خبر النبى دانيال فى جب السباع ، ومسخ بختنصر حيواناً ؟

[كارا ده فو Carra de Vaux]

« بختى » : اسم شاعر السلطان أحمد الأول (انظر Gibb : *History of Ottoman Poetry* ، ج ٣ ، ص ٢٠٨) ؟

« بختيار خلجى » (انظر « محمد بختيار خلجى ») ؟

« بختيار » : أبو منصور عز الدولة ابن معز الدولة البويهى . ولد عام ٣٣١ هـ الموافق ٩٤٢-٩٤٣ م ، وخلف أباه المتوفى عام ٣٥٦ هـ الموافق ٩٦٧ م على حكم البلاد التى فتحها . ولم يكن عهده زاهراً لانغماسه فى الملذات ، ولم يتميز بختيار إلا بقوته البدنية الهائلة .

وما كاد بختيار يجلس على عرشه حتى تنازع مع سبكتكين وانتصر عليه بمعاونة ابن عمه الواسع الأطماع عضد الدولة . ولما استولى عضد الدولة على بغداد عام ٣٦٤ هـ الموافق ٩٧٥ م زج ببختيار فى السجن ثم أمر ركن الدولة ولده عضد الدولة بالارتداد إلى فارس فترك لبختيار المنطقة التى تلى العراق . وبعد وفاة ركن الدولة عام ٣٦٦ هـ الموافق عام ٩٧٦ م زحف عضد الدولة ثانية على أملاك بختيار وهزمه عند الأهواز واضطره إلى إخلاء العراق وتسليم وزيره ابن بقية (انظر هذه المادة) لما عرف عنه من العداوة لعضد الدولة . وأمد عضد الدولة بختيار نظير هذا بما يحتاج إليه من مال وسلاح فقصد هذا إلى الشام وفى طريقه أغراه حمدان بالذهاب إلى الموصل ولكنه قبض على حمدان فطلب إليه أخوه تغلب صاحب الموصل كلها أن يسلمه إليه واعداً إياه بإعادته إلى ملكه فى بغداد فسمع بذلك عضد الدولة وتقدم نحوه وأرغم جيوشه على الفرار بالقرب من تكريت وأسر بختيار وأمر بقتله عام ٣٦٧ هـ الموافق عام ٩٧٨ م ؟

المصـــــادر

(١) ابن خلكان ، طبعة القاهرة عام ١٢٩٩ هـ ، ج ١ ، ص ١٥٤ (٢) ابن الأثير: طبعة تورنبرج ، ج ٨ ، ص ٤٢٥ وما بعدها .

« بختيار نامه » ويعرف باسم تاريخ الوزراء العشرة ، وهو كتاب إسلامى كتب

على نسق قصة السندباد أو قصة الوزراء السبعة الهندية الأصل. وهذا الكتاب كالأصل الذى أخذ عنه عبارة عن قصة نسج حولها عدة قصص أخرى وثيقة الصلة بالقصة الأصلية.

وموضوع هذه القصة هو بالاختصار كما يلى: ترك والدا الملك «آزادبخت» ولدهما أثناء فرارهما بعيد ولادته، فعثر عليه اللصوص وقاموا بتربيته، ثم وقع أسيراً فى قبضة الملك هو وأولئك اللصوص، وسر الملك به وألحقه بخدمته وسماه «بختيار»؛ وأثار تقدمه فى مناصب الدولة حسد الوزراء فوشوا به عند الملك فزج به مع الملكة فى السجن. وأرادت الملكة أن تخلص نفسها فزعمت أن بختيار أراد إغواءها وحاول الوزراء العشرة كل بدوره تحريض الملك على قتل بختيار عشرة أيام كاملة. ولكن بختيار كان يسعى دائما إلى إرجاء قتله بأن يروى لهم من القصص ما يبرر به غرضه. وأخيراً حل اليوم الحادى عشر المحدد لقتل بختيار، فمثل كبير اللصوص الذين ربوه بين يدى الملك وأثبت له أن بختيار هو ابنه. وبذلك قتل الوزراء وتنازل الملك عن العرش لابنه بختيار.

وتوجد نسخ من هذه القصة باللغات الفارسية والأويغورية والعربية والملاوية ونسخة حديثة بلغة الفلبيحى.

وقد كتبت القصة فى الأصل باللغة الفارسية، ويظهر أن أقدم نسخة فارسية فى أيدينا كتبت عام ٦٠٠هـ. والنسخة الأويغورية التى بقى منها مخطوط كتب عام ٨٣٨هـ. هو كذلك النسخ العربية بما فيها النسخة التى وردت فى ألف ليلة وليلة كثيرة الشبه بتلك النسخة الفارسية. وهناك اقتباس فارسى لهذه القصة عثر عليه فى الهند وطبعه أوسلى Ouseley كما نظمت هذه القصة شعراً فى الهند أيضاً عام ١٢١٠هـ على طريقة المثنوى. والنسخة الملاوية مأخوذة هى الأخرى عن هذه النسخة الفارسية المتأخرة؟

المصـــادر

(١) Chauvin: *Bibliographie des ouvrages arabes* ج ٨، ص ١٣—١٧، ٧٨—٨٩
(٢) *Contes arabes, [illegible] des dix visirs* (بختيار نامه) ترجمة باسيه Basset عام ١٨٨٣
(٣) Nöldeke فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesell.* ص ٤٥، ٩٧—١٤٣
(٤) Ethé فى *Grundriss der iranischen Philol.* ج ٢، ص ٣٢٣ — ٣٢٥
(٥) G. Kn[illegible]: *[illegible] decemvezirorum et filii Regis Azad [illegible]*، النص فى عام ١٨٠٧، والترجمة اللاتينية فى عام ١٨١٥
(٦) ألف ليلة وليلة، طبعة برسلاو Breslau، ج ٦، ص ١٩١ وما بعدها
(٧) *[illegible] Bakhtiyar nameh or story of [illegible] Bakhtyar and [illegible] ten Visiers* عن مخطوط ضمن مجموعة السير أوسلى W. Ouseley عام ١٨٠١، وقد طبع

كلوستون W. A. Clouston الترجمة طبعة جديدة عام ١٨٨٣ .

[هوروفتز J. Horovitz]

« بختيارى » أم قبائل لرستان . وهى من أصل إيرانى : بعضها رحل وبعضها مقيم . وهى تسكن الجبال جنوبى فارس بين بروجرد وجهار محل ناحية الشرق ، وقنن الجبال المشرفة على دزفل كما تسكن شستر ورام هرمز ناحية الغرب ونهر دزفل ناحية الشمال ثم بقعة ضيقة من الأرض ممتدة من ده — ير إلى قمشه ناحية الجنوب (Layard فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية بلندن ، المجلد ١٥ ، ص ٦ وما بعدها) .

وينقسم البختيارى الى قسمين كبيرين هما الهفت لنك وجهار لنك . ويظهر أن قبيلة بندونى ليست منهما . والبختيـارى متوسطو الطول أقوياء البـــدن سمر الوجوه محدبو الانوف وشعرهم طويل (انظر Khanikoff : Memoire sur l'Ethnographie de la Perse ص ١٠٨) ويزعم المامسنى (وهذا الاسم مشتق من محمد حسينى) الذين يقطنون ناحية قلعة سفيد أنهم من أرومة قديمة وأنهم نسل رستم بل إن إحدى قبائلهم تحمل اسم رستم . وقد زحفوا إلى طهران فقويت بهم الثورة الفارسية التى شبت عام ١٩٠٩ (انظر أنجمن) .

المصـــادر

(١) Fr. Spiegel : Eranische Alterthumskunde ، ج ١ ، ص ٣٥٣ (٢) Revue du Monde Musulman ، ج ٨ ، ١٩٠٩ م ، ص ٤٨٠ (٣) E. G. Browne : The Persian Revolution ، كمبردج ١٩١٠ م ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٨ — ٣٠٦ .

[هيوار Cl. Huart]

« بختيشوع » أسرة من الأطباء أصلها شآمى وموطنها جنديسابور : وقد اشتهر جورجيس بن بختيشوع بالتصنيف فى الطب ورأس بيمارستان جنديسابور . وحدث أن الخليفة المنصور شكا من ضعف فى معدته فاستدعى جورجيس إلى بغداد عام ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) ليقوم بتطبيبه ، ووصف له دواء كان فيه شفاؤه فاستحوذ على ثقته وحمله الخليفة على البقاء فى بغداد . وفى عام ١٥٢ هـ (٧٦٩م) مرض جورجيس ورغب أن يموت فى بلده فسمح له المنصور بالرحيل وشيعه بالحفاوة والاكرام .

وكان جورجيس قد أناب ابنه بختيشوع فى رياسة بيمارستان جنديسابور عند ما دعى إلى بغداد ، فلما مرض الهادى فى خلافة أبيه المهدى بعث الخليفة فى طلب بختيشوع فحضر إلى بغداد . وقام بتطبيبه حتى شفى على يديه غير أن الخيزران أم الهادى نصرت طبيبها أبا قريش على بختيشوع فسمح له الخليفة

بالعودة إلى جنديسابور دفعا لاشتعال نار الغيرة بينهما .

وفى عام ١٧١ هـ شكا هارون من ألم شديد فى رأسه فاستقدم بختيشوع ثانية إلى بغداد وجعله كبير أطبائه . وتوفى بختيشوع حوالى عام ١٨٥ هـ (٨٠١ م) .

وأوصى بختيشوع جعفر بن يحيى البرمكى بابنه جبرائيل عند ما كان يقوم بتطبيبه عام ١٧٥هـ (٧٩١ م) ، ونجح جبرائيل فى شفاء جارية يعزها الرشيد من فالج أصابها فنال رضا الخليفة وعينه طبيبا خاصا له عام ١٩٠هـ (٨٠٥ م) .

ومرض هارون مرضه الأخير بطوس فى فارس ، وكان جبرائيل صريحا فى أدائه لواجبه نحوه، غير أن هذه الصراحة أسخطت عليه الخليفة فاستشار أسقفا وزاد هذا الأسقف فى تحريضه على جبرائيل فأمر بقتله. وعمد الوزير الفضل إلى خلاص جبرائيل ، وعينه الأمين ثانية طبيبا للبلاط . ولما خلع المأمون أخاه الأمين سجن هذا الطبيب ولم يطلق سراحه إلا عام ٢٠٢ هـ (٨١٧ م) عند ما احتاج الوزير الحسن بن سهل إلى خدماته ، وحل به السخط ثانية بعد ثلاثة أعوام وخلفه زوج ابنته ميخائيل . وعجز ميخائيل عام ٢١٢هـ (٨٢٧ م) عن أن يشفى المأمون من مرض ألم به، فاستدعى الخليفة جبرائيل وشفى على يديه وأعاده ثانية إلى منصبه . بيد أنه لم يعش طويلا لينعم برضا مولاه ويستمتع بأملاكه التى كانت مصادرة من قبل ، ومات فى السنة التالية ودفن بدير سرجيوس فى المدائن . وخلفه ابنه بختيشوع الذى صحب المأمون فى حملاته بآسية الصغرى. وسعى به منافسوه فى عهد الواثق فنفى إلى جنديسابور . غير أنه استدعى ثانية عندما مرض الواثق مرضه الأخير فوصل إلى بغداد بعد وفاته ، وظل يزاول صناعته أثنتى عشرة سنة فى عهد الواثق واكتسب تقدير الجميع إلا أنه نفى إلى البحرين . وتوفى بختيشوع عام ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) . وكان ابنه عبد الله قائما على خزائن المتوكل الذى صادر ممتلكاته عند وفاته . وتزوجت أرملته عندئذ أحد الأطباء وقام هذا الطبيب بتعليم ابنها جبرائيل صناعة أجداده . إلا أن جبرائيل لم يتعلم سر هذه الصناعة إلا فى بغداد ، وكان قد نزح إليها عقب وفاة أمه مباشرة وامتناع زوج أمه عن أن يعطيه نصيبه فى الميراث . وحدث أن شفى مبعوث من كرمان على يديه فذاع صيته فى بلاد فارس واستدعاه عضد الدولة إلى شيرازه وعاد بعد ذلك إلى بغداد ولم يبارحها إلا لماما وذلك عندما كان يستدعيه أمراء البلاد المختلفة لاستشارته . وقد دعاه العزيز الفاطمى إلى الإقامة بالقاهرة فأبى . واستجاب لرغبة عميد الدولة أبى منصور المروانى وذهب إلى ميافارقين غير أن هذا الأمير لم يسمح له بالعودة . وتوفى بهذا البلد فى ٨ رجب من عام ٣٩٦ م ١٢ (أبريل من عام ١٠٠٥ م).

وكان ابنه أبو سعيد عبيد الله يعيش أيضاً بميافارقين، وهو صديق ابن بطلان. وتوفى أبو سعيد هذا فى خلال السنين العشر السادسة من القرن الخامس الهجرى.

وقد وصلت إلينا مؤلفات أبى سعيد فى حين أن مؤلفات أسلافه قد ضاعت جميعا. وأهم مؤلف له هو «تذكرة الحاضر وزاد المسافر» ويوجد مقتطفات منه بعنوان «الروضة الطبية فى الفنون الأدبية» فى مكتبة جوتا (انظر Pertsch : *Die arab. Hss. der herzogl.* [redacted]، رقم ٢٠٢٤) وباريس (انظر de Slane : *Catalogue des Mss. ar.*، رقم ٣٠٢٨، ٢) ولندن (*Catalogus codd. codd. or. qui in Mus. Brit. ass. arab.*، جـ ٢، رقم ٩٨٤، ٤) والإسكوريال (غزيرى *Bibliotheca Arabico-Hispana*، رقم ١٨٨٤، ١). وهو يتحدث فى خمسين فصلا عن كثير من المصطلحات الفلسفية الواردة فى كتب الطب. ولم يبق من كتابه المسمى «كتاب الخواص بجرب المنافع» إلا الجزء الخاص بمنافع الحيوان وهو موجود فى باريس (انظر De Slane، الكتاب السابق، رقم ٢٧٨٢) ولندن (انظر Rieu : *Supplement to the Catalogue of the Arabic Mss. in the Brit. Museum*، رقم ٧٧٨).

ولدينا له أيضاً رسالة يتحدث فيها عن العشق كمرض عنوانها «كتاب العشق مرضاً» (انظر *Catalogus codd. orient. Biblio-* [redacted] *Academiae Lugduno - Batavae*، رقم ١٣٣٢)؟

المصـــــادر

(١) ابن النديم: كتاب الفهرست، ص ٢٩٦ (٢) ابن أبى أصيبعة، طبعة A. Müller، ص ١٢٢—١٤٨ (٣) ابن القفطى، طبعة ليبرت J. Lippert، ص١٥٨—١٦٠، ١٠٠—١٠١، ١٣٢—١٤٦، ١٠٢—١٠٤، ١٤٦—١٥١ (٤) Wüstenfeld : *Gesch. der arab. Ärzte und Naturforscher*، ص ١٤—١٨ (٥) Leclerc : *Hist. de la médecine arabe*، جـ ١، ص ٣٧١ (٦) Brockelmann : *Gesch. der arab. Litter.*، جـ ١، ص ٢٣٦، ٤٨٣.

[C. Brockelmann بروكلمان]

«بخراء» اسم موضع كثيراً ما حُرِّف فى الكتب والمخطوطات، ولهذا يجب أن نضع مكان بحر وبحراء أو بجراء كلمة بَخْرَاء لأن الأخباريين قالوا إنها مشتقة من بَخَرَ ومعناها نتن الفم أو الرائحة. والبخراء حصن قديم عند شجر الليمون يحمى الحدود الجنوبية لتدمر وقد احتله فيما بعد النعمان بن بشير. وفى هذا الموضع قتل الخليفة الوليد بن يزيد أثناء فراره من الثوار الذين كانوا يطاردونه.

وتؤدى رواية ياقوت الخاطئة بالباحث إلى أن يفتش عن البخراء على حدود العراق والحجاز والشام ولكن هذا لا يتفق مع

الدراسة الطبوغرافية للروايات المختلفة عن الطريق الذى سلكه الوليد فى فراره. ويضع غيره البخراء بجوار دمشق وحمص أو على بعد أميال قليلة من تدمر، وهذا أيضاً ليس من الصواب فى شىء فإن المكتشفين المحدثين قد عثروا على البخراء بين أطلال حصن قديم على مسيرة أربع ساعات جنوبى تدمر، وهذا يدحض ما ذهب إليه المتقدمون ؟

المصـــــادر

(١) الأغانى: جـ ٤، ص ١٤٣، ١٤٨؛ جـ ٦، ص ١٣٥ ومابعدها (٢) الطبرى ١ جـ ٢، ١٧٩٦ (٣) المسعودى، التنبيه: طبعة دهغوى، ص ٤١٩ (٤) ياقوت، جـ ١، ص ١٥٨، ٥٢٣؛ جـ ٣، ص ٨٠٥؛ جـ ٤، ص ١٧٣ (٥) Wellhausen: *Das arab. Reich*، ص ٢١٩، ٢٢٢ (٦) *Zeitschr. d. deutschen Palästina-Vereins* جـ ٢٢، ص ١٤٨، جـ ٢٣، ص ١١٦ (٧) B. Moritz: *Topogr. der. Palmyrene*، انظر الخريطة.

[H. Lammens لامنس]

« بخشى » كلمة يحتمل أن تكون مأخوذة من الكلمة السنسكريتية بهكشو Bhikshu، وقد ظهرت فى اللغة التركية الشرقية وفى لغة الفرس فى العهد المغلى، وهى تدل أولا على كهنة بوذا وهى بهذا المعنى تقابل الكلمة الصينية هوشانغ Hoshang والتبتيــة لاما Lama والأويغورية توابن Toin. وكان الكتاب من الترك الذين كان يناط بهم كتابة الوثائق الخاصة بالسكان من المغل والأتراك بالخط الأويغورى يعرفون بالبخشى ويقول بابر (طبعة بفردج Beveridge، ص ١٠٨ ب) إن بخشى كانت تطلق أيضا على الجرّاح [illegible] المغل. وكان البخشى فى دولة المغل الهندية موظفاً كبير المنصب عليه الكتابة والتسجيل فى الكتيبة من الجند وعليه أن يدفع لأفرادها أعطياتهم. وتدل هذه الكلمة فى الوقت الحاضر عند القالموق والمغل والمانشو على منصب دينى رفيع وبين القرغيز (وتنطق بقسى أو بقسا) على العرافين والسحرة الذين يعالجون المرضى بالشعوذة وبين التركمان على المغنين (والبقسى عند القرغيز يصحب كلامه بأنغام آلة موسيقية يعزف عليها واسمها « القبز ») ؟

المصـــــادر

(١) رشيد الدين: *Histoire des Mongols de la Perse*، نشره كاترمير Quatremère، باريس ١٨٣٦، ص ١٨٤ وما بعدها (٢) W. Radloff: *[illegible] der Volkslitteratur der [illegible] Stämme Süd-Sibiriens*، المجلد الثالث، المتن، ص ٤٦ وما بعدها (شعوذة البقسى) (٣) A. Diwajew: *Iz oblasti kirgizskish verovanij Baksy, [illegible] lekar i [illegible]*، قازان ومعه رسوم، ١٨٩٩ م وانظر فيما يختص بالمغنين عنـــد التركمان (٤) .A

Samojlovič في *Journal Shivaja Starina* عام ١٩٠٧ ، ص ٤ .

[بارتلد W. Barthold]

« بخشيش » : اسم فعل من «بخشيدن» بمعنى أعطى . يطلق هذا الاسم فى فارس على الهبة التى يعطيها الرجل لمن هو دونه ، بينما تسمى الهبة التى يقدمها شخص إلى من هو أسمى منه « بشكش » أما الهدايا التى يتبادلها الند مع الند فتسمى « تعارف » . ومن ثم أصبحت كلمة « بخشيش » تدل على الهبات التى يقدمها الأجانب والمسافرون، كما أنها تطلق خطأ على أى شىء يعرض للمساومة وعلى رسوم الحاكم، كما تطلق على المال الذى يرشى به القاضى أو أى موظف من الموظفين . ويطلق الفرس على هذه الأرباح غير الشرعيـــة من قبيل التلطيف اسم « تداخل » ؟

المصـــادر

(١) Pardoe : *The City of the* [redacted] *Sultan* ، ج ٢ ، ص ٤ (٢) Edw.G.Browne : *A year amongst* [redacted] *Persians* ، ص ٦٨ .

[هيوار Cl. Huart]

« بدّ » : كلمة بد أو بده لها معانى مختلفة . فهى تطلق على معبد الأصنام أو على بوذا نفسه أو على الأصنام التى لا يلزم أن تكون على هيئة بوذا .

والكلمة معناها معابد الأصنام ، وشاهد ذلك الفقرة الواردة فى كتاب «عجائب الهند» (*Les Merveilles de l'Inde* ، نشره وترجمه Marcel Devic ، ص ٥) التى جاء فيها أنه يوجد بمدينة فى جزيرة سيلان ستمائة بد كبير . ولا ترد بد فى هذا المعنى إلا نادرا .

وتأتى كلمة بد أو بده أحيانا بمعنى بوذا فى كتب بعض المؤلفين أمثـال المسعودى والبيرونى والشهرستانى . فيقول المسعودى عند كلامه على معبد ملتان المعروف ببيت الذهب « وما فى بيت الذهب الذى بأعالى أرض الهنـد ومشارقها وهو الذى دخـله الإسكندر الملك من حساب ظهور البد الأول بأرضهم وتاريخه أن ذلك اثنا عشر ألف ألف عام مضروبة فى ستة وثلاثين ألف عام» (كتاب التنبيـه ، *Livre de l'avertissement* ترجمة كارا ده فو ، ص ٢٠١ ؛ البيرونى : تاريخ الهند ترجمة سخاو Sachau ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، ج ٢ ، ص ١٨) . ويعرف البيرونى عن البرهمية الشىء الكثير فى حين أنه لا يعرف عن البوذية إلا القليل . أما الشهرستانى فهو على النقيض من ذلك ، إذ أن ما كتبه عن البوذية له بعض الأهمية . وهو يعرّف البد بأنه شخص فى هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت . ومن الواضح أن هذا التعريف يقصد به

البوذا المتجسد أو الحى .

ويشير الشهرستانى (طبعة كيرتن، ص٤١٦) بصفة غير مباشرة إلى المذهب القائل بتعاقب البددة ، لأنه يقول إن أول بد ظهر فى العالم اسمه « شاكين »[1] (الصيغة العربية لـ « سكياموني ») ومن وقت ظهوره إلى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة . وقد عرف هذا المؤرخ أيضاً البوذيستفا Bodhisattvas ، وهو يقول : ودون مرتبة البد مرتبة البودسعية[2] ومعناه الإنسان الطالب فى سبيل الحق . وإنما يصل إلى تلك المرتبة بالصبر والتخلى عن الدنيا وبالرغبة فيما يجب أن يرغب فيه والرحمة على جميع الخلق، وباستكمال عشرة خصال واجتناب عشرة ذنوب أهمها : قتل كل ذى روح والزنى والكذب والبذاء والشتم والنميمة .

والبددة تظهر فى أجناس شتى . والبوذيون يقولون بخلود العالم ويعتقدون بالحساب فى عالم آخر . وهذا هو كل ما يعرفه الكتاب المسلمون عن البوذية .

ويذهب الشهرستانى إلى أن انتشار هذا الدين بالهند يعود إلى مناخها وكثرة من فيها من أهل الرياضة والاجتهاد .

ويطلق العرب اسم بوذا سب على صاحب مذهب الصابئة فى زعم الأساطير . ويقال إنه بشّر الفرس بهذا الدين فى عهد طهمورث وكانوا قبل ذلك على رأى الحنفاء . واسم بوتاسب ، هو تصحيف « بوتاست » موجود فى الإيرانية (بندهش، ٢٨) وهو ليس مركباً مباشرة من كلمة بوذا بقدر ما هو مركب من كلمة « بوذيستفا » . (الأبستاق، ترجمة دارمستتر جـ ٢ ، ص ٢٥٩ . جـ ٣ ، ص ٤٧ . المسعودى : كتاب التنبيه ، ترجمة كارا ده فو ، ص ١٣٠) .

وتستعمل كلمة بد كثيراً بمعنى صنم . ومن قبيل ذلك ما ذهب إليه صاحب كتاب مختصر العجائب من أن أهم ما يتميز به دين أهل الهند هو عبادة البد . ويطلق كتاب «سلسلة التواريخ» (ص ١٣٤—١٣٥) اسم بد أو بدده على صنم يعبده الناس فى ناحية من نواحى الهند وتقدم إليه النساء العاهرات. والمسلمون يعرفون حق المعرفة صنم السومنات حاضرة أرض اللار .

ويشير السعدى (بستان ، ترجمة باربييه ده مينار ، ص ٣٣٤) إلى هذا الصنم عند قوله بأنه فاجأ الكاهن وهو يجذب الحبل الذى يحرك ذراعى الصنم . ومع ذلك فمن الواضح أن هذه القصة ما هى إلا أسطورة من الأساطير .

ويصف الدمشقى بالتفصيل صنم السومنات (كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، طبعة مهرن ، ص ١٧٠—١٧١) . ويبيّن أن هذا الصنم من عقائد دين سيفا[3]. وهو يطلق

---

(١) ورد « شاكين » فى الملل والنحل للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم طبعة القاهرة عام ١٣٤٧هـ.

(٢) وردت « البرديسية » فى الملل والنحل للشهرستانى على هامش الفصل لابن حزم طبعة القاهرة عام ١٣٤٧هـ

(١) سيفا : اسم الاله الثالث فى الثالوث الهندوسى، وهو يمثل فكرة التدمير .

اسم «البد» على الصنم الذى تعبده الهنود ويقول إنه عبارة عن حجر صورته إحليل إنسان وفرج امرأة ، مقلد بالأحجار الشريفة وقائم على كرسى يسع عشرة رجال. والكرسى على مقعد ذى تسع درج وعلى كل درجة من الأصنام ما قد ملأها على صورة الرجال . ثم يوضع قدام هذه الأصنام أطباق من طعام شديد الحرارة فيرتفع منها بخار تغتذى منه روحانيات البد والأصنام كما أن فى هذا البخار غذاء لأرواح موتى الهنود اللائذين بالبد بعد موتهم ؟

[كارا ده فو Carra de vaux]

ا**لـ «بداء»** : لغة الظهور ، أما فى علم الكلام فمعناها حدوث أحوال جديدة ينشأ عنها تعديل فى الإدارة الإلهية السابقة . [وقد جعل «دوزى» Dozy لهذا اللفظ مدلولا واسعا جدا فى مقاله الموسوم «*Essaie sur l' Histoire* [illegible] *l' Islamisme*» ص٢٢٣ وترجمه إلى الفرنسية «mutabilité [illegible] Dieu» وميز الشهرستانى ثلاثة أنواع من البداء[١] (طبعة كيورتن ، ص ١١٠) وذلك حسبما تتصل هذه الكلمة بالعلم أو الإرادة أو الأمر.

وأهل السنة يخالفون الشيعة فى هذه المسألة كل المخالفة . وتتناول كتب الشيعة فى العقائد الكلام عن جواز البداء فى باب «العلم الإلهى» دائما ، وإن كانوا لم يصطلحوا فيه على قول واحد .

والبداء فى معناه الواسع الذى يشتمل على القول بتغاير الإرادة الإلهية من تعاليم البدائية وحدهم ، وهم طائفة من غلاة الشيعة . أما الإمامية وهم من معتدلى الشيعة فيحرصون على استثناء علم الله من جواز التغاير فيه أو يعبرون عن ذلك على الأقل فى قول رقيق . ويذهب البدائية مذهب هشام بن الحكم (انظر هذه المادة) وهو من متكلمى الشيعة ، فى القول بأن علم الله لا يتعلق إلا بالموجود ، وأنه لا يعلم شيئا حتى يكون[١] . وهذا القول

---

(١) يقول الشهرستانى فى بيانه عن مذهب المختار بن أبى عبيد : «فمن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى ؟ والبداء له معان : البداء فى العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم . ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد ، والبداء فى الارادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة فى الأوقات المختلفة متناسخة ، وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال إما بوحى يوحى إليه وإما برسالة من قبل الامام فكان إذا وعد أصحابه بكون شىء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم» طبعة القاهرة ، ١٣٤٧ هـ على هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ١ ، ص١٥٣ ، .

اللجنة

(١) كان هشام بن الحكم يقول «إن علم الله تعالى محدث وأنه لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث لنفسه علما وهذا كفر صريح» انظر كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، الطبعة الأولى جـ ، ص ١٣٩ .

اللجنة

يستتبع الجهل بالأشياء قبل وقوعها (انظر البغدادى : الفرق بين الفرق ، طبعة محمد بدر ، القاهرة ، ١٣١٨ هـ ، ١٩١٠ م ، ص ٤٩) .

وهذا الموضوع من المسائل الدقيقة التى تعالجها فى العصر الحديث الفلسفة الدينية للفرقة الشيعية المعروفة باسم الشيخية (انظر مجلة العالم الإسلامى *Revue du Monde Musulman* ، ١٩١٠ ، ج ١١ ، ص ٤٣٥—٤٣٨) والأخذ بهذا الرأى يفسح المجال للقول بأن علم الله يتأثر بحدوث أشياء جديدة وأنه [جل جلاله] يغير إرادته الثابتة .

ويتفق المؤرخون المسلمون الذين كتبوا عن الشيعة على أن المختار [بن أبى عبيد] (انظر هذه المادة) هو أول من قال بالبداء ؛ ثم أصبح هذا القول من بعده من أركان عقيدة الكيسانية (انظر البغدادى : المصدر المذكور ص ٣٩ ؛ وكذلك ما كتب عن أحمد ابن يحيى بن المرتضى فى : *Die* : M. Horten : *philos. Probleme der spekulat. Theologie in Islam* ، طبعة بون ، ١٩١٠ م ، ص ١٢٤) .

ويقال أحيانا إن عبد الله بن نوف هو أول من قال بالبداء (انظر : Wellhausen : *Die religiös — politischen oppositions-partien im alten Islam* ، ص ٨٨ ، س ١٢) .

وكان المختار قد تهيأ لقتال جيوش مصعب ابن الزبير التى كانت تفوق جيشه فى العدد ، وذلك فى الموقعة التى كان من شأنها أن تعين مصيرعمله ، وزعم المختار [أو عبدالله بن نوف] أن الله أنزل عليه الوحى يعده بالنصر . ولكنه منى بالهزيمة التى أظهرت فساد تلك المعجزة الكاذبة . فلما سئل فى ذلك قال المختار (أو عبد الله بن نوف) : «إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك ، ولكنه بدا له» ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى «يمحو الله ما يشاء ويثبت» [سورة الرعد ، الآية ٣٩] .

وبعد أن لحقت الهزيمة بالشيعة أصبحوا يقبلون هذا القول كتفسير معقول لما أصاب آمالهم من خيبة، ولعدم تحقق نبوءة النصر التى تنبأ بها إمامهم المهزوم . وكانت إرادة الله تقتضى أن يكون الفرج والنصر من نصيب الإمام الشرعى فى وقت معين ولكن بدا له أن يغير مشيئته لمصلحة ما . واستطاعت الشيعة بفضل هذه القاعدة نفسها تعليل التغير الذى لحق التتابع الشرعى للأئمة المنصوص عليهم والذين عينهم الله منذ الأزل ، وذلك عندما تولى الإمامة موسى الكاظم بعد وفاة جعفر الصادق بدلا من أن يتولاها أخوه إسماعيل المنصوص عليه ، وبهذا كان موسى هو الإمام السابع . وينسبون إلى جعفر أنه قال «ما بدا لله كما بدا فى إسماعيل ابنى» . ولكن كثيرا من علماء الشيعة يرون أن تطبيق البداء فى هذا الموضوع قابل للتجريح ، فغيّر قول جعفر بأن وضعت كلمة «أبى» مكان كلمة «ابنى» وأصبح البداء فى هذا الوضع لا يشير إلى

الابن وإنما يشير إلى جد الإمام « إسماعيل ابن إبراهيم » وهو الذبيح الذى أمر الله إبراهيم بذبحه ثم أعفاه منه .

وأهم الحجج التى يسوقها الشيعة لتأييد البداء هى : —

(ا) الآية ٣٩(١) من سورة الرعد وآخر الآية ١١(٢) من سورة إبراهيم . والآية ٢٩ من سورة الرحمن (٣) . وكذلك ما ورد فى الآية ١٥٣ من سورة الأعراف وهو قوله [تعالى] « والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » ويسوقون فى هذا المقام أيضاً حديث قوم يونس الذين عند ما آمنوا كشف الله عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعهم إلى حين [سورة يونس ، الآية ٩٨] ، وكذلك قصة إبراهيم وإعفاء الله له من أمره السابق بذبح ابنه [سورة الصافات ، الآيات ١٠١ — ١٠٧] وإطالة وعد الله لموسى من ثلاثين ليلة إلى أربعين [سورة الأعراف : الآية ١٤٢] .

(ب) ومن حججهم أيضا أحاديث تقرر أن العمل الصالح ومزاولة بعض الفضائل كتكريم الوالدين مثلا قد يطيل فسحة الأجل المكتوب ويغير القضاء المبرم ، وكذلك دعاء عمر « اللهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا ، فامح اللهم شقاوتى وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا » [ابن قتيبة تأويل مختلف الحديث ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، ص ٧] .

(حـ) ومن حججهم كذلك طائفة من قصص الصالحين يظهر منها أن إرضاء الله بالعمل قد يغير ما كتب على الإنسان من شقاء .

(ى) ويسوقون أخيرا فى تأييد ذلك : القول بالنسخ وهو من عقائد أهل السنة أيضا .

وإذا كانت عقائد الشيعة قد تأثر معظمها بآراء المعتزلة فإنا نجد أن ركنا من أركان الاعتزال وثيق الصلة بالبداء ، ذلك هو قولهم بالأصلح أى أن الله يراعى فى أفعاله مصلحة العبد . والقول بالأصلح يشمل البداء باعتبار أن تقديرات الأمور تتبدل بتبدل المصالح .

وقد بذل المعتدلون من متكلمى الشيعة جهدا منقطع النظير للتوفيق بين وجوه التناقض الكلامية التى يثيرها هذا التصور ، ولكى يوفقوا أيضا بين إمكان افتراض ظهور أحوال جديدة تقتضى الحدوث فى العلم الإلهى ، كما يفهم من القول بالبداء ، وبين القول بعلم الله المطلق وقدم علمه وأنه نفس ذاته على النحو الذى يقول به خاصة جميع

---

(١) [يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب] .

(٢) [وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون] .

(٣) [يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن] .

المعتزلة ولكى يجيبوا كذلك على اعتراضات المتكلمين من أهل السنة الذين قالوا إن القول بالبداء يفترض إمكان جهل الله بعواقب الأمور (انظر الجرجانى الى الإيجى، المواقف طبعة Soerensen سورنسن، ليبسك ١٨٤٨م ص ٣٤٦، س ٦).

ومحاولة دفع الاعتراضات من هذه الناحية قد أدت بهم بالرغم من كل احتجاج لهم على اليهود وأهل السنة الذين أنكروا القول بالبداء إلى تقرير أمر من شـأنه أن يجعل هذه الاعتراضات يمكن القضاء عليها، ولكى يعزوا إلى خصومهم من أهل السنة أنهم ينسبون إليهم تعريفاً للبداء اخترعه أهل السنة أنفسهم، ذلك أنهم قالوا إن البـداء لا يراد به معناه الحرفى الذى نجده فى معاجم اللغة وإنما يراد به المعنى المجازى، وهم يرفضون التسليم بأن البـداء حسب معناه الحرفى يؤدى إلى القول بالتبدل فى العلم الإلهى.

وقد انتهى موقف متكلمى الإمامية بالنسبة إلى متكلمى أهل السنة إلى حرب كلامية لا غناء فيها، وذلك لأن متكلمى أهل السنة أنفسهم يقولون إن حدوث حالة من أحوال البداء فى المستقبل هو باعتباره مما اشتمل عليه العلم الإلهى القديم، وهو علم على وجه التفصيل.

وقد عمدوا إلى طريقة شيقة جداً للتوفيق بين القول بالبداء وبين فكرة اللوح المحفوظ الذى ورد ذكره فى القرآن، وذلك بافتراضهم وجود لوحين: اللوح المحفوظ الذى كتب فيه القضاء المحتوم الذى لا تعديل فيـه ولا تبديل، ولوح المحو والإثبات (حسب سورة الرعد، الآية ٣٩) وهو يشتمل على القضاء الذى يجوز فيـه التعـديل إذا حدثت أمور جديدة (انظر: دلدار على، جـ ١، ص ١١٤). وقد وجد هذا الرأى له صدى عند أهل السنة، وكان سبباً فى نشوء القول بكلمات عجيبة وأسرار غامضـة (انظر الفخر الرازى: مفاتيح الغيب، جـ ٥، ص ٣١٠). ووفقـاً لهذا الرأى قالوا بوجود نوعين من العلم الإلهى: علم محتوم يشمل الأمور المحتومة التى يوحى بها الله إلى أنبيائه وملائكته، وعلم مخزون وهو يشمل الأمور الموقوفة عند الله (انظر الكلينى، ص ٨٥).

وقد سمح الشيعة لواحد من أئمتهم بأن يقول: لا يستطيع إنسان أن يرضى الله بشىء هو خير من إقراره بالبداء، وذلك لأن توبة العبد وعبادته وخضوعه لله التماساً لعفوه عن الذنوب أو لتعديل ما كتبه عليـه لا يكون له معنى إلا إذا سلمنا بالبداء. وبينما يجعل الشيعة أكبر همهم فى التمسك بالقول بالبداء للأسباب التى ذكرناها نجد أن هذا الأمر كان مثار خصومة دائمة بين الشيعة ومخالفيهم. حتى سليمان بن جرير وهو من أتباع فرقة الزيدية من الشـيعة كان من أعنف خصوم القائلين بالبداء، وقد طعن فى الإمامية لوضعهم مقالتين باطلتين: الأولى قولهم بالتقية (انظر هذه المادة) والثانية قولهم بالبداء (انظر الشهرستانى

طبعة كيورتن، ص ١١٩)[1].

وكان من أشد خصومهم أيضاً اليهود الذين ينكرون القول بنسخ الشريعة لأنه يتضمن الإقرار بالبداء كما أوضح ذلك يحيى ابن زكريا الكاتب الطبرانى وهو من متكلمى اليهود وذلك عند مناظرته للمسعودى فى فلسطين (انظر كتاب التنبيه والإشراف طبعة ده غوى، المكتبة الجغرافية العربية، جـ ٨، ص ١١٣، س ١٥ واقرأ كلمة « اعبدا » الواردة فى تلك العبارة « البداء »).

وفى القرن الثالث الهجرى يظهر أن موضوع البداء لصعوبات متصلة به لا يمكن تفسيرها إلا بمناقشات دقيقة، قد أصبح من المسائل التى يمتحن بها الابتكار والعقل الراجح وهذا يستنتج من رسائل الجاحظ *Tria Cepuscula*، طبعة فان فلوتن (ص ١١٣، س ٧، اقرأ « الندا » « البداء »).

المصــــادر

(١) أبو جعفر محمد الكلينى: الأصول من الجامع الكافى، طبعة بمباى، ١٣٠٢ هـ، ص ٨٤ — ٦٨ (٢) دلدار على: مرآة العقول فى علم الأصول، لكنهو، ١٣١٨ — ١٣١٩ هـ، جـ ١، ص ١١٠—١٢١ وقد ورد فيه بالتفصيل أقوال معتدلى أهل الشيعة عن البداء وتعريفهم [redacted] (٣) I. Friedlander: [redacted] *Heterodoxies of* [redacted] *Shiites according to Ibn Hazm*، نيوهافن *Journal of the American Or. Soc.* ١٩٠٩، جـ ٢٩، ص ٧١.

[جولدسيهر Goldziher]

« بداؤن » أو بدايون: مدينة وإقليم فى الهند من أعمال روهلخند Rohilkhand فى الأقاليم المتحدة. وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٩٨٧ ميلا مربعا، وكان عدد سكانه حسب إحصاء عام ١٩٠١: ١٫٠٢٥٫٧٥٣ نسمة، ١٦ ٪ منهم مسلمون، أما أغلب السكان فهم من البطهان والشيوخ والجلاها. وكان عدد سكان المدينة فى عام ١٩٠١: ٣٩٫٠٣١ نسمة منهم ٢١٩٩٥ مسلم. وكانت هذه المدينة فى عهد الفتح الإسلامى أول مراكز الدفاع وأهمها ضد قبائل الراجبوتيين الثائرة. وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى أصبح كل من شمس الدين ايلتتمش وابنه ركن الدين فيروز، وهما من حكام بداؤن امبراطورا على دهلى. وصرف علاء الدين آخر الحكام من السادات والمتوفى عام ١٤٥١ بقية حياته فى بداؤن، ونجد فى هذه المدينة

---

(١) يقول سليمان بن جرير: إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم. إحداهما القول بالبـداء فإذا أظهروا قولا إنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا بدا لله تعالى فى ذلك. والثانيـة التقية وكل ما أرادوا تكلموا به، فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا إنما قلناه تقية وفعلناه تقية، (انظر الشهرستانى، الطبعـة الأولى « على هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل » جـ ١، ص ١٦٥). «اللجنة»

لذلك عددا كبيرا من المساجد والأضرحة التى يرجع تاريخها إلى هذا العهد . وأهم هذه الآثار «جامع مسجد» الذى شيده شمس الدين عام ١٢٢٣ واستعان فى بنائه بصفة خاصة بأطلال المعابد الهندية وكذلك ضريح علاء الدين . وتشتهر بداؤن بأنها مسقط رأس عبد القادر البداؤنى (انظر مادة بداؤنى) مؤرخ عصر أكبر وخصم أبى الفضل ؟

المصـــادر

(١) *Budaun Gazetteer* ، طبع فى الله آباد عام ١٩٠٧ .

[كتن J. S. Cotton]

« البداؤنى » عبد القادر : ابن ملوك شاه ، ولد فى بساور من أعمال سركار فى سمبهل عام ٩٤٧ أو ٩٤٩ هـ الموافق ١٥٤٠ — ١٥٤١ أو ١٥٤٢ — ١٥٤٣ م . وقضى شبابه فى الدرس والتحصيل . ومن شيوخه الذين تخرج عليهم الشيخ مبـــارك والد فيضى وأبو الفضل، ثم انخرط فى خدمة حسين خان طكريه . وفى إبريل من عام ١٥٧٤م أصبح إماماً عند أكبر ودخل أبو الفضل المذكور خدمة هذا السلطان فى العام نفسه ، ولما ثقلت عليه أعباء العمل فى البلاط السلطانى تخلى عن عمله بغير إذن قبل عام ١٧٥٩ م . وفى هذا العام أعيد إلى خدمة السلطان وأصبح كاتبا للسر وأقطع ألف بيغا . وشكا المترجم من ضآلة شأنه ولقب بالهزاوى نسبة إلى مساحة إقطاعه . واستخدم لغزارة علمه فى ترجمة النصوص السنسكريتية وفى التصنيف . ولم يوفق فى ترجمة الـ «أثرفه ويدَه» ولم يتفوق عليه فى هذه المهمة من أتوا بعده . ولكنه لما نجح فى تفسير أربعين حديثا فى فضائل الجهاد ، وهو عمل يحتاج إلى كفاية أكبر من سابقه ، عين واحداً من السبعة الذين اشتركوا فى وضع كتاب « تأريخ ألفى » . وفى عام ١٥٨١ ألف «نجاة الرشيد» وترجم بأمر أكبر الـ « مهابهارتا » والـ « رامايانا » إلى الفارسية وأهدى الكتاب الأخير الى السلطان عام ١٥٨٩ م . ثم نقل كتابا آخر من السنسكريتية الى الفارسية وجعل عنوانه « بحر الأسمر » وأخرج كتاب تاريخ كشمير لمؤلفه ملا شاه محمد الشاهابادى فى اللغة الفارسية بأسلوب سهل واضح . وعين بعد ذلك واحداً من مترجمى « معجم البلدان » وقام بعمله على أحسن وجه فى أمد وجيز ولذلك سمح له بأن يقضى فترة من الزمن فى مسقط رأسه بداؤن ولكنه مكث بها وقتا أطول مما سمح له به ولم يعد إلى منصبه إلا بعد شفاعة فيضى .

وبدأ المترجم بدافع من رغبته الخاصة بين عامى ١٥٩١ و ١٥٩١ م فى تصـــنيف الكتاب الذى اشتهر به أكثر من سواه ألا وهو « منتخب التواريخ » فى ثلاثة مجلدات : الأول عن حكام الهند الأول من المسلمين من سبُكتكين إلى همايون والثانى عن حكم

أكبر إلى عام ١٥٩٥، والثالث تراجم الأولياء والعلماء والأطباء والشعراء الذين عاشوا فى عهد أكبر. وفرغ البداؤنى من تصنيف هذا الكتاب فى ٢٣ من فبراير عام ١٥٩٦. والمجلد الثانى كبير الأهمية لأن فيه أنظار واحد من أهل السنة المتشددين عن تأملات أكبر الدينية وآرائه الجريئة. وقد دفعه الاحترام المأثور عن الشرقيين لشخص الملك عن مهاجمة أكبر نفسه ولكنه جرّح أحرار المفكرين وزعماءهم مبارك وفيضى وأبا الفضل ، مع أنه يعترف بفضلهم عليه ، لتشجيعهم أكبر على نزعاته التجديدية .

واستحال على المصنف نشر كتابه فأخفاه إلى وفاته عام ١٦٠٤ أو ١٦٠٥ م وذاع خبره فى عهد جهانكير الذى أرسل فى طلب أبناء المؤرخ وسألهم عن الكتاب فأظهروا جهلهم به قائلين إنه إذا كان لمثل هذا التاريخ وجود فلابد وأنهم كانوا أطفالا صغاراً عند تصنيفه فأخلى سبيلهم بعد أن قطعوا على أنفسهم عهداً بألا يحرزوا نسخة منه وإلا تعرضوا للعقاب .

وبرع البداؤنى فى تأريخ الحوادث Chronograms ونظم الشعر تحت اسم « تخلص قادِرى » ولكن تشدده فى أمور الدين ساقه آخر الأمر إلى هجر القريض باعتباره غواية من الغوايات ؟

[T. W. Haig هيج]

« بدر » : هو القمر فى تمامه . والبدر عند الشرقيين رمز الجمال . ويطلق اسم بدر غالبا على الجوارى الجميلات الصغيرات . وبدر كذلك اسم عام لا يخص الجوارى وحدهن . وكثيرا ما تقترن كلمة بدر بكلمتى « دولة » و « دين » .

« بدر » وتسمى كذلك بدر حنين : قرية إلى الجنوب الغربى من المدينة على مسيرة ليلة من الشاطىء ، وهى عند ملتقى طريق المدينة بطريق القوافل الذاهبة من الشام إلى مكة . وفى الوقت الذى زار فيه بركهارت Burckhardt هذه القرية وجد أن بعض مساكنها من اللبن وبعضها الآخر من الحجر ويحيط بالقرية سور متهدم من الطين . أما أهلها فجلهم من البدو وليس للكثير منهم فيها إلا أكواخهم لأنهم يقضون الليل فى خيام على سفوح الجبال . وكانت بدر فى عهد النبى محطة يقف عليها المسافر ليسقى إبله ، كما كان يقام بها سوق كل عام .

ولهذه القرية أهمية تاريخية بفضل الموقعة التى نشبت فيها بين المسلمين وأهل مكة فى السابع عشر أو التاسع عشر من رمضان للعام الثانى من الهجرة . وقد أدى إلى قيام هذه الموقعة عدة حوادث متعاقبة ، وهى فى ذاتها ليست كبيرة الشأن ، وإنما تنحصر أهميتها فى أنها وطدت سلطان النبى وكانت سبباً فى

انتشار الإسلام بعد ذلك. والحق أن مقدرة النبي تجلت في هذه الموقعة، فقد نفخ في روح أتباعه الذين هالهم التفاوت الفجائي بأهل مكة فاكتسحوا أعداءهم الذين يفوقونهم في العدد. وجاء في قصيدة حمزة أن المكيين كان عددهم ألف مقاتل في حين لم يزد عدد المسلمين على ثلثمائة رجل.

وليس من اليسير أن تتمثل في أذهاننا سير هذه الموقعة مستعينين بوصف بركهارت وعلى كل فإن ما روى له في هذا المكان عن هذه الموقعة لا يفسر لنا روايات المتقدمين. فهو يذكر أن بدراً تقع في سهل تحده من الشمال والشرق الجبال الوعرة، ومن الجنوب التلال الحجرية ومن الغرب الكثبان الرملية المتنقلة. وينساب من الجبال الواقعة إلى الشرق نهر غزير المياه في مجرى صخرى فيروى حراجا متسعة من النخيل وبساتين ومزارع إلى الجنوب الغربي من تلك القرية. وتحول الرمال الكثيفة دون عبور التلال الغربية التي ينبسط وراءها سهل جدب يصل إلى الشاطئ، ولا تنبت فيها سوى نباتات الأرض المالحة.

وشاهد بركهارت على مسيرة ميل جنوبي القرية قبور المسلمين الثلاثة عشر الذين استشهدوا في وقعة بدر، ويذكر ابن إسحاق أن النبي وقف هو والمسلمون عند البئر الذي على أقرب منحدر للمدينة بينما وقف المكيون على منحدر مقابل له (انظر سورة الأنفال، الآية ٤٢) «إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم» (أي على ساحل البحر)، والركب في الآية العير الناجية وليس فرسان قريش ولا الفريق الذي كان يقوده على كما زعم بركهارت. وقد حجب كثيب العقنقل المكيين عن أعين المسلمين، ويفصل هذا الكثيب عن بدر وادى يليل ويروى الواقدى أن المسلمين كان وجههم شطر الغرب بينما كان أهل مكة يواجهون الشرق والشمس في أعينهم. وبدأ المكيون الموقعة في الصباح فتسلقوا العقنقل منحدرين إلى الوادى في حين أمر النبي أصحابه ألا يهاجموا عدوهم إلا إذا أذن لهم، وعلى هذا فينبغى أن نبحث عن ساحة القتال عند سفوح الجبال الشرقية المجاورة. ولا بد أن الآبار كانت في هذا الموضع وهى الآبار التي هدمها المسلمون إلا أقربها إلى العدو بنوا عليه حوضا وأقاموا عريشاً للنبي، وألقوا بقتلى عدوهم في واحد من الآبار التي خربوها.

ويروى المقدسى أن بدراً قرية مساحلة للبحر تشتهر بنخيلها، وفيها ماء النبي ومكان الموقعة المشهورة وبعض مساجد بناها ملوك مصر، ويذهب البكرى إلى أنها ماء وبها عينان ينمو عندهما الموز والكرم والنخيل ويقول إنها على مسيرة ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة، ويذكر المسعودى أنها على مسيرة ميلين وثمانية برد من المدينة، ويرى البكرى

أن بين بدر و ثغر الجار ستة عشر ميلا ، أما ياقوت فيقول إن بينهما مسيرة ليلة واحدة ؟

المصـــادر

(١) Burckhardt : *Reisen in Arabien* عام ١٨٣٠ ، ص٦١٤—٦١٩ (٢) Doughty : *Travels in Arabia* ، ص ١٦٠ (٣) البكرى: المسالك والممالك ، طبعـــة فستنفلد ، ص ١٤١ (٤) المقدسى : المكتبة الجغرافية العربية ، ج٣، ص٨٢—٨٣ (٥) المسعودى: المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٨ ، ص٢٣٧ (٦) ياقوت: المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٢٧ وما بعدها (٧) الواقدى ، ترجمة فلهوزن ، ص ٣٧— ٩٠ (٨) ابن سعد ، طبعـــة سخاو ، ج ١ ، ص٦—١٨ (٩) الطبرى ، طبعة ده غوى، ج١ ، ص ١٧٤١ وما بعـدها (١٠) تاريخ اليعقوبى ، طبعـة هوتسما ، ج ٢ ، ص ٤٥ — ٤٦ (١١) Caetani : *Annali dell, Islam* ، ج ١ ، ص ٤٧٢ ومابعدها (١٢) Buhl فى *Orientalische Studien* ، ج ١ ، ص ٧—١٣ .

[بوهل Fr. Buhl]

« بدر » (پير) يقدس أهل البنغال إلى جانب خواجا خضر قوة أخرى روحانية فى شخص پير بدر الذى يشاطر خواجا خضر فى السيطرة على الماء . ويطلب كل ملاح وكل صياد عون پير بدر عند قيامه بكل سفرة بحرية أو عند هبوب العاصفة عليه فى وسط البحر . والاعتقاد الشائع بين جمهور المسلمين أن بدر يقطن بعض الوقت فى چتا كنك . ومهما يكن الأمر فان أخباره لا تفسر لنا السبب الذى من أجله أضفيت عليه صفات إله البحر . ويزعم سدنة معبده أن پير بدر وصل إلى چتا كنك سابحاً على صخرة فى خمسمائة عام وأخبر السكان أنه قطع هذا الطريق كله فوق هذا المركب العجيب من أكياب لكى يبسط نفوذ الإنس على البلاد المجاورة لچتا كنك بعد أن سكنتها الجن والأرواح الشريرة وعذبوا أهلها .

ويقوم الـ « دركاه » أى معبد بدر الحالى وسط چتا كنك ، وهو يعتبر حرم المدينة . ويشرف على حراسته بعض « الفقراء » وهم يعنون عناية فائقة بغرف زوار المعبد . وقد حفرت فى أسوار المعبد عشرة محاريب فى كل منها قنديل يضاء طول الليل ، ويقصده الحجاج من جميع أنحاء البنغال للتبرك والاستشفاع به وأداء النذور له . ولا يقل تبجيل الصيادين من الهندوس لپير عن المسلمين . ويقوم «عرسه» أى ذكرى وفاته كل عام فى التاسع والعشرين من رمضان . والراجح أن پير بدر ما هو إلا بدر الدين بدر العالم الذى سكن مدينة چتا كنك عدة سنوات ، وتوفى عام ٨٣٤هـ (١٤٤٠م) ودفن فى معبد «چهتى دركاه» فى بهار .

أما الدعاء الذى يوجهه الملاحون لهذا الولى ساعة الخطـــر فهو « الله ، نبى ، پانچ

ببر (الأولياء الخمسة) بدر ، بدر ، بدر . ولا نعدو الواقع إذا قلنا إن المسلمين أخذوا عن الهندوس القدماء الاعتقاد فى الأرواح الخالدة التى تسكن الماء وتبسط سلطانها عليه ؟

المصـــادر

(١) *Journal of [illegible] Asiatic Society* ، الجزء الأول ، رقم ٣ ، ص ٣٠٢ عام ١٨٧٣ .

[محمد هدايت حسين]

«بدر الجمالى» قائد من قواد الفاطميين ووزير من وزرائهم : كانت الدولة الفاطمية التى بلغت درجة كبيرة من الرقى على وشك السقوط فى عهد الخليفة الضعيف المستنصر (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ = ١٠٣٦ — ١٠٩٤ م) فقد كان السلاجقة يزحفون على الشام والمماليك من الأتراك يقاتلون الجنود من السودان فى مصر، وحل بالبلاد قحط دام سبعة أعوام استنفد موارد البلاد وقضت المنازعات على هيبة الحكومة وسلطانها وطاح الجوع والمرض بالناس وذهبت أعمال التخريب والعنف بما كان للدولة من ازدهار ، وخيل للناس أن هذه الدولة سيعصف بها الاضطراب والفوضى ولكن القائد الشآمى بدر الجمالى تولى قيادة الجند والإشراف على شـــئون الحكومة بدعوة من الخليفة فأعاد الأمن إلى نصابه بجهود كبير لم يخل من صرامة ، والحق أن الدولة الفاطمية دخلت بذلك فى طور جديد من أطوار عزها .

وكان بدر مملوكا أرمنيا للأمير الشامى جمال الدولة بن عمار ولذلك عرف بالجمالى نسبة إليه . ولا بد أن يكون مولده فى بداية القرن الخامس الهجرى لأنه عندما بلغته الو[illegible] عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) كان عمره نيفاً وثمانين عاماً . وذاعت شهرته فى الشام قبل أن ينصب وزيراً للفاطميين، وعين حاكماً لدمشق مرتين ولكن صرامته مع الجنـــد الذين ألفوا الملاينة أوقعته فى المآزق . وبعد ذلك أصبح كبير قواد عكا . وكان عليه أن يحارب جند ملكشاه وكان له حرس خاص من الأرمن وكذلك كان الجند الذين تحت إمرته من المخلصين له . وسار بهم عند استدعاء الخليفة إياه عام ٤٦٦ هـ (١٠٧٣م) ليخلصه من أيدى العمال المستبدين من الأتراك، ولم يدرك هؤلاء سر مجىء بدر الجمالى ووقعوا فى الفخ الذى نصب لهم وقتلوا جميعاً فى ليلة واحدة، وهكذا أصبح بدر سيد الموقف ونصب أمير الجيوش (ميرجُوش فى لغة العوام) وقاضياً للقضاة وداعياً للدعاة ووزيراً ، ولكن اللقب الأول كان ألصقها به ، ويعرف جبل المقطم بجبل الجيوشى لإشرافه على القاهرة وقد شـيد بدر الجمالى عليه مشهداً يزعم العامة اليوم أن سـيدى الجيوشى مدفون فيه . وبعد أن أعاد الهدوء إلى العاصمة عمل على استتباب النظام شرق الدلتا ثم غربيها كما استولى على

الاسكندرية من غير إبطاء . وكان غزو الصعيد شاقاً لأن القبائل العربية فيه نادت باستقلالها. ولم يكن توفيقه فى الشام كتوفيقه فى مصر فإن الأمور كانت مضطربة فيه ، وسقطت دمشق فى أيدى السلاجقة حوالى نهاية عام ٤٦٨هـ (١٠٧٦م) ولم تعد إلى حوزة الفاطميين بعد ذلك. وفى العام التالى ظهر القائد السلجوقى أتسيز أمام القاهرة نفسها ولكن بدراً كان عنده من الوقت ما سمح له بجمع قواته ورد السلاجقة على أعقابهم . وبالرغم من محاولاته المتكررة فى السنوات ٤٧١ هـ (١٠٧٨ — ١٠٧٩) و ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ — ١٠٨٦ م) و٤٨٢ هـ (١٠٨٩ — ١٠٩٠ م) لم يوفق إلى استعادة دمشق والاستيلاء على الشام . ولم يكن فى حوزة الفاطميين عند وفاته إلا مدن قليلة جنوبى الشام ، ومما أضعف نفوذه هناك هذه الثورات المستمرة التى كان الموعز بها واحد من أبنائه فى مصر .

ولسنا نعرف عن جهده فى الحكم إلا القليل، ولكنه كان حسن السيرة فيه وقد أجمعت المصادر كلها على امتداحه وزاد دخل مصر من الضرائب فى أيامه من حوالى ٢,٠٠٠,٠٠٠ إلى حوالى ٣,٠٠٠,٠٠٠ دينار وساعدته هذه الموارد على الاستفادة من الدروس التى تعلمها من غزوة السلاجقة، فحصن بدر الجمالى القاهرة بسور ثان وبنى الأبواب الثلاثة المنيعة التى لاتزال محل إعجاب الناس إلى يومنا هذا وهى باب زُوَيله وباب النصر وباب الفتوح .

وفى ربيع الأول من عام ٤٨٧ (مارس — ابريل ١٠١٤) ختمت حياته الموفقة الناشطة بعد أن أعد ابنه الأفضل شاهنشاه (انظر هذه المادة) كى يخلفه فى جميع مناصبه . وبعد شهور قلائل لحق به الخليفة المستنصر الذى مكث فى الحكم ستين عاماً كاملا ؟

المصـــادر

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ ومابعدها (٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ▮ ، ص ٦٤ (٣) ابن الأثير ، الكامل ، ص ١٩ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٦٨ ومابعدها ، ١٥١ وما بعدها (٤) Max van Berchem ، Corpus Inscript Arab. L' Egypte ، رقم ٢ ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ص ٥١٦ ، ٥١٨ وثبت المصادر المذكور هناك (٥) F. Wüstenfeld : *Geschichte der Fatimiden-Chalifen* ، ص ٣٦٤ وما بعدها (٦) St. Lane Poole: *History of Egypt* ، ص ١٥٠ وما بعدها (٧) Marçel : *Histoire de l' Egypte* ، عصر المستنصر (٨) Quatremère : *Mémoires sur l' Egypte* جـ ٢ ، ٢ ، انظر الفهرس .

[C. H. Becker بكر]

« بدر » بن حسنوية أبو نجم ناصر الدين: أمير الكرد ، اعترف به عضد الدولة البويهى أميراً على كردستان وذلك عقب وفاة أبيه

عام ٣٦٩ هـ (٩٧٩—٩٨٠م). ولما توفى عضد الدولة عام ٣٧٢ هـ (٩٨٣ م) تقرب بدر من فخر الدولة فأغضب ذلك منه شرف الدولة ابن عضد الدولة . فلم يكن منهما إلا الاحتكام إلى السيف . وفى عام ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) هزم بدر الجنود التى أرسلت لمحاربته بقيادة قراتكين وأخضع لسلطانه إقليم الجبال ، فغدا بذلك من أقوى أمراء ذلك العهد ومنحه الخليفة فى عام ٣٨٨ هـ (٩٩٨م) لقب «ناصر الدين والدولة».

وعند ما تقدم العمر ببدر وقع فى خلاف مع ولده هلال حوالى عام ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) وتمكن هلال من أن يسجن والده . ولما أطلق سراحه استنصر بهاء الدولة البويهى فأمده بفصائل من الجند بقيادة فخر الملك وتمكن بفضلها من القبض على ولده واستعادة سلطانه . وبعد خمسة أعوام أى فى عام ٤٠٥ هـ (١٠١٤م) اغتاله نفر من أصحابه ؟

المصـــــادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ٨ ، ص ٤٩٤ وما بعدها (٢) هلال الصابى : كتاب الوزراء ، طبعة اميدروز ، ص ٤٧٣ وما بعدها .

« بدر الدولة » سليمان بن عبد الجبار ابن أرتق : حكم مدينة حلب نيابة عن عمه إيلغازى وظل كذلك بعد وفاة إيلغازى عام ٥١٦ هـ (١١٢٢م) ولكنه اضطر إلى الانسحاب عند ما سلم فى العام التالى حصن الأثارب للفرنج (الصليبيين) وتقدم ابن أخيه الباسل بَلَك بن بهرام يريد حلب. ولما ملك زنكى مدينة حلب كره سكانها عامله قتلغ أبه واستدعوا سليمان عام ٥٢٢ هـ (١١٢٦ م) فحاصر سليمان قتلغ أبه الذى استطاع أن يصمد للحصار فى قلعة المدينة إلى أن أمده زنكى بالجند. وحاول الفرنج استغلال هذه الحوادث واحتلال المدينة ولكنهم فشلوا . واستدعى زنكى كلا من سليمان وقتلغ أبه إلى الموصل وأصلح ما بينهما ولكنه لم يسمح لواحد منهما بالعودة إلى حلب ؟

المصـــــادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ١٠ ، ص ٤١٨ وما بعدها .

« بدر الدين » لقب من ألقاب لؤلؤ (انظر هذه المادة) .

ال « بدرى » وتكتب فى اللغات الأوروبية «Padries» أو «Padaries» وكذلك Pedaries وهو الاسم الذى أطلق فى المؤلفات الهولندية على أولئك القوم الذين أرادوا أن يدخلوا إصلاحات فى الإسلام بالقوة فى عشرات السنين الأولى من القرن التاسع عشر بمدينة « منانجكابو » فى أواسط سومطرة .

ويمكننا أن نقول فى تفسير هذا الاسم إن رأيا ذهب إلى أن كلمة « بدرى » لها صلة

بكلمة «بدير» Pedir وهى اسم ميناء فى الشاطئ الشمالى لجزيرة سومطرة . ويذهب رأى آخر إلى أنها تقابل كلمة «بدرى» Padri المستعملة فى كثير من لغات أندونيسيا بمعنى الراهب النصرانى سواء أكان من الروم الكاثوليك أم من البروتستانت . ولسنا نستطيع تأييد الرأى الأول ولكنا نرجح صحة الرأى الثانى. وربما كان منشؤه أن أهل الملايو عند ما سألهم الهولنديون عن الفتن أرادوا أن ينزلوا إلى مستوى السائلين فى اللغة [حتى يتم التفاهم بينهم] فعبروا عن قادة الحركة باسم «بدرى» لشـدة عنايتهم بالحياة الدينية . وليس هذا بالأمر الذى لا نظير له فيما جرى بين الهولنديين وأهل تلك البلاد . ومن ثم استعمل الهولنديون هذه الكلمة واحتفظوا بها . ونجدها أحيانا فى بعض المصـادر المحلية مرسومة «پدرى» Piedri .

أما الاسم الذى اعتاد أهل تلك البلاد اطلاقه على أولئك المصلحين فهو «أورنك پوتيه» ومعناه الرجال البيض وهى تسمية يطلقها أهل اندونيسيا على أولئك الذين يعنون عناية فائقة بإقامة شعائر الدين ويتميزون عن سائر الناس بردائهم الأبيض (Ronkel [illegible] : *Indische Gids* سنة ١٩١٥، ص٢، ص١١٠٣) وقد نعتت التقارير الرسمية والمصـنفات الاستعمارية الهولندية أولئك الذين لم ينضموا إلى طائفة البدرى باسم الملايو ، وهذه تسمية خاطئة لأن البدرى أنفسهم من الملايو وهم ومخالفوهم من أصل واحد . وخير ما سمى به مخالفو البدرى ، وهم أولئك الذين استمسكوا بالعادات القديمة هو اسم «فرقة أدلة» . وهى فرقة كانت تجتهد فى كل مناسبة فى أن تتبع فى عملها عادات السلف .

وكان الملايو من أهل منانجكابو يقطنون المرتفعات الموجودة فى أواسط سومطرة بين خطى عرض ½° شمالا و ½° جنوبى خط الاستواء . ومن هذه البقاع الجبلية انتشروا ناحية الشرق مخترقين المرتفعات التى تفصل بين الإقليم الجبلى وبين الأراضى المنخفضة الموجودة فى شرق جزيرة سـومطرة . وانتشروا نحو الغرب حتى وصلوا إلى شاطئ المحيط الهندى حيث توجد ثغور عدة تربط سومطرة بالعالم الخارجى .

ويفترض بوجه عام أن الإسلام دخل البلاد من «آشى» ، وكان لأهلها عدة مراكز على الشاطئ عند ما تأسست هناك الشركات التجارية الهولندية البريطانية .

وقد توطدت أقدام الإسلام فى تلك البلاد عندما بدأت حركة البدرى ، وكانت الحماسة للدين يتأجج أوارها فى بعض البيئات على الأقل . وفى سنة ١٧٨٥ م هبط من الجبال زعيم دينى معه عدة آلاف من أتباعه ومريديه لكى يختتنوا نصارى ثغر «پدنك» أهم ممتلكات الهولنديين فى ذلك الوقت ، ولكى يكرهوهم على اعتناق الإسلام (*Tijdschrift van het*

[redacted] *Genootschap van Kunsten en Wetenschappen* ، ص ج [redacted]) .

ويجمع أهل منانجكابو بين عقيدتهم الإسلامية القوية وبين احتفاظهم إلى مدى كبير بنظمهم الأهلية . ومازال حكم الأمهات يسود بينهم . ويدير شئون القرية عندهم كبار رؤساء الأسر وما يسمونه « النوكر » وهو اجتماع الأسر المختلفة الأرومة فى مجلس عام . وحكومتهم جمهورية وهم يطرحون كل أمر له خطر ما على الأسر الكبيرة كلها ورؤسائها وغيرهم من أهل الصدارة ويسمون ذلك « موپاكه » وهى تقابل الكلمة العربية « موافقة » . وعملهم هذا متعب ويستغرق كبير وقت ولم يلحظ فى الأخذ بهذا النظام ما تحتاجه الأمور المستعجلة من سرعة البت فيها . وبديهى أن جماعة يقوم نظامها على مثل هذه الأسس تكون بالطبع ضعيفة إزاء الهجمات العنيفة القوية .

* * *

عاد من الحجاز فى أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منانجكابو بعد أن أدوا فريضة الحج . ورأوا الحكم الوهابى فى مكة بعد سنة ١٨٠٦م ، فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابين وتشددهم . ولما عادوا إلى بلادهم أخذوا يطهرون الدين مما علق به ، واستطاعوا أن يجتذبوا إلى صفهم واحدا من كبار علماء الدين فى المنطقة الوسطى من إقليم أكمّ هو توانكو نان رنتجه وتوانكو لقب يلقب به علماء الدين . ونشط هذا العالم إلى الدعوة فى الحال . وكان أول ما نادى به وجوب التقيد بأحكام الشريعة وبخاصة فى الشعائر الدينية . وهاجم ما تعارف عليه الناس من العادات التى كان يراها مخالفة للشريعة مثل قتال الديكة والمراهنة عليها ، وتلك تسلية كانت شائعة بين الناس ، وكذلك لعب النرد ، وشرب نبيذ النخل وتدخين الأفيون ومضغ التانبول وبرد الأسنان وإطالة الأظافر والتدخين . وتشدد فى المطالبة بتحريم الربا . وطلب إلى الرجال أن يقصوا شعر رءوسهم وأن يعفوا اللحى ، وأن يلبسوا ملابس بيضاء عربية الزى . وطلب إلى النساء أن يتحجبن . وكانت خاتمة المطاف أن وجه البدرى ضربة قاضية إلى نظام حكم الأمهات بأن جعلوا نساءهم يأوين إلى منازلهن (de Stuërs ، جـ ١ ، ص ١٨٣ هامش ٢) .

والدعوة إلى إبطال التدخين أخذوها عن الوهابيين مباشرة ، أما بقية الأوامر والنواهى الأخرى فهى جميعاً مما نجده فى المذهب الشافعى ويظهر من مسلك توانكو نان رنتجه أنه لم يكن يرى إلى تقرير مذهب الواهبين وكان يعيش فى أكم أيضاً معلم قوى النفوذ ، يجله الناس كل التبجيل هو توانكو كوته توه . كان شيخاً لطريقة صوفية غير أننا لا نعرف إلى أى الطرق كان ينتسب . وكانت النزعة إلى التصوف منتشرة بين الناس فى منانجكابو . فاتجه توانكو نان رنتجه إلى توانكو كوته توه

لا ليخاصمه وإنما ليلتمس التعاون معه. واتفقا معا على الدعوة إلى وجوب التقيد بأحكام الشريعة فى دقة. غير أنه لما ألح توانكونان رنتجه فى أن يعتبر تارك الصلاة مرتداً وأنه ينبغى أن يعاقب بالحد، أبدى توانكوكوته توه رأياً أقرب إلى الرحمة بأن قرر أن المرتد لا ينبغى معاقبته بالحد إلا إذا فشلت جميع الجهود فى هدايته إلى الإيمان الصحيح، وتلك مسألة لم تكن موجودة من قبل ولم يكن يتوقعها أحد. واتخذ توانكونان رنتجه الخطة التى اختارها لنفسه، واتبع عادة أهل منانجكابو بأن دعا إلى اجتماع ليقره على آرائه. فوافق عليها علماء الدين فى حماسة، غير أن الزعماء عارضوها لأنهم أدركوا لأول وهلة أن مطالب البدرى تهاجم موقفهم وأنها ستقلب النظام الاجتماعى فى جملته. وسار توانكونان رنتجه خطوات قوية عنيفة نحو الغاية التى نصبها، وطعن بيده خالته عند ما وجدها تدخن، وألقى بجثتها فى الغابة دون أن يسمح بمواراتها التراب. وكان لعمله هذا أثر بالغ أثنى عليه أتباعه وانكمش منه خصومه المجاهدون منهم والمستترون. وإن رجلا يعمل عملا كهذا لم يسبقه إليه أحد دون أن يعبأ بروابط الدم لا بد وأن يكون صادراً فى عمله هذا عن دافع روحى شديد، ولم يفسر عمله على أنه قسوة بل فسر على أنه تضحية فخطا الإصلاح إلى الأمام فى حماسة مشوبة بالتعصب. وكان على كل من ترك الصلاة مرة أن يغرم مبلغا من المال فاذا تركها مرة ثانية وجب عليه الحد، وأكره خصوم توانكونان رنتجه على الخضوع بالقوة وأحرقت قراهم، وسفكت دماؤهم أو اتخذوهم رقيقـــاً. وكانوا إذا ترفقوا بهم اكتفوا بتغريمهم.

وسرعان ما أصبح الجانب الأكبر من أكم ومن إقليم توانكوكوته توه فى قبضة توانكونان رنتجه. وكانت بعض القرى قد خضعت للضغط واتبعت تعاليم توانكوكوته توه فأحرقوها بعد أن أعملوا فيهـا النهب. وتجاوزت أعمـال أتباع توانكونان رنتجه المدى الذى كان يرمى إليه فتنحى عن العمل بعد نحو ثمانية أعوام. ولم يضع نفسه على رأس الحركة من جديد إلا بعد ذلك بوقت ما وذلك عند ما دخلت البلاد الجيوش الهولندية وتوفى فى سنة ١٨٣٢ م.

وكان توانكونان رنتجه يتبع النظام الآتى: عند استيلائه على قرية من القرى يعين من قبله عليها إماما وقاضيا (كالى). أما الإمام فهو شيخ المسجد ويدير الشئون الدينية كلها. واختصاص القاضى غير واضح تمام الوضوح. وعلى أية حال فإن هذا النظام كان ثورة على النظم المألوفة، فقد كانت المناصب وراثية بحكم القانون الدستورى مع شىء من القيود، وكان لا بد من موافقة الزعماء (موابكه) على القرارات الهامة كما ذكرنا من قبل.

وكان هناك عالم آخر هو توانكو پسيان ويسمى أيضاً توانكو لنتاو وكان ميدان نشاطه

فى الجنوب الشرقى من إقليم لنتاو . كان أقل شهرة من توانكو نان رنتجه ومع هذا فلم يخضع بأية حال لتعصبه العنيف . وسرعان ما قويت شوكته فدخل إقليم تانه داتر المجاور لأقليمه . وكان أحفاد بيت منانجكابو المالك يعيشون هناك وقد ذبل مجدهم القديم العظيم . وكان توانكو لنتاو يقدر أنهم لو أحسنوا الحكم لاستعادوا مجدهم الغابر وقوى سلطانهم من جديد فأعمل فيهم القتل ولم ينج منهم إلا واحد نجا بنفسه وتجاوز الحدود . ثم أخذ يقتل الناس ويدمر القرى حتى خضعت له البلاد جميعا .

وظهرت جهود البدرى فى ناحية ثالثة هى ألهنَپند چنك فى الشمال ، ظهرت فيها حركتهم فى الوقت نفسه الذى ظهرت فيه فى أكم ولنتاو . وسرعان ما ظهر هناك رجل اشتهر فيما بعد بالاسم الذى أطلق عليه آخر الأمر وهو « توانكو إمام » . كان فى أول أمره مرشداً للحركة ثم أصبح زعيما لها . وبين أيدينا كتاب ملوى عن حياة هذا الرجل الخطير وعن أعماله ، وتلك حالة لا مثيل لها . فقد اكتشف منذ عهد قريب كتاب ملوى عن تاريخ حياته كتبه واحد من أبنائه ، وقد نشر هذا الكتاب (انظر Ronkel ، *Indische Gids* ، سنة ١٩١٥) .

بدأ البدرى فى ألهنپندچنك بأن بنوا قلعة سموها بُنجول ، كانوا يتقيدون فيها بحدود الشريعة أشد تقيد ، وكانت مركز قوتهم وسلطانهم يبعثون منها الحملات إلى كل النواحى وكان العاطفون على مذهبهم يدعونهم إليهم فكانوا يذهبون إلى القرية من القرى فيخضعونها ثم يجعلون عليها قاضياً وإماماً كما كان يفعل توانكو نان رنتجه ثم يعودون إلى بنجول مثقلين بالغنائم .

ويقص علينا كتاب سيرة توانكو إمام أن الحملات كانت ترسل وبين الواحدة والأخرى فترة تقرب من عام . وكان هذا هو العهد الذى ارتفع فيه توانكو إمام إلى الإمامة « كان إماماً فى كل شىء : إماماً فى الدين ، وإماماً فى كل الأمور التى تحتاج إلى فهم وذكاء » حتى أن كل الخصومات وجميع المشاجرات كان يرفع أمرها إليه » . وأوفد إلى مكة أربعة رجال ضماناً لنقاوة العقيدة . وبقوا هناك وقتاً طويلا ، ثم عادوا أشد تزمتاً مما كانوا . وإلى ذلك العهد لم تكن الصلات الروحية المنظمة قد اتصلت بمكة بعد ، وكان الحجاج قليلى العدد .

وتغلب البدرى على المدافعين عن « أداة » أو أخرجوهم منها فأراد هؤلاء أن يزجوا بالإنجليز فى أمرهم وكانوا قد احتلوا پدنك فى سنة ١٧٩٥ م . ولكن الإنجليز لم يعدوا لهم يداً . ولم يكن قبل سنة ١٨١٨م عند ما أقام السير ستامفورد رفلز Stamford [redacted] نقطة عسكرية فى الجهات المرتفعة ولكن حاميتها كانت ضعيفة لا تقوى على شىء ، وهاجمها البدرى غير أنهم لم يوفقوا .

وفى سنة ١٨١٩م سلمت بدنك من جديد للهولنديين فاحتفظوا بها وزادوا فى قوتها . واستؤنف القتال فى سنة ١٨٣٢م ، وظل غير متصل نحو خمسة عشر عاماً . وكانت جيوش حكومة المستعمرات الهولندية أكثر تفوقا فى القتال من جنود أهل البلاد بوجه عام ، غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمتها من وقت إلى آخر .

وفى سنة ١٨٣٢ م وقفت جهود البدرى وسلم توانكو إمام الذى كان حتى ذلك الوقت مقيما فى قلعة بنجول ، غير أنه أخذ يدبر فى الخفاء ثورة اشتعل لهيبها فى أوائل سنة ١٨٢٣ وكاد يقضى على كتائب حكومة المستعمرات الهولندية التى كانت مشتتة فى البلاد كلها . وظهر فى الحال أن أعضاء الحزب الذين دعوا الأجانب إلى الدخول فى البلاد كانوا من صف البدرى . وقد بيّن المؤرخون أن مما ساعد على الوقوع فى تلك النتيجة السيئة الأخطاء التى حدثت فى خطط القواد العسكريين ومسلك الضباط والجنود الذى لم يكن دائماً بالمسلك اللائق . ولا نزاع فى صدق هذا الأمر غير أنه ينبغى لبيان السبب فى انقلاب بعض الملويين ، أن نشير إلى أن الأحكام الصارمة التى وضعها البدرى المتقدمون قد أصبحت على مر الزمن أقل صرامة .

وقد أضعفت الخصومات الداخلية من حركة البدرى . وكان خلفاء توانكونان رنتجه قد هاجموا فى وقت ما توانكو كوتهتوه ولكنه رفع إلى مصاف الأولياء سنة ١٨٢٧ بعد وفاته بزمن قصير . وأخذ البدرى ومخالفوهم يحجون إلى ضريحه . ولما جاءت الجيوش الهولندية إلى البلاد كف البدرى عن معاملة مواطنيهم فى عنف واستبداد ، فازدادت شهرتهم . وقد ورد فى كتاب تاريخ حياة توانكو إمام صاحب بنجول التى كانت معقل التطرف : أن البلاد كانت تحكم حسب الشريعة ، وكان زعماء القبائل يعتمدون عليها وإذا نشب خلاف عرض أمره على قضاة المذاهب الاربعة ، أما المسائل التى تدخل فى حكم القانون العام فكان يترك أمر الحكم فيها للزعماء . وبعد هذا الوقت بقليل طلب توانكو إمام إلى ابنه أن يعترف بسلطان القانون العام وأن يخلص ما استطاع فى اتباع فرقة أداة . [انظر ما سبق وهى فرقة محافظة تستمسك بالعادات القديمة] .

وكان البدرى خلال فترات التوقف فى حصار بنجول يتبادلون مع الجنود الطباق وازدادت أواصر القربى بين البدرى ومخالفيهم وعندما دعا البدرى مواطنيهم إلى قتال الكفار وجدت دعوتهم صدى فى دوائر واسعة .

وبعد أن نشبت الفتنة اتخذت كتائب المستعمرات خطة الهجوم وأخذ الفاتحون يبسطون سلطانهم بالقوة تدريجا . ولم يقف موقف المقاومة إلا البدرى أصحاب بنجول ومنهم كان يتألف حزب الحرب ، وكان ينضم إليهم كل من شاطرهم رأيهم . ولما دمرت

القلعة فى سنة ١٨٣٧ م ، قضى على حركة البدرى وسلم توانكو إمام ، ثم نفى من البلاد .

ولم تتحقق الغاية التى جعلها البدرى فى الأصل نصب عيونهم ، وما زال نظام حكم الأمهات باقيا إلى اليوم . وإذا كانت الحركة قد أثرت فى شىء ما فقد كان ذلك فى ناحية مراعاة الشعائر الدينية بوجه خاص مراعاة دقيقة . ولسنا نستطيع أن نحدد ذلك الأمر تحديدا دقيقا جدا . ولسنا نعرف شيئا عن حالة البلاد قبل قيام حركة البدرى ومن الصعب أن تمر حركة كهذه دون أن يكون لها أثر ما ؟

المصـــادر

(١) *De Secte der Padaries in de* ، *Padangsche bovenlanden Magazijn* ١٨٤٤ ، ج [redacted] ، ص ٢١ وما بعـــدها (٢) *Inlandsche* : Ph. S. van. Ronkel *getuigenissen aangaande den Padri-oorlog* فى *Indische Gids* ، ١٩١٥ ، ج ٢ ، ص ٩٩ وما بعدها (٣) أنظر تاريخ الحروب فى H. M. Lange : *Het Nederlandsch Oost-Indisch leger ter Westkust* [redacted] *Sumatra* (١٨١٩ — ١٨٤٥) فى مجلدين (٤) أنظر عن السياسة والحرب: H.J.J.L. de Stuers *De vestiging* [redacted] *uitbreiding der Nederlanders ter Westkust van Sumatra* ، فى مجلدين ، امستردام ١٨٤٩ — ١٨٥٠ (٥) E. B. Kielstra : *Sumatra's Westkust* ، ١٨١٩ — ١٨٢٥ فى *Bijdragen tot de Taal-, Land-en Volkenkunde van* [redacted] *Indië* ، المجموعة الخامسة ، ج ٢ ، ص ٧ : ١٨٢٦ — ١٨٣٢ ، المجموعة الخامسة ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ؛ ١٨٣٣ — ١٨٣٥ ، ج ٤ ، ص ١٦١ ، ٣١٣ ، ٤٦٧ ؛ ١٨٣٦ — ١٨٤٠ ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ، ٢٦٣ .

[كرن R. A. Kern]

« بِدرى » صناعة البدرى وهى صناعة تطعيم المعادن ، وقد اشتقت من بيدر (انظر هذه المادة) التى يقال إنها نشأت هناك وهى تصنع من مركب النحاس والخارصين وتختلف نسبة مقدار كل منهما للآخر باختلاف الأماكن التى تصنع فيها . وقد يضاف إليهما أحيانا مسحوق القصدير أو الرصاص أو مسحوق الصلب ويغطى السطح بالفضة أو الذهب ثم تطلى وتدهن بملح النوشادر وملح البارود وغيرهما حتى تأخذ اللون الأخضر القاتم أو الأسود . وترسم النقوش عادة على شكل الأزهار وأقدمها وأحبها هى زهرة الخشخاش . وأهم مراكز صناعة البدرى هى : بيدر ، برنيه ، ولكنهو ، ودكة ، مرشـد آباد . ومعظم الذين يشتغلون بهـذه الصناعة فى المدن الثلاثة الأخيرة مسلمون ؟

المصـــادر

(١) Benjamin Heyne : *An account*

[redacted] *of the Biddery ware* ، المجلة الأسيوية ج ٣ ، عام ١٨١٧ ، ص ٢٢٠ وما بعدها (٢) George Smith : *Description of the* [redacted] *manufacture of Biddery* (*Madras* *Journ. of Litterature and Science* ج ١٧ ، عام ١٨٥٧ ، ص ٨١—٨٤) (٣) Sir George Birdwood : *Industrial arts of India* (٤) T. N. Mukharji : *Bidri-Ware* فى *Journ. of Indian Art* عام ١٨٨٥ ، رقم ٦ (٥) Sir George Watt : *Indian art at Delhi* ، عام ١٩٠٣ ، لندن ١٩٠٤ ، ص ٤٦—٤٩ .

«بدعة» هى الفعلة المخالفة للسنة (أنظر مادة « سنه ») وكل شىء أو نظر أو فعل لم يكن له وجود أو استعمال سابق فهو بدعة. والبدعة اصطلاح فقهى أصبح يطلق على كل مخالفة لاتباع سنة النبى ، وأصبحت تدل عادة على الآراء والعادات المستحدثة التى نشأت من تلقاء نفسها فى الجماعة الإسلامية وعلى البدع المتصلة بالعقائد المخالفة لأصول الدين وعلى أساليب الحياة التى تخالف حياه النبى . وعلى ذلك أصبح لفظ « بدعة » يطلق على النظر الشخصى والاســـتقلال فى الرأى اللذين يذهبان إلى حد الزندقة ولا يصلان إلى درجة الكفر . كما أن لكلمة «بدعة» مدلولا حديثاً هو المخالفة للرأى العام (انظر Dozy و Badger)

وتطور مدلول كلمة « بدعة » وانقسم الناس حياله إلى فريقين ، الأول محافظ والآخر مجدد : وكان أتباع الفريق المحافظ أول الأمر الحنابلة بنوع خاص ، ويمثلهم الآن الوهابيون وهذا الفريق آخذ فى الزوال ويذهب هذا الفريق إلى أنه يجب على المؤمن أن يأخذ بالاتباع (أتباع السنة) وأن يرفض الابتداع .

والفريق الآخر يسلم بتغير البيئة والأحوال وهم يميزون درجات وأنواعا مختلفة من البدع ومنها بدع مفيـدة بل ضرورية . ويذهب الشافعى إلى أن كل مستحدث يخالف القرآن أو السنة أو الآثر هو بدعة تؤدى إلى الضلال ، أما البدعة الحسنة التى لا تتعارض والأصول فهى بدعة ممدوحة . وهناك تصنيف دقيق يفرق البدع على أحكام الفقه الخمسة . والبدع التى هى فرض كفاية على الجماعة الإسلامية : دراسة فقه اللغة العربية توصلا إلى فهم القرآن الخ ، والأخذ بشهادة العدول أو رفضها ، وتمييز الحديث الصحيح من غيره ، وترتيب أحكام الفقه والرد على الزنادقة . ومذاهب الزنادقة المخالفة للسنة حرام ، وإنشاء الرباطات والمدارس واشباهها من البدع المندوبة ، وتزيين المساجد وتوشية المصاحف من البدع المكروهة . ومن أمثلة البدع المباحة الإنفاق على المآكل والمشارب وغيرها .

ويجمل بنا أن نختم هذا المقال بالتمييز بين البدعة والكفر فالبدعة ماهى إلا شبهة نشأت من البحث وراء الحقيقـة . أما الكفر فهو معاندة ؟

المصـــادر

(١) Goldziher : *Mohammedanische Studien* ، جـ ٢ ، ص ٢٢ وما بعدها (٢) المؤلف نفسه : *Vorlesungen über den Islam*
انظر الفهرس مادتى « بدعة » و « مبتدع » .

« بدل » كلمة عربية معناها لغة جعل شىء مكان آخر ، وهى اصطلاح نحوى يقصد منه واحد من التوابع الخمسة ، وهو اسم يتبع اسماً آخر فى الإعراب وليس تفسيراً له مثل عطف البيان (انظر مادة « عطف ») ولكنه مستقل عنه مثال ذلك « جاءنى أخوك زيد » فزيد بدل من « أخوك » إذا لم يكن للمخاطب إلا أخ واحد وإلا كانت عطفاً إذا كان هناك أخوة آخرون (ابن يعيش ، طبعة جان ، جـ ٢ ، ص ٣٩٢ ، س ١٥) وقد توسع النحاة فى أنواع البدل حتى جعلوها تشمل الضمائر والأفعال وذلك موجود بصفة خاصة فى « المفصل » للزمخشرى (الطبعة الثانية ص ٤٨—٥١) وألفية ابن مالك (طبعة Dietrici ، الأبيات ٢٦١ — ٢٦٣ ؛ وراجع Wright : *Arabic grammer* ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٨٤—٢٨٦) ؟

[شاده A. Schaade]

« بدل »(١) والأبدال جمع البدل والبدلاء جمع البديل يتصلان بطريق الصوفية الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجرى ، وهو

(١) البيتان اللذان يشير إليهما الأستاذ نيكلسون على أن ابن الفارض قد أخذ فيهما برأى ابن عربى هما هذان البيتان من التائية الكبرى اللذان يقول فيهما ابن الفارض متحدثا عن نفسه بلسان الجمع مع الحقيقة المحمدية التى يعبر عنها بالقطب ما نصه :—

بى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها
المحيط بها والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفته
وقطبيـة الأوتاد عن بدليـة

ونحن إذا تأملنا ما يذهب اليه ابن الفارض هنا رأينا أنه يقرر نظرية فى القطبية لا بمعناها العام المتعارف عليه عند الصوفية ولكن بمعناها الخاص الذى يدل دلالة قوية على مذهب فلسفى فى الحقيقة المحمدية التى هى عند متفلسفة الصوفية أو صوفية الفلاسفه المخلوق الأول الذى خلقه الله وكان واسطة فى خلق كل ما فى العالم من الكائنات الروحية والمادية . والقطب بهذا المعنى الذى يفهمه ابن الفارض ويتفق معه فيه ابن عربى اشبه ما يكون بالكلمة عند المسيحيين (Logos) وبالعقل الأول عند افلوطين . ولكى نتبين الفرق الذى يوجد بين القطب بمعناه العام وبينه بمعناه الخاص يحسن أن نشير هنا إلى ما ذكره القاشانى فى شرحه للبيتين المشار اليهما :

القطب فى اصطلاح القوم هو أكمل انسان متمكن فى مقام الفردية تدور عليه أحوال الخلق . وهو أما قطب بالنسبة إلى ما فى عالم الشهادة من المخلوقات، يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، وحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال . أو هو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات فى عالمى الغيب والشهادة ، والقطب بهذا المعنى الأخير لا يستخلف بدلا من الأبدال ولا يقوم مقامة أحد من الخلائق . وهو من هذه الناحية عبارة عن قطب الأقطاب المتعاقبين فى عالم الشهادة ، لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر . وهذا هو الروح المحمدى أو الحقيقة المحمدية التى خاطبها الله سبحانه وتعالى فى الأزل بقوله : « لولاك لما خلقت الكون » .

ويرى القاشانى أن المراد بالأبدال طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور ، يدعون الناس إلى التوحيد والأسلام . يرحم الله بوجودهم العباد والبلاد

أن نظام العالم مكلف بحفظه عدد معين من الأولياء إذا مات واحد منهم حل محله بدل أو بديل . وأبدال الجمع يستعمل عادة فى الفارسية والتركية مفرداً . ويفسر بعض الكتاب البدل بأنه الشخص الذى له قدرة على أن يخلف بعده شخصا روحانيا عند ما يترك مكانه ، أو الشخص الذى له قدرة على التحول الروحانى ، والاختلاف بَيِّن فيما أوردوه عن عدد الأبدال ومكانهم من سلسلة المراتب الصوفية التى يكون القطب على رأسها (انظر هذه المادة) وقد أورد ابن حنبل فى مسنده أربعين من الأبدال خلقهم الله فى الشام (جـ ١ ، ص ١١٢) ويذكر أيضاً أن هناك ثلاثين منهم فى أمة محمد (جـ ٥ ، ص ٣٢٢) ويشير المكى إلى ثلثمائة من الأبدال يضمون الصديقين والشهداء والصالحين (قوت القلوب: جـ ٢ ، ص ٧٨ ؛ انظر سورة النساء الآية ٧١) ويقول الهجويرى إنهم أربعون وإنهم فى المرتبة الرابعة يلون الأبرار السبعة ، وفوقهم الأوتاد الأربعة ثم النقباء الثلاثة (كشف

ويدفع عن الناس بهم البلاء والفساد ، كما جاء فى الحديث النبوى حكاية عن الله عز وجل أنه قال : — «إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همه ولذته فى ذكرى فإذا جعلت همه ولذته فى ذكرى ، عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه ، لا يسهو اذا سها الناس . أولئك كلامهم كلام الأنبياء . أولئك الأبدال . أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا أو ذكرتهم صرفته بهم عنهم . »

والأبدال أربعون رجلا لكل منهم درجة مخصوصة تنطبق أول درجاتهم على آخر درجات الصالحين ، وآخرها على أول درجات القطب . كلما مات واحد منهم بدل مكانه أحدا يدانيه ممن تحته ، وظهر البدل فى كل من هو أدنى درجة منه ، وحينئذ يدخل فى أول درجاتهم أحد من الصالحين ينخرط فى سلك الأبدال . ولا يزال الأبدال كاملا حتى اذا جاء أمر الساعة قبضوا جميعا ، كما جاء فى الخبر : « البدلاء اربعون اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات واحد منهم بدل الله مكانه آخر . فاذا جاء الأمر قبضوا كلهم . » وأما الأوتاد فثلاثة من الابدال فى نهايات درجاتهم ، وكلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم . فكل قطب من أقطاب عالم الشهادة مسبوق بآخر ، لأن قطبيته حادثة ظاهرة عن بدلية الوتد بالقطب إلا قطب الأقطاب فى عالم الغيب فانه سابق غير مسبوق بقطب آخر فصار بدله . وابن الفارض فى قوله : —

ولاقطب قبلى عن ثلاث خلفته
وقطبيــة الأوتاد عن بدليــة

يدعى لنفسه التحقق بمقام قطب الأقطاب على سبيل الحكاية عن المقام المحمدى . فهو يقول إنه ليس ثمة قطب كائن قبله مجاوزا عن درجات الاوتاد الثلاث . فان قطبية الأوتاد مجاوزة عن مقام البدلية . (كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر جـ ٢ ص ١٠٣ — ١٠٥)

فمن هذا يتبين مكان البدل من القطب ومن الاوتاد الذين كانوا ابدالا ثم سموا وارتقوا الى درجة الاوتاد الذين يكون منهم قطب الزمان الموكل بحفظ عالم الشهادة والذى قد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف اليه . وهو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله فى كل زمان وهو يسرى فى الكون ، واعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد . ومن هنا كان فياضا بروح الحياة على الكون الأعلى والكون الاسفل (التعريفات مادة «قطب») — ويتبين ايضا مبلغ الفرق بين القطب الذى يدعى ابن الفارض تحققه بمقامه وبين القطب الذى هو رأس المراتب الصوفية من أوتاد وأبدال وغيرهم .

محمد مصطفى حلمى

المحجوب : طبعة شوكوفسكى Schukovski ، ص٢٦٩، ترجمة نيكلسون Nicholson، ص٢١٤) ويعدد ابن عربى عدد الأبدال بسبعة ويضعهم فى المرتبة تحت الأوتاد (الفتوحات، جـ ٢، ص ٩، وقد أخذ بهذا الرأى ابن الفارض فى التائية الكبرى، البيتان ٥٠٠ — ٥٠١) وفوق النقباء ويجعل لكل منهم نبيا، وهؤلاء الأنبياء هم إبراهيم وموسى وهارون وادريس ويوسف وعيسى وآدم وكل منهم موكل بإقليم من الأقاليم السبعة التى ينقسم إليها العالم ؟

المصـــادر

(١) لسان العرب، مادة «بدل» (٢) م. علاء التهانوى : الكشاف، ص ١٤٥ (٣) *Etudes sur l'ésoterisme* : E. Blochet *Musulman*، المجلة الأسيوية، عام ١٩٠٢، جـ ١٩، ص٥٢٨ ومابعدها ؛ جـ ٢٠، عام ١٩٠٢ ص ٤٩ وما بعدها (٤) S. Massignon : *Passion* ، ص ٧٥٤ (٥) المؤلف نفسه : *Essai sur les origines du lexique de la mystique Musulmane*، ص١١٢ وما بعدها (٦) D. Haneberg *Ali Abluhasan Schadheli* فى *Z.D.M.G.*، جـ ٧، ص٢١ وما بعدها (٧) G. Flügel *Scharani und sein Werk über die muhammedanische Glaubenslehre* فى *Z.D.M.G.*، جـ ٢٠، ص ٣٧ وما بعدها.

[R.A. Nicholson نيكلسون]

«البدل العسكرى» معناها فى تركيا الضريبة التى يدفعها غير المسلمين للإعفاء من الخدمة العسكرية، وقد حلت بذلك محل الخراج. وقد عاش لفظ الخراج إلى منتصف القرن الماضى. ولمـــا اشتد ضغط الدول الأوروبية وخاصة إنجلترا بعد إلغاء الخراج واشتراك غير المسلمين فى الخدمة العسكرية بالجيش التركى صدر مرسوم فى العاشر من مايو عام ١٨٥٥ بعد معارضة شديدة من الحكومة ألغى به الخراج واشترط به التجنيد الإجبارى على غير المسلمين أيضاً، ووافق الخط الهمايونى عام ١٨٥٦ على ذلك المرسوم ولكن سمح فى الوقت نفسه بأن يدفع الفرد مبلغاً من المال يعفيه من هذه الخدمة، وكان من نتائج سخط الناس من مسلمين وغير مسلمين — وهؤلاء لم يكونوا مكلفين بالخدمة العسكرية — على هذا أنه لم يتغير من الأمر سوى الاسم الذى أصبح البدل العسكرى بدلا من الخراج. وكان المتحصل من البدل العسكرى مساوياً لما كان يتحصل من الخراج (انظر Moravitz : *Les finances de la Turquie* ص ٧٦، هامش رقم ١) وكانت الضرائب تدفع عن الجماعات جملة ويشترك الأفراد فى تحملها تبعاً لحالتهم المالية ومواردهم. وكان ما يدفع أول الأمر خمسة آلاف قرش تركى (حوالى خمسة وأربعين جنيهاً انجليزياً) عن ١٨٠ شخصا ثم أصبح هذا المبلغ عن ١٣٥ شخصاً. وقد أورد موراڤتز Moravitz (ص

٧٦) أن موارد الدولة من هذه الضريبة ٨٠٠,٠٠٠ جنيه تركى تقريباً وأعفى من هذه الضريبة رجال الدين والنساء والأطفال فيما دون الخامسة عشرة والشيوخ فوق الخامسة والسبعين والفقراء وأهل المناطق المتمتعة بالامتيازات وسكان الآستانة. وكان الموظفون هم الذين يقومون بجبايتها، وبعد إصلاحات عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) قام بجبايتها الرؤساء الروحانيون للجماعات ثم جباة ضرائب الحكومة بعد عام ١٩٠٢م (النص التركى للقانون وارد فى لاحقه قوانين، جـ ٢، ص ٣٤٧ والنص الفرنسى أورده Young فى *Corps de droit* [redacted] ١ = ٥، ص ٢٧٦).

وألغى البدل العسكرى بعد ثورة عام ١٩٠٨م بقانون مؤقت صدر فى ٢٠ من رجب عام ١٣٢٧هـ (٢٥ من تموز عام ١٣٢٥، ونشر فى الجريدة العسكرية يوم ٢ من شعبان عام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٦ من أغسطس عام ١٩١٥م وفى مجموعة قوانين جديده عثمانى، الآستانة عام ١٣٢٧ هـ، جـ ١) وحل محل هذا القانون فرض الخدمة العسكرية على غير المسلمين أيضاً ؟

المصـــادر

(١) Young: *Corps de droit ottoman* أكسفورد عام ١٩٠٦، جـ ٥، ص ٢٧٥ وما بعدها
(٢) Rosin: *Geschichte der Türkei* ليبسك ١٨٦٦ م، جـ ٢، ص ٢٣٥ وما بعدها
(٣) Moravitz: *Les finances de la Turqie* باريس ١٩٠٢م، ص ٧٦
(٤) Ubicini: [redacted] *present de l'empire ottoman*، باريس عام ١٨٧٦، ص ١٢٧.

[F. Giese جيس]

« بدل نقدى » ضريبة يدفعها المسلمون القادرون على حمل السلاح الذين يرغبون فى الإعفاء من بقية الخدمة العسكرية بعد أن انخرطوا فيها ثلاثة شهور، ومقدارها خمسون جنيهاً تركياً على شرط أن يدفعها الرجل من غير أن يضطر إلى بيع أدواته الزراعية. (للتوسع فى هذا الموضوع انظر مادة « بدل عسكرى »).

المصـــادر

(١) Young: *Corps de droit ottoman* أكسفورد ١٩٠٦ م، جـ ٢، ص ٣٩٩
(٢) Moravitz: *Les finances de la Turquie* باريس ١٩٠٢ م، ص ١٢٥.

[F.Giese جيس]

« بَدليس » أو بِدليس أو بِتليس: مدينة بأرمينية التركية وحاضرة ناحية كردستان، وهى على خط طول ٤٢° ٤َ شرقا وخط عرض ٣٨° ٢٣َ شمالا، وعلى مسيرة أربعة عشر ميلا من الشاطئ الغربى لبحيرة وان وخمسة وثلاثين ميلا شمالى شرق سعرد.

ويقول قدامة إن بينها وبين أخلاط (انظر هذه المادة) أربعة سكك أى مراحل بريد (المكتبة الجغرافية العربية، ص٢٣٣ ومابعدها) والعرب ينطقونها «بدليس» والترك بدليس وبتليس . أما الأرمن فينطقونها Baλesh بليش .

ويوصف مظهر المدينة بأنه بهيج يلفت النظر إلى حد بعيد . فهى مشيدة على مسيلين يجريان نحوها وعند بطن واد عميق. ويخترقها نهر بدليس جاى فى جريانه من الشمال إلى الجنوب . وهذا النهر الذى نسب إليها يسير نحوا من ستة عشر ميلا ناحية الشمال ويلتقى بنهر بهتان الذى يطلق عليه اسم الدجلة الشرقى بالقرب من بنسيز على مسيرة عشرة أميال جنوبى غرب سعرد . ويلتقى نهر بدليس جاى بنهير من نهيراته آت من الغرب فى وسط المدينة .

وهذه الأنهر والمجارى المائية تقسم بدليس إلى أربعة أحياء منفصلة ينحاز كل فرد إلى حيه عند ما تنشب بينها الخصومات ويحاصر كل حى الحى الآخر . والبيوت ترتفع حول منحدرات القنن من جميع الجهات وتحيط بها الحدائق الجميلة عادة . وهناك عدة دروب يتصل بعضها ببعض وهى كثيرة التعاريج منحدرة انحداراً خطراً ومرصوفة على الدوام بعكس ما هو مألوف فى الشرق . وتقطع النهر عدة جسور . ويروع الزائر متانة معظم مساكن المدينة وتماسكها . والصخور البركانية الحمراء المائلة إلى السمرة التى تكثر فى الناحية تزود الأهالى بمادة صالحة للبناء .

وتشرف على المدينة كلها قلعة حصينة قائمة على قمة وعرة . ولم يبق من هذه القلعة إلا بعض الأطلال ، كما أننا لا نعلم فى أى وقت شيدت . وعلى حوائطها عدة كتابات عربية، وربما كان تحصين هذه القمة المرتفعة قد تم فى عهد تشييد المدينة ، وإن كانت أساطير المشارقة تنسب ذلك إلى الاسكندر الأكبر . وقد كان لبدليس شأن كبير من الوجهة الحربية فى الأحداث التى توالت فى تاريخ الأرمن .

واستوطن بكوات الكرد بدليس منذ نهاية القرون الوسطى وبسطوا عليها نفوذاً كبيراً شأن غيرها من البلاد ، وكانوا مستقلين تمام الاستقلال عن الباب العالى. ولم يخضعوا له إلا فى حالة واحدة عام ١٦٣٨ حينما خرج السلطان مراد الرابع فى جيش لجب لاستعادة بغداد . والحق إن الترك لم يفلحوا فى كسر شوكة الأمراء الأكراد الذين كانوا يحكمون بدليس ووان إلا عام ١٨٤٧ بعد قتال عنيف ثم وضعوا البلد والناحية تحت حكمهم المباشر. واتخذت القلعة الكردية القديمة مقراً لكبار الموظفين الأتراك فى الوقت الحالى .

ويبلغ ارتفاع مدينة بدليس ١٨٥٠ قدماً وقلعتها ٥٣١٠ قدما . ولذلك فإن جوها بارد رطب. وشتاؤها طويل شأن الهضبة الأرمينية كلها يعقبه صيف قصير حار نسبياً . ويكسو الجليد الطرقات من نوفبر إلى مايو، ومع ذلك

فإن الأحوال مناسبة لزراعة الفواكه. وتكثر فى المدينة الخضر والفواكه الجيدة .

وصناعات بدليس ليست بصفة عامة عديمة الشأن . فإن المجارى المائية الكثيرة تدير طواحين عديدة . ويجدر بنا أن نخص بالذكر صناعة النسج . وتشتهر فى تركيا السجاجيد ذات النقوش البديعة المنسوجة فى بدليس وتختص بدليس بالصباغة بالفوة ، وأهم صادراتها : الأقمشة المصبوغة باللون الأحمر (القطن والصوف) والسجاجيد والماعز وجلود العجول وقطعان الأغنام وتشتهر خاصة بتصدير جوز العفص الذى يجمع من جبال كردستان ، والصموغ البيضاء والحمراء وهى جميعاً تصدر إلى أوروبا .

وبدليس من أهم المدن التجارية وهى لذلك يجب أن تعتبر من أهم مدن إرمينية لأنها إحدى المحطات الرئيسية التى تمر بها القوافل بين إرمينية والكرج من جهة وبلاد النهرين والشام من جهة أخرى . ويذكر لايار Layard أن هناك ثلاث طرق تصل بين بدليس والجزيرة ، اثنان عبر الجبال إلى سعرد وتقطعها القوافل عادة ولكنها وعرة صعبة المسلك ، أما الطريق الذى سلكه لايار فهو يدور حول وديان الفرع الشرقى لنهر دجلة . وأحد الطريقين اللذين ذكرهما لايار واللذين يصلان بدليس بسعرد ليس سوى معبر صغير، ولسنا نعرف عنه شيئاً أكثر من ذلك عن الطريق الآخر الذى يطرقه الناس بكثرة والذى يصل بدليس بسعرد عن طريق دخان ويقطعه المسافر فى يومين فهو طريق بدليس الحقيقى،وكثيراً ما سلكه الرحالة الأوروبيون ووصفوه. وقد ورد ذكر هذا الطريق الضيق فى المصادر البوزنطية (George Cypr. : ηλεισουρα βαλαλεισων) والمصنفات العربية (البلاذرى : كتابه المذكور ، وقد ورد فيه باسم الدرب) كما ذكر كثيرا فى المؤلفات الأرمينية(Gelzer. George. Cypr.، *Lipsiae* عام ١٨٩٠ ، ص ١٦٨ ؛ H. Hübschmann ، كتابه المذكور ، ص ٣١٧ ، ٣١٨) .

وينحرف مباشرة الطريق الرئيسى الذاهب من بدليس إلى داخل بلاد إرمينية ناحية الشمال الغربى متجهاً إلى موش، وقبل أن يعبر جبل نمرود ، وارتفاعه سبعة آلاف قدم ، يتفرع عنه طريق جانبى يذهب مباشرة إلى الشمال الشرقى متجها ناحية بحيرة وان ويصل إلى تدوان Tadwan . وتغطى الثلوج هذه الطرق جميعا خلال فصل الشتاء الطويل القارس فيصعب عند ذلك سلوكها .

وكان إقليم بدليس قبل الحرب الروسية التركية الأخيرة تحت إمرة الحاكم العام لأرزن الروم ثم جعلها الباب العالى ولاية،وذلك لوضع حد لأهواء سكانها ومنازعاتهم . وتضم ولاية بدليس الحديثة أربعة سناجق هى : بدليس وموش وسعرد وكنج وتسعة عشر قضاء وتبلغ مساحتها ١٣٫٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٣٩٨٧٠٠ منهم ٢٥٤٠٠٠ من المسلمين

و ١٤٫٠٠٠ من المسيحيين و ٣٩٠٠ من اليهود وغيرهم. وتبلغ مساحة سنجق بدليس بقضاءاته الأربعــة ٢٨٠٠ ميل مربع وعدد سكانه ١٠٨٢٢٧ نسمة منهم ٧٠٫٠٠٠ مسلم و ٣٢٫٠٠٠ أرمنى و ٢٩٦٣ من اليزيدية و ٣٧٤٠ من الشوام اليعاقبة، وذكر كنير Kinneir عام ١٧١٤ أن عدد سكان مدينة بدليس نفسها ١٢٫٠٠٠ نسمة، بينما يقول سوثجيت Southgate عام ١٨٣٧ وبرانت Brant عام ١٨٣٨ إن فى بدليس ٣٠٠٠ أسرة من أفرادها يتراوح بين ١٣٫٠٠٠ و ١٥٫٠٠٠ نسمة. وذكر مولر Muller و سيمونيس Simonis وهفرنات Hyvernat إن عدد سكان بدليس عام ١٨٨٨ بلغ ٣٠٫٠٠٠ نسمة يقطنون ٦٠٠٠ بيت منهم ٥٫٠٠٠ من الكرد و ١٠٠٠ من الأرمن، وذكر نولده عام ١٨٩٢ ان سكانها ٣٦٫٠٠٠ نسمة وآخر هذه الإحصائيات وأدقها هو إحصاء كوينيه Quinet (كتابه السابق) الذى أفاد من إحصائه لولاية بدليس سوبان Supan فى Petermann's Mitteilungen عام ١٩٠١، ص ٥، ١٤، ١٥، ٢١) والذى جاء فيه إن سكان مدينة بدليس الحاليين هم ٢٠٫٠٠٠ من المسلمين معظمهم من الكرد و ١٦٫٠٨٦ من الأرمن اليعاقبة فيكون مجموعهم ٣٨٫٨٨٦ نسمة يقطنون ٨٣٠٠ بيت، وفى مدينة بدليس خمسة عشرة مسجدا وأربع تكايا ويقطن الأرمن الجريجوريون القسم الجنوبى من المدينة ويشرف عليهم أسقف ولهم أربع كنائس ولليعاقبة كنيسة أخرى.

ولا تزال مدينــة بدليس مثالا للعاصمة الكردية وكانت القصبة السياسية للكرد فى ثوراتهم الكبيرة الأخيرة التى قاموا بها فى القرن التاسع عشر. وليس عجيبا والحالة هذه أن تكون مسرحا لمذابح المسيحيين الفظيعة خلال الأحـــداث الأرمنية التى وقعت فى العشرين سنة الأخيرة؟

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة دهغوى، فى مواضع مختلفة (٢) البلاذرى، طبعة دهغوى، ص ١٧٦ (٣) ياقوت: معجم البلدان، طبعة فستنفلد، جـ ١، ص ٥٢٩ (٤) le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate، عام ١٩٠٥، ص ١٨٤ (٥) Weil: *Gesch. der Chalifen*، جـ ٢، ص ٦٣٨، تعليق رقم ٢ (٦) H. A. Barb: *Geschichte der kurdischen Furstenherrschaft*، فى *Sitzungsber. der Wiener Akad.*، جـ ٣٢، عام ١٨٥٩ (٧) Ritter: *Erdkunde*، جـ ٩، ص ١٠٠٢ — ١٠٦٨، جـ ١٩، ص ٦٨٥ — ٦٨٩ (٨) Cuinet: *La Turquie d' Asie*، جـ ٢، باريس ١٨٩٢، ص ٥٢٤ — ٦٢١ (٩) H. Hübschmann فى *Indogerm. Forsch.*، جـ ١٦، عام ١٩٠٤، ص ٣١٧، ٣١٨، ٣٣٤، ٣٩٠ (١٠) Hommaire de Hell: *Voy. en Turquie et en Perse*، باريس عام ١٨٣٤،

والأطلس، لوحة رقم ٤٩ (١١) A.H.Layard : Niniveh und Babylon ، ليبسك ١٨٥٦ ، ص ٣٥ — ٣٨ (١٢) Rassam : *Asshur and the land of Nimrod* ، نيويورك عام ١٨٩٧ ، ص ١٠٤ — ١٠٨ ، ٣٨٤ وفي هذا الكتاب المعلومات الخاصة بالبعثة الأمريكية في بدليس (١٣) E. Nolde : *Reise nach Innerarabien, Kurdistan und Mesopotamien* برانسويك عام ١٨٩٥ . ص ٢٣٧ — ٢٤١ (١٤) Muller - Simonis et Hyvernat : *Vom schwarzen Meer zum persisch Meerbusen* ماينز ١٨٩٧ ، ص ٢٢٤ — ٢٢٩ (١٥) Lynch : *Armenia* ، لندن ١٩٠١ (١٦) Lehmann-Haupt : *Armenien einst und jetzt 1* عام ١٩١٠ ، ص ٣٢٧ — ٣٣١

[M. Streck ستريك]

« البدليسي » شرف خان : مؤرخ فارسي وهو أكبر أبناء الأمير شمس الدين صاحب بدليس. ولد في ٢٠ من ذي القعدة عام ٩٤٩ هـ (٢٦ من فبراير عام ١٥٤٣) في كرهرود من قمّ ونشأ في أسرة الشاه طهماسب الأول (٩٥٨ هـ = ١٥٣١ م) ولما بلغ الثانية عشرة نصب أميرا للكرد وظل كذلك ثلاثة أعوام وعمل مخلصا على إخضاع ولاية جيلان التي عهد بها إليه، ثم استدعي إلى بلاط اسماعيل الثاني (١٥٧٦ — ١٥٧٧ م) وعين حاكما لنقجوان عندما أجلسه السلطان مراد الثالث على عرش آبائه في بدليس. وفي عام ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ — ١٥٩٧ م) تنازل عن العرش لابنه شمس الدين كي يتم تاريخه عن الكرد الذي كان يضعه باللغة الفارسية وعنوانه «شرفنامه». وقد ترجمه إلى التركية محمد بك بن احمد ميرزا عام ١٠٧٨ (١٦٦٧ — ١٦٦٨ م) كما ترجمه إلى هذه اللغة أيضا شمعي بعد ذلك بقليل (١٠٩٥ هـ ١٦٨٤) وتوجد مخطوطة منه بخط المؤلف في مجموعة بودلي (Elliot رقم ٣٣٢) ونشر نص هذا الكتاب فليامينوف زرنوف Véliominof Zernof. (سنت بطرسبرج عام ١٨٦٠ — ١٨٦٢ م) وترجمه إلى الفرنسية شارموى Charmoy عام (١٨٦٨—١٨٩٧)

المصادر

(١) Wolkow : *Notice* في المجلة الآسيوية المجلد الثامن عام ١٨٢٦ ، ص ٢٩١ (٢) Vellaminof Zernof : *Scheref-nameh* ، المجلد الأول ، ص ٣ وما بعدها (٣) H.A.Barb: *Oeschichtliche Skizze* المجلد الرابع *Sitzun Oeschichte = gsber. der Wiener Akad der kurdischen Fürstenherrschaft* ، ص ٩٦ وما بعدها .

[Cl. Huart هيوار]

« البدليسي » مولانا إدريس حكيم : قائد تركي ومؤرخ وهو ابن الصوفي حسام الدين الذي ينتمي إلى طريقة الشيخ عمر يزيد. كان أول الأمر موظفا تحت إمرة يعقوب بن

أوزون حسن سلطان التركمان من القطيع الأبيض (توفى عام ٨٩٦ هـ = ١٤٩٠ — ١٤٩١ م) ولما كتب السلطان بايزيد الثانى يعلن انتصاره رد عليه البدليسى فأعجبه رده واستدعاه إلى بلاطه وظل فى خدمة السلطان سليم الأول ، وصحبه فى غزو بلاد فارس واستولى له على كردستان وقاد الجيش الكردى وهزم الفرس وفتح ماردين ، وكان له شأن كبير فى ضم الرها والموصل ، وعمل على استقرار الأحوال الداخلية فى البلاد .

ومنح البدليسى حصن كيفا لخليل الأيوبى باسم السلطان واشترك فى فتح مصر . ومدح السلطان سليم بقصيدة لم ينس فيها أن يوجه إليه النصح فى طريقة حكم مصر .

وتوفى البدليسى عام ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وفى هذا العام أيضا توفى السلطان سليم . وخلف البدليسى تاريخا بالشعر الفارسى فى ٨٠٠٠٠ بيت عن السلاطين الثمانية الأول من آل عثمان وعنوانه «الهشت بهشت» أى الجنان الثمان » .

المصـــادر

(١) H. A. Barb : *Geschichte der Kurdischen Fürstenherrschaft (Sitzungsber. der Wiener Akad.* جـ ٣٢ ، ١٨٥٩ م ، ص ١٤٥) . (٢) J.de Hammer : *Histoire de l' Empire ottoman* ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ ، ٢٥٣ وما بعدها ، ٢٥٩ ، ٤١٥
(٣) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٦٦
(٤) Gibb : *History of Ottoman Poetry* : جـ ٢ ، ص ٢٦٧ ، التعليق [وفيه تأريخ خاطىء]

[هيوار Cl. Huart]

« بدن » انظر مادة جسم

« بدن بابا » اسم ولى مسلم ينسب إلى جبال بابا بدن ، وهى أكثر جبال هضبة ميسور بالهند ارتفاعا وهى بين خطى عرض ٢٣َ ١٣° و ٣٥َ ١٣° شمالا وخطى طول ٣٧َ ٧٥° و ٥٢َ ٧٥° شرقا . ويقال إن بابا بدن هو أول من أدخل زراعة البن إلى بلاد الهند فى القرن السابع عشر الميلادى عقب عودته من الحج . ويقول المسلمون إن قبره فى مغارة يتبرك الهندوس بها ، فهى عندهم المكان الذى اختفى فيه الحكيم « دتاتريا » والذى سيظهر فيه يوما ما ويكون ذلك إعلانا بالتجسيد الأخير « لفشنو » ومن ثم فإن هذا المكان يحج إليه المسلمون والهندوس على السواء .

المصـــادر

مقال L. Rice فى *Gazetteer of Mysore and Coorg* بنجالور ، ١٨٧٦ م ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .

« بدو » (انظر مادة « بلاد العرب »)

«بدوح»(١) : كلمة من كلمات الأوفاق تتألف من عناصر المربع الوفقى البسيط المنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى :

(١) ان قارىء مادة بدوح التى نعلق عليها الآن لايفيد من تلاوتها الا أن مؤلفها العلامة مكدونلد قد اتجه بها إلى قراء فرض فيهم أنهم ممن سبقت لهم الاحاطة بموضوعها وانه يريد الايغال بهم من مقدماتها إلى نتائجها ومن بسائطها إلى مركباتها، ومن ثم كانت عبارته المستعجمة عسرة الفهم فى مجموعها على طالب الألمام بشرح تلك المادة الماما هو من اختصاص المعاجم العامة لا كتب البحث والاستقراء الخاصة . لذا رأيت جلاء غوامضها واتماما للمعلومات فى بعض نواحيها ان أثبت هنا أن الرواية الرائجة فى شرح كلمة بدوح وبيان أصلها هى الرواية التى نقلها العلامة المحقق سلفستر دى ساسى Silvestre de Sacy من العالم البحاثة ميخائيل صباغ وهى ان التجار وأرباب الرسائل والأموال فى بلاد العرب كانوا يكتبون تلك الكلمة على بضاعتهم ورسائلهم تحصيناً لها من الضياع إذ يعتقدون أن تاجرا من أهل الحجاز كان يسمى بدوحا وكان التجار من أهل عصره اذا وجهوا بتجارتهم إلى بعض الجهات نهبها اللصوص إلا ذلك التاجر فان بضاعته ورسائله كان لا يتعرض لها أحد بسوء فتصل سالمة : وما أن توفى حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضاعاتهم ورسائلهم فكانت تسلم من الأذى وكانوا لا يكتبونه بالحروف بل بما يقابلها من الارقام فى حساب الجمل هكذا ٢٤٦٨ وكثير من الناس كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتيمن ودفع الأذى

غير أن هذه الرواية وان نقلها المحقق العلامة سلفستر دى ساسى الآنف الذكر لم يقطع بصحتها المحققون غيره إذ أجمعوا على أن الصحيح هو ماورد فى الكتاب الموسوم بـ (مستوجبة المحامد فى شرح خاتم أبى حامد) للعلامة شرف الدين أبى عبد الله بن بنت أبى سعيد . وخلاصته أن المسلمين يعتقدون فى الخواتم والطلسمات ويتوسلون بها فى بلوغ الأرب ودفع الأذى . ومما يعتقدون فيه أكثر من غيره الخاتم المسمى بخاتم أبى سعيد ويكتب على ورق أو رق غزال ويعلق فى العنق وصفة كتابته بالأرقام والحروف كما فى الجدولين اللذين أوردهما العلامة مكدونلد فى صدر مادة بدوح هذه . فانك اذا جمعت فى الجدول الأول الذى إلى اليمين الأرقام الهندية المكتوبة فى كل خانه من الخانات الثلاث أفقية كانت او عمودية او فى اتجاه القطرين المتقاطعين كان المجموع واحدا وهو ١٥ والمصطلح عليه فى كتابة ذلك الخاتم أن تكون الأرقام المكتوبة فى الأركان الأربعة من الخاتم زوجية وتسمى بمزدوجات المثلث والارقام المكتوبة فى الخانات الاخرى فردية وتسمى مفردات المثلث (ولا يظنن القارىء أن المراد بالمثلث هنا الشكل الهندسى المؤلف من ثلاثة أضلاع بل المربع المؤلف من ثلاثة أنهر مستطيلة ينقسم كل نهر منها إلى ثلاث خانات) وقد أسلفنا أن المراد من كتابة الخاتم جلب خير أو دفع شر فاذا كان القصد تحصيل الخير كتبت الأرقام الزوجية فى الأركان الاربعة وتركت الباقية خالية هكذا :

٤		٢
٨		٦

أو ما يقابلها من الحروف هكذا

د		ب
ح		و

أما إذا كان القصد شرا كتبوا الارقام الفردية هكذا

	٩	
٣	٥	٧
	١	

أو ما يقابلها من الحروف هكذا

	ط	
ج	ه	ز
	ا	

فاذا جمعت الحروف الزوجية كانت لفظ (بدوح) او الحروف الفردية كانت لفظ (أجهزط) وقد يكتب اللفظان كما هما الاول فى الخير والثانى فى الشر . وكلمة

د	ط	ب	ويعبر عنه في الحروف الأبجدية بما يلي:	٤	٩	٢
ج	هـ	ز		٣	٥	٧
ح	ا	و		٨	١	٦

ومن المصطلح عليه أيضا ، ولكن في دائرة أضيق ، استعمال أوفاق أخرى كالسابقة مؤلفة من حروف هذا المربع. مثاله : بدط ، زهج ، واح . وقد تتصل ببعضها كما يأتي : بطد زهج واح — ويؤلفون أيضا من بعض الحروف أوفاقا رباعية أكبر من تلك . مثاله الأوفاق الرباعية الأقسام التي أساسها حروف ب ، د ، و ، ح — وفي أقدم الكتب العربية المصنفة في الأوفاق (مثل كتاب شمس المعارف للبوني المتوفى سنة ٦٢٢ هجرية الموافقة سنة ١٢٢٥ من الميلاد) تجد أن ليس لهذا الوفق شأن يذكر أو أهمية ذات خطر، غير أنه بالنظر لموافقة الإمام الغزالي عليه واعتباره إياه في كتابه المنقذ (المطبوع في القاهرة سنة ١٣٠٣ هجرية ص ٤٦ و ٥٠) من خير ما يستعان به على حل عويصات المسائل وجلاء غامضها لم يلبث أن اشتهر أمره على التدريج وذهب في الآفاق صيته باعتبار أنه طلسم (بكسر الطاء وتشديد اللام مع الفتح وسكون السين) أو خاتم أو جدول (الوفق والخاتم والجدول المثلث للغزالي). ثم انتهى الأمر به إلى أن صار بداية ونهاية لـ (علم الحروف) ومقدمة له ونتيجة . والمتواتر في هذه المسألة أن الغزالي تلقى من الهاتف سر ذلك الوفق بشرح حروف كلمتي كهيعص وحمعسق اللتين تفتتح بأولاهما السورة التاسعة عشرة من القرآن الكريم وبالثانية السورة الثانية والأربعون. والكلمتان تستعملان وحدهما بمثابة طلسمات (راجع كتاب الآثار الاسلامية *Monuments Musulmans* تأليف رينو Reinaud جـ ٢ ، ص ٢٣٠) أما طريقة الاستعمال فليراجع بشأنها كتاب مفاتيح الغيب (المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ، ص ١٧٦ و ١٧١) للشيخ أحمد موسى الزرقاوي الفلكي وهو من المصريين المعاصرين ويشتغل بعلم الأوفاق ، وأما الموضوع فراجع بشأنه الرسالتين السادسة والسابعة من هذا الكتاب . ومن الباحثين من يرجعون بصيغة الوفق الذي نحن بصدد الكلام عليه إلى آدم (أبي البشر) الذي يزعمون فيما زعموا أن الإمام الغزالي تلقاها في آخر الأمر — بالاتصال والتعاقب (راجع كتاب العناية الربانية ص ٤٤ وكتاب

بدوح اذا حلها المسافر لم يتعب أوإذا كتبت على رسالة وصلت سالمة [ومن هذا سر شيوع كتابتها بالارقام هكذا ٨٦٤٢ على الرسائل حتى المتبادل منها بين بعض أفراد الطبقة المثقفة] وتكتب للمحبة في ورقة تبخر مع تلاوة العزيمة الآتية عليها :

يا بدواح يا بدوح يا بدوح
الف بين الروح والروح
بحق القلم واللوح
وآدم وحوا ونوح

محمد مسعود

الأسرار الربانية ص ١٥ وكلاهما من تأليف الشيخ يوسف محمد الهندى وهو من المؤلفين المصريين المعاصرين فى علم الأوفاق وله رسالة خاصة أجمل عنوانها فى موضوع ذلك الوفق . وللإمام الغزالى فى جميع هذه المصنفات وبخاصة منها كتاب الجفر شهرة وثيقة بأنه القابض على زمام العلوم الروحانية (راجع المجلة الأمريكية *Journ. Amer. Or. Soc.* ، ج ٢٠ ، ص ١١٣ وكتاب ابن تومرت تأليف جولد زيهر Goldziher ص ١٥) — هذا ومن كلمات الأسرار التى تتألف منها كلمة بدوح كلمة بيدخت الآرمية الفارسية التى تفيد معنى الكوكب أو معنى الآلهة الزهرة (راجع كتاب *Ausslige aus syrischen Akten persischer Martyrer* تأليف هوفمن G.Hoffmann ص ١٢٨ وما بعدها) ولكن هذا الاسم وان يكن واردا فى الفهرست (ج ١ ص ٣١١ و٧) على اعتبار أن الخصائص السحرية والشيطانية قد توافرت فيه ومقترنا فى غالب الأحيان بكلمة الزهرة (راجع الزهرة مثلا فى خطط المقريزى طبعة سنة ١٣٢٤ هجرية ج ١ ص ٨ وفى قصص الأنبياء للثعالبى طبعة سنة ١٣١٤ هجرية ص ٢٩ وفى كلا الكتابين اخطاء مطبعية) فالظاهر انه — أى الاسم — ما برح مجهولا بالمرة فيما كتب عن الأوفاق والسحر والجن . ولكن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أنه تسرب إلى حظيرة اللغة العربية لأهل جنوب جزيرة العرب وشاع فيها عندهم إذ أطلقوه علما على بعض نسائهم أو صفة لمن تفيد معنى بدانة الجسم — وقد خلط بعد ذلك بكلمة بدخ (راجع فى اللسان ج ٣ كلمة بدخ) وفى غير ذلك لا يبدو أن الكلمة عربية الأصل . على أن كلمة بدوح إذا ظهرت من جهة أخرى مقترنة باسم كوكب من الكواكب ففى هذه الحالة لا يكون هذا الكوكب سوى زحل الذى له من المعادن الرصاص (راجع كتاب مفاتيح الغيب الآنف الذكر ص ١٧٠) لا النحاس الذى هو معدن الزهرة . ومما يكاد يكون قليل الجدوى فى هذا المقام أن نشير إلى ما فكر فيه فون هامر Von Hammer من احتمال أن تكون كلمة بدوح صفة من صفات الله (راجع المجلة الأسيوية *Journ. As.* سنة ١٨٣٠ ص ٧٢) حتى ولو ارتكزت فكرته على رواية تركية المصدر (راجع فيما يلى دهساسى *Sacy* ■) ولا إلى الأصل الذى أرجع دهساسى إليه تلك الكلمة ولا إلى الأسطورة التى قصها ميخائيل صباغ على مسمعه (راجع مجموعة المنتخبات العربية Chrest. ar. ج ٣ ص ٣٦٤ وما بعدها) من أن بدوح كان اسما لتاجر معروف بالصلاح والتقوى فلم تفقد له بضاعة فى الطريق ولا رسالة — هذا وليس فيما صنف من كتب الأوفاق حالات كثيرة ورد فيها هذا الاسم (مثاله : لم يرد فى كتاب الفتح الرحمانى لمؤلفه الحاج سعدون سوى قوله فى ص ٢١ : يا بدوح) .

غير أن بدوحا لم يلبث أن تحول فى نظر العامة واعتقادهم إلى واحد من الجن تطلب المساعدة [illegible] ويلتمس العون بكتابة اسمه بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى (راجع المجلة الآسيوية المجلد الثانى عشر من السلسلة الرابعة، ص ٥٢١ وما يليها . وكتاب السحر والدين *La magie et la religion* تأليف دوتيه Doutté ص ٣٩٥ إذ أضاف هذا المؤلف الى كلمة بدوح كلمة قيوم معتبرا اياها من أوصاف الله. وكذا كتاب مصر العليا Upper Egypt لكلونزنجر Klunzinger ص ٣٨٧) . وتستعمل كلمة بدوح أيضا على وجوه شتى لجلب خير أو دفع شر فهى العامل فى الشفاء من مرض الاستحاضة menorrhagie (راجع كتاب دوتيه ص ٢٣٤) وفى الآلام الجثمانية (الكتاب نفسه ص ٢٢٩) وفى التخفى عن الأنظار (ص ٢٧٥) وفى العنة المؤقتة (ص ٢٩٥). وتحدث لين (فى كتابه: المصريون الحديثون *Modern Egyptians* فصل ١٢) عن ساحر مصرى فى القاهرة فقال إنه كان يستخدم كلمة بدوح بمرآة مطلاة حبرا وهى الطريقة الشائعة فى مختلف الأعمال السحرية — وعدا ما تقدم تنقش كلمة بدوح فى الجواهر وفى الصفائح المعدن والخواتم على أن تحمل دائما بصفة كونها طلسما وتكتب فى مقدمات الكتب والتواليف (مثل كابيكاج) كوقف للحماية من الشر (مثاله ما ورد فى كتاب فتح الجليل المطبوع بتونس سنة ١٢٩٠ هـ). ولكن أغلب ما يكون استعمالها فى ضمانة وصول الرسائل والبضاعات إلى المرسلة إليهم .

وفيما عدا الشواهد الآنفة (راجع أيضا رينو Reinaud فى كتابه الآثار الاسلاميـة [illegible] *monuments* ، مجلد ٢ ، ص ٢٩٣ وما بعدها ، ص ٢٥١ وما بعدها و ص ٢٥٦)

[مكدونالد Macdonald]

« بدوى » (انظر « بلاد العرب »)

« البدوية » (انظر « أحمد البدوى »)

« بديع » من أسماء الله الحسنى . وكلمة بديع فى معنى اسم المفعول يكون القصد منها « مخترع » Discoverer. أو مبتدع وهى من مصطلحات علم البلاغة [1] وتدل على صور

(١) كانت كلمة بديع بمعناها الاصطلاحى فى علم البلاغة تشمل المحسنات البلاغية والتشبيه والاستعارة وغير ذلك لأن علم البديع أول من وضع فيه كتابا سماه « البديع » هو ابن المعتز وقد جمع فيه سبعة عشر نوعا منها الاستعارة والكناية والتجنيس وغير ذلك مما هو داخل الآن تحت علم البيان وعلم البديع وعلم المعانى . لأن تخصيص مسائل هذه العلوم ومعرفة حدود كل لم يعرف حينذاك . فكان أول ما عرف منها « البديع » حتى جاء عبد القاهر الجرجانى فحدد موضوعات المعانى والبيان . فعلوم البلاغة على أيام عبد القاهر تميزت وانفصلت وكان ذلك فى القرن الخامس الهجرى ، ثم جاء بعده السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ هـ

الكلام وأجناسه ، ومن ثم كان علم البديع فرعاً من علوم البلاغة . والشاعر ابن المعتز (انظر هذه المادة) هو أول من ألف بالعربية فى هذا الموضوع . وكلف الشعراء المتأخرون باستعمال جميع المحسنات البديعية فى القصيدة الواحدة . وتعرف مثل هذه القصائد بالـ « بديعيات » . وممن اشتهر بنظمها صفى الدين الحلى[٢] (انظر هذه المادة) وابن حجه وغيرهما انظر كتاب حاجى خليفة ومهرن Mehren : *Rhetorik der Araber* ص ٩٧) ؟

« البديع الأسطرلابى » أبو القاسم هبة الله بن أحمد (وقيل ابن يوسف) عالم عربى مشهور وطبيب وفيلسوف وفلكى وشاعر ، برز بصفة خاصـــة فى استعمال الاسطرلاب وصناعته كما برز فى صناعة الآلات الفلكية الأخرى . ولا نعرف تاريخ ولادته . نجده فى عام ٥١٠ هـ (١١١٦ — ١١١٧م) فى إصفهان، وكانت تربطه بالطبيب النصرانى أمين الدولة بن التلميذ روابط الود . ثم عاش بعد ذلك فى بغداد وهناك جر عليه — كما يقال — اشتغاله بالفلك أرباحا طائلة وذلك فى عهد الخليفة المسترشد . ويذكر أبو الفداء أن الأرصاد الفلكيـــة قد تمت بإرشاده فى عام ٥٢٤ هـ (١١٣٠م) فى قصر السلطان السلجوقى ببغداد . ومن المحتمل أن

فألف كتابه « مفتاح العلوم » جعله فى النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع فامتازت الحدود ووضحت الرسوم ولم يأت بعده من زاد شيئا من أصول علوم البلاغة الثلاثة إلا ما كان من علم البديع ، فان علماء مصر والشام قد زادوا على ما وضعه أهل المشرق فيـه . وقد أوصله ابن أبى الاصبع المصرى المتوفى عام ٦٥٤ هـ إلى التسعين وأضاف اليها من مستخرجاته ثلاثين وسمى كتابه « تحرير التحبير » فى البديع ، ثم زادت الأنواع البديعية عن ذلك كثيرا حتى وصلت إلى مائه وأربعين نوعا

(٢) أول من نظم قصيدة سرد فيها أشكال البديع وسميت من ثم « بديعية » الشاعر صفى الدين الحلى المتوفى عام ٧٥٠ هـ ومطلع بديعيتـه :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عرب بذى سلم

جمع فيها مائة وأربعين نوعا وجعل كل بيت منها مثالا شاهداً لذلك النوع وذكر اسم النوع البديعى إلى جانب البيت وسمى منظومته « الكافية البديعية » وله عليها شرح لطيف وتلاه عز الدين الموصلى المتوفى فى حدود عام ١٣٩٧ م ومطلع بديعيته :

براعة تستهل الدمع فى العلم عبارة عن نداء المفرد العلم

وعقبه تقى الدين بن حجة الحموى المتوفى عام ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) ومطلع بديعيته :

لى فى ابتداء مدحكم ياعرب ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

والتزم فيها تسمية النوع وعلق عليها شرحا مطولا أصبحت به بديعيته سفرا جليلا سماه « خزانة الأدب » وتلاه عبد الغنى النابلسى المتوفى عام ١١٤٣هـ (١٧٣١م) ونظم بديعيتين لم يلتزم فى أولاهما تسمية النوع والتزمها فى الثانية ، ومطلع الاولى :

يا منزل الركب بين البان فالعلم
من سفح كاظمة حييت بالديم

ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من أهوى بذى سلم
براعة الشوق فى استهلالهـا ألمى

وسمى منظومته « نسمات الأسحار » .

ثم هناك بديعيات أخرى بعـد ذلك . وكل هذه البديعيات من بحر البسيط وعلى روى الميم وكلها فى مدح النبي وفى مدح أصحابه

عبد الوهاب حمودة

يكون الزيج المحمودى الذى ألفه وأهداه إلى السلطان أبى القاسم محمود بن محمد (١١١٨—١١٣١م) هو نتاج هذه الأرصاد.

وتوفى البديع الأسطرلابى فى بغداد عام ٥٣٤ هـ (١١٣٩ — ١١٤٠م) ويقال إنه دفن وهو فى حالة غيبوبة، وقد ذكر أبو الفداء وحده هذه الرواية. ويزعم ابن القفطى أن أشعار الأسطرلابى كانت فائقة رائقة بينما يذكر ابن خلكان أنه كان يستعمل المجون فى شعره حتى يفضى به إلى الفحش فى اللفظ. وقد أورد كل من ابن خلكان وابن أبى أصيبعة مقتطفات من أحسن قصائده. ونشر البديع الأسطرلابى إلى جانب ديوانه الخاص مختارات من أشعار ابن حجاج فى مجلد واحد ورتبه على ١٤١ بابا وسماه «درة التاج من شعر ابن حجاج». ويجب أن لا تسوقنا المدائح التى كالها للبديع الأسطرلابى كتاب سيرته من العرب وفى طليعتهم ابن القفطى إلى الغلو فى تقدير مواهبه. فقد كان المؤرخون وكتاب السير فى القرن الثالث عشر على معرفة قليلة بالرياضيات والفلك، ولذلك فهم لا يستطيعون تقدير الخدمات الجليلة التى قدمها علماء القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادى عشر الميلادى لهذه العلوم. وهم كثيراً ما أخطأوا كذلك وكالوا المدح جزافا للمؤلفات العلماء القريبى العهد منهم وذلك على حساب المؤلفات التى ظهرت إبان ازدهار العلم العربى. فانا لا نجد من ألفاظ المديح التى وجهت إلى البتانى وأبى الوفاء والبيرونى ما يماثل الألفاظ التى وجهت إلى الأسطرلابى مع أن هؤلاء العلماء يفوقونه علما؟

المصـــادر

(١) ابن القفطى، طبعة ليبرت، ص ٣٣٩ (٢) ابن خلكان، طبعة القاهرة عام ١٣١٠، جـ٢، ص ١٨٦، ترجمة ده سلان، جـ٣، ص ٥٨٠ (٣) ابن أبى أصيبعة، طبعة مولر، جـ١، ص ٢٨٠ (٤) أبو الفرج، طبعة صلحانى، ص ٣٦٦ (٥) Abulfedae: *Annales muslemici* طبعة رسك Reiske وأدلر Adler، جـ٣، ص ٤٤١، ٤٣١ (٦) Hammer: *Litteratur-gesch. d. Araber*، جـ٦، ص ٤٣١ (٧) H. Suter: *Abhandlungen zur Gesh. der mathem. Wissensch.*، جـ١٠، ص ١١٧

[H. Suter سوتر]

«بديع الزمان» (٣٥٨ — ٣٩٨هـ):

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى ابن بشر، ولقبه بديع الزمان، وهو شاعر وكاتب رشيق العبارة. قرأ فى بلده همذان على أحمد بن فارس وغيره من النحاة.

وفى سنة ٣٨٠ للهجرة ذهب إلى الرى، حيث لقى الحظوة عند الصـــاحب بن عباد زمنا ما، ثم خرج منها إلى جرجان حيث عاش فى رعاية أبى سعيد محمد بن منصور.

وفى سنة ٣٨٢ للهجرة ذهب إلى نيسابور ودخلها فقيرا مجردا إذ خرج عليه اللصوص فى الطريق وسلبوا ما كان معه . ولقيه أبو بكر الخوارزمى شيخ الأدباء فى عصره على غير ما كان يحب ، وما لبث أن دعى ليناظره فى فروع الأدب فى جمع من الناس . وقد ذكر لنا فى وصفه لهذه الحادثة أنه انتصر على أبى بكر (ترجم هذا الوصف فون كريمر V. Kremer فى *Kulturgesch* ، ج ٢ ، ص ٤٧١ وما بعدها) وإن كان هذا يبدو محلا للشك . وأذاعت هذه الحادثة صيته ، ولما توفى الخوارزمى بعد ذلك بسنوات خلفه بديع الزمان فى مكانته . ووجد حماة له فى خراسان وسجستان وغزنة ثم استقر به الأمر فى هراة ، وهناك تزوج من ابنة الحسين بن محمد الخشنامى .

ويظهر أن مقامات البديع وهى إحدى مصنفاته قد أهداها إلى خلف بن أحمد أمير سجستان الذى نجد وصف رعايته للبديع فى الرسالة رقم ١٧٣ . وكانت كلمة « مقامة » قبل بديع الزمان معناها « العظة » (انظر : مروج الذهب ، ص ٤٣١) أو الخطبة (انظر ، الجاحظ كتاب البلغاء ، ص ٢١٨ ، س ١٣) ، فلما أطلقها بديع الزمان على ما أنشأ أصبح لها ما يشبه معنى الكلمة اليونانية « Mime » ومعناها « الحوار الممتع » .

ويزعم الهمذانى أنه أنشأ أربعمائة مقامة ليست واحدة منها كالأخرى . وهذا الزهو لا يبرره ما بقى لنا من مجموعة مقاماته التى تشتمل على إحدى وخمسين مقامة ، بعضها يشبه البعض الآخر .

وموضوع هذه المقامات فى العادة هو « الكدية » أى إعمال الحيلة لكسب المال ، وفيها يظهر البطل شيئا من العلم والفصاحة والبداهة . ويحسن أن نقول إن بعض المقامات تصف الحياة فى بغداد فى عهده ، أما البعض الآخر فيتكلم عن تاريخ قديم مثال ذلك :

المقامة التى يظهر فيها الشاعر ذو الرمة ؛ والمقامة التى تتحدث عن محمد بن إسحاق الصيمرى المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة ، والمقامة التى تصور منظرا فى حياة سيف الدولة المتوفى سنة ٣٥٩ هـ .

ومواضيع هذه المقامات تتضمن المناظرة فى الدين ، والمواعظ وأعاجيب الشعر ، كما تتضمن أيضا حيل الشحاذين واللصوص . ويذهب الحصرى إلى أن مقامات بديع الزمان أخذ فكرتها عن الأربعين حديثا لابن دريد (انظر : زهر الآداب ، ج ١ ، ص ٢٥٤ ، طبعة ٣٠٥ هـ) .

أما رسائل بديع الزمان ، ويبلغ عددها ٢٣٣ رسالة ، فأغلبها مكاتبات خاصة بذل فى تدبيجها من الجهد ما يجعلها جديرة بالنشر . وأغلب الذين كتبت إليهم هذه الرسائل كانوا من ذوى المجد والشهرة ، وإن كان لا يذكر منهم الآن إلا القليل مثل : المؤرخ ابن مسكويه والأديب أبى بكر الخوارزمى . وموضوع هذه الرسائل فى العادة أمور خاصة

كطلب إعارته بعض الكتب ، أو الشكوى من خراجه ، وبعضها يتناول مسائل أعظم خطرا كالرسالة رقم ١٦٧ التى تصف انتشار الزندقة الشيعية .

وقد اختار الثعلبي (يتيمة الدهر ، جـ ٤ ، ص ١٩٥ — ٢٢٤) منتخبات من شعر البديع أوردها فى يتيمته ، واختار غيرها ياقوت وذكرها فى معجمه ، أما الديوان الذى نشره فى القاهرة عبد الوهاب رضوان ومحمد شكرى سنة ١٩٠٣م فلا يشتمل إلا على ٨٤ صحيفة . وأغلب قصائد البديع أنشأها فى مدح سادته .

طبعات المقامات :

طبعت فى القسطنطينية سنة ١٢٩٨ هـ ، وفى بيروت سنة ١٣٦٧ هـ وهى طبعة منقحة وعليها شرح للشيخ محمد عبده ؛ وطبعت فى القاهرة حوالى سنة ١٩١٠ م وعليها شرح لمحمد محمود الرافعى .

طبعات الرسائل :

أما الرسائل فطبعت فى القسطنطينية سنة ١٢٩٨ هـ ، وفى القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ على هامش خزانة الأدب لابن حجة ، وطبعت فى بيروت سنة ١٨٩٠م وعليها شرح لإبراهيم أحدب الطرابلسى .

وقد أحصى بروكلمان ما كتب فى اللغات الأوربية عن الهمزانى (جـ ١ ، ص ٩٤) . وترجمة البديع التى ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء (جـ ١ ، ص ٩٤—١١٨) أخذ معظمها عن الثعلبي ، ونقل بعضها عن كتاب تاريخ همذان لشيروية .

[مرجليوث D. S. Margoliouth]

« بُدَيل بن ورقاء » زعيم بنى خزاعة وهى قبيلة كانت تسكن بالقرب من مكة وكانت عيناً للنبي تنبئه بما تدبره قريش ثم حالفته بعد عهد الحديبية الذى عقد فى العام السادس للهجرة (= ٦٢٨ م) .

وكان أول ظهور بديل فى معسكر الحديبية ليخبر محمدا (ص) أن قريشا ستقاتله وتصده ، ثم عاد إلى مكة وكانت له دار بها فأعلم قريشا بما اعتزمه النبي[1]. وكان بنو خزاعه قد فروا إلى الحرم أثناء حربهم مع بنى بكر ، وانحازت قريش إلى صف بنى بكر الذين كانوا يتجرون معهم. وكان فى عملها هذا نكث بعهد الحديبية الذى اعترف فيه بأن بنى خزاعة حلفاء للنبي وبهذا هيئوا له الفرصة لمهاجمة مكة .

وأسرع بديل إلى المدينة ليتفق مع النبي ولقى فى طريقه أباسفيان (انظر هذه المادة) الذى كان ذاهباً إلى المدينة ليجدد العهد .

(١) يقول ابن الأثير « فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان شاءت قريش ماددتها مدة ويخلوا بينى وبين الناس ، وإن أبوا ، فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى فانطلق بديل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ... الخ » [انظر ابن الأثير : حوادث سنة ٦ هـ)

اللجنة

ويظهر أن كليهما قد اتفق مع النبي على شروط تسليم مكة من غير قتال وعرض خدمتهما فى هذا السبيل. وزحف النبي إلى مكة على رأس عشرة آلاف رجل بدعوى الثأر لبنى خزاعة وقيل أن يصل النبي إلى مر الظهران يوم (منتصف رمضان من سنة ٨ هـ = أوائل يونيه من سنة ٦٣٠ م) خرج بديل وأبو سفيان يتجسسان. ولو لم يكونا قد اتفقا سرا فيما بينهما لما استطاع أبو سفيان أن يقنع بديلا بالذهاب معه فى هذه اللحظة الحرجة وهو زعيم خزاعة التى كانت سببا فى الحرب. وقيل انهما أسلما بعد أن أدخلا على النبي وقدما خضوعهما إليه، ولا يمكن أن يكون بديل قد أسلم قبل ذلك لأن اسمه ذكر بين مسلمى فتح مكة. ومن مفاخره أن كل من دخل داره فى مكة فهو آمن[1]. وبعد فتح مكة شهد بديل واتباعه غزوة حنين. ولم يكن حاضرا فتح الطائف لأنه كان يحرس الغنائم التى غنمها المسلمون فى حنين بمعسكر الجعرانة ولم يذكر اسمه بعد ذلك. ويظهر أنه توفى قبل وفاة الرسول (بين سنة ٩ هـ = ٦٣٠ م) وسنة ١١ هـ (= ٦٣٢ م).

(١) رواية ابن الأثير تقول إن النبي (ص) قال « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن » [انظر ذكر فتح مكة]

المصـــادر

(١) الطبرى: التاريخ، ج ١، ص ١٣٣٥؛ ص ١٦٢١ — ١٦٢٨، ص ١٦٣٤ (٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٢ القسم الأول، ص ٧٠ وما بعدها، ص ٩٨ (٣) الأغانى، ج ٦، ص ٩٧ (٤) البلاذرى: فتوح البلدان (طبعة ده غوى)، ص ٣٥ وما بعدها (٥) ابن هشام: السيرة (طبعـــة فستنفلد)، ص ٨٠٧ (٦) ابن الأثير: أسد الغابة (٧) Caetani: *Annali* المجلد الثانى، الجزء الاول، سنة ٨، رقم ٢١، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٥١، ٥٧

[لامنس H. Lammens]

« بذخشان » أو بدخشان وتكتب أحيانا بذخشانات بصيغة الجمع: بلاد جبلية على الشاطئ الأيسر من المجرى الأعلى لنهر جيحون أو على وجه الدقة على الشاطئ الأيسر لنهر پنج الذى ينبع منه نهر جيحون. والنسبة إليها بذخشانى أو بذخشى. ويذكر مركارت J. Marquart (أنظر كتاب إيرانشهر، ص ٢٧٩) أن هذا الاسم معناه « بلاد البذخش أو البلخش، وهو نوع من الياقوت لا يوجد إلا فى بذخشان على نهر ككچه». ومع ذلك فإنه من المحتمل جداً أن تكون كلمة « بلخش » (ومنها الكلمة الفرنسية *Balais* والإنجليزية *Balas*) لهجة من اللهجات كانت تدل فى الأصل على اسم البلاد ثم استعملت بعدئذ للدلالة على ذلك النوع من الياقوت. ويذكر ياقوت أن

كلمة بذخشان هى الاسم المستعمل عادة بين العامة للدلالة على البلاد (أنظر معجم البلدان لياقوت ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٥٢٨) . وقد ذكر الرحالة ماركو بولو Marco Polo أيضـــا الاسم نفسه . وتوجد المناجم التى يستخرج منها الياقوت ، خارج بذخشان فى شغنان على الشاطىء الأيمن لنهر جيحون كما يؤخذ من رواية الرحالة القديم ماركو بولو. ومهما يكن من الأمر فإن اقليم شغنان كان فى كل العصور منضما لبذخشان تحت إمرة حاكم واحد . وكان معدن اللعل (وبالفارسية لال) المستخرج من بذخشان مشهوراً فى العالم الإسلامى كله إبان العصور الوسطى . وتدل عبارة « لال بدخشان » أو « لال بدخشانى » المذكورة فى الشعر الفارسى عن طريق المجاز على الخمر أو لمى الحبيب ، ولا تزال هذه العبارة إلى اليوم شائعة بين العامة فى آسية الوسطى . وتوجد مناجم اللعل فى أرض بخارى الخاضعة لسلطان الروس. وعلى الرغم من ذلك فان طرق استغلالها لا تزال على حالها البدائية ، ولذلك فإنها لا أهمية لها قط فى تجارة الأحجار الكريمة بأوربا .

ويروى نهر ككچه بلاد بذخشان وهو فرع من نهر جيحون ويطلق عليه اسم خرناب فى كتاب حدود العالم (كتب هذا المصنف فى عام ٣٧٢ هـ = ٩٨٢ — ٩٨٣ م ، ويمكن الرجوع إلى كتاب J. Marquart : *Osteuropäische und ostasiatische Streifzuge* ، ص ٣٠ فيما يختص بهذا المصنف الذى توجد منه نسخة خطية وحيدة فى سانت بطرسبرج) ونهر ككچه وروافده هو النهر الوحيد الذى له شأن فى هذه البلاد من الناحية الاقتصادية ففى واديه توجد مدن بذخشان — على مقربة من العاصمة الحالية فيض اباد التى أسست فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) — وجرم وكشم . وهاتان المدينتان الأخيرتان اللتان ورد ذكرهما فى أقدم المصادر العربية قد احتفظتا بأسميهما حتى اليوم . ويستخرج اللازورد فى الوقت الحاضر من المناجم الموجودة فى المجرى الأعلى لنهر ككچه بمدينة بذخشان وكانت له شهرة فى العصور الوسطى كذلك . وتحتكر الحكومة الأفغانية اليوم تجارة هذه الأحجار الكريمة وتصدر معظم هذه الأحجار إلى الهند . ويوجد فى بذخشان كذلك مناجم الحديد والنحاس .

وذكرت بلاد بذخشان لأول مرة فى الحوليات الصينية التى يرجع تاريخها للقرنين السابع والثامن الميلاديين ، إذ وردت باسم بوتوتشوانج نا فى كتاب هيان شوانج . ويذكر شليجل Schlegel أن النطق القديم لهذا الاسم هو بات توك تسموتج نا . وورد اسم هذه البلاد فى كتاب تعنج شو بهـــذه الصيغة : باتموشان ، وورد اسمها فى دائرة معارف سعـه فوين كسوى بهذا الشكل : بونموسن ويقول الصينيون إنهـا جزء من توهولو أى بلاد طخارستان. ويريد العرب بكلمة طخارستان

معنيين . الأول وهو المعنى الضيق ، البلاد التى بين بلخ وبذخشان ، أما المعنى الثانى وهو الأوسع فيقصدون باسم طخارستان جميع البلاد التى على شاطىء نهر جيحون إلى الشرق من بلخ . ومن الواضح أن كلمة طخارستان ظهرت بظهور الطخاريين فى القرن الثانى قبل الميلاد الذين غزوا إمبراطورية بكتريا الإغريقية . وفى القرن الخامس الميلادى احتل الهياطلة هذه البلاد . ونجد فى مجموعة من من الأشعار نظمها عوفى فى القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) خبراً يستدل منه على أن أحد ملوك الهياطلة أعطى ولده حكم جرم وبذخشان (*Turkestan* : Barthold جـ ١ ، ص ٩١) . وقضى الترك فى القرن السادس على دولة الهياطلة . وكان حاكم طخارستان بمدلولها الواسع يلقب إبان غزوات العرب الأولى باللقب التركى ، يبغو (وهو بالعربية جبغويه [1]) كما تدل على ذلك الوثائق العربية والصينية . وكان أمراء البلاد الأخرى ومن بينهم أمير بذخشان تابعين له . وليس لدينا معلومات أدق عن تاريخ غزو العرب لبذخشان ولا عن الطريقة التى دخل بها الإسلام تلك البلاد ، فلم يذكر الطبرى ولو مرة واحدة اسم هذه البلاد ولكنه ذكر فى حوادث عام ١١٨ هـ (٧٣٦ م) خبر حملة على كشم فى بلاد جبغويه وعلى البلاد التى تليها . وذكر اليعقوبى (طبعة دى غوى ، ص ٢٨٨) أن جرم من أعمال بذخشان كانت المدينة المتاخمة للبلاد الإسلامية ، وهى على الطريق التجارى الواصل من وخان إلى التبت . وفى نفس هذه الجهة كان بها أمير تركى يسمى خمار بك وهو يعرف باسم ملك شغنان وبذخشان . ويعين الاصطخرى (طبعة ده غوى ، ص ٢٧٨) بذخشان بقوله أنها أرض أبى الفتح ، وهو يريد بذلك دون شك الأمير أبا الفتح اليفتلى الذى قاتل ابنه المسمى أبو نصر ، بجوار بلخ ، الوالى السامانى قرانكين المتوفى سنة ٣٤٠ هـ = ٩٥١ — ٩٥٢ م وذلك كما رواه السمعانى (انظر *Turkestan* : Barthold ، جـ ١ ، ص ٦٩) وياقوت (المعجم ، جـ ٤ ص ١٠٢٣) (أنظر أيضا ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ ، ٣٧٠) . ولا نعرف خلاف هذه الحوادث شيئا عن الحالة السياسية لبذخشان إبان هذا الوقت . وفى القرن الخامس الهجرى (التاسع الميلادى) افلح الشاعر ناصر خسرو فى إدخال المذهب الإسماعيلى إلى بذخشان وإذاعته بين أهلها . ولايزال موجوداً إلى اليوم على المجرى الأعلى لنهر ككچه ، كما أن تعاليمه لا تزال باقية إلى اليوم فى بذخشان والبلاد المتاخمة لها . وفى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) كان يحكم طخارستان بمدلولها الواسع (بما فيها بذخشان) فرع من الأسرة العلوية الغورية التى كان مقرها باميان

(١) ورد هذا الاسم « جبويه » فى الجزء الخامس من ابن الأثير طبعة القاهرة

والتي قضى عليها خوارزم شاه محمد في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

ولم تتأثر بذخشان بالفتح المغلي وظلت حتى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) في أيدي حكامها الوطنيين . وذكر ماركو بولو لأول مرة الأسطورة التي تذهب إلى ان الأسرة الحاكمة في بذخشان من سلالة الإسكندر الأكبر، وكثيراً ما أورد الكتاب المسلمون بعد ذلك خبر هذه الأسطورة . وذكر محمد حيدر (تاريخ رشيدي، ترجمة روس E. D. Ross ، ص ٢٠٣) عبارة عن ابنة آخر الحكام هناك جاء فيها أن أسلافها كانوا ملوك بذخشان منذ ثلاثة آلاف سنة . ولم يفلح تيمور نفسه وخلفاؤه في الحصول على الاعتراف بسلطانهم على تلك البلاد إلا بعد أن خاضوا حروبا طاحنة ، ولم تضم إلى الدولة التيمورية إلا في عهد الحفيد الأصغر لتيمور المسمى أبي سعيد ، وقد ألف شاه سلطان محمد البذخشي آخر الأمراء الذي خرج على تعاليم الإسكندر الأكبر ، (دستور العمل) ديوان شعر باللغة الفارسية ووضع عليه اسما مستعاراً هو لالى (أنظر تأريخ رشيدي ، ص ١٤٧) . وخضع هذا الأمير دون مقاومة للجيش الذي أرسله أبو سعيد وسلم نفسه للعدو في هراة ، أما ابنه فقد اضطر إلى الفرار إلى كاشغر . ونودي بميرزا أبي بكر ، ولد أبي سعيد ، أميراً على بذخشان — وبعد ذلك عاد الأمير ثانية من كاشغر وطرد أبا بكر وكان لا بد له من أن يغزو بذخشان من جديد ، ولهذا السبب قتل أبو سعيد الشاه سلطان محمد عام ٨٧١ هـ الموافق عام ١٤٦٦ — ١٤٦٧ م (أنظر كتاب دولت شاه ، طبعة براون ، ص ٤٥٣) . وقد اكتشف الانجليز في عام ١٨٨٥ نقوشا تذهب إلى أن محمداً هذا قد شيد في عام ٨٨٤هـ (١٤٧٩ — ١٤٨٠ م) جسرا من الحجر ولكن من المحقق أنه قد حصل خطأ في قراءة هذا التاريخ (تأريخ رشيدي ، ص ٢٢١) . وبعد ذلك طرد السلطان محمود أمير حصار أخاه أبا بكر من بذخشان وظلت المدينة في حوزته إلى أن غزا الأزابكة حصار في بداية القرن السادس عشر . ثم قامت ثورة أهلية في بذخشان ضد الأزابكة الغزاة ، وكان على رأس هذه الثورة مبارك شاه وزبير راغي : وسلم مبارك شاه الثوار قلعة على الشاطىء الأيسر من نهر ككچه فتحصنوا فيها ولا تزال هذه القلعة تعرف إلى اليوم باسم «قلعة ظفر» . وقد صد الأزابكة عن بذخشان ، واستنجد الثوار بناصر ميرزا التيموري ، أخي بابر — ونصب هذا حاكما على بذخشان وذلك حوالى نهاية عام ٩١٠ = (فبراير ١٥٠٥) ولكنه طرد بعد ذلك بعامين من بذخشان لأنه لم يستطع الاتفاق مع زعماء الثوار . وفي عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧ — ١٥٠٨م) ذهب السلطان ميرزا المشهور بميرزا خان أو خان ميرزا وهو ابن السلطان محمود ميرزا إلى بذخشان

برضاء بابر وهناك استقبل فى « قلعة ظفر » .

وكان مبارك شاه قد قتله صاحبه زيد قبل ذلك بقليل ، ورغب زيد بعد وصول الحاكم الجديد جمع السلطة بين يديه ولكن قتله أحد الفوضويين . وبعد ذلك بقليل ظهر فى بدخشان شاه رضى الدين زعيم الإسماعيلية فى قوهستان ، واجتمع حوله أتباع هذه الفرقة وأخضع لسلطانه جزءا من هذه البلاد ، ولكنه مع ذلك قتل فى ربيع عام ١٥٠٩ وأحضرت رأسه إلى قلعة ظفر وقدمت إلى ميرزا خان عام ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وهو على عرش بدخشان . واستدعى بابر سليمان الابن الأصغر لميرزا خان واستخلف ابنه همايون على بدخشان . وفى عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ — ١٥٢٩م) استدعى بابر ولده همايون إلى الهند . وحاول سعيد خان صاحب كاشغر الاستيلاء على هذه البلاد . ففشل فى محاولته هذه واعترف بابر بسليمان أميرا على بدخشان كما اعترف به سعيد خان (١٥٣٠م) . وحكم سليمان فى بدخشان إلى عام ٩٨٣ = (١٥٧٥م) ولكن حفيده شاهرخ طرده من البلاد فى النصف الأول من ذلك العام فلجأ إلى الهند ثم ذهب منها إلى مكة ، ولكنه رجع بعد ذلك إلى بلاده . وفى عام ٩٨٤م غزا الأزابكة بدخشان بقيادة عبد الله خان فلجأ سليمان وشاهرخ إلى الهند ولكنهما عادا بعد ذلك وقاما بعدة محاولات لطرد الأعداء . وفى بداية القرن السادس عشر قامت فتنة فى تلك البلاد بتحريض بديع الزمان بن شاهرخ . وفى عام ١٦٦٥م استولت الدولة التيمورية مرة ثانية على بلخ وبدخشان ولكن هاتين المدينتين ألحقتا بأملاك الأزابكة ولم ينسحبوا منها نهائيا إلا فى خريف عام ١٦٤٧ م .

وانقسمت دولة الأزابكة كذلك فى القرن السابع عشر إلى ولايات مستقلة . واستقرت فى بدخشان أسرة أسسها يار بك وهو الذى أسس مدينة فيذاباد ، وادعى أمراء هذه الأسرة أيضا فى القرن التاسع عشر أنهم من نسل الإسكندر الأكبر ، وكان أمراء هذه الأسرة مثلهم فى ذلك مثل أمراء الأزابكة الآخرين فى أفغانستان الحالية يلقبون بلقب «مير» وهو اختصار لكلمة أمير . وفى عام ١٨٢٢ م خلع مراد بك حاكم كندوز ميرشاه ، ونصب مكانه ميرزا كلان أميرا على بدخشان على أن يكون تابعا لمراد بك . ولما توفى مراد أعلن ميرزا استقلاله بل وأصبح مدة من الزمن سيد كندوز . وتوفى ولده وخليفته ميرشاه نظام الدين عام ١٨٦٢ م . وأخذ ابن ميرشاه ، ويسمى جهاندار شاه ، يناضل فى سبيل العرش أميرا آخر من أمراء الأسرة نفسها يدعى محمود شاه وذلك ابتداء من عام ١٨٦٧م . وفى عام ١٨٦٩م طرد جهاندار نهائيا من البلاد ولكنه استطاع العودة إلى الأرض فى الروسية عام ١٨٧٢ م وهناك استقر اوجقورغان Uckurgan من أعمال «فرغانة» ومنح معاشا سنويا قدره ١٥٠٠ روبية ، وفى

عام ١٨٧٨ م قتله فى أوچقورغان أناس مجهولون وخلعت الحكومة الأفغانية فى عام ١٨٧٣م محمود شاه وأحضر إلى كابل، وظل بها حتى وفاته ، وألحقت بلاده بأفغانستان وأصبحت جزءاً من إقليم تركستان .

وكان الناس فى روسيا منذ عام ١٧٢٥م يتحدثون عن ياقوت بذخشان ولازوردها وكذلك عن مناجم الذهب والفضة التى قيل إنها توجد فيها . وكان غزو بلاد بذخشان الغنية غرضا من الأغراض التى اتجه إليها الروس من عام ١٧٣٥ ليتخذوا من ذلك وسيلة لتعزيز سياستهم فى آسية الوسطى. ومع ذلك فإنه عند ما عدلت الحدود بين أفغانستان وإمارة بخارى التابعة للروس فى عام ١٨٩٥ كانت مدينة پنج الحد الفاصل بين البلدين . وبمقتضى هذا التعديل ألحقت البلاد التى فى غرب بذخشان وهى كلاب والتى فى شرقها وهى شغنان وروشان بأعمال بخارى ، أما بذخشان نفسها فقد تركت فى أيدى الأفغان ولو أن الطريق الذى يسلكه المسافر عادة من كُلاب (المعروفة قديما باسم ختل) إلى شغنان كان يمر دائما ببذخشان ولم يمر مطلقا بدرواز لوعورته . وقد أضر هذا التقسيم غير الطبيعى ببذخشان ضررا بليغا وخاصة بسبب المكوس الرسمية التى تجبيها الحكومة الروسية على التجارة عند الحدود ، والتى يجب ألا تشدد فى جبايتها السلطات الروسية فى شغنان . ويفد العمال من بذخشان إلى سمرقند فى فصل الصيف ؟

المصـــادر

(١) تأريخ رشـــيدى ، ترجمة روس E.D.Ross وطبعة الياس N. Elias ، لندن ١٨٩٥ (٢) بابر نامه ، طبعة بفريدج ، مجموعة جب التذكارية ، [illegible] ١ ، ليدن ولندن ١٩٠٥ (٣) مطلع السعدين (٤) The *Tabakati Nasiri of Aboo-Omar al Jowzjani* كلكته ١٨٦٤ (٥) Raverty : *The T[illegible] Nasiri* لندن ١٨٨١ .

وقد رتب بعناية فائقة مناجو I. Minajew المعلومات الخاصة بالبلاد الواقعة على المجرى الأعلى لنهر جيحون oxus فى القرن التاسع عشر وفقا للرحلات الإنجليزية (*Swjedjenija o stranach po verchovjam* [illegible] *Darji*) سانت بطرسبرج ١٨٧٩ ؛ وقد رجعت فى كتابة هذا المقال كذلك إلى ما ذكره اثنان من رحالة الروس عام ١٨٧٨ .

ويمكن الرجوع فيما يختص بالمركز الحالى لهذه البلاد إلى : —

A. Bobrinskoj: *Gortzy verchovjev Pjandza* موسكو ١٩٠٨ وقد استقى هذا المؤلف بعض معلوماته من R. Leitner : *Dardistan in 1866 , 1889, et 1893* وكذلك من *Dardistan in* [illegible]

[بارتولد W. Barthold]

«بذندون» أو بَذَنْدون أو بُذَنْدون ويسميها اليونان پداندوس Podandos : اسم يطلق على نهر وعلى مدينة عليه مهمة من الوجهة

الحربية عند درب السلام (*Pylae Ciliciae*) جنوبى لؤلؤة (*Lulon*) ولهذا الموضع شهرة فى التاريخ لأن الخليفة المأمون العباسى توفى هناك فجأة عام٢١٨هـ الموافق ٨٣٣م فى حربه مع الروم بعد أن شرب ماء بارداً ، ودفن فى طرسوس عند باب بذَندون

وبذندون هى بزنتى الحديثة وهى بليدة فقيرة يبلغ عدد سكانها خمسمائة نسمة ؟

المصـــــادر

(١) ابن خرداذبه ، طبعة ده غوى ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٠ (٢) المسعودى : مروج الذهب ، طبعة باريس ، ج ٧ ، ص ١ ، ٩٦ (٣) ياقوت : المعجم ، ج ١ . ص ٥٣٠ وما بعدها (٤) الطبرى ، طبعة دهغوى ، ج٣ ، ص ١١٣٤ ومابعدها (٥) G. Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، كمبردج١٩٠٥ ص ١٣٣ وما بعدها (٦) W. M. Ramsay : *Historical Geography of Asia Minor* ، لندن١٨٩٠ ، ص٣٤٨وما بعدها (٧) Cuinet: *La Turquie d'Asie* ، ج ٢ ، ص ٤٩

[هارتمان R. Hartmann]

« بر » معناها تقى أو صالح ، وإذا قرنت بأداة التعريف دلت على اسم من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين ، ويمكن الرجوع إلى معاجم اللغة لمعرفة المدلوت الأخرى لهذه الكلمة ؟

« البراء بن عازب » قائد من قواد المسلمين ، استبعده النبى محمد هو ومعاصره عبد الله عمر بن الخطاب وكثير غيرهما إبان غزوة بدر لحداثة سنهم ، ولكنه اشترك بعد ذلك فى عدة غزوات أخرى تحت إمرة النبى . وعندما أرسل النبى خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعو إحدى القبائل العربية إلى الإسلام كان البراء ممن ذهبوا معه . وفى عهد عمر ، أرسل المغيرة بن شعبة والى الكوفة البراء مع حنظلة بن زيد إلى قزوين ففتحوا إقليم أبهر . واستنجد أهل قزوين بالديلم ولكنهم سرعان ما خضعوا وأرغمت الديلم على دفع الجزية . وزحف البراء بعد ذلك إلى جيلان والببر والطيلسان ثم فتح زنجان . واشترك البراء كذلك مع على فى وقعة الجمل فى صفين وفى النهروان . واستقر البراء زمنا ما فى الكوفة ثم رحل إلى المدينة ، وتوفى فى المدينة أو الكوفة فى عهد مصعب بن الزبير ؟

المصـــــادر

(١) ابن سعد ، ج ٤ ، القسم الثانى ، ص٨٠ وما بعدها ، ج ٦ ، ص ١٠ (٢) الطبرى ، ج ١ ، ص ١٣٥٨ ، ١٧٣١ — ١٣٧٢ (٣) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ٢ ، ص١٠٦ ، ١١٧ ، ج ٣ ، ص ١٧ ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ (٤) ابن الأثير ، أسد الغابه ، ج ١ ، ص ١٧١ — ١٧٢ (٥) البلاذرى ، طبعةدهغوى ، ص٣١٧ومابعدها (٦) Caetani : *Annali* [illegible] *Islam* ، انظر الفهرس

[سترشتين K. V. Zettersteen]

« البراء بن معرور » من صحابة النبي وهو واحد من الأنصار الخمسة والسبعين الذين اجتمعوا فى موسم الحج عند العقبة فى صيف سنة ٦٢٢ م ليحالفوا النبي . وكان البراء ابن معرور الخزرجي شيخا مسنا وله مقام كبير ولما قال النبي إنه يريد أن يعاهدوه على أن يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم أخذ البراء بيده وعاهده على ذلك باسم الحاضرين جميعا وبايعه .

وفى هذا الاجتماع نفسه الذى سمى باسم بيعة العقبة الثانيـة اختير اثنا عشر نقيبا من الجالية الجديدة فى يثرب وجعل البراء بن معرور زعيما لبنى سليمة .

وللبراء شهرة فى تاريخ الإسلام أيضا لأنه غير القبلة قبل محمد (ص) واستقبل الكعبة فى صلاته . ولمـا قال له النبي « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها » فرجع إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبل الشام غير أنه عندما حانت منيته طلب أن يدفن متجها نحو الكعبة .

وتوفى البراء فى المدينة فى شهر صفر قبل أن يصل اليها النبي بشهر وبعد أن أوصى للنبي بثلث ممتلكاته ؟

المصـــادر

(١) ابن سعد ، المجلد الثالث ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ وما بعدها (٢) ابن هشام ، طبعة فستنفلد جـ ١ ، ص ٢٩٤ وما بعدها (٣) الطبرى ا جـ ١ ص ١٢١٧ وما بعدها (٤) ابن الاثير ؛ طبعة تورنبرج ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ٧٨ (٥) ابن الأثير أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧٣ وما بعدها (٥) Muüller : - *Der Islam im morgon umd Abendland* ؛ جـ ١ ، ص٨٩ (٦) Caetani : *Annali dell, Islam* أنظر الفهرس

[K. V. Zetterstéen تسترشتين]

« براءة » كلمة عربية معناها الخلاص من الشيء او التحرر منه . ويستعملها أهل الشام بمعنى : امتياز أو جواز سفر أو إجازة علمية . ومن هذا القبيل البراءة (برات) التى تمنحها الحكومة العثمانية إلى الأساقفة قبل مباشرتهم لأعمال منصبهم .

وقد وردت هذه الكلمة بآية فى صدر سورة براءة ، وفيها يأمر الله المؤمنين على لسان نبيه بالحج وبرعاية العهد فى الأشهر الحرم . وهذه الآية ليست واضحة تمام الوضوح مما جعل تفسيرها عسيرا بعض الشيء . والتفسير السهل الذى يتبادر إلى الذهن عند القراءة الأولى هو أنه يجب على كل مسلم ألا يسيء إلى أخيه فى الدين إبان الأشهر الحرم المخصصة للحج إلى مكة . ومع ذلك فان هذا التفسير لا يسلم به أئمة المفسرين . فالزمخشرى يقول إنه كان هناك عهد بين المسلمين وبين مشركي مكة وغيرهم من العرب، ثم إن المشركين نقضوا هذا العهد إلا أناسـا منهم هم بنو ضمرة وبنو كنانة ، فقرأ محمد على المؤمنين الآية التى نزلت

عليه وهى « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» ويفسر المسعودى هذه الآية فى كتابه التنبيه والإشراف، ص ٢٦٠ فيقول « ثم وجه صلعم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى ذى الحجة ليحج بالناس ونزلت عليه سورة براءة فبعث بسبع آيات من صدرها مع على بن أبى طالب وأمره أن يقوم بها على الناس بمنى إذا اجتمعوا وقال أذّن فى الناس أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته وأجل الناس أربعة اشهر من يوم تنادى ليرجع كل قوم إلى مأمنهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة ».

وتقول الروايات إن هذه الحوادث وقعت سنة تسع للهجرة ؟

المصـــادر

Nöldeke — Schwally : *Geschichte des Qorâns* الطبعة الثانية ، ص ٢٢٢ .

[كاراده ڤو B. Carra de Vaux]

« برابرة » جمع بربرى وهى تطلق فى مصر على النوبيين أو البرابرة كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادى العلوى لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان حتى دنقله . وإذا اتفق لنا وزرنا إحدى بلدان تلك المنطقة لعجبنا من قلة الرجال الذين نصادفهم هناك ، فإننا لا نرى هناك سوى النســـاء والأولاد والشيوخ . والأرض المزروعة هناك ليست شاسعة ، والسكان كثيفون جداً ويهاجر الرجال إلى مصر للبحث عن العمل فى المدن الكبيرة كخدم وطهاة وسائقين للعربات وحمالين وسعاة وغير ذلك . وبعد أعوام من عملهم يعودون إلى وطنهم بما كسبوه . والبرابرة جنس خفيف الروح نشط أمين . وهم يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أى لغة أوربية أخرى ، ولكنهم إذا تكلموا العربية لا يجيدون النطق بها ومن ثم أطلق عليهم اسم برابرة . أما لغتهم الأصلية فهى النوبية ويمكننا أن نقول الآن إن تلك اللغة على صلة باللهجات السودانية ، وهى موضوع دراسات علمية فى الوقت الحاضر . والبرابرة يعيشون فى القاهرة والإسكندرية متحدين فى هيئات تشبه النقابات تختلف باختلاف مهنهم ، وهم بوجه عام متحدون فيما بينهم . والإسلام دين البرابرة وهم من أتباع المذهب المالكى . ويتبين اتحادهم فيما بينهم أيضاً من أن الجزء الأكبر منهم تابع للطريقة الختمية وهى فرع من الطريقة الأحمدية المصرية . وشيخهم الأكبر فى الوقت الحاضر هو الشيخ الميرغنى وتعرف طريقته فى القاهرة أيضاً باسم الميرغنية ، ولما كان البرابرة محبين للاجتماع فإنهم يقطنون معاً فى أغلب الأوقات . وهناك مثل مصرى يقال عند نزول المطر بشدة وهو: « أمطرت برابرة » .

ويمكن الرجوع إلى مقال النوبة فيما يختص ببلادهم وتاريخهم الحافل ؟

المصـــادر

(١) A. von. Kremer : *Agypten*، ص ١٠٠ وما بعدها (٢) Schweinfurth في *Badeker : Agypten*، الطبعة السادسة ، ص٤٢ (٣) Socrate Spiro : *An Arabic English Vocabulary* ، وانظر كذلك مادة « بقت »

[C. H. Becker بيكر]

« براثا » اسم موضع كانت له شهرة قبل الإسلام في المكان الذي خططت فيه بغداد فيما بعد الإسلام ، وقد انتهى به الأمر إلى أن اندمج في بغداد (انظر مادة بغداد). وهذا الموضع على مسافة قريبة من الجنوب الشرقي من قرية مُحوَّل عند البقعة التي ينفصل فيها نهر كرخايا الذي يروي حي الكرخ التجاري عن قناة عيسى الكبيرة الصالحة للملاحة. ويفصل هذه الجهة عن بغداد ، أعني عن الجزء الجنوبي من النصف الغربي من المدينة ، جبانة من الجبانات وبستان من النخيل. وكان جامع براثا لعهد طويل بمثابة معبد للشيعة، وسبب ذلك أن هناك رواية لا أساس لها تذهب إلى أن عليا صلى في البقعة التي فيها هذا الجامع ، واغتسل بالقرب منه إبان قتاله مع الخوارج سنة ٣٧ للهجرة (٦٥٨ م) ، وتذهب رواية أخرى إلى أن عليـا استحم في الحي الذي به سوق المدينة القديم أو « السوق العتيقة » ، وهي بين باب بصره الموجود في سور المنصور وشاطىء دجلة . وهم يذكرون موضعاً آخر في تلك البقعة أيضـــاً يقولون إن علياً صلى فيه . وانساق الخليفة المقتدر (٩٠٨ — ٩٣٢ م) إلى رأي أهل السنة فأمر بهدم مسجد الشيعة في براثا ، وأقيم مكانه جامع لأهل السنة في عهد الخليفتين الراضي والمتقي اللذين وليـا الخلافة بعد المقتدر. وكان هذا الجامع في عهد الإصطخري (أواســـط القرن الرابع الهجري = القرن العـاشر الميلادي) أحد المساجد الجامعة الثلاثة التي كان يصلي فيها الخلفاء . ويقول ياقوت في وصف براثا إنها الجزء الأكبر من الجـانب الغربي لبغداد ، وكانت لعهده قفرا ولم يبق من الجامع إلا بقايا من حيطانه .

واسم براثا من اللغة الآرامية بريثا ومعناه الخارج، أنظر عن هذا الموضوع كتاب فرانكل Frankel : *Die aram. Fremdwiorter im arab.*، ص ٢٠ ؟

المصـــادر

المكتبة الجغرافية العربية طبعة ده غوي ، في مواضع مختلفة (٢) الخطيب البغدادي ، طبعة سالمون Salmon ، باريس ١٩٠٤، ص ١١٦— ١١٧ ، ١٤٨ — ١٥١ ، ١٦٨ (٣) ياقوت : المعجم ، طبعـة فستنفلد ، جـ ١ ص ٥٣٢ (٤) Le Strange : *Baghdad during the Abbasid caliphate* ، اكسفورد ١٩٠٠ ، ص

Babylonien: Streck (٥)٣٢٠٠١٥٦—١٥٣ *nach den arab. Geographen* ، سنة ١٩٠٠ جـ ١ ، ص ٥٢ ، ٧١ ، ٩٠ ، ٩٤ — ٩٥ ، ١٥٢ — ١٥٣

[M. Streck سترك]

« برادر » وينطقها العامة « بلادر » . النطق التركى للكلمة الفارسية « برادر » ومعناها أخ . وهى صيغة للخطاب بين المسلمين الذين يتكلمون اللغة التركية ولا يستعملونها مطلقا للدلالة على غير المسلم .

(Cl. Huart هيوار)

« البرّادى » أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادى الدمرى ، نسبة إلى دَمَّر بجبل نفوسه حيث عاش زمنا ما ، ثم انتقل بعد ذلك إلى رجبرة وتوفى فيها . وما كتب عن حياة البرادى لا يشتمل على تاريخ ما ، ولكن لما كان من بين أساتذته أبو ساكن عامر الشمخى المتوفى سنة ٧٩٢ للهجرة (١٣٩٠ م) ، فمن الراجح أنه اشتهر فى أواخر القرن الثامن أوائل القرن التاسع للهجرة . وأهم مصنفات البرادى هو كتاب « الجواهر المنتقاة » وهو ذيل لكتاب «طبقات العلماء» الذى صنفه أبو العباس أحمد السعيد ، وقد لخص فى كتابه هذا تاريخ الإسلام من الصدر الأول إلى عهد إمام تاهرت الرستمى الأفلح ، محمد الأول على حسب رأى الإباضية . وجعل فى نهاية كتابه فهرسا بأسماء كتب هذه الطائفة ، وقد نشر هذا الثبت وترجمه ده موتيلينسكى بعنوان « Les livres Sacrés de la secte abadhite » ، الجزائر سنة ١٨٧٩ م ، ص ٦ — ٢٠) . وطبع كتاب «الجواهر المنتقاة» على الحجر فى القاهرة سنة ١٣٠٦ للهجرة ؟

المصـــادر

(١) الشمخى : كتاب السير ، طبع فى القسطنطينية ولا تاريخ عليه ، ص ٩٧٢ — ٩٧٥

(٢) *Les livres sacrés* : de Motylinski *de la secte abadhite* ، ص ٣٣ — ٣٦ .

[René Basset رينيه باسيه]

« برار » مقاطعة فى الهند بين خطى عرض ٣٥َ ١٩° و٤٧َ ٢١° شمالا وخطى طول ٥٩َ ٧٥° و١١َ ٧٩° شرق جرينوتش ويحدها من الشمال تلال ساتبُرا ومن الشرق نهر « وَرْدَها » ومن الجنوب نهر پنگنگا . وفى سنة ١٩٠١ كان عدد سكان هذه المقاطعة ٢٧٥٤٠١٦ نسمة منهم ٢١٢٠٤٠ مسلما .

وغزا المسلمون مقاطعة برار لأول مرة فى سنة ١٢٩٤ م ، غير أن أقدامهم لم تثبت بها إلا فى سنة ١٣١٨ م عند ما أصبحت جزءاً من مملكة دهلى . وكانت إحدى مقاطعات الملوك البهمنية (أنظر هذه المادة) ثم تألف منها ملك بنى عماد (أنظر هذه المادة) وذلك

عندما نادى عماد الملك حاكم برار باستقلاله سنة ١٤٩٠م ، فى عهد الملك البهمنى محمود شاه الثانى .

وعند مازالت دولة بنى عماد سنة ١٥٧٥م انتقل حكم برار إلى نظام شاه ملوك أحمدنكر ثم ألحقت فى سنة ١٥٩٦ م بمملكة المغل . وكان آصف جاه قد عين نائباً للملك فى الدكن Dakhin ولقب بلقب نظام الملك ، غير أنه نادى بنفسه ملكا مستقلا فى سنة ١٧٢٤ فانفصلت برار عن مملكة المغل ، وأصبحت منذ ذلك العهد تخضع بالاسم فقط لنظام حيدر آباد .

وفى معاهدة سنة ١٨٥٣ م أعطيت برار وبعض المقاطعات الأخرى إلى شركة الهند الشرقية ، وكان يؤخذ جانب من دخلها لوفاء ديون مملكة حيدر آباد ، والجانب الآخر لنفقة جندها ، وفى سنة ١٩٠٢م عقدت الحكومة البريطانية اتفاقا جديدا مع النظام ثبتت به حقه على برار ، وأجرت المقاطعة إلى حكومة الهند نظير إيجار سنوى قدره ٢٥ لكامن الروبيات (١٦٦،٦٦٦ جنيها انجليزيا) .

المصـــادر

(١) T.W.Haig فى *Imperial Gazetteer of India, Provincial series Berar* كلكتة سنة ١٩٠٩ م .

« براق » أطلق هذا الاسم الذى يتصل باسم البرق فى الأساطير للدلالة على حيوان خرافى امتطاه النبى ليلة المعراج .

وقد أشير فى القرآن (سورة الاسراء ، الآيتين ٥١ و ٥٩ ؛ سورة النجم ١ — ١٨) إلى رؤيا للنبى رأى فيها أنه حمل من مكة إلى بيت المقدس ، وصعد من هناك إلى السماء . والحيوان الذى امتطاه النبى لا يصفه القرآن ولا يذكر اسمه ، ولكن المفسرين يقولون إن محمداً كان فى تلك الليلة فى الحجر بالبيت الحرام وجاءه جبريل بالبراق .

وقد وشّيت هذه الأسطورة كثيرا وأصبحت باعثا من البواعث المحبوبة التى توحى إلى الشعراء وأهل الفن . وهناك أوصاف مستفيضة للبراق تصوره فى شكل فرس لها رأس امرأة وذيل طاووس . ويوجد مقال قيم عن هذا الموضوع فى Magasin Pittoresque (١٨٧٦م ، ص ٣٠٤) ، أعيد فيه نشر صورة فارسية عجيبة .

وقد نشرت صورة أخرى للبراق فى نفس المجلة (سنة ١٨٨٤م ، ص ٤) ، أخذت عن مخطوط أو يغور المشهور الذى يشتمل على ترجمة القصيدة الفارسية عن ليلة المعراج المنسوبة لفريد الدين العطار (طبعة Pavet de Courteille ، وانظر أيضا ، أبو الفدا ، والبخارى الخ) ، وقد امتطى البراق أيضاً ابراهيم عند ما ذهب لزيارة ابنه اسماعيل فى منفاه بمكة (أنظر الطبرى : تاريخ الفرس ، ترجمة زوتنبرج ، جـ ١ ، ص ١٦٥)

[B.Carra de Vaux كارادهفو]

تعليق على مادة براق

فى حديث الاسراء والمعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به أتى بداية «دون البغل وفوق الحمار أبيض ، يضع خطوه عند أقصى طرفه» وهذا هو الوصف الوارد فى الأحاديث الصحاح للبراق . وهى أحاديث لاشك فى صحتها عند أهل العلم بالحديث ، بل هى فى جملتها متواترة قطعية الثبوت . وهذا الوصف وصفه به النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس من أقوال المفسرين كما يزعم كاتب المقال ، وإن لم يصدق هو وأمثاله ذلك فلا شأن لنا باقناعهم ، إذ أن هذه الشؤون من الغيب الذى لا يدخل تحت الحس والمشاهدة ، فلا يؤمن به إلا من يؤمن بأصل الاسلام ، وبنبوة محمد ورسالته ، فمن شاء أن يناظر فليناظر على أصل الاسلام أولا .

وقد كان لكاتب المقال مندوحة أن يتحاشى الألفاظ الجافة فى تعبيره إذ يزعم أنه (فى الأساطير للدلالة على حيوان خرافى) وليس من الأساطير ما ثبت عند علماء الاسلام بالتواتر الذى لا شك عند المسلمين فى صحته واليقين به .

وهذا البراق ليس حيوانا كما يظن الكاتب من ظاهر لفظ « دابة » الذى عبر به عنه فى الأحاديث ، لأنه من أمور الغيب التى أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم مما وراء هذه المادة التى فى متناول الحس البصرى . ولا يستطيع العقل الانسانى أن يفهم مدلول هذه الأشياء الخارجة عن نطاق قوته التى منحت له : إلا بالتعبير عنها بألفاظ تدل على مدلولات مما يحس ويرى ويشعر ، كما جاء وصف الجنة والنار فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وكما جاءت بعض أوصاف فى الأديان السابقة ، على لسان الأنبياء قبل نبينا ، صلى الله عليهم أجمعين .

إن هذه الأمور الغيبية إنما أمرنا بالايمان بها كما وردت لا نتكلف أن نصورها بأكثر مما عبر عنها الله فى كتابه أو رسوله فى سنته ، وقد جعل الله من أول فضائل المؤمنين أنهم (الذين يؤمنون بالغيب) فيصدقون رسولهم فيما أخبرهم ، مما غاب عن حسهم ، وقصرت عقولهم عن إدراكه ، وليس بضارهم شيئا أن يؤمنوا به ، بل فى الايمان به كل الخير : ثقة النفس بالله ، والاعتراف بقدرته وضعف الانسان ، فيتبع أوامر ربه كلها ، فيما فهم وما لم يفهم ، وفيما أحب وفيما كره (الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) [سورة البقرة آية ١ — ٣]

والمثل على ذلك حاضرة : يأمر أحدنا طفله بأمر كله لطفله نفع ورضى ، والطفل يعجب لأبيه ، ويرى أمره أحيانا مخالفا عقله الصغير ، وليس يستطيع أن يدخله فى نطاق تصوره ، ومع ذلك يأبى أبوه إلا أن يلزمه الطاعة ولعله فى بعض الأمور لو خالف أباه كان فيها هلاكه .

ويرى الرجل العاقل أشياء من عمل من هم أكبر منه عقلا وعلما ، ينكرها ويجزم بأنها خطأ لاصواب فيه ، ثم إذا أمكن لغيره أن يفهمه عللها أو ملابساتها علم أنه أنكر صوابا ، وأن العلة إنما كانت فى قصور فهمه .

وانا لنقرأ كثيراً عن أبحاث الراصدين من علماء الفلك فنجد فيها أخباراً مما ظهر لهم من الرصد والحساب من أبعاد الكواكب من الأرض التى نعيش عليها ، لا يمكن للرجل العادى الذى لم يدرس هذه العلوم أن يتصورها (بعض الكواكب يبعد عن الأرض ٢٢٠ ألف سنة ضوئية ، أى باعتبار أن الضوء يسير فى الفضاء بسرعة ١٨٦ ألف ميل فى الثانية الواحدة) وإنما يصدق بها ثقة بالعلماء الذين بحثوا وتقبوا ، وقد يكون الخطأ فى حسابهم جللا، ولعل الغلطة فى رقم من أرقام حسابهم تنتج فروقا عالا يتصور عده من ملايين الأميال .

هذا كله فى عقل إنسانى أمام عقل أنسانى ، فماذا نرى فى عقل إنسانى ضعيف أمام قدرة الخالق وعلمه الذى يحيط بكل شىء . (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) [سورة الكهف آية ١٠٩]

وأما ما نقله الكاتب من أن بعض الناس تخيل صورة البراق فصوره أو وصفه فذاك شىء لا يعرفه الاسلام ولا المسلمون ، ولسنا نعبأ إلا بالبراءة منه .

وقد تعرض الكاتب للاشارة إلى الاسراء والمعراج وعبر عنهما بأنهما رؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم . وله شىء من العذر فى هذا ، إلا فى نسبته إلى النبي ، فان الأحاديث الصحيحة المتواترة صريحة فى أنهما لم يكونا فى عالم الرؤيا ، إنما كانا فى اليقظة ، بالجسم والروح ، وكان هذا موضع الاعجاز ، وكان هذا مما أنكرته قريش ، ومما ارتد بسببه بعض ضعفاء الايمان إذ ذاك ، ولم تكن قريش لتكذب رجلا يدعى أنه يرى رؤيا فى المنام ، فان هذا مما يمكن أن يكون لكل إنسان ، إنما هم ينكرون شيئا معجزاً خارجا عن حدود القدرة البشرية ، وكاتب المقال إنما تبع فى كلامه بعض من أخطؤا من الكاتبين الاسلاميين فزعموا أن الاسراء والمعراج بالروح ، توهما منهم لحديث زعموه عن عائشة أنها مافقدت جسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، وهو حديث لا أصل له ولا إسناد . بلهو حديث مكذوب مفترى ، وعائشة كانت حين الاسراء طفلة صغيرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما دخل بها بالمدينة ، والاسراء كان بمكة قبل الهجرة .

أحمد محمد شاكر

« براق حاجب » ذكره ابن الأثير باسم بُلاق، هو أمير كرمان ومؤسس دولة جديدة فى تلك البلاد . كان فى أول أمره من القراختاى ، وهم قوم وثنيون . ويقول الجوينى إنه جىء به إلى محمد بن تكش الخوارزمى بعد موقعة « تلس » التى هزم فيها القراختاى فى ربيع الأول من سنة ٦٠٧ هـ (= أغسطس — سبتمبر من سنة ١٢١٠ م) ودخل فى خدمته. أما النسوى (طبعة هوداس Houdas ، ص ٩٥) فيروى أنه جاء إلى محمد مبعوثا من القراختاى (وقد ذكر الجوينى هذا عن أخى براق) وأن محمداً أبقاه بالقوة لديه . وتذهب هذه الرواية أيضاً إلى أن براقا لم يدخل فى خدمة محمد إلا بعد انتصاره الحاسم على القراختاى ، وأنه عيّنه حاجباً له ، ويقال إنه كان يتولى هذا المنصب فى دولة القراختاى أيضاً . وعند ما فر محمد وأبناؤه أمام المغل ذهب براق إلى بلاد العجم مع واحد من الأمراء هو غياث الدين پيرشاه .

وفى أواخر سنة ٦١٨ هـ (شتاء ١٢٢١ — ١٢٢٢ م) توفى محمد وفر ابنه الأكبر جلال الدين إلى بلاد الهند ، وترك المغل البلاد بعد أن أعملوا فيها الخراب ، فنودى بغياث الدين أميراً على بلاد الفرس كلها تقريبا فولى براقا حاجباً لإصفهان . واختلف براق مع وزير تلك المدينة ، فاستأذن فى الذهاب إلى جلال الدين فى الهند . وهاجمه فى طريقه إليها شجاع الدين أمير كرمان الذى أراد أن يأسر زوجات براق ويغنم ما معه ، ولكن براقا وحرسه أوقعوا بخصمهم الهزيمة ، ولم يكتفوا بذلك بل فتحوا بلاد كرمان كلها فى أمد وجيز فعدلوا عند ذاك عن الذهاب إلى الهند (٦١٩ هـ = ١٢٢٢ — ١٢٢٣ م) .

هذه هى رواية الجوينى . أما النسوى (المصدر المذكور) فيجعل براقا حاكما لكرمان من أول الأمر. وعند ما جاء السلطان جلال الدين إلى كرمان سنة ٦٢١ هـ (= ١٢٢٤ م) قدم براق خضوعه إليه فثبته فى حكم هذا الإقليم ، وإن كانت بعض أفعاله قد أثارت الريبة فى نفس السلطان .

وبينما كان السلطان جلال الدين مشغولا فى حرب أرمينية جاءه الخبر فى جمادى الثانية من سنة ٦٢٣ هـ (= يونيه من سنة ١٢٢٦م) بأن براقا قد خرج عليه وتحالف مع المغل ضده . فأرسل غياث الدين على رأس ٦٠٠٠ رجل ليقضى على الفتنة ، ثم تبعه جلال الدين مع جيش آخر، ولكنهما لم يتمكنا من براق الذى احتمى بأسوار قلعته (أنظر النسوى ص ١٢٤) . ويظهر أن جلال الدين نفسه لم يصل إلى كرمان ، وأنه تلقى فى طريقه إليها رسلا عديدين أوفدهم إليه براق ليؤكدوا إخلاصه لمولاه ، وكان جلال الدين بالقرب

من إصفهان فقرر أن يعدل عن قتال براق وأن يثبته فى منصبه، بل إنه أرسل إليه أيضاً خلعة (ابن الأثير، طبعة تورنبرج، ج ١٢، ص ٢٣٦).

وفى آخر سنة ٦٢٥ هـ (= ١٢٢٨ م) اختصم غياث الدين أخاه، ففر إلى كرمان ومعه أمه التى أصبحت زوجا لبراق بالرغم منها ومن ابنها. وبعد ذلك اتهم غياث الدين وأمه بأنهما دسا السم لبراق. فشنق براق زوجه وقتل حرس السلطان الذى كان يتألف من خمسمائة رجل، وسجن غياث الدين ثم قتل وان كان قد ذاع الخبر بأنه استطاع الفرار إلى إصفهان.

ويقول الجوينى إن براقا أنبأ الخليفة أنه اعتنق الإسلام وأنه سيكون تابعا مخلصاً للإمام على خلاف أمراء دولة خوارزمشاه الذين كانوا يعادون بنى العباس ويريدون أن يعترف لهم باستقلالهم. ووافق الخليفة على طلبه ومنحه لقب قُتْلُغ سلطان، أى السلطان السعيد. ويؤكد النسوى من ناحية أخرى أنه رأى بعينى رأسه خطابا باسم براق أرسل إلى وزير السلطان جلال الدين يقول فيه إنه أدى إلى السلطان خدمة جليلة بأن قضى على ألد خصومه، وأنه يرجو أن يثبته السلطان على دولة كرمان وقد بلغ أرزل العمر.

ويروى لنا وصاف (طبع فى الهند على الحجر، ص ٢٨٧) أن براقا قال للمغل إنه ذبح غياث الدين لأنه كان ثائراً على الخان الأكبر، وإنه حسب شريعة المغل، يرث دولة القتيل وله الحق فى سبى زوجاته، ويقال إنه ذكر هذه القوانين عند ما زحف على علاء الدولة محمود أتابك يزد الذى كانت أرملة غياث الدين موجودة لديه. واصطلح الأميران على أن يسلم أتابك يزد أرملة السلطان إلى أمير كرمان ويقال أنها أولدته بنتا، وقد زوجه فى نظير هذا من ابنته.

وعند ما أراد المغل فتح سجستان سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥م) طلب طائر بهادر قائد جيش المغل إلى براق أن ينضم اليه إعلانا لخضوعه للخان الأكبر، ولكن براقا اعتذر بكبر سنه، وأوفد ابنه ركن الدين إلى بلاد المغل عوضا عنه ولكنه علم بوفاة أبيه فى الطريق، وكان ذلك فى ٢٠ من ذى الحجة من سنة ٦٣٢ هـ (= ٥ سبتمبر سنة ١٢٣٥) وقد ذكر هذا التاريخ فى النسخة الخطية لكتاب تأريخ وصاف الموجودة فى سنت بطرسبرج، أما النسخة المطبوعة على الحجر، ص ٢٨٨ فلم تذكر التاريخ؟

المصـــادر

(١) الجوينى: تأريخ جهان كشاى فى *Recueil de Textes relatifs à l'hist. des Seldjoucides* Houtsma ، ج ١، المقدمة ص ٢٣ وما بعدها (٢) d'Ohsson : *Histoire des mongols* ، ج ٣، ص ٥ وما بعدها، ص ١٩، ص ٣٢ وما بعدها ص، ص ١٣١ وما

بعدها(٣) *Geschichte : Hammer-Purgstall der Ilchane* ، جـ ١ ص ٦٦ .

(بارتلد W. Barthold)

«براق خان» أمير مغلى من أمراء آسيا الوسطى وهو ابن حفيد الأمير جغتاى (أنظر هذه المادة) وحفيد متوكين . توفى فى باميان عام ١٢٢١ م واشترك أبوه «يسون توا» فى حوادث عام ١٢٥١ (انظر مادة «باتوخان») وكان مصيره مصير الأمراء الثائرين الآخرين. وقد شب براق هو وأخواه فى منغوليا شأنهم فى ذلك شأن جميع ذرية جغتاى وأوكيداى ، وبعد سنوات من اعتلاء الخان الأكبر قبلاى العرش (١٢٦٠ — ١٢٩٤م) سمح لهم بالعودة إلى وطنهم والاستيلاء على جغانيان وكانت ملكا لأبيهم . وكان الأمير مبارك شاه ابن عم براق قد اعترف به قبل ذلك بوقت قصير زعيما لأسرة جغتاى فى آسيا الوسطى . ومبارك هذا أول أمير اعتنق الإسلام من أمراء هذه الأسرة. وتلقى براق من الخان الأكبر مرسوما «يارليغ» بتعيينه وصيا للعرش بجانب ابن عمه الأمير مبارك ، أما براق فانه لم يهتم بهذا التغيير ولكنه أفلح بعد قليل من الزمن ، بواسطة المؤامرات التى دبرها فى جغانيان من الوصول إلى غرضه دون أن يقوم بأى عمل عدائى ظاهر ضد مبارك . وقد انفض جميع أمراء أسرة جغتاى من حول مبارك شاه وانضموا إلى هذا المدعى الجديد، ويقال إن مبارك نفسه اعترف بسلطان براق والتحق بخدمته فى البلاط رئيسا لصيادى الوحوش «برچى» Barsohi .

ولسنا متأكدين من تواريخ هذه الحوادث إذ هى متضاربة . فيذهب جمال قرشى ، مؤلف الرحلة الفريدة التى تعتبر فى نظرنا مصدرا للوثائق الخاصة بآسية الوسطى (أنظر Barthold *Turkestan r epokhu mongolskago noshestviya* جـ ١ ص ، ١٤٨) أن مبارك شاه اعتلى العرش فى جمادى الثانية من عام ٦٦٤ (١٠ مارس — ٧ أبريل ١٢٦٦) فى آهنجران . وفى ذى الحجة من العام نفسه (٣ سبتمبر أول أكتوبر) سجنه براق خوجند . ويقول وصاف إن براق اعتلى العرش فى بداية عام ٦٦٣ (٢٤ أكتوبر ١٢٦٤) . وذكر الأخوان نيقولا وماتيو بولو Nicola و Matteo Polo اللذين لابد أن تكون مدة الثلاث سنوات التى قضياها فى بخارى واقعة بين عامى ١٢٦٢ ، ١٢٦٥ أن براق خان كان أميرا لتلك البلاد . ومن المحتمل بناء على ذلك أن ماركو بولو الذى سمع الناس يتحدثون عن براق خان وغزواته فى فارس أثناء رحلته فى فارس وأفغانستان قد أورد هذا الاسم خطأ عند كلامه عن الرحلة الأولى لأبيه وعمه .

وفى الأعوام التالية أخذ براق يدافع عن نفسه ضد قبلاى الخان الأكبر وضد

قايدوا حفيد أوكيدى الخان الأكبر المطالب بالعرش فى آسـيـة الوسطى . وطرد براق شُغْلُتاى الذى عينه الخان الأكبر واليا على التركستان الصينية وولى مكانه والياً آخر . فأرسل الخان الأكبر لقتاله جيشاً عدده ستة آلاف فارس لإعادة الوالى المطرود إلى منصبه ولكن براق أرسل لملاقاته جيشا يفوقه فى العدد بكثير (٣٠ ألف رجل) فلم يكن أمام فرسان الخان الأكبر إلا الانسحاب دون قتال .

وأعمل جنود براق السلب والنهب فى مدينة خُتن وهى من أملاك الخان الأكبر .

وكان براق فى قتاله مع قايدو أقل توفيقا إذ رجحت كفته بادىء الأمر ولكن خصمه استعان برجال القطيع الذهبى *La Horde d'Or* فظهر فى آسية الصغرى الأمير بركجار ، أخ الخان باتو والخان بيرك Berke ، على رأس جيش عدده خمسون ألف مقاتل، وبظهور هذا الأمير تغير سير تلك الحرب إذ انهزم براق وانسحب إلى ماوراء النهر لكى يقاوم أعداءه مقاومة اليائس المستميت . ولكن قايدو نفسه طلب الصلح من براق ، فعقد المتحاربون مجمعا «قرلتاى» وفيه اتفقوا على تأسيس امبراطورية مستقلة تمام الاستقلال فى آسـيـة الوسطى تحت سلطان قايدو .

كما اتفقوا فيه على أن جميع الأمراء يجب أن يعتبروا أنفسهم إخوانا فى الدم « أنده » وأنه يجب حماية ما يملكه سكان الريف والحضر وأن يقنع الأمراء بالمراعى الموجودة فى بلاد السهوب أو فى الجبال وأن يعملوا على إبعاد القوم الرحل عن المناطق الزراعية . وقد ترك الجزء الأكبر من بلاد ماوراء النهر ، أى نحو ثلثى هذه البلاد ، فى أيدى براق ، ومع ذلك فقد جعلت الأراضى الزراعية فى تلك البلاد تحت إدارة الوالى مسعود بك الذى عينه قايدو . وتختلف الروايات فيما يختص بالمكان الذى عقد فيه ذلك المجمع وبتاريخه . فيذهب رشيد الدين أن هذا المجمع عقد فى تلس وذلك فى ربيع عام ٦٦٧ ﻫ (١٢٦٩ م) . ويقول وصاف إنه عقد فى سهوب قطوان إلى الشمال من سمرقند بعد التاريخ المتقدم بسنتين أو ثلاث لأنه وفقا لهذا المصدر يكون مسعود بك قد ذهب إلى إيران فى أواخر عام ٦٦٦ ﻫ (١٢٦٨م) بصفة مبعوثا من قبل قايدو وبراق وأن الحلة التى وجهها براق لمقاتلة أباقا قد حدثت فى عام ٦٦٧ ﻫ (١٢٦٨ — ١٢٦٩م)

قد دبر أمر هذه الحلة فى هـذا المجمع ووافق عليها قايدو . ومن الواضح أن قايدو كان غرضه من تلك الوسيلة إبعاد خصمه عن البلاد ذلك الخصم الذى كان مصدر خطر دائم . وأرسل مسعود بك إلى إيران على زعم تحصيل ما يستحقه قايدو وبراق من الدخل إذ كان من المبادىء المقررة أن جميع أمراء البيت المالك لهم نصيب من دخل البـلاد المفتوحة . أما الغاية الحقيقية من إرسال مسعود إلى إيران فهى لكى يعرف تلك البلاد ويختبر شئونها . وبعد رجوع المبعوثين بقليل

جهر براق ، بالعداوة واحتل بعض الأقاليم من أعمال خراسان وأفغانستان ولكن الجنود التى أرسلها قايدو تحت إمرة الأمير كبجاق لمعاونته لم تحسن معاونته بل أنها تخلت عنه بعد قليل كما جاء فى كتاب رشيد الدين ، أما قايدو فيذكر بعد ذلك أن هذا الانسحاب قد تم بناء عن أمره . ومن ذلك الوقت عاش قايدو وأباقا فى سلام ووئام . وهزم أباقا خصمه هزيمة منكرة فى غرة ذى القعدة عام ٦٦٨ (٢٢ يوليه ١٢٧٠) واضطر براق إلى الانسحاب إلى ما وراء نهر جيحون Oxus نحو بخارى فى خمسة آلاف مقاتل فقط . وقد سقط براق أثناء الموقعة من فوق جواده وأصابه العرج فنقل على محفة .

وتختلف المصادر فيما يختص بالسنة الأخيرة من حياة براق . فيذكر وصاف أنه قضى الشتاء فى بخارى وفيها اعتنق الإسلام وسمى نفسه السلطان غياث الدين . وفى العام التالى جهز حملة للإغارة على سيستان ولكن مشروعاته باءت بالفشل بسبب غدر بعض الأمراء فاضطر إلى أن يسلم نفسه هو وامرأته إلى قايدو فأمر بسجنهما . أما التفصيلات التى ذكرها رشيد الدين فى كتابه فهى أتم من معلومات وصاف وأصح منها على ما يظهر ، فقد جاء فى كتاب رشيد الدين أن خيانة الأمراء قد حدثت مباشرة عقب انسحاب براق إلى ما وراء نهر جيحون . وأن براق نفسه ذهب إلى طشقند وهناك أرسل فى طلب العون من قايدو . فخرج قايدو على رأس جيش عدده عشرون ألف مقاتل ولكنه لم يتقدم إلا ببطء شديد انتظارا منه لنتيجة القتال بين براق والأمراء الثائرين ثم استغلال الموقف لصالحه . وقد خرج براق منتصرا من القتال فأشار على قايدو ، أخيه فى الدم ، أن يعود إلى بلاده إذ لم يعد فى حاجة إلى معونته ، ولكن قايدو لم يقف عن زحفه إذ كان جيشه أقوى بكثير من جيش براق فلم يكد قايدو يصل إلى قرب معسكر براق حتى حاصره بجيوشه أثناء الليل . وقد مات براق من الخوف فى تلك الليلة كما يقال . ولما ظهر رسل قايدو فى المعسكر فى صبيحة اليوم التالى استقبلوا بالنواح وعلموا أن براق قد مات فرجعوا إلى سيدهم . وأمر قايدو أن يدفن براق فوق جبل عال أعنى كما يدفن المغل لا المسلمون .

وقد اشتكى الأمراء وعلى رأسهم مبارك شاه من استبداد براق فسمح لهم قايدو بأن يستحوذوا على المخلفات التى تركها براق ، وانتزعت امرأة مبارك شاه بيديها القرط من أذن أرملة براق . والتحق مبارك شاه بعد ذلك بقليل بخدمة أباقا . وليس من شك أن الأخبار التى رواها رشيد الدين قد استقاها من أحد رجال البلاط .

ويذكر وصاف أن براق توفى فى أواخر عام ٦٦٨ هـ (صيف عام ١٢٧٠ م) أما جمال القرشى فيذكر أنه توفى فى بداية عام ٦٧٠ هـ (٩ أغسطس عام ١٢٧١) وجدير بنا أن نفضل الرواية الثانية لأنها هى الوحيدة التى تتفق والمعلومات التى ذكرها رشيد الدين عن

العهد الذى حدث فيه الحرب بين براق وأباقا تلك المعلومات التى تستأهل التصديق ؟

المصـــــادر

(١) تأريخ وصاف ، طبعة Hammer ص ١٣٤ — ١٣٥ ، والترجمة ص١٢٧ ومابعدها

(٢) رشيد الدين ، جامع التواريخ نقلا عن المخطوطات المحفوظة فى سنت بطرسبرج، وقدأعد E. Blochet النص لنشره فى مجموعة جب Gibb التذكارية (٣) d'Ohsson : *Histoire des mongols* ج ٣ ، ص ٤٢٧ ٤٢٨ (٤) Hammer - Burgstall : *Ceschichte der Ilchone* ج ١ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

[بارتولد W. Borthold]

« البرامكة » أسرة فارسية من أبنائها الوزراء الأول من الفرس فى الخلافة الإسلامية وليس « بَرْمك » اسم شخص ، وإنما هو لقب يطلق على الموبذ فى « نَوْبهار » ، وهو منصب وراثى . وكانت الأراضى الملحقة بالمعبد فى يد أبناء هذه الأسرة ، ومساحتها حوالى ٧٤ ميلا مربعا (طولها ثمانية فراسخ وعرضها أربعة) أى أكبر قليلا من مساحة مقاطعتى ليب Lippe وشامبورج ليب Schaumburg-Lippe معاً . وظلت هذه الأراضى ، أو جزء منها ، فى حوزة البرامكة إلى عهد متأخر . ويقول ياقوت فى حديثه عن بليـــدة « راون [١] » الكبيرة والكثيرة الخير شرقى بلخ إنها كانت ليحي بن خالد بن برمك (ج٢ ، ص ٩٤٢). و « نوبهار » اسم مشتق من كلمتين سنسكريتيتين هما « نفا » و « فهارا » ومعناهما المعبد الجديد إشارة إلى معبد بوذى ، قال بذلك الحاج الصينى هوان چوانج فى القرن السابع لميلاد المسيح *(Mémoires [illegible] les contrées occidentales* ترجمة St. Gulien ، ج ١ ، ص ٣٠ ومابعدها *Histoire de la vie de Hioven— Thsanh* ص ٦٤) وقد عرف هذا المعبـد بعض جغرافيي العرب مثل ابن الفقيه (طبعة دهغوى ، ص ٣٢٢) الذى قال إن نوبهار تعبد فيـه الأوثان وليس بيتا من بيوت النـار ؛ وإذا أغفلنا مبالغات ابن الفقيه فاننا نجد أن وصفه ينطبق تماما على المعبد البوذى .

ولقد حاول الفرس أن يربطوا بين هذه الأسرة الفارسية وبين تاريخ الدولة الساسانية لأســـباب لا تخفى ، فجعلوا المعبد البوذى بيتاً من بيوت النار (ياقوت ، ج ٤ ، ص٨١٩ وما بعدها) ونسبوا إنشاءه إلى ملوك الفرس الأقدمين كما زعم موابذته أنهم من سلالة وزراء آل ساسان (سياستنامه ، طبعة *Schefer* ص ١٥١) ولا ريب أن هذه المزاعم لم تنشأ

(١) فى معجم البلدان ، طبعة القاهرة عام ١٣٢٤هـ ج ٤ ، ص ٦١٥ إنها « بليدة من نواحى طخارستان شرق بلخ ليست بالكبيرة » .

قبل عهد هارون الرشيد ثم ذاعت فى المؤلفات المتأخرة التى لم تتأثر بها الروايات المحلية فحسب (فضائل بلخ فى Chrestomathie : Schefer persane ؛ ج ١ ، ص ٧١) بل تأثر بها العلماء المحدثون أيضا (A literary : Browne History of Persia ، ص ٢٥٧) .

ومن المحتمل أن يضع ابن المقفع ، وهو فارسى الأصل ، أقوالا كهذه . والحق أن معاصره خالدا لم يكن له من النفوذ أيام أبى العباس والمنصور ما كان ليحيى فى عهد هارون الرشيد ، ولكن مكانته وكرمه الذى جر المنافع على أهل بيته جميعاً كانا يغريان بوضع الروايات الفارسية التى تعظم من شأن البرامكة (ابن الفقيه ، ص ٣١٧) .

ويقول البلاذرى (طبعة ده غوى ، ص ٤٠٩) إن نوبهار خرب فى عهد معاوية ، وربما كان ذلك بعد عام ٤٢ هـ الموافق ٦٦٣ — ٦٦٤ م (Eranshahr: Marquart ، ص ٦٩) ويقول الطبرى إن الأمير نيزك صلى فى نوبهار عام ٩٠ هـ الموافق ٧٠٨ — ٧٠٩ م وليس لدينا عن برمك أبى خالد وأسلافه إلا روايات أسطورية ، ولم يستطع ابن خلكان أن يجزم بإسلام برمك . ويذهب ابن الفقيه (ص ٣٢٤) إلى أن خالدا بن برمك هذا من ابنة أمير جغانى ، ويروى الطبرى (ج ٢ ، ص ١١٨١) فى حديثه عن حملة قتيبة بن مسلم على العصاة فى بلخ عام ٨٦ هـ الموافق عام ٧٠٥ م أن زوج الموبذ كانت من السبايا وأنها أمضت ليلة مع عبد الله أخى قتيبة وأنها حملت بخالد فى هذه الليلة ثم أطلق سراحها مع بقية الأسرى فى اليوم التالى . وظاهر مما أضافه الطبرى عن أصل هذه القصة أنها من وضع أبناء عبد الله ولم يكن ذلك لتشريف هذا البيت الفارسى بالدم العربى ، كما ذهب البعض ، وإنما كان لتقريب البيت العربى من البرامكة أصحاب الحظوة عند الخلفاء . ومن المحتمل أن نجد فى هذه القصة التاريخ المضبوط لولادة خالد . أما وفاته فقد ذكر أنها كانت عام ١٦٥ هـ الموافق ٧٨١ — ٧٨٢ م ومعنى ذلك أنه كان فى الخامسة والسبعين عندما بلغته الوفاة ، وكان أبوه برمك مبرزا فى الفلك والفلسفة والطب وهو الذى عالج الأمير مسلمة بن عبد الملك من داء ألم به (الطبرى ، الموضع السابق) ويستدل من هذا على أن برمك ترك موطنه ورحل إلى دار الخلافة ، وكان ذلك ، كما تقول روايات متأخرة ، فى عهد الخليفة عبد الملك عام ٨٦ هـ الموافق ٧٠٥ م ، وهو العام الذى توفى فيه الخليفة . ويظهر أنه عاد إلى موطنه بعد ذلك . وفى عام ١٠٧ هـ (٧٢٥ — ٧٢٦ م) أعاد ، بأمر الوالى أسد ابن عبد الله ، بناء بلخ التى كانت قد خربت ، (الطبرى ، ج ٢ ، ص ١٤٩٠) .

ولا نعرف عن ولادة خالد وتعلمه إلا القليل ، وليس هناك من الأخبار ما يدلنا على تاريخ تقربه من الخليفة أبى العباس ، أو سبب هذا التقرب الذى بلغ من الوثوق حدا جعل

زوج كل من الخليفـــة ووزيره ترضع ابنة الأخرى (الطبرى، جـ ٢، ص ٨٤٠). وبعد عام ١٣٢ هـ الموافق ٧٤٩ — ٧٥٠ م أسند إلى خالد الإشراف على ديوان الخراج. وتقول بعض المصادر إنه كان يلقب بالوزير وقتذاك (المسعودى: التنبيه والاشراف، ص ٣٤٠ - ٣٤٢؛ *Frag. Hist. Arab.*، طبعة ده غوى، ص ٢١٥، ص ٢٦٨) ويظهر أنه كان أول الكتاب الذين حملوا لقب الوزارة. ولم يذكر الوزير أبوسلمة على أنه أول «وزير لبيت محمد» بين الكتاب. ولعله كان وزيراً بالمعنى الذى يفهم من هذه الكلمة فى القرآن (سورة طه، آية ٢٩ وما بعدها) أو بالمعنى الذى ورد على لسان أبى بكر فى المصادر التاريخية (الطبرى، جـ ١، ص ١٨١٧، س ٦٦، ص ٢١٤٠، س ١١). ولم يكن خالد نفسه وزيراً بالمعنى الذى كانت تحمله هذه الكلمة فيما بعد. ولم تقف شهرته عند القدرة فى الحكم والسداد فى المشورة بل تعدت ذلك إلى البراعة فى الحرب. وانضم تحت لواء أبى مسلم وقائده قحطبة بن شبيب مناصراً آل محمد ومحارباً دولة بنى أميـــة. واستعمل على طبرستان بين عامى ١٤٨ هـ (٧٦٥م) و١٥٢ هـ (٧٦٩ م) وخرّب أثناء ذلك مصمغان فى جبل دماوند (Marquart: *Eranshahr*، ص ١٣٨) ويقال إن أهل طبرستان بعد هذا الانتصـــار نقشوا على دروعهم صورة خالد وسلاحه (ابن الفقيه، ص ٣١٤). وفى عام ١٦٣هـ (٧٧٩—٧٨٠م).

ظهرت براعته الحربية فى الاستيلاء على صمالو، وهو من حصون الروم مع أنه كان قد طعن فى السن (الطبرى، جـ ٣، ص ٤٩٧)

وأول ما نجد خالداً يشير على الخليفة المنصور فى قصة تخطيط بغداد عام ١٤٦ هـ الموافق ٧٦٣ — ٧٦٤ م، وفى تنازل عيسى ابن موسى عن حقه فى ولاية العهد عام ١٤٧هـ الموافق ٧٦٤ — ٧٦٥ م وتنسب له مبانى كثيرة ببغداد كما ينسب له تخطيط مدينة المنصورة فى طبرستان أثناء ولايته عليها ونصب قبيل وفاة المنصور عاملا على الموصل بعد أن طالب إليه الخليفة أن يدفع ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ درهم، كما نصب ابنه يحيى على آذربيجان. ويقال ان أهل الموصل لم يوقروا عاملا كما وقروا خالداً مع أنه لم يكن يلجأ إلى القسوة فى تأديبهم. ويذهب المسعودى (المروج، جـ ٦، ص ٣٦١) إلى أن أحداً من أبنائه لم يضارعه فى نبل خصاله.

ويذكر ابن خلكان أن ابنه يحيى توفى فى الثالث من المحرم عام ١٩٠ هـ (التاسع والعشرين من نوفمبر عام ٨٠٥ م) بالغـــاً من العمر السبعين أو الرابعة والسبعين، فيكون قد ولد عام ١٢٠ هـ (٧٣٨م) أو قبل ذلك ببضع سنين وعلى خلاف أبيه لم يشتهر إلا بأنه كان عاملا ووزيراً فلم يرو عنه غزو أو فتح. وأهم ما خلفه من الأعمال قناة سيحان بالبصرة (الطبرى، جـ ٣، ص ٦٤٥، البلاذرى، ص ٣٦٣) وعهد إليه الخليفة المهدى بتأديب ابنه هارون عام

١٦١ هـ (٧٧٧ — ٧٧٨ م) وبعد عام ١٦٣ هـ (٧٧٩—٧٨٠م) كان يحيى يشرف على ديوان الرسائل لولى العهد الذى استعمل على الغرب (أى جميع الولايات غربى الفرات) بما فى ذلك أرمينية وآذربيجان . وتعرضت حياته للخطر فى الفترة القصيرة التى حكم فيها الخليفة الهادى لاتصاله الوثيق بهارون الذى رغب خصومه فى إرغامه على التنازل عن حقه فى ولاية العهد . ولكن ما كاد هذا يصل إلى الخلافة حتى استوزر يحيى ، وكان لا يزال يدعوه « يا أبت » ، وأعطاه سلطة لا حد لها ومكث يحيى يحكم بمعاونة ولديه الفضل وجعفر سبعة عشر عاماً (٧٨٦ — ٨٠٣م) ، أما ابناه الآخران موسى ومحمد فيندر أن يرد لهما ذكر .

وكان الفضل المولود عام ١٤٨ هـ (٧٦٥ — ٧٦٦م) أكبر أبناء يحيى وأعظمهم شأناً . واستعمل بين عامى ١٧٦هـ (٧٩٢ — ٧٩٣م) و ١٨٠ هـ (٧٩٦ —٧٩٧م) على الولايات التى كانت تشمل الجبال وطبرستان ودنباوند وقومس كما استعمل مدة من الزمن على أرمينية وآذربيجان وكذلك على خراسان من عام ١٧٨ هـ (٧٩٤—٧٩٥م) إلى ١٧٩ هـ(٧٩٥— ٧٩٦م) . ويقول اليعقوبى (تاريخه ، جـ ٢ ، ص ٥١٦) إنه لم يوفق فى حروبه فى أرمينية، أو فى داغستان بنوع خاص . وتنسب إليه فى خراسان أعمال ليس من المعقول أن يكون قد قام بها فى مدة ولايته القصيرة على هذه البلاد . ويقال إنه جند للخليفة ٥٠٠,٠٠٠ من الخراسانيين أرسل عشرين ألفاً منهم إلى بغداد وظل الباقون فى خراسان (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٣١) وأنه احرز عدة انتصارات باهرة وشيد الكثير من المساجد والرباطات وحفر قنــــاة جديدة فى بلخ (Schefer : *Chrestomathie persane* ، جـ ١ ، ص ٧١ ، ٨٨) وشيد مسجداً جامعاً فى بخارى ، وهو أول من أدخل القناديل فى المســاجد فى رمضان (نرشخى . طبعـــة Schefer ، ص ٤٨) . ويروى المسعودى (المروج ، جـ ٦ ، ص ٣٦٣) أن الفضل عكف فى الأيام الأولى لولايته على اللهو والصيد ولم ينته عن ذلك إلا بعد أن جاءه كتاب من أبيه .

أما جعفر الذى استفاضت شهرته فى القصص فيما بعد ، والمولود عام ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) والذى كان فى السابعة والثلاثين من عمره عند ما بلغته الوفاة فإن الناس لم يتمدحوا منه إلا حسن خطه وبلاغة منطقه وعلمه بالفلك . ويؤثر عنه أنه كان مثلا يحتذى فى اتخاذ الأزياء ، وهو أول من استعمل رباط الرقبة لطول عنقه (الجاحظ : البيان والتبيين ، جـ ٢ ، ص ١٥١) وترد أسباب صلته بالخليفة ، ولم يكن أبوه يحيى راضياً عنها ، إلى رذيلة مشهورة فى الشرق (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٧٦) ويبدو لنا أن جعفراً لم يفارق الخليفة إلا فى رحلة قصيرة إلى الشــام عام ١٨٠ هـ (٧٩٦ — ٧٩٧ م) لكى يصلح بين قبائل

العرب التى كان يقاتل بعضها بعضاً ، كما فعل أخوه موسى قبل ذلك بأربعة أعوام . ومع هذا فقد أسرف فى التعبير عن حزنه لفراق الخليفة ورغبته فى العودة إليه (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٤٢) . واستعمله الخليفة على ولايات واسعة عدة مرات . ولكنه لم يكن يذهب إليها ، وإنما كان يحكمها دائما نواب من قبله . ولا نستطيع أن نجزم من المصادر التى بين أيدينا بأنه أشرف على شئون الدولة بنفسه باعتباره وزيرا أو نعين المبانى والأعمال التى قام بها . ولا يدل على نفوذه إلا ظهور اسمه على سكة الخليفة .

ولم يكن لأبيه من سعة النفوذ خلال الأعوام السبعة عشر التى قضاها فى الحكم ما يروى عنه ، وكان عليه فى الأعوام الأولى لحكمه أن يعرض شئون الرعية على الخيزران أم الخليفة المتوفاة عام ١٧٣ هـ الموافق ٧٨٩ — ٧٩٠ م فلما توفيت احتجز الرشيد الخاتم من جعفر وعهد بجانب كبير من أمور الرعية إلى الفضل بن الربيع وهو الذى نافسهم وخلفهم على دست الوزارة فيما بعد . وفى عام ١٧٩ هـ الموافق ٧٩٥—٧٩٦ م خلف الفضل محمداً بن خالد البرمكى فى الحجابة وكان استعمال على بن عيسى بن ماهان على خراسان مخالفا لرغبة الوزير (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٧٠٢) . وفى حجة عام ١٨١ هـ (أوائل عام ٧٩٨ م) أجيب إلى طلبه فى اعتزال الحكم والبقاء فى مكة (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٤٦) ، ولكنه عاد إلى بغداد فى العام التالى ، ويظهر أنه تسلم أزمة الحكم مرة أخرى .

ويتضح من هذه الأقوال أن نكبة البرامكة سبقتها ممهدات من زمان طويل ، ولم تكن راجعة إلى رغبة فجائية للخليفة . ففى الليلة الأولى من صفر عام ١٨٧ هـ (٢٩ يناير عام ٨٠٣م) قتل جعفر بأمر الخليفة وأعقب ذلك زج يحيى وأبنائه الثلاثة الآخرين فى السجن وصودرت أملاكهم وأعطى الأمان لأقارب الوزير ، ولم يلحق بمحمد بن خالد ، أخى يحيى ، وأسرته مكروه ؛ ثم أمر الرشيد فعلق رأس جعفر على جسر بغداد الأوسط كما علق نصفا جسمه على الجسرين الآخرين ، واحتجز الوزير وأبناؤه فى مدينة الرقة . ومات يحيى والفضل قبل الخليفة ولا نعرف شيئا عن مصير موسى ومحمد . ويظهر أن عمران بن موسى كان الحفيد الوحيد للوزير البرمكى الذى برز فى الشئون العامة ، فقد ذكر فى حوادث عام ١٩٦ هـ الموافق ٨١١ — ٨١٢ م أنه دافع عن المدائن بلد آل ساسان أمام جيش المأمون (الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٨٥٩ وما بعدها) ؛ ثم ورد ذكره مرة أخرى عام ٢١٦هـ (٨٣١م) نائباً لعامل السند (المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٠٥) . كما ذكر أبو القاسم عباس بن محمد البرمكى على أنه واحد من آخر وزراء الدولة السامانية Barthold : *Turkestan v epochu mongolskago nashestvija*) ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ متبعا

رواية الكرديزى) ولم يرد ما يفيد نسبته إلى هذه الأسرة ، وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) محمد حسن البرمكى الدانشمندى قد أسفر عدة مرات بين الدولة الغزنوية وبلاط الخليفة (البيهق، طبعة مورلى Morely ، ص ٤٤١ ومابعدها) . أما محمد بن جهم البرمكى المترجم المشهور لكتاب «خداى نامه» فيظهر أنه كان واحداً من موالى البرامكة كما ذهب البعض ، وكذلك كان المنجم الذى ذكره الطبرى (جـ٣،ص٤٩٧ومابعدها) فى حوادث عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ — ٧٨٠ م).

ولا تساعدنا المعلومات التى لدينا فى إحصاء أعمال البرامكة وتقدير فضائلهم ومساوئهم . والشائع أنهم كانوا مسلمين معروفين بالتقى اشتهروا بحجهم وبالمبانى التى شيدوها ، بيد أن خصومهم يتهمونهم بعدم الاحتفال بالإسلام وتعاليمه ، فقد أورد الجاحظ بيتين من الشعر فى كتابه « البيان والتبيين » (جـ ٢ ، ص ١٥٠) لشاعر مجهول وإن كان ابن قتيبة قد نسبهما فى « عيون الأخبار » (ص ٧١ ، طبعة بروكلمان) للأصمعى اللغوى : قال فيهما

إذا ذكر الشرك فى مجلس
أنارت وجوه بنى برمك
وإن تليت عندهم آية
أتوا بالأحاديث عن مروك(١)

(انظر فيما يخص بهذا الكتاب مصنف حمزة ، طبعة Gottwaldt ،ص٤١) . وقال شاعر آخر (البيان والتبيين وعيون الأخبار ، الموضع السابق) عن نفسه :

إن الفراغ دعانى
إلى ابتناء المساجد
وإن رأى فيها
كرأى يحيى بن خالد

ويقال إن المنصور اتهم وزيره خالدا بأن هواه مع الفرس (الطبرى ، جـ ٣ ، ص٤٢). ويقول الطبرى (جـ ٣ ، ص٥٧٢ وما بعدها) إن الهادى اتهم يحيى بالكفر ، ومن المحتمل أن يكون الرشيد قد أوقع بالبرامكة لتهم مثل هذه ، ولكن شيئا من هذا لم تذكره المصادر. ومما يدل على أن سقوط البرامكة له صلة بالعودة إلى تعاليم الإسلام الحقة أن السكة بعد عام ١٨٧ هـ لم تكن تحمل اسم الخليفة أو ولى عهده كما كان الحال منذ عهد المهدى .

ولم ينكر أحد من أنصار البرامكة أنهم لم يغنوا الدولة فحسب بل أغنوا مواليهم أيضا ، وكان المؤرخون يميلون دائما لأهل القلم لأسباب واضحة ، ولذلك فإن التاريخ ، حتى الذى برئ من التحيز للفرس ، أسرف فى

(١) ورد فى عيون الأخبار ، طبعة دار الكتب المصرية ، جـ ١ ، ص ٥١ هامش رقم ١ عن كتاب
=مروك أنه «عرف عن مزدك ، وإليه ينسب المزدكية وقد خرج فى أيام قباذ بن فيروز فبدل شريعة زرادشت واستحل المحارم وسوى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد ، وكثر أتباعه ، وعظم شأنه وتبعه قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنو شروان فقتله ، وأباد أتباعه »

مدح البرامكة الذين كانوا يعتبرون منشئ هذه الطبقة، وسكت عن كثير من مساوئهم. ويجب ألا نعتمد كثيراً على ما يقال من أن عهد هارون الرشيد كان العصر الذهبي للخلافة الإسلامية (الطبرى، جـ٣، ص٥٧٧ ومابعدها) أو أن الرشيد أحسن الحكم طالما كان البرامكة معه كما زعم بعض المؤرخين (المسعودى، التنبيه، ص ٣٤٦؛ *Frag. Hist. Arab.*، ص ٣٠٩). ومع هذا فإن الرواية الشائعة تؤيد حكم المؤرخين فى الحالتين. وإنها لشهادة جديرة بالاعتبار فى فضائل هؤلاء الفرس أن يمجدهم عربى من المدرسة القديمة كصاحب الأغانى، وأنهم استطاعوا أن يوطدوا النظام فى ولاية عربية خالصة كولاية الشام.

المصـــادر

(١) ضياء الدين برنى: أخبار برمكيان، فى *Chrestomathie persane*: Schefer جـ ٢ ص٢ — ٥٤ (٢) المسعودى: مروج الذهب، جـ ٦، ص ٣٦١ وما بعدها، ص ٣٨٦ ومابعدها (٣) ابن خلكان: ترجمة سلان، جـ١، ص ٣٠١ وما بعدها؛ جـ ٢، ص ٤٥٩ وما بعدها؛ جـ٤، ص ١٠٣ وما بعدها (٤) الطبرى، انظر الفهرس. (انظر كذلك المصادر المذكورة بصلب المقال).

[بارتولد W. Barthold]

« البراهمة »: كان أبو الريحان البيرونى الأفضل بل الأوحد من بين المؤلفين العرب الذين وقفوا على أسرار الهند البرهمية. ومصنفه الجليل عن الهند (طبعة وترجمة سخاو سنة ١٨٨٨م، وطبع حديثا سنة ١٩١٠م) يشهد بأنه درس تلك البلاد دراسة توافرت له فيها مواهب لا نظير لها فى ميادين الفلسفة والأدب والعلوم. وهو حجة فى حديثه عن طبقات الهنود والبراهمة وعن طريقة معيشتهم وماهية كتبهم ودينهم وعلومهم.

وقد درس البيرونى اللغة السنسكريتية ونقل منها إلى العربية طائفة من كتبها. وكان ملما بكتب الهنود المقدسة وهى البيذ والپرانات Vedas Puranas ومطلعا على كل شىء حتى علم العروض السنسكريتى. أما علم ما وراء المادة عند البراهمة فقد كان محيطا بدقائقه إحاطته ببعض أساطيرهم. وله بحوث فى موضوع بيضة براهم[١] ومختلف أدوار حياة العالم وفى موضوع الكلپا واليوجا والتناسخ والثواب على الأعمال فى العوالم المختلفة وفى النجاة. وقد ألف البيرونى كتابه هذا فى مدينة غزنة أعنى فى بقعة كان بها كثيرون من السكان الهنود (حوالى سنة ١٠٣٠م) وكان قد تنقل من قبل فى بلاد بنجاب.

وإذا استثنينا هذا المصنف الجليل فإن معلومات مؤرخى العرب عن مذهب البرهمية

(١) بيضة براهم اصطلاح يطلقه البراهمة على كل الأثير من جهة استدارته وشكل حركته بل على كل العالم من جهة انقسامه إلى الأعلى والأسفل.

البرهمية

وعن الهند تافهة جدا . أما التفاصيل الوافية أو المعلومات الصحيحة فلا وجود لها حيث يخيل أن هناك من الأسباب ما يدعو إلى توافرها . من ذلك أنك لا تجد لها أثرا فى كتاب المسعودى ولا فى كتاب الشهرستانى على الرغم من تخصص هذا المؤلف الأخير فى علم الفرق والطوائف والمذاهب الدينية ومن إلمامه بشىء ولو يسير عن البوذية ، كما لا تجدها فى الأساطير التى أخرجتها لنا الهند مثل كتاب كليلة ودمنة ، ولا فى أحاديث الأسفار والرحل المسطورة عن الهند بخاصة كالرحلة الموسومة « بعجائب الهند » وكتاب « سلسلة التواريخ » وينبغى أن نلاحظ هنا أن جزيرة سيلان التى تدين بالبوذية هى البقعة الوحيدة من بلاد الهند التى كانت معرفة العرب بأحوالها أقل منها بأحوال البقاع الأخرى .

ولقد أورد المسعودى اسمى اثنين من مؤلفى العرب صنفا فى موضوع الفرق الهندية وهما أبو القاسم البلخى والحسن بن موسى النوبختى ، وقال هذا المؤرخ إن البراهمة من نسل برهمن وهو ملك مترهب وعالم ، عقد مجمعا من الحكماء وسن بمعونتهم قواعد الدين ، ووضع نظرية الأدوار الفلكية واخترع أرقام العدد وحسب مقدار حركة المبادرة السنوية للاعتدالين . وفى قول برهمن هذا إن عمر العالم ١٢٠٠٠ دور مقدار كل دور ٣٦٠٠٠ سنة ، وأنه أى العالم ينمو ويتسع فى الأدوار الأولى ثم يضمر ويتضاءل وتبطأ حركته فى الأدوار الأخيرة . ومن قوله فى موضع آخر إن دورة العالم تقدر بسبعين ألف سنة وتسمى « هزروان » .

ويقول الشهرستانى إن براهم ينكر النبوة لعدة أسباب أوردها ، وما ذكره موجزا منها لا يعطينا أية معلومات عن ديانات الهنود لأن هذا الموجز إنما هو خلاصة مناظرة دارت بين أحد المسلمين وواحد ممن لا يؤمنون بالنبوة .

وآداب اللغة العربية تجعل مرتبة البراهمة وسطا بين الفلاسفة والمتنبئين ، وفى كتاب كليلة ودمنة لا يبدو بيدباء البرهمى إلا فى ثوب الرجل الحكيم صاحب الرأى السديد والنظر الثاقب البعيد . ويقول مؤلف الكتاب عن بيدباء إنه كان فاضلا حكيما يعرف بفضله ويرجع فى الأمور إلى قوله . ويقول مؤلف كتاب الأسفار والرحلات إنه كان بين الهنود رجال وقفوا حياتهم على الدين وعلماء يسمون بالبراهمة وكان من بينهم شعراء يعيشون فى قصور الملوك وعلماء فى الفلك وفلاسفة ومنجمون ، ويضع الشهرستانى علماء النجوم والعرافين فى مصاف البراهمة .

أما كتب الأسفار فاهتمامها بالزهاد أكثر منه بالبراهمة فقد وصفت طرائق حياتهم وصفا حسنا وقالت عنهم إنهم يتخذون من الجماجم البشرية زقاقا لهم وتسمى عندهم باسم بيكرجى أو بيكور تصحيف كلمة بكشو (راجع كتاب عجائب الهند ، *Merveilles de l'Inde*

طبعة فان دوليت Vand ـ Lith ، الفهرس) . ويطلق سعدى الشاعر الفارسى وغيره اسم البراهمة على عبدة النار (انظر: بستان ، طبعة باربيه ـ مينار Barbier de Meynard ، ص ٣٣١) .

[كاراده فو B. Carra de Vaux]

« بربا » : هى السهوب الموجودة فى سيبيريا الغربية بين خطى عرض ٥٢° و٥٧° شمالا ، يحيط بها من الشرق والغرب سلسلة من التلال على شواطىء نهر إديرتش ونهر آب . وأكبر البحيرات الملحة فى هذه السهوب هى بحيرة چنى . وتكثر المستنقعات فى أرضها حتى يتعذر التنقل فى فصل الأمطار، ولكنها على العموم أرض خصبة . وتوصف القرى الروسية الموجودة عند أطراف هذه السهوب بأنها قرى مزدهرة كثيرة العمران . ويطلق الروس على التتر أهل هذه البـــلاد اسم « بريتسى » ، وقد أُجلوا منذ القرن السابع عشر عن النواحى الخصبة فأخذ عددهم فى التناقص منذ ذلك الحين . وذكر «رادلوف» Radloff فى الإحصاءات التى جمعها سنة ١٨٦٥م أن عـــدد التتر من أهل بربا كان حينذاك ٤٦٣٥ نسمة فقط ؛ وهم لم يدخلوا فى الإسلام فى أغلب البقاع إلا فى القرن التاسع عشر ؛ ولقى «رادلوف» هناك بعض الرجال المتقدمين فى السن وعلم منهم أنهم يذكرون أن آباءهم كانوا من الألتاى يقـــدمون القرابين ولا يتزيون بالزى الإسلامى . وجمع « رادلوف » نماذج من أدب التتر من أهل بربا . وهم يشتغلون بالزراعة وبصيد السمك وقنص الوحوش شأنهم فى ذلك شأن الروس . وقد ازداد محصول المصائد ونمت تجارة الفراء على وجه خاص فى القرن الماضى . وفى الوقت الذى ذهب فيه مدندورف Middendorf إلى هناك كان لا يوجد فى تلك البقاع من الحيوان ذى الفراء إلا الذئب والقاقوم [١] .

والراجح أن سكان هذه البلاد من التتر قد هاجروا إليها إبان عهد المغل ، وكانت لهجرتهم صلة بتأسيس دولة سيبيريا . وكانت سهوب بربا هى الحد الفاصل بين الروسيا وبلاد القلموق منذ أن فتحت دولة سيبيريا إلى عهد بطرس الأكبر، وإقليم الحدود الموجود بين مدينـة « تاره » على نهر إيرتش ومدينـة «تومسك» شرق نهر آب كان يسمى فى ذلك العهد إقليم بربا « Barbanskaya volost » . وكان أهل تلك البلاد يتكلمون لغة القلموق إلى جانب لغتهم التركيـة الأصلية ويدفعون الجزية للروس والقلموق ثم اقتصروا على دفعها للروس . وقد استوطن بلاد بربا فى

(١) القاقوم حيوان من فصيلة بنات عرس يكون فى البلاد الشمالية لونه أحمر قاتم فى الصيف وأبيض فى الشتاء ما عدا ذنبه — انظر معجم الحيوان لمعلوف ص ٩٩ .

القرن الثامن عشر الميلادى عدد كبير من المنفيين من الروسيا ؟

المصـــــادر

(١) A. v. Middendorf: *Die Baraba* وبه خريطة فى: *Mémoires* [redacted] *l'Acad. Imp. des Sciences de St. Pétersbourg* المجموعة السابعة، جـ ١٤ ، سنة ١٨٧٠ م (العدد التاسع) (٢) W. Radloff : *Aus Sibirien*، الطبعة الثانية، ليبسك، ١٨٩٣ م ، جـ ١، ص ٢٤١ وما بعدها (٣) المؤلف نفسه: *Proben der Volkslitteratur der türkischen Stämme Süd-Sibiriens*، جـ٤، ص١ ومابعدها وكذلك المقدمة ص ١٢ (٤) Zapiski : *Imp. Russk Geogr. Obshch po otd. etmografii* المجلد العاشر، جـ ١، ص ٤٤ ، وفيه وصف لرحـــلة المبعوث الروسى Nikolai Spafari نيقولاى سبافارى فى سنة ١٦٧٥ م .

[W. Barthold بارتلد]

« بربر » مدينة فى السودان الإنجليزى المصرى على النيل عند خط عرض ١َ ١٨ْ شمالا وخط طول ٥٩َ ٣٣ شرقى جرينوتش وهذه المدينة تعتبر مفتاحا للسودان ومنهـا تبتدىء الطرق الموصلة إلى أسوان وسواكن. وكانت حاضرة ملك من المكوك تابع لمملكة فونج فى سنار، وظلت كذلك إلى أن أخضعت لحكم مصر فى سنة ١٨٢١م . وفى سنة ١٨٤٤ م سقطت بربر فى يد محمد بن أحمد المهدى، وضيق الخناق على غوردون ثم جلا عنها أتباع المهدى فى سنة ١٨٩٧ م واحتلها كتشنر . وأصبحت حاضرة المديرية التى تسمى باسمها، حتى إذا كانت سنة ١٩٠٥م ، انتقل مقر الحكم منها إلى الدامر . ولما افتتح الطريق الحديدى الموصل من عطبرة إلى بورسودان وسواكن سنة ١٩٠٦م أثر تأثيرا سيئا على تجارة القوافل فى بربر وقضى على أهمية المدينة .

المصـــــادر

(١) J. L. Burchkardt: *Travels in Nubia* ١٨٢٢ م ، ص ١٩٣ — ٢٢٨ (٢) E. A. W. Budge: *The Egyptian Sudan* جـ ٢، ص ٤٠١ (٣) Gleichen : *The* [redacted] *of The Sudan* ، جـ١ ، ص٣٣٥ (٤) Baedeker : *Egypt* الطبعة الرابعة، ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

[R. Hartmann هارتمان]

البربر

تاريخهم : استقر البربر فى شمالى إفريقية منـذ عهد سحيق ، وقد ذكرهم المؤرخون والجغرافيون الأقدمون بأسماء متعددة، فقالوا إن النسامون Nasamons والپسيل Psylles يقطنون برقة Cyrénaïque وطرابلس Tripolitaine وإن الكرمانت Garamantes يعيشون عيشة بدوية فى الصحراء والماكيل

Makyles والماكسى Maxyes على الساحل التونسى والمسولان Musulans والنوميديين Numides فى المغرب الشرق والكتول Gétules على حدود الصحراء والهضاب المرتفعة ، ويعيش المور Maures فى المغرب الأوسط والمغرب الأقصى .

وأنشأ الفينيقيون والقرطاجنيون واليونان مستعمرات فى هذه البلاد ، إلا أن هذا لم يؤثر إلا أثراً ضئيلاً فى سكانها أجمعين اللهم إلا إذا استثنينا البقعة التى كانت تلاصق قرطاجنة . وقد أدى انقسام البربر قبائل متنافرة إلى عجزهم عن إنشاء دويلات قوية وطيدة الأركان ، ولو أنهم كانوا يتحدون أحيانا أمام عدو أجنبى . وشهد وسط المغرب وغربيه نشوء نظام سياسى بقيام ممالك المسيليين Massyliens والمسيسيليين Massésyliens وموريتانيا Maurétanie فى عهد الحروب البونية.

أما شرقيه فقد ظلت تسوده الفوضى . وتمكن الأمير ماسنيسا Masinissa بفضل مواهبه وبفضل معونة رومية من أن يوحد بلاد نوميديا تحت سلطانه وأن ينشئ فى بضع سنين ملكا يشمل جميع قبائل البربر من ملوية إلى خليجى سرت Syrtes . ولكن هذه المملكة لم تعمر طويلا إذ اختفت عام ٤٦ ق م ، وأصبحت نوميديا الشرقية ولاية رومانية . وأعيد إنشاء هذه المملكة بعد ذلك بسنوات فى ظل حماية رومية . وكانت مملكة موريتانيا التى أنشأها أغسطس لـ يوبا الثانى عام ١٧ ق م أقصر عمراً لأنها دخلت فى حوزة الرومان عام ٤٢ م . وظل الرومان يسودون إفريقية حتى القرن الخامس لميلاد المسيح ، وامتزج البربر بغيرهم فى ولاية إفريقية وفى نوميديا خلال هذه القرون، ولكن البربر الذين كانوا يعيشون فى الجبال الشاهقة والهضاب المرتفعة على حدود الصحراء وفى موريتانيا لم يتأثروا بغيرهم من الأجناس إلا قليلا . وقنع الرومان فى الغالب بفرض الجزية على البربر وتجنيدهم وتركوا حكم القبائل لشيوخها . ومع ذلك فإن نار الرغبة فى الاستقلال لم تخمد أوارها فى صدور البربر ، فبدت حينا فى شكل فتن يقودها وطنيون تتفاوت درجة تأثرهم بالرومان مثل تاكفاريناس Tacfarinas (١٧ — ٢٩ م) وحيناً آخر فى شكل غارات يقوم بها بدو الصحراء أو القبائل التى تعيش فى الداخل والتى لم تأخذ بأسباب الحضارة ، ومن ذلك الغارات التى قام بها النسامون والكرمانت فى عهدى أغسطس ودومتيان والقلاقل التى أثارها المور فى عهود هدريان وأنطونينوس وكومودوس ، ومن قبيل هذا أيضاً ما قام به الكتول إبان ثورة العسكر وفتنة العشائر الخمسة ، وهى قبائل جرجرة ، فى نهاية القرن الثالث الميلادى أخذ سلطان الرومان يتقلص بالتدريج ، تشهد بذلك حركات البربر الناشطة التى كانت تزداد قوة على قوة . ووضحت شخصية البربر باعتناقهم المذاهب

المرطقيــة كالدوناتيــة (١) ولذلك فإن الخلافات الدينية التي مزقت أوصال إفريقية في القرن الرابع الميلادي كانت من وجوه كثيرة حرباً بين الأجناس المختلفة ، وكانت ثورة الكيركنسليون نوعاً من الطغيـان البربري ، أما ثورتا فيرموس Firmus (٣٧٢ — ٣٧٥ م) وكيلدون Gildon (٣٩٨ م) فهما شاهدان على سرعة انفعال البربر ، ولكنهم ظلوا حتى الآن كما كانوا في العهد القديم عاجزين عن الاتحاد أمام العدو الأجنبي وطرده من بلادهم .

وكان لعداوتهم للرومان أثر واحد هو أنها سهلت على الوندال غزوهم . ولم يجد هؤلاء الغزاة من الجرمان مناصاً من الركون إلى البربر كما فعل أسلافهم الرومان . ونجح جيسريخ Geiserich في كبح جماحهم بتجنيدهم في جيوشه غير أن خلفاءه اضطروا إلى أن يشنوا عليهم حرباً لا تنقطع . وحافظت موريتانيا وبلاد القبائل وأوراس وطرابلس على استقلالها .

ولم يكن البوزنطيون الذين سيطروا على إفريقية قرناً من الزمان بعد غزوهم للوندال أوفر حظاً من أسلافهم فقد قام زعماء البربر وهم أنتالس Antalas في بزاسين (أواسط المملكة التونسيـة) ويبداس [illegible] في أوراس وماسيناس Massinas في موريتانيا في وجه سليمان عامل يوستنيانوس ، ولم يستطع التغلب عليهم إلا بعد عناء كبير . وتحرج مركز البوزنطيين في إفريقية بعد قتل هذا العامل في الحملة التي أنفذت إلى لواتة طرابلس . ولم يستطع حنا تروجليتا Jean Troglita دفع غزوة لواتة إلا بمساعدة بربر أوراس ، بيد أن أهل المغرب جميعاً لم يعترفوا بسلطان بوزنطة ، ونستطيع أن نقول إن البربر كانوا مستقلين في كل مكان إذا استثنينا بزاسين وولاية إفريقية القديمة (تونس) والجزء الشمالي مما يعرف الآن بولاية قسنطينـة والبلاد التي على الشاطئ والمعاقل التي في الداخل . وكان البربر في ذلك الوقت ينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

١ — في الشرق تقيم لواتة وهي قبائل هوارة وأوريغة ونفزاوة وأوربة في طرابلس وبرقة والجريد وأوراس .

٢ — وفي الغرب تنتشر صنهـاجة في المغرب الأوسط والأقصى ، فكتامة تقيم في بلاد القبائل الصغرى وزواوة في بلاد القبائل الكبرى ، وزناتة على شاطئ الجزائر بين بلاد القبائل وشلف وبنو يفرن من شلف إلى ملوية ، وغمارة في الريف وبرغواطة ومصمودة على الشاطئ الأطلسي لمراكش وكزولة في جبال الأطلس الكبرى ولمطة في جنوبي مراكش . وتعيش صنهاجة ، وتعرف باسم

---

(١) الدوناتية فرقة نصرانية قديمة نشأت بإفريقية في القرن الرابع الميلادي معارضة لانتخاب كاسكيانوس أسقفاً لقرطاجنة ، وقد سميت بالدوناتية نسبة إلى دوناتوس رأس هذه الفرقة التي يزعم أتباعها أنهم وحدهم الممثلون للمذهب الصحيح — اللجنة

أهل الثام ، عيشة بدوية فى الصحراء الغربية .

٣ — وتعيش زناتة فى بقاع متوازية على حدود الهضبة من طرابلس إلى جبل عمور ثم ينتشرون تدريجاً ناحية المغرب الأوسط والأقصى .

ولم يؤثر مجىء العرب فى حالة البربر إلا أثراً ضئيلا ، فقد كانت حملاتهم الأولى مجرد غارات انحصر أثرها فى أعمال التخريب التى قامت بها عصابات من المسلمين[1] . وأضحت للعرب بإنشاء القيروان عام ٦٧٠ م قاعدة حربية ينفذون منها حملاتهم المستمرة . غير أن غزوات عقبة كانت أقرب إلى الغارات منها إلى الفتوح الحقيقيـــة ، لأنه لم يستطع الاســـتيلاء على البلاد التى كانت فى أيدى البوزنطيين كما عز عليه غزو البربر الذين يحتمون فى معاقلهم الجبلية . والحق أن هذه المعاقل كانت أبعد منالا من أن تخضع ، بل إن أحد شيوخها وهو كسيلة فاجأ عقبة وقتله عند تهوذة وأجلى العرب عن إفريقية وأنشأ مملكة بربرية تشمل أوراس والجزء الجنوبى من قسنطينة والجانب الأكبر من تونس (٦٨٧ — ٦٩٠ م) .

إلا أن كسيلة لم يستطع الثبات طويلا إذ انتصر المسلمون آخر الأمر فى نهاية القرن الأول للهجرة بالرغم من مقاومة بربر أوراس التى يُرمز إليها بشخصية الكاهنة الأسطورية . ولم يوفق عقبـــة كثيراً فى حمل البربر على الإسلام ، غير أن العرب عاودوا ذلك فى القرن الثانى . والواقع أن المصلحة تغلبت فى إسلامهم على الاقتناع لأن قواد العرب عمدوا إلى تجنيدهم فى جيوشهم فأسلموا طمعاً فى الغنائم ، وكانوا نواة الجيوش التى تمكنت — تحت إمرة قواد من العرب أو من البربر مثل طارق — من أن تفتح المغرب فى بضع سنين والأندلس فى أقل من نصف قرن .

ولم تدم هذه العلاقات الطيبة بين العرب والبربر أمداً طويلا . فقد شكا البربر من أنهم لم يكافئوا على حسن بلائهم ، ومع أنهم دخلوا فى الإسلام إلا أنه لم يسو بينهم وبين العرب ، وترك البربر كذلك مذهب أهل السنة واعتنقوا

---

(١) هذه دعوى زائفة لا يسع السكوت عنها ولئن كانت نفس الكاتب تأبى عليه أن يقول الحق فإننا نتولى بيانه : فتح المسلمين العرب أعمال أفريقيا كسائر فتوحاتهم تحمل معها الهداية والعدل والبطولة ولم يحصل تخريب ولا تعسف منهم ولكنهم صالحوا الروم حيث طلبوا منهم الصلح على مليونين ونصف من الدنانير عند احتلالهم لسبيطلة على أن يتركوا البلاد بيد الروم فوفوا بما عاهدوهم عليه فلما رجعوا نقض الروم العهد فكان المسلمون جديرا بهم أن يعيدوا الكرة عليهم فكان ذلك بإمرة ابن خديج فابن نافع الفهرى البطل الكامل الرجولة والقيادة والمهارة ففتح البلاد الافريقية إلى أواسطها فتحا يرسخ معه قدم الاســلام لذلك اختط مدينة القيروان عاصمة البلاد فحصل الأثر الذى يريده من انضواء البربر تحت لوائه وإيوائهم إلى القيروان فانقلاب البربر تحت إمرة كسيلة ولم حديثو العهد بالاسلام ليس دليلا على الضعف فى العرب بل هو دليل التسامح الاسلامى وعدم إدراك البربر الاسلام بعد أدرا كا إذ عانيا ولم يأت آخر القرن الأول إلا وقد أذعنوا للاسلام عن إيمان راسخ من وارف ظلاله على البربر إلى المحيط .

الخميسى

مذاهب الخوارج كالإباضية[١] والصفرية لأنها تتفق ونزعاتهم الحرة . وقد بدأت هذه الحركة فى المغرب عام ١٢٢هـ (٧٤٠م) بزعامة ميسرة وهو سقاء طنجى . وانتصر الأمير خالد على هؤلاء الثوار وقتل زعيمهم، ولكنهم اكتسحوا المغرب بل وعبروا إلى الأندلس . ولقى العرب على أيديهم بعض الهزائم المنكرة كالهزيمة التى منى بها كلثوم عند بكدورة عام ١٢٣هـ (٧٤٢م) وطردوا من القيروان، ونهبتها قبيلة ورفجومة، وهم من الصفرية ، عام ١٣٩ = (٧٥٦م) ثم انتصر الهوارة الإباضية بزعامة أبى الخطاب على قبيلة ورفجومة ، وبسطوا سلطانهم على بلاد تونس وطرابلس ، وبذلك تقلص نفوذ خليفة بنى العباس فى إفريقية فترة من الزمن ، ولكن البربر الذين كانوا على الدوام منقسمين على أنفسهم لم يستطيعوا الاستفادة من نجاحهم هذا فقضى الجند القادمون من الشام على جيش أبى الخطاب ، وعادت إفريقية إلى حوزة العرب عام ٧٦١ م . ولم يستطع العرب أن يوطدوا سلطانهم فى شرق بلاد المغرب إلا بعد أربعين سنة كاملة قضوها فى حروب دامية ومعارك عديدة ، بلغت فى رواية ابن خلدون ثلاثمائة وقعة ، وفقد العرب بقية بلاد المغرب وقامت فى بقاع مختلفة دول مستقلة تمام الاستقلال عن خليفة بنى العباس ؛ أمراؤها من أصل عربى وأهلها من البربر وهى : مملكة تاهرت (تقدمت) التى أنشأها الإمام ابن رستم من بقايا الإباضية الذين فروا من شرق المغرب إلى وسطه ؛ وسجلماسة وأمراؤها من بنى مدرار وتلسان التى أسسها أبو قرة زعيم بنى يفرن ؛ ونكور فى الريف ، وبرغواطة على شاطىء المحيط الأطلسى ؛ ودولة فاس التى أنشأها إدريس الثانى العلوى فى أوائل القرن التاسع الميلادى بمساعدة قبائل مكناسة وسدراته وزواغة البربرية . ولم يعترف بسلطان بنى العباس إلا دولة الأغالبة (٨٢ — ٩٠٨ م) شبه المستقلة وهم الذين جندوا البربر لغزو صقلية ، وكان عليهم من جهة أخرى إخماد الفتن العديدة التى قام بها أهل طرابلس ، وجنوبى تونس ، والزاب وهدنة .

ولم تضعف مقاومة البربر للعرب عما كانت عليه ، بل إن هذه المقاومة كانت من القوة بحيث غلبت على بلاد المغرب مذاهب الشيعة التى كانت تخالف مخالفة جوهرية مذاهب الخوارج التى اعتنقها البربر قبل ذلك بقرن واحد . وأمدت قبيلة كتامة الداعى أبا عبد الله بالجند الذين حاربوا الأغالبة ووضعوا أسس الحكم الفاطمى الذى قام عليه عبيد الله المهدى . ولم يفلح الفاطميون فى إخضاع البربر جميعاً . فبالرغم من أنهم نجحوا فى الحد من نفوذ إمامة تاهرت فإنهم لم

---

(١) الاباضية ليسوا من الخوارج ولا يرضون بهذه التسمية إذ لا علاقة لهم بالخوارج إلا فى مسألة التحكيم .

الحبشى

يستطيعوا زحزحة الأدارسة عن سلطانهم فى المغرب الأقصى كما أنهم لم يفلحوا فى أن يضموا إلى صفهم قبيلتى مغراوة وزناتة اللتين دانتا بالطاعة لبنى أميـة فى الأندلس بداعى كراهيتهم للفاطميين . ثم إنهم اضطروا إلى إخماد ثورة الخوارج التى قام بها أبو يزيد صاحب الحمار (٩٤٢ — ٩٤٤ م) وهى ثورة استهدف لها نفوذهم ولم يتمكنوا من القضاء عليها إلا بمعاونة صنهاجة المغرب الأوسط ، وسرعان ما اتجه نظرهم ناحية المشرق . وما إن توطدت أقدام الخليفة المعز فى مصر (٩٧٢م) حتى انصرف اهتمام الفاطميين عن المغرب . فتنازعت شمالى إفريقية من جديد مختلف قبائل البربر ، ولم تستطع إحداها الاستئثار بالنفوذ . أما فى الشرق فقد حلت صنهاجة محل كتامة واعترفت بسلطان بنى زيرى أمراء إفريقية وطرابلس . ومنذ أن فقد الأدارسة سلطانهم فى المغرب انتقلت الزعامة إلى زناتة الذين كانوا أول الأمر عمالا من قبل بنى أمية فى الأندلس ثم أصبحوا أمراء مستقلين . ودالت مملكة بنى زيرى فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى وظهرت دولة آل حمّاد فى المغرب الأوسط واعترف أمراؤها بالطاعة لخليفة بغداد ، وجعلوا «القلعة» عاصمتهم ثم نقلوها إلى بجاية بعد ذلك ، وزادت غزوة بنى هلال فى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى من الفوضى التى كانت تسود البلاد من جراء تنازع البربر . وكان من النتائج المبـــاشرة لهذه الغزوة خراب إفريقية وجزء من بلاد المغرب كما كان من النتائج غير المباشرة تغيير جوهرى فى توزيع الأجناس فى شمالى إفريقية .

وما إن وصل الاضطراب إلى غايته حتى قامت دولتان بربريتان هما دولة المرابطين ودولة الموحدين ، وكل منهما تدعو إلى مذهب دينى إصلاحى مخالف لما تدعو إليه الأخرى ، وقد نجحتا فى توطيد سلطانهما فى شمالى إفريقية مدة من الزمان . وكان انتصـار المرابطين انتصاراً لقبيلة لمطونة التى كانت إلى ما قبيل ذلك الوقت تعيش عيشة البدو فيما بين جنوبى مراكش وشواطىء السنغال والنيجر . وظلت هذه القبيلة تدين بالإسلام بالاسم فقط مع أنها اعتنقته فى القرن الثالث للهجرة ، ثم تعلمت أصول هذا الدين وشعائر أهل السنة على يد ابن ياسين المرابطى ، وعقدت العزم على القيام بالحق والدعاء إليه بين السودان وأهل جنوبى مراكش الذين لم تكن قد تيسرت لهم سبل الهداية . وسرعان ما تجاوزت غزوات المرابطين تلك الحدود وأنشأ زعيمهم يوسف بن تاشفين مدينة مراكش عام ١٠٦٢م ، وأخضع مراكش كلها والمغرب الأوسط إلى حدود مملكة بنى حماد فى بضع سنين ، وأوقف تقدم نصارى الأندلس بانتصاره فى الزلاقة عام ١٠٨٦م ، وخلع أمراء الأندلس فأضحى سيد هذه البلاد غير مدافع . وكما كان نهوض المرابطين سريعا فكذلك كان اضمحلالهم ، فالحق أن تلك الانتصارات التى أحرزوها

قد أنهكت قواهم كما فت فى عضدهم احتكاكهم بمدنيـة تفوق مدنيتهم فاختفى هؤلاء البربر الذين نزحوا من الصحراء فى أمد وجيز، واضطر الخلفاء إلى تجنيد مرتزقة النصارى وأصبحوا لا يحفلون باتباع السنة . فجلبوا بسلوكهم العار على المسلمين المتشددين فى أمور دينهم . وثار فى وجههم مصامدة درن الذين آمنوا بمذهب التوحيد تأثراً بدعوة ابن تومرت وهبوا بقيادة بربرى قادر من كومية يدعى عبد المؤمن ووضعوا حداً لحكم المرابطين دون أن يتكبدوا فى سبيل فى ذلك كبير مشقة .

وكان ملك الموحدين أكثر اتساعاً من ملك أسلافهم، فبالرغم من أن عبد المؤمن لم يستطع غزو الأندلس كلها فإنه نجح فى القضاء على مملكة بنى حمّاد فى بجاية ومملكة بنى زيرى فى إفريقية ، وطرد النصارى من الثغور التى كانوا قد استولوا عليها . وأصبح سيد البلاد التى بين سرت والمحيط الأطلسى . وبهـــذا امتد ظل دولة بربرية عظيمة على إفريقية الشمالية كلها . ولكن هذه الدولة كانت هى الأخرى سريعـــة الزوال ، فلم يكن خلفاء الموحدين أكثر تمسكا بمذهب أهل السنة من المرابطين ، بل لقد ذهب واحد منهم هو المأمون إلى حد أن صب اللعنات جهرة على ابن تومرت كما غضب على المؤمنين الصادقين.

وعجل التنافس بين مختلف الأحزاب البربرية فى القضاء على دولة المأمون وخضبت المنازعات التى قامت بين مصمودة وكومية بلاط مراكش بالدماء . وكانت القبائل البربرية تنتصر لجهود بنى غانية ، أو قل إنها حاولت الاستقلال . وبعـد وفاة عبد المؤمن بقرن انحدر آخر خلفائه أبو دبُّوس حتى أصبح زعيم عصابة عام ١٢٧٩ م ، وكانت نهايته غامضة ، وعندئذ تنازعت المغرب عدة دول جديدة هى : بنو مرين فى فاس وبنو عبد الواد فى تلمسان وبنو حفص فى تونس . ولم تستطع دولة من هذه الدول أن تفرض سلطانها على الأخريات ولا أن تفوز بالاحترام بين رعاياها . وكانت قبائل الجهات الجبلية بمراكش فى انتقاض دائم على بنى مرين . أما فى المغرب الأوسط فقد أزاحت قبائل بنى وماَنو فى وانشريش وزواوة فى جرجرة وقبائل ولاية قسنطينة وأهل الزاب وبلاد الجريد عن كاهلها نير أمراء قسنطينة وبجاية وتونس ، ولقد حدث مثل هذا فى واحات جبل نفوسة وأوراس ، ومن ذلك يتضح أن البربر عجزوا مرة أخرى عن أن يتحدوا لتكوين دولة عظيمـة . وليس فى مقدورنا أن نتتبع تاريخ البربر منذ ذلك العهد إلا إذا فصلنا الكلام عن تاريخ القبائل المختلفة ، ومما يزيد فى صعوبة هذا العمل التغيرات التى حدثت إثر غزوات بنى هلال ، فإن البربر كانوا يختلطون بالعرب فى السهول والهضاب ، وكانوا قد هجروا تدريجاً لغتهم وعاداتهم ، وفقـدوا أيضاً اسمهم القديم ، واستعاضوا عنـه باسم شخص وصلوا به نسبهم . بل نستطيع أن نقول إنهم استعربوا .

وخلص من هذا بعض أقوام لم يكن الوصول إلى مواطنهم سهلا ميسورا كالأوراس وقبائل الريف ، وانضم إلى هؤلاء اللاجئون من جميع الأجناس ، بل إن بعض هذه الأقوام نزحوا إلى الصحراء ، ولذلك يمكننا أن نقول إنه منذ القرن الرابع عشر الميلادى « اتصل بنيانهم على بلاد السودان إلى المشرق مناظرا لسلع العرب على بلاد المغربين وإفريقية »

(ابن خلدون ، تاريخ البربر ، ترجمة ده سلان ، جـ ٢ ، ص ١٠٤).

وصحب هذا الانحلال تأخر الحضارة الإسلامية بوجه عام . ولسنا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن جماعات كثيرة من البربر ارتدت إلى ما يشبه الهمجية ، ولم تحتفظ من الإسلام إلا ببعض مظاهره ، « كان ردهم إلى الإسلام الصحيح فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر على يد المرابطة الذين يزعمون أنهم جاءوا من جنوبى مراكش من ساقية الحمراء التى يجعل منها القصص الخيالى الشائع المنشأ الدائم للمبعوثين والأولياء ، وكان نفوذ هؤلاء الأتقياء عظيما جدا حتى أن قبائل بأسرها فى الوقت الحاضر تربط نسبها بهم . غير أن قليلا من الجماعات البربرية لم تتأثر بهذا النفوذ ، وربما كان من هؤلاء الزكارة الذين تختلف عقائدهم وشعائرهم أشد الاختلاف عن عقائد مسلمى المغرب وشعائرهم مما أثار أعجب الفروض وأبعدها عن التمحيص .

توزيعهم الجغرافى : والبربر اليوم كما كانوا فى القرون الأولى للهجرة لا يكونون وحدة متجانسة ، ومازالت سلالتهم هى العنصر الغالب فى سكان شمالى إفريقية ، ولكنهم تغيروا تغيراً عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم فى أغلب الأحيان فهم لم يعودوا يذكرون شيئاً عن أصلهم الحقيقى أو لغتهم أو عاداتهم . وبقيت جماعات كبيرة منهم تعيش فى الجبال وفى الصحراء ، أو قل فى المناطق التى لم يستطع العرب النفاذ إليها أو الاحتفاظ بها ، وهذه الجماعات ترتبط بجماعات أصغر منها آخذة فى الانقراض السريع تتفاوت صلة بعضها ببعض قوة وضعفاً . وبقاؤها الآن شاهد على كيفية توزيع السكان فى الزمن القديم . ومن الصعب إلى جانب هذا أن نعطى بياناً دقيقاً بهذه القبائل ، ويلوح أن بقاء اللهجة البربرية هو أوثق المقاييس التى نستطيع أن نعول عليها فى هذا الشأن ، وإن كانت بعض القبائل التى تزعم أنها من أصل بربرى لم تعد تتكلم بلغة أجدادها .

ويمكننا أن نقول على وجه الإجمال إن نسبة ازدحام الجماعات البربرية تزيد كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، فالبربر مفرقون فى مساحة شاسعة من الأرض تحدها من الشرق واحة سيوة وصحراء ليبية وجبال تبستى ، ويحدها من الغرب المحيط الأطلسى ، ومن الجنوب بلاد هوسه

Hausa والمجرى الأوسط لنهرى السنغال والنيجر .

طرابلس وبرقة : تعيش بعض الجماعات البربرية فى الجبال التى بأرض برقة وفى جبل غوريان وجبل يفرن ثم فى جبل نفوسة ، وهو معقل الإباضية . ونجد هذه الجماعات أيضاً فى واحات سيوة وأوجلة وسقنة وتمسا وفى فزان ونذكر كذلك مجبرة أوجلة وأورفلة التى تعيش فى جوار طرابلس ، وهم من أصل بربرى بالرغم من تكلمهم بالعربية .

تونس : ويتكلم الجربى ، نسبة إلى جزيرة جربة ، لهجات بربرية ، وهم مثل أهل نفوسة على مذهب الإباضية . وكذلك سكان الكهوف من مطماطة وبعض سكان جبل سند . أما القبائل الأخرى التى تقطن سلطنة تونس مثل قبيلة خومير فقد استعربت .

الجزائر : كانت بلاد القبائل فى الشمال وأوراس فى الجنوب الشرقى هما أكثر البلاد احتفاظاً بمشخصاتها ، ومع أن بلاد القبائل الصغرى كانت أقل تأثراً بالعرب من بلاد القبائل الكبرى فإن اللهجات البربرية مازالت مستعملة فى جوار برج بوعرريج وببرس Babors وعند التلاغمة وبنى عبد النور وزواغة فى إقليم سطيف . وقد احتفظت زواوة من بين قبائل جرجرة بلهجة تعتبر أكثر لهجات الشمال نقاء ، وهى تتصل بقبائل وادى ساحل فى الشرق وبنى خلفون فى الغرب . أما فى جنوبى ولاية قسنطينة وشرقيها فإن أولاد خيار فى سوق أهراس والحراكتة بعين البيضا والنمامشة فى تبسه Tebessa يتصلون بشاوية أوراس . وتعيش جماعات ضئيلة آخذة فى الانقراض السريع بتل الجزائر ووهران فى بقاع متوازية ممتدة من الشرق إلى الغرب وهى الأوزرة Uzara وزعتيت وبنو بو يعقوب ومراشدة أطلس بليده [illegible] . ثم بنو مناصر بين مليـــانة Miliana وشرشال وتنس Tenes وهراوة ثنية الأحد (ثنية الحاد) وبنو بوخنوس من وانشريش وأعشاشة ضهرة وبل حليمة من فرنده Bel Halima de Frenda وبنو سنوس وبنو بو سعيد الذين يعيشون على الحدود بين الجزائر ومراكش .

وكذلك البربر الذين يعيشون فى صحراء الجـــزائر وواحات وادى ريغ ووارجلة وواحات مزاب التى يسكنها البربر الإباضية وقصور مغرو قصور بوسمغون وعين سفيسفة وهى تحد الطريق الموصل بين جنوبى قسنطينة وجنوبى شرقى مراكش .

مراكش : هى الوحيدة بين أقطار شمالى إفريقية التى يكثر فيها العنصر البربرى ، فهو يسود الريف والسلاسل المختلفة لجبال أطلس والسوس ووادبى نون ودرعة والواحات . وبالرغم من ذلك فإننا لم نعرف كل القبائل البربرية بعد ، ويمكننا تمييز عدد معين من أهم الجماعات البربرية وهاك هى : —

١ — سكان ملوية السفلى ، وهم بنو بوزجو

وبنو يزناسن ويعتبرون همزة الوصل بين بربر الجزائر ومراكش .

٢ — أهل الريف وهم قليعة Gucla'ia وتمسمن(١) وبطيوه Botiwo وبنو أوريغل وبنو سعيد .

٣ — البرابر الذين يقطنون البلاد التي تحيط بمنابع ملوية وسبو ووادى دراعة (أو درعة) في وسط مراكش ويتفرقون في فاس ومكناسه شمالا وتفيلالت في الجنوب الشرقي بما في ذلك المحلات القليلة التي تمتد إلى قرابة الشاطئ الأطلسي عند رباط وسلا . وينتسب إلى هؤلاء بنو زيان وبنو مثر وبنو مجلد والآيت شرشن والآيت أتا والآيت يفلمن وهم حلف من البرابر .

٤ — الشلحة وتقطن الأراضي التي إلى جنوبي بحدّر ومراكش ووديان سلسلة الأطلس العظمى والأطلس الخلفيـة وشاطئ المحيط الأطلسي ووديان السوس ووادى نون والمجرى الأعلى لوادى تنسفت ووادى درعة . وهناك قبائل أخرى تنتسب إلى هذه المجموعة ولكنها ليست معروفة تماماً ، وهي إهلن في إقليم حاحة وجندفة وكزولة وجلوة أطلس العظمى والهوارة وأيت يحي بالسوس والشروكة وأيت إكلف وأيت آزمور التي تقطن الساحل وغيرها .

٥ — سكان الواحات ، وهي تفيلالت وفيجيج وتوات . ويعيش في هذه الواحات إلى جانب السكان من البربر الخلص ناس سمر الوجوه هم الحرتين Haratin ، وفي أصلهم خلاف ، فبعض الكتاب يزعمون أنهم بربر ســود ويقول آخرون . إنهم بين البربر والسودان مثلهم في ذلك مثل الملانوجيتول عنـد القدماء ، ويرى فريق ثالث أنهم البقية الباقية من الجنس الأسود المعروف بالكرامنتي .

٦ — بربر الصحراء : تغلب العرب على قبيلتي زناتة وصنهاجة القديمتين اللتين كانتا تسودان الصحراء الغربية في القرون الأولى للهجرة ، وفرضوا عليهم الجزية ومن ثم أصبحت كلمة صنهاجة مرادفة تقريباً لكلمة عبد . وبالرغم من ذلك فإن بعض القبائل احتفظت باستقلالها مثل أولاد دليم وهم من ســلالة المرابطين والدويش Douiash (إيداوعيش) ومشدوف في تجنت Meshduf du Tagant . ولا تزال بعض العشائر من قبيلة ترزرة Trarza الكبيرة بشمالي السنغال وبخاصة بنو ديمان والتندغـة ، تتكلم البربرية . ويحتفظ الطوارق في أواسط الصحراء بميزة من أهم ميزات الجنس البربري، فهم ينقسمون فيما بينهم إلى جماعتين كبيرتين: طوارق الشمال ، وهم أزجر تسيلي Tassili وأهجّر الذين يقطنون الجبال المعروفة بنفس الاسم ؛ وطوارق الجنوب ، وهم الأولميدن وكيل وى الآير ، وامتزج هؤلاء بعناصر من السودان .

(١) وردت « بنو تمسامان » في البيان المغرب
اللجنة

عادات البربر : إن العادات واللغة هي الخصائص المميزة لقبائل البربر . ومع قلة ما لدينا من المعلومات عن بعض جماعاتهم التى لم تدرس بعد دارسة جيدة مثل بربر مراكش ، فإن هذه المعلومات على قلتها فيها ما يكفى للدلالة على تميز عادات تلك الجماعات عن غيرها من الجماعات المعروفة جيدا مثل بربر بلاد القبائل والشـاوية وأوراس والطوارق . وأهم الخصائص البارزة هو تأثير العادات فى التشريع ، والقرآن ليس المصدر التشريع عند البربر كما هو عند العرب . ومع أنهم يعتنقون الإسلام إلا أن عقيدتهم بعيدة كل البعد عن شريعتهم . فكتاب الله هو المصدر الذى لا ينازع فى كل ما يتصل بالإيمان وسلامة الدين ، ولكنه لا أثر له فى التشريع المدنى أو الجنائى إلا بمقدار عدم تعارضه مع قانون العادة . ويختلف مقدار امتزاج القرآن بالعادات باختلاف القبائل ومقدار تأثرها بالنفوذ العربى[1]. هذا هو الذى قرره هانوتو بالنسبة لشريعة بلاد القبائل ، وهو صحيح أيضا بالنسبة لغيرها من جماعات البربر . وقانون البربر قابل للتعديل والتحوير لأنه وضعى غير منزل من السماء . أما الشريعة المحمدية فمأخوذة من القرآن ، وهو كتاب منزل . غير قابل للتعديل ، ولهذا أصبحت بالضرورة غير قابلة للتعديل أيضا .

وعادات البربر تنقسم قسمين : —

(١) العادة : وهى ما اصطلح الناس على فعله وتوارثوه بالنقل من جيل إلى آخر . وتطلق فى بلاد القبائل على كل ما يتعلق بحقوق الفرد ونقل الملكية .

(٢) والعرف : وهو ما اصطلح عليه أهل ناحية ما .

وتعديل المبادئ التى تدخل فى حدود العادة يقتضى موافقة القبائل . أما الأحكام التى أقرها العرف فلا يستلزم تعديلها إلا موافقة جماعة القرية

---

(١) هنا يقدح زناد الاستعمار القح ويتوارى العقل والعلم . إن البربر لم يكن لهم على الأطلاق تشريع غير الشريعة الاسلامية منذ اقتنعوا بالاسلام وتلقوا القرآن مصدرا للشريعة فدعوى هانوتو معروفة وهى دعوى محاربة الاسلام فى بلاد البربر وهى غير خفية عن الناس فاذا كان الكاتب يحذو حذو هانوتو فهو من تلك الطينة وأما البربر حتى الذين ضربت الجهالة اطنابها بينهم لايعرفون غير القرآن والشريعة المحمدية وما يسعى اليه الاستعمار الفرانسوى من إحياء عادات جاهلية لايجاد التباين بين العرب والبربر ماهو إلا إعلان الحرب ضد الاسلام . والبربر لايتأثرون بغير الاسلام بعد أن ساد فيهم مايقرب من ثلاثة عشر قرنا . يزعم هذا الكاتب كسائر رجال الاستعمار أن للبربر قانونا هو «أزرف — أو تازرفت» أى حكم العرف أو الجماعة وأنهم يصدرون عنه أن هذا إلا إفك وافتراء فهل ياترى هذا القانون فى الأحوال الشخصية أو فى الجنائية ؟ كل ذلك لاوجود له فيما مرجعه الأحكام الشرعية سواء فى البربر المالكية الذين يوجد قضاتهم بينهم يحكمون بالفقه المالكى ، أو البربر الاباضية الذين يحكم قضاتهم بينهم بالفقه الاباضى وكلاهما مصدره القرآن . وان كانت جهالة فى جهة متغلبة فلا يعدو الأمر أن يكون عملا بالجهالة فان استغلتها السياسة وهى عمياء فلا يجوز للعلم استغلالها والعرف محكم عند سائر المسلمين فيما يتعلق بالمصطلحات مالم يرد فيه الشرع .

ابو اسحاق

ولكل قبيلة أو جماعة محلية من جماعات البربر دستور خاص بها يسمونه « إزرف » تتفق أحكامه فى الغالب مع التقاليد القديمة ، وتنفذها جماعة الشيوخ فى القرية وتسمى « أنفالز » .

وقد أوجدت المخالفات للقانونين المدنى والجنائى نظاما معينا لفرض الغرامات يسمونه « القانون » ، وهو يختلف فى قرية عنه فى أخرى . وهم يكتبونه أحيانا ، ولكن القاعدة العامة هى الاعتماد فى حفظه على ذاكرة الشيوخ . وتوجد أحكام من هذا النوع عند بعض قبائل البربر فى مراكش مثل « أيت أتّا » و « أيت بوزيد » . وكثير من الأحكام التى تفرضها العادة يرجع تاريخها إلى عهد قديم جدا سابق على الإسلام نضرب لذلك مثلا بالعقوبة بالمثل فى القانون الجنائى ، والحق فى « الرّقْبة » ، أو حق أسرة القتيل فى الثأر لنفسها من القاتل ؛ ونظام « العنَايه » أو علامة الأمان التى تعطى للفرد أو لجماعة من الأغراب ، ونظـــام « الدّهيبه » وهو نوع من الحصانة يعطى للفرد أو للجماعة ويكون وراثيا أحيانا .

وهناك جماعات من البربر تختلف شرائعها اختلافا بيّنا عما ذكرنا الآن ، وهى قبائل الإباضية فى مزاب فإن شرائعها مأخوذة من الدين ، وتمتاز عن شريعة أهل السنة بشدتها المتناهية .

وحياة البربر الاجتماعية تختلف أيضاً فى كثير من النواحى عن حياة العرب . ومركز المرأة عندهم من أهم الخصائص المميزة ، فالمرأة البربرية لها من الاعتبار والنفوذ أكثر مما للمرأة العربية ، وهى لا تكره على وضع الحجاب . والتزوج من امرأة واحدة هو القاعدة العامة التى تتبعها الأسر البربرية ، ونجد بين القبائل التى استمسكت بالأصل القديم أكثر من غيرها كالطوارق آثار تنظيم الأسرة على أساس سيادة الأم .

ويختلف نظام البربر السياسى باختلاف الأقاليم ، ولكننا نستطيع مع هذا أن نميز نوعين رئيسيين :

الأول: النظام الأرستقراطى، وهو نظام قائم على وجود طبقة من الأشراف محبة للحرب والنزال ، تخضع لها طبقة أخرى من الأتباع والرقيق ، وتتوسط الطبقتين أحيانا طبقة من المرابطة

والثانى هو النظام الديمقراطى ، وهو نظام يقوم على نوع من المجالس البـــلدية الجمهورية تسن شرائعها بنفسها وتحكم نفسها بنفسها ؛ نضرب لذلك مثلا بنظام القرى فى بلاد القبائل وأوراس وجبال الأطلس فى مراكش . والأعمال العامة فى قرى جبال الأطلس يباشرها قضاة تنتخبهم الجمعية العمومية لسكانها وتسمى « أنفالز » . وشكل هذه

الحكومة يبدو ديموقراطيا أكثر من حقيقته وذلك لأن النفوذ فى الجمعية العمومية محصور فى أيدى الرجال الأقوياء وكبار السن منهم . أما فى ميزاب فالنفوذ فى يد أرستقراطية دينية تسمى «إعَزّابن»(١) . وكل جمهورية من هذه الجمهوريات الصغيرة منقسمة على نفسها بسبب منافسات صفوفها . والصفوف عبارة عن أحزاب تلتف حول رجل ذى خطر وهى شديدة الغيرة على استقلالها .

وكانت الحرب فى الأزمان القديمة متصلة دائمة بين القرى والقبائل المختلفة فى بلاد القبائل ، ومازالت الحال فى مراكش على هذا المنوال . وتغلب النزعة الفردية بين البربر يقف الآن — كما وقف فى الزمن السالف — بينهم وبين إقامة جماعات سياسية ذات خطر ما . ومع أنهم يستطيعون تكوين جماعات متحدة موقوتة أو مستديمة فإنهم لم ينهضوا مطلقا إلى إدراك أى نظام من النظم الأكثر كمالا .

[ج. يفر G. Yver]

الدين :

يظهر أن دين البربر كان يتألف فى العصور القديمة من عدد من العقائد المحلية يتوافق وانقسام البربر إلى قبائل .

والمعبودات التى كانوا يعبدونها — ومعلوماتنا عنها قليلة وناقصة — كانت من غير شك من الأشياء الطبيعية كالكهوف والصخور والينابيع والأنهار والجبال (كجبال الأطلس مثلا) . وكانوا يعبدون

(١) « إعزابن » بكسر ففتح فشد وفتح ففتح فسكون جمع بربرى مفرد أعزاب وتعريبه العزابة جمع عزابى نسبة إلى العزوبة عن الدنيا أى الاعراض عنها إلى الانقطاع إلى أمور الدين والآخرة على حد قول الشاعر عزوب عن الدنيا وعن زهراتها .

وهؤلاء العزابة هم جماعة يتألف منهم المجلس الدينى الذى يتولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد لا باللسان فقط ويقيم الوظائف الدينية كالآذان والامامة ويتولى بعض منهم شئون الأموات من غسل وتكفين وشئون الأوقاف الخيرية ومحاكمة مقترف الكبائر واعلان البراءة منه حتى يتوب ويقلع عن إثمه ويتولى برئاسة شيخ الجامع وهو من العلماء الاساطين فى علوم الشريعة وعلوم القرآن والسنة تحديد المهور ومحاكمة الممتنع عن أداء الحقوق كما يتولى بعض منهم تحفيظ القرآن الكريم فى مدارس تؤسسها أوقاف المساجد وهؤلاء يعملون حسبة ابتغاء مرضاة الله ويشترط أن يكونوا من أهل الورع والصلاح والتفقه فى الدين والأمانة والصدق حتى أنه لو ارتكب أحد منهم مايخل بالكرامة والنزاهة فإنه يعزل ولا يعود إلى المجلس ولو بعد التوبة — وتأليف هذه المجالس نشأ بعد انقراض الامامة الرسمية من تيهرت فكان كل من هذه بميزاب أشبه بجمهورية وتاريخ نشأتها يقرب من أوائل القرن الخامس ومؤسسها العلامة أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسى صاحب كتاب أصول الأرضين فى عمارة الأرضين وتخطيط البلدان وقد ترجم الى الفرنسية — والغرض من تأليف هذه الجماعات العزابة حفظ الدين والهيئة الاجتماعية بالاوطان الإباضية بالمغرب : جبل نفوسة « وجزيرة جربة » ووادى أريغ « ووارجلان » ووادى ميزاب إلا أنه لم يبق لها أثر إلا فى ميزاب اليوم ولعل الكاتب يرى شدة الأمر والنهى أرستقراطية مع أن هذه الجمهوريات متى كان رجالها ممن توفرت فيهم الشروط كانت هى الديموقراطية بعينها ومن الغريب ماحكاه هذا الكاتب عن المنافسة والانقسام وليس لهما وجود يذكر .

أبو اسحاق

أيضا الأجرام السماوية كالشمس والقمر وبعض الكواكب الأخرى . وتقديس البربر لهذه الأشياء لا نزال نلمس آثاره فى بعض خرافاتهم . ومن الثابت أنهم منذ أيام قرطاجنة لم يقتصروا على أن أخذوا عن غيرهم عقائدهم فى الآلهة وإنما خلطوا بينها وبين الآلهة التى كانوا يعبدونها .

ودخل كثير من البربر فى دين اليهود . وإذا كانت اليهودية لم يكن لها الشأن الذى أراد البعض نسبته إليها ، فإنه مما لا شك فيه أنها انتشرت فى شمال إفريقية كلها . وإذا استثنينا نسل اليهود الذين أخرجوا من بلاد الأندلس فى القرن الخامس عشر الميلادى ، فإن معظم أتباع هذا الدين من أهل البلاد هم من نسل أولئك الذين تهودوا قبل دخول الإسلام فى بلادهم . ومهدت اليهودية السبيل للنصرانية التى سرعان ما افترقت عنها هنا كما حدث فى غير بلاد البربر ، وقوى شأنهـــا وازدهرت بالرغم من الكفاح العنيف الذى كان لابد لها من أن تشنه على الوثنية ، وبالرغم من انقسام الرأى بين النصارى انفسهم انقساما أدى إلى تمزيق وحدتها . وليس هذا مقام الإفاضة فى ذكر تاريخ هذا الانقسام (انظر : *L'Afrique Chrétienne* : Dom Leclercq طبع فى باريس سنة ١٩٠٤ فى مجلدين ؛ Monceaux: *Histoire Littéraire de l'Afrique chrétienne* طبع فى باريس ١٩٠١—١٩٠٩ فى ثلاثة مجلدات) . وإنما يكفينا هنا أن نلاحظ أن المسيحية أتاحت للبربر فرصة الاتحاد ضد الحكم الرومانى ، وأنهم أقبلوا أيما إقبال على اعتناق الآراء الخارجة التى كانت تتعارض مع عقيدة الكنيسة فى رومية . وقد حدث هذا الأمر نفسه بعد الفتح الإسلامى ، ولم يتغير فيه إلا أسماء الخصوم لا غير .

ولسنا نعلم علم اليقين التفصيلات الخاصة بدخول البربر فى الإسلام ، ولكنا نعلم فقط أنهم ارتدوا عن الإسلام اثنتى عشرة مرة[1]، ولو أنهم وجدوا لهم نصيرا أقوى من الإمبراطورية البوزنطية أو مملكة القوط الغربيين التى لم تدم طويلا ، لانتهت مقاومة

---

(١) لقد حصل امتزاج البربر بالعرب منذ أذعنوا للاسلام ووقفوا على كمالاته الخلقية والدينية والاجتماعية بما لم يجمع منهم مع أمة من الأمم التى استولت على شمال إفريقية وذلك لأمور : الأول أنهم من أصل واحد وهو السامية، والثانى أنهم رأوا من جلال الهداية الإسلامية مالم يروه قبلها ، الثالث أن العرب اتخذوا بلاد البربر وطنا لهم فسكانوا مع البربر جنبا إلى جنب عملا ومصاهرة واختلاطا بخلاف الروم والوندال والقرطاجنيين والرومان فانهم كانوا بمعزل عن أبناء البلاد . الثالث وجود التوافق فى كثير من الشيم والعوائد بين العرب والبربر كإكرام الضيف والغيرة على العرض والشمم والأنفة وحماية الذمار وبساطة المعيشة . انظر إلى مايقول بيرونيت: عاش العرب والبربر جنبا إلى جنب قرونا عديدة واشتركوا بصفة عامة فى مدنية واحدة والمدنية التى ازدهرت بهذه البلاد كانت مدنية قوم شمال افريقيا لا مدنيـــة خاصة بأحد العنصرين . ومثـــل هذا قال سيديو وكان من البربر فحول من العلمـــاء والشعراء والفلاسفة ألفوا فى العلوم العربيـــة والشرعية كأنهم من أقحاح العرب .

أبو اسحاق اطفيش

البربر إلى نتائج مختلفة كل الاختلاف عما انتهوا إليه . ولم يسد الإسلام نهائيا إلا فى القرن الثانى عشر الميلادى . وكان فى ذلك القرن نفسه أن تلاشى آخر المسيحيين من أهل البلاد .

واتبع البربر فى بداية الفتح الإسلامى مذهب أهل السنة ، وكان هو المذهب الوحيد الذى عرفوه ، ولكن نزعتهم الاستقلالية سرعان ما بدت فى أخذهم بآراء الخوارج التى كانت تؤكد فكرة المساواة العامة تأكيدا جازما . ولم يكن البربر يضمرون فى قلوبهم الاهتمام الحقيق بعقائد الدين ؛ يبدو هذا واضحا جليا فى وقوف طائفة منهم إلى جانب الشيعة فانحازوا إلى صف الأدارسة فى فاس ، ووقفوا أيضا إلى جانب أولئك الذين انغمسوا فى معتقدات الفرس وذهبوا إلى أن الإمام هو تجسد الإله على الأرض . ويفسر لنا هذا أيضا لم كان الفاطميون والخوارج والصفرية والإباضية(٢) وكتامة أنصار عبيدالله المهدى . ثم حدث رد فعل كتب النصر لعقائد أهل السنة على يد قبيلة لمتونة ، وهم مرابطة الصحراء الذين لم يدخلوا فى الإسلام إلا فى القرن العاشر الميلادى ، وكذلك على يد بنى مصمودة فى جبال الأطلس وهم الذين أنشئوا دولة الموحدين وأجلوا عن بلادهم أولئك الذين كانوا يعتقدون غير معتقداتهم كالنصارى والشيعة ولم يبق إلا قليل من الخوارج الذين اعتصموا بالجبال أو احتموا بالبحر أو الصحراء . (انظر مواد « الخوارج والصفرية والإباضية والنكارية ونفوسة وبنى رستم »)

وإذا نظرنا إلى البربر من ناحية الدين دون تمييز بين الفرق فإننا نجد أنه لم يخرج منهم إلا علماء شغفوا بالجدل والمناظرة ، ولم ينبغ من بين البربر رجل مفكر مبتكر عظيم(١) سواء أكان من فريق أهل السنة أم من الزنادقة . والمذهب الذى انتشر بينهم من بين مذاهب المسلمين الأربعة كان أكثرها ضيقا وأقلها مرونة إذا

(١) لم يكن الإباضية أنصار عبيد الله المهدى بل كانوا حربا عليه ولا سيما بعد انقراض مملكة تاهرت تلك المملكة المائلة الإباضية الجامعة بين البربر والعرب والفرس تحت لواء واحد .

(١) يظهر أن الكاتب لم يبحث فى حياة رجال البربر الذين ساهموا بأوفر قسط فى العلم والتأليف ولذا لم ير أمامه إلا من شغفوا بالجدل والمناظرة . ولقد ظهر فى البربر فحول المؤلفين الذين ضربوا بسهم من الإجادة فى التأليف . فنى جبل نفوسة تألف تجمع على أخرج الناس كتاب الديوان فى علوم الشريعة كلها وهو فى خمسة وعشرين جزءا ويعرف بديوان الأشياخ ، ألفه عشرة من العلماء . ومن فحول العلماء البربر الشيخ عامر بن على الشماخى النفوسى صاحب كتاب الإيضاح فى الفقه وهو من مبتكرات التأليف حيث يقرن أمهات المسائل بالدليل الأصلى وهو من علماء القرن الثامن ، وأين الكاتب من الإمام ابن يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلانى السدراتى من رجال القرن السادس وقد ترجم مؤلفات إلى بعض اللغات الأوربية وأمثال هؤلاء كثيرون تكفل بذكرهم كتب رجال الإباضية كالطبقات ، والسير وكذا نبغ من البربر المالكية من لا يحصون عدا .

أبو اسحاق

استثنينا مذهب ابن حنبل . ذلك هو مذهب مالك بن أنس الذى ما زال أكثر المذاهب انتشارا بين البربر حتى اليوم . وعقيدة أهل السنة هى العقيدة السائدة فى الوقت الحاضر وإن كان يشوبها بعض الخرافات المحليـة فى نسب متفاوتة . نذكر على وجه التخصيص عقيدة المرابطة الذين اتخذ الـكثير منهم لهم آلهة غامضة ، ولا ينطبق هذا القول على بعض طوائف الأباضية التى عاشت فى ميزاب وجربة وجبل نفوسة والذين يحتفظون بصلاتهم مع إخوانهم فى الدين فى بر الزنج (زنزبار) .

وينبغى أن نذكر أنه إلى جانب دين الإسلام الصحيح حصلت محاولتان لإقامة دين فى مراكش أريد أن تكون له بالإسلام نفس الصلة التى يقول الإسلام بوجودها بينه وبين المسيحية ، ذلك هو الدين الذى دعا إليه الخارجى صالح بن طريف بين قبيلة برغواطة(١) وبقى فيهم من القرن الثانى إلى القرن الخامس للهجرة ، فقد دعا إليه فى بلاد الريف حاميم المفترى (انظر هذه المادة) فى القرن الرابع الهجرى ، ودعت إليه الشاوية الحديثة فى تامسنا(١) .

اللغة والأدب :

على الرغم من استحالة التدليل على وحدة الأصل بين قبائل البربر فإن وحدة اللغة قائمة بينهم . وإذا كنا لا نعرف إلا القليل عن لغة البربر القديمة فإن هذا القليل يمكننا من القول بأن اللهجات التى كانت مستعملة قديما لا تختلف فيما بينها أكثر من اختلاف اللهجات المستعملة اليوم بين البربر .

والـكتابات القديمة وحدها هى التى يمكن أن تمهد لنا السبيل إلى معرفة هذا الموضوع ولـكن مما يؤسف له أن هذه الـكتابات لم تحل رموزها بعد ، وأن المحاولات التى بذلت لقراءتها لم تسفر عن نتائج مرضية . وقد جمع هذه الـكتابات فيدهيرب Faidherbe عام ١٨٧٠م بعنوان (*Collection Complète des Inscriptions numidiques*، ليل ١٨٧٠م، وانظر أيضا *Essai d' épigraphie* : J. Halévy *Libyque* باريس ١٨٧٩ م) .

ومن ذلك الوقت لم تمر سـنة دون أن

---

(١) برغواطة أخلاط من قبائل شتى من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف بقرية « تامسنا » بالريف حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك وأصله يهودى من برباطة — حصن من عمل شدونة بالأندلس — مشعوذ يتعاطى السحر نزل بين أولئك البربر وقد ساد فيهم الجهل فأظهر الإسلام والزهد والصلاح فخدع أولئك الأوباش حتى اعترفوا له بالولاية فقدموه على أنفسهم فشرع لهم ما هو شبيه بالمجوسية كنكاح بعض ذوات المحارم وغير العبادات الاسلامية وحرم عليهم أكل الرأس من الحيوان فيقال لمن اتبعـه ودخل فى ديانته برباطى فعربته العرب فقالوا برغاطى وبرغواطة . لم يبلغ إلينا ظهور هذه النحلة الضالة فى الشاوية الحديثـة كما زعم الـكاتب .

(١) البحث عن هؤلاء مستوف فى كتاب أزهار البستان فى أخبار الزمان .

ابو اسحاق

ابو اسحاق

تكتشف فيها كتابات أخرى (انظر المجموعات الموجودة فى *Recueil de la société archéologique de Constantine* وفى *Revue africaine* وفى *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions* وغيرها) .

والرأى الشائع حتى اليوم أن حروف الهجاء الليبية ترجع إلى أصل فينيقى (انظر Halévy: كتابه المذكور سابقا ، ص١٢—١٦) ولم يلق قبولا الرأى الذى يذهب إلى أن هناك صلة بين الأبجدية الليبية وبين أبجدية إحدى اللغات السامية المستعملة فى الجنوب وبخاصة أبجدية أهل ثمود ، (انظر Littmann: *L'orgine de l' alphabet libyque* فى المجلة الآسيوية ، المجموعة العاشرة ، جـ [illegible] ، ص ٤٢٢ — ٤٤٠). أما الرأى القائل بأن الأبجدية الليبية متصلة بأبجدية أهل بحر إيجة فإنه ما زال فى حاجة إلى الدرس والتمحيص (انظر Ch.Berger: *Histoire de l' écriture dans l' antiquité* باريس ١٨٩١م ، ص٣٢٤—٣٣٢). وقد بطل استعمال الأبجدية الليبية فى الجهات الشمالية بعد الفتح العربى ، ولا أثر لها اليوم إلا فى الأبجدية التى يستعملها الطوارق . وليس لدينا من لغة البربر القديمة فيما عدا تلك الكتابات القديمة سوى بعض كلمات وردت فى مؤلفات الكتاب القدماء تناولها التحريف كثيراً أو قليلا ، وأهميتها تنحصر فى الوجهة اللغوية . وتنطبق هذه الملاحظة على الكلمات التى نقلها إلينا كتاب العرب . والشىء الوحيد الذى نستطيع أن نؤكده هو أن غزوة بنى هلال الكبرى التى وطدت أقدام العرب فى الشمال الغربى من إفريقية فى القرن الحادى عشر الميلادى كان لها أثر عظيم فى اللغة البربرية ، إذ اختفت بعض اللهجات ودخل البعض الآخر كثير من الكلمات يمكن تمييزها بسهولة عن الكلمات الأخرى التى دخلت اللغة البربرية فى القرون السابقة (انظر R. Basset: *Les Mots arabes passés en bebère* فى *Oriental. Studien, Th. Nöldeke gewidmet* جـ ١ ، ص ٤٢٩ — ٤٤٣) . وإذا كان قد قدر لنا أن نعرف لهجة الجوانش Guanche التى لم تتأثر بالفتح العربى لعوضت علينا هذه المعرفة إلى حد ما جهلنا باللغة البربرية القديمة ، ولكن مما يؤسف له أن ما نعلمه من هذه اللهجة التى كان يتحدث بها سكان جزائر الكنارى حتى القرن السابع عشر ينحصر فى الصيغ المحرفة التى وصلت إلينا على يد كتاب الأسبان . وقد جمع برتلو S. Berthelot ما بقى من كلمات هذه اللهجة (انظر Parker Webb et Sabin Berthelot : *Histoire naturelle des Iles Canaries* المجلد الأول ، جـ ١ باريس ١٨٣٢ م)

واللغة البربرية ، وهى فرع من اللغات الكوشية أو الحامية التى تمت بالصلة إلى اللغات السامية ، لا يزال يتحدث بها إلى اليوم سكان المناطق التى بين واحة سيوة والمحيط الأطلسى ومن منبع نهر النيجر حتى

البحر الأبيض المتوسط . ولكنها ليست وحدها اللغة السائدة بين سكان تلك المنطقة الشاسعة ، ولم تصنف اللهجات البربرية حتى الآن إلا تصنيفاً أولياً . وعندما تتم دراسة كل لهجة من هذه اللهجات دراسة تامة ، نستطيع وقتئذ أن نحدد الصلات التي تربط بينها ، وأن نربط هذه اللهجات بالكتابات الليبية وذلك عند ما ننتهي من حل رموزها

وأهم اللهجات البربرية ، إذا أحصيناها مبتدئين من الشرق إلى الغرب هي : لهجة صنهاجة ويتحدثون بها في شمال السنغال كما تتحدث بها قبائل الطوارق في أوليمدن Awelimmiden والأهجّر (تيتق) والآزجر ولهجة شلحة في سوس وتمزيغت في جبال الأطلس ولهجة الريف شمالي مراكش ولهجة البرابر في الجنوب الشرقي وزناتة في شرق مراكش وغرب الجزائر . أما لهجة قصور فيتحدثون بها في واحات تدكلت وتوات وغورارا وزناته في وسط الجزائر ويتكلم بها الوانشريش وأعشاشة وهراوة . وهذه اللهجة قريبة الشبه إلى حد بعيد بلهجة بني مناصر كما تختلط عن طريق جبال الأطلس بلهجة زواوة التي يتحدثون بها في بلاد القبائل الكبرى وهي إحدى اللهجات التي بقيت على حالها وباللهجات التي يتحدثون بها في بجاية ووادي ساحل .

وأما في الجنوب فتوجد لهجات ميزاب ووارجله ووادي أريغ وكذلك لهجة الشاوية التي يتحدث بها الأوراس ولهجات القبائل الموجودة ما بين سطيف وسوق أهراس . وأما في تونس فقد بقيت اللغة البربرية في جنوبها الأقصى إذ تتحدث بها قبائل مطماطة وسند وأهل جربة وكذلك في الجهات التي تنتهي عند حدود طرابلس إذ تختلط هناك باللهجة التي يتحدثون بها في جبل نفوسة . ولا نجد هذه اللغة فيما عدا ذلك إلا في الواحات مثل غدامس وغات وأوجلة وسيوة . وقد شرع في دراسة هذه اللهجات كلها ولكن التقدم في هذه الدراسة لم يسر بدرجة واحدة في جميعها .

ولا بد أن تكون المؤلفات الدينية قد بلغت شأواً كبيراً عند البربر ، وخاصة بين الخوارج كما نلحظ ذلك في الإشارات المتفرقة عند المؤرخين وكتاب السير . وإذا كنا قد فقدنا القرآن الذي وضعه كل من حاميم وصالح - اللهم إلا بعض فقرات منه - فإنه قد بقي لنا من بين جميع المؤلفات الإباضية رسالة ابن غانم المسماة « المدونة[1] » (انظر

(١) رسالة ابن غانم يعني مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخراساني وهو من كتب الحديث المشهورة رواية عن شيوخه مثل الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري العماني عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري عن أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي فقيه البصرة التابعي وهذه المدونة لم يذكر الكاتب أهي الصغرى أم الكبرى. قدم أبو غانم صاحب المدونة من البصرة إلى تيهرت في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فمر

Le Manuscrit arabo - : De Motylinski *berbère de Zouagha* فى أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين الذى عقد بالجزائر ١٩٠٩م ، جـ ٢ ، ص ٦٤ — ٧٨) .

أما فيما يختص بمؤلفات أهل السنة فقد فقدنا ترجمة القرآن والنص البربرى للرسائل الثلاث التى كتبها بلهجة شلحة المهدى ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ومع هذا فقد وصل إلينا مصنفان يرجع تاريخهما إلى القرن الثامن عشر كتبهما بلهجة شلحة محمد بن على بن إبراهيم وهما : « الحوض » وهى رسالة فى الفرائض الدينية استقاها من كتاب المختصر لسيدى خليل وقد نشر هذه الرسالة وترجمها لوسيانى M. Luciani (الجزائر ١٨٩٧م) . أما المصنف الثانى فهو كتاب « بحر الدموع » وهو تتمة للرسالة الأولى ، وهما مخطوطان محفوظان فى الجزائر وباريس . وقد نشر ده سلان De Slane الفصلين الأولين من هذا الكتاب مع ترجمتهما الفرنسية (انظر *Appendice à l' Histoire des Berbères* ، جـ ٤ ، ص ٥٥٢ — ٥٦٢) .

ويتصل بهذا النوع من المؤلفات الأشعار الدينية وكلها منظومة بلهجة شلحة مثل أشعار صابى وفيها يصف نزول شاب إلى الجحيم للبحث عن والديه (انظر R.Basset : *Le Poème de Cabi* ، باريس عام ١٨٧٩م) وأشعار سيدى حمُّو (انظر Stumme : *Dichtkunst und Gedichte der Schluh* ليبسك ١٨٩٥م : Johnston ؛ *Fadma Tagurramt* فى أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ — ١٠١) وقصة المعراج وترجمة للبردة .

أما المؤلفات الأخرى غير الدينية فهى قليلة ولم يقم بنشرها سوى الأوربيين مثل كتاب غرب إفريقية لسيدى إبراهيم ، وقد كتبه بلهجة شلحة ونشره نيومان فى المجلة الآسيوية (عام ١٨٤٨ ، ص ٢١٥—٢٦٠) وقام بترجمته باسيه R.Basset (باريس ١٨٨٢ م) وكتاب وصف جبل نفوسة لإبراهيم ابن سليمان الشماخى . وقد كتبه بلهجة نفوسة وقام بترجمته ونشره موتيلنسكى Motylinski (طبع النص بالجزائر عام ١٨٨٥م) . ونشرت

على نفوسة فترك نسخة من مدونته عند العلامة عمروس ابن فتح النفوسى فنسخها أثناء غيبة أبى غانم فى تيهرت فأجازه فيها عند أوبته ، والنسخة التى أخذها معه إلى تيهرت رواها عنه الإمام عبد الوهاب وابنه الامام أفلح إلا أن التى بين أيدينا اليوم هى النسخة النفوسية العمروسية والمدونة عربية لا بربرية أما المؤلفات البربرية فأشهرها مؤلفات أبى سهل ترجمان الإمام عبد الوهاب وعقيدة نفوسة قبلها ومقدمة التوحيد وهذه ترجمها إلى العربية العلامة أبو عمر بن جميع الجربى من علماء القرن السابع وقد عنى الأباضية بالتأليف بالبربرية منذ ظهروا بين البربر أوائل القرن الثانى للهجرة وكانت هذه الوسيلة من أسباب تمكين البربر فى الإسلام وكان ابن مغطير النفوسى البربرى أول من حفظ القرآن ونبغ فى العلم أخذ عن أبى عبيدة التميمى بالبصرة ثم رجع إلى نفوسه حيث ظهرت آثاره .

ابو اسحاق

الترجمة بباريس عام ١٨٩٨م . ونذكر كذلك من بين تلك الكتب مجموعة من القصص عنوانها «كتاب الشلح» وهو مخطوط محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس . وهذا الكتاب مستقى أكثره من كتاب «بختيارنامه» وكتاب «ألف ليــلة» . وقد قام كل من ده سلان de Slane وباسيه Basset وروشمونتكس Rochemonteix بنشر وترجمة بعض مختارات من هذا الكتاب .

أما المؤلفات الشعبيــة الأخرى مثل القصص والأشعار وكتب الأحاجي فهي أكثر أهمية من كل هذه النصوص التي اختلطت باللغة العربية اختلاطا كبيرا . وهذه المؤلفات موجودة تقريبا في جميع اللهجات التي ذكرناها والكلام مفصل عنها في المواد الخاصة بها .

وقد نشر باسيه Basset ترجمة المجاميع العامة من هذه المؤلفات (*Contes berbères* باريس ١٨٩٧م ؛ *Nouveaux contes berbères* باريس ١٨٩٧) . ونذكر من المجموعات المكتوبة في لهجات معينة ما يأتي :

(١) مصنفات كتبت بلهجة شلحة التي يتحدثون بها في تزرولت :

Stumme : *Elf Stücke im Shilha Dialekt* مأخوذة من *Zeitschr.der Deutsch.Morgenl Gesell.* ١٨٩٤م ؛ Stumme : *Märchen der Schluh von Tazerwalt* ليبسك ١٨٩٥م (النص والترجمة) .

De. Rochemonteix : *Contes du Sous et des Oasis de la Tafilalt* بالمجلة الأسيوية ، جـ ١١ ، عام ١٨٨٩ م ، ص ١٩٨ — ٢٢٥ .

(٢) مصنفات بلهجة قصور :

R. Basset : *Recueil de textes et de documents pour la philologie berbère* الجزائر ١٨٨٧ م .

(٣) مصنفات بلهجة بني مناصر :

R Basset : *Textes berbères dans le dialecte des B. Menacer* روما ١٨٩٢ م .

(٤) مصنفات بلهجة زواوة :

Hanoteau : *Poésies populaires de la Kabylie du Jurjura* ، باريس ١٨٦٧م ؛ le P. Rivière : *Recueil de contes populaires de la Kablie du Zurjura* باريس ١٨٨٢م (الترجمة فقط) ؛ Ben Sedira : *Cours de langue Kabyle* ، الجزائر ١٨٨٧م (النص فقط) ؛ Mouliéras : *Légendes et contes merveilleux de la Crande Kabylie* باريس ٩٣ — ١٨ — ١٨٩٧ ، في ثمانية أجزاء (النص فقط وهو ناقص) ؛ Le Blanc de Prébois : *Essai de contes Kabyles* في جزئين ، بتنة عام ١٨٩٧ م (وهو ناقص) ؛ Luciani : *Chansons Kabyles de Smail Azikkiou* الجزائر ١٨٩٩م ؛ Boulifa : *Recueil de poésies Kabyles* الجزائر ١٩٠٤ .

(٥) مصنفات بلهجة وادي ساحل :

R.Basset : *L'insurrection algérienne de 1871 dans les chansons populaires*

Kabyles لوفيان عام ١٨٩٢ م .

(٦) مصنفات بلهجة شاوية :

G. Mercier : *Cinq textes berbères en dialecte chaouia* وهى مأخوذة من المجلة الأسيوية ، باريس ١٩٠٠م

(٧) مصنفات بلهجة بلاد الجريد :

Stumme : *Märchen der Berbern* [redacted] *Tamazratt* ليبسك ١٩٠٠م .

(٨) مصنفات بلهجة تيتق :

Masqueray : *Observations grammaticales et textes de* [redacted] *temahaq des Taitoq* باريس ١٨٩٧ م .

ونذكر أيضا من هذه المؤلفات «القوانين» وهى مجموعة من العادات التى لا زالت مرعية عند بعض القبائل البربرية ، وهذه القوانين محفوظة فى صدور القوم ولكن بعض القوانين الخاصة ببلاد القبائل المعظمى قد دونها ونشرها كل من Hanoteau : *Essai de grammaire Kabyle* (الجزائر ، ص٣١٣–٣٢٤) ؛ *La Kabylie et les coutumes Kabyles* (باريس فى ثلاثة مجلدات عام ١٨٧٣م المجلد الثالث الملحق، ص٣٢٧—٤٤٣، الترجمة فقط) وقد أعاد نشر جزء منه Masqueray : *Formations des cités chez les populations sédentaires de l' Algérie* باريس ١٨٨٦ م ص ٢٦٣—٣٢٤ (الترجمة فقط) : Ben Sedira *Cours de langue kabyle* ص٢٠٥ — ٣٥٥ (النص فقط) و Boulifa : *Le Kanoun d'Adui* فى *Recueil de mémoires* [redacted] [redacted] [redacted] *publiés en l' honneur. du. XIV Congrès des Orientalistes* . وقد نشر هذه القوانين كذلك أساتذة مدرسة الآداب العليا بالجزائر عام ١٩٠٥ م ، ص ١٥٢ — ١٧٨ .

وليس من الضرورى أن نحصى هنا الترجمات المختلفة للعهد القديم والعهد الجديد التى قامت بها الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية .

المصادر

لقد جمع أهم المعلومات Fournel فى كتاب اسمه *Les Berbèrs* باريس ١٨٧٧م — ١٨٨١م فى مجلدين ولكنه توقف عند رحيل المعز لدين الله إلى مصر . ويمكن الرجوع فيما يختص بالمؤرخين العرب إلى الكتب الآتية :

(١) ابن خلدون : كتاب العبر بلاق عام ١٢٨٤ هـ فى سبعة مجلدات ، وقد ترجم ده سلان De Slane المجلدين السادس والسابع من هذا الكتاب باسم *Histoire des Berbères* الجزائر ١٨٥٢—١٨٥٦م فى أربعة مجلدات (٢) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، طبعة تورنبرج ، أبسالا ١٨٤٣ – ١٨٤٦م ، فى مجلدين (٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، طبعة دوزى ، فى مجلدين، ليدن ١٨٤٨—١٨٥١م (٤) المراكشى تاريخ الموحدين ، طبعة دوزى ، ليدن ١٨٤٧م (٥) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة ده سلان الجزائر ١٨٥٧م ، ترجمة ده سلان، باريس ١٨٥٩م (٦) deGoeje : *Descript. al-Maghribi*

ليدن ١٨٦٠ ، وهو مقتطفات من كتاب اليعقوبى (٧) Masqueray : *Chronique d' Abou Zakaira* ، الجزائر ١٨٧٨ م (٨) البرادى : كتاب الجواهر، قسنطينة ١٣٠٢ هـ[1] (٩) R. Basset : *Les Sanctuaires du Djebel Nefousa* باريس عام ١٨٩٩ م (١٠) Quedenfeldt : *Eintheilung und Verbreitung der Berberbevölkerung* [illegible] *Marokko* بحث فى مجلة *Zeitschr. für Ethnologie* عام ١٨٨٨ ، ١٨٨٩ م (١١) Daumas : *La Grande Kabylie* ، باريس ١٨٤٧ (١٢) Carette : *Etudes sur* [illegible] *Kabylie proprement dite* باريس ١٨٤٨ م فى مجلدين (١٣) Barth : *Reisen und Entdeckungen in Nord-und Centralafrika* جوته ١٨٥٨ ، فى خمسة مجلدات جـ ٥ ، ص ٥٧٣ — ٥٨١ (١٤) Duveyrier : *Les Touaregs* [illegible] *Nord* باريس ١٨٦٤ (١٥) Bissuel : *Les Touar*[illegible] *de l'Ouest* الجزائر ١٨٨٨ (١٦) Jean : *Les Touaregs* [illegible] *Sud-Est de l'Air* ، باريس ١٩٠٨ (١٧) [illegible] : *Six mois chez les touaregs du Ahaggar* الجزائر ١٩٠٤ (١٨) Hanoteau et Letourneux : *La Kabylie et les coutumes Kabyles* باريس فى ثلاثة مجلدات (١٩) Renan : *La Société berbère* فى كتاب *Mélanges* [illegible] *histoire et de Voyages* باريس ١٨٧٨ ، ص ٣١٩ — ٣٥٣ (٢٠) P. Dugas : *La Kabylie et le peuple Kabyle* ليون ١٨٧٧ (٢١) Masqueray : *Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie* باريس ١٨٨٦ (٢٢) Morand : *Les Kanouns du Mzab* فى مجلة *Etudes de droit musulman algérien* الجزائر ١٩١٠ ، ص ٤١٩ — ٤٥٧ (٢٣) R. Basset : *Recherches* [illegible] *religion des Berbères* باريس ١٩١٠ (٢٤) de Slane : *Appendice à l' histoire des Berbères* جـ ٤ ، ص ٤٨٨ — ٥٨٤ (٢٥) R. Basset : *Etudes sur les dialectes berbères* باريس ١٨٩٤ (٢٦) المؤلف نفسه : *Loqman berbère* باريس ١٨٩٠ ؛ وانظر كذلك التقارير المقدمة إلى مؤتمرات المستشرقين المختلفة فى لندن عام ١٨٩١ وفى باريس عام ١٨٩٧ وفى همبورج ١٩٠٢ وفى كوبنهاجن عام ١٩٠٨ .

[باسيه René Basset]

■ **بربرة**: قصبة الصومال الإنجليزى وفرضة على خط عرض ١٠° ٢٦َ شمالاً وخط طول ٤٥° ٤َ شرق جرينوتش . وتعرف باللاتينية باسم Periplus maris Erythraei ويطلق بطلميوس وكوزماس Cosmas اسم ἤπειρος Βαρβαρική أو Βαρβαρία على

[1] كتاب الجواهر لأبى القاسم البرادى طبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ لا بقسنطينة وهو طبع حجرى لم يطبع سواه .

الخميسه

ساحل أرض فرانكنسنس Frankincense ومن المحتمل أن تكون المدينة نفسها هى عين Μαλάω εμπόριον .

ولا يعرف القدماء من جغرافى العرب إلا بلادا تعرف باسم بربرة ، وقد أطلق على خليج عدن اسم « بحر بربرة » أو « خليج البربرى » نسبة إلى هذه البلاد . واسم هذه البلاد مأخوذ من اسم أهلها الذين يطلق عليهم اسم Βάρβαροι أى بربرة أو برابر . ويظهر أن القوم الذين يقول عنهم ياقوت (جـ ٤ ، ص ٦٠٢) إن بلادهم بين بلاد الحبش والزنج هم أسلاف أهل الصومال الحاليين . ولسنا على ثقة من أن أهل بربرة قد اعتنقوا المسيحية يوما ما وإن كان الأحباش النصارى قد بسطوا نفوذهم مدة من الزمن على جزء من ساحل بربرة . وكان الإسلام فى عهد ياقوت قد تغلغل بين هؤلاء القوم ولكن ياقوت مع ذلك يصفهم بأنهم سودان جدا وأن لهم عادات بربرية كاستعمال السهام المسمومة وخصى الأسرى .

ويذكر ابن سعيد المتوفى عام ١٢٨٦ م أن معظم أهل بربرة اعتنق الإسلام، ويقول ابن بطوطة إنهم من الشافعية وهم على هذا المذهب حتى اليوم .

ويظهر أن ابن سعيد هذا هو أول من ذكر مدينة بربرة ، ولا نعرف إلا القليل عن تاريخها وتذكر الروايات المحلية أنه جاء تلك البلاد كثير من البعوث الإسلامية . وهذه الروايات ينبغى أن نجعل صلة بينها وبين الانتشار الإسلامى العظيم الذى كان مستمرا منذ القرن الثالث عشر الميلادى وإلى نضال الولايات الحبشية التى فى الأطراف فى سبيل الاستقلال .

ولابد أن بربرة كانت فى القرن الرابع عشر جزءا من مملكة عدل زيلع (انظر هذه المادة) . وقد تحدث ڤارشيما Varchema الذى قام برحلة فى بداية القرن السادس عشر عن أمير مسلم كان يحكم فى جزيرة بربرة . ومن المحتمل أنه يشير بهذا القول إلى مملكة هرر تحت حكم أحمد كران الذى قاتل الحبش . وكان يعاون الأحباش فى قتالهم البرتغاليون ويساعدهم فى ذلك الترك الذين كانوا يحكمون فى اليمن منذ عهد سليم الأول . وقلما نجد لدعوى الترك بأنهم أصحاب السلطان فى بلاد العرب الجنوبية من أثر فى استقلال البلاد الواقعة على ساحل الصومال فى العهود المتأخرة . وقد دب الاضمحلال تدريجا فى مدينة بربرة بسبب المنازعات الداخلية فيها ، كما اكتسبت تلك المدينة سمعة سيئة بسبب ذبح أهلها لبحارة السفينة مارى آن Mary Aun عام ١٨٢٥م ومهاجمتهم الرحالة برتون Burton عام ١٨٥٥م .

واحتلها المصريون عام ١٨٥٥م ولكنهم اضطروا إلى الانسحاب منها عام ١٨٨٤م بسبب قيام المهدى بثورته ، ومن ثم احتل الانجليز زيلع وبربرة . وقد أثار الملا المشاغب حديثا

وخاصة فى عام ١٩٠٢ القلاقل داخل بلاد بربرة.

ووصف الرحالة الذين زاروا بربرة فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى بأنها محلة فقيرة جدا بها أكواخ حقيرة، ويتضاعف عدد سكانها إبان إقامة الأسواق الكبيرة من نوفبر إلى أبريل. وتتجر السفن القادمة من السواحل العربية والخليج الفارسى والهند فى الرقيق والماشية. وأنشأ المصريون فى عهد احتلالهم لبربرة مدينة جديدة على مقربة من المدينة الأصلية، وقد أحرقت هذه المدينة الجديدة عام ١٨٨٨م ثم أعاد الإنجليز بناءها على النمط الأوربى. وأخذت سوق المدينة تستعيد مكانتها بعد أن أضحت عديمة الأهمية، ويتراوح عدد سكان هذه المدينة بين ١٠ آلاف و ٢٥ ألف نسمة ويصل هذا العدد إلى ٣٠ ألف نسمة إبان انعقاد السوق. وتنقل السفن الإنجليزية فى الغالب التجارة الخارجيـــة لهذه البلاد وأهم صادراتها الجلود ؟

المصـــادر

(١) المسعودى: مروج الذهب، طبعة باريس، جـ ١، ص ٢٣١—٢٣٣ (٢) ياقوت: معجم البلدان، طبعة فستنفلد، جـ ١، ص ١٠٠، جـ ٢، ص ٩٦٦ وما بعدها، جـ ٤، ص ٦٠٢ (٣) أبو الفداء، طبعة رينو، ص ١٥٨ وما بعدها (٤) ابن بطوطة، طبعة ديفريمارى Defrémery جـ ١٢، ص ١٨٠ (٥) R.Burton *First Footstegs In East-Africr* لندن ١٨٥٦، ص ٤٠٧ — ٤٤٠ (٦) G.Ferrand: *Les Comalis* باريس ١٩٠٣، ص ١٠٩ — ١١٢ (٧) Earl of Cromer *Modern Egypt* جـ ٢، ص ٤٩ — ٥١.

[هارتمان R. Hartmann]

« بربروسة » انظر خير الدين

«برتو باشا» اسم اثنين من رجال الدولة العثمانية : —

١ — برتو محمد باشا : أمير بحر ووزير فى دولة آل عثمان. بدأ حياته موظفا فى ديوان الحريم السلطانى، وأصبح قبوجى باشى (انظر هذه المادة) فآغا للأنكشارية، وفى عام ٩٦٢هـ الموافق ١٥٥٥ م ارتقى إلى منصب الوزارة، وفى عام ٩٦٨ هـ الموافق عام ١٥٦١ م نصب وزيراً ثالثا وفى عام ٩٨٢هـ الموافق عام ١٧٧٤ م أصبح وزيراً ثانيا فسر داراً للأسطول العثمانى تحت قيادة قبودان باشا مؤذن زاده على، وبعد ذلك غضب عليه وتوفى باستانبول ودفن فى «تربته» بقرافة أيوب

المصـــادر

(١) J.v.Hammer: *G.O.R.*، جـ ٣، ص ٣٨٢، ٤٣٨ (٢) محمد ثريا: سجل عثمانى، جـ ٢، ص ٣٧ وما بعدها.

٢ — پرتو محمد سعيد باشا : شاعر وواحد من كبار الموظفين العثمانيين ، وهو من أصل تترى . ولد فى قرية « دراجه » بالقرب من أرمية . ورحل إلى استانبول فى حداثته والتحق بإحدى وظائف الحكومة . وفى المحرم من عام ١٢٤٠ هـ (سبتمبر ١٨٣٤م) أصبح بكلكجى افندى (كاتب الإنشاء) ؛ وفى شعبان عام ١٢٤٢ هـ (مارس ١٨٢٧م) أصبح رئيسا للكتاب . وفقد هذا المنصب بعد ذلك بعامين وذهب إلى مصر فى مهمة خاصة ، وعند عودته أصبح مساعداً (كخيا) للصدر الأعظم عام ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) . ونصب وزيراً للشئون المدنيـــة (مُلكيه ناظرى) فى الثالث والعشرين من ذى القعدة عام ١٢٥١ هـ (١٢ من مارس عام ١٨٣٦م) ومُنح لقب المشيرية . وفى ربيع عام ١٨٣٦م منح لقب باشا ، ولكنه صرف عن منصبه فى خريف العام نفسه . وفى بداية سبتمبر عام ١٨٣٦م نفاه السلطان محمود الثانى إلى سكوتارى من أعمال ألبانيا . ورحل پرتو باشا إلى منفاه بعد صدور الأمر بعدة أسابيع، ولكنه لم يصل إليه إذ توفى بأدرنة بعد ثلاث ساعات من المأدبة التى أقامها لتكريمه مصطفى باشا حاكم هذه المدينـــة (ويذكر جب Gibb فى كتاب *History of Ottaman Poetry* ، ج ؛ ، ص ٣٣٣ أن اسم هذا الحاكم كان أمين باشا) وليس من شك فى أن هذه الوفاة الفجائيـة كانت نتيجة السم، وينسب الرأى العام الجريمة إلى السلطان محمود نفسه . ويمكن الرجوع فيما يتصل بأسرته إلى كتاب سجل عثمانى (ج ٢ ، ص ٣٨) . وكان زوج ابنته وصّاف بك الذى شاركه آراءه كاتم سر للسلطان محمود الثانى يدبر المكائد لحسابه ، وكان وصّاف بك هذا على جانب كبير من العلم ولكنه كان ضعيف الخلق يقبل الرشوة ، وقد فقد منصبه فى الوقت الذى عزل فيه پرتو ونفى هو الآخر إلى توقاد من أعمال الأناضول (انظر G. Rosen : *Gesch. der Türkei* ، ليبسك عام ١٨٦٦ ، ج ١ ، ص ٢٥٥ وما بعدها) .

وخلف پرتو باشا فى منصـــبه خصمه السياسى عاكف باشا (انظر Babinger : *G. O. W.* ، ص ٣٥٧ وما بعدها) . وكان پرتو باشا من ناحيته السياســية مشهوراً بخصومته الصريحة للروسيا ولم تكن خصومته للمسيحيين بأقل من خصومته للروس فقد اضطهدهم بإحياء القوانين القديمة المهجورة وكان عداؤه للمسيحيين يشتد كلما تقدمت به السن .

ولپرتو باشا ديوان شعر يعتبر مثلا للشعر فى عهد السلطان محمود الثانى ، وطبع مرتين الأولى فى بلاق عام ١٢٥٣ هـ من القطع المتوسط فى واحد وتسعين صحيفة ، والثانية فى إستانبول عام ١٢٥٦هـ من القطع المتوسط فى مائة وثلاثين صحيفـة (وانظر فيما يختص بمصنفات پرتو باشا الأخرى كتاب عثمانلى مؤلفلرى لمحمد طاهر البروسوى ، ص ١١٤ وما بعدها) . وتوجد الآن مكتبـة پرتو باشا

القيمة الفنية بالمخطوطات فى الدار التى كانت معروفة بتكية السليمانية فى اسكوتارى ؟

المصـــادر

(١) G. Rosen : *Geschichte der Türkei* ، ليبسك عام ١٨٦٦م ، جـ ١ ، فى مواضع مختلفة وخاصة ص ٢٥٥ ومابعدها (٢) Gibb : *H. O. P.* ، جـ ٤ ، ص ٣٣٢ وما بعدها ، مع إشارات إلى كتاب *Turquie* تأليف *Jouannin* J. van Gaver المطبوع فى باريس عام ١٨٤٣م فيما يختص بوفاة پرتو باشا فى أدرنة (٣) محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ ٢ ، ص ٣٨ (٤) سامى ترا شرى : قاموس الأعلام ، ص ١٤٩٤ وما بعدها (٥) محمد طاهر البروسوى : عثمانلى مولفلرى ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .

ويجب ألا نخلط بين المترجم له والشاعر والسياسى پرتو أدهم باشا المتوفى فى السابع من ذى القعدة عام ١٢٨٩ هـ (٦ يناير عام ١٨٧٣م) الذى كان حاكما لقسطمونى (انظر هذه المادة) وقد نشرت مجموعة من شعره منها « خوابنامه» و«اللاحقة» باستانبول فى تاريخ غير معروف «وإطلاق الأفكار فى عقد الأبكار » استانبول عام ١٣٠٤ هـ . انظر فيما يختص بسيرته كتاب محمد طاهر المذكور آنفاً (جـ ٢ ، ص ١١٤ وما بعدها) .

[بابنجر Franz. Babinger]

« پربه » ويقال أيضـا بربا : الاسم العربى الذى يطلق على أطلال الهيا كل المصرية. و « كل هيكل وكل مصنع قديم يطلق عليه اسم بربا » (رحلة ابن جبير ، طبعـة ده غوى ، ص ٦١ — س ٣) وهذا اللفظ مشتق من اللفظ القبطى پرپه Perpe ومعناه هيكل . ويصف الرحالة والجغرافيون هيا كل أخميم فيقولون إنها برابى (وقد تجمع أيضا على بربيات) فى أحسن صورها . ويستعمل المقريزى وابن جبير وغيرهما هـذا اللفظ عند وصفهم لأخميم . ويطلق لفظ بربا أيضا على جميع الهياكل وكذلك على معـــابد الأوثان . وظل هذا الاسم يطلق فى مصر على عدة أماكن ففى الصعيد ثلاث جهات يطلق على كل منها اسم البربا . وفى النوبة أربع جهات يطلق على كل منها اسم البربه ولـكن المقصود هو كلمة بربا . (انظر Boinet Bey: *Dictionnaire Géographique* ص ١٢١) وتوجد فقرات عدة وردت بها هذه الكلمة فى كتاب Dozy: *Supplément* ، وفى حاشـــية على كتاب الإدريسى، طبعة دوزى وده غوى مع الترجمة (ص ٥٤ تعليق رقم ١) وفى كتاب ابن دقماق (جـ ٥ ، ص ٢٥)

[بيكر C. H. Becker]

« برج » كلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية Burgus عن طريق اللغة السريانية (انظر Fraenkel: *Die Aramäischen Fremdwörter*

Arab. [illegible] ، ص ٢٣٥) ومعناها حصن . وهى صورة البروج فى الاصطلاح الفلكى ؟

« برجى » الاسم الذى أطلق على فرق المماليك من المغل والجراكسة التى أنشأها السلطان قلاوون وأسكنها برج القاهرة ، وأصبح سلاطين مصر ينتخبون منذ عهد برقوق (٧٨٤—٨٠١هـ = ١٣٨٢—١٣٩٨م) من بين صفوفهم . وأول من اعتلى عرش مصر من المماليك البروجية هو السلطان بيبرس الثانى ، وقد قتل السلطان سليم طومان باى آخر سلاطينهم سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) ؟

[M. Sobernheim سوبرنهيم]

« بَرَدَان » مدينة بالعراق يقول جغرافيو العرب إنها على مسيرة أربعة فراسخ (حوالى ١٦ ميلا) شمالى بغداد على الطريق الرئيسى إلى سامرا ، وبينها وبين الشاطىء الشرقى لنهر دجلة مسافة قصيرة . وهى شمالى ملتقى نهر الخالص بدجلة . وينساب نهر الخالص ، وهو فرع من النهروان (أو دياله) بالقرب منها . واستقر الخليفة المنصور فى هذه المدينة أمداً وجيزاً قبل أن يعتزم تشييد عاصمة جديدة فى مكان بغداد الحالية (اليعقوبى ، طبعة دهغوى ، الكتاب السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ص ٢٥٦) .

وكان فى النصف الشرقى من بغداد جسر وطريق وباب وقرافة على مقربة من هذا الباب عرفت كلها باسم بردان . وهى على مرحلتى بريد من بغداد . (Le Strange : *Baghdad during the [illegible] Caliphate* ١٩٠٠ م ، ص ٣٦٠) . وفى الوقت الذى نقل فيه صاحب المراصد عن ياقوت حوالى عام ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) كانت بردان مهجورة ومجهولة . ويجب أن يبحث عن موقعها بين أكوام الخرائب فى بدْران التى يتفق موضعها بدقة على روايات مصنفى العرب . وبدْران هذه تحت خط عرض ٣٠َ ٣٣° شمالا [illegible] وردفى مصور كيبرت Kiepert المنشور بكتاب أوبنهيم Oppenheim : [illegible] *Zum Persisch. Golf* ؛ وقد ذكرها كذلك بترمان Peterm[illegible] ، واسم هذه المدينة محرف عن برُدَان (بردان كما صححها چرنك Chernik)

ويذكر العرب أن اسم بردان معرب عن الكلمة الفارسية «بردهدان» أى مكان المساجين (الجواليقى : المعرب فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges.* ، ج ٣٣ ، ص ٢١٩) . وتدعونا هذه التسمية إلى الظن بأنه كانت فى هذا الموضع محلة يهودية يحتمل أن يكون بختنصر هو الذى أقامها . وهناك مدينة أخرى فى حوض ديالة الأوسط تسمى بردان وهى بالقرب من قيزُرباط (هكذا ذكرها هرزفلد Herzfeld وليست قيزلرباط) وبها مساحة كبيرة تغطيها الخرائب (برادن تپه) «برَدان» (انظر Ritter : [illegible] ، ج ٩ ، ص ٤٩١

وما بعدها، في Chernik *Petermann's Geogr. Mitteil.*، ص ٣٨) .

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة دهغوى في مواضع مختلفة (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٥٥١ وما بعدها (٣) المراصد *Lex. Geogr.*، طبعة جوينبل ، ج ١ ، ص ١٦٨ (٤) M. Streck : *Babylonien nach der arab. Geographen*، ج ٢ ، ص ٢٣٠ وما بعدها (٥) Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate*، ١٩٠٥، ص ٥٠ (٦) Weil : *Gesh.der Chaliphen*، ج ٢ ، ص ٥٦٩ (٧) H. Petermann : *Resien im Orient* ، عام ١٨٦١ م ، ج ٢ ، ص ٣١١ (٨) Schrnik : كتابه المذكور ، رقم ٤٤ ، ص ٣٤ ، ٣٦

[M. Streck ستترك]

« بردسير » : انظر « كرمان »

البردة

(١) قطعة من الصوف كانت تستعمل منذ العصر الجاهلي، تتخذ عباءة بالنهار وغطاء بالليل . واشتهرت بصفة خاصة بردة النبي التي وهبها لكعب بن زهير (انظر هذه المادة) مكافأة له على القصيدة التي مدحه بها. وقد اشترى معاوية هذه البردة من ولد كعب، واحتفظ بها خلفاء بني العباس إلى أن احتل المغل مدينة بغداد ، فأمر هولاكو بإحراقها ، ولكنه يقال إن بردة النبي الحقيقية لم تحرق ولا تزال موجودة بالقسطنطينية ؟

المصـــادر

(١) Dozy : *Dictionnaire des* [redacted] *de vêtements chez les Arabes* ، أمستردام عام ١٨٤٥م ، ص ٥٩ — ٦٤ (٢) R. Basset : بانت سعاد ، الجزائر ، ١٩١٠م ، ص ٩٠ — ٩١ وقد ذكر فيه أسماء المصنفين .

(٢) اسم القصيدة المشهورة التي نظمها البوصيري (انظر هذه المادة). وجاء في القصص أن البوصيري كان مصابا بداء الفالج فلما ألقى عليه النبي بردته برئ منه فدحه بهذه القصيدة . وقد سبق للنبي أن فعل مثل هذا مع كعب بن زهير [1].

وانتشر خبر هذه المعجزة وأصبحت القصيدة التي عنوانها « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » تعرف باسم « البردة » . ويقال إن لأبياتها قوة خارقة ، وهي لا تزال مستعملة إلى اليوم في الرقى كما أن أبياتها تتلى عند الدفن . ولم تبلغ قصيدة عربية أخرى مبلغها من الشهرة . ولهذه القصيدة أكثر من تسعين شرحاً باللغات العربيـة والفارسـية والتركية والبربرية . ولا حصر لما قام به الشعراء من تخميسها وتثليثها وتشطيرها .

وتبدأ القصيدة بالنسيب كما هو التقليد في

(١) هكذا في الأصل والمروى في كتاب فوات الوفيات ج ٢ ، ص ٢٥٦ أن البوصيري رأى النبي في المنام وأنه صلعم ألقى عليه بردته . . . الخ

اللجنة

الشعر العربى القديم، ثم أخذ الشاعر يتحسر على شبابه و يعترف بذنو به وخطاياه. و يبين ما بين سيرته وسيرة النبى من تباين، وطفق يعدد معجزات النبى كما وردت فى الروايات وذلك فى بقية أبيات القصيدة. وهو يختتم قصيدته بالتوسل إلى النبى ومدحه. ولا أثر للصوفية فى هذه القصيدة. وليس هذا أقل ما تمتاز به.

ونذكر من أهم شروحها وفقاً للترتيب التاريخى: شرح أبى شـــامه عبد الرحمن ابن إسماعيل الدمشقى (٥٩٦ — ٦٦٥ هـ)، وهناك مخطوطات من هذا الشرح محفوظة فى باريس (المكتبة الأهلية رقم ١٦٢٠) وميونخ (رقم ٥٤٧)؛ وشرح ابن مرزوق التلمســـانى المتوفى عام ٨٤٢ هـ وقد وصفه دوزى Dozy بأنه معجب ورائع؛ وشرح خالد الأزهرى المتوفى عام ٩٠٥هـ، وقد طبع عدة مرات وفى بعضها شرح لإبراهيم الباجورى المتوفى فى ٢٤ ذى القعدة من عام ١٢٧٦ هـ؛ وشرح ابن عاشور (القاهرة عام ١٢٩٦ هـ). ونشر أورى Uri نص قصيدة البردة لأول مرة فى ليدن عام ١٧٦١م بعنوان *Carmen Mysticum Borda Dictum* مع ترجمة لاتينية؛ وطبعت منذ ذلك الوقت طبعات كثيرة، وبخاصة فى الشرق. ولا تكاد توجد مجموعة من الشعر تخلو من البردة.

ونذكر من طبعاتها فى الغرب الطبعة التى قام بها روزنزفيج von Rosenzweig: *Funkelnde Wandelsterne zum Lobe des Besten der Geschöpfe*، فينا عام ١٨٢٤م مع ترجمة ألمانية وتعليقات. وأحدث طبعاتها هى التى قام بها رلفز Rolfs ونشرها بهرناور Behrnauer بعد وفاته بعنوان *Die Burda, ein Lobgedicht auf Muhammed* فينا عام ١٨٦٠م مع ترجمات فارسية وتركية وألمانية. وليس فى هذه النسخة الأبيات المنحولة التى ذكرها روزنزفيج Rosenzweig. وقد نقلت البردة إلى عدة لغات، ونضيف إلى ما ذكر من ترجماتها من غير أن نحصيها جميعا ترجمة دى ساسى وهى مذكورة فى آخر كتاب *Exposition de la foi musulmane* لبيرعلى بركوى (ترجمة ده تاسى G. de Tassy باريس عام ١٨٢٢م)؛ وترجمة باسية، وبها تعليقات (باريس ١٨٩٤)؛ وترجمة ردهوس Redhouse وعنوانها *The Burda* وهى موجودة فى كتاب W. A. Clouston: *Arabian Poetry for English Readers*، ص ٣٢٢، ٣٤١، جلاسجو، ١٨٨١ م؛ وترجمها إلى الايطالية جبريلى Gabrieli وعنوانها *Al-Burdatain* مع تعليقـات، فلورنسه عام ١٩٠١، ص ٣٠ — ٨٥؟

المصـــــادر.

(١) R. Basset: فهرس المخطوطات العربيـــة لمكتبتى زاوية عين مهدى وتماسين، الجزائر عام ١٨٨٦ م، ص ٤٢ — ٥٤ (٢) Goldziher فى *Revue de l'histoire des Religions*، جـ ٣١، ص ٣٠٤ وما بعدها (٣)

Gesch. der Arab. Litt.: Brockelmann، جـ ١، ص ٢٦٤، ٢٦٦.

[باسيه R. Basset]

«بردو» [والأصح أن يقال باردو] اسم مدينـــة كان بايات تونس يقيمون على مسيرة ميل وربع من جنوبها الغربي. وتشتهر هذه المدينة بلطف مناخها في الصيف. ويظهر أن السراة من الأهالي كانوا يترددون عليها منذ عهد متقدم. وكانت لهم فيها حدائق ودور. وكان بالمدينة حديقة أبي فهر بأحراشها ذات الأشجار النادرة وبحيراتها التي كانت ترويها قناطر [١] زغوان المعلقـــة والتي كانت من الاتساع بحيث يتنزه فيها الحريم بالقوارب. وهذه الحديقة أنشأها المستنصر أمير بني حفص (١٢٤٩—١٢٧٧). وبيوت الصيف في هذه المدينـة مرصعة بالفسيفساء ومحلاة بالنقوش الخشبية (انظر ابن خلدون ترجمة دەسلان، جـ ٢، ص ٣٣٩). وكان الولاة في القرن السادس عشر يتخذون هذه المدينة مقاما لهم، وكذلك فعل حكام الترك.

وقد وصف الشيفالييه دارفييه Chevalier d' Arvieux قصر باردو *house of bards or of Bard* الذي ابتناه محمد باشا وصفا مفصلا، وهو القصر الذي أمضيت فيه المعاهدة الخاصة بانشاء مصنع فرنسي في رأس العبد *Cape Negro* عام ١٦٦٩ م. (انظر d' Arvieux: *Mémoires* جـ ٤، ٤٧). وكانت باردو المكان المختار لبايات الأسرة الحسينية وفيها شيد حسين ابن علي (١٧٠٥—١٧٤٠) مسجدا وقصرا. ووصف پيسونل Peyssonnel الذي زار تونس عام ١٧٢٤ قصر هذه الأسرة هناك بأنه كتلة ضخمة من البناء مربعة الشكل تقريبا محاطة بالأسوار وتحميها عدة أبراج مربعة. ويبلغ محيط هذا القصر ١٢٠٠ خطوة تقريبا. وهناك إلى جانب مقر البايات أبنية أخرى لكبار الضباط (انظر Peyssonel: *Relation d'* [illegible] *voyage sur les côtes de Barbarie* الرسالة الثانية، ص ٢٦ وما بعدها). واحتفر علي باشا حول هذه الابنية جميعا خندقا عميقا وسورا به كوى للرماة وأخرى لفوهات المدافع. وقد انفق محمد بك مبالغ طائلة على هذا القصر. واستعان في بنائه وتزيينه بالصناع الأجانب وبخاصة الإيطاليين الذين عملوا جنبا إلى جنب مع الصناع الوطنيين (انظر محمد بن يوسف: مشرى المالكي Mechra-el-Melki, chroniqe ترجمـــة سرس ومحمد الاصرم V. Serres and Muhammad Lasram).

وأهمل بايات تونس «باردو» في القرن التاسع عشر، وعند ما احتلها الفرنسيون كان الجزء الأكبر من مبانيها قد تهدم، فأزيلت أنقاضه كما أزيل السور الذي كان يحيط بالمدينة، ولم يحتفظ إلا بقصـــور البايات والمسجد وبيوت الحريم التي حولت إلى متحف للآثار

(١) قناطر صوابه حنايا زغوان ولم تزل هذه الحنايا موجودة إلى الآن ولكنها مهجورة وهي من آثار الرومان

القديمة (المتحف العلوى) . وبالقرب من باردو يقوم «القصر السعيد» الذى وقعت فيه معاهدة ١٢ مايو عام ١٨٨١ م وفيها اعترف بالحماية الفرنسية على تونس ، وهى المعاهدة التى يطلق عليها خطأ اسم معاهدة باردو ؟

[G. Yever يفر]

« بردى » نهر مشهور فى دمشق تردد ذكره فى الشعر الحديث . وقلما يرد اسمه فى شعر القدماء حتى من كان منهم فى العصر الأموى . ومخرجه الحقيقى كما يعرف العرب جيدا من لبنان الخلفية أسفل خط تقسيم الميـــاه مباشرة وغربى كورة الزبدانى . وهو يخترق السهل الخصب الذى إلى الشرق من هذه الكورة بعد أن يسير فى عدة منحنيات ويكون شلال تكية Takkiya ثم يجرى بعد ذلك فى سوق وادى بردى العميق المعروف قديما باسم أبله . وتزوده عين فيجه بالمياه الغزيرة التى تزيد فى عمقه وتروى البساتين الغناء القائمة على جانبيه . وعندما يصل هذا النهر إلى وادى دمشق يتفرع منه نهير زيد اتساعه بالطرق الصـناعية . وهناك يفترق النهر على خمسة أنهر يسمى الأيمن والأعلى منها نهر يزيد ، وقد وسع مجراه يزيد بن معاوية ، ونهر ثورا ويوجد ناحية اليسار نهر بانياس أو باناس (وهى صيغة وردت فى الشعر العربى) ونهر قنوات . أما الفرع الأوسط فيحتفظ باسم بردى . ولم يذكر اركولف Arculf حوالى عام ٦٧٠ م سوى أربعة أنهار كبيرة فقط لأن نهر يزيد قد حفر بعد زيارته لهذه الجهة .

وبعد أن يفترق نهر بردى على هذه الخمسة أنهر يمر بمدينة دمشق وبما حولها وهو أشبه شىء بدلتا مصغرة فيملأ البقاع كلها خصوبة ونضارة . ويرجع الفضل فى وجود الغوطة إلى نهر بردى وهو يملأ الصهاريج الموجودة فى كل بيت من بيوت دمشق بالماء . وتتجمع مياه نهر بردى فى ظـاهر مدينة دمشق مرة ثانية ثم يصب فى بحيرة العتيبة[1] على حافة الصحراء الشآمية بعد أن يقطع نحو أربعة عشر ميلا . وقد خلط المقدسى ، وهو الذى عرف عادة بالدقة والتحقيق ، بين بردى وبين نهر الأعوج ثم بين بردى وبين أحد أفرع اليرموك فذكر أن فرعا من فروع بردى يصب فى نهر الأردن . ومما جعل الوقوع فى هذا الخطأ سهلا هو أن اسم بانياس يطلق على منبع الأردن كما يطلق على إحدى قنوات نهر بردى . وذكر ياقوت قرية تدعى بردى إلى الشرق من مدينة حلب ومن المحتمل أن تكون عين قرية برد الموجودة فى جبل سمعان ؟

المصـــادر

(١) ديوان حسان بن ثابت : طبعة هرشفيلد ج ١٣ ، ص ١٠ (٢) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٥٥٦ — ٥٥٨ (٣) المقدسى ، طبعة دى غوى ص ١١٤ (٤) الدمشق ، طبعة مهرن ، ص ١٩٣ (٥) A. von Kremer : *Topogr von Damaskus* ج ٢ ، ص ٢٨ ، ٣٤ (٦) المؤلف نفسه *la Facutlé orientale* [illegible] *Mélanges* ،

---

(١) هكذا فى النص . ووردت «العتيبة» فى معجم ياقوت ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، طبعة محمد أمين الخانجى ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

بيروت، جـ ٢، ص ٣٨٠ (٧) البكرى: المسالك والممالك، ص ١٤٧، ٢٩٩ (٨) P. Geyer : *Itenera Hierosolymitana*، ص٢٧٦.

[لامنس H. Lammens]

« برذعة »: اسمها فى اللغة الأرمينية « پتراف »، وكانت فيما مضى أكبر مدن القوقاس. ولكنها الآن عبارة عن قرية ومجموعة من الخرائب على نهر الترثور Terter وعلى مسيرة ١٤ ميلا من التقائه بنهر الكر. وقد شيدت فيها قلعة حصينة فى عهد الملك الساسانى قباذ الأول (٤٨٨ — ٥٣١ م) وأخذت تفوق شيئا فشيئا مدينة كَوَلَك التى يسميها العرب « قَبَلَة »، وهى الحاضرة القديمة لأرض أرّان.

وفى سنة ٦٢٨ م اضطر أهل برذعة إلى الفرار من مدينتهم هربا من الخزر، ثم عادوا إليها بعد أن جلا عنها أعداؤهم. واستولى العرب على برذعة فى خلافة عثمان وهدموها بعد وقت قصير، ثم أعادوا بناءها فى عهد عبد الملك. وكانت فى خلافة الأمويين والعباسيين مقر معظم ولاة العرب على أرمينية. وأنشأ فيها الحسن بن قحطبة الذى كان واليا من قبل الخليفة المنصور بستانا ظل إلى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) يسمى باسمه هو وبعض الضياع فى الجهات المجاورة (انظر: البلاذرى، طبعة دى غوى، ص ٢١٠).

ويقول الإصطخرى (طبعة ده غوى، ص ١٨٢) إن برذعة كانت أكثر من فرسخ فى فرسخ، وليس ما بين العراق وخراسان بعد الرى وأصفهان مدينة أكبر منها. وكان المسجد الجامع وبيت المال ودار الإمارة فى المدينـــة نفسها، أما الأسواق فكانت فى ضواحيها، وأشهرها بوجه خاص سوق تقام يوم الأحد عند باب الأكراد. وكان بجوار برذعة كثير من بساتين الفاكهة، ويصدر منها الحرير إلى خوزستان وفارس. وكان معظم مبانيها مشيدا من الطوب المحروق، أما أعمدة المسجد الجامع فكانت مشيدة من الطوب المحروق والخشب.

ووصف ابن الأثير لغارة الروس على مدينة برذعة سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ — ٩٤٤ م) مشهور، وقد ورد ذكر ذلك أيضا عند الكاتب الأرمنى موسى بن كلنكتواجى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى. واضطر الروس إلى الجلاء عن المدينة بعد أن أقاموا بها ستة أشهر لتفشى الطاعون بين جنودهم. ويظهر أن برذعة لم تقم لها قائمة بعد ذلك. ويقول ابن حوقل (طبعة ده غوى، ص ٢٤١، س ١٨) إن هذا راجع إلى «جور السلاطين وتدبير المجانين». أما المقدسى (طبعة ده غوى، ص ٣٧٥ ؛ س ١١) فيصف برذعة بأنها «بغداد هذه البلاد»، ولكنه يذكر أن أسوار المدينة كانت لعهـــده مهدمة، وأن البلاد المجاورة كانت خرابا بلقعا.

أما فى عهد ياقوت (جـ ١، ص ١٥٩).

فكانت برذعة كما هى الآن قرية يحيط بها كثير من الخرائب. ويظهر أن المدينة انتعشت شيئا ما فى عهد المغل. وهناك برج مرتفع قديم عليه نقوش كثيرة لم تحل رموزها حتى الى سنة ١٨٦١ م عندما كان يقيم هناك دورن B Dorn، وهذا البرج شيِّد فى عهد المغل وما زال باقيا إلى اليوم. وقد استطاع خانيكوف Khanikoff قبل ذلك بثلاثين عاما أن يقرأ عليه تاريخا هو سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م). وينسب إلى نادر شاه أنه كان السبب فى القضاء على برذعة قضاءً تاما ؟

المصـــادر

(١) J. Marquart : *Eranshahr*، برلين، ١٩٠١ م (٢) المؤلف نفســه: *Osteuropäische u. ostas. Streifzüge* ليبســك، ١٩٠٣ م، انظر الفهرس (٣) Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate*، كمبردج، ١٩٠٥ م، ص ١٧٧ وما بعدها (٤) A. Manandian : *Beiträge zur Albanischen Geschichte*، ليبسك، ١٨٩٧ م (٥) B. Dorn : *Caspia*، سانت بطرســبرج، ١٨٧٥ م، انظر الفهرس (٦) المؤلف نفسه : وصف رحلة له فى *Mélanges Asiatiques*، ج ٤، ص ٤٥٢ ومابعدها (٧) B. A. Dorna : *Atlas* انظر رسم البرج فى *putieseshtwiyu* سانت بطرسبرج، ١٨٩٥م، اللوحة السادسة.

[بارتلد W. Barthold]

« البرزالى » أبو القاسم بن محمد بن يوسف علم الدين الشافعى : مؤرخ عربى ولد فى إشبيلية فى جمادى الأولى من سنة ٦٦٥ هـ (فبراير سنة ١٢٦٧ م) من أبوين من البربر . ولما أتم عهد التحصيل رحل الى الشرق وأقام أول الأمر فى حلب سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) . وبعد أن أدى فريضة الحج سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) جاء إلى دمشق وأقام فيها وهناك تولى دار الحديث الأشرفية ثم الظاهرية أيضا سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) ، وتولى بعد هذا مشيخة دار الحديث النورية ومشيخة دار الحديث النفيسية .

وبينما كان البرزالى يحج حجته الرابعة توفى عند بئر خُلَيْص بين مكة والمدينة لأربع مضين من ذى الحجة سنة ٧٣٩ هـ (١٤ يونيه سنة ١٣٣٩ م) . وأهم مصنفاته كتابه الموسوم « تاريخ مصر ودمشق أو كتاب الوفيات » (مخطوط فى مكتبة كوپريلى رقم ١٠٤٧) وهو تتمة لتاريخ دمشق الذى وضعه أبو شامة إلى سنة ٧٢٨ هـ (١٣٣٨ م) وقد أتم هذا الكتاب من بعده تلميذه محمد ابن الرافعى (انظر هذه المادة) . وكتب البرزالى أيضا تاريخا موجزا للســنوات

(١) هو القاسم بن محمد بن يوسف الشيخ الإمام علم الدين أبو محمد بن العدل بهاء الدين بن الحافظ زكى الدين البرزالى الإشبيلى (فوات الوفيات، ج٢، ص١٦٢)

البقية

٦٠١ — ٧٣٦ هـ (١٢٠٤ — ١٣٣٥ م) ضمنه تعليقات عن الوفيات وملاحظات موجزة عن الحوادث السياسية والأحداث المشهورة سماه « مختصر المائة السابعة » . (انظر Ahlwardt : *Verzeichnis der arab. Hss. der Kgl. Bibliothek. zu Berlin* ، رقم ٩٤٤٨) .

المصـــــادر

(١) الكتبى : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ (٢) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ ٦ ، ص ٢٤٦ (٣) السيوطى : طبقات الحفاظ ، جـ ٢١ ، ص ١٤ (٤) Wüstenfeld : *Geschichtschreiber der Araber* ، رقم ٤٠٣ (٥) Brockelmann : *Gesh. d ar. Lit.* ، جـ ٢ ، ص ٣٦

[بروكلمان C. Brokelmann]

« برزخ » : كلمة فارسية وعربية معناها حائل أو حاجز أو فاصل . ووردت فى القرآن ثلاث مرات [سورة المؤمنون : الآية ١٠٠ ؛ سورة الرحمن ، الآية ٢٠ ؛ سورة الفرقان الآية ٥٣) وهى تفسر أحيانا تفسيرا خلقيا معنويا وأحيانا تفسيرا حسيا . وتقول الآيتان ١٠٠ و ١٠١ من سورة « المؤمنون » عن الذين ظلموا « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ، لعلى أعمل صالحا فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » . ويشرح الزمخشرى « البرزخ » فى هذه الآية فيقول إنه الحائل ويفسره تفسيرا معنويا بأنه حائل من عند الله[1] . وقد آثر غيره من المفسرين أن يجعلوا لهذه الكلمة مدلولا حسيا فقالوا إن البرزخ هو الحاجز بين الجنة والنار أو هو القبر الفاصل بين الدنيا والآخرة . أما الآيتان الأخريان من القرآن اللتان ورد فيهما ذكر البرزخ فهما تتحدثان عن بحرين أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج وبينهما برزخ يمنع اختلاطهما[2] . وقد ورد هذا المعنى أيضا فى سورة النمل الآية ٦١ وذكر فى هذه الآية كلمة « حاجز » بدلا من كلمة برزخ[3] . ويقول المفسرون لهذه الآية إن فيها إشارة إلى مياه شط العرب العذبة التى تتدفق فى البحر المالح لمسافة طويلة دون أن تختلط بمائه . والفصل بين المائين فى هذه الحالة نتيجة لقانون طبيعى وضعه الله .

وفى الكلام عن العالم الآخر تستعمل

(١) ليس فى عبارة الزمخشرى هذا المعنى ، ونص عبارته (جـ ٣ ، ص ٥٦ من طبعة المكتبة التجارية بمصر) : « ومن ورائهم برزخ : الضمير للجماعة ، أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث ، وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث ، وإنما هو إقناط كلى ، لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة » .

(٢) فى سورة الرحمن (الآيتان ١٩ و ٢٠) : « مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان » . وفى سورة الفرقان (٥٣) : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » .

(٣) فى سورة النمل (٦١) : « وجعل بين البحرين حاجزاً » .

احمد محمد شاكر

كلمة برزخ لوصف حدود عالم الكائنات الإنسانية الذى يتألف من السموات والأرض والعوالم السفلى وتميزها عن الله وعن عالم الأرواح. [انظر صورة تمثل هذا منشورة فى كتاب «معرفت نامه» تأليف إبراهيم حق (طبع بلاق، ١٢٥١هـ، ١٢٥٥هـ)، وانظر كذلك : Carra de Vaux: *Fragements d'eschatologie musulmane*].

ونجد هذه الكلمة مستعملة أيضا فى الفلسفة المعروفة بالحكمة المشرقية، وهى تدل فى اصطلاحها على الأجسام أو الجواهر المظلمة؛ فالبرزخ أو الجسم مظلم بطبعه. ولا يصبح منيرا إلا بعد أن يتصل بنور الروح. والأفلاك السماوية برزخ حى، وعلى عكسها الأجسام التى لا حياة فيها، فهى برزخ ميت[1] [انظر Carra de Vaux : *La Philosophie illuminative d'après Suhrawardi Meqtoul* فى المجلة الآسيوية، عدد يناير — فبراير سنة ١٩٠٢ م].

[كاراده فو B. Carra de Vaux]

(١) قال الراغب الأصفهانى فى المفردات : «البرزخ : الحاجز بين الشيئين، وقيل : أصله برزه، فعرب. وقوله تعالى «بينهما برزخ لا يبغيان» والبرزخ فى القيامة الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة فى الآخرة، وذلك إشارة إلى العقبة المذكورة فى قوله عز وجل «فلا أقتحم العقبة» قال تعالى «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» وتلك العقبة موانع من أحوال لا يصل إليها إلا الصالحون، وقيل : البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة» . ونحو ذلك فى لسان العرب أيضا فانظره. ونعرف من هذا أن البرزخ فى لغة العرب : الحاجز» وأن كل حاجز يسمى برزخا، سواء أكان حاجزا حسيا، أم حاجزا معنويا، الحسى فى الحسيات، والمعنوى فى المعنويات.

أحمد محمد شاكر

« البرزلى » أبو القاسم بن أحمد بن محمد ابن المعتل القيروانى، مؤلف عربى، ذهب إلى القاهرة فى حجه سنة ٨٠٦هـ [١٤٠٣ م] ثم أصبح إماما بالزيتونة، فمفتيا وواعظا ومدرسا فى تونس، وتوفى فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٨٤١هـ (٢٠ من أبريل سنة ١٤٣٨ م) وفى روايات أخرى أنه توفى سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠ م)، أو ٨٤٢هـ.

وقد صنف البرزلى كتاب « جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام» (انظر فهارس المخطوطات الشرقية : بالمتحف البريطانى، الفهرس العربى الثانى، رقم ٢٤٤ — ٢٤٦ ، الفهرس العام لمخطوطات المكتبات العامة فى فرنسا، قسم الجزائر، جـ ١٨ ، تأليف E. Fagnan رقم ١٨٣٣ — ١٨٣٤).

وربما كان المخطوط رقم ٢٤٧ الموجود بالمتحف البريطانى مشتملا على خلاصة من هذا الكتاب. وفى النصف الثانى من القرن التاسع جمع أحمد حلولو منتخبات من المسائل الواردة فى كتاب البرزلى، ويشتمل مخطوط الجزائر، رقم ١٣٣٧ على منتخبات صاحبها غير معروف، ويرجع تاريخها إلى سنة ١١٤٩هـ (١٧٣٦ م) ؟

المصـــــادر

(١) الزركشى : تأريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، ١٢٨٩هـ، ص ١٢٢ (٢) ابن مريم : البستان، الجزائر، ١٩٠٨م، ص ١٥٠

(٣) Brockelmann : *Gesch. d. ar. Lit.*، ج ٢، ص ٢٤٧ .

[بروكلمان C. Brockelmann]

« برزند » : مدينـــة شمالى شرق أذربيجان ، ذهب جغرافيو العرب فى القرون الوسطى إلى أنها من أعمال موقان . وهو سهل كبير ملىء بالمستنقعات ، بين نهر الرس فى الشمال، وجبال طالش فى الجنوب وبحر قزوين فى الشرق . ويزعم كثير منهم أن برزند مكان فى أرمينية (انظر : ياقوت مثلا ، فى كلامه عنها) ويظهر أن هذا راجع إلى الخلط بين برزند وبرزنج وهى مدينة فى جنوب شرق برذعة .

وبرزند على مسيرة ١٤ فرسخا من أردبيل الجنوبيـة أو خمسة عشر فرسخا كما يقول ياقوت، وهى عبارة عن خمسين أو أربعـة وخمسين ميلا . اتخذها حيدر بن كاوس الأفشين قائد جند المعتصم مقرا لعسكره عندما كان مشتغلا بالقضاء على الفتنة الخطرة التى قام بها بابك زعيم فرقة الخرّميـة سنة ٢٢٠ — ٢٢٢ هـ (٨٣٥ — ٨٣٧ م) . ثم جلا عن المدينة وأعاد بناءها مرة أخرى .

وازدهرت المدينـة بعد ذلك ازدهارا كبيرا . ويقول ابن حوقل فى وصفها إنها مدينة كبيرة ؛ أما المقدسى (٣٧٥ هـ = ٩٨٥ م) فيثنى على أسواقها العامرة التى كانت تخزن فيها سلع الأقاليم المجاورة المعدة للتصدير . وفى زمن المستوفى (٧٤٠ هـ — ١٣٤٠ م) كانت برزند أصبحت قرية خاملة ، وما زال هذا شأنها إلى اليوم ، وهى على خط طول ٣٩° ، وخط عرض ٤٧ $\frac{٢}{٣}$° شرقى جرينوتش

المصـــادر

(١) المجموعة الجغرافية العربيـة طبعـــة ده غوى ، فى مواضع متفرقة (٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٦٢ (٣) أبو الفداء طبعـة باريس ، ص ٤٠٢ (٤) البلاذرى : طبعة ده غوى ، ص ٣٢٩ (٥) Le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate* ١٩٠٥ م ، ص ١٧٥ — ١٧٦ (٦) Weil : *Gesch. der Chalifen* ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ هامش ٢ ، وكتبت فيه خطأ برزند Bezrend ؟

[سترك M. Streck]

« برزونامه » : ملحمة فارسـية من الشعر القصصى كتبت على غرار الشاهنامة التى ألفها الفردوسى وهى متممة لها ، كاتبها غير معروف ، ولـكن يرجح أن تاريخها يرجع إلى القرن الخامس للهجرة (الحادى عشر الميلادى) أو إلى أوائل القرن السادس (الثانى عشر الميـــلادى) وهى من القصائد التى تتحدث عن رستم وسجستان وتصف مغامرات برزو بن سهراب وحفيد رستم . ونظرا لأن هذه القصيدة ليست إلا تنويعا لمغـامرات سهراب وجهانكير فقد ذهب نولدكه Nöldeke إلى أنها اختراع من الشاعر

لا يستند إلى القصص الشعبي، وقد أفاضت برزونامه كثيرا فى وصف الحروب ضد الصقالبة، وهى تمثلهم بالشيطان وتسمى ملكهم «ديو صقلاب». أما القصة التى تتحدث عن المغنى الطورانى سوسن الذى عمد إلى الحيلة فأسر كبار الأبطال الإيرانيين ثم أرسلهم مكبلين فى الأغلال إلى أفراسياب، فقد اعتبرت دائما قصة مستقلة.

وقد نشر أجزاء من النص «ترنرماكن» Turner Macan (الشاهنامة، جـ ٤، ص ٢١٦٦—٢٢٩٦) وكوزجارتن Kosegarten (Mines de l' Oient، جـ ٥، ص ٣٠٩) وفولرز Vullers (Chrest. Schahnam.، ص ٨٧ وما بعدها) ؟

المصـــادر

(١) J. Mohl: Le Livre des. Rois، المقدمة ص ٦٤ وما بعدها (٢) Nöldeke: Grundr. d. iran. Philol.، جـ ٢، ص ٢٠٩ (٣) Ethé: فى المصـــدر نفسه، ص ٢٣٤ (٤) Vittorio Rugarli: Susen la cantatrice, episodio del Libro di Berzu فى Giorn della Soc. As. ital، جـ ١١، ص ١٨٩٧ وما بعدها.

[هيوار Cl. Huart]

« برس » واسمها الحديث بِرْس وتسمى أيضا «برس النمرود». موضع خرب على مسيرة تسعة أميال فى جنوب غربى مدينة حِلَّة على نهر الفرات، وعلى بعد اثنى عشر ميلا من الناحية الجنوبية الغربية لمدينة بابل على الشاطئ الشرقى لبحيرة هندية. وهذا الموضع كان فيه مدينة بورسپه Borsippa القديمة التى كانت موجودة فى عهد بابل. وآثار هذه المدينة هى أكبر الآثار التى بقيت من عهد بابل ولهذا ظنها العرب صروح النمروذ ابن كنعان (انظر ياقوت، جـ ١، ص ١٣٦) أو صرح بختنصر (انظر ياقوت، جـ ١، ص ١٦٥) ولقد ظُن فى العصر الحـــديث أيضا أن هذه الخرائب آثار برج بابل، وظل هذا الزعم فى ازدياد حتى بعد أن دلل رولنسن H. Rawlinson من النقوش على أنها آثار برج معبد «نبو» الذى كان موجودا فى بورسپه.

وليس من الواضح تماما أنه كانت توجد مدينة فى العهد الإسلامى مكان تلك المدينة القديمة، ويتحدث البلاذرى عن أجمات برس (بالسريانية أجى) لا غير، وهى الأرض الكثيرة المستنقعات والمحيطة ببحيرات برس التى فتحها على. ويذكر ابن قدامة برس العليا وبرس السفلى ويسميهما ابن خرداذبة فى كشوف الخراج السبين والوقوف، ويقول إنهما من طساسيج أستان بهقباذ الوسطى.

وكان إقليم بابل، وبخاصة مدينة بورسپه، مشهورا فى الزمن القديم بصناعة النسيج (انظر استرابون Strabo، جـ ١٧، ص ١، س ٧). وظلت هذه الصناعة قائمة فى عهد العرب.

وكانت الثياب التى تصنع فى برس تسمى البرسية كما يقول المسعودى فى مروج الذهب (ج ٦ ، ص ٣٩) أو الخترانية نسبة إلى الطسوج الذى كان موجودا بين برس وبابل وحلة حسب تصحيح هوفمان Hoffmann . وينبغى أن تصحح كلمة نرسية التى وردت فى ياقوت (ج ٤ ، ص ٧٧٣) فتقرأ بُرسية

المصـــادر

(١) ابن خرداذبة ، طبعة ده غوى ، ص ١١ (٢) المسعودى: مروج الذهب ، طبعة باريس ، ج ٦ ، ص ٥٩ (٣) البلاذرى، كتاب فتوح البلدان ، انظر الفهرس (٤) قدامة ، طبعة ده غوى ، ص ٢٣٨ (٥) البكرى ، ص ١٤٩ (٦) ياقوت: معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ٥٦٥ ، ج ٤ ، ص ٧٧٣ (٧) M. Streck: *Babylonien nach den arabischen Geographen* ، ص ١٦ (٨) A. Berliner: *Beiträge zur Geographie und Ethnographie Babylonien im Talmud und Midrasch* ، ص ٢٦ (٩) G. Hoffmann: *Syrische Akten Persischer Märtyrer* ، ص ٢٦ ، ٢٠٦ (١٠) H. Rawlinson: *On the Birs Nimrud or the Great Temple of Borsippa* فى *Journ. of the Royal As. Soc.* ، ص ١٧ ، ١٨٦٠ م (١١) H. V. Hilprecht: *Explorations in Bible Lands* ، ص ١٨٢ وما بعدها

[هرزفلد Ernest Herzfeld]

«برسباى» : الملك الأشرف سيف الدين سلطان مصر ، ضم إلى مماليك السلطان برقوق برياسة المؤيد شيخ (٨١٥—٨٢٤ هـ = ١٤١٢ — ١٤٢١ م) والى طرابلس ، ولما توفى المؤيد سجن برسباى ولكن السلطان « ططر » أفرج عنه فى الحال وعينه دوادارا وأتابك لابنه . وتوفى ططر بعد ذلك بوقت قريب بعد أن جعل برسباى وجانى بك الصوفى وصيين على ابنه الذى كان قاصرا فى ذلك الوقت .

وبعـــد أن عزل جانى بك وسجن فى الإسكندرية خلع برسباى محمدا بن السلطان « ططر » واستولى على العرش سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) واشتهر أول الأمر لأنه أخرج غير المسلمين من مناصبهم وسن أحكاما للباسهم للتمييز بينهم وبين المسلمين . وأبطل برسباى تقبيل الناس للأرض عند المثول بين يديه ، وفر جانى بك من سجنه بالإسكندرية ، فعاقب برسباى الذين أعانوه على الفرار شر عقاب . ونشبت فتنة فى الشام أطفأها فى عنف وقسوة .

ولما قضى برسباى على الفتن ، اعتزم القضاء على القرصان وإخراجهم من جزيرة قبرص التى اتخذوها مركزا لهم ، وبعد أن وجه ضدهم حملتين موفقتين جعل همه كله فى الاستيلاء على الجزيرة استيلاء مستديما ، فأنزل فيها جيشا قويا ، وهزمت جنود مصر جيش الملك يانوس Janus الذى بعث به

ليقاتلهم سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) ، وأسرت الملك . ولم يجرأ أسطول قبرص على مهاجمة السفن المصرية لينقذ الملك من أيدى المصريين. وجىء بالملك يانوس إلى القاهرة وحمل على دابة اخترقت به شوارع العاصمة إعلانا لنصر برسباى ، ثم خلى عن يانوس بعد أن توسط فى الأمر قنصل البندقية على أن يدفع فدية كبيرة وأن يعترف بتبعيته للسلطان . وعقد برسباى أيضا محالفة سلمية مع فرسان القديس يوحنا John فى رودس .

وكان شريف مكة قد أبى الاعتراف بسيادة السلطان برسباى فجرد عليه جيشا وأكرهه على الخضوع له سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤م)، وألزمه بدفع الجزية وأن يحمل إليه خراج ميناء جدة . وأحسن معاملة التجار الهنود ليزيد فى إيراد ميناء جدة فخسرت بذلك ميناء عدن خسائر فادحة . وحرم برسباى على التجار المصريين أن يبعثوا إلى جدة بالسلع المصرية أو الأوروبية ، وبهذا أكره التجار الهنود على شراء تلك السلع من مندوبيه ، وأن يدفعوا لها أسعارا حددها بنفسه تحديدا تعسفيا، وأكره جميع التجار من أينما جاءوا على أن يدفعوا عن سلعهم الرسوم الجمركية لمصر ، وفرض برسباى أيضاً رسم تصدير على السلع الهندية التى كان يشتريها تجار من الشام أو مصر .

وكان السلطان دائما شديد الحاجة إلى المال لإسرافه الذى لم يكن له حد ، فحاول الحصول عليه بجميع الوسائل . فكان يغير من وقت إلى آخر سعر الذهب والفضة بما فيه صالحه ، وكان يحرم تداول العملة الأجنبية ليستطيع شراءها بثمن بخس ثم يحيلها إلى عملة مصرية ، ومنع استيراد التوابل من الهند ، ثم اشتراها رخيصة ليبيعها بربح كبير بعد أن انعدمت المنافسة . ولكن البنادقة لم يرضوا عن احتكار تجارة التوابل فتظاهروا بأسطولهم وأكرهوا السلطان على عقد معاهدة تجارية أكثر رعاية لمصالحهم ، ولم يبق فى يده إلا احتكار تجارة الفلفل .

ولما ألغى ملكا قشتالة وأرجون أن اعتراضاتهما لاصدى لها عند برسباى أسرا عشرين سفينة من سفن المسلمين . واحتكر برسباى أيضا زراعة قصب السكر وقتا ما وأحس الناس بفداحة الثمن الذى حدده السلطان للسكر أكثر من أى شىء آخر لأنهم كانوا يتخذون منه دواء ضد الطاعون . وقضى السلطان على التجارة بالركود شيئا فشيئا بمنعه بيع المصنوعات الشامية للأفراد ، وكذلك الخشب والحبوب ، وقيد تجارة الماشية فانتشرت المجاعة حتى فى سنوات الرخاء . وكادت تخلو نواحى كثيرة فى مصر من السكان لسوء حكم برسباى من ناحية ولانتشار الطاعون من ناحية أخرى . وأساء المماليك معاملة النساء فحرّم السلطان على النساء أن يغادرن بيوتهن فى المواسم (انظر مادة جقمق) ، واستولى مفتشو الجيش على

خيول الفلاحين . وفرضت عليهم ضرائب باهظة .

واعتبر السلطان وباء الطاعون الذى خرّب البلاد عقابا من الله ، فاضطهد اليهود والنصارى ومنع النساء من الخروج من منازلهن حتى لا يهملن أداء واجباتهن المنزلية

ولم تنقطع الحروب فى الشام أبدا منذ سنة ٨٣٢ ﻫ (١٤٢٩ م) ، وكان شاهرخ ابن تيمور من وراء هذه الحروب يوجهها ويغذيها بعد أن أغضبه السلطان بسوء لقائه لرسله الذين أوفدهم إلى القاهرة . ولأنه أبى عليه أن يكون له نصيب فى تزيين الكعبة ، فأخذ يمد يد المعونة إلى قره يولق وهو أمير من أمراء القطيع الأبيض . وكان برسباى يشن الحرب عليه فى استمرار ، واستؤنفت الخصومة بين السلطان وبين أمراء ذى القدر، وكان جانى بك ، وهو ألد خصومه، قد ظهر مرة أخرى فى سنة ٨٣٩ﻫ (١٤٣٥م) ودأب على إثارة نفوس خصوم السلطان عليه . ومع هذا فقد انتصر السلطان فى آخر الأمر ، وقتل فى الحرب قره يولق ، وعقد الصلح بين أمير قرمان الذى كان يحميه السلطان برسباى وبين السلطان مراد العثمانى، وبهذا استطاع برسباى أن يتغلب فى سهولة ويسر على أمراء ذى القدر ، وقتل جانى بك بيد واحد من أبناء قره يولق ، وخضع بقية أبنائه للسلطان . على أن برسباى لم يعش بعد ذلك طويلا ، إذ قضى عليه المرض سنة ٨٤٢ ﻫ (١٤٣٨ م) بعد أن جعل ابنه يوسف خليفة له فى الملك وعين الأمير چقمق وصيا عليه .

المصـــــادر

(١) المنهل الصافى . مخطوط بالقاهرة ، ورقة ١٣٠٧ – ٣١٣ ب (٢) ابن إياس ، طبعة بلاق فى مواضع مختلفة (٣) Weil : *Geschichte der Chalifen* ، جـ ٥ ، ص ١٦٤ — ٢١٤ (٤) Muir : *Mameluke or Slave Dynasty of Egypt* ، ص ١٣٧ — ١٤٨ .

[سوبرنهيم M. Sobernheim]

« برسُق » (معناه غرير[1] فى اللغة التركية الشرقية) لقب صاحب السلطان طغرل بك السلجوقى ، ولى أول الأمر شحنة بغداد بعد حريقها الذى حدث عام ٤٥١ ﻫ (١٠٥٩ م) ثم تولى قيادة فرقة من مقدمة الجيوش التى أنفذها ملكشاه إلى حلب عام ٤٧٩ ﻫ (١٠٨٦ م) . وسار بين يدى جهاز ابنة ملكشاة عند زفافها إلى الخليفة عام ٤٨٠ ﻫ (١٠٨٧) . وانحاز إلى صف بركيارق فى قتاله مع عمه تتش ، وصحبه بعد هزيمته . ثم سار معه حتى إصفهان عام ٤٨٧ ﻫ (١٠٩٤م) وخر برسق صريعا إثر طعنة من يد رجل من

(١) الغرير حيوان من فصيلة السراعيب بين الكلاب والسنور [معجم الحيوان ، ص ٢٣)

الإسماعيلية فى رمضان من سنة ٤٩٠ هـ (أغسطس ١٠٩٧) وأعطى برسق خراج تستر وسابورخواست [1] بين الأهواز وهمذان وهما من أعمال خوزستان . وورثته ذريته من بعده ، وكانت من القوة بحيث استطاعت القبض على الثائر منكبرس (ابن الأثير ، جـ ١٠ ، ص ٢٧٤) وبعثت به إلى السلطان محمد .

وعلى أثر هذا الحادث استنزلهم السلطان عن إقطاعهم ليعطيهم بدله خراج دينور وما حولها عام ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) .

وكان ابن برسق ، ويسمى أيضا بالاسم نفسه ، قد أوفد بركيارق لقتال ينال قائد جند السلطان محمد الذى كان قد أغار على مدينة الرى فهزمه عند أسوارها عام ٤٩٧ هـ (١١٠٣ م) . وأصيب برسق بالنقرس لحمل على محفة وكان هذا سببا فى انحلال جيوش المسلمين فى الشام عام ٥٠٥ هـ (١١١١ — ١١١٢ م) ثم عين برسق بعد ذلك قائداً للجيش الذى جنده السلطان محمد لقتال إيلغازى وطغتكين الثائرين ثم لقتال الصليبيين عام ٥٠٨ هـ (١١١٥ م) . فعبر الفرات عند الرقة فى آخر هذا العام ثم سار إلى حماة واستولى عليها . ولما ألفى الصليبيين مشغولين بنهب معسكر المسلمين عند أنطاكية أراد مهاجمتهم غير أنه اضطر إلى التقهقر . وتوفى عام ٥١٠ هـ (١١١٦ — ١١١٧ م) .

وكان برسق رجلا خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وكان يتجهز للعودة إلى القتال من جديد عند ما فاجأه الموت .

وانضم حفيده برسق إلى ثورة أمراء الترك الذين انتقضوا على السلطان مسعود لينحازوا إلى صف الخليفة المسترشد عام ٥٢٩ هـ (١١٣٥ م) وحاولوا أن يتصلوا بالخليفه لهذا الغرض . وتولى برسق قيادة فرقة من ميمنة الجيش فى موقعة دايمرج التى حدثت لعشر خلون من رمضان (٢٤ يونية) وكان أيضا من الأمراء الذين ثاروا على مسعود عام ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م) ثم سالموه فى العام التالى .

المصادر

ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ١٠ ، ص ٦ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٣ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٦ ، — ٣٥٨ ؛ جـ ١١ ص ١٤ ، ٢٣ ، ٣٠ .

[كليمان هيوار Cl. Huart]

« البرسقى » : أنظر آق سنقر

« برشويش » كلمة عربية هى تصحيف للكلمة اليونانية Περσεύς (أنظر Vullers ، *Lexicon Pers. Lat.* وقد ورد رسمها فيه

(١) وردت سابرخاست فى المسالك والممالك لابن خرداذبة .

برسياوش) وهي صورة سماوية تسمى برشاوش (انظر القزويني ، طبعة فستنفلد ، ج١ ، ص ٣٢ ؛ Ideler : *Untersuchungen Uber den Ursprung und die Bedeutung der Sternnamen* ص ٨٦ وما بعدها) .

« برشلونة » : أطلق هذا الاسم على مدينة برسينو *Barcino* الأيبيرية القديمة كما أطلق روسيون Roussillon على مدينة رسكينو *Ruscino* فصار علماً عليها ، وليس لمدينة برسينو صلة باسم القائد هملكار بركاس ، إذ هي مدينة ليتاني *Laeetani* القديمة ، خلفت على التدريج محل مدينة تراكو *Tarraco* (طرّكونة) الواقعة إلى الجنوب الغربي منها . وكانت طركونة عاصمة أسبانيا الشمالية الشرقية الرومانية *Hispania Tarraconensis* . وقد استولى العرب على مدينة برشلونة عام ٧١٣ هـ إبان غزوتهم الأولى بقيادة موسى بن نصير ، أما اسمها الذي عرفت به عند العرب فهو برشنونة ، ولكن جرت الألسنة بتسميتها برشلونة التي أخذ منها اسمها الإفرنجي الحديث برسلونة *Barcelona* فهذا الاسم يعتبر كأنه مشتق من برشنونة *Barcinona* في اللغة اللاتينية المتأخرة .

وقد ورد اسم برسلونة *Barcilona* في كتاب أوروسيوس Orosius كما ورد بهذا الرسم " *Barcelona* " في المصنف الجغرافي المؤلف في موضوع إقليم رَبِنّة[1] *Ra-venna*] انظر Hubner في *Pauly-Wissowa*) ولم يطلق على هذه المدينة اسم برجلونة إلا قليلا . والنسبة إلى هذه المدينة البرجلوني[2]

(١) إن مدينة Ravenna عند الإيطاليين ║ Ra-venne عند الفرنسيين من مدن إيطاليا في الإقليم المعروف باسم رافينانس Ravennates وكانت عاصمة دولة الغرب في عهد عاهلها هنوريوس Honorius ║ من سنة ٣٩٥ إلى سنة ٤٢٣ بعد الميلاد) . وقد عرف العرب تلك المدينة في جولاتهم وفتوحاتهم بشبه جزيرة إيطاليا فأسموها ربنة بفتح فكسر فنون مشددة . وقد ذكرها الشريف الإدريسي فقال في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المطبوع بمدينة رومة العظمى : « وإلى جانب إقليم قرنطارة ... بنصرة وقشتلو وربنة وقماقة » ألخ ، وهذه الأقاليم والمدن الايطالية هي المعروفة الآن بأسماء : -Carin zia Comacchio و Pesaro و Citta de Castello

محمد مسعود

(٢) جاء في بعض الآراء أن برسينو كانت مستعمرة للفينيقيين وذهب بليناس Pline إلى أنها كانت مستعمرة للرومان وأنهم كانوا يسمونها فافنتيا Faventia . ومما لا مراء فيه أنها كانت بلدة حقيرة الشأن تكاد لا تذكر إذا قيست بثغر طركو Tarraco المعروفة الآن باسم طركونة Tarragone ثم أخذ نجمها يرتفع شيئاً فشيئاً منذ أوائل القرون الوسطى . وكانت في سنة ١٢٣ للهجرة (سنة ٧٤٠ للميلاد) عاصمة إحدى الولايات الإسلامية الأندلسية ثم استخلصها من أيدي المسلمين الأمير اويس ابن شرلمان وتداولتها بعد ذلك أيدي الأمراء المسيحيين الذين اتخذوها عاصمة لهم حتى سنة ١١٣٧ للميلاد (٥٣٢ للهجرة) ثم ألحقها ملوك أرجون أو أرغن بمملكتهم وجعلوها مقراً لأساطيلهم فعاصمة لملكهم . وكان العرب يسمونها في ذلك الوقت برشنونة بنون بدلا من اللام ويسمون مملكة أرجون كلها بمملكة البرشنوني كما يثبته قول المعجب في تلخيص أخبار المغرب لمحيي الدين المراكشي ، فإنه بعد أن ذكر أسماء أعمال أرجون التي كانت في قبضة بني هود أصحاب طرطوشة ثم خرجت منها سرقسطة وأفراغة ولاردة وقلعة أيوب قال : « هذه البلاد كلها اليوم بأيدي الإفرنج يملكها صاحب برشنونة لعنه الله وهي البلاد التي تسمى أرغن

وهو اللقب الذى كان يطلق عادة باختصار على ملك أرجون وقطلونية فى الأزمنة المتأخرة (انظر المجلة الآسيوية عام ١٩٠٧ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ وما بعدها) . وفى عام ٢٨٥ هـ غزا لويس بن شرلمان هذه المدينة بصفته حاكما لإقليم أكويتانيا *Aquitaine* فصارت عاصمة الأطراف الأسبانية لمملكة الفرنجة ، كما صارت منذ عام ٨٨٨ م عاصمـــة أشراف برشلونة أو قطلونية المستقلين. وفى عام ٢٤٢هـ (٨٥٦ م) احتل العرب مدينة برشلونة حقبة من الزمن (انظر البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٩٨) ، ثم فتحها المنصور بن أبى عامر عنوة للمرة الأخيرة فى عام ٩٨٥ م . ولـكن سرعان ما استردها بعد ذلك الـكونت بوريل الأول Borell عام ٩٨٧ (انظر Dozy : *His-toire des Musulmans d'Espagne* جـ ٣ ، ص ١٩٩) . وفى القرن الثانى عشر (١١٣٧) ألحقت هذه المدينـــة بمملكة أرجون . ومما يجدر ذكره أن على بن مجاهد العامرى أمير دانية *Denia* أخضع الأساقفة المستعربين فى الجزر الشرقية أى جزر البليار (انظر هذه المادة) وكذلك أساقفة دانيـــة وأريولة *Orihuela* إلى كبير أساقفة برشلونة بمقتضى مرسوم أصدره فى عام ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م (انظـــر Simonet : [illegible] *de les mozarabes de Espäna* : Memoria [illegible] la Real Academia de la Historia جـ ١٣ ، مدريد عام ١٩٠٥ ، ص ٦٥١ — ٦٥٤ ؛ Campaner : *Bospuejo historica de la do-minacion islamita en* [illegible] *islas Baleares* بالما ١٨٨٨ ، ص ٨٢ — ٨٤) .

المصـــــادر

(١) مراصد الاطلاع ، ليدن عام ١٨٥٩ ، جـ ٤ ، ص ٣٠٤ (٢) Madoz : *Diccionario geogr.estad. hist.* جـ ٣ ، ص ٥٨٢ وما بعدها (٣) Bofarull : *Los Condes Barcelona vindicados* ، برشلونة ١٨٣٦ (٤) Simonet ، ص ٩٢٩

[سيبولد C. F.Seybold]

« برصيصا » قصة برصيصا ترتبط دائما بالآية ١٦ من سورة الحشر : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين » ويفسر المفسرون هذه الآية على ثلاثة أوجه : الوجه الأول أن المراد من الإنسان الجنس. والوجه الثانى أن المراد هو قصة كيف أضل الشيطان أبا جهل إبان غزوة بدر (القرآن ، سورة الأنفال ، آية ٥٠ ، ابن هشام ، ص ٤٧٤) والوجه الثالث أن المقصود هو راهب أو متعبد .

وحد هذا الاسم آخر مملكة البرشنونى مما يلى بلاد افرلسة » ألخ . ومن الجائز أن تكون مدينة برشنونة قد عرفت فى وقت ما بيرجلونة بجيم ولام فى مكان الشين والنون ولـكن هذا الرسم لم يمر بنظرى فيما طالعته من التواليف الباحثة فى تاريخ الأندلس وجغرافيته .

محمد مسعود

وقد أخذ بالوجهين الأولين فقط كل من الزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) والرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م (مفاتيح الغيب ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ ، القاهرة عام ١٣٠٨هـ) والنيسابورى المتوفى عام ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) على هامش تفسير الطبرى ، وهو يتبع الرازى بدقة ، وأبو السعود المتوفى عام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) على هامش الرازى (جـ ٨ ، ص ٢٥٨) . ولكن الروايات القديمة الخاصة بالتفسير تفضل الوجه الثالث ، وهو يتلخص فى القصة التالية التى وردت فى صيغ مختلفة تتفاوت طولا وقصرا .

كان راهب أو عابد أو قس من بنى إسرائيل أو من غيرهم يعيش فى صومعته ، وظل يتعبد فيها ستين سنة ثم إن الشيطان أرادة فأعياه ، لكنه وقع آخر الأمر على امرأة قدمت عليه أو أحضرت إليه . واختلفت الروايات فى شأن هذه المرأة ، فقيل إنها كانت ترعى الغنم ، وقيل أنها كانت ابنة جار له ، وقيل إنها كانت أميرة وإنه كان لها ثلاثة أو أربعة إخوة ، وتزعم رواية إنها كانت مريضة ، وفى رواية أخرى أنه أخذها الجنون فعهد بها إخوتها إلى هذا الراهب . فلما وقع عليها حملت منه فقتلها ليخفى خطيئته ودفنها فى بيته أو تحت شجرة فى قول آخر . وتختلف الروايات فى مدى أفاعيل الشيطان بالراهب . فيذهب بعضها إلى أن الشيطان أجنها ليذهب بها إلى من يشفيها ، وتزعم أخرى أن الشيطان زين له أن يقع عليها بعد أن أحضرت إليه . وتقول روايات أخرى إن الشيطان التمس له المخرج فزين له قتلها . ثم إن الشيطان أتى شخصا فى المنام وكشف له الستر عن هذه الخطيئة أو أنه كشفها بوجه آخر . وتحققت الرؤيا بالعثور على الجثة وبالحالة التى وجدت عليها ، فأخذ الراهب وحكم عليه بالموت ، وعندئذ ظهر الشيطان وقال إنى أنا الذى زينت لك هذه الفعلة وإنى لمنجيك منها إذا سجدت لى ، فسجد له الراهب ثم توارى الشيطان مرددا الآية التى ذكرناها فى صدر هذا المقال . وقد أورد الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ (٩٢٣ م) أربع روايات فى تفسير هذه الآية إحداها عن على والثانية عن ابن مسعود والثالثة عن ابن عباس والرابعة عن طاوس . (الطبرى : التفسير ، جـ ٢٨ ، ص ٣١ وما بعدها) إلا أن صاحب كنز العمال (طبعة حيدر آباد ، عام ١٣٢١ ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ ، رقم ٤٦٦٣) يورد روايات عن هذه القصة أقدم من روايات الطبرى ، فهو يأخذ عن كتاب « الجامع » لعبد الرزاق ابن همام المتوفى عام ٢١١ هـ (٨٢٦ م) و « مسند » إسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٣٣ هـ (٨٤٧ م) وعن كتاب « الزهد » لأحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١هـ (٨٥٥م) و « مسند » عَبْد بن حُمَيْد المتوفى عام ٢٤٩هـ (٨٦٣م) وتأريخ البخارى المتوفى عام ٢٥٦هـ (٨٧٠ م) . ويقول صاحب كتاب الكنز إنه جاء بعد الطبرى آخرون رووا هذه القصة

وهم : محمد بن إبراهيم المعروف بابن المنذر المتوفى عام ٣٨٧ هـ (٩٣٠ م) وأبو عبد الله محمد المعروف بالحاكم المتوفى عام ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) فى كتابه المستدرك ، وأحمد ابن موسى المعروف بابن مردويه المتوفى عام ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) والبيهقى المتوفى عام ٤٥٨ هـ (١٠٦٦م) فى كتابه « شعب الإيمان » وقيل فى تعليق على هامش « جامع البيان » لمعين بن صفى [طبع فى دهلى عام ١٢٩٦ ، ص ٤٦٩) إن البغوى المتوفى عام ٥١٦هـ (١١٢٢م) هو أول من قرن اسم برصيصا بهذه القصة ، ولكن هذا الاسم ورد قبل ذلك فى كتاب « تنبيه الغافلين » لأبى الليث السمرقندى المتوفى عام ٣٧٥ هـ أو ٣٨٣ هـ (٩٣٣ م) .

ويمكن الرجوع إلى كتاب - Goldziher

Legende [redacted] *mönch Barsisa* :Landberg

فيما يختص برواية السمرقندى لهذه القصة .

وقد نقل هذا الكتاب القصة عن رواية القزوينى (طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٣٦٨) والأبشيهى فى كتابه المستطرف (الباب الرابع والستون) . وأشار البيضاوى فى هذا الشأن إلى راهب ما . أما السيوطى فإنه لابد أن يكون قد فصل الكلام عن هذه القصة فى كتابه الدر المنثور ، يدلنا على ذلك تعليق ورد فى هامش جامع البيان . وأضاف السيوطى إلى روايات الطبرى ما نقله عن البيهقى من أن ابن أمامة حكى هذه القصة عن النبى نفسه . والحق أن أكثر الروايات تفصيلا لهذه القصة هى رواية الشربينى المتوفى عام ٩٩٧ فى كتابه « السراج المنير » (جـ ٤ ، ص ٢٤٣ وما بعدها ، طبعة ١٢٩٩ هـ) . وجاء فى هذه الرواية أنها أخذت عن ابن عباس على لسان شخص يدعى عطاء ، ولكنها تختلف اختلافا بينا عن صيغة القصة التى ينسبها الطبرى لابن عباس . وهى قريبة جدا من الرواية المفصلة التى أخذها جولدسيهر ولندبرج — Goldziher Landberg عن كتاب الأربعين وزيرا (طبعة استامبول عام ١٣٠٣ هـ ، ص ١٢٠ — ١٢٦) وأضحت هذه القصة تؤلف جزءا ثابتا من هذا الكتاب فى عام ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) . وتختلف القصة كما وردت فى طبعة استامبول لكتاب الوزراء الأربعين عن النصوص التى ترجمها كل من ده لا كروا وجب Petis de la Croix et Gibb كما أنها أكثر تفصيلا . وقصة الراهب وردت أيضا فى كتاب النوادر للقليوبى (طبعة عام ١٣٢٤ ، رقم ٥٢ ، ص ٢٠) وانتقلت إلى أوربا عن طريق الصيغ المختلفة لكتاب الأربعين وزيرا وأصبحت آخر الأمر المصدر الذى استقى منه لويس M. G. Lewis كتابه المعروف باسم *Ambrosio or the Monk* . ولكنا لا نعرف إلى الآن المصدر الجاهلى الذى أخذت منه . وقد ذاعت هذه القصة فى جميع البقاع الإسلامية ، ووجدها جولدسيهر ولاندبرج فى حضرموت كما لاحظ هارتمان Hartmann فى كتاب (*Der islamische orient* ، جـ ١ ،

ص ٢٣ وما بعدها) أن هذه القصة اصطبغت بالصـــبغة المحلية فى إقليم حلب . ويروى ابن بطوطة (جـ ١ ، ص ٢٦) أنه شاهد فى شرق الإسكندرية على الطريق الموصل إلى حلب قصر العابد برصيص .

وهناك تفصـيلات أخرى فى كتاب شوفان *Bibliographie arabe*: Chauvin ، جـ ٨ ، ص ١٢٨ وما بعدها ؟

[ماكدونالد D.B.Macdonald]

تعليق على مادة « برصيصا »

أولا : أن المفسرين الذين ذكروا قصـــة برصيصا عن تفسير هذه الآية إنما ذكروها على أنها مثال من مثل إغواء الشيطان للإنسان ، لا أن ذلك هو المراد منها وحده . قال العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٨ : ٣٠٠ من طبعة المنار) « وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بنى إسرائيل ، هى كالمثال لهذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هى منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها » .

ثانيا : أن ابن هشام ذكر فى السيرة فى هذا الموضع أن حادث يوم بدر كان مرويا على الشك على أنه مع أبى جهل أو مع عمير بن وهب .

ثالثا : أن المفسرين لم يذكروا أبا جهل فى هذا الموضع على التعيين ، وإمامهم الزمخشرى قال : « كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة ، والمراد استغواؤه قريشاً يوم بدر وقوله لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلم يذكر أبا جهل كما نسبه إليه كاتب المقال ، وكذلك من تبعه من المفسرين .

رابعاً : قصـة هذا الراهب وردت بألفاظ مختلفة ، بعضها مطول وبعضها مختصر ، وكلها موقوفة على الصحابة أو التابعين ، ليس شىء منها مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا رواية ذكرها السهيلى فى كتاب (التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام ، طبعة مصر سنة ١٣٥٦ ص١٢٧ — ١٢٨) وإسنادها ضعيف جدا ، لأنها من رواية عروة بن عبيد بن رفاعة الزرقى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا إسناد مجهول لا قيمة له ، لأن عبيد بن رفاعة تابعى ، لم يدرك النبى ، وأحاديثه عنه مرسلة ، فابنه أبعد من ذلك وأصغر ، ثم إن ابن سعد ذكر أولاده فى كتاب الطبقات (جـ ٥ ، ص ٢٠٤) ولم يذكر فيهم من يسمى « عروة » ، ونقله السيوطى فى الدر المنثور (٦ : ٢٠٠) عن عبيد بن رفاعة عن النبى ونسبه لابن أبى الدنيا وابن مردويه والبيهقى ، وهو حديث ضعيف ، لما قلنا من أن عبيد بن رفاعة لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك رواه ابن الجوزى فى كتاب تلبيس إبليس مطولا (ص ٢٦ — ٢٩) وجعله من رواية عروة ابن عامر عن عبيد بن رفاعة .

خامساً : وأكثر أسانيد هذه القصة إلى الصحابة ضعيف ، إلا إسناد روايتها عن على بن أبى طالب ، قال الطبرى فى التفسير (٢٨ : ٣٣) : « حدثنا خلاد بن أسلم قال حدثنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن أبى إسحق قال سمعت عبد الله ابن نهيك قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : إن راهبا تعبد ستين سـنة ، وإن الشيطان أراده

فأعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنها ، ولها إخوة ، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها، فجاءوا بها ، قال: فداواها وكانت عنده ، فبينا هو يوما عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إنك أعييتنى ، أنا صنعت بك هذا فأطعنى أنجك مما صنعت بك ، اسجد لى سجدة !! فسجد له فلما سجد له قال : إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله: كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين » . وهذا إسناد جيد ، عبد الله ابن نهيك — بفتح النون وكسر الهاء — كوفى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . ورواها أيضا الحاكم فى المستدرك (ج ٢، ص ٤٨٤—٤٨٥) من طريق عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن أبى إسحق عن حميد بن عبدالله السلولى عن على بن أبى طالب . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد » ، ووافقه الحافظ الذهبى . ولم أجد ترجمة لحميد بن عبد الله السلولى هذا .

سادسا : وهذه القصة المختصرة عن على ابن أبى طالب فيها عبرة وعظة ، وليست من الأحاديث المسندة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما هى من القصص الذى يحكى على سبيل الاعتبار ، ولعلها مما سمع الصحابة من اليهود من أخبار بنى إسرائيل ، مما يسميه علماء المسلمين « الإسرائيليات » فسواء كانت حقيقية أو غير حقيقية فإنها ليست تفسيراً للآية ، وإنما هى مثل من المثل ، وذكر المفسرين الأقدمين إياها على هذا المعنى ، واستشهاد على وغيره من الصحابة بالآية عقيب القصة على هذا المعنى أيضا ، ثم تزيّد الرواة الوضاعون الكذابون فى أمثال هذه الحكايات ، وخرجوا بها عن الحد الذى نقله المتقدمون ، واغتر المفسرون المتأخرون وغيرهم من العلماء فذكروا هذه الروايات المخترعة الباطلة ولم يكونوا يريدون إلا الوعظ والعبرة ، وكثير منهم لا يعرف الصحيح من الضعيف ، أو يعرفه ويكتفى بأن رواه بإسناده ، وأن القارئ العالم بالأسانيد سيظهر له ضعف الإسناد فلا يظنه صحيحا ، ثم ازداد الجهل بالسنة الصحيحة وبأسانيدها فى عامة العلماء فاختلط عليهم الصحيح بالباطل ، إلا من عصم الله ، وآتاه حظه من الرشد والتوفيق من الله .

سابعاً : كتاب «جامع البيان» الذى أشار إليه كاتب المقال هو تفسير نفيس لمعين الدين محمد بن عبد الرحمن الصفوى المولود سنة ٨٣٢ والمتوفى سنة ٩٠٥ هجرية وقد طبع فى دهلى قديما (سنة ١٢٩٦ هجرية) وقد طبع الثلث الأخير من هذا الكتاب سنة ١٣٥٥ بإشرافنا وتصحيح الشيخ محمد حامد الفقى، وقد ذكر فى (ص ٣٧٥) فى التعليقات المنقولة عن طبعة الهند أن السيوطى فى الدر المنثور نقله عن ابن أبى أمامة مرفوعا وعزاه للبيهقى ، وهذا شيء لم أجده فى الدر المنثور ، فلا أدرى ممن الخطأ فيه ، ولكنه خطأ بكل حال .

ثامنا : إن تسمية الراهب المنسوب إليه القصة باسم «برصيصا» لم يذكر فى كتب المتقدمين والروايات الأولى ، ولكنه ذكر فى كتب المتأخرين كالبغوى فى تفسيره (ج ٨، ص ٣٠٠—

٣٠٣ من طبعـة المنار) ثم من بعده . وقد قال السهيلي في كتاب التعريف والإعلام (ص١٢٨) «ويقال اسم هذا الراهب برصيصا ، ولم يذكر اسمه إسماعيل القاضي ، ولا أنا منه على ثقة » . وقال ابن كثير في تفسيره (٨: ٣٠٠): «واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم » .

تاسعاً : نسبة هذه الحكاية على طريقة علمائنا في تخريج الروايات ، لا على طريقة المستشرقين في خفاء هذه الطرق عليهم — : أن القصة مروية عن علي بن أبي طالب ، كما ذكرناها وذكرنا من رواها ، ورواها أيضا ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس ، ورواها ابن جرير عن ابن مسعود ، ورواها ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكلمنا على هذه الرواية فيما مضى في رقم (٤) ورواها ابن المنذر والخرائطي في اعتلال القلوب من طريق عدي بن ثابت عن ابن عباس ، ورواها عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس . وهذه الروايات ملخصة من الدر المنثور للسيوطي (ج ٦ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠) وذكرها أيضا البغوي مطولة جداً بدون إسناد من طريق عطاء وغيره عن ابن عباس .

عاشراً وأخيراً : لم نجد حاجة إلى ذكر شيء من تفاصيل هذه الحكاية واختلاف الروايات فيها ، فهي أهون من أن يشتغل بها ، إلا لبيان قيمتها ، والتحذير من ربط الصلة بينها وبين تفسير القرآن ؟

احمد محمد شاكر

ال« برطاس » (أو برداس ويرسمها البكري فُرداس) : اسم أمة وثنية في إقليم الفلجا . راجع الكلام عن صلاتهم بجيرانهم في الشمال والجنوب وهم الخزر والبلغار في مادة «بلغار» . ويطلق المسعودي اسم البرطاس أيضا على فرع لنهر إتيل ، وهو الفلجا (المروج ، ج ٢ ، ص ١٤ ؛ التنبيه ، ص ٦٢) . ويرى ماركار Marquart أن هذا النهر هو نهر سامره *Samara* (انظر *Osteuropäische und ostasiatische Streifzüge* ، ص ٣٣٦) ولم يذكر مصدر ما أنه كان بين هؤلاء القوم مسلمون كما كان بين الخزر والبلغار . أما رواية ياقوت عنهم (ج ١ ، ص ٥٦٧) فهي قائمة على سوء فهم ؛ فإن ما ذكره الإصطخري (طبعة ده غوى ، ص ٢٢٥) عن البلغار قد نسب خطأ إلى البرطاس . وكل ما ورد في ابن رسته (طبعة ده غوى ، ص١٤٧ وما بعدها) والبكري (Kunik & Rosen: *Izviestia al-Bekri etc* ج ١ ، ص ٤٤) وكرديزي (Barthold : *Otchet o poyezdkie v. Srednyuyu Aziyu* ص ٩٦) عن دين البرطاس هو أنه كان كدين الترك الغزية وأن فريقا منهم كان يحرق جثث موتاهم وفريقا آخر كان يواريهم التراب .

وكان البرطاس أقل حضارة إلى درجة كبيرة من جيرانهم ، ولم تكن فى أراضيهم سلطة حاكمة حقيقية غير كبار السن من رجال القبائل . وكانت الصـــلات التجارية بين البرطاس والعالم الإسلامى مهمة فى تجارة الفراء لاغير ، وقد ورد ذكر الفراء البرطاسى عند ياقوت (فى الموضع المذكور آنفا) .

ويقال إن البرطاس هم الفِنّيون الذين سماهم الروس باسم « مردوا » *Mordwa* (*Merdua* مردوا عند Rubruquis) وكانت بلادهم ملاصقة لبلاد الصقالبة على نهر أوكا *Oka* وتمتد نحو الشمال إلى مسافة بعيدة ، وقد أقام الروس فى تلك الربوع مدينة ترنيج نوفجورود سنة ١٢٢١ م . وخضع البرطاس لحكم الروس فى القرن السادس عشر الميلادى شأنهم فى ذلك شأن سائر الشعوب التى كانت فى إقليم الفلجا (إتيل) . وإن كانت الفتن ظلت بينهم حتى القرن الثامن عشر الميلادى . وعلى أية حال فقد ظهر أن البرطاس أكثر استعدادا لاعتناق المسيحية واصطناع الثقافة الروسية من الشعوب الإسلامية أو من أولئك الذين تأثروا بثقافة الإسلام . وقد امتزج عدد كبير من المردوا بالروس امتزاجا تاما واستغرقوا فيهم .

[بارتلد W. Barthold]

« برغش » بن سعيد بن سلطان ، كان سلطانا لزنزبار (بر الزنج) وقد خلف أخاه الأكبر مجيدا على العرش فى ٧ من أكتوبر سنة ١٨٧٠ م ، وظل فى الحكم إلى أن توفى فى ٢٧ من مارس سنة ١٨٨٨ م . وكان برغش فى طريقه إلى وطنه عائدا من عمان عند ما توفى أبوه سـنة ١٨٥٦ م ، فحاول اغتصـاب العرش .

وبعد أن اعترف بالملك لأخيه مجيد حاول أيضا إثارة الفتن بمســـاعدة العرب الساخطين وذلك فى سنة ١٨٥٩ م . ونجا برغش من الموت بأعجوبة وهو متنكر فى زى امرأة فى حماية أخواته ، وقد وصفت إحداهن وهى سلمى التى أصبحت تسمى فيما بعد « إميلى ريته » Emily Rüte هذا الحادث وصفا شيقا .

وأخيرا اضطرته ســـفينة إنجليزية إلى التســـليم . ثم نفى إلى بومباى حيث قضى ما يقرب من عامين . ولما عاد إلى بر الزنج جددت العلاقات بينه وبين أخيه السلطان مجيد تحت إشراف الحكومة البريطانية . ولما توفى مجيد خلفه برغش بعد أن وعد المندوب الإنجليزى بالاعتراف بحقوق الإنجليز فى تلك البلاد . وكان فى عهده أن أنفذت الحملة على تجارة الرقيق فى إفريقية الشرقية . وبعد كفاح وجهود بذلها السير برتل فرير Sir Bartle Frere خلال سنوات عدة دون أن تفضى إلى نتيجة ما ، أكره المندوب الإنجليزى السير جون كيرك Sir John Kirk برغش — بعد تهديده بالحصار — على أن يوقع فى ٥ من

يونية سنة ١٨٧٣ م مرسوما يحرم به تجارة الرقيق فى سلطنته . ثم دعى برغش فى سنة ١٨٧٥ م لزيارة لندن مكافأة له على ذلك ، ولكى يطلعوه على حقيقة قوة بريطانيا إذا قيست بقوة بر الزنج . وفى هذه المناسبة زار أيضا فرنسا والبرتغال . وبعد قليل بدأت السياسة الاستعمارية الألمانية يتجه نظرها إلى هذا الشاطئ ، وفى سنة ١٨٨٥م أعلنت الحماية الألمانية عليه . وفقد برغش بذلك جزءا كبيرا من ممتلكاته وإن كان قد ظل يدعى سيادته عليه بالاسم .

وفى أواخر حكمه دب الخلاف بينه وبين البرتغال أيضا ، ولم يسو الأمر إلا بعد وفاته بوساطة لجنة الحدود الألمانية البرتغالية وقبل وفاته بقليل ذهب إلى عمان ينشد الراحة من آلامه ، ولم يكد يعود إلى وطنه حتى أنهكه المرض من جديد فخلفه أخوه الأصغر « خليفة » .

وكل الذى نعرفه عن برغش يدل على أنه كان رجلا ذكيا نشطا ميالا إلى الإسراف فى العنف ، والصورة التى صورتها له السيدة إميلى ريته — ويرجح أنها لا تخلو من التحيز — توصف بكل شىء إلا الحسن .

وإذا كان برغش يفيض قلبه بالعداء للأوربيين فقد اضطروا من ناحيتهم إلى أن يفرضوا عليه أشد أنواع الرقابة ، وكان فى عهده أن حدث انقلاب سياسى تام فى البلاد نتيجة لتنفيذ تحريم الرقيق . ومع هذا فقد ازداد دخل تلك البلاد بازدياد تجارتها مع أوروبا والهند ؟

المصـــادر

(١) Robert Nunez Lyne : *Zanzibar in Contemporary Times* ، لندن ١٩٠٥ م
(٢) Emily Rüte : *Memorien einer arabischen Prinzessin* ، الطبعـــة الثانية ، برلين ١٨٨٦ م .

[بيكر C. H. Becker]

« برغواطة » : اسم كان يطلق فيما سبق على مجموعة من قبائل المصمودة ، وأهمها البرانس وزواغة ومطماطة ومطغرة وبنو بورغ وبنو واغمر . وقد استقر هؤلاء غربى مراكش فى إقليم تامسنا من سلا وآزمور إلى آسفى وأنفا . ويعرف إقليم تامسنا الآن باسم شاوية .

واعتنقت هذه القبـائل آراء الخوارج واشتركت فى حروبها ضد العرب بزعامة ميسرة السقاء الطنجى . وكان كبيرهم فى ذلك الوقت هو طريف أبو صالح ، وقد ترك طريف مقاليد الزعامة إلى ابنه صالح الذى كان قد حارب معه فى صفوف الخوارج . وكان صالح هذا قد ذاع فضله وعلمه بين قومه . وفكر صالح فى إيجاد دين جديد يكون مقامه بالنسبة للإسلام كمقام الإسلام بالنسبة لليهودية والنصرانية . وتنسب بعض الروايات التفكير فى هذا الأمر إلى والده طريف . ومهما يكن

من شيء فإن صالحا زعم أنه «صالح المؤمنين» المذكور في القرآن (سورة التحريم: الآية الرابعة) وقيل إنه ظهر لأول مرة في صدر الإسلام. والحق أنه وجد في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولو ذهبنا إلى أنه وجد في عام ١٢٧ هـ فلا بد أن يكون ذلك في عهد مروان الثاني، لأن هشاما توفي عام ١٢٥ هـ.

ويؤكد بعض خصوم صالح أنه يهودي الأصل، وأن اسم أبيه الحقيق هو شمعون بن يعقوب ابن اسحق، ويقولون إنه ولد في برباط بالقرب من شريش *Xérès* من أعمال الأندلس، ومن ثم جاء لقب برباطي الذي حرف إلى برغواطي وأطلق على أتباعه. وقد فند ابن خلدون بحق هذه الآراء التي أوردها صاحب كتاب «نظم الجوهر». وإذا سلمنا بما رواه البكري عن إمام المصلين زمور أبي صالح بن موسى ابن هشام أو هاشم بن واريدين الذي أوفده أبو منصور بن عيسى أبو الأنصار أمير برغواطة في شوال من عام ٣٥٢ هـ (اكتوبر — نوفمبر ٩٦٣) إلى بلاط الحكم المستنصر خليفة قرطبة في مهمة فإن صالحا قد وضع دستورا للشريعة باللغة البربرية نقله إلى اللغة العربية مسلم من شلة يدعى أبا موسى بن عيسى ابن داود. وشرع لأتباعه فيه صوم رجب وصيام يوم معين من كل جمعة، وفرض لهم خمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة، وجعل التضحية في اليوم الحادي عشر من المحرم بدلا من اليوم العاشر من ذي الحجة

وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفا وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الرأس ثلاث مرات ومسح الأذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين. وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين. وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر. وإحرامهم [أن يضع إحدى يديه على الأخرى] ويقول إِبْسَمَنْ يا كش، تفسيره باسم الله ثم مُقَرَّ يا كوش، تفسيره الكبير الله. ويظهر أن كلمة يا كش، ومعناها الله، هي ترجمة للكلمة العربية وهّاب، وهي صفة من صفات الله، ويذكرنا وجود هذه الكلمة عند الإباضية أيضا بما كان لصالح من صلة بمذهب الخوارج.

وقد أخطأ بعض العلماء في ظنهم أن كلمة ياكش هي باخوس *Bacchus* أو بككس *Bacax* الواردة في الكتابات النوميدية؛ وضللهم في هذا اعتمادهم على صيغة من الصيغ التي وردت لهذه الكلمة وهي باكُش (انظر A. de Motylinski *Le nom berbère de Dieu chez les Abadhites* الجزائر ١٩٠٥؛ R. Basset في *Bulletin* [redacted] *la Société archéologique de Sousse* ١٩٠٦). ويضعون أيديهم مبسوطة في الأرض طول ما يتشهدون ويقرءون نصف قرآنهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم، ويصلون صلاة الجمعة يوم الخميس

ضحى بدلا من يوم الجمعة . ويقولون فى تسليمهم بالبربرية: الله فوقنا لم يغب عنه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، ثم يقولون مُقر ياكش عشرين مرة(١) وإيحن ياكش مثل ذلك ، ومعناه الواحد الله ، ووردام ياكش مثل ذلك ومعناه لا أحد مثل الله . ويظهر إذا أنه فيما عدا استعمال اللغة البربرية فإن هذا الدين لا يختلف عن الإسلام اختلافاً جوهرياً . وقد ألف صالح قرآناً باللغة البربرية، وهو ثمانون سورة أكثرها منسوبة إلى أسماء النبيين وأولها سورة أيوب التى ذكر البكرى ملخصاً لهـا ، وفيها سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامان وسورة يأجوج ومأجوج وسورة الدجال وسورة العجل وسورة هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود. وآخرها سورة يونس. وفيها أيضاً سورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الخنش وسورة غرائب الدنيا . وتقليد قرآن صالح لقرآن المسلمين أمر ظاهر . وهم يأخذون العشر فى الزكاة من جميع الحبوب ولا يأخذون من المسلمين شيئاً ولا يتكحن للسلمين ولا ينكحون فيهم . ويتزوجون من النساء ما استطاعوا مباعلتهن والإنفاق عليهن بلا حد عدد . ولا يتزوج الواحد منهم من بنات عمه إلى ثلاثة جدود . ويقتل السارق ويرجم الزانى وينفى الكاذب ، أما القاتل فيأخذون منه دية قدرها مائة من البقر . وبعض محرماتهم يظهر أنها من آثار عاداتهم القديمة مثل تحريم أكل رأس كل حيوان . والبيض عندهم حرام ، وما زال هذا باقياً عند بعض القبائل فى الجزائر وفى الصحراء . وحرموا ذبح الديوك لأنها تؤذن (لاحظ كلمة مؤذن التى ما زالت تطلق على الديكة فى اللغة العربية الدارجة) . وهم يعتقدون أن ريق نبيهم يشفى المرضى شأنهم فى هذا شأن بعض المرابطة الذين لا يزالون يعتقدون هذا الاعتقاد إلى اليوم .

وهناك ظاهرة أخرى تبين وثاقة الصلة بين دين برغواطة وبين الإسلام هى أن صالحاً نسب بعض مواعظه إلى موسى وإلى الولى صالح الذى تنبأ بمجيء النبى وإلى ابن عباس ابن عم محمد وجد العباسيين .

وورد فى الأساطير أن صالحاً ارتحل إلى الشرق بعد أن حكم سبعة وأربعين عاماً ووعد بأن يعود فى حكم خليفته السابع وأوصى ابنه إلياس أن يكتم تعاليمه إلى اللحظة المناسبة التى لا يحين أوانها إلا فى عهد حفيده يونس . ومن الصعب أن نأخذ هذه الرواية قضية مسلمة فإنه فى عهد هذا الأمير إما أن يكون قد بعث تعاليم صالح بعد أن أهملت وإما أن يكون يونس هو صاحب هذه التعاليم بالفعل، وإن كان قد نسبها إلى جده . وفوق هذا فان سلسلة الحوادث غير متصلة ، فقد حكم إلياس خمسين عاماً وحكم ابنه يونس الذى

(١) فى كتاب المسالك والممالك للبكرى « خمساً وعشرين مرة » ، طبعة الجزائر عام ١٨٥٧ ص ١٣٩

اللجنة

نشر التعاليم الجديدة بالحديد والنار أربعة وأربعين عاماً . وحكم ابن أخيه أبو الغفير أحمد الذى توفى سنة ٣٠٠ هـ تسعة وعشرين عاماً . وعلى هذا فإن صالحا لا بد أن يكون قد حكم خمسين عاما ليملأ الفراغ بين سنة ١٢٧هـ التى ظهر فيها أولا وسنة ٣٠٠ للهجرة . وقد توفى فى سنة ٣٤١هـ عبد الله أبو الأنصار الذى دفن فى تامسلاخت بعد أن حكم اثنين وأربعين عاماً .

وكانت خطة برغواطة دائماً الاستنجاد بخلفاء بنى أمية فى الأندلس ليساعدوهم فى كفاحهم ضد القوى الأخرى التى اقتسمت المغرب . وظلوا يحكمون بلادهم مدة طويلة ، وكانت جيوشهم تتألف من رجال القبائل التى تدين بدينهم وكذلك من قبائل البربر المسلمة مثل أزمور وبنى يفرن وبنى إفلوسة وغيرهم. وقد ذكر مؤرخو العرب الحروب التى شنتها برغواطة على عرب الأندلس وصنهاجة وهم من أشياع الفاطميين ، وعلى بنى يفرن ، ويقولون إن برغواطة لقيت هزائم منكرة . وهذا القول قابل للشك لأن برغواطة بقيت مستقلة، وظلت خطراً دائماً على دولة المرابطين التى قيل إنها أجلتهم عن بلادهم . وقد هزمت برغواطة جيش عبد الله بن ياسين المشهور الذى قتل فى هذه الحرب سنة ٤٥٠ هـ . وبعد ذلك بقرن أى فى سنة ٥٤٣ هـ نجد عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين يشن الحرب عليهم ولكنهم هزموه ، بيد أنه انتصر عليهم بعد ذلك ، وتلاشت برغواطه من التاريخ ؟

المصـــادر

(١) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة ده سلان ، الجزائر عام١٨٥٧ ، ص ١٣٤ — ١٤١ (٢) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، طبعة تورنبرج ص٤٢ — ٨٤ (٣) ابن‌عذارى: كتاب البيان ، ج ١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٦ (٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، طبعة بولاق ، ج ٦ ، ص ١٢٩ — ٢١٠ (٥) Goldziher: *Materialien zur Kenntniss der almohadenbewegung*, Zeitschr. d Deutsch. Morgenl Gesellsch ج ٤١ ، عام ١٨٨٧ ، ص ٩١ — ٩٤ (٦) R. Basset : *Recherches sur la religion des Berbères* باريس ١٩١٠ ، ص ٤٨ — ٩١

[René Basset باسيه]

« برغوث » والجمع براغيث : اسم حشرة معروفة . ويطلق أهل الشام هذا الاسم على عملة تركية صغيرة الحجم قيمتها قرش ، وسميت كذلك لأنها تنفلت بسهولة من اليد .

وهناك نهر يسمى برغوث على الشاطىء الشامى يصب فى البحر الأبيض المتوسط جنوبى صيداء بقليل . ويعرفه القدماء باسم اسكليبوس Asclepios ؟

المصـــادر

(١) Baedeker : [illegible] *Syrien* ، ص ٢٧١ — ٢٧٣

« **البرغوثية** » : اسم أطلق على أتباع محمد بن عيسى برغوث ، وهو فقيه مسلم من أصحاب الفرق . ويذهب البعض أنه من الخوارج، ويذهب آخرون إلى أنه من النجارية (انظر مادة النجار) غير أن له آراء خاصة فى بعض مسائل الفروع . ولا نعرف شيئا آخر عن محمد بن عيسى ولا السبب الذى لقب من أجله بالبرغوث ؟

المصـــادر

(١) الشهرستانى ، طبعة كيورتن، ص ٦١ ، ١٠٣ ، وطبعة هاربروكر ، ص ٩٤ ، ١٥٥
(٢) البغدادى ، طبعة محمد بدر ، ص ١٩٧ .

« **برقعيد** » : بلدة بالجزيرة على طريق القوافل من نصيبين إلى الموصل . وجاء فى روايات جغرافى العرب ، وهى تختلف فيما بينها اختلافا طفيفا ، أن برقعيد على مسافة تتراوح بين ١٧ و ١٩ فرسخا من الموصل أو على مسيرة أربعة أيام إذا أخذنا برواية ياقوت . وتقدر المسافة بينها وبين نصيبين بعشرة فراسخ .

ويروى ياقوت أن برقعيد كانت قصبة كورة البقعاء — وربما يكون معناها بقعة أى سهل — من أعمال الموصل وأنها تشمل الإقليم الذى بين الموصل ونصيبين . وكانت ممر القوافل، ولذلك أصبحت مكانا هاما وازدهرت بوجه خاص فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . ويقول ياقوت إن سورها له ثلاثة أبواب وإن بها آبارا كثيرة عذبة وعددا كبيرا من الحوانيت بلغ مائتين . وأهلها يضرب بهم المثل فى اللصوصية فيقال لص برقعيدى ، وحدت هذه السمعة السيئة بالقوافل إلى تجنب المدينة تدريجا ، وجعلوا طريقهم على باشزى وهى إلى الغرب من برقعيد . وعلى هذا ارتفع نجم باشزى وأفل نجم برقعيد شيئا فشيئا .

ويذهب فون اوبنهايم Von oppenheim ودهغوى de Goeje إلى أن موقع برقعيد هو أكوام الخرائب عند تل روميلان ، كما أن موقع باشزى هو چلاغى . ووضع كيپرت Kiepert فى مصوره الجغرافى الذى ورد فى كتاب فون اوبنهايم المكان الأول على خط طول ٤٢° درجة شرقا وخط عرض ٥٥َ ٣٦° شمالا ، ووضع المكان الثانى على خط طول ٥٠َ ٤١° شرقا وخط عرض ٣٧َ ٣٦° شمالا ويقول هومز Homes (انظر *Tuch* فى مقاله الوارد بالمجلة المذكورة بالمصادر) فى رسالة له إن برقعيد ما زالت توجد اليوم بالاسم نفسه وإن كانت أطلالا وخرائب ، ولكن هذا القول يحتاج إلى التمحيص بمعاينة الموقع نفسه .

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة دهغوى، وبخاصة جـ ٦ ، ص ٢١٤ ، تعليق F ، ص ١٦٤
(٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ١ ،

ص ٥٧١ ومابعدها ، ص ٧٠١ ، س ١٠ (٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة باريس ، جـ ٢، ص ٢٩٤ (٣) الحريرى ، المقامة السابعة (٤) *The Lands of the Eastern* : Le Strange ، *Erdkunae* : K. Ritter (٥) *Caliphate* جـ ٩ ، ص ١٦٢ – ١٦٣ (٦) F. Tuch فى ، *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges.* جـ ١ ، ص٦٢–٣٤ (٧) M.V. Oppenheim : ، *vom MittelmeerZum persisch. Golf.* ١٩٠٠ م ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ، ص ١٦٧ — ١٦٨ ، تعليق ده غوى .

[م . سترك M. Streck]

« برقه » إقليم برقة هو جزء من ولاية بنغازى التركية(١) . وكان يسمى قديما كرنيكا Cyrenaïca . وهو هضبة جيرية فسيحة ترتفع عن سطح البحر بين ١٢٠٠ و ١٦٠٠ قدم ، ويبلغ عرضها نحو ٢٠٠ ميل . ويوجد فى شمالها مرتفعات وعرة تنحدر جهة البحر الأبيض انحداراً فجائياً ، ولا يفصلها عنه إلا شريط ضيق من الأرض المنخفضة . أما فى الجنوب فإن هذه المرتفعات تنحدر تدريجاً إلى أن تتلاشى فى صحراء ليبية . وتتألف حافة الهضبة من سلسلة من المرتفعات تتجه من الشرق إلى الغرب مسافة تبلغ نحو ١٨٠ ميلا . وتسمى باسم جبل إركله وجبل الدكر . ويبلغ ارتفاع هذه الجبال عند مسجد سيدى الحمرى نحو ٢٨٠٠ قدم ، وتبلغ أقصى ارتفاع لها ، وهو ٣٣٠٠ قدم ، حول مدينة كِرِنَّا (قورينا) . ومنحدراتها الشمالية تغطيها طبقة من التراب الأحمر ولهذا سميت باسم « برقة الحمراء » أما مرتفعاتها المتدرجة نحو الجنوب فيغطيها تراب رمادى اللون ولهذا سميت هذه المنطقة باسم « برقة البيضاء » .

وشكل الشاطئ مختار ، وهى أقصى مكان فى خليج سرت من ناحية الجنوب ، إلى خليج السلوم يجعل برقة بارزة بروزاً حادا يكون منها شبه جزيرة بالفعل ، ويكشفها للرياح الآتية من البحر من ثلاث جهات فيهئ لها بذلك مطراً غزيراً إلى حد ما يبلغ ارتفاعه بين ١٤ و ٢٠ بوصة فى السنة . وإذا كانت مياه هذه الأمطار لا تبلغ من الكثرة بحيث تفيض منها الأنهار باستمرار ، فإنها مع هذا كافية لتغذية كثير من الينابيع . وتتسرب المياه من الشقوق فى التربة الجيرية إلى أن تصل إلى الطبقة الصخرية الصلبة ثم تظهر مرة أخرى على سطح الأرض كما تتجمع أيضا فى برك تحيط بها الجبال تجف مياهها عادة فى حرارة الصيف . والبقاع التى يغزر فيها الماء ويكثر النبات هى الجهات الساحلية والمدرجات التى ترتفع أرضها من الشاطئ إلى قمم الجبال . وسطح التلال يكسوها بالخضرة شجر التين والبشنين وشجر الحياة والسنديان والسرو. . . . . الخ

ومن ثم استحق اسم « الجبل الأخضر » الذى أطلقه عليه العرب . ويروى بعض

(١) كان ذلك وقت كتابة المقال

الرحالة أن شكل هذا الإقليم ومناخه يشبهان أجمل بقاع إيطاليـا ، ويظهر أن هذه البـلاد صالحة كل الصلاحية لاستعمار الأوروبيين . وعلى عكس هذا إذا جاوزنا صخور الجبل الأخضر نجد صورة أخرى مخالفة لتلك كل المخالفة فلا شجر هناك وتزداد الأعشاب قلة كلما اقتربنا من الصحراء .

وقبل أن يفتح المسلمون برقة كان يسكنها من البربر قبائل لواتة وهوارة وأوريغة الذين احتفظوا باستقلالهم والأفارقة أى أهل البلاد الأصليين الذين تأثروا قليلا أو كثيراً بالحضارة اليونانية الرومانية . ووجه هؤلاء جميعاً عنايتهم إلى فلاحة الأرض وتربية الماشية . وفى القرن الأول للهجرة ذهب العرب من مصر إلى برقة فخربوهـا وخربوا أنطابلس Pentapolis ومعناها الخمس مدن، غير أنه لم يكن لهم تأثير قوى فى أخلاق أهل البلاد أو طريقة معيشتهم . وفى القرن الخامس اشتملت أرض برقة على كثير من المدن الزاهرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسن ، واعتنى أهلها بفلاحة حقولها عناية كبيرة .

وكانت غزوة بنى هلال التى حدثت فى القرن الحادى عشر الميلادى سببا فى القضاء على تلك البلاد . ويقول ابن خلدون إن الرحل والمشتغلين منهم بالزراعة كانوا يحملون معهم الخراب أينما ذهبوا ، وكانوا يغيرون على البلاد وينهبونها ، فأخذت الأراضى الزراعية تقل شيئا فشيئا . . . ففسدت فى برقة مذاهب المعاش وانتقض العمران وأصبحت البلاد قفرا يبابا(ابن خلدون : العبر ، ترجمة دهسلان ، جـ ١ ، ص ١٦٤)

واستقرت قبيلة بنى قرة وقبيلة هَيْب ، وهى من بطون سليم فى برقة . وامتزجوا بأهلها امتزاجاً يجعل من الصعب علينا الآن أن نميز بين ذريتهم وذرية أهل البلاد الأصليين . وسكان برقة جميعاً من الرحل فيما عدا أهل بنغازى ودرنة ومرجة . ويقول باشو Pacho إنهم جميعاً يسمون « هربى » وينقسمون إلى عدد كبير من القبائل . أهمها قبيلة الأواغر وموطنها فى جنوب بنغازى وشرقيها ، وقبيلة الدُرسة فى جوار مرجة والحسّة حول خرائب مدينة برقة وبرسّة فى الجبل الأخضر والإباضية بجوار درنة . الخ ويقدر Reclus عددهم بـ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة يعيشون فى مساحة قدرها ٢٥٠٠٠ ميل مربع . وعلى هذا فليس يوجد فى كل ميل مربع إلا عشرة أنفس . أما منوتللى Minutilli الذى رجع إلى تقارير القنصليات الإيطالية فيقدر عدد سكان برقة تقديراً يرتفع به إلى ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، ويظهر أن كل هذه القبائل مستقلة تمام الاستقلال عن الحكم التركى[1] وانتشرت بينهم تعاليم السنوسية منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادى فأصبحوا يضمرون أشد العداء لسيادة الأوروبيين . ومع أن بلاد برقة قد أهمل شأنها طويلا فإنها قد أصبحت مقصد عدد من

(١) كان هذا وقت كتابة المقال

رحلات الكشف الأوروبية فى القرن الماضى نذكر منها رحلات دلاشلا Della Cella سنة ١٨١٧م وباشو وبيتشى Beechey وبارث Barth سنة ١٨٤٧ م وهاملتون سنة ١٨٥٢م ورولفس Rohlfs وكامبريو Camperio وهايمان Haimann وغيرهم .

ومدينة برقة التى أطلق اسمها على الإقليم كله حلت فى العهد العربى محل مدينة باركيه Barké التى أنشأها سنة ٥٥١ قبل الميلاد مستعمرون أتوا من كرنا . وفى سنة ٢١ هـ احتلها عمرو بن العاص وصالح أهلها على خراج قدره ثلاثة عشر ألف دينار من الذهب . ولكن سرعان ما جعل منها العرب الفاتحون ولاية واتخذوها مقرا للوالى رُويفع[1] وهو صحابى وقبره كان موجودا فى عهد البكرى . وظلت برقة مزدهرة عامرة خلال أربعة قرون لاتصالها بالخارج عن طريق ثغرها طلميثة وهو ثغر Ptolemais القديم ، ويمر به الطريق الواصل من الفسطاط إلى القيروان وتتصل برقة أيضا بواحات الصحراء بطريق القوافل. ويقول ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك (ترجمة ده سلان المنشورة فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٤٢) عند كلامه على مركز برقة التجارى « إنها تنفرد من التجارة التى ليس فى كثير من المغرب مثلها والجلود المجلوبة للدباغ والتمور الواصلة إليها من أوجله، ولها أسواق حارّة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب » .

وقد ذكر البكرى أنها دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة وتنمى على مراعيها، وأكثر ذبائح أهل مصر منها (البكرى : كتاب المسالك ، ترجمة ده سلان ، ص ١٥ ، والنص العربى ، ص ٥) . وقال الإدريسى إن بها مزارع تنتج من نوع جيد (الادريسى ، ترجمة ده غوى ، ص١٥٥) . وجرت غزوة بنى هلال على برقة الخراب الشامل . وفى مكان برقة الآن سوق مرجة القائم عند سفح تل يشرف عليه قصبة تركية[1] فى منخفض من الأرض وطولها عشرون ميلا وعرضها ثمانية أميال . ولا يتجاوز عدد سكان مرجة الألف نسمة بما فيهم الحامية التركية[2] .

المصـــادر

(١) Della Cella : *Viaggio [illegible] Tripoli di Barberia alle frontiere dell' Egitto*.
(٢) Pacho : *Voyoge dans la Marmarique [illegible] [illegible] Cyrénaïque fatto nel 1871—1819*.

(١) هو رويفع بن ثابت بن السكن النجارى الأنصارى المدنى : صحابى نزل بمصر وأمره معاوية على طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ فغزا إفريقية وتوفى ببرقة وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد ، وقبره مشهور فى جبل الأخضر (انظر الزركلى فى الاعلام ، جـ ١ ، ص ٣٢٩)

(١و٢) كان هذا وقت كتابة المقال

اللجنة

باريس ١٨١٧ (٣) Beechey : *Expeditions to explore the North Coast of Africa* ، لندن ١٨٢٨ (٤) Barth : *Travels in North-Africa* ، عام ١٨٤٧ (٥) Hamilton : *Wanderings in North-Africa* عام ١٨٥٢ (٦) Rohlfs : *Von Tripolis nach Alexandrien* عام ١٨٨٥ ، فى مجلدين (٧) Minutilli : *La Tripolitana* تورينو ١٩٠٢ (٨) Playfair : *Bibliography of the Barbary States* الجزء الخاص ببرقة وطرابلس

[يفر G.Yver]

« برقوق » الملك الظاهر سيف الدين العثمانى اليلبغاوى. أول من ولى عرش مصر من المماليك البرجية ، إذا استثنينا بيبرس الثانى (انظر هذه المادة) وحكمه القصير ، وقد جلب الأمير يلبغا برقوقاً إلى القاهرة ثم انخرط فى سلك مماليك أبناء السلطان الأشرف شعبان ، وكان ممن اشتركوا فى إسقاط هذا السلطان . وأصبح أتابك فى عهد حاجى بن الأشرف . ونودى ببرقوق سلطاناً عام ٧٨٤هـ (١٣٨٢ م) بعد تغلبه على كل منافسيه، وسرعان ما دانت له جميع الجهات . وفى الأعوام القليلة التالية دبرله الولاة ، وكان يظاهرهم أمراء المغل دائما بعض الدسائس الصغيرة فى الشام ، ولكنه أحبطها فى يسر . وأزعجته الشكوك الدائمة التى كانت تساوره فحاول خلع يلبغا والى حلب ، وكان هذا أول خطر حقيقى صادفه ، إذ بلغ يلبغا الخبر فى حينه فعمد إلى إحباط خطة السلطان وتحالف مع منطاش والى ملطية الثائر واستولى على طرابلس وحماة . فأنفذ برقوق جيشاً كبيراً إلى الثائرين ودخل قائده إتمش دمشق . وفى ربيع عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) التحم الجيشان إلا أن الثائرين كسبا الوقعة يومذاك لأن عدداً كبيراً من قواد السلطان هجروه . وتعقب يلبغا وصاحبُه إتمش وأسراه فاضطر إلى إخلاء دمشق بما فيها من حصون . وعندئذ جمع هذان الثائران كل ما لديهما من قوات وسارا نحو مصر .

وكان السلطان برقوق على جانب كبير من الجبن لا يجسر على ترك القاهرة فلم يجد الثائران أى مقاومة . وتخلى أنصاره عنه وفر من القلعة ووضع نفسه تحت رحمة يلبغا ، فأحسن معاملته إلى حد ما . ثم أرسله سجينا إلى كرك . واعتلى العرش حاجى الذى كان قد عزله برقوق من غير أن تكون له سيطرة فعلية على شئون الدولة . وناط يلبغا شئون مصر بحليفه منطاش ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ودبت الفرقة بين المتآمرَين بعد ذلك ، فتحصن يلبغا بالقلعة ورابط منطاش فى أسفلها بجامع الحسن . ودارت الدائرة على يلبغا فاضطر إلى الفرار وأسر وألقى فى السجن بالإسكندرية . وما إن أمن منطاش على مركزه فى مصر حتى بلغه الخبر بأن السلطان برقوق طليق يجمع الساخطين فى الشام ، وهزم صاحبى دمشق وغزة اللذين سارا لملاقاته كما هزم

الزعيم البدوى نوير، وبذلك كان يزداد أنصار السلطان كل يوم. وجمع منطاش جيشاً كبيراً والتقى ببرقوق جنوبى دمشق . وفى اليوم الأول من أيام القتال أجبر شطر كبير من جيش برقوق على الفرار ، ولكنه مع ذلك استطاع أن يستولى على المعسكر الرئيسى لعدوه وأن يأسر الخليفة والسلطان حاجى . ثم استؤنف القتال فى اليوم التالى وتكبد الفريقان خسائر فادحة اضطر بعدها منطاش إلى التقهقر. وعندئذ سار برقوق إلى القاهرة حيث كان أنصاره قد استولوا على ناصية الأمور فيها .

ونجح برقوق فى استرضاء خصومه فى القاهرة . وأحسن معاملة السلطان حاجى المخلوع ، وعفا عن عدوه السابق يلبغا ، واستمرت مقاومة منطاش فى الشام عامين آخرين ثم قبض عليه آخر الأمر وعذبه إلى أن مات. غير أن برقوقاً مع كل هذا لم ينعم بالصفاء لأن الدسائس والمظالم لم تنقطع .

أما سياسة السلطان الخارجية فقد كان موفقاً فيها ، فصلاته كانت ودية مع السلطان مراد والسلطان بايزيد العثمانيين بينما كان يشك فى تيمور العظيم من أول الأمر وفضل أن يتخذ معه سياسة العداوة الصريحة على أن يعمد إلى سياسة سلام لا يُطمأن إليه ، ولذلك قتل رسل تيمور الذين وفدوا لعقد اتفاقية تجارية ودية معه كما رحب بالسلطان أحمد بن أويس الذى طرده تيمور من بغداد.

وأصلح برقوق حصون الشام ، يستدل على ذلك من الكتابات ، ليعد نفسه للدفاع عن البلاد. إلا أنه اتضح فيما بعد أن ما اتخذه من التدابير كان قاصراً لا يثبت أمام غارة المغل . والحق أن برقوقاً وتيمور لم يتقاتلا لأن تيمور كان مشغولا إلى درجة بعيدة بأعدائه الآخرين فى حين كان برقوق يخاف أبداً على سلامة بلده ، ولم يبد منه لذلك ما يدل على أنه يستطيع على الدوام حماية أراضيه فى الخارج . ولم يعد حكمه على البلاد بالخير على الرغم من أن مصنفى العرب يبالغون بصفة عامة فى امتداح ورعه وإقامته المؤسسات الخيرية . وتوفى برقوق عام ٨٠١ هـ وقد خلف وراءه ضياعاً شاسعة ؟

المصـــادر

(١) وردت سيرته كاملة فى المنهل الصافى ، مخطوط ، القاهرة عام ١٣١٣ هـ ، ورقه ٣٢٦ — ٣٣٧ (٢) Weil : *Gesch. der Ghalifen* ، ج ٤ ، ص ٥٤١ — ٥٥٦ ؛ ج ٥ ، ص ١ — ٧١ ؛ وقد ذكرت المخطوطات العربية فى مقدمة هذا الكتاب ص ٥ — ٨ .

[سوبرنهيم M. Sobernheim]

« بركات » : اسم عدد كبير من الأشراف الذين تولوا إمارة مكة نذكر منهم:—

١— بركات بن حسن بن عجلان، ولى إمارة مكة مشاركا لأبيه سنة ٨٠٩ هـ[١] (١٤٠٦ م) وانفرد

(١) ورد فى قاموس الأعلام للزركلى ، ج ١ ، ص ١٤٢ أنه ولى إمارة مكة سنة ٨١٠ هـ .

بالإمارة من سنة ٨٢٩هـ (١٤٢٦م) إلى سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٥م)، وتخلى عن الإمارة فترات متقطعة خلال هذه المدة. وسلك هذا الأمير الذكي المهذب سياسة حكيمة تجاه سلاطين المماليك الجراكسة فى مصر. وكانت أهم حادثة فى عهده إيفاد ناظر للحرمين إلى مكة وإقامة حامية تركية دائمة فى هذه المدينة بناء على أمر من جقمق. وقد أنشئت فى مكة أيضاً لعهده حكومة على رأسها رجلان هما: شريف مكة وحاكمها (انظر *Chroniken der Stadt Mekka* الذى نشره فستنفلد، ج ٢، ص ٢٣١ — ٢٣٣، ٢٩٩ — ٣٠٠، ج ٣، ص ٢١٦؛ *Mekka* : C. Snouk. Hurjronje، ج ١، ص ٩٨ — ١٠٠). وانتقلت إمارة مكة بعد وفاة بركات بن حسن إلى ابنه فحفيده، فتولاها حفيده بركات بن محمد من سنة ٩٠٣هـ إلى سنة ٩٣١[1] (١٤٩٧ — ١٥٢٥ م). وخلال الخمسة عشر عاماً الأولى من حكمه ساد البلاد فتن داخلية ودسائس عنيفة، ولكن عم السلام بعد ذلك. وكان بركات على ود متصل بالسلطان الغورى، على أن هذا لم يمنعه من الاعتراف فى الحال بالسيادة العثمانية سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦م) اعترافاً كان من شأنه أنه لم تحدث فى الحجاز ثورة مفاجئة بالرغم من أن ذلك العام كان حافلا بالحوادث التاريخية فى جميع بلاد العالم. ولما توفى بركات خلفه فى الإمارة دون عناء ابنه أبو نُمَىّ (انظر *Chroniken der Stadt Mekka* ج ٢، ص ٣٤٢ وما بعدها، ج ٣، ص ٢٤٤ وما بعدها، *Mekka* : C. Snouk. Hurjronje، ج ١، ص ١٠١ — ١٠٤).

ومن بين أبناء أبى نمى احد يدعى بركات جدير بالذكر، لأن اسمه أطلق على أسرة جوى بركات وهى واحدة من أسر ثلاث اشتد بينها التنافس حتى أصبحت المحور الذى دارت حوله حوادث مكة فى السنين التى تلت (*Mekka* : C.Snonck. Hurjronje، ج ١، ص ١١٩) وفى سنة ١٠٨٢هـ (١٦٧٢م) أثار محمد بن سليمان المغربى الذى أوفدته الحكومة العثمانية إلى مكة لإقرار النظام فيها أحد أفراد هذه الأسرة وهو بركات بن محمد إبراهيم فخرج على بيت جوى زيد الذى كان يتولى إمارة مكة واتخذ منه محمد بن سليمان أداة للحد من سلطان بيت جوى زيد، على أن بركات هذا كان أميرا بالاسم فقط، وكان السلطان الفعلى فى يد المندوب الدخيل. ثم سقط محمد بن سليمان وتوفى بعده بوقت قصير بركات سنة ١٠٩٣هـ (١٦٨٢ م) وأعقب هذا خلع بيت جوى بركات الذى ظل يدعى الحق فى إمارة مكة أكثر من قرن.

المصـــادر

المحبى، طبعة القاهرة عام ١٢٨٤، ج ١، ص ٤٣٦ — ٤٥٠ (٢) Wüstenfeld : *Die Scherife* [redacted] *Mekka* ص ٧٢، ٧٥ — ٨٠ (٣) C. Snouk Hurgronje : *Mekka* ج ١ ص ١٢٥ وما بعدها.

(١) جاء فى الزركلى إنه ولى الامارة سنة ٩٠١ هـ.

« برگمة »[1] : اسم يطلق على قضاء فى سنجق إزمير بولاية آيدين وعلى حاضرته أيضاً. ومدينة برگمة الموجودة على خط طول ٥٥َ ٢٤ْ شرق جرينوتش وخط عرض ٥َ ٣٩ْ شمالا هى مدينة Pergamon برجامون كما ثبت ذلك من نتائج الحفريات التى قام بها هيومان وكونزس وغيرهما Human & Conzes etc.

وليس هنا مقام الإفاضة فى الكلام على تاريخ برگمة وحفرياتها ، ويستطيع القارىء الرجوع فى ذلك إلى البحث القيم المختصر المذكور فى Bäedeker : *Constantinople and Western Asia Minor*، ص ٢٤٦ — ٢٥٤

وفى بداية القرن الرابع عشر سقطت هذه المدينة فى يد أسرة قره سى التركية وأضحت هى وباليكسرى أهم مدينتين فى هذا القضاء. وقد ذهب إليها ابن بطوطة سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) ووجدها فى الحالة التى هى عليها اليوم. وقال فى وصفها إنها عبارة عن خرائب، وبها قلعة حصينة مشيدة على الجبل ، وكان سلطانها يسمى يخشى. واستولى أورخان على تلك المدينة بعد ذلك بوقت قصير ، ويقول مؤرخو الترك أن ذلك كان فى سنة ٧٣٥ هـ (١٣٢٤ م) أو ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) ، ولكن مورتمان Mordtmann يقول فى كتابه المسمى *Über d. Turkische Furstengeschlecht der Karasi* ، نقلا عن المؤرخين البوزنطيين إن ذلك حدث فى تاريخ بعد ذلك

وبرغمة اليوم مدينة صغيرة رائعة المنظر فيها مقر القائمقام ، ويسكنها نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة. ويذكر كوينيه أن عدد سكانها ١٤,٥٠٢ ، ويقول سامى إن عددهم ١٢,٠٠٠، أما على جواد فيقدر عددهم ب ٢١,١٩٧ نسمة.

والأرض المحيطة بها خصبة يزرع فيها التبغ والقطن بصفة خاصة. ونضيف إلى هذا صناعة الجلود التى كانت تشتهر بها مدينة برجامون القديمة.

ويروى على جواد أن بهذه المدينة عشرة مدابغ.

المصادر

(١) Cuinet : *La Turquie d'Asie* بأريس ١٨٩٤ م ، المجلد الثالث ، ص ٤٧١ وما بعدها (٢) Mordtmann : *Über d. Turkische Furstengeschlecht der Karasi in Mysien* فى Sitzungsber *der Kgl. Preuss. Akad. der Wissensch* ، برلين ١٩١١ م (٣) على جواد ، ممالك عثمانيه نك تاريخ جغرافيه لغاتى ، ص ١٦٤ (٤) ابن بطوطة : طبعة Defrémery ، باريس ١٨٥٣ م .

[F. Giese. جيس]

« برگنه » : اسم يطلقه الهنود على مجموعة من القرى ، ورد لأول مرة عند الكلام على تاريخ سلاطين دهلى فى كتاب

(١) هكذا وردت فى الأصل . أما المصنفات والمصورات الجغرافية التركية فترسمها بالنون أى « برغمة » اللجنة

« تأريخ فيروز شاهى » الذى صنفه شمس سراج عفيف (انظر Bibliotheca Indica « سنة ۱۸۹۱ م ، ص ۹۹) . ولم يستعمل هذا اللفظ حسن النظامى فى كتابه « تاج المآثر » أو منهاج الدين فى كتابه « طبقات ناصرى » . ولو أن هذا الاسم ذاع لأول مرة فى القرن الرابع عشر وحل إلى حد ما محل كلمة «قصبة» ، فإنه من الراجح جداً أن أصله يرجع إلى تقسيمات إدارية كانت موجودة قبل الفتح الإسلامى .

وقد ورد وصف النظام الداخلى لإحدى هذه البركنات فى تأريخ حكم « شيرشاه » الذى يمدنا بتفصيلات نظام الجباية فى بركنتى أيه بسسرام من أعمال بهار . وعندما أصبح هذا الأمير والياً على هندستان قسم ولايته إلى وحدات إدارية يعرف كل منها باسم «سركار» وقسم كل واحدة إلى مجموعات من القرى أطلق عليه اسم بركنة . وكل بركنة كان يشرف عليها « شقدار » ، أى ضابط من البوليس الحربى ، يعاون «الأمين» أى الضابط المدنى . وكان يعاون الأمين صرّاف يسمى « فتدار » ، وكاتبان يسمى كل منهما « كاركن» أحدهما للتحريرات الهندية والآخر للفارسية . وليس من الصواب أن نقول إنه كان مبتكراً فى هذه الناحية من الإدارة ذلك لأن عمال الأقاليم والأنظمة التى نسبت إليه كانت جميعاً موجودة بالفعل قبل اعتلائه للعرش . وظل هذا النظام الإدارى قائماً إلى أن عدل « أكبر » نظام إمبراطورية المغل فقسمها إلى أقسام كل قسم يعرف بـ «صوبة» أى ولاية ، وقسم هذه الولايات إلى كور . وأصغر وحدة مالية فى عهد أكبر هى « البركنة » أو المحل . فمثلا كانت صوبة أوده مقسمة إلى خمس كور «سركار» وإلى ۳۸ بركنة (انظر آئين أكبرى فى Bibliotheca Indica « جـ۲ ، ص ۱۷۰-۱۷۷ ، ترجمة Jarett سنة ۱۸۹۱ م) .

وفى عهد أباطرة المغل كان أصحاب المناصب الرئيسة فى البركنة هم : القانتكو والأمين والشقدار ، وكانوا مسئولين عن حسابات البركنة وتقدير الضرائب ومسح الأرض وحماية حقوق المزارعين . وكان فى كل قرية أيضاً موظف مسئول عن حساباتها يسمى « پتوارى» ، وكانت وظيفته فى القرية تشبه وظيفة القانتكو فى البركنة . وينبغى أن لا نعتقد أن البركنات كانت وحدة ثابتة ذات نظام متجانس ، ذلك لأنها كانت تختلف فى مساحتها فى أجزاء الدولة المختلفة ، وكان تعديل النظام العقارى يستتبع تقسيما وتوزيعاً جديدين لهذه الوحدات المالية . وأدى اتساع البركنة باتساع ممتلكات عشيرة أو أسرة ما إلى الاعتقاد بأن البركنة لم تكن وحدة تدر الضرائب فقط ، وإنما روعى عند إنشائها توزيع الملكية أيضاً .

البركنات الاربع والعشرون

اسم إقليم فى البنغال بين خطى عرض ٣١َ ٢١° و ٥٧َ ٢٢° شمالا وبين خطى طول ٢١َ ٨٨° و ٦َ ٨٩° شرقى جرينوتش. واشتق اسمها هذا من عدد البركنات التى كانت موجودة فى الزمينـــدارى التى تنازل عنها مير جعفر نواب نظام البنغال إلى شركة الهند الشرقية الإنجليزية سنة ١٧٥٧ م . وأيد هذا التنازل إمبراطور المغل سنة ١٧٥٩ عند ما منح الشركة سلطة قضائية ووراثية مستمرة على هذا الإقليم . وفى العام نفسه كوفىء اللورد كليف Clive على الخـــدمات التى أداها إلى مير جعفر فأقطعه دخل هذا الإقليم . وهذا الدخل الذى بلغ ثلاثين ألف جنيه فى العام جعل كليف خادم الشركة وسيدها فى وقت واحد . واستمر هذا المبلغ يدفع اليه إلى أن توفى سنة ١٧٧٤م وعندها وقع الإمبراطور مرسوما أعاد بموجبه إلى الشركة حق تملك الأرض والاستيلاء على إيرادها ؟

المصـــــادر

المصادر مذكورة فى صلب المقال .

[C. Collin Davies ديفز]

«بركه» أو پركه ، والأصح أن يقال بِركى : مدينة بآسية الصغرى على منحدرات تُملُسْ بوادى كوچك مندرِس (كايستروس Kaystros) من أعمال ولاية أزمير وقضاء أوده ميش ، وعلى مسيرة خمسة أميال من هذه المدينة . وكانت بركة مكاناً هاماً ومصيفا لأمراء أيدين فى القرون الوسطى . وتدلنا المساجد والمدارس التى لاتزال قائمة إلى الآن بما فيها من أضرحة لهؤلاء الأمراء على ماكانت عليه هذه المدينة من مجد . وبها أيضاً قبر العالم التركى « بِرْكوى » الذى علَّم فى مدرستها (انظر مادة « بركوى ») ؟

المصـــــادر

(١) على جواد : ممالك عثمانيه نك تأريخ وجغرافيه لغاتى ، ص١٩٦ (٢) Quinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ ٣ ، ص ٥١٦

«بركة» كلمة عربية كان لما اتصل بها من معنى شأن كبير فى الخرافات عند المسلمين . وأصبحت أداة سحرية يتوسل بها إلى حسن الطالع على اختلاف أشكاله ، وإلى شـــفاء الأمراض وإبراء العاهات، ولا يكون التوسل بها إلى الله وحده بل يتوسل بها أيضا إلى الأولياء وإلى الأشياء المفروض فيها أنها تمنح البركة . وتنتقل البركة إلى الآخرين عن طريق اللمس، وهو أصل عبارة «للتبرك» التى شاعت فى الشرق. ويكون التبرك بلمس الأشياء المباركة أو تقبيلها أوطرقها. ولمخلفات الأولياء والملابس التى كانوا يرتدونها فى حياتهم وكل ما يتصل بالأحياء منهم قوة خارقة . وهذا يفسر لنا

ما تعوده شيوخ الدراويش من البصق فى فم الذين يلتحقون بطريقتهم حديثاً .

« بركه » بن جوچى ، وتطلق عليه معظم المصنفات المصرية اسم بركة بن باتو خطأ : أمير مغلى وزعيم القبيلة الذهبية ، وهو حفيد چنكيز خان وثالث أبنـــاء جوچى . ونستدل من رسائل المبعوثين المصريين الذين لقيهم فى أواخرسنى حياته أنه كان يصغر باتو بأعوام قلائل . ولا نعرف عن سيرته قبل أن يرقى العرش إلا القليل . ولم يشترك بركه فى الحروب التى نشبت فى الروسيا وغربى أوروبا بين عامى ١٢٣٤ و ١٢٤٢م . وكان يتردد على بلاد المغل أكثر مما كان يفعل باتو. وقد اشترك فى المجالس الكبيرة التى عقدت عام ١٢٤٦ م بمناسبة تتويج كيوك وعام ١٢٥١ م بمناسبة تتويج منكو . ورأس بركه المجلس الأخير بصفته أسن الحاضرين من البيت المالك . كما كان له شأن كبير فى محاكمة أحفاد چغتاى وأوكداى (انظر مادة باتوخان) . ويروى كيرا كوس Kirakos الأرمنى أن ألغا حفيد چغتاى جعل بركه فيما بعد المسئول وحده عما حل بأهل بيته من نكبات .

وبادر بركه بُعَيْد ذلك إلى العودة إلى أرض أجداده ولم يزر شرقى آسية بعد ذلك . ويصف ربروكيس Rubruquis فى يومياته عام ١٢٥٣م معسكر بركه . وكان بركه مسلماً حتى فى ذلك الوقت ، فلم يسمح بأكل الخنزير فى معسكره . ومن الواضح أن القصة التى رواها أبوالغازى من أن بركه اعتنق الإسلام بعد أن ولى العرش وضعت فى عصر متأخر (ابوالغازى : طبعة *Desmaisons* ، ص ١٧٢ وما بعدها) . ويقول الجوزجانى فى كتابه « طبقات ناصرى » (ترجمة رافرتى Raverty ، ص١٢٨٤) إن بركه درس القرآن فى حداثته بخوقند على فقيه من أهل هذه المدينة ؛ ويروى الجوزجانى فى موضع آخر (ص١٢٩) قصة الكراهيـة التى كان يضمرها سرتاق بن باتو بصفته نصرانياً لعمه بركه المسلم . ويمكننا أن نقارن هذه القصة بما رواه الأرمنى كيرا كوس من أن بركة دس السم لابن أخيه . واذا كانت العداوة قد نشبت حقاً بين هذين الأميرين فإن من الصعب تفسيرها بكراهية كل منهما لدين الآخر فقط . وإن كان روبروكيس قد أنكر تعميد سرتاق فإن هذا الأمر لم تؤيده المصادر الشآمية والأرمنية فحسب بل أيدته المصنفات الإسلامية بما فيها كتب المعاصرَين اللذين لم ينقل أحدهما عن الآخر وهما : الجوينى والجوزجانى . ومهما يكن الأمر فإن سرتاق الذى كان له ست زوجات فى رواية روبروكيس والذى أعفى رجال الدين من المسلمين والنصارى على الســـواء من كافة الضرائب فى رواية كريا كوس لم يكن أكثر تعصباً لنصرانيته من تعصب بركه لإسلامه وهو الذى كانت عاصمته مقر أسقف نصرانى عام ١٢٦١ م .

ويقول الجوينى إن سرتاق بلغه خبر وفاة أبيه باتو وهو فى طريقه إلى بلاد المغل عام ٦٥٣هـ (فبراير ١٢٥٥ — يناير ١٢٥٦ م) للقاء الخان الكبير منكو، ولكنه تابع سيره. وأقامه الخان خلفاً لباتو ونصبه أميراً على الممتلكات الوراثية فى بيت جوجى وجعله أول أمير فى الدولة كلها بعد الخان الكبير. ولكن سرتاق توفى بعيد ذلك أثناء رجوعه فى بعض الروايات، أو عقب عودته فى روايات أخرى. وأقام عمال الخان الكبير أولاغچى زعيماً للقبيلة الذهبية وجعلوا «براقچين خاتون» أرملة باتو وصية عليه، ويقول الجوينى أن اولاغچى هذا هو ابن سرتاق بينما يقول رشيد الدين إنه ابن باتو.

وكان بركه، شأن باتو، لا يحكم فى أوائل سنى حكمه بلاد أجداده فحسب، ولكنه كان يحكم ما وراء النهر أيضاً. ويقول الجوزجانى إنه زار بخارى وأظهر تبجيله لعلمائها. ويروى كذلك أنه أمر بأن يعاقب نصارى سمرقند عقاباً صارماً وأن تهدم كنيستهم لأن بنى وطنهم المسلمين لقوا بعض الحيف على يدهم. ويقال إنه عندما وصل خبر وفاة الخان الكبير عام ١٢٥٩م جعلت الخطبة باسم بركه لا فى ماوراء النهر فقط بل فى خراسان وولايات فارس الأخرى أيضا (طبقات ناصرى: ترجمة رافرتى Raverty، ص ١٢٩٢).

وفى خلال السنوات الأربع التالية ١٢٦٠ — ١٢٦٤، اشتغل اثنان من أخوة الخان الكبير هما قبلاى وأرغ بغا فى نضال من أجل العرش بآسية الشرقية. ونستدل من السكة التى ضربت فى البلغار أن بركه اعترف بأن المطالب الأصغر أرغ بغا هو الوارث الشرعى للعرش، مع أن الغلبة التامة كانت لمنافسه آخر الأمر. وحوالى هذا الوقت ظهر الأمير ألغا حفيد جغتاى فى أواسط آسية وكان هذا الأمير يعمل أول الأمر باسم أرغ بغا ثم انتقض عليه جهرة بعد ذلك. ولم يقتصر نجاحه فى ضم بلاد جده إلى صفه بل ضم أيضاً خوارزم التى كانت على الدوام تابعة لمملكة جوجى وخلفائه. وطرد الولاة والعمال الذين أقامهم بركة من البلاد. ولابد أن تكون المذبحة التى يروى وصّاف (الطبعة الهندية، ص ٥١) أنها حلت بشطر من جيش بركه يبلغ عدده خمسة آلاف من المقاتلة الأشداء فى بخارى لم تقع على يد قبلاى، كما زعم وصّاف نفسه، ولا على يد هولاكو كما ظن دوسن d' Ohsson فى كتابه *Histoire des Mongols*، ج ٣، ص ٤٨١ وما بعدها) وإنما وقعت على يد ألغا، وظلت الحرب قائمة بين بركه وألغا حتى توفى بركه بل إنه بعد أن تم النصر لألغا على أرغ بغا استولت جنوده على مدينة أوترار التجارية وخربتها وكان ذلك فى السنوات الأخيرة من حياته. وكان بركه فى حاجة إلى حشد قواته فى الجنوب والغرب ولذلك لم يفعل شيئا بأعدائه فى الشرق غير أنه لم يتخل مع ذلك

عن مطالبه. وكان أرغ بغا يحارب ألغا، فلما سقط واصل الأمير قيدو حفيد أوكداى، وكان يحارب فى صفوف أرغ بغا — القتال يعاونه فى ذلك بركه.

ولم تكن الحملات التى أنفذت إلى الغرب ضد البولنديين وضد دانيال ملك غاليسيا الذى لم يقنع بإعلان استقلاله عام ١٢٥٧ م بل بلغت به الجرأة أن هاجم التتار، لم تكن هذه الحملات على جانب كبير من الأهمية، ونجح فى القيام بها الجنود الذين نيط بهم حماية أقاليم الحدود دون أن تدعو الحاجة إلى حضور بركه بنفسه إلى ميدان القتال. وخضع الملك دانيال لخان التتر فخرّب معظم الحصون التى أقامها فى مملكته. أما الحرب بين بركه وابن عمه هولاكو فاتح بلاد فارس فقد كانت أهم من الحروب التى سبقتها وإن كان بركه فيها أقل توفيقاً. وقد اختلف فى بواعث هذه الحـــرب ووصفت بعض الروايات بركه بأنه قام بها ذوداً عن الإسلام، شأنها فى ذلك شأن قصة العداوة التى نشأت بينه وبين سرتاق، ولذلك يقال إنه عنف هولاكو تعنيفاً قاسياً على تخريبه كثيراً من المدن الإسلامية، وبخاصة على قتله الخليفة المستعصم. وربما كانت الروايات الأقرب إلى التصديق هى التى تزعم أن أمراء جوچى أحسوا بما تتعرض له حقوقهم من الخطر بقيام دولة مغلية جديدة فى فارس. وكانت بعض الأقاليم مثل أرّان وأذربيجان التى أدمجت فى المملكة الجديدة قد داستها سنابك الخيول المغلية فى عهد چنكيزخان. ولذلك كان لا بد أن تكون تابعة لجوچى عملا بوصية هذا الفاتح (انظر مادة «باتوخان») وكان زعماء القبيلة الذهبية يدعون دائماً ملكية هذه الأرض، لكنهم لم يفوزوا بطائل.

وحارب بركة أقرباءه من الفرس مرتين، انتصر هولاكو فى أولاهما وتقدم حتى وصل إلى نهر ترك فى نوفمبر — ديسمبر من عام ١٢٩٢م ولكن جيوش بركه ألحقت به الهزيمة وفقد هولاكو شطراً كبيراً من جيشه أثناء تقهقره، وهلك كثيرون فى نهر ترك فكان الثلج الذى يغطيه يتكسر تحت سنابك الخيل. ولم يحضر بركه نفسه هذه الوقعة. وذبح هولاكو بعد هذه الحرب جميع الذين كانوا يقيمون فى بلاده من تجار مملكة بركة. وأجاب بركه على هذا بذبح الذين كانوا يعيشون فى بلاده من تجار مملكة هولاكو. ولم يحاول أحدهما أن يواصل الحرب بعد ذلك فى السنوات القليلة التالية. وكان بيبرس قد صمم قبل أن تنشب هذه الحرب على أن يفاوض بركه وأن يعقد معه حلفا ضد عدوهما المشترك هولاكو. وبعث بيبرس من القاهرة رسالة بهذا المعنى إلى بركه فى عام ٦٦٠ هـ (٢٦ نوفبر عام ١٢٦١ — ١٤ نوفبر عام ١٢٦٢م). وفى المحرم من عام ٦٦١هـ (١٥ نوفبر — ١٤ ديسمبر ١٢٦٢ م) جهزت بعثة لهذا الغرض. وفى ربيع عام ١٢٦٣م وصلت إلى القاهرة بعثة من قبل بركه قبل أن ترجع

البعثة التي أوفدها بيبرس . ولما تأهبت بعثة بركة للرحيل أوفد بيبرس صحبتها رسلا آخرين إلى بلاد الأمير المغلي . وقد لا يكون في مقدورنا أن نوفق بين الروايات المختلفة التي ذكرتها المصادر في هذا الشأن . ومن الواضح أن المؤرخين المصريين قد خلطوا بين هاتين البعثتين في رواياتهم . ومما يجدر ذكره ما رواه الرسل الذين أوفدوا إلى بلاد بركه ووصفهم إياه بأنه « . . . خفيف اللحية كبير الوجه في لونه صفرة ، يلف شعره عند أذنيه ، في أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثمنة ، عليه قباء خطائي ، وعلى رأسه سراقوج ، وحياصة ذهب بجوهرة بسولو بلغاري أخضر ، وفي رجليه خف كيمخت أحمر ، ويلبس في وسطه سيفا ، وفي حياصته قرون سود معوجة مقمعة بذهب »[1] ويقال إن عمر الملك بركه كان إلى ذلك التاريخ ستا وخمسين سنة ، وكان به به وجع النقرس مثل باتو . ويتصل بهذه البعوث ما ذكر من أمر الحملة المغلية التي أنفذت إلى الإمبراطور البوزنطي الذي احتجز في أرضه إحدى البعثتين المصريتين ، وربما كانت الثانية منهما . وفي عام ١٢٦٠ م اجتاح جيش مغلي شبه جزيرة البلقان إلى بحر إيجه ، ولم يشترك بركه في هذه الحملة ، وأطلق سراح السلطان عز الدين كيكاوس الذي كان قد طرد من آسية الصغرى ، وحبس في حصن إينوس على بحر إيجة ، ثم أحضر إلى القريم .

وفي عام ١٢٦٦ م استأنف بركة الحرب مع فارس ، وكان يحكمها في ذلك الوقت أباقا خلف هولاكو غير أن هذه الحرب لم تؤد إلى نتيجة ، إذ ظل الجيشان أمداً طويلا لا يقومان بحركة ما ، وكل منهما يواجه الآخر على ضفة من ضفاف نهر كرّ . وأراد بركه الذي كان في ذلك الوقت على رأس جيشه كما تقول المراجع الفارسية ، أن يصعد مع النهر إلى تفليس ثم يعبره عندها ولكنه مات في الطريق إليها فعاد جيشه إلى بلاده . وتذكر المصادر المصرية أن وفاة بركه كانت عام ٦٦٥ هـ (٢ أكتوبر ١٢٦٦ — ٢١ سبتمبر عام ١٢٦٧ م) . وفي صفر من العام نفسه (٢٢ أكتوبر — ١٩ نوفمبر عام ١٢٦٧ م) أرسلت إلى خلفه منكو تيمور رسالة عزاء . بينما يقول أصحاب الحوليات الروسية إن بركة توفي عام ٦٧٧٤ من خلق العالم (أول سبتمبر عام ١٢٦٥ — أول سبتمبر عام ١٢٦٦) .

ولم يعقب بركة ذرية فآل العرش إلى منكو تيمور حفيد باتو ، ولم يعد بركة في أواخر سني حكمه أول أمير بعد الخان الكبير في الدولة المغلية كما كان باتو بل أضحى أمير دولة مستقلة وإن كان هذا التطور لم يتم إلا في عهد خلفه الذي كان أول من ضرب السكة باسمه . وليس من السهل أن نقدر مدى ما قام به بركة المسلم لنشر ثقافة الإسلام بين المغل ، فالمصادر

(١) ورد هذا النص في كتاب النهج السديد لابن أبي الفضائل ، ص ١١٦ وما بعدها .

اللجنة

المصرية تتحدث عن مدارس كان يتعلم فيها النشء القرآن . ولم يكن لبركه وحده إمام ومؤذن بل كان لكل زوجة من زوجاته الخمس ولكل أمير من الأمراء إمام ومؤذن أيضا . ومع ذلك فإن المصادر نفسها تنبئنا أن العادات الوثنية على اختلاف أشكالها وألوانها كانت مرعية فى بلاط الخان بنفس الدقة الملحوظة فى بلاد المغل . ويمكننا أن نعرف حظ الخان الضئيل من العلم من السؤال الذى وجهه إلى الرسل المصريين عن حقيقة ما سمعه من أن عظماً لابن آدم ممتد على النيل يعبر الناس عليه . ويقال إن الخان وعدداً من أخوته اعتنقوا الإسلام، غير أن الإسلام لم يسد فى مملكته إلا بعد وفاته بنصف قرن من الزمان . وتنسب المراجع المتأخرة إلى بركة إنشاء عاصمته السراى على آقتوبه (ابن بطوطة : طبعة Defrémery ، جـ ٢ ، ص ٤٤٧ ولذلك يطلق ابن بطوطة عليها اسم سراى بركه) . ولكن المدينة كما نعلم من رواية رويبروكيس كان قد أسسها باتو . ولعلها لم تصبح مدينة بمعنى الكلمة إلا فى عهد بركه ؟

المصادر

(١) انظر مصادر مادة « باتوخان » فيما يختص بالمصادر الفارسية والروسية بطبعاتها المختلفة (٢) وقد جمع W. Tiesenhausen ما أوردته المصنفات العربية عن تاريخ القبيلة الذهبية فى *Sbornik materialow Otnosjasch-chichsja kistorii Zolotoi ordi* المجلد الأول سانت بطرسبرج عام ١٨٨٤ م ، النص العربى والترجمة الروسية (٣) والاشارات التى وردت فى النهج السديد للمفضل لها قيمة خاصة ، المصدر المذكور ، ص ١٨١ وما بعدها و ١٩٣ وما بعدها وانظر فيما يختص بهذا المصنف بروكلمان ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ (٤) ويروى Quatrmère المصادر نفسها فى ترجمته لكتاب السلوك للمقريزى بعنوان *Histoire des Sultans Mamlouks* ، جـ ١ ، عدد ١ ، ص ٢١٣ وما بعدها (٥) ونشر Patkanow كتاب Kirakos : *Istorija mongolow po armyanskim istočnikam* المجلد الثانى ، سانت بطرسبرج ، عام ١٨٧٤ م ، (٦) Howorth : *History of the Mongols* جـ ٢ ، لندن ، ١٨٨٠ م ، ص ١٠٣ — ١٢٥ (٧) Gulielmus de Rubruquis : *Journey to the Eastern Parts of the World* ، ترجمة W. W. Rockhill ، لندن *Hatsluyt Society* ، ١٩٠٠ م .

[بارتلد W. Barthold]

« بركوى » أو بيركيلو محمد بن بير على : فقيه تركى ولد فى باليكسرى سنة ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) وبدأ يطلب العلم فى مسقط رأسه ثم درس فى القسطنطينية وهناك انخرط فى سلك البيرمية (انظر هذه المادة) . وبعد أن قضى بعض الوقت فى أدرنة أراد أن يعتزل

الحياة العامة، ولكن عطاء الله أفندى عينه مدرسا فى مدرسة بركى. فظل يعلم فيها إلى أن توفى سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م). وتشهد مصنفاته وكتبه المدرسية التى ألف معظمها باللغة العربية بطول باعه فى التأليف. وأغلب مصنفاته فى شئون الدين بمعناه الواسع كتفسير القرآن وعلم الفرائض والوعظ والمسائل الفقهية مثل شروط الوقف، وهو موضوع جادل فيه جدلا عنيفا معاصره المشهور أبا السعود (انظر هذه المادة) شيخ الإسلام. وله مؤلفات أيضا فى النحو العربى، وتجد بيان مصنفاته فى كتاب بروكلمان المسمى *Gesch. der arab. Litter* (جـ ٢، ص ٤٤٠ — ٤٤١). ولكن بركوى يشتهر على وجه خاص برسالة فى أصول الدين باللغة التركية تسمى عادة باختصار «رسالة بركوى» أو «وصيت نامه». وقد طبعت وترجمت عدة مرات، (انظر فيما يتعلق بهذه الرسالة Zenker: *Bibliotheca Orientalis*، جـ ١، رقم ١٤٦٣ وما بعده، جـ ٢، رقم ١١٩٢ وما بعده: المجلة الآسيوية ١٨٤٣ م: جـ ٢، ص ٣٢، ٥٥، سنة ١٨٥٩ م جـ ١، ص ٥٢٤، Dieterici: *Chrestomathie Ottomane*، ص ٣٨ وما بعدها)

وينبغى أن نذكر من بين هذه الترجمات بوجه خاص، الترجمة الفرنسية التى قام بها Garcin de Tassy فى كتابه المسمى «*L' Islamisime d'après le Coran*» الطبعة الثالثة، سنة ١٨٧٤ م؟

المصـــادر

انظر فيما عدا المصادر المذكوره فى المقال على بن بالى: العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ص ٤٣٠ وما بعدها. على هامش ابن خلكان، طبعة القاهرة سنة ١٣١٠

«بركياروق» أبو المظفر ركن الدين: أحد سلاطين السلاجقة وهو أكبر أبناء ملكشاه. وتختلف المصادر فى تاريخ ولادته، ولكن من المحقق أنه ولد فى بداية العقد السابع من القرن الخامس، وأنه كان فى ريعان شبابه عندما توفى أبوه فى السادس عشر من شوال عام ٤٨٥ هـ (١٩ من نوفبر سنة ١٠٩٢ م). وسترت «تركان خاتون» زوجة ملكشاه المعروفة بالخداع والطمع موته وكتمته ولم تعلنه إلا بعد أن استحلفت الأمراء لابنها الأصغر محمود، وحصلت على موافقة الخليفة. ثم سارت بعد ذلك إلى إصفهان، وكانت قد أرسلت فى القبض على بركياروق على أثر وفاة ملكشاه. فلما ظهر موت ملكشاه ثار أتباع الوزير المقتول نظام الملك وأخرجوا بركياروق من الحبس ونادوا به فى العام نفسه سلطانا على الرى. وسار بركياروق إلى إصفهان فهزم جنود تركان خاتون بالقرب من بروجرد، وذلك فى نهاية عام ٤٨٥ هـ (يناير ١٠٩٣ م). أما الأميرة تركان فإنها ظلت فى إصفهان واضطرت بعد

حصار طويل إلى أن تعقد الصلح مع بركياروق على أن تحتفظ هي وولدها بإصفهان وفارس وأن تعترف ببركياروق سلطانا ، وتنزل له عن حكم الأقاليم الأخرى . ولم يطل أمد هذا الصلح لأن تركان خاتون أفلحت فى إثارة إسماعيل بن ياقوتى والى أذربيجان وخال بركياروق عليه والتقى الاثنان بالقرب من الكرج سنة ٤٨٦ ﻫ (١٠٩٣ م) فاضطر ياقوتى إلى الفرار إلى أصفهان ، وفيها قتله بعض الأمراء . وخرج على بركياروق خال آخر له هو تتش بن ألب أرسلان إذ تحالف مع بوزان صاحب الرها وأق سنقر صاحب حلب وتمكن بذلك من الاستيلاء على الموصل . ولكن تتش اضطر بعد ذلك إلى الانسحاب إلى دمشق بعد أن تخلى عنه هذان الواليان وانحازا إلى بركياروق . أما بركياروق فدخل بغداد وفيها خطب باسمه ، وذلك فى المحرم من سنة ٤٨٧ ﻫ (فبراير ١٠٩٤ م) . وفى غضون تلك الحوادث غدر أق سنقر وبوزان بتتش فحشد جيشا جديدا وخرج به إلى دمشق وحارب أق سنقر وقبض على هذين الواليين الغادرين وقتلهما ، واستولى على حلب وحران والرها . ثم سار تتش بعد ذلك إلى بلاد الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ثم خرج منها إلى همذان ، وفى بغداد نودى به سلطانا مكان بركياروق .

وبعد وفاة تركان خاتون فى رمضان من سنة ٤٨٧ ﻫ (سبتمبر — أكتوبر ١٠٩٤ م) ، كان ابنها الأصغر موجودا فى إصفهان فذهب إليه بركياروق ليحتمى به من الأخطار التى كانت تتهدده . وأخذ أتباع محمود يدبرون خطة للتخلص من بركياروق ، ولكن حدث أن توفى محمود بالجدرى فى نهاية شوال من العام نفسه (نوفمبر ١٠٩٦ م) فانحاز الأمراء إلى صف بركياروق ، وأصبح بركياروق قادرا على متابعة الحرب ضد تتش الذى كان قد زحف إلى الرى فى أثناء تلك الحوادث . وفى ١٧ من صفر سنة ٤٨٨ ﻫ (٢٦ فبراير سنة ١٠٩٧ م) حدثت بينهما الواقعة الفاصلة بالقرب من الرى . وانحاز عدد كبير من جند تتش الذى كان فظا قاسيا إلى بركياروق الذى عرف بالحلم والوداعة ، ومع هذا فكان جيش تتش لا يقل عدده عن ١٥,٠٠٠ مقاتل ، أما جيش بركياروق فبلغ عدده الى ٣٠,٠٠٠ مقاتل . وقبل أن ينشب القتال بينهما تخلى عن تتش الجانب الأكبر من اولئك الذين ظلوا إلى ذلك الوقت يخلصون له . وقاتل تتش قتال اليائس المستميت إلى أن وقع قتيلا فى ساحة القتال . وفى هذا العام نفسه نشبت الفتنة فى خراسان وكان على رأسها أرسلان أرغون (انظر هذه المادة) وهو خال ثالث لبركياروق ، فلقى فى أول الأمر شيئا من النجاح ، ولكن قتله أحد العبيد فى سنة ٤٩٠ ﻫ (١٠٩٦ م) فأتيح بهذا لبركياروق أن يوطد النظام وأن يعين أخاه سنجر واليا على خراسان .

وفى سنة ٤٩٢ ﻫ (١٠٩٩ م) ثار محمد أخو بركياروق فى أذربيجان وتقدم حتى

أشرف على الرى . وأراد بركياروق أن يخرج للقائه ولكن الجانب الأكبر من جنده انحاز إلى محمد . ولم يبق لبركياروق إلا النجاة بنفسه ، واستولى أخوه على الرى وشنق أم بركياروق ، وخطب لمحمد فى بغداد .

على أن بركياروق أفلح فى جمع جيش جديد وانحاز إلى جانبه أمراء العراق . وفى منتصف صفر من سنة ٤٩٣ هـ (أوائل سنة ١١٠٠ م) سار بركياروق إلى العاصمة فقبل الخليفة دون مشقة أن يذكر اسمه فى الخطبة ، وفى رجب من العام نفسه (مايو — يونيه) هزمه أخوه محمد فاضطر إلى الارتداد إلى خراسان ، وكان صاحبها سنجر هو ومحمد قد أصبحت لهما غاية مشتركة . ومع هذا فقد استطاع بركياروق الحصول على مدد ، وفى جمادى الثانية من سنة ٤٩٤ هـ (أبريل سنة ١١٠١ م) هزم محمدا فى همذان ، فلجأ إلى خراسان . واستمرت الحرب سجالا بينهما إلى أن عقد الصلح بينهما فوضع حدا لها .

واعترف فى هذا الصلح الذى عقد فى ربيع الأول من سنة ٤٩٥ هـ (ديسمبر من سنة ١١٠١) بأن يكون بركياروق السلطان ومحمد الملك ،ويكون له من البلاد الجزيرة وأذربيجان. ونقض محمد الصلح بعد عدة أشهر واستؤنف القتال بينهما فى شدة وعنف . واضطر محمد إلى الفرار ثم حاصره بركياروق فى إصفهان، ولكنه تمكن من الفرار وحشد جيش جديد . فهزمه بركياروق مرة أخرى فلم يكن له بد من قبول الصلح فى سنة ٤٩٧هـ (آخر سنة ١١٠٣م وبداية سنة ١١٠٤ م) ، على أن يستقل محمد بملك أذربيجان وأرمينية وبلاد الجزيرة والموصل والعراق العربى وأن تكون له السيادة على أخيه سنجر أمير خراسان . وظل بركياروق محتفظا بالبلاد الأخرى ، وتقول معظم الروايات إن بركياروق توفى فى ربيع الثانى من سنة ٤٩٨هـ (ديسمبر سنة ١١٠٤م) . وبوفاته ابتدأ اضمحلال دولة السلاجقة .

المصادر

(١) ابن خلكان ، طبعة فستنفلد ، رقم ١٠٩ ، ترجمة ده سلان ، ج ١ ، ص ٢٥١ (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ١٠ ، فى مواضع مختلفة (٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ١٣ وما بعدها (٤) Vullers : *Mirchondi* *Historia Seldschukidarum*، الفصول من ١٩ — ٢٥ (٥) Defrémery : *Recherches sur le règne de Barkiarok* باريس ١٨٥٣ (٦) Houtsma : *Recueil de texes relatifs à l' histoire des Seldjoucides* ج ٢ ، ص ٨٢ — ٩٠ ، ٢٥٥ — ٢٦٢ (٧) Weil : *Gesch. der Chalifen* ج ٣ ، ص ١٣٤ وما بعدها (٨) Müller : *Der Islam im Morgen-und Abendland* ج ٢ ، ص ١١٥ وما بعدها .

[تسترشتين K.V. Zetterstéen]

« برلّس » أو بُرُلس ، اسم ناحية وبحيرة فى دلتا النيل ، ومن المعروف أن فرعى النيل يصبان مباشرة فى البحر ، على حين يصب عدد من مجاريه الصغيرة فى البحيرات شمالى أراضى الدلتا الخصبة . وهذه البحيرات لا يفصلها عن البحر المتوسط إلا سلسلة من التلال الرملية . وتسمى اليوم البحيرة الملحة الكبيرة بين فرعى رشيد ودمياط بحيرة البرلس ، وتبلغ مساحتها خلال العام ١٨٠,٠٠٠ فدان ، وتصل إلى ضعف هذه المساحة أثناء الفيضان . ولهذه البحيرة منفذ إلى البحر تنصرف منه مياه النيل العذبة زمن الفيضان ، وتندفع فيه مياه البحر الملحة وقت التحاريق . وهى مشهورة بوفرة أسماكها ، ويعيش سكان الساحل الشمالى على الصيد .

ولقد عُرف اسم بُرُلُّس منذ القدم ، أو بَرَلُّس بوجه أدق وفقا لرواية ياقوت وابن بطوطة ، كما نجد فى اللغة القبطية اسم پَرَلو Parallou أو تپاراليا Tparalia ، وفى اليونانية Παραλου وهو يطلق على أسقفية قديمة تسمى كذلك نِيكدُولس Nikedules أو نَكدَوْلس Nikeddaules .

وذكر الكندى البَرَلُّس فى كلامه عن الحصون التى على تخوم مصر ، ولا توجد اليوم مدينة بهذا الاسم ، ولعل القرى الصغيرة عند نهاية اللسان الممتد على طول شاطئها الشمالى إلى الشرق من منفذها هى بقايا تلك المدينة القديمة .

ويطلق اسم البرلس فى الوقت الحاضر على جميع الأراضى التى فى الشمال الشرقى للبحيرة ، وهى مركز من مراكز مديرية الغربية يبلغ عدد سكانه ١٨,١٦٣ [١] وأهم مدنه بلطيم التى حلت محل مدينة بَرَلس القديمة حتى فى أيام ابن بطوطة .

ولم تكن هذه البحيرة تعرف فى العصور الوسطى باسم برلس بل كانت تعرف باسم نَسْتَرَوه أو نَسْتَرَاوَه نسبة إلى محلة لم نوفق بعد إلى تحديد موقعها ، ولكن يحتمل أنها كانت تشغل المكان الذى يقع فيه كوم مسطروه المهجورة فى الوقت الحاضر والتى على حافة اللسان الضيق غربى منفذ البحيرة . ولا بد أن تكون مدينة نستراوه القديمة فى هذا الموضع كما يؤخذ من كتاب ابن دقماق (جـ ١ ، ص ١١٣) وإن كانت فى عهده قد طمرتها الرمال ؟

المصادر

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٩٣ ؛ جـ ٤ ، ص ٧٨٠ (٢) ابن جيعان : التحفة السنية ، ص ١٣٧ (٣) ابن دقماق : كتاب الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٨١ ، ١١٣ (٤) ابن بطوطة ، طبعة Defrémery و Sanguinetti جـ ١ ، ص ١٦ وما بعدها (٥) القلقشندى ،

[١] كان ذلك وقت كتابة المقال

ترجمة فستنفلد ، ص٢٩ ، ١١٥ (٦) على مبارك : الخطط الجديدة ، ج ٩ ، ص ٣٥ وما بعدها (٧) Baedeker : *Egypt* عام ١٩٠٨ ، ص ١٧٢ (٨) Boinet Bey : *Dictionnaire Géographiqe de l' Egypte* ، ص١٢٦ (٩) Amélineau : *La Géographie de l' Egypte à l' Epoque Copte* ص ١٠٤ وما بعدها(١٠) وأحسن خريطة لهذه الجهة هي التي نشرتها مصلحة المساحة ، ومقياس رسمها ١ : ٥٠٠٠٠

[بيكر C. H Becker]

« برن » الاسم الذى كان يطلق قديما على مدينة بلند شهر (انظر هذه المادة) .

« برتّه » : كلمة من كلمات اللغة التركية فى آسية الوسطى ، لا نعرف أصل اشتقاقها على وجه التحقيق . ويظهر أنها لا توجد فى اللهجات الأخرى . وهى تطلق على غارات السلب التى يقوم بها الترك الرحل . ولقد وصف رادلف Radloff بالتفصيل أهمية هذا الجانب من حياة الرحل والنظام الحربى (جاو) الذى نشأ عنــه (*Aus Siberien* ، الطبعة الثانية ، ليبسك ، ١٨٩٣ م ، ج ١ ، ص ٥٠٩ وما بعدها ؛ *Kudatku Bilik* ج ١ ، سانت بطرسبرج ١٨٩١ م ، ص ٥٢ وما بعدها) ولم تكن فى السهوب حكومة قوية ، بل كانت الأحكام تقوم على النفوذ الشخصى للقاضى وحسن استعداد الجماعات التى يعنيها الأمر ، لذلك لم يجد البدو الرحل بدأ من الاقتصاص لأنفسهم بأنفسهم . وكانت القبيلة كلها تعد مسئولة عن الجرائم التى يقترفها فرد أو جماعة منها . والقبيلة التى اعتدى على حقوقها لا تثأر لنفسها من المذنب أو المذنبين ولكنها تثأر ممن يقع فى يدها من أفراد القبيلة المعتدية . ويعتقد ضحايا أية غارة أن لهم الحق فى أن يثأروا لأنفسهم من أى بطن من بطون القبيلة المغيرة وقد تستمر هذه المنازعات من أجل الثأر عشرات السنين من غير أن تضر بالصالح العام للقبيلة . ولاحظ رادلف أن هذه القبائل يزداد عددها وتنمو ثروتها فى أحرج الأوقات . وليست هناك قاعدة ثابتة لإقامة العدل بين الرحل . وليست لهم وسائل منظمة يتقون بها الكوارث الطبيعية غير المنظورة ، لذلك كان «الجاو» فى العادة هو الوسيلة الوحيدة التى يستعيض بها شعب يقوم بتربية الأنعام ويعتمد كل الاعتماد على الطبيعة عما يلحق به من الكوارث . أما فى حالة حكم منظم كالحكم الروسى حيث لا يسمح للأفراد أن يقتصوا بأيديهم فإنه قد أصبح من العسير على القبائل التركية أن تظل أمينة على حياتها الرعوية محتفظة برخائها ؟

[بارتلد Barthold]

« برنق » : انظر مادة « بنغازى » .

« برنك سَبِل » : الاسم الذى يطلق على الجهاد (انظر هذه المادة) فى جزائر الهند الشرقية ، وكلمة برنك وحدها معناها الحرب فى اللغة الأندونيسية .

ولقد دلت التجارب على أنه من المستحيل على المسلمين أن يقوموا بما يفرضه الجهاد عليهم . وإن كان الفقهاء يقولون ، والناس يصدقونهم ، بأن الحرب لا تضع أوزارها ضد الكفار إلا عند اليأس من النصر[١] . أما علماء البلاد الإسلامية التى تخضع لحكم غير المسلمين مثل جزائر الهند الهولاندية فيفضلون الصمت على الكلام ، وأكثر ما يستطيعون قوله هو أنه ليس هناك باعث شرعى يدعو إلى القيام بالجهاد فى هذه الظروف المحيطة بهم ، لتفوق غير المسلمين ، ولأن المسلمين يتمتعون بقسط من الحرية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد هؤلاء العلماء يفسرون بصفة خاصة الآيات التى توجل الفصل فيما بين المسلمين والكفار من نضال عنيف إلى اليوم الآخر . أما إذا وقعت أحداث سياسية أو كوارث أو نكبات سببت قلقاً أو اضطراباً، فإنه من المألوف أن ينظر إليها أهل جزائر الهند الشرقية من المسلمين نظراً دينياً ، ويحدث حينئذ أن يستيقظ فيهم الشعور بأنهم مكلفون بجهاد الكفار ، فإذا استنفر الزعماء الناس للجهاد (برنك سَبِلْ) وجدوا نفوسهم مهيأة له . والحق أن الشريعة الإسلامية تنص على أن الإمام هو الذى يدعو الناس إلى الجهاد ، ولا وجود للإمام اليوم ، ولكن لما كان سلطان الترك هو الإمام المعترف به ، فقد تغلبوا على ما يعتور نفوسهم من شك بسكوته عن الدعوة إليه[٢] . والمسلمون خارج البقاع التى يقوم الجهاد فيها يعطفون بقلوبهم على المجاهدين . ويمتدح شيوخ المسلمين بصفة عامة إكراه أى شخص على اعتناق الإسلام فى أية ناحية من نواحى جزائر الهند الشرقية ، ويعدون هذا أداء

(١) هذا القول غير واضح ، ولعل كاتب المقال اشتبه عليه الأمر ، إذ رأى النصوص الدالة على أنه لا يجوز للمقاتل الفرار إلا أن يكون لخطة من خطط الحرب أو رجوعاً إلى باقى الجيش ، كما فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) [سورة الأنفال آية ١٥ و ١٦] .

وأما أن ييأس المسلمون من النصر فلا ، وإنما قد تدعوهم الظروف السياسية أو الضرورات الحربية إلى ترك القتال فى بعض الأوقات ، وهم لا يقاتلون إلا مدافعين عن الدين وعن الحق ، ولا يقاتلون بغياً ولا عدواناً ؟

أحمد محمد شاكر

(٢) لم يكن جميع المسلمين معترفين بإمامة سلطان الأتراك فى ذلك الوقت ، وإنما أعجز المسلمين عن الجهاد وعن نصرة دينهم تفرق كلمتهم ، وضعف ملوكهم ، وإحجام علمائهم عن كلمة الحق ثم إعراضهم عن التمسك بدينهم وخوفهم من تهمة التعصب الدينى ، التى خدعتهم بها أوربة بعد أن زلزلت أقدامهم فى بلادهم ، إلى غير ذلك من الأسباب التى يطول شرحها هنا ؟

أحمد محمد شاكر

لواجب من أهم واجبات الجهاد [1] .

وكان لهـذه الدعوة العملية للجهاد شأن كبير فى آشى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وكانت الظروف صالحة كل الصلاحية لنمو هذه الحركة . إذ كان أهل آشى قوماً واثقين بأنفسهم مؤمنين بتفوقهم نزاعين إلى الحرب ، يكرهون غير المسلمين فى كل مكان ، أو على الأقل يحتقرونهم . وكانوا فى الوقت نفسه يجلون الأشخاص الذين يمثلون ناحية من مناحى الثقافة الدينية ، ولكن هذه الخصال وحدها لم تكن كفيلة بإنجاح الجهاد أمام قوة منظمة تحسن الهجوم . أضف إلى هذا أن القيادة الحربية كانت تعوزهم . نعم كان لهم سلطان فى آشى . ولكنه لم يكن عاملا فعالا فى توجيه الموقف . وكان زعماؤهم ، وهم حكام البلاد الحقيقيون ، يؤثرون الاعتكاف فى أقاليمهم . ولم يكونوا صالحين للتعاون فيما بينهم . فقامت عصابات مسلحة وعاثت فى أنحاء البلاد ، وأنزلت بالكافرين ما استطاعت من الأذى ، إلا أنها لم تفلح فى اكتساب معونة الناس جميعاً ومساعدتهم لأنها لم تكن تقوم بالجهاد الذى جاء فى كتاب الله . ذلك لأن الشريعة حددت الموارد التى ينفق منها على الجهاد . فالله لا يرضى مطلقاً عن أعمال النهب والتخريب التى انتهجتها هذه العصابات كما أن طريقة تنظيمها لم تكن لتسمح لها بالبقاء طويلا .

وفى هذه الظروف قام العلماء بتنظيم الجهاد ، واشتهر منهم بصفة خاصة علماء تيرو التى كانت مركزاً لدراسة علوم الدين ، ولاموا الزعماء على تقاعدهم كما لاموا الناس على اختيارهم العاجلة دون الآجلة ، وجاسوا خلال البلاد قاصيها ودانيها ينشرون الدعوة إلى الجهاد فلم يجسر أحد على الجهر بمعارضتهم لأنهم كانوا رجال الشرع . وكان لابد للقيام بالجهاد من مال . فطالب العلماء بالزكاة التى تنفق فى سبيل الله ، واستخدموها بصفة خاصة فى تكوين قوة حربيـة دائمة قوامها الرجال الذين دخلوا فى الإسلام . وظل العلماء زمناً طويلا عماد الجهاد . ومع ذلك فمن الواضح أن السلطان الذى اكتسبه هؤلاء العلماء على أمراء تلك البلاد كان يبقى طالما كانوا قادرين على حمل الناس على متابعة الجهاد . ولما خمد الجهاد عاد العلماء إلى ما كانوا عليه وبقى لهم نفوذهم القديم باعتبارهم رجال الشرع . وكانت هناك المصنفات العديدة التى تدور فى

(١) لسنا نعرف فى أية بلدة من بلدان الاسلام أن هناك علماء من شيوخ المسلمين يرضون عن إكراه إنسان على اعتناق الاسلام ، ولا نظن كاتب المقال متحققا من هذا النقل الذى ينسبه إلى بعض العلماء ، بل لعله سمع بعض كلمات من أناس يتملقون أعداء الدين بأقاويل يزعمونها من أقاويل العلماء التماساً لعرض الحياة الدنيا ، وغرورا بما يرون من قوة أعداء الاسلام وطغيانهم . وأما الإسلام وعلماء الإسلام فإنهما بريئان من إكراه غير المسلم على الدخول فى الإسلام .

وقد عرض كاتب المقال لأحكام تتعلق بالجهاد هنا ، وليس هذا موضعها ، ونرجو أن نتكلم عليها عند الكلام على مادة «جهاد» إن شاء الله ؟

أحمد محمد شاكر

جعلتها حول موضوع الجهاد تستثير الحمية فى نفوس المجاهدين ، وكانت من الصفات الملازمة لحركة الا « پرنك سبل » . وقد ألف العلماء عدة بحوث ورسائل بينوا فيها واجب الناس فى القيام بالجهاد وأكدوا فيها مايلقاه الشهيد من ثواب الآخرة كما وصموا الكفار بأشنع الصـــفات ، وهناك قصيدة طويلة عنوانها «حكايت پرنك سبل » قصد بها ناظمها بوجه خاص أنها إذا تليت على السامعين أثارت حماستهم وازدراءهم للموت . ولهذه القصيدة عدة نسخ ؟

المصـــادر

(١) C. Snouck Hurgronje : *De Atjèhers* ، باتافيا ، ١٨٩٣ — ١٨٩٤ ، جـ ١ ، ص ١٨٣ وما بعدها ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ (٢) المؤلف نفسه : *Verspreide Geschriften* ، جـ ٤ ، فصل ٢ ، ص ٢٣٣ وما بعدها (٣) H.T. Damsté : *Atjehsche oorlogspapieren* فى *Indische Gids* ، ١٩١٢ ، جـ ١ ، ص ٦١٧ وما بعدها ، ٧٧٦ وما بعدها (٤) المؤلف نفسه : *Hikajat Prang Sabil* ، النص والترجمة فى *Bijdragen tot de Taal—, hand — en Volkenkunkunde* [redacted] *Ned-Indië* ، جـ ٨٣ ، ص ٥٤٥ وما بعدها .

[R. A . Kern كرن]

« البرنو » دولة من دول السودان الأوسط تحد شمالا بالصحراء وغرباً ببلاد الهوسة وجنوباً بـ «أدَمَوه» . وتحد من ناحية الجنوب الشرقى بـ «بجرمى» (بغرمى) وشرقاً ببحيرة شاد . ولقد أشار نشتيجال Machtigal إلى أن هذه الحدود ليست ثابتة ، فهى تتغير من ناحية الصحراء وغيرها من الجوانب الأخرى بتغير الظروف السياسية . ففى خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت برنو بين خطى عرض ١٩ َ ١١° و ٣٠ َ ١٤° شمالا وخطى طول ٣٠ َ ٧° و ١٤° شرقاً . وتقدر مساحة هذه الدولة بما يقرب من ١٥٠,٠٠٠ كيلو متر مربع (٨٠,٠٠٠ ميل مربع) .

ولا نعرف على التحقيق أصل كلمة برنو ، ويجب أن نستبعد مايقال من أن هذه الكلمة مشتقة من « بر نوح » ويقول بارث Barth إن كلمة برنو من أصل بربرى معتمداً فى ذلك على التشابه القائم بينها وبين الكلمات : بِرَوْنى أى أهل برنو وبربر و بِردُوَه أو بِردَاوه ، وهو اسم أسرة ليبيـــة تقول الروايات إن الملوك الأول انحدروا منها ، ويذكر أيضا اسم بايربرتشه ومعناه أمة البربر ويطلقه الهوسة على جيرانهم من أهل برنو (Barth *Reisen* ، المجلد الثانى ، فصل ٧ ، ص ٢٩٣) وقد ذكر اسم برنو لأول مرة ابن فضل الله العمرى فى كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف» (ص ٥٧ ، طبعه القاهره عام ١٣١٢ هـ) . ورسمها هكذا « البرنُو » . وظللنا أمداً طويلا

لانعرف عن هذه البلاد شيئاً سوى إشارات قليلة ذكرها المؤرخون والجغرافيون من العرب كابن سعيد وابن خلدون والمقريزى، كما خصها الحسن بن محمد الوزان الزياتى بفصل من كتابه فى وصف إفريقية (القسم الثالث، الكتاب السابع، الفصل الرابع عشر، طبعة Schefer) وقد استقر الحسن فى تلك البلاد أمداً وجيزاً فى بداية القرن السادس عشر الميلادى. وعرف الأوربيون هذه البلاد من رحلات دنهام Denham وأودنى Oudney وكلابرتون Clapperton الذين زاروا «كوكه» عام ١٨٢٣ م.

ولم يبق من البعثة التى جهزها رتشاردسن Richardson سوى بارث، فأخذ هذا الرحالة يكشف عدة أقاليم من عام ١٨٥١ إلى عام ١٨٥٤م، وأقام ثلاث فترات طويلة فى كوكة وجمع من الأهلين الوثائق والأخبار التى مكنته من أن يصنف لنا تاريخاً موجزاً لبرنو وأكمل بحوثه كل من فوجل Vogel (١٨٥٤—١٨٥٦م) وبيرمان Beurmann (١٨٦٠م) ورلفس Rohlfs (١٨٦٦م) ونشتيجال الذى كُلّف حمل هدايا ولهلم ملك بروسيا إلى الشيخ عمر (١٨٧٠ — ١٨٧٢ م) وماتيوتشى Matheucci ومسّارى Massari (١٨٨٠ — ١٨٨١ م) ومونتى Monteil (١٨٩٢م) وبما قام به حديثاً الضباط والولاة فى نيجيريا والكمرون وإفريقية الغربيــــة والكنغو الفرنسية.

والحق إن برنو سهل يكاد يكون مستوياً، ولا ترتفع أرضه إلا عند الأطراف فى إقليمى مُنْيو وزندر فى الشمال الغربى حيث يبلغ الارتفاع فى بعض هذه الجهات ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر؛ وفى إقليمى مرغى ومندرة فى الجنوب الشرقى. وتختلف طبيعة التربة باختلاف الأقاليم، فهى مسامية حول بحيرة شاد. أما الأراضى الشاسعة الممتدة ناحية الجنوب فهى من صلصال لا ينفذ الماء منه يجف ويتشقق فى فصل الصيف، ويكوّن أحواضاً فى فصل الشتاء تتحول إلى مستنقعات راكدة. وتتجمع المياه الجارية فى نهر يو أو يئو الذى يصب فى بحيرة شاد. وقد أطلق بارث خطأ على هذا النهر اسم «كوما دُ كُو وَوْ به»، وكلمة كومادكو معناها متسع من الماء، وهى تطلق على المستنقعات وعلى البحيرة نفسها كما تطلق على الأنهار. ويجرى نهر يئو من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى، وتلتقى به عدة نهيرات أهمها «تشبَة» من اليسار و«كُشيه» من اليمين، وهو يصب فى بحيرة شاد على مسيرة اثنى عشر ميلا من شمالى كوكة بعد أن يقطع نحو ٧٠٠ كيلو متر (٤٥٠ ميلا) تقريباً. وتكوّن البحيرة نفسها حداً من حدود برنو من قرية «نغيمى» فى ركنها الشمالى الغربى إلى دلتا نهر شارى، وشواطئها غير محدودة فى الجهات الأخرى. وتجف أحياناً مساحات شاسعة منها، وهذا هو الحال بصفة خاصة فى جزئها الشمالى الشرقى، وهو الآن مستنقع

تنتشر منه الأوبئة . ويفيض ماؤها فجأة فى أحيان أخرى فيغمر ما يحيط بها من البلاد . ونحن نستبين من مشاهدات الرحالة المحدثين أن المياه تجرف شاطئها الشمالى الغربى بينما ترسب فى جنوبها كميات كبيرة من الطمى ، وعلى هذا فإن «كوه» التى كانت ثغر كوكة فى عهد بارث أصبحت اليوم تبعد عن البحيرة نحواً من ١٤ ميلا (٢٩ كيلومترا) .

وتقع برنو بين المنطقة الحارة والمنطقة المعتدلة ، ولذلك فإن فيها خصائص الأقاليم الوسيطة فى النبات والحيوان والمناخ . أما فصولها فثلاث مقابل واحد فى الكنغو واثنين فى السودان الغربى: فصلٌ بارد جاف يبدأ فى نوفبر وينتهى فى مارس لا ترتفع درجة الحرارة فيه عن ٢٥ سنتيجراد (٧٧ فرنهيت) وتنخفض حتى تصل إلى ١٤ سنتيجراد (٥٩ فرنهيت) ، وفصل حار جاف يبدأ فى مارس وينتهى فى يونيـــة تثبت درجة الحرارة فيه عند ٤٠ سنتيجراد تقريباً (١٠٤ فرنهيت)، وفصل مطير يبدأ فى يونية وينتهى فى أكتوبر ، ويتميز بغزارة أمطاره وشدة عواصفه ، وهو بطبيعة الحال فصل الأمراض كالملاريا والدوسنطاريا التى تصيب الأهالى كما تصيب الأوروبيين . ويكثر النبات كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب، وتمتد بالقرب من الصحراء سهوب قليـــلة الخضرة تنتثر فيها الشجيرات ، وتتحول هذه المنطقة الجرداء المقفرة إلى سهول خضراء تسر الناظرين إبان فصل الجفاف عقب هطول الأمطار . وتكثر الأشجار وتتنوع فى برنو وتحل أشجار الدوم والتمرهندى والبوباب (أو العمارة) والزبدة والقطن محل اللبخ وتتجمع ولكنها لا تكثف بحيث تكوّن غابة . ولا وجود للغابات إلا فى الجزء الجنوبى من برنو وخاصة فى الأقاليم المتاخمة للمنطقة الاستوائية. وإلى جانب هذه النباتات البرية يزرع الأهالى بكثرة أنواعا أخرى من النبات . وأهل برنو زرّاع مهرة . وهم يزرعون الدخن والسمسم والقمح الذى يزرع للسلاطين خاصة، والأرز فى الجهات التى تغمرها المياه فى مواسم الفيضان أو الأراضى التى تتجمع المياه فيها بعد هطول الأمطار . ولا يعنى أهل برنو بزراعة الأشجار إلا قليلا ، ولو أننا نجد بعض الحدائق حول المدن تزرع فيها أشجار الليمون والتين والرمان ، وهم يستوردون البلح ، وهو من أغذيتهم الرئيسية ، من كانم وواحات الصحراء الكبرى . أما الحيوان فكثير وخاصة فى السهوب المتاخمة للصحارى حيث نجد الوعل والغزال والزراف والأسد والضبع ، وبها أنواع كثيرة مختلفة من الطير كالك الحزين واللقلق والحمام وغيره . وتؤم قطعان من الفيـــلة وأفراس البحر شواطىء الأنهار والمستنقعات كما تكثر التماسيح والزواحف والحشرات وهى أكثر مضايقة للإنسان من الحيوان الكبير كالأرَض والنمل . أما الحيوان المستأنس فهو الخيل والحمير والأبقار والأغنام والخنازير ؛ والإبل لا توافقها أرض برنو

ولا مناخها .

سكانها :

سكان برنو ، ويقال لهم بِرَوْنى ، أجناس مختلفـــة جداً ، وهم الكنورى والسودان والعرب والبربر والفلبه .

١ - الكنورى ، وهم العنصر الغالب من ناحية العدد والسلطان السياسى ، ويقول بارث ونشتيجال إن عددهم يبلغ ١,٥٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان البالغ عددهم ٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة . ولم نصل إلى أصل هذا الاسم بعد ، ويقول نشتيجال إن الأهالى يشتقونه من الكلمة العربية نور مع إضافة الكاف إلى أولها وبهذا يصبح معناه « حاملو النور » إشارة إلى الإسلام الذى اعتنقه الكنورى منذ أمد بعيد ونشروه بين القبائل من عبدة الأوثان . وهناك فرض آخر يصل كلمة كنورى بكلمة كانم ، وهى موطن الغزاة الذين أقبلوا فى القرن الرابع عشر الميـــلادى واستقروا فى برنو نفسها . وربما كانت الصيغة البدائية للفظ كنورى هى كانمرى ، ومهما يكن من شىء فإن كلمة كنورى لم تطلق على جنس بعينه ولا على قبيلة بعينها ، وإنما أطلقت على خليط من الناس مختلفى الأصل تمييزاً لهم عن العناصر الأصلية التى تألفت منها هذه الجماعة والتى لا يزال بعض منها يحتفظ بشخصيته المتميزة . وقد جاء أسلاف الكنورى الحاليين من كانم فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان هؤلاء الغزاة بعض أفراد من القبائل التى كانت قد استقرت فى كانم منذ عهد بعيد ، وزعمت أنها من أصل عربى ، ومنهم كذلك الكانمبو أو التُبُوس وعناصر أخرى لا نزال نلمح آثارها بين سكان برنو . ونذكر على سبيل المثال من الفئة الأولى « الماكُمى » وهم يتفرقون جماعات صغيرة فى إقليمى منيو وزندر ، والتكلمة دُكُو . ويمثل التُبُوس الكى دازه وهم غالب السكان فى كيَام ، والنكلمة ، وهم موزعون فى طول البلاد وعرضها ، والترى وغيرهم . وصاهر الغزاة من جهة أخرى السودان فتكون من هذا جماعات مختلطة الدم مثل النِكُمَة الذين يقطنون البلاد بين دِكْوَه وتُكُرنو .

والكنورى من حيث البنية وسط بين التبو والسودان فهم ليسوا فى نحافة التُبو ، وأطرافهم أكثر تناسقاً من السودان . ومرآهم من عارض profil أقرب إليه عند الأوروبين منه إلى السودان ، غير أن شعر رأسهم مفلفل كشعر هؤلاء ، وشفاههم غليظة وعظام الفك عندهم بارزة ، ولونهم بين السمرة الضاربة إلى الحمرة والسنجابية المائلة إلى السواد . وتتميز حياة الكنورى الاجتماعية وطريقة معيشتهم تميزاً واضحاً عن جيرانهم ، فهم لا يميلون إلى تعاطى الخمور ، وليس فيهم ما يؤخذ على السودان من خمول وبلادة ، ورجالهم يشتركون مع النساء فى الزراعة والنسيج ، ويعدون قطع القماش التى يصنعون منها « التوبِن » ، وهو الجلباب الخاص ببلادهم ،

وتزاول نساؤهم فن التطريز . ويشتغل الكنورى بعدة حرف منها صناعة الخزف والسلال وأشغال الحديد ، وهم أنشط الأجناس السوداء بلا نزاع . أما أشرافهم فهم وحدهم يحتقرون الأعمال اليدوية والتى تتطلب جهداً جسمانياً بل إنهم إذا اتفق وأجبروا على السير عدّوا ذلك عاراً .

ومركز المرأة عند الكنورى يفضل نسبياً مركزها عند معظم بلاد إفريقية . والفتاة الكنورية تتمتع بحرية كبيرة ويسمح لها بالاختلاط بالشبان ولا ترغم على العمل عند ماتتزوج . ولا يتزوج بأكثر من واحدة إلا الأمراء والأشراف الذين ينسجون على منوال الأمراء من حيث كثرة النساء فى بيوتهم . ويقول الرحالة إن الحياة العائلية متقدمة عندهم ، وللزوجة نفوذ كبير فى جميع طبقات المجتمع الكنورى . وتتمتع أم السلطان (مَكِره) بامتيازات كبيرة ، نخص بالذكر منها حق إقالة العمال فى مختلف الأقاليم وفقاً لهواها ، ولزوجة السلطان الأولى نفس الحقوق ، وتنسب ذرية الأمراء وكبار العمال إلى أمهاتهم لا إلى آبائهم .

ويمكننا أن نلمح من وجود هذه الخصائص أثر بعض العناصر البربرية التى تتألف منها أمة الكنورى . فإكرام الضيف من مآثر الكنورى كما هو الحال عند البربر ، وإن كان بارث ونشتيجال قد غاليا فى وصف ميل الكنورى إلى إكرام الضيف . وربما كانت بشاشة البرنوى راجعة فى الواقع إلى جشعه ورغبته فى تلقى الهدايا والهبات من ضيفانه .

٢ — القبائل الوطنيـــة المتميزة عن الكنورى فى اللغة والعادات : ونذكر من هذه القبائل ما يأتى :

المَكَـرِى ، أو الكُتُـكو الذين يعيشون فى جنوب برنو بإقليم كتكو وولاية لُكُنّهُ ويلوح لنا أنهم أتوا ، من شارى الأوسط وأخضعوا السكان الأصليين من السُو قبل أن يتغلب عليهم الكنورى ، وكان المكرى أكثر سمرة من الكنورى وأضخم أجساماً ، وهم يشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك .

ويعيش الكَرِبنه فى الإقليم نفسه ، ويظهر أنهم آخر سلالة السّو .

ويعيش « المُبَّر » على الضفة اليسرى لنهر يئو على مسيرة ثلاثة أيام من كوكة .

وينتشر « المَنْكَة » فى إقليم مساحته ١٣٠ ميلا إلى الشمال من يئو ، ويعتبرهم بارث خليطاً من الكنورى والسكان الأصليين بينما يذهب نشتيجال إلى أنهم البقية من الجنس الأصلى الذى غلب على أمره .

والبِدّة والكرّى كِرّى يعيشون جنوبى المنكة .

والفيكة والبابر فى حوار أدموه .

والمرغى إلى الجنوب الشرقى من البابر .

والكمركو

والمندرة أو الوندلة إلى الجنوب والشرق من الكمركو

والمُسكو بين المندرة واللكنه

ويقول نشتيجال إن عدد أفراد هذه القبائل كلها مليون ونصف من الأنفس

٣ — الأعراب : ويطلق على الأعراب الذين استقروا فى برنو اسم شُوَه أو شُوَى تمييزاً لهم عن تجار العرب الذين يمكثون فترات قصيرة فى هذه البقاع والذين يطلق عليهم «وَسَّلى». ويتفاوت لون بشرتهم تبعاً لدرجة اختلاطهم بالسكان الأصليين . ويقول بارث إن بعض قبائل هؤلاء الأعراب مثل أصيلة وجوعَمَّة وسلامات نزحت من الشرق فى بداية القرن السادس عشر لميلاد المسيح وإن بعضاً آخر من هذه القبائل مثل خُزّام وأولاد حامد تركوا كانم واستقروا فى برنو فى الأعوام الأولى من القرن التاسع عشر . وهم منتشرون فى ولايات كتكو ومندرة ولُكُنَّة، ولهم فيها منازل يعيشون فيها إبان فصل الأمطار بينما يعيشون عيشة البدو هم وقطعانهم أيام فصل الجفاف . وقد فتكت الأوبئة بأنعام بعض بطونهم فهجروا حياة البدو وتحضروا . ويبلغ عددهم فى رواية بارث ٢٩٠,٠٠٠ نسمة وهم آخذون فى التناقص ، ويقول نشتيجال إن عددهم لا يزيد عن ١٥٠,٠٠٠ نسمة .

٤ — القبائل المختلفة : ويمكننا أن نضيف إلى القبائل التى ذكرناها بعض الطوارق ويعرفون باسم كِندين ، وقد استقروا منذ قرون على الحدود الشمالية لإقليم دوتشى وما حول زِندر ؛ والفِلاته ، وهم الفُلْبَه أو البول الذين أقاموا محلات فى أماكن مختلفة منذ القرن السادس عشر ؛ والهوسة الذين اختلطوا بالكنورى ، والفلاته والطوارق ويقطنون زندر وكُتَمل

وسكان برنو بصفة عامة متحضرون ، يقطنون مدناً وقرى بعضها كبير إلى حد ما . وكانت الحاضرة كوكة أهم مدن برنو إلى نهاية القرن التاسع عشر . وقد أسسها محمد الكانمى عام ١٨١٤ م فى سهل على مسيرة عشرة أميال من بحيرة شاد ، وسرعان ما ازدهت . ويقدر بارث عدد سكانها بـ ١٢٠,٠٠٠ نسمة ، ويقول نشتيجال إنهم ٦٠,٠٠٠ نسمة أما مونتى Monteil فيقول إن عددهم ٥٠,٠٠٠ نسمة ، وهو آخر من زارها من الأوربيين قبل أن يغزو رباح تلك البلاد .

وكانت كوكة منقسمة إلى قسمين يفصل أحدهما من الآخر سور وميدان فسيح كانت تقام السوق فيه . ويقطن القسم الغربى الطبقات الفقيرة والتجار وخاصة التُرَوَه الذين جاءوا فى الأصل من طرابلس وصاهروا الأسر الكبيرة فى المدينة . ويخترق هذا القسم طريق فسيح يسمى دِنْدَل يؤدى إلى السوق ، أما القسم الشرقى ففيه قصر السلطان وقصور السروات . وقد أطنب كل من بارث ورلفس ونشتيجال فى وصف المنظر الرائع لتلك الأعشاش أو الأكواخ المتجمعة المبنية من اللبن والقائمة وسط المروج الخضراء

أشادوا بنشاط الحركة التجارية فى هذه المدينة الكبيرة التى تعتبر بحق مركز التجارة بين إفريقيـــة الوسطى وإفريقية الشمالية : فالقوافل الآتية من طرابلس محملة بالسلع الأوروبية تستبدلها فى هذه المدينة بالجلود وريش النعام والعاج والعبيد . ويجتمع فى سوقها أحياناً عدد يتراوح بين ١٥,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ نسمة . ولم يبق من هذا الرخاء الآن سوى الذكرى ، ذلك لأن رباح دمر كوكة تدميراً تاماً ولم تقم لها بعد ذلك قائمة .

ومن مدن برنو أيضاً نـكُرْنو التى يزعم رلفس أن عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ نسمة ، وهى على مسيرة ٢٠ ميلا من الجنوب الشرقى لكوكة : وبَرَوّة وعددسكانها ١٥٠٠ نسمة وهى على ضفاف بحيرة شاد؛ ونِغِكْمِى وعدد سكانها ١٥٠٠ نسمة وهى فى الركن الشمالى الغربى من البحيرة عندحدود منطقة السهوب ؛ ونِكُرُتوه أى مدينة أفراس البحر ، وعدد سكانهايقرب من١٠,٠٠٠ نسمة وهى لا تبعد كثيرا عن قصر أُكْمُو العاصمة القديمة ، وبُرسارى ، وعدد سكانها ٧,٥٠٠ نسمة ؛ ومشنَة ، وعدد سكانها١٢,٠٠٠نسمة ؛ وزندر فى إقليم دَمرِغو وعددسكانها١٠,٠٠٠نسمة ؛ ومَكّمّرى فى إقليم كرى كرى ؛ وكُجبَة وعدد سكانها ١٢,٠٠٠ ؛ ويدى جنوبى بحيرة شاد ؛ ونكالة وعدد سكانها ٧,٠٠٠ نسمة ؛ وكُـفَىّ فى حوض نهرشارى ؛ وكَرْنك وعدد سكانها ١٥,٠٠٠ نسمة ، وهى على لكنه ؛ ودكوه ، وعدد سكانها ١٥,٠٠٠ ، وهى عاصمة بلاد مندرة ، وعدد سكانها ٣٠,٠٠٠ .

ويتكلم أهل برنو عدة لغـــات ، ولغة الكنورى أوسعها انتشاراً ، وهى تشبه لغة التّبو وبعض اللغات السودانية مثل لغة بَكَرمَة. وهذه اللغة غنية بمفرداتها ، ويقول كِولّه Koelle إنه يمكن التعبير بها عن أدق خلجات الفكر . ولا توجد مؤلفات بهذه اللغة ، وإنما هناك قصص ومأثورات وأخبار تاريخية جمعت من أفواه الأهالى . ولغة الكنورى لا تزال آخذة فى الانتشار ، وقد فرضت على عدد من القبائل الوطنية مثل المنكة ، وهى تحل الآن بالتدريج محل اللغة العربية التى هى اللغة الرسمية . ولا يتكلم بالعربية ، إذا استثنينا حاشية السلطان ، سوى الشُوَة. واللهجات التى يتكلمون بها تختلف اختلافاً بيّنا عن لهجات إفريقية الشمالية ، وتقرب من لهجات أهل الحجاز ، وهم يزعمون أنهم أتوا منه . وتتمسك هذه القبائل بلغتها الخاصة ، بل إنهم لم يسمحوا بطغيان لغة الكنورى على لغاتهم حتى فيما جاور كوكة .

والإسلام هو الدين السائد هناك . وقد دخل فى العصور الوسطى على يد الغزاة الذين جاؤا من كانم ، والذين كانوا قد اعتنقوا هذا الدين قبل ذلك بعدة قرون ، فدخل فيه السلطان والأشراف وسكان أمهات المدن ، وهو آخذ فى الانتشار بين قبائل الغرب والجنوب

الوثنية. وقبائل مرغى ومندرة يدينون الآن بالإسلام كما اعتنقه شيوخ مسكو وإن كان رعاياهم ما زالوا على الوثنية. ومع هذا فإن الإسلام لم يتغلغل فى نفوس الناس، فليس فى لغة الكنورى — مثلا — كلمة تعبر عن فكرة التوحيد، وكلمة «كيمه» التى تقابل كلمة الله تدل على المولى أو السيد. ولا يعرف جمهور الناس عن العقائد الإسلامية سوى مظاهر العبادات وبعض فكرات عجيبة عن الجنة والنار، ونسى هؤلاء الناس آلهتهم القديمة مثل «كُليرَم» آلهة الغاب، و«نكمرَم» آلهة الماء، ولكنهم ظلوا يتمسكون بعدة خرافات واعتبروا الأعياد الإسلامية تتفق والظواهر الطبيعية الموسمية كأوجه القمر وحلول الفصل المطير.. ألخ وعلى ذلك فإن إسلام البرنويين إسلام محرّف بل هو إسلام لا حماس فيه. والرحالة متفقون على أن السكان متسامحون لا يقبلون إقبالا شديدا على الهداية. وليس للطرق الدينية شأن يذكر، وأوسعها انتشاراً الطريقة «التيجانية»، ومن أتباعها السلطان نفسه. وللقادرية أتباع قليلون. أما السنوسية فأتباعها قلة متناثرة هنا وثمَّ. ولا ينطبق هذا القول على الشوه الذين ظلوا على تعصبهم الدينى واللغوى. مثال ذلك أنهم خرجوا من برنو زرافات قاصدين مكة مقتفين أثر الحاج شرف الدين الشَّلبى الذى حمل كثيراً من مسلمى السودان على الحج قرابة عام ١٨٥٠ م. ومهما يكن من شىء فقد كان الإسلام — شأنه فى بقية بلاد السودان — عاملا من عوامل التحضر فى برنو كما أنه رفع مستوى البرنويين عما يجاورهم من شعوب. ومع ذلك فإن برنو لا تستأهل تلك الشهرة التى يسبغها عليها بعض الرحالة، فإن الحياة العقلية هناك ظلت على الدوام منحطة، مثال ذلك أنهم اعتبروا محمداً الكانمى فى بداية القرن التاسع عشر عالماً لأنه كان يكتب العربية كتابة صحيحة. ولا توجد اليوم فى برنو إلا عدة مكاتب خاصة يتعلم الصبيان فيها، وهى مقصورة على المدن الكبرى. صحيح أنه كان فى كوكة شبه جامعة يؤمها ألفان أو ثلاثة آلاف من الطلاب يعيشون على الصدقات أو على هبات الأشراف الذين يتعلم أبناؤهم فيها. ولكن التعليم هناك كان مقصوراً على الكتابة العربية وتحفيظ سور قليلة من القرآن. ويقول رلفس فى كتابه المذكور (جـ ١، ص ٣٤٢) إن الأساتذة لم يكونوا أعلم من تلاميذهم. وأن ليس هناك تقدم فى الحياة العقلية.

وقد دهش الرحالة المتقدمون الذين زاروا برنو من وجود نظام سياسى أرقى بكثير عما فى بلاد السودان الأخرى بل إنه يشبه من وجوه عدة النظام السياسى الذى كان سائداً فى الدول الأوروبية فى العصور الوسطى. ولم يبق اليوم من هذا النظام سوى آثار ضئيلة. فإن الإمبراطورية البرنوية تلاشت فى نهاية القرن التاسع عشر، ولابد لدراستها من

الرجوع إلى ما بين عامى ١٨٥٠ و ١٨٧٢ م ، أى وقت أن كان بارث ورلفس ونشتيجال قادرين على دراسة سير الأعمال فى تلك الحكومة .

وتشتمل برنو على مجموعتين متميزتين من البلاد ، فبرنو نفسها أو بلاد كوكة يحكمها السلطان مباشرة ثم سلطنات تابعة لها يحكمها زعماء من أهلها وتشمل هذه السلطنات الإنكلوة وحاضرتها بونه ومُنيو وزندر وبلاد بِدَّه وكرِّى كرى ومَثِينة وكُمَّل ومندرة وكتكو ولكنةوأجدة ، ويدفعزعماء هذه السلطنات المختلفة جزية من المحاصيل والعبيدالذين يأسرون إبان غزو القبائل المجاورة. وبعض هؤلاء السلاطين مثل سلطان كتكو ولُكنُه مستقلون من الوجهة العملية .

وكان سلطان برنو يلقب ب « مَىْ » أى سلطان إلى أواسط القرن التاسع عشر ، وقنع السلاطين بعد وفاة آخر الحكام من الاسرة السيفية عام ١٨٤٦ م ، بلقب شيخ الذى كان يلقبه به محمد الكانمى وهو رأس الأسرة الجديدة . ويتمتع الحاكم بالسلطان المطلق ، فهو يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية ، وأرواح رعاياه وأملاكهم فى قبضة يده يصرفها كيف شاء . ومع هذا فإنه يحف بالسلطان مجلس يطلق عليه اسم « نُوكنَه » ويعرف أعضاؤه باسم « كوكناوه » ويذهب نشتيجال إلى أن هذا المجلس من بقايا النظام الارستقراطى القديم فى برنو ، ولكنه الآن مسلوب النفوذ . ويضم هذا المجلس ولى العهد المنتظر (يرِيمة) وأبناء السلطان وأخوته وأقاربه (مَيْنَه) ووجوه الأشراف وقواد الجيش ، وللسلطان حاشية فخمة ، وفى خدمته أمناء عديدون يقول بارث إن عددهم بلغ فى القرن السادس عشر الميلادى اثنى عشر أميناً ، ولكن العدد تغير بعد ذلك . وكبيرهم هو « السسين تلمه » أى ساقى السلطان و « أمَيْنتَه » أى ناظر الخاصة و « والمَرْمَكْلوى » وهو القيّم على العبيد . والخصيان كثيرون مثلهم فى ذلك مثل البلاط فى بقية البلاد الإسلامية ، وكان لهم فى بعض الأحيان شأن كبير فى السياسة . بل إن أحدهم وهو سَلْتِيمه عبد الكريم ظل الحاكم الفعلى لبرنو نصف قرن من الزمان فى عهد الشيخ عمر وخلفائه .

ويأتى فى المرتبة بعد الأشراف الذين يخدمون السلطان ، العمال المنوطة بهم إدارة شئون البلاد (ككنوه أو كوكناوه) بعضهم من الأحرار والبعض الآخر من نسل العبيد . وهم لا يتقاضون مرتباً ولكنهم يمنحون أرضاً أو يولون على بعض الأقاليم ، فيجمعون منها أكثر ما يستطيعون جمعه من مال ، على أنه يجب عليهم أن يقدموا هدايا للسلطان كل عام . وأمثال هؤلاء الدِكة أو الدُكمة وهو بمثابة وزير الشئون الخارجية . و « الفُكُمَه » هو الجلاد وهو حاكم مدينة نكرنو فى الوقت نفسه ، والكسلة وهو والى إقليم يو ، والكلديمة وهو من أكبر أصحاب الالتزام وتناط به إدارة

الأقاليم الغربية فى برنو .

واحتفظت القبائل الأصلية بشيوخها تحت إشراف العمال البرنويين،وكان هذا شأن المكرّى الذين كان يحكمهم شيوخ يراقبهم عامل برنوى يعرف بـ « ألى — فه » ، وكذلك الشوه الذين سمح لهم بالاحتفاظ بشيوخهم وشيوخ شيوخهم على شريطة أن يقدموا بانتظام إلى ممثل السلطان ربع مواردهم كل عام .

وتحت إمرة السلطان جيش عدته ألف من المشاة وألف من الفرسان المسلحين بالبنادق ، وثلاثة آلاف مقاتل مسلحين بالرماح والقسى . وله مدفعية تتألف من عشرين مدفعاً ، وحامية مكونة من ألف من الرماحة وحملة السهام . وهم يحملون الدروع وعلى رءوسهم خوذات معدنية ، كما تحمى خيولهم أغطية مبطنة سميكة . والضباط الذين يجندون من العبيد يعرفون بالـ « الـكتشيلّه بلَنْ » أو « الـكينكمَة » وهو رئيس الرماحة وحملة السهام ، و « الـكتشله نأبرُسه » وهو قائد الخيالة من حملة البنادق ، ثم « الـكتشله » ويرأس كل منهم فرقة عدتها مائة مقاتل . وهناك إلى جانب هذه الجنود النظامية كتائب تقدمها قبائل الشوه الذين يجب عليهم أن يقوموا بالخدمة العسكرية فى زمن الحرب ، وكذلك العصابات التى يجندها الـكتشله أو الـكُـكُنه . ولا تدفع أعطيات للجنود النظاميين ولـكنهم يمنحون أراضى يعيشون من غلتها . وتستطيع برنو أن تجهز جيشا يتراوح بين ٢٥,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ مقاتل . وفرق الفرسان والأسلحة النارية فى الجيش البرنوى تجعله متفوقا على شعوب السودان التى لا تضارع برنو فى العتاد الحربى .

تاريخها :

أجمل بارث تاريخ برنو واستغل فى ذلك إلى جانب الروايات التى جمعها بنفسه عدة وثائق مكتوبة ، منها : (١) تأريخ لا يعرف مصنفه ، وفيه بيان بأسماء السلاطين من العهود المتقدمة إلى عصر إبراهيم ، وفى عهده زار دنهام Denham وكلابرتون Clapperton كوكة . (٢) بيانان آخران بأسماء السلاطين . (٣) أخبار الاثنى عشر عاماً الأولى من حكم إدريس ألوْمة التى جمعها الإمام أحمد . وإلى جانب هذه الوثائق أخبر البرنويون بارث بأن هنـــاك تاريخاً آخر يعرف « بتاريخ مسَفْرَما » ، غير أنه لم يستطع ، لا هو ولا نشتيجال ، الحصول عليه . ومع ذلك فإن نشتيجال قد خالف ما رواه بارث فى بعض المسائل ، فنجده مثلا يجعل عدد السلاطين الذين حكموا برنو فى المدة التى ذكرناها ٦٤ سلطاناً بدلا من ٦٧ ، كما أنه غيَّر فى تواريخ حكم عدد منهم . ومهما يكن من شىء فإنه لم يضف شيئاً إلى ما قال بارث . ويكمّل المعلومات المستمدة من هذه التواريخ ما أمدنا به محمد ابن الحسن الوزان الزياتى والأخبار التى جمعها كولله Koelle ، وأطرفها ما يتصل بظهور أسرة كانم .

حكمت الأسرة السيفية برنو إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وهذه الأسرة نقلت مقر الحكم إلى الضفاف الغربية لبحيرة شاد بعد أن حكمت فى كانم عدة قرون وتنسب هذه الأسرة إلى سيف بن ذى يزن ، إذ تقول الروايات إن هذا البطل الإسلامى الأسطورى ، وهو ابن آخر ملوك اليمن ، قد أنشأ دولة فى كانم بأن أخضع لسلطانه عدة قبائل هى التبو والبربر والكانمبو. وقد يكون الأقرب إلى الواقع أن مملكة كانم الإسلامية قد أسسها عام ١١٠٠م على التقريب غزاة أتوا من بلاد بَرْدُوَه ، وهى قبيلة متبدية فى الصحراء الشرقية . وفى رواية الإمام أحمد أن حاضرة هذه المملكة كانت نجيمى . والمعلومات التى لدينا عن السلاطين الأولين من الأسرة السيفية هى مجرد أساطير ، مثال ذلك ما يقال من أن اثنين منهم هما دوك وكتورى حكما ٢٥٠ عاماً . وانقرض الفرع الرئيسى من أسرة سيف فى القرن الخامس الميلادى بموت سلمة . ويذهب القصص إلى أن الحكم انتقل إلى فرع آخر من الأسرة نفسها هو فرع حَمى أو حُيمى . وربما كان حمى مؤسس هذه الأسرة الذى حكم من سنة ٤٧٩ إلى ٤٩٠ هـ (١٠٨٦—١٠٩٧م) هو عين محمد بن جبل (وقرىء عبد الجليل) بن عبد الله الذى ذكره المقريزى . ولعله أول شخصية تاريخية فى كانم . (Becker : *Der Islam* ج ١ ، ص ١٧١) وقد اعتنق هذا السلطان الإسلام وتوفى بمصر فى طريقه إلى الحج . ونما سلطان الحكام بعد اعتناقهم الإسلام ؛ فشن دونمه (٤٩١— ٥٤٥هـ = ١٠٩٨ — ١١٥٠ م) غارات متعاقبة وسع بها رقعة أملاكه ، وجند جيشاً كانت الفرسان عماده . وحج هذا السلطان ثلاث مرات ، ولكن المصريين أغرقوه فى خليج السويس لأن أطماعه ونجاح جيوشه أقلق بالهم . وكان ابنه بيرى فقيهاً عالماً ذائع الصيت.

وكان كل هؤلاء السلاطين من الجنس الأبيض ، بشرتهم — كما تذهب التواريخ — بيضاء كبشرة العرب ، ثم حل محلهم سلاطين من السودان بعد القرن السادس الهجرى . وكان سلمة أول هؤلاء السلاطين (٥٩٠ — ٦١٧ هـ = ١١٩٤ — ١٢٢٠ م) موضع تبجيل الناس كما كانت له الغلبة على القبائل المجاورة . وقد بدأ صلاته الطيبة ببنى حفص فى تونس واستمرت كذلك فى عهد خلفائه . ثم خلفه دونمه (٦١٨ — ٦٥٧هـ = ١٢٢١ — ١٢٥٧ م) الذى تغلب على التبو بعد أن حاربهم سبع سنين ، وأجبر أهل فزان على الاعتراف بسلطانه ، ووسع ملكه فأصبح ممتداً من الشواطىء الجنوبية لبحيرة شاد إلى النيل والنيجر. ووقعت المملكة بعد وفاته فى ظروف حرجة ، فاضطر السلاطين إلى شن غارات طويلة على السُو ، وهم شعب يعيش بين نهر يئو وبحيرة شاد هبوا فى وجه أمراء كانم بعد أن أخضعهم هؤلاء ، وتمكن السو فى خلال أربع سنوات من قتل أربع سلاطين . ولم يتغلب عليهم إلا إدريس (٧٥٤ — ٧٧٨ هـ

= ١٣٥٣ — ١٣٧٦ م) فى منتصف القرن الرابع عشر . ثم هاجم المملكة أعداء جدد هم البُلالة الذين انحدر زعماؤهم من أحد فروع الأسرة المالكة بكانم، وكانوا يحكمون البلاد التى حول بحيرة فِتْرى . وطرد السلطان داود من حاضرته نجيمى وهلك فى قتاله مع الغزاة عام ٧٨٨ هـ (١٣٨٦م) ، ولقى كثيرون من خلفائه مالقيه هذا السلطان عندما حاولوا صد البلالة . واضطر عمر بن إدريس (٧٩٦— ٨٠٠ هـ = ١٣٩٤ — ١٣٩٨ م) آخر الأمر إلى أن يهجر كانم وأن ينقل حاضرته إلى كغا، وهى بين أج وكُجَبَـه . ولم يسكت البلالة عن مضايقة بنى سيف فاضطر هؤلاء إلى الاتجاه إلى الأراضى المغطاة بالمستنقعات فى إقليم السو. وأخذوا يغيّرون مقر حكمهم على الدوام هرباً من العدو . وزاد هذه الحالة سوءاً الفتن الداخلية والأوبئة والمجاعات التى دامت سبعين سنة . ولم يستتب الأمر إلا فى عهد على الدوغمى الذى حكم بين عامى ٨٧٧و٩٠٩ هـ (١٤٧٢— ١٥٠٥ م) ويطلق عليه أهل برنو اسم على النغجدينى ، وهو الذى وضع حداً لهذه الفتن الداخليـة ، وأخضع العصاة من كبار العمال وخاصة الـكيكمة الذى حاول الاستقلال . وخط على عاصمته قصر إكو أو برى على نهر يثو على مسيرة ثلاثة أيام من شرق المدينـة الحالية كوكة . وكانت له غزوات موفقة جعلت الناس يلقبونه بالغازى . وعاد إلى برنو ما كان لها من سلطان زاد فى عهد إدريس الـكتكرمابى

(٩١٠ — ٩٣٢ هـ = ١٥٠٤ — ١٥٢٦ م) الذى قضى القضاء الأخير على البلالة واستعاد مدينة نجيمى التى طُرد منها أسلافه قبل ذلك بمائة واثنين وعشرين سنة . كما زادت شوكة برنو فى عهد ولديه محمد وعلى . وقد أخضع دونمه غمرامى بن محمد فتنـة قام بها البلالة ، وحصّن قصر إكمو وعقد حلفا مع درغوث باشا والى طرابلس . ويظهر أن إدريس أمسامى الذى يلقب أيضاً بـ « ألومه » نسبة إلى ألو التى دفن فيها ، كان أقوى منهم نفوذاً ، وقد حكم من عام ٩٧٩ الى ١٠١١ هـ (١٥٧١—١٦٠٣م).

واعتلى إدريس هذا العرش بعد أن انقضت الفترة التى كانت أمه وصية عليه فيها ، وقام بإخضاع مختلف العناصر فى ملكه . وكانت له الغلبة لتفوق جيشه الذى كان يضم فرقة من حملة البنادق وأخرى من الفرسان . وبالرغم من تبعية السو لبرنو فقد أزعجوها حتى غزاهم إدريس وطردهم من حصونهم وشتت شملهم أو قل إنه استعبدهم . وفقد الـكَنَوَة حصونهم ، ما عدا صخرة دَلا التى خطت مدينة « كَنُو » عند سفحها فيما بعد . وأخضع الطوارق فى الشمال الغربى وبربر أَيّر الذين كانوا ينهبون الأراضى الشماليـة للسلطنة . كما أخضعت القبائل الوثنيـة فى الشرق والجنوب مثل قبيلة مرغى ومندرة وغيرهما .

وأنفذت خمس حملات على كانم حيث كان أحد الغاصبين قد خلع السلطان الشرعى

محمدا مع أن أباه كان قد أعلن ولاءه لبرنو. وشيدت فى الوقت نفسه منشآت فى مختلف البلاد ، نخص بالذكر منها المسجد الذى بنى فى إكمو. وقع هذا كله خلال السنوات الاثنتى عشرة الأولى من حكم إدريس . ولكننا لا نعلم شيئاً عن الحوادث التى وقعت فى النصف الثانى من حكمه ، ولعله توفى فى إحدى غزواته للقبائل الوثنية المجاورة لبجرمى .

وكان القرن السادس عشر الميلادى أزهى العصور فى تاريخ برنو ، غير أن الاضمحلال بدأ يدب فى أوصالها فى القرن السابع عشر . وربما نشأ هذا من ضعف السلاطين الذين لم يعودوا يهتمون بصالح الرعية. ولم يكن لواحد من هؤلاء السلاطين شأن هام فى تدبير أمور الملك ، ما خلا على ابن الحاج عمر (١٠٥٥ — ١٠٩٦هـ = ١٦٤٥ — ١٦٨٥ م) وهو رابع السلاطين بعد إدريس، وقد قاتل على هذا سلطان أجاديس قتالا شديدا. وحاصره الطوارق والكو أنه فى عاصمة ملكه ؛ ولكنه أفلح فى بث الفرقة بين أعدائه حتى انتهى به الأمر إلى طرد الطوارق إلى الصحراء . بيد أن خلفاءه عاشوا عيشة البذخ والخمول فلم ينهضوا لدفع المغيرين على بلادهم ، وتركوا الأهالى التعساء نهباً لقطاع الطريق وجماعات اللصوص فأهملوا فلاحة الأرض وفتكت بهم الأوبئة والمجاعات . وفى بداية القرن التاسع عشر عجزت برنو عن صد أعدائها الأقوياء الذين بدءوا يشنون الغارة عليها ، وهم البول أو الفُلبة .

ووقعت غارة هؤلاء الفلبة فى عهد أحمد بن على الذى حكم من عام ١٢٠٨ إلى عام ١٢٢٥ هـ (١٧٩٣ — ١٨١٠ م). وكان هذا الأمير مثقفاً كريماً ولكنه كان خاملا. وأخضعت الفلبة أقاليم الهوسة التابعة لبرنو ، ثم عقدت حلفا مع بنى وطنهم الذين استقروا منذ القرن السادس عشر فى عدة جهات من برنو وغزوا البلاد . وحاول أحمد صدهم ، ولكن سرعان ما تشتت شمل جيشه بالقرب من قصر إكمو ، ونجا السلطان بكل صعوبة، ففر من أحد أبواب المدينة فى الوقت الذى كان أعداؤه يدخلون من باب آخر . ونقل معسكره إلى «كُرْنَوَة» عام ١٢٢٤ هـ (١٨٠٨م) وخرب الفلبة قصر إكمو بعدما أصبحوا أصحاب الشأن فيها .

وأنقذت برنو فى هذا الوقت العصيب بتدخل رجل أجنبى عن البلاد هو محمد الأمين الكانمى المعروف بالشيخ لِمنُو. وأصله من فزّان ولكنه تزوج من إبنة أمير نغالة فى كانم واشتهر بحكمته وورعه . وقد رفض مغادرة البلاد عند اقتراب الفلبة ، وجهز فرقة صغيرة من الكانمبو وعاق تقدم الغزاة عند شرق بحيرة شاد ، ونجح آخر الأمر فى إجلائهم عن الجزء الشرقى من برنو بأكمله بعد انتصاره عليهم فى وقعة حاسمة عند نُكُرْنو . فطلب أحمد عونه وترك له قيادة الجيش فأعاده محمد

إلى عاصمة ملكه . وتوفى أحمد بعيد ذلك عام ١٨١٠ م .

وحاول دونمة بن أحمد أول الأمر أن يستأنف القتال وحده ضد الفلبة ، ولكنه هزم واضطر إلى الفرار من مدينة إلى أخرى. ثم استعان هو الآخر بمحمد الكانمى . وأعطى الكانمى لقاء جهاده نصف الأراضى التى استعيدت من الأعداء ، وعلى هذا فقد كان لبرنو منذ ذلك الوقت حاكمان هما محمد صاحب النفوذ الفعلى ، وقد لقب نفسه بلقب الشيخ وعاش فى نكرنو، وأحمد الذى كان يحكم بالاسم فقط ، وكان مقره بربروا . وحاول أحمد أن يجد مخرجاً من موقفه الحرج وأن يتحرر من وصاية الشيخ عليه ، فهجر بربروا واستقر فى وودى إلى الشمال الغربى من بحيرة شاد ، بيد أنه عجز عن استعادة استقلاله .

ثم إن محمداً أعاده بالقوة إلى بربروا وخلعه عن عرشه ونصب مكانه أحد أعمامه ، إلا أن هذا السلطان الجديد أبى هو أيضا أن يخضع لأهواء الشيخ . فعمل على إنشاء حاضرة له فى «برنى الجديد» على مسيرة ميلين من الشمال الشرقى لنكرنو ، فجرده محمد من سلطانه وأعاد العرش إلى دونمة الذى ظل محتفظاً بلقب السلطان إلى أن توفى عام ١٨١٨ م .

وليس من شك فى أن محمداً الكانمى عمد فى الوقت نفسه إلى توكيد استقلاله عن الأسرة القديمة ، فصمم على أن يخط حاضرة له ، وبدأ فى إنشاء كوكة عام ١٨١٤م . وقد نسبت إلى نبات القوقة أو البوباب (كوكة فى لغة الكنورى) الذى كان ينمو فى المكان الذى اختاره الشيخ من السهل ليبنى عليه قصره . وحاول محمد فى الوقت نفسه أن يعيد إلى برنو ما كان لها من سلطان فاستعاد من الفلبة جزءاً من الأقاليم التى استولوا عليها وأنفذ حملاته على القبائل التى تعيش فى الشرق ، وتحالف مع عبد الكريم سبون سلطان وداى وأعلن الحرب على عثمان بركمنده سلطان بغرمى (انظر مادة «بغرمى» ومادة «وداى») . وأغار سبون على بغرمى ثم عقد اتفاقا أصبحت هذه البلاد بمقتضاه تابعة له . وأراد محمد أن يعوض ما فقده بهذا الاتفاق فتحالف مع شيخ فزان عام ١٨١٨ م وأغار على الجزء الشمالى من بغرمى وتقدم حتى مسنيه ، ولكنه عجز عن أن ينتصر على عدوه انتصاراً حاسما لتحصنه وراء نهر شارى . واستمرت الحرب بينهما إلى عام ١٨٢٤ م وانتهت بانتصار البرنويين انتصاراً حاسما عند نغالة . واطمأن بال محمد من هذه الناحية ، فوجه همه ناحية الغرب واستعاد إقليم بوتشى ولكنه اضطر إلى مهادنة الفلبة عام ١٨٢٦ م بعد أن لحقت به الهزيمة على يد السلطان بللو . ثم إنه حاول مرات غزو كانم . وتوفى عام ١٨٣٩ م تاركا العرش لابنه الثانى عمر لأن ابنه البكر كان قد قتل عام ١٨١٧ م إبان القتال مع بغرمى .

وقنع الشيخ عمر (١٨٣٥ — ١٨٨١ م) أول الأمر بأن يحكم باسم السلطان إبراهيم

أخى دونمة . وقد حكم هذا السلطان من ١٢٣٣ — ١٢٦٣ هـ (١٨١٨ — ١٨٤٦ م). وكان عمر محبا للسلم وظلت علاقاته طيبة مع الفلبة والبغرمى ولكنه عانى كثيراً فى إخضاع ولاة الاقاليم المختلفة الذين كانوا يحاولون الاستقلال دائما. وانتهز أنصار السيفية فرصة قيام هذه الاضطرابات فحاولوا أن يعيدوا أسرتهم القديمة إلى ما كان لها من سلطان وأن يقضوا على نفوذ الكانمية مستعينين فى ذلك بسلطان وداى . وعمل محمد صالح سلطان وداى بالاتفاق مع الساخطين ، فانتهز فرصة غياب جيوش الشيخ عمر فى حملة على زندر وأغار على برنو . وما إن سمع عمر بهذا الخبر حتى ألقى بإبراهيم فى السجن ، وجمع ما استطاع جمعه من الجنود وسار نحو جيش وداى، ولكنه هزم هزيمة منكرة عند « كُسَّرى » ، وهلك فى هذه الحرب وزيره تراب ، كما أسر أخوه على ، واضطر إلى الالتجاء للإقاليم الغربية بعد أن قتل السلطان إبراهيم . ونهب أهل وداى برنو وأحرقوا كوكه، غير أنهم انسحبوا عند اقتراب الجيش البرنوى العائد من زندر. وكان محمد صالح قبل رحيله قد أقام عليا بن إبراهيم سلطانا فى برنى الجديد ، ولما كان مابقى لعلى من القوة لا يسمح له بمقاومة الشيخ عمر مقاومة مجدية ، فقد هزم عند «مِنَارِم» ، وهلك فى هذه الوقعة . وبموته انقرضت سلالة الأسرة السيفية القديمة ، وأخضع الثوار فى كل مكان وأنزل بأشياع السيفية العقاب الصارم كما خربت برنى الجديد . وأكلت الغيرة قلب عبد الرحمن من حظوة الوزير الحاج بشير عند أخيه عمر فأثار فتنة أخرى عام ١٨٥٣ م . وانتصر الثوار ، وقتل بشير وأجبر عمر على التنازل عن العرش ، ولكنه ما إن هدد بالنفى فى «دِكْوَه» حتى أخذ يجمع أنصاره وهزم عبد الرحمن وقتله عام ١٨٥٤ م .

وعلى هذا فقد حكم عمر مطمئن البال لا ينازعه أحد إلى أن أدركته الوفاة عام ١٨٨١ م . وقد كان فى مقدور الشيخ أن يلقب نفسه بالسلطان ، ولكنه سار على نهج أبيه وقنع بلقب الشيخ . وكان عادلا مؤثراً للسلم ، ميالا إلى الاوروبيين، وهو الذى أحسن وفادة بارث ونشتيجال ، ولكنه لسوء الحظ كان يفتقر إلى النشاط ، ويخضع لمن حوله . وشاهد ذلك أنه وقع تحت نفوذ «سَلْتِيمَة» بعد وفاة وزيره بشير ، فأصبح هذا الخصى الحاكم الفعلى لبرنو، وهو الذى نفذ رغبات عمر الذى كان يود أن يؤول العرش إلى أولاده كما رتب نظام توارثهم له .

وحكم أكبرهم بو بكر [أبو بكر] ثلاث سنين من عام ١٨٨١ إلى عام ١٨٨٤ م ، وقد اشتهر بالكرم والدهاء فى الحرب ، ومات وهو يتجهز للقيام بحملة على وداى ، وخلفه أخوه براهيم [إبراهيم] الذى حكم ما بين عامى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ م ، ثم جاء بعده الشيخ هاشم، وهو ولد آخر من أولاد عمر ، وحكم من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٤ م ، وزار مونتى Monteil هذا الأمير ووصفه بأنه رجل فاضل ومسلم

متحمس له مشاركة فى العلم . ولم يكن هاشم يعنى كثيراً بشئون دولته وعاش فى قصره وسط نسائه البالغ عددهن ٤٥٠ امرأة وأولاده البالغ عددهم ٣٥٠ . وأسخط رعيته لوقوعه تحت نفوذ حظيه «ملَدَم» . وأخذت معالم اضمحلال برنو التى كانت ظاهرة فى أواخر أيام عمر تزداد وضوحاً على الأيام ، فانصرف الأهلون إلى الزراعة وفقدوا بالتدريج صفاتهم الحربية، ولم يعد أحد يهتم بالشـــئون العامة لأن السلاطين رأوا إسناد أرفع المناصب إلى أشخاص من نسل العبيد . وأخذت دلائل الفوضى تتزايد بسرعة . وأصبح الأمراء المقطعون وكبار العمال يتصرفون وفقاً لأهوائهم ورفض سلطان زندر دفع الجزية ، وأعلن الكلديمة استقلاله ، وقامت قبائل وداى بغارات متوالية قصد السلب وأعملوا السيف فى رقاب الناس دون رحمة حتى وصلوا إلى سوق كوكه نفسها . وكان حال برنو أشبه بالبناء المتداعى ما أن يصيبه أى حادث ، مهما قل شأنه ، حتى ينهار . وقد تقوضت أركانه بالفعل أمام هجمات رباح (انظر هذه المادة)

وخرب رباح بغرمى ثم دخل برنو عام ١٨٩٣م ، واستولى على كَرْنَك ولُكُنّه ، ولحق به هناك حليفه «هَيّتو» المطالب بعرش «سُكْتو» ، وهُزم الجيش البرنوى الذى أرسل لملاقاته عند «كلْبه» بالقرب من كرنك، وعند «هَنْجَة» بين دكوه و«نَغَلْر» كما هزم الشيخ هاشم الذى قاد الجيش بنفسه عند «هَمْهَبُو» على شواطئ بحيرة شاد ، وهذا النصر الذى أحرزه رباح فتح أمامه أبواب كوكه دون أن يشهر فيها سيفاً ، وعندئذ حاول هاشم أن يتفق مع رباح ، لكن ابن أخيه أبا كِيَرِى الذى حاول مواصلة النضال اغتاله عام ١٨٩٤ م ، ثم هزم هو الآخر وقتل بالقرب من كوكه ، فخرب رباح المدينة وجعل دكوة حاضرة له ، وأقام بعض أبناء هاشم مع الفاتح واستقر آخرون فى زندر ثم لحق بهم بعد ذلك عمر سَنْدَه الوارث للعرش وهو الذى كان قد حاول أول الأمر الالتجاء إلى سلطان مندره .

وكان حكم رباح لبرنو قصيراً ، إذ أن الجنود الفرنسية بقيادة لامى Lamy قتلته فى الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٠٠ بالقرب من كُشْرى . وأعيد عمر سندة الذى وجده المكتشف فورو Foureau فى زندر إلى عرش برنو ، ولكنه عزل وأقيم مكانه بعيد ذلك أخوه جِرَبِىّ الذى كان أقدر على مواجهة ما يكتنف الموقف من صعاب . وأعد فضل الله بن رباح عدته لاستعادة العرش بالقوة ، وحاول جيربىّ أن يصده فهُزم وطرد إلى كانم . وعندئذ أجبرت الجيوش الفرنسية على التدخل لتخليص برنو من فضل الله الذى التجأ إلى نيجيريا عندما هزم فى الثانى من فبراير عام ١٩٠١م ، وحاول هناك أن يقوم بغزوة أخرى على برنو ، ولكنه اصطدم بالجيوش الفرنسية فى الثالث عشر من أغسطس عام ١٩٠١ م عند كُجْبَة

وهلك فى الوقعة .

وبموت فضل الله توطدت أقدام الأسرة الكانمية فى برنو من جديد . ومع هذا فإن السلطنة فقدت الآن كثيراً من أهميتها لأن أراضيها اقتسمتها فى الواقع ثلاث دول أوربية تمتد مناطق نفوذها إلى بحيرة شاد . وهذه الدول هى انجلترا وفرنسا وألمانيا(١) . وكانم ودمركو هما الآن من أملاك الفرنسيين ، أما برنو نفسها ، بما فيها كوكة التى أعيد تشييدها فهى من نصيب انجلترا . وكان من نصيب ألمانيا الأقاليم الجنوبية بما فيها دكوة ، وهى أكثر مدن برنو ازدحاما بالسكان فى الوقت الحاضر ؟

المصـــــادر

(١) H. Barth : *Travels and discoveries in North and Central Africa* المجلد ٢ ، الفصول من ٥ — ١١

(٢) O. Blau : *Chronik der Sultane von Bornu* فى *Zeitsch. der deutsch morgenländ Gesellschaft* ، جـ ٦ ، ١٨٥٢م ، ص ٣٠٥ وما بعدها

(٣) Denham and Clapperton : *Travels and Discoveries*

(٤) Escayrac de Lauture : *La désert et le Soudan* باريس ١٨٥٣

(٥) E Gentil : *La chutte de l'empire de Rabah* ، باريس ١٩٠٢

(٦) Koelle : *Grammar of the Kanuri language* ، لندن ١٨٥٤

(٧) *African native literature and vocabulary* ، لندن ١٨٥٤

(٨) Nachtigal : *Sahara und Sudan* ، برلين ١٨٧٩ فى ثلاثة مجلدات ، الترجمه الفرنسيه باريس ١٨٨١ ، جـ ١

(٩) Decrose et Gaudefroy Demombynes : *Rabah et les Arabes Du Chari* ، باريس

(١٠) A Barth : *Sammlung und Bearbeitung central-africanischer Vokabularien* ، جوتا ١٨٦٢

(١١) Norris : *Grammar of the Bornu or Kanuri language* ، لندن ١٨٥٣

(١٢) *Dialogues in English....and Bornu Languages* ، لندن ١٨٩٣

(١٣) Monteil : *De Paris à Tripoli par le Tchad* ، باريس ١٨٩٤

(١٤) G. Rohlfs : *Quer durch Africa* جـ ١ ، فصل ١٤ ، وما بعده ، جـ ٢ ، الفصول ١ — ٨

(١٥) Oppenheim : *Rabeh und das Tschadseegebiet* ، برلين ١٩٠٢

(١٦) G.H. Becker : *Zur Geschichte des östlichen Sudan* فى *Islam* جـ ١ ، ص ١٥٣ — ١٧٧

(١٧) J. marquart : *Benin* ، ليدن ١٩١١ ، فى مواضع مختلفه منه ؟

[ج . يفر G. Yver]

« البرنى » ضياء الدين : صـاحب « تاريخ فيروز شاهى » وهو كتاب فى تاريخ ملوك دهلى منذ ارتقاء غيـاث الدين بلبن العرش عام ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) إلى السنة السادسة من حكم فيروز شاه ، أى عام ٧٥٨هـ (١٣٥٧ م) .

ولد ضياء الدين البرنى قرابة عام ٦٨٤هـ

(١) كان هذا وقت كتابة المقال .

(١٢٨٥ م) ، وقرّبه السلطان محمد تغلق الذى حكم من عام ٧٢٥ هـ (١٣٢٤م) إلى عام ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) لما رآه من واسع اطلاعه وقوة حافظته وعذب حديثه . وكان البرنى صديقا حميماً للشاعرين أمير خسرو وحسن الدهلوى كما كان مثلهما من مريدى الولى نظام الدين أوليا (انظر هذه المادة) . ولم يبدأ البرنى فى تصنيف تاريخه إلا عند ما قارب السبعين . وكان فى نيته أن يخص حكم فيروزشاه بمائة فصل وواحد ولكنه لم يتم منها سوى أحد عشر فصلا . وبالرغم من أنه كال المدح لهذا السلطان ، لم ينل الحظوة عنده فيما يبدو إذ توفى وهو فى فقــــر مدقع ، وربما كانت وفاته بعيد عام ٧٥٨ هـ وهو العام الذى انتهى به مصنفه . ودفن بالقرب من ضريح نظام الدين أوليا ، وإن كان الناس هناك يعينون له قبراً آخر فى برَن التى تعرف اليوم بـ « بولند شهر » ؟

المصـــــادر

(١) تأريخ فيروز شاهي ، طبعة سيد أحمد خان ، المكتبة الهندية (٢) شمس سراج عفيف: تأريخ فيروز شاهى ، المكتبة الهندية ، ص٢٩— ٣٠ (٣) Nassau Lees : *Materials for the History of India* ، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، المجموعة الثالثة عام ١٨٦٨م، ص٤٤١— ٤٤٢ (٤) Rieu: فهرس المخطوطات الفارسية فى المتحف البريطانى ، ص ٣٣٣ ، ٩١٩ (٥) *Elliot-Dowson* ، جـ ٣ ، ص ٩٣ — ٢٦٨

« برنيو » أكبر جزر أرخبيل الملايو ، وثانى جزر العالم مساحة بعد غينيا الجديدة ، إذ تبلغ مساحتها ٢٩٠،٠٠٠ ميل مربع . وهى تحت خط الإستواء ، وتغطيها الغابات الاستوائية الكثيفة إلى قممها . ويكيف اتجاه جبالها من الغرب إلى الشرق بنية هذه الجزيرة ، ويتجلى هذا فى جبال كبواس العليا التى تقطع برنيو من رأس داتو فى الغرب إلى رأس منكليهات Mangkalihat فى الشرق . وارتفاع هذه الجبال من ٥٠٠ إلى ٦٠٠٠ قدم ، وتتكون من الصخور الأردوازية المتبلورة . وإلى الجنوب هضاب متقطعة من الحجر الرملى الذى يعود إلى العصر الجيولوجى الثالث مثل هضبة مهدى التى إلى شمال نهر ملوى ، وجبال شوَنر إلى جنوبه . وتسير هذه السلاسل غرباً إلى بحر الصين ، وشرقاً خلال إقليم لم يدرس بعد دراســــة مفصلة من الوجهة الجيولوجية . وفى جنوب المنطقة التى بها جبال كبواس هضاب عالية تقطعها سلسلة جبال ملّر (يربو ارتفاعها على ٣٠٠ قدم) التى تتكون من مواد بركانية تآكلت بفعل المياه . ومعظم الجبال التى إلى الشمال من كبواس العليا تسير من الغرب إلى الشرق أيضاً . وتقطع هذه الجبال الرسوبية كتل من الجرانيت والأندسيت أصبحت الآن جبالا منفصلة فى السهل بفعل التحات ، وأكثر هذه الجبال ارتفاعاً جبل « كِنبَلو » ويبلغ ارتفاعه ١٢،٩٠٠ قدم وجبل « كننك ريا » ويبلغ ارتفاعه

٦٨٠٠ قدم .

والأمطار الغزيرة التى تصل إلى مايقرب من ١٦٠ بوصة سنويا على الشاطىء الغربى ، و ٩٠ بوصة عند بنجرمسين تمد عدة أنهار كبيرة تنبع من أواسط الجزيرة . ويجرى نهرا سمباس وكپواس اللذان يبلغ اتساعهما فى بعض البقاع ١٥٠٠ ياردة نحو الشاطىء الغربى . أما أنهار كَهَجَان وكپواس مُرُنْك وبَرِتو الذى يبلغ طوله ما يقرب من ٦٠٠ ميل فتجرى نحو الجنوب . ويسير نهر مهكم ، وهو فى طول بَرتو ، ونهر كجنَ إلى الشرق . ويتجه نهر برَم ونهر «تِبَغْت رِجَنْك » ونهر «تِبَنْك لِبرَ» صوب الشمال . وقد ملأت هذه الأنهار وغيرها من النهيرات أوديتها التى ترجع إلى عصر جيولوجى أقدم منها بكميات كبيرة من الرمال والغرين . والسهول الرسوبية التى نشأت من هذه الأنهار لايزال معظمها على الشواطىء الشمالية والغربية والجنوبية ، وهى تزحف بالتدريج على البحر وتكوّن من البحار الضحلة أرضاً يابســـة . والشواطىء عند مصبات هذه الأنهار منخفضة كثيرة المستنقعات يغطيها نبات التين الهندى . وعلى امتـــداد الساحل الشرقى وحده سلسلة منخفضة من التلال من الواضح أنها نشأت وفصلت الجزء الداخلى من «كُلاى» الحديثة عن حوض البحر وقد امتلأ هذا الحوض تدريجاً بالركام الذى تجلبه الأنهار الجارية إليه ، وهو الآن بقعة مستوية إلى حد كبير تخلفت فيها عدة بحيرات .

واشتهرت برنيو منذ القدم بمعادنها النفيسة وبالماس الذى فى أرضها . ولم تكن الكميات المستخرجة من السهول الرسوبية ومن عروق الصخور تعوض ما ينفقـــه الأورويون فى سبيل استخراجها .

ويستطيع الوطنيون — شأنهم فى ذلك شأن الصينيين على الشـاطىء الغربى — أن يحصلوا من التعدين على ما يكفيهم . وأكبر الفضل فى قيـام إمارة سرواك هو وجود الأثمد والزئبق فى طبقات أرضها . والفحم الذى يرجع إلى العصر الثالث الجيولوجى والذى يوجد فى أماكن كثيرة هو وحده الذى يجد فيه الأوربيون من الربح كفاء عملهـم فى اسـتخراجه . وهو يوجد فى «پولولـوت» على الشاطىء الجنوبى الشرقى للجزيرة بينما يقنع الوطنيون بالتعـدين من سطح الأرض فى أماكن متعـددة منهـا المجرى الأوسط لنهر كپواس ونهر بَرتو . وزادت أهمية استخراج البترول فى الأيام الأخيرة ، ومراكزه الرئيسية عند مصب نهر مهكم فى خليج پين .

ووجود الغابات الاستوائيـة فى برنيو جعلها تصدر الصمغ الهندى والمطاط والراتينج والكافور وغيره ، ولم تتقدم الفلاحة وتربية الماشـية بين الأهالى إلا قليلا . وهم لذلك لا يصدرون إلا كميات ضئيلة من خشب المندار والفلفل وكسب جوز الهند . ويزرع الأورويون فى الشمال الشرقى والجنوب

أصنافاً جيدة من التبغ يصدرونها إلى أوروبا وأمريكا .

وأحواض الأنهار فى الغرب والجنوب والشواطىء الشرقية البالغ مساحتها ٢٥٠,٠٠٠ ميل مربع تابعة لهولنده . أما أحواض الأنهار الشمالية ومساحتها ٨٨,٠٠٠ ميل مربع فتابع لإنجلترا بمقتضى اتفاق ٢٠ يولية عام ١٨٩١م ، وهو يشمل مملكة سرواك فى الغرب وأراضى شركة برنيو الشمالية البريطانية فى الشرق بما فى ذلك الممتلكات البريطانيـة الصغيرة وهى جزيرة لَبُوان ومدينة برُونَاى ومنطقـة صغيرة فى الوسط .

وتنقسم الممتلكات الهولاندية إلى ولايتين أولاهما القسم الغربى لبرنيو وعاصمته بنتيانك ويمتد هذا القسم من الوسط إلى الشـاطىء الغربى . وثانيتهما القسم الجنوبى والشرقى لبرنيو وعاصمته بنجرمسين .

وتشمل الولاية الأولى الممالك المالوية سمباس ومپوَه وبنتيانك وكبُو وسمپانـك ومتن كما توجد على طول نهر كپواس : لندَك وتجن مليو وستَكاو وسِكدَاو وسنتَنـك وســلات وسهَيد وسَلِمبَاو وبيازه وجُنـك كُنـك وبُنُت . ويلقب حكامها بألقاب منها الســلطان وپَنمبَهان وپنكران . . الخ . وهم خاضعون تمام الخضوع للحكومة الهولندية . كما أنهم على صغر ممتلكاتهم وضعف نفوذهم يحكمون حكما استبدادياً . ولكل منهم نائب عنه ومجلس يتكون من أسرته . ومن أكبر الزعماء المقطعين. أما غالب السكان الذين يتألفون من المسلمين المالويين والوثنيين من الدَيَك ، الخاضعين فلا يعيشون إلا لتهيئة حياة البطالة والخمول للأمراء والزعماء بدفع الضرائب التى تجبى منهم فى انتظام وتعسف .

وقد عرفت برنيو بعد ما عرفت جزائر الأرخبيل الأخرى . وإن كان بطلميوس (الفصل الثالث ، ص ٢ — ٣) قد وصف لنا بلاد الأورنك أوتان وكنبلو (؟) والمعابد البشنوية التى تتصل بتاريخ الهند القديم فى كتاى عما يدل على وجود صلة وثيقة بين برنيو والهنـــد القديمة . أما الآثار التى فى حوض كپواس وبرتو فيظهر أنها قريبة الشبه بآثار الحضارة الهندوسية التى انتقلت إلى جاوة . وأقدم المعلومات التاريخية التى يوثق بها عن برنيو وردت فى الحوليات الصينية الخاصة بالشاطىء الغربى للجزيرة . والواقع أنه قد ورد فى أخبار أسرة سنج (الكتاب ٤٨٩) أن الصين أخذت من ذلك الإقليم عام ٩٧٧ م جزية من الكافور . وفى أخبار أسرة منج حادثة مشابهة وقعت عامى ١٣٧٠ و١٤٠٥ م . وأنشأت الصين فى ذلك العهد علاقات تجارية مع مدينة بروناى القائمة على الشاطىء الشمالى للجزيرة ومع مدينـــة بنجرمسين وجزائر كرِمَتَه ، كما ورد فى هذه الحوليات الصينية وصف لسكان برنيو الأصليين يتفق من عدة وجوه وما هم عليه فى الوقت الحاضر ،

وجاء فيها أيضا ذكر ممالك هامة على الشواطىء أنشأها إماملاويون من جوهر مثل مملكة بروناى وسمباس على الشاطىء الغربى، وإما جاويون مثل سُكَـدَنه على الشاطىء الغربى وكوتاوارنكين وبنجرمسين على الشاطىء الجنوبى، وكتاى على الشاطىء الشرقى . وينحدر حكام كثير من الإمارات الصغيرة فى حوض كپواس من أمراء سكدنه الهنود الذين استقروا هناك منذ القرن الرابع عشر الميلادى .

وانتقلت الدعوة إلى الإسلام فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى من پلمبنك Palembang إلى سكدنة ومتن . وفى عام ١٥٩٠ م اعتلى كيرى كُسُمَة عرش سكدنه، وهو أول أمير مسلم تولاه، وبدأ الأوروبيون فى عهده يزورون الشاطىء الغربى ، فزاره فان فايرفجك van Waerwijck عام ١٦٠٢م بينما زار البرتغال والأسپان بروناى على الشاطىء الشمالى قبل ذلك بما يقرب من قرن ، إذ وفد عليها كمز Gomez عام ١٥٢٨ ومنزس Menezes عام ١٥٢١ م وپيجافتا Pigafetta على ظهر سفينة من سفن المستكشف ماجلان Magellan عام ١٥٢١ م .

واستطاعت الإمارات التى على شاطىء برنيو أن تحتفظ باستقلالها أمداً أطول من مثيلاتها فى كثير من جزر الأرخبيل الأخرى . وظل البرتغال والأسپان والهولنديون والإنجليز وغيرهم من الأوروبيين يزورون عواصم هذه الإمارات خلال ثلاثة قرون بقصد التجارة، وأنشئوا بها بيوتاً تجارية ، ولكنهم لم يؤسسوا محلات ثابتة لهم . وكانت بنجرمسين (انظر هذه المادة) أول إمارة أجبرت على التسليم فى جزء من استقلالها للهولنديين فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى : وغزت مملكة البنتم (انظر هذه المادة) فى غرب جاوة سكدنه التى على الشاطىء الغربى لبرنيو عام ١٦٩٩ ، وظلت متغلبة عليها مدة قصيرة من الزمن ، ولكنها استعادت استقلالها بمساعدة بوكنيز جزيرة سليبس . ومنذ هذا الوقت أخذ كثير من هؤلاء البوكنيز فى الاستقرار على الشاطىء الغربى ، وأصبح منهم حكام على إمارات عدة مثل مَمْپَـوه . وطاح الهولنديون وسلطان پنتياناك بمملكة سكدنة لأول مرة عام ١٧٨٦ م . ولم يبق لهؤلاء الأمراء سوى متن . وتدين سلطنة پنتياناك بإنشائها إلى أحد المغامرين ، أبوه من العرب وأمه من الديك ، وهو الشريف عبد الرحمن بن الشريف حسين بن أحمد القدرى ، وضريحه فى ممپوه مزار للناس إلى يومنا هذا . وقد حاول هذا الشريف فى شبابه أن يطفىء ظمأه إلى المغامرة ويشبع شهوته إلى الثروة فرحل قصد التجارة والقرصنة فجلب عليه هذا المسلك لعنة أبيه التقى، فترك ممپوه . واستقر هو وأتباعه من اللصوص عند ملتقى نهر لَنْدَك بكپواس عام ١٧٧٢ م . وتمكن بفضل ماوهبه الله من القوة والعزم من أن يفرض سيادته على هذا الموضع الفريد وأن ينشىء به مركزاً تجاريا هاماً هو ما يعرف

اليوم بـ « بنتياناك » وما وافت سنة ۱۷۷۹ م حتى استطاع أن يحمل شركة الهند الشرقية الهولندية على الاعتراف بهسلطانا على بنتياناك كما عقد معها اتفاقا . ولا يزال أحفاده يحكمونها إلى الآن ولو أنهم يخضعون خضوعا تاما لرقابة الحكومة الهولندية .

وأنشأ ملايو جوهر سلطنة سمبـــاس وحاضرتها سمباس، وهم أصحاب الحول فيها منذ البداية ، وعقدت هذه السـلطنة معاهدة تجارية مع شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٦٠٩ م . وفى النصف الأول من القرن السابع عشر طرد ردن سليمان الأسرة الحاكمة فيها ، وردن هذا هو ابن راجا تِنْكَة أمير بروناى من أميرة سكدنية كانت تعيش فى سمباس . وحكم ردن سليمان وسمى نفسه محمد صفى الدين ، وهو أولى سلاطين الأسرة الحاكمة الحالية . وكانت سمباس فى القرن الثامن عشر مشهورة بأنها موئل القراصنة ، مما اضطر الإنجليز إلى إرسال حملة لتخريبها عام ۱۸۱۱ م . وانضم إلى هؤلاء القراصنة قوم من أجناس مختلفة أثروا تأثيراً كثيراً فى الإمارات التى على الشواطىء الشمالية والغربية لبرنيو . كما ساعد على امتزاج الأجناس صناعة استخراج الذهب التى كان يقوم بها الصينيون ، وما زالت هذه الصناعة آخذة فى التطور منذ منتصف القرن السابع عشر . وإذا رجعنا إلى الحوليات الصينية نجد أن الصلات بين الصينيين وبين برنيو بدأت فى منتصف القرن السـابع الميلادى ،

وكانوا يتجرون منذ ذلك الوقت مع بروناى بنوع خاص ، وأخذوا يستقرون فى المدن التجارية . ولم تنقطع رحلاتهم إلا فيما بعد أى عندما بدأ أمراء الملايو يشتطون فى ابتزاز أموالهم . ولا تزال نرى كثيرين من أحفادهم الذين نشئوا من زواج الصينيين بنسـاء من الملايو فى ثغور برنيو كما أن بعض قبـائل الديك فى الشاطىء الشمالى قد اختلطت دماؤها بالدم الصينى .

وكان أمراء الملايو فى ممبوه وسمباس هم أول من جلب الصينيين الذين يستخرجون الذهب من بروناى إلى إمارتهم قرابة عام ١٧٦٠ م . وقد نجح هؤلاء فى مهمتهم إلى درجة حملت المئات من بنى وطنهم على النزوح إلى برنيو . فأنشئوا وفقا لعاداتهم عدة شركات (كُنْكِسى) تعدينية سرية غير أن عددها تغير بمرور الزمن . وسرعان ما استقل هؤلاء الصينيون عن جيرانهم من الملايو والدَّيَك . وفى عام ۱۷۷٤ م نشبت بين هذه الشركات الصينية منازعات حادة ظلت تتجدد آنا بعد آن ، وكان من جرائها أن زاد انتشار الصينيين شيئا فشيئا فى أنحـاء البلاد ولم يستولوا على اقليمى لَرَه ولُـمَرْ فحسب ، بل استولوا على مَنْتَرادو ومَنْدُر أيضا . ولم ينجح الهولانديون فى اخضاعهم تماما إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . واضمحلت لذلك صناعة استخراج الذهب ، وأخذ الصينيون الذين يقطنون برنيو يعيشون اليوم على الزراعة .

وتعطينا سلطنة سرواك ، وعاصمتها كُتشِنك ، فى نشوئها وتطورها فرصة قيمة نعرف بها مدى النتائج التى يمكن أن تستخلص من تطبيق المبادىء الأوربية المعتدلة الثابتة على الحياة السياسية والاقتصادية لشعب ساذج. والحق إنه لما رسا جيمس بروك James Brooke، منشىء هذه الإمارة وأحد ضباط البحرية الإنجليزية بسفينته التى جهزها بنفسه على الشاطىء الغربى لسلطنة بروناى عام ١٨٣٨ م وجد البلاد فى حال يرثى لها ، إذ كان الأهالى نهبا مقسما بين السلب والقرصنة والرق وسفك الدماء وشهوات زعماء الملايو . وقد استطاع بروك بمساعدة الأمير موده حسن المحب للخير وإن كان ضعيفا أن يعيد الأمن والنظام فى البلاد إلى حد ما ، وفى عام ١٨٤٢م اعترف سلطان بروناى ببروك راجا لإمارة سرواك . وتمكن بروك بفضل معاونة الوثنيين المضطهدين من الديك ، وبما تدره عليه مناجم الأنتمد أن يوطد النظام فى تلك الإمارة وأن يخضع الثوار الصينيين والملايو الذين كانوا بمثابة العناصر المعادية بين السكان . وطلب بروك عام ١٨٤٥ عون الإنجليز ليخضع الزعماء العرب الذين كانوا يعيشون على القرصنة مع الملايو والديك . وكان السير جيمس بروك موفقا فى حكم إمارته إلى حد كبير ، فقد تمتعت أيامه بالرخاء الاقتصادى كما زاد فى رقعة أملاكه بفضل معونة بعض الأورو بيين وبعض الأمراء الوطنيين ، ولم يميز فى المعاملة بين أولئك وهؤلاء ، وفى عام ١٨٦٣م خلف لابن أخيه تشارلز بروك Charles Brooke إمارة منظمة تمتد الآن إلى نهر لمبَنك . وقد وضعت هذه الإمارة تحت الحماية الإنجليزية .

وتشغل سلطنة كوتاى على الشاطىء الشرقى، وعاصمتها تنكرون وثغرها سَمَرَنده ، الحوض الأدنى لنهر مهكم . وتشير الآثار الهندوسية القديمة الكثيرة التى توجد على طول هذا النهر إلى أنه كان هناك استعمار طويل المدى خلال العهد الهندوسى فى تاريخ الأرخبيل ظل إلى ما يقرب من عام ١٥٠٠ م . وكانت كوتاى إحدى الإمارات التابعة لمملكة «مُجُوپاهِت» الجاوية ثم خضعت بعد ذلك لسلطنة بنجرمسين . وعقد السلاطين خلال القرن التاسع عشر عدة معاهدات مع الحكومة الهولندية فقدت بمقتضاها هذه الإمارة استقلالها

وفى عام ١٩٠٥ كان تعداد السكان فى الولايات الهولندية كما يأتى : ١٣٨٢ نسمة من الأوروبيين ، ٥٥,٥٢٢ من الصينيين ، ٣١٤١ من العرب ، ٧٤٦ من سكان جزر الأرخبيل الأخرى، ١,١٧٢,٨٦٤ من الوطنيين. والرقم الأخير تقريبى ، ويتألف سكان جزيرة برنيو من الديك الوثنيين فى الداخل ، ومن الملايو على الشاطىء . والسكان قليلو العدد بالنسبة إلى مساحة الجزيرة ، إذ يقطن الميل المربع ما بين ١ إلى ٣ من الأنفس ، أى أن مجموع السكان يقرب من ٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة .

ويعيش الديك على الفلاحة .وهم يزرعون الأرز والنباتات الدرنية والذرة وغيرها ، ويصيدون الحيوان والأسماك أيضا ، وتتجول فى الغابات حول منابع الأنهار العظيمة عدة قبائل منفصلة من الصيادين يعرفون باسم أت وپنْ و بكتن وغيرها . وينقسم الديك الذين يعيشون على الزراعة إلى عدة قبائل صغيرة تقوم على النظام الأبوى ويتكلم أفرادها لهجات مختلفة ، وهذه القبائل يعادى بعضها بعضاً. وهم لذلك لا يستطيعون مقاومة الملايو المتحدين إلا مقاومة ضعيفة . وقبائل الديك من سلالة ملايو الأرخبيل الأقدمين، ولكنهم يختلفون فيما بينهم ، وقد يكون ذلك لاختلاطهم بأجناس أخرى . والديك المستقلون الذين يعيشون فى وسط الجزيرة متقدمون كثيراً ، وأعمالهم فى ميادين الفن والصناعة تثير الإعجاب حقا . وهم لم يأخذوا بحظ كبير من أسباب التطور، ولذلك فإنهم لا يستطيعون حماية أنفسهم من مخاطر البيئة التى تحيط بهم . ولا يفيدون إلا قليلا من المواد التى بين أيديهم مما يصلح للغذاء والملبس والمسكن ، ولا يتزايدون ولا يتقدمون كثيراً فى مضمار الحضارة . والديك مشهورون منذ القدم بحبهم لسفك الدماء والاحتفاظ بجماجم ضحاياهم ، تسوقهم إلى ذلك فكراتهم الروحانية لا طباعهم، لأنهم معروفون برقة المزاج . ويتفاوت انحطاطهم تبعا لدرجة اختلاطهم بالملايو ، وذلك نتيجة لشدة زعماء المسلمين فى معاملة القبائل الوثنية ، فكلما ضعفت قدرة هذه القبائل على المقاومة كلما اشتدت قسوتهم عليها .

وتختلف قبائل الملايو على الشاطىء فى البنية والفكر والعادات وفقاً لاختلاطهم بغيرهم ، فقد ظلوا على نقاوتهم على الشاطىء الغربى ، فى حين اختلطوا اختلاطا كبيراً بالـ « بوكنيز » فى دال نهر كپواس . وأغنى التجار بعد الصينيين فى بنتياناك وسمباس وغيرهما من مراكز التجارة هم البنجار والبوكنيز . وانتشر الملايو فى داخل البلاد على طول نهر كپواس وصاهروا الديك . وإذا أسلم الديك اعتبر من الملايو ، ولذلك فإننا نجد بينهم كثيرين لا يجرى فى عروقهم الدم المالوى إلا قليلا أو لا يجرى فى عروقهم أصلا .

والملايو بوجه عام ليسوا متحضرين كثيراً فهم أقل عناية بالصناعة من الديك ، ولا يهتمون بالزراعة إلا عند ما تلجئهم الضرورة الملحة ، وهم يفضلون الاشتغال بالتجارة وصيد الأسماك والحيوان ، ويحبون حياة الحرية والتجوال ، وكانوا قبل ذلك يعيشون على القرصنة . والنظام السياسى للملايو يجعلهم أكثر اتحاداً من سواهم كما أنهم يتمتعون بوحدة دينية ولغوية ، ويستوردون أسلحة أرقى مما يستورده غيرهم، ولهذا فقد استطاعوا أن يصبحوا العنصر المتغلب فى الجزيرة . ولما كانوا يقطنون عند مصاب الأنهار، وهى الطرق التجارية الوحيدة

قد سيطروا على صادرات البلاد ووارداتها جميعا. ونشاهد في هذه الأماكن وفي بقية أجزاء الجزيرة أن حاجة الأوروبيين إلى حاصلات الغابات من الصمغ الهندى والمطاط والراتينج والكافور قد حدت بالملايو إلى التوغل في طلبها. وهذا هو السبب في وجودهم زرافات ووحدانا بين أبعد قبائل الديك، وهكذا ينشرون عن غير قصد الحضارة الملاوية والدين الإسلامى، كما ساعد على انتشارهما توسع الاستعمار الأوروبى وما نتج عنه من توطيد أسباب الأمن مما شجع التجار على السير مع الأنهار وزيارة الديك فى جماعات كثيرة.

ويوجد البنجار عند الشاطىء الجنوبى، وهم من الملايو الذين اختلطوا كثيراً بالجاويين. كما أنهم قوم متحضرون كانوا يشتغلون بالتجارة فى إمارة بنجرمسين القديمة (أنظر مادة «بنجرمسين»).

وتوجد جماعات كبيرة من البوكنيز على الشاطىء الشرقى، وهم يتميزون بقدرتهم على الأعمال التجارية وغيرها، زد على ذلك أن وجودهم هناك له أهمية كبيرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية. والسواد الأعظم من الملايو الذين يعيشون فى الإمارات القديمة والحالية مثل پسير وكتاى وكننك تبور وسنباليونك وبلنكن ليسوا أعظم فى مضمار الحضارة من إخوانهم الذين يعيشون على الشاطىء الغربى؟

المصــــادر

إن ذكر جميع المصادر التى تبحث فى جزيرة برنيو وسكانها وإماراتها يحتاج إلى صفحات عدة ويوجد بيان بهذه المصادر حتى عام ١٨٥٤ فى كتاب G J Veth : *Barneo's Wester - Afdeelig*، وهو مطبوع في *Zaltbommel* عام ١٨٥٤. والمصادر حتى عام ١٨٨٩ فى كتاب Th. posewitz *Borneo. Entdeckungsreisen und Untersuchungen* برلين ١٨٨٩؛ وكذلك فى كتاب H. Ling Roth : *The Natvies of Sarawak and British North Borneo* لندن ١٨٩٦. وهناك بيان شامل بالمصادر مذكور فى مادة Dagak فى — *Encyclopaedie* [illegible] *Nederlandsch-Indië.*

وأهم المصادر التى صدرت بعد ذلك التاريخ هى: —

(١) S. B. Saint John : *Rajah Brooke* لندن ١٨٩٩ (٢) A.W.Nieuwenhuis *In Centraal-Borneo* ليدن ١٩٠٠ (٣) A.C. Haddon ; *Headhunters* لندن ١٩٠١ (٤) W.H. Furness : *The Homelife of Borneo Headhunters* فيلادلفيا ١٩٠٢ (٥) A.Combanaire : *Au Pays des Coupeurs de Têtes* باريس ١٩٠٢ (٦) O. Beccari : *Nelle Foreste di Born*[illegible] مطبوع فى *Firenze* عام ١٩٠٢، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية E. N. Giglioli باسم *Wanderings in the great Forests of Borneo* لندن ١٩٠٤ (٧) G. A. F. Molengraaff ; *Geological Explorations in Central Borneo* ليدن

١٩٠٢ (٨) A.W. Nieuwenhuis : Quer durch Borneo ليدن عام ١٩٠٤ وعام ١٩٠٧
(٩) D.Cator : Among the Headhunters
لندن ١٩٠٥ (١٠) E.H.Gomer : The Sea- Dyaks of Borneo لنـــدن ١٩٠٧ (١١)
H. H. Juynboll : Catalogus des Ethnographischen Reichsmuseums, Borneo
ليـــدن ١٩٠٩ و ١٩١٠ (١٢) J. Barth
Boesangsch-Nederlandsch Woordenboek
بتافيا ١٩١٠ (١٣) M. W. H. Beech : The Tidong Dialects of Borneo اكسفورد، عام
١٩٠٨ (١٤) S. B. Gould and C. A. Bampfiyde : History of Sarawak under its two White Rajahs، لندن ١٩٠٩ (١٥)
T.E. Tehupeiorij : Onder de Dajaks in Centraal Borneo.

[نيوونهويس A. W. Nieuwenhuis]

« برهان » الاسم المستعار (تخلص) لمحمد حسين بن خلف التبريزى . ومحمد هذا هو مصـــنف القاموس الفارسى الموسوم بـ « برهان قاطع » (انظر مادة التبريزى) ؟

« برهان » أسرة توارثت ببخارى فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) لقب رئيس الحنفية . ولم يستعمل اللقب بمعنى محتسب كما هو الحال اليوم . ولم يكن لقب صدر جهان — والجمع صدور — مقصوراً على رئيس الأسرة فحسب بل كان يطلق على جميع أفرادها أيضاً . وقد قارن بعض الشعراء بين الأئمة من آل برهان والأمراء من آل سامان وجعلوا مرتبة أهل العمائم أعلى من مرتبة أرباب التيجان . وكان لقب صدر جهان يطلق كذلك فى سمرقند وبخارى فى عصر متأخر أيام المغل على أصحاب المناصب الرفيعة من رجال الدين والحكم . وتؤكد معظم الروايات التى تتحدث عن آل برهان تمتعهم بثروة طائلة كان لها أكبر الفضل فى نفوذهم إلى جانب ما أثر عنهم من التبريز فى الدين والعلم . وكانت مكانة هؤلاء الصدور بين أهل وطنهم كمكانة الأمراء . ولســـنا نعرف على وجه التحقيق كيف كانت صلاتهم بخانية الترك فى سمرقند . وكان بعض الخانية يبسطون نفوذهم على بخارى أيضاً ، ويعتبرون هؤلاء الصدور من أتباعهم . وقد ورد ذكر بخارى فى أزمنة أخرى على أنها مدينة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهة السياســـية عن سمرقند ويحكمها صدر جهان . ومن الواضح أن هذه العلاقة لم تكن تحدد بطريقة سلمية فى جميع الأوقات . ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع الصدور الذين ورد ذكرهم فى البيان الذى صنفه معين الفقراء عن نسب هذه الأسرة كانوا يلقبون بالشهداء ماعدا أولهم (كتاب ملا زاده فى Barthold : Turkestan v epochu mongol'

skago nashestviya، ج ١ ، ص ١١٩) .

وهناك وثائق عن الصدور جمعها حديثاً ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى (الجزء الأول من كتاب لباب الألباب لمحمد عوفى، طبعة Browne لندن وليدن عام ١٩٠٦م، ص ٣٣٢ وما بعدها) وهذه الوثائق لا صلة لها بالبيان الذى سبقت الإشارة إليه والذى جعل الصدور من نسل الخليفة عمر . وأول من أعلى شأن هذه الأسرة هو نعمان الثانى (أبو حنيفة) برهان الملة والدين عبد العزيز ابن عمرمازه . وتشير القصص التى نقلها ميرزا محمد عن كتاب « جامع الحكايات » لعوفى إلى هذا الصدر لا إلى عبد العزيز المتأخر كما زعم ميرزا محمد . ويمكننا أن نعرف على وجه التقريب تاريخ حكم هذا الصدر من رواية أبى الحسن البيهقى الذى يقول فى كتابه « تأريخ بيهق » (فهرس المخطوطات الشرقية بالمتحف البريطانى ، رقم ٣٥٨٧ ، ص ٦١ أ وما بعدها) إن أباه الذى وُلد فى غرة شوال عام ٤٤٧ هـ (٢٤ ديسمبر ١٠٥٥ م) وتوفى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الآخرة عام ٥١٧هـ (٢٣ أغسطس ١١٢٣م) كان من زملاء هذا الصدر فى المدرسة .

وقُتل الصدر الثانى حسام الدين عمر ابن الصدر السابق عام ٥٣٦هـ (١١٤١م) إبان استيلاء القراخطاى على بخارى (*Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides* طبعة هوتسما ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ ؛ نظامى عروضى چهار مقاله ، طبعة ميرزا محمد ، ص ٢٢) . وبالرغم من هذا فإن نظامى عروضى يقول إن الوالى الذى استعمله القراخطاى الكفار تلقى الأمر بأن يستمع إلى مشورة الإمام أحمد بن عبد العزيز فى جميع الأمور . ومن الواضح أن هذا الإمام هو أخو الصدر المقتول .

ويذهب ابن الأثير فى تاريخه (طبعة تورنبرج ، ج ١١ ، ص ٢٠٥) إلى أن الرئيس محمد بن الصدر المقتول قد أثنى على اعتدال الفاتحين عام ٥٥٩ هـ (١١٦٣ — ١١٦٤ م وهذا التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحاً ؛ انظر Barthold : *Turkestan etc* ، ج ٢ ص ٣٥٨) ، ويلقب محمد هذا بالصدر فى بيان نسب الصدور الذى أسلفنا ذكره ، وجاء فيه أن ابنه برهان الدين محمد وابن حفيده سيف الدين أحمد لقبا أيضا بهذا اللقب ، ومع ذلك فإن المصادر الحديثة تشير إلى أنه لا بد وأن يكون هناك اختلاف فى صلة النسب بين الصدور المحدثين والصدور القدماء .

ولكن مما يؤسف له أن هذه المعلومات ناقصة إلى حد بعيد ، كما أن هناك مسائل كثيرة تتصل بهذا الموضوع لا يزال يحيط بها الغموض . ويذكر عوفى فى كتابه « لباب الألباب » (ج ١ ، ص ٢١١) أن عبد العزيز الثانى هو ابن عمر ، ومن الواضح أن هذا هو عين الشخص الذى أهدى إليه محمد بن زفر عام ٥٧٤ هـ (١١٧٨ — ١١٧٩ م) رسالته

الموسومة «تأريخ نرشخى» (طبعة Schefer ص ٢ — ٣) بيد أن هذا الصدر يطلق عليه فى هذه الرسالة اسم عبد العزيز بن عبد العزيز. ولعبد العزيز الثانى ابن يدعى الصدر سيف الدين محمد بن عبد العزيز كان على قيد الحياة فى الوقت الذى ألف فيـــه عوفى كتابه اللباب ، عام ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ — ١٢٢١ م . (اللباب ، جـ١ ص ١٨٠) . ويجب أن نعتبر الأشخاص الآتية أسماؤهم من أبناء أحمد بن عبد العزيز الذى ذكره نظامى عروضى :

١) مسعود بن أحمد الذى كان عوفى على صلة شخصية بكل من ابنه برهان الإسلام تاج الدين عمر وحفيده نظام الدين محمد (اللباب ، جـ١، ص ١٦٩ ومابعدها) .

٢) برهان الدين محمود بن أحمد ، وقد صـــنف عدة كتب فى فقه الحنفيـة (Brockelmann ، جـ ١ ، ص ٣٧٥)

٣) برهان الدين محمد بن أحمـد ، وقد ذكره ابن الأثير (طبعة تورنبرج ، جـ ١٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها) والنسوى (طبعة هوداس Houdas ص ٢٣ وما بعدها ، ص ٣٩) ويذكر ابن الأثير أن برهان الدين حج إلى مكة عام ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ — ١٢٠٧) وأنه استقبل أول الأمر بحفاوة عظيمة . ولـكن أخلاقه أسخطت عليه جميع الناس حتى أن بعض الظرفاء قال إنه ينبغى أن يلقب بصدر جهنم ! وربما كانت حجته هذه هى التى قصدها عوفى بقصته عن أحد صدور بخارى وما قيل عن حياة البذخ التى عاشها فى مكة مما لم يسمع بمثله .

ولا بد أن تكون الفتنة التى أشار إليهـا الجوينى قد شبت فى بخارى قرابة ذلك الوقت (Barthold : *Turkestan* ، جـ٢ ، ص ٣٨١) . إذ استطاع رجل من الصناع هو ابن تاجر دروع (مجان فروش) أن يقبض على زمام السلطة وأن يلقب نفسه بملك سنجر . وقد اضطهد أصحاب الحرمات فى كل مكان . وكان المتوقع أن يكون الصدور الموسرين من آل برهان من بين الذين أبعدوا عن الديار، ولـكن عوفى ينبئنا أن هؤلاء الصدور اضطروا إلى الالتجاء إلى القراخطاى الوثنيين (اللباب جـ ٢ ، ص ٣٨٥) ونفضوا إليهم ظلامتهم من ملك سنجر ، وتلقوا منهم المراسيم اللازمة ، ولـكنهم لم يفيدوا منها شيئا لأن قوة الخطاى كانت قد اضمحلت منذ أمد بعيد : فأغرقتهم الديون وأصبحت قراهم ولا ماء فيها ونهبت ممتلكاتهم ... وتهكم الشـاعر شمس بهؤلاء الصدور لالتجائهم إلى الخطاى؛ وقد أورد عوفى أبياته. ويحتمل أن يكون الصدر برهان الدين كغيره من أمراء المشارقة قد قصد إلى مكة بعد خلعه مباشرة .

وزاد عوفى على ذلك بأن الأمور اتجهت ناحية أخرى ، فاحتل بخارى محمد بن تـكش شاه خوارزم فى خريف عام ٦٠٤ هـ = ١٢٠٧م (Barthold : *Turkestan* ، جـ٢ ، ص ٣٨٦) ، أما ملك سنجر فنحن نسـتدل من بيت شعر

ذكره عوفى (اللباب جـ ٢ ، ص ٣٩٣) أنه أحضر أول الأمر إلى آموى على نهر جيحون ، وهى چارجوى الحديثة ، ثم ذهب إلى خوارزم وعاش فيها أمداً ليس بالقصير . وقد أورد النسوى أيضاً هذا البيت . ولكن ما أورده النسوى عن الصدر برهان يدلنا دلالة واضحة على أنه استطاع العودة إلى بخارى ، وظل مدة طويلة من الزمن رئيس الحنفية وخطيبهم ، وعاد إلى ما كان عليه من بذخ وترف ، ويقال إنه استبقى فى بخارى ستة آلاف فقيه ، ثم أقاله شاه خوارزم وأحضره إلى مدينة خوارزم . ولما اضطرت تركان خاتون أم الشاه إلى الفرار عام ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) أمام غارة المغل ألقت فى نهر جيحون بالصدر وأخيه افتخار جهان وولديه ملك الإسلام وعزيز الإسلام وبقية العمال والأمراء والمسجونين فى خوارزم .

ولم تقض هذه المحن على نفوذ هذه الأسرة ، بل ظل هذا النفوذ قائماً حتى بعد غارة المغل . ويذهب ميرزا محمد إلى أن الصدر جهان الذى ذكر على أنه معاصر للسلطان أولجايتو (٧٠٣—٧١٦ هـ = ١٣٠٣—١٣١٦ م) ينتسب إلى الأسرة نفسها . غير أننا لا نقطع بهذا . ويقول الجوينى فى لهجة الواثق إن الصدر جهان كان وقتذاك من آل برهان (انظر سلاله خاندان برهانى ، النص الفارسى فى Schefer : *Chrestomathie Persane* جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، وفى Defrémery ، المجلة الآسيوية ، المجموعة الرابعة ، جـ ٢ ، ص ٣٧٧)

[بارتلد W. Barthold]

« برهانپور » : مدينة بالأقاليم الوسطى فى الهند على الضفة اليمنى لنهر « تاپتى » ، وعلى خط عرض ١٨َ ٢١° شمالا وخط طول ١٤َ ٧٦° شرقا . وقد أسسها ناصر خان أول أمير مستقل من أسرة فاروقى (انظر هذه المادة) عام ١٤٠٠ م . وزاد أكبر وخلفاؤه من رقعتها بعد ما دخلت الإمارة الفاروقية فى أملاك إمبراطورية المغل عام ١٦٠٠ م فأضحت من أهم مدن إقليم الدكن .

ولا يزال يحيط ببرهانپور أسوار بها أبواب ضخمة تشرف على الطرق الرئيسية . ونستدل من بقايا المساجد والأبنية الأخرى على أن مساحة هذه المدينة فى أوج ازدهارها تحت حكم المغل كانت تقرب من خمسة أميال مربعة . والمسجد الجامع الذى شيده على خان عام ١٥٨٨ م والمحلى بنقوش حجرية جميلة لا يزال محتفظا بروعته إلى الآن . وأعيد بناء الأقبية المرفوعة التى شيدها جهانكير فى القرن السابع عشر الميلادى وأجرى فيها من الإصلاحات ما جعلها صالحة للاستعمال اليوم .

المصـــادر

(١) *Cenrtral Provinces District Gazetteers, Nimar District* ، الله آباد عام ١٩٠٥

« برهان الدين » أحمد القاضى: والى سيواس ومن أقدم شعراء آل عثمان الغنائيين. ولد فى قيسارية عام ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) من أسرة جلها من القضاة. وأتم دراسته فى حلب ثم استقر بمدينة أرزنجان. ونشأت بينه وبين أمير هذا البلد صلة ودمتين وتزوج أبنته، ثم دب الخلاف بينهما فقتله برهان الدين ونصب نفسه مكانه، واستولى على سيواس وقيسارية وقاتل جيشا أنفذه إليه مماليك مصر عام ٧٨٩ هـ (١٣٨٧) ولكنه باء بالهزيمة. وبعد عشر سنوات، أى فى عام ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) استعان بالجيوش المصرية على الخلاص من قبائل التركمان التى كانت تناوشه. ولقى برهان الدين حتفه عام ٧٩٩ أو ٨٠٠ أو ٨٠١ هـ (١٣٩٧ — ١٣٩٩ م) فى نضاله مع قره عثمان الملقب بقره يولق من تركمان القطيع الأبيض. ويمكننا أن نستبعد رواية سعد الدين التى يزعم فيها أن قره عثمان لم يلتق بالقاضى برهان الدين إلا بعد فراره من وجه بايزيد الأول سلطان آل عثمان إلى جبال خربوط

وصنف برهان الدين فى الأصول، ونظم القصائد باللغات العربية والتركية والفارسية. وقد استطاع المتحف البريطانى الحصول على ديوانه عام ١٨٩٠ م. وهو مخطوط فريد نسخ عام ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م)، وأظرف أجزاء هذا الديوان هو مجموعة الرباعيات المعروفة بـ « تيوغ » وقد وزنت طبقا لعدد المقاطع وزنا مستقلا عن مقدارها (پارماق حسابى). والأثر الفارسى واضح فيها، ولكن لغتها قديمة وفيها كلمات كثيرة من اللغة التركية الشرقية.

ولايزال قبر برهان الدين موجودا بسيواس وعليه العام المرجح لوفاته وهو ٧٩٩ هـ (١٣٩٧م) (انظر Grenard: المجلة الآسيوية، المجموعة التاسعة، المجلد ٢٧، عام ١٩٠١ م، ص [illegible]) وكذلك نجد فى مدينة سيواس قبر ابنه محمد جلبى المتوفى عام (٧٩٣هـ) (١٣٩١م) وقبر ابنته حبيبة الملقبة بسلجوق خاتون لأن جدة برهان الدين لأبيه كانت حفيدة السلطان السلجوقى كيكاوس الثانى (Van Berchem: *Corpus Enscriptionum Arabicarum*، المجلد الثالث، ص ٥٠). وتوفيت حبيبة عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦م) ولا تزال سيرتها التى كتبها عزيز بن أردشير الأسترابادى باللغة الفارسية مخطوطة فى مكتبة أيا صوفيا تحت رقم ٣٤٦٥

المصـــادر

ابن حجر العسقلانى، وقد نقل عنه جب Gibb فى كتابه *History of Ottoman Poetry* ١، ص ٢٠٤ وما بعدها، وترجمة الشعر موجودة فى ص ٢١[illegible] ومابعدها، والنص فى ج٦، ص١٦ ومابعدها (٢) *P. Melioranski*، النص وترجمة عشرين رباعية واثنى عشر تيوغ (*Vostotshniya Zamietki* ص١٣١ ومابعدها (٣) سعد الدين:

تاج التواريخ، ج ١ ، ص ١٣٣ ، ج ٢ ، ص ٤١٠

[هيوار Cl. Huart]

« برهان الدين » قطب علم : ولى هندى مشهور ، وهو حفيد الشيخ جلال مخدوم جهانيان الولى الذائع الصيت (٧٠٧ — ٧٨٥ هـ = ١٣٠٨ — ١٣٨٤ م). وقد عاش برهان الدين فى بلاط السلطان أحمد الأول الكجراتى بـ «بَتْوَة» بالقرب من أحمد آباد ، وتوفى عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) وشيد له فيها ضريح كبير. ودفن ابنه شاه علم المتوفى عام ١٤٩٥ م فى مسجد عظيم بالموضع نفسه ؟

« برهان الدين المرغينانى » أنظر « المرغينانى ».

« برهان شاه الأول » (١٥٠٨ — ١٥٥٣ م) ثانى ملوك أسرة نظام شاه (انظر هذه المادة)

« برهان شاه الثانى » (١٥٩١ — ١٥٩٥ م) سابع ملوك أسرة نظام شاه (انظر هذه المادة)

« برهان عماد شاه » (١٥٦٠ — ١٥٧٢ م) آخر ملوك أسرة عماد شاه (انظر هذه المادة) فى برار ، وكان برهان عماد شاه حدثا عند ما آل الملك إليه ، ولهذا فقد سجنه وزيره تُفال خان فى حصن نرناله ، واستولى على السلطان ، وفى عام ١٥٧٢ استولى مرتضى نظام شاه صاحب أحمد نكر على الحصن وقبض على السلطان ووزيره وأمر بقتلهما ؟

المصـــادر

فرشته : كلشن إبراهيمى ، المقالة الثالثه

« برهوتى »: (انظر مادة بلوخستان)

« برَهُوت » (بَلَهُوت ، وتكتب كذلك بُرْهُوت) واد بحضرموت يحفه جبل بركانى توجد عند سفحه بئر برهوت المشهورة . ويقول أهل الوادى إن هذه البئر عبارة عن شق طوله ٣٣ قدما وعرضه ٢٥ ملىء بالكبريت الملتهب . ونتن الكبريت وهدير البئر ، وربما صوت البركان قد ادت جميعها إلى نشوء القصة التى تذهب إلى أن أرواح الكفار تجتمع فى هذه البئر ، وتصيح فى الليل من الألم قائلة يادومة . . . يادومة ! وأورد الهمدانى فى كتابه الجزيرة بين ما أورد من أمثال الأمم مثلا ربما يكون قد قيل فى رجل مات على الشرك وهو : « اسحقه الله وأبعده والحق روحه بأرواح الكفار ببرهوت » وجعل اليونان صلة بين هذه البئر وبين

بئر ستيكس Styx ومن ثم أطلق الجغرافى بطلميوس عليهـــا Στυγὸς ὕδατος πηγή وتوسع الرومان فى هذه الأسطورة وجعلوا مقر الأخوين الكريتيين مينوس Minos ورادامنتيس Rhadamantys عند البئر الأخيرة وهذان الأخوان هما قاضيا العالم السفلى ، وقد ذكر بليناس فى قائمته التى عدد فيها مئات القبائل فى اليمن اسم قبيلتين من أشهر القبائل هما ميناى Minaei ورادامای Rhadamaei فى جوار بئر ستيجيس Stygis Aquae Fons .

وبالقرب من بئر برهوت قبر هود الذى أرسله الله لقوم عاد فقتلوه . ويروى الأهالى أن قبره عبارة عن كومة كبيرة من الأحجار بجوارها مسجد صغير يقال إنه يضم رفاته . ونستطيع أن نقول إن هذا الموضع أهم مزار فى بلاد اليمن كلها ، يذهب إليه الحجاج من أطراف حضرموت فى الحادى عشر من شهر شعبان ويقيمون الصلوات ويذكرون هودا وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء ، وتقام فى الوقت نفسه سوق كبيرة . ثم يقفر المكان بقية أيام السنة .

ولم يزر أحد من رحالة الأوروبيين بئر برهوت بعد .

وعـــزم على زيارته المستكشف أدولف فون فريده Adolph v. Wrede وكان عام ١٨٤٣ م فى وادى دوعن القريب من برهوت إبان رحلته الاســـتكشافية الشهيرة ولكنه لم يستطع وكذلك أخفق ليو هرش Leo Hirsch الذى رحل إلى حضرموت بعد ذلك بخمسين عاماً .

المصـــــادر

(١) الهمدانى : الجزيرة ، طبعة ملر ، ص ١٢٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ (٢) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ٥٩٨ (٣) المكتبه الجغرافية العربية ، طبعة دى غوى ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ج ٢ ص ٣٢ ، ج ٨ ، ص ٦٠ (٤) ابن بطوطه ، طبعة دفرمرى ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ (٥) المسعودى مروج الذهب ، طبعة بربيه ده مينار ، ج ٣ ، ص ٦٨ (٦) الطبرى : تاريخه ، طبعة ده غوى ج ١ ، ص ٢٠٠٧ (٧) C. Niebuhr : *Beschreibung von Arabien* ، كوبنهاجن ١٧٧٢م ، ص ٢٨٨ (٨) K. Ritter : *Erdkunde* ج ١٢ ، ص ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٦٨١ (٩) *A. V. Wredes Reise in Hadhramaut* ونشره H. Freih v. Maltzan ، برنشفيج ١٨٧٣ م ، ص ٢٢٩ ، ٢٧٦ (١٠) Halévy فى المجلة الآسيويه ، المجموعه الثامنه ، ١٨٨٣ ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ وما بعدها (١١) Van den Berg : *Le Hadramut et les Colonies Arabes dans l'Archipel indien* ، بتافيا ١٨٨٦ ، ص ١٤ — ١٥ (١٢) De Goeje : *Hadhramaut* ، ص ٢٠

[I. Schleifer شليفر]

« بروانه » (انظر مادة معين الدين سليمـــان)

« بَرُوجِرْد » مدينة بإقليم لورستان جنوبي همـــذان ، أوقع فيها السلطان بركياروق السلجوقي الهزيمة بالسلطانة تركان خاتون عام ٤٨٥ = (١٠٩٣ م) . وتوفى فيها بركياروق ؟

المصادر

(١) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٥٩٦ (٢) Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، ص ٢٠٠ وما بعدها (٣) de Bode : *Travels in Luristan and Arabistan* جـ ٢ ، ص ٣٠٢ وما بعدها .

« بروسه » ويعرفها الأتراك باسم بورسة ، وكانت تعرف قديماً باسم پروسَا Prusa : مدينة على خط طول ٤٠َ ٢٦° شرقاً ، وخط عرض ٢١َ ٤٠° شمالا ، عند سفح جبل كشيش ، واسمه القديم أوليمپوس Olympus . وبلغ عدد سكانها عام ١٩٠٧ : ٦٦,١٥١ نسمة .

ويربط بروسة بثغر مُدَنْيَة خط حديدي . وأهم مايشتغل به أهلوها هو تربية دودة القز ، وهم يصدرون أيضا النبيذ وزيت الزيتون والأفيون والفواكه . وبالقرب من مدينة بروسة ، وعلى مسافة منها قرية چكركه ، وبها حمامات ساخنة شهيرة بمياهها الكبريتية الحديدية ، ويتردد عليها أناس كثيرون . ومن آثار بروسه المساجد التي شيدها السلاطين الأول من آل عثمان وخاصة « يشيل جامع » الذي شيده السلطان محمد الأول و « اولو جامع » ومسجد مراد الثاني ، وفيه أضرحة السلاطين ، ومسجد يلدرم .

وأصبح لبروسة شأن في الإسلام بعد أن استولى عليها أورخان بن عثمان عام ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) واتخذها مقراً له ، وظلت بعده مقر السلاطين إلى أن فتحت القسطنطينية . ومدينـة بروســـة الآن حاضرة ولاية خداوندكار

المصادر

(١) أوليا چلبي : سياحتنامه (٢) علي جواد : جغرافيه لغاتي ، ص ١٧٠ ومابعدها (٣) بليغ : كلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران (٤) لطفي : *Die Verherrlichung der Stadt Brussa* ، نقله إلى الألمانيـة Pfizmaier ، فينا ١٨٢٩ (٥) Cuinet , *La Turquie d' Asie* جـ ٤ ، ص ١٢٠ وما بعدها (٦) Baedeker : *Konstantinopel und Kleinasien* ، ص ١٤٠ ومابعدها (٧) H .Barth : *Konstantinopel* ص ١٣٠ ومابعدها (٨) خداوندكار سالنامه‌سي ، عام ١٣٢٥ ، انظر مجلة *Revue du monde musulman* جـ ٥ ، ص ١٤٥ وما بعدها (٩) H.Wilde : *Brussa* ، في الجزء الثالث عشر من *Beiträge zur Bauwissenschaft* عام ١٩٠٩ (١٠) وانظر فيما يختص بمدينة بروسه قبل دخول الإسلام فيها كتاب Pauly: *Realwörterbunch etc,*

« بروش » : (انظر مادة «بهروج»)

« بَرُودَه » دويلة فى الهند بإقليم كجرات تتألف من أربع أجزاء منفصلة عن بعضها داخلة فى حدود ولاية بمباى وحاكمها مرهتة يلقب بـ « كيكوار » وهو لقب العائلة . وتبلغ مساحة برودة ٨٠٩٩ ميلا مربعاً . وفى عام ١٩٠١ م بلغ سكانها ١,٩٥٢,٦٩٢ نسمة منهم ١٦٥,٠١٤ مسلمون . ودخل هذه الدويلة ١٦,٤٨٦,٠٠٠ روبية .

ونستدل من أسوار مدينة برودة التى على نهر ڤشوَامترى على أنها أنشئت فى العهد الإسلامى . وفى عام ١٩٠١ بلغ عدد سكان هذه المدينة ١٠٣,٧٩٠ نسمة . وكان فى خدمة الكيكوار دائماً أسرادرةمن المسلمين ومرتزقة من العرب والروهيلا لا يزال أحفادهم يتناولون معاشا من الحكومة إلى اليوم . وقد حافظ الكيكوار على حضور الاحتفال الرسمى بعيد رأس السنة الهجرية . وتوجد فى مدينة برودة سجادة أمر بصنعها للحرم النبوى بالمدينة خَنْده رَأو (الكيكوار من عام ١٨٥٦ إلى ١٨٧٠ م) . ويقدر ثمنها بأربعمائة ألف جنيه . وقد وصف سير جورج واط George Watt فى كتابه *Indian Art At Delhi* (عام ١٩٠٣ ، ص ٤٤٤) هذه السجادة فقال إن فرشتها من حبات اللؤلؤ وصنعت رسومها العربيــة ذات اللونين الأزرق والأحمر من خرز من الزجاج الإنجليزى . كما انتثرت فيها حلى وورود من الماس والمرجان والزمرد ؟

المصـــادر

Baroda Gazetteer.، كلكته ، عام ١٩٠٨

[J. S. Cotton كتن]

« البُرَيْجَة » : انظر مقال « مزيغن »

« بَريد » كلمة عربيــة من الواضح أنها استعيرت من الكلمة اللاتينية Veredus ؛ ومعناها « دابة البريد » أو « حصان البريد » وثم « ناقل البريد » . وأصبحت تدل بعد ذلك على النظام نفسه . وأطلقت آخر الأمر على المرحلة بين مركزى بريد . وقد قومت هذه المرحلة بفرسخين فى بلاد فارس وأربعة فراسخ فى المغرب . والفرسخ فى الحالين ثلاثة أميال .

ولم تقتصر الاستعارة على الاسم فقط بل إن نظام البريد الذى كان سائدا فى عهد الخلفاء قد أخذ عن البوزنطيين والفرس . وتؤيد الروايات الإسلاميــة نفسها هذا الأمر . ويقال إن معاوية قد عنى بشئون البريد وعممه عبد الملك فى أنحاء الدولة الإسلامية . وانتفع به الوليد فيما يتصل بمنشآته . وبنى عمر ابن عبد العزيز خانات للبريد على طريق

خراسان . بل إن العباسيين قد استعانوا به كثيرا إبان ثورتهم .

ويقول مؤرخو العرب إن هارون الرشيدهوالذى رتب البريد على أساس جديد بمعرفة وزيره المشهور يحيا البرمكى . وكان المقصود ببريد الدولة خدمة مصالحها فقط لا مصلحة الأفراد . وهو لذلك أشبه بالبريد عند الرومان (Cursus Publicus) . ولم يكن الغرض منه حمل الأخبار فحسب بل نقل العمال والفرق الصغيرة من الجند وأمتعة البلاط وعمال الدولة . والدواب التى كانت تستعمل فى البريد إلى جانب الخيول هى البغال أو الجمال وفقا لما تقتضيه الحال . وأصبح لصاحب البريد بمرور الزمن حق الإشراف على عمال الأقاليم . ويمكن أن يحمل صاحب هذا المنصب فى عهود الخلفاء المستبدين على انتهاج الجاسوسية الخبيثة ، ولربما كان فى بعض الأحوال مصدر خطر على الأمراء أنفسهم . وكان لتنظيم البريد فى عهد العباسيين فضل إمدادنا ببياناتهم الرسمية عن مراكزه ، وقد استقت أقدم مصنفات العرب الجغرافية وأتمها معلوماتها من هذه البيانات .

ويقال إن البويهيين قد أغلقوا طرق البريد إلى بغداد لصالح ثورتهم . ومهما يكن من شىء فإن القلاقل التى حدثت فى القرون التالية قد عاقت سير البريد بانتظام ، إلا أنها لم تقض عليه .

وبما يجدر ذكره أن بنى زنكى قاموا بمجهودات فى سبيل نقل البريد بالجمال والحمام. وكانت إعادة تنظيم البريد من أهم الوسائل التى توسل بها السلطان العظيم الظاهر بيبرس الأول فى ربط أجزاء دولته بحاضرتها عندما بدأ فى توحيد قوى الإسلام فى المشرق عقب الحروب الصليبية . وفى عام ٦٥٩ هـ (١٢٦١) أعاد هذا السلطان ترتيب البريد وأقام غلماناً وخيولاً للبريد على مراحل معينة فى سائر الطرقات المهمة بالمملكة . وبالرغم من هذا فإن البريد ظل يستعمل فى هذا العصر لصالح الحكومة فقط ولحمل العمال وناقل البريد . وعلاوة على هذه الوسائل فإن استعمال الحمام فى بريد الحكومة والتخاطب بالإشارة بواسطة إشعال النار كانا على جانب كبير من الأهمية . وابتدع نظام جديد كان البريد يرسل بمقتضاه بانتظام من الأقاليم إلى القاهرة مرتين كل أسبوع . وكان ناقل البريد يسير من القاهرة إلى دمشق فى أربعة أيام وأحياناً فى ثلاثة أيام فقط ، وإلى حلب فى أيام قليلة تبلغ الخمسة .

ومما يستحق الذكر أنه قد عملت الترتيبات فى عهد المماليك لحمل الثلج من دمشق إلى القاهرة. ونشطت تجارة الأفراد نشاطاً عظيما بالنظر إلى تشييد الخانات وحفر الآبار وتأمين الطرق . ومما يدلنا على أن سلاطين المماليك المتأخرين وملوك المشرق الآخرين لم يهملوا شأن البريد وجود تلك الخانات التى لا زلنا نشاهدها فى الطرقات القديمة مثل الطريق

المحاذى للبحر من دمشق إلى الغرب . ويمكننا أن نستخلص من كتاب « جهاننما » للحاج خليفة أن العثمانيين قد عنوا بالتجارة العامة. (انظر فيما يختص بالبريد فى العصر الحاضر مادة « بوسطة ») ؟

المصـــادر

(١) ابن خرداذبة وقدامة ، المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، ج٦ (٢) ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة طبعة سنة ١٣١٢ هـ ، ص ١٨٤ وما بعدها (٣) المقريزى : الخطط ، الطبعة الأولى ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ؛ الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ٣٦٧ (٤) Sprenger : *Die Post-und Reiserouten des Orients* ، ليبسك ١٨٦٤ م (٥) A. V. Kremer : *Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen* ، فينا ١٨٧٥م ، ج ١ ، ص ١٧٠ و ١٩٢ وما بعدها (٦) *Quatremère* فى ترجمته لكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ، باريس ١٨٤٥ ، ج ٢ ، ص ٢ ، ص ٨٧ وما بعدها .

[R. Hartmann هارتمان]

« بريد شاهى » : اسم أسرة أنشأها قاسم بريد عام ١٤٩٢ . وقاسم هذا هو وزير محمود شاه الملك الرابع عشر من الأسرة البهمنية ، وقد حكم من عام ١٤٨٢ إلى عام ١٥١٨ م .

وكان محمود شاه رجلا نزقا محبا للشهوات، ترك أمر تدبير شئون الملك لوزيره ، فانتقض عليه ولاة الأقاليم واستولوا على أراضى المملكة ولم يبقوا له سوى العاصمة « بيدار » وما جاورها من الأقاليم . وبالرغم من أنه قد خلف هذا الملك أربعة ملوك من بيت بهمن إلا أن حكم هذا البيت أضحى اسمياً ، وتوفى كليم الله آخر هؤلاء الملوك فى المنفى عام ١٥٢٧.

وتوفى قاسم بريد عام ١٥٠٤ وخلفه أبنه أمير على بريد . وحاول خلفاء أمير أن يحتفظوا باستقلالهم إلى أن وقع ابن حفيده على بريد أسيراً فى قبضة إبراهيم عادل شاه ملك بيجاپور . وأمضى على بريد وأولاده بقية أيامهم فى الأسر ، وألحقت بيدار بمملكة بيجاپور ؟

المصـــادر

(١) J. S. King : *History of the Bahmanî Dynasty founded on the Burhân-i-Ma'athir* ، ص ١٢٢ وما بعدها (٢) فرشته : كلشن إبراهيمى ، المقالة الثالثة (٣) T. W. Haig : *Historic Landmarks of the Deccan* ، ص ٩٨ وما بعدها .

« بُرَيْدَة » : تصغير بُرْدَة : قرية كبيرة من أعمال القاسم بنجد على خط عرض ١٧َ ٢٦° شمالا وخط طول ٥٥َ ٤٣° شرقا . وهى على الضفة اليسرى لوادى الرُّمَّة وبينها وبين عنيزة التى على الضفة اليمنى سبعة أميال

ويزعم " دوتى Doughty أن هاتين المدينتين قد نسبتا إلى الجبال التى فى جوارهما . ولعل بريدة تقوم مكان المدينة القديمة Γορδα (Sprenger : Die alte Geographie Arabiens) . ويقال إن المدينة الحالية قد أنشأها بنو تميم منذ ثلاثة أو أربعة قرون . ثم إنها استقلت على يد زعماء من بيت عليان عقب سقوط الدولة الوهابية (انظر Palgrave) . وأخذ فيصل بن السعود الوهابى بريدة غدراً عندما استعاد معظم الأملاك التى كانت قد فقدت ، وولى عليها رجلا من الرياض يدعى « مهنّا » ، وهو الذى كان قائماً بحكمها عندما زارها بالجريف عام ١٨٦٢ . وكان ابنه حسن والياً عليها أثناء إقامة دوتى Doughty فيها عام ١٨٧٨ .

وقد قدر بالجريف عدد سكانها بـ ٢٥٠٠٠ نسمة بينما زعم دوتى أنهم بلغوا ٥٠٠٠ نسمة أو ٦٠٠٠ نسمة إذا أضفنا سكان الدساكر التى تحيط بها . وأهل بريدة من التجار وأصحاب القوافل ؛ وقد شيدت المدينة من اللبن وحولها سور سمكه قدمان وتحيط البساتين بالسور من الخارج . وتمتد الأراضى المزروعة والنخيل نحو ثلاثة أميال على الجانب الآخر للوادى . وتروى هذه الأراضى عيون حفرت فى الرمال . وترفع المياه بواسطة عجلة مثبتة فى دعامة من خشب الأثل الذى ينمو بكثرة هناك .

وكان ببريدة أيام زيارة بالجريف سوق مزدحمة . وكانت كتل الملح المجلوب من القاسم الغربية أكثر سلعها رواجا . أما شوارع المدينة فكانت فسيحة منظمة . ونستدل من ارتفاع منارة مسجدها على أنه شيد قبل ظهور الوهابيين . ولربما كان هذا المسجد قد بنى منذ قرنين . ويذهب بالجريف إلى أن القلعة فى بعض أجزائها أقدم من هذا التاريخ لأن بعض حوائطها قد شيد من الحجر ، زد على ذلك أنه ليس بها ما يميزها من جهة فن العمارة . ويلوح أنه ليس بالمدينة كتابات قديمة ؟

المصـــــادر

(١) Palgrave : Central and Eastern Arabia
(٢) Doughty : Arabia Deserta
(٣) Ritter : Erdkunde ، ج ١٢ ، ص ٤٥٤ وما بعدها .

[فير T. H. Weir]

« بُرَيدة بن الحُصَيب » شيخ قبيلة أسلم بن أفصى ومن صحابة النبى . وقد أسلم حين مر به النبى صلعم مهاجرا بالغميم وأسلم من كانوا معه وهم نحو ثمانين أسرة . ولم يفد بريدة إلى المدينة إلا بعد وقعة أحد ثم غزا مع رسول الله فى جميع غزواته . وأوفد عام ٩ هـ (٦٣٠ م) ليجمع الجزية من بنى أسلم وبنى غفار ، ويقال إنه صحب عليا فى بعثه إلى اليمن عام ١٠ هـ .

وعندما كان النبى يتجهز لغزوة تبوك بعث بريدة إلى بنى أسلم ليطلب عونهم . وظل بريدة بالمدينة بعد وفاة النبى . ولما خطت البصرة رحل إليها وبنى فيها بيتا . وفى عام ٥١ هـ (٦٧١ م) ذهب إلى خراسان صحبة الربيع ابن زياد . وتوفى بمرو فى خلافة يزيد بن معاوية ؟

المصـــادر

(١) ابن سعد ، جـ ٤ ، باب ١ ، ص ١٧٨ وما بعدها (٢) الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤٨ وما بعدها (٣) ابن الأثير : تاريخه ، طبعـــة تورنبرج ، جـ ٣ ، ص ٤٠٨ (٤) ابن الاثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧٥ وما بعدها (٥) النووى ، طبعـــة فستنفلد ، ص ١٧٣ (٦) البلاذرى ، طبعة ده غوى ، ص ٤١٠ (٧) Caetani : *Annali Dell' Islam* ، انظر الفهرس .

[K. V. Zettersteen تسترشتين]

« البريدى » : لقب ثلاثة أخوة ، هم أبو عبد الله أحمد وأبو يوسف يعقوب وأبو الحسين ، وقد كان لهؤلاء الثلاثة شأن كبير فى عهد اضمحلال الخلافة العباسية أيام المقتدر وخلفائه .

ورأس هذه الأسرة هو أبو عبد الله أحمد . وكان على بن عيسى وزير الخليفـــة قد قلد أبا عبد الله وأخويه بعض المناصب التافهة غير أن عبد الله لم يقنع بها ، ولما وزر ابن مقلة للخليفة بذل له عشرين ألف دينار عام ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) فقلده الأهواز وقلد أخويه بعض الأعمال الجليلة . وكان هؤلاء الأخوة يحسنون اغتنام الفرص ، وشاهد ذلك أنهم لما اشتركوا فى اسقاط ابن مقلة بعد ذلك بما يقرب من سنتين صادرهم المقتدر على أربعمائة ألف دينار فأجابوه إليها فى يسر .

وقتل المقتدر عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ، فتمكن أبو عبد الله من أن يسير وفقا لأهوائه وأخذ يجمع المال بالاغتصاب والقسوة بما لم يسمع بمثله ، وعاد أخواه إلى منصبيهما ونهجا على غراره . واستمر أبو عبد الله وأخوته على هذا الحال فى عهد الراضى الذى حكم من عام ٣٢٢ الى ٣٢٩ هـ (٩٣٤—٩٤٠ م) ، لأن صاحبهم القديم ابن مقلة كان قد استعاد نفوذه ، ولم يعمد هؤلاء إلى ارسال دخل ولا ياتهم إلى بيت المال بل احتفظوا به متوسلين بالرشوة والكذب .

وكان من المحال أن يدوم هذا الحال ، ولذلك فإنه لما صارت الأمور فى الخلافة إلى أمير الأمراء ابن رائق عام ٣٢٤ هـ (٩٣٦م) حاول أبو عبد الله بكل ما أوتى من دهاء أن يحوز رضى ابن رائق فلم يفلح ، وخرج ابن رائق على رأس جيش قاصدا إياه . غير أن أبا عبد الله كان يعرف الطريق الذى ينبغى عليه أن يسلكه . فهرب إلى عماد الدولة البويهى بفارس وأقنعه فى سهولة بغزو الأهواز

والعراق . وظهرت الوحشة بعد ذلك بين معز الدولة والخليفة فطلب معز الدولة عون أبى عبد الله إلا أن عبد الله رفض سؤله لأنه فضّل أن يعمل فى ظل حكم ضعيف كحكم الخليفة من أن يعمل تحت إمرة حكام جدد . ولما ظهر خصم لابن رائق فى شخص بجكم التركى (انظر هذه المادة) أخذ أبو عبد الله يعمل وفقا لما تمليه الظروف فانضم تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ، ثم انتصر بجكم عام ٣٢٦ هـ (٩٣٨ م) فأقامه وزيرا للخليفة . غير أنه سرعان ما أقيل من منصبه . وهلك بجكم مبكرا فى عهد المتقى (٣٢٩ هـ = ٩٤١م) فاستولى أبو عبد الله على بغداد لمدة قصيرة ثم أجبرته الجنود التى شقت عصا الطاعة على الارتداد إلى واسط بعد ذلك بأسابيع قليلة . وفى السنة التالية (٣٣٠ هـ = ٩٣٢ م) أوفد أبو عبد الله أخاه أبا الحسن على رأس جيش إلى بغداد فاضطر الخليفة وابن رائق إلى الالتجاء إلى الحدانيين بالموصل . بيد أن أبا الحسين أسخط الناس فى بغداد بمظالمه فلم يجد بنو حمدان صعوبة فى طرده من بغداد بل ومن واسط . واستطاع البريدى وأخوته أن يستقروا فى البصرة غير أنهم اضطروا إلى قتال صاحب عمان قتالا كثير النفقة ، وكان هذا قد سار فى مراكب كثيرة يريد البصرة فملك الأبلة عام ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) . ولكن الحظ حالفهم وأشعلت النار فى مراكب العدو فارتد إلى عمان .

واستنفدت هذه الحروب وغيرها ثروة أبى عبد الله ، فلم يتردد فى قتل أخيه أبى يوسف ليحصل على كنوزه التى جمعها . غير أنه لم ينتفع بها كثيرا إذ توفى فى السنة نفسها (٣٣٢هـ = ٩٤٤م)

ودبت الفرقة بين أبى الحسين وبين أتباعه الذين كانوا قد جعلوا من أبى عبد الله زعيما لهم ففر فى صعوبة كبيرة إلى أمير البحرين القرمطى . وتمكن بفضل معونة هذا الأمير من أن يحاصر ابن أخيه فى البصرة وظل محاصرا له حتى تم الصلح بينهما .

ثم إن أبا الحسين بدأ يعمد إلى الدسائس سريعا فذهب إلى بغداد وحاول أن يأخذ ولاية البصرة فلم يوفق فى مسعاه وحوكم وضربت رقبته فى بغداد عام ٣٣٣ هـ (٩٤٥ م) وفى العام التالى عقد ابن أخيه أبو القاسم صلحا مع معز الدولة البويهى ، ولم يدم هذا الصلح إلا قليلا لأن معز الدولة أنفذ إليه جيوشه عام ٣٣٦ هـ (٩٤٧م) وسار بنفسه إلى البصرة وأجبره على الفرار إلى القرامطة بالبحرين . ولم يكن له بعد ذلك أى أثر فعال فى الأحداث السياسية بالرغم من أن معز الدولة كان قد صفح عنه .

وتوفى أبو القاسم عام ٣٤٩هـ (٩٦٠م) ؟

المصـــادر

ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ٨ .

■ بُزَاخَة ■ : ماء لبنى أسد ببلاد العرب، وعنده ألجأ خالد بن الوليد طليحة بن خويلد الأسدى إلى الفرار عام ١١ للهجرة (٦٣٢م) ؟

المصـــادر

ياقوت : المعجم، ج ١ ، ص ٦٧١ (٢)
Caetani : *Annali dell' Islam* ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ وما بعدها .

« بُزَاعَة » أو بزاعا : بلدة بالشام شرق حلب وعلى خط عرض ٦٥َ ٣٧° شرقا وخط طول ١٣َ ٣٦° شمالا . وكانت بزاعة أهم مكان فى إقليم بُطنان فى القرون الوسطى (انظر مادة بطنان) . وهى تعرف الآن باسم بزّاعة فقط . وهو من الأسماء التى أطلقت عليها منذ أيام ياقوت . ويقول الرحالة ابن جبير الذى عاش فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) إن مســاحة بزاعة كانت أيامة وسطا بين المدينة والقرية ، وقد اشتهرت هذه البلدة بعيونها الجارية وحدائقهـا الزاهرة وأسواقها الحسنة . وتشرف عليها قلعة حصينة . ويروى أبو الفداء أن مشهد عقيل بن أبى طالب أخى الإمام على خارج حدودها . وقد نسخ أوبنهيم Oppenheim ثلاث كتابات منقوشة على المسجد الذى فى غربها الأقصى ، وهى تشير إلى الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الذى حكم من عام ٥٦٩ — ٥٧٧هـ (١١٧٤— ١١٨١م) (انظر Van Berchem: مقاله المذكور فى المصادر ، الأرقام من ٧٠ — ٧٢) .

واســـتولى الصليبيون على بزاعة عام ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) بعد أن حاصروا قلعتها سبعة أيام . واستعادها زنكى فى العام نفسه . ووقعت فى يد صلاح الدين عام ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) .

وإلى الشمال من بزاعة على مسافة قصيرة تبلغ الخمسة أميال تقوم « الباب » ، وهى تعلو عن سطح البحر بمقـــــدار ١٠٥٠ قدما (Baedeker : *Palestine* ، ص٣٩٦) وكانت فى القرون الوسطى محطة هامة على الطريق من حلب إلى منبج وعلى مسيرة يوم واحد من كل منهما أو قل هى أقرب إلى منبج . وكانت الباب ضاحيــة من ضواحى بزاعة يوما ما ومن ثم سميت أحيانا باب البزاعة ؛ وكانت أيضا سوقا هامة للبضائع القطنية التى كانت تصدرها إلى دمشق وحلب . والحق إن الإقليم كله المجاور لحلب ومنبج كان مشهورا بالقطن . وهناك خمس كتابات عربية ترجع إلى القرنين الرابع عشر والثامن عشر فى Van Rerchem (مقاله المذكور فى المصادر ، الأرقام من ٦٣ إلى ٦٧) . وقرية « تَاذِف » ، وهى « تِيدِف » الآن ، أقرب إلى براعة من الباب ناحية الجنوب (انظر أيضا فان برشم فيما يختص بكتابتين نسختا من هذه القريه ، الأرقام من ٦٨ إلى ٦٩) ؟

المصـــادر

(١) ابن جبير ، طبعة ده غوى ، فى سلسلة

جب التذكارية ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٤٣٧ ، ٦٠٣ ، ٨١١ (٣) الدمشق ، طبعة مهرن Mehren ، ص ١١٤ ، ٢٠٥ (٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، طبعة باريس ، ص ٢٦٧ (٥) مراصد الاطلاع ، طبعة جوينبل ، ج ١ ، ٣٠٢ ، ص ١٥٠ ، ١٩٤ ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ (٦) خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، وكان هذا الكتاب موضع رسالة قدمها هارتمان Hartmann إلى جامعة توبنجن ، ١٩٠٧ ، ص ٦٢ (٧) ابن شحنة : تاريخ حلب = A.V. Kremer: *Denkschr. der Wien. Akad.d.Wissensch.* ١٨٥٢ ، ج٣ ، الرسالة الثانية ، ص ٣٧ ، ٣٨ (٨) Arnold : *Chrestom. arabica* ، هاليس Halis ١٨٥٣ ، ج ٢ ، الحواشي ص ١٧ ، وهو وهو يذكر لنا أماكن قليلة (٩): Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، ١٨٩٠م ، ص ٤٠٦ ، ٤٢٦ ، ٥٤٠ (١٠) M.V. Rerchem فى مناقشته لكتابات اوبنهيم فى *Reitr. Zur Assyriol.* ، ج ٧ ، عدد ١ ، ١٩٠٩ ، ص ٥٦— ٥٧ (١١) Weil : *Gesch. der Chalifen* ، ج٣ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٣٥٧ (١٢) R. Pococke : *A Descripition of the East* ، ج ١ ، لندن ١٧٤٥م ، ص ١٦٨ (١٣) Ritter : *Erdkunde* ج ١٦ ، ص ١٦٩٥ (١٤) Sarre und Herzfeld : *Archaeol. Reise im Euphrat und Tigrisgebiet* ، ج ١ ، برلين ١٩١١ م ، ص ١١٤ — ١١٥

[ستريك M. Streck]

« بُزُرْجُمْهر » بن بختكان المروى : الوزير المشهور للملك الساسانى أنوشروان . وتنسب له الأساطير كثيرا من الحكم ؟

المصـــادر

(١) Nöldeke : *Geschichte der Perser und Araber* ، ص ٢٥١ ، التعليق (٢) Ethè فى *Grundriss der Iranischen Philologie* ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

« بزرك أميد » كيا : الرئيس الأكبر الثانى للحشاشين أو لإسماعلية الفرس ، ولد فى «رود بار» ، وانضم إلى هذه الطائفة ثم بعثه حسن الصباغ لغزو قلعة لمسر ، ففتحها على غرة ليلة ٢٠ من ذى القعدة عام ٤٩٥ هـ (٥ سبتمبر ١١٠٢) وظلت فى حوزته عشرين عاما . وفى صفر من عام ٥١١ (يونيه ١١١٧) حاصره أتابك نوشتكين شير كير قائد السلطان السلجوقى محمد .

ولما مرض حسن الصباغ فى ربيع الثانى من عام ٥١٨ هـ (مايو — يونية ١١٢٤ م) استدعى إليه بزرك أميد وأعلن رغبته فى استخلافه . وتوفى حسن فى السادس والعشرين من الشهر نفسه (١٢ يونيه) فخلفه بزرك أميد وظل يحكم فى ألموت أربعة عشر عاما على نهج سلفه ، وتوفى فى ٢٠ جمادى الأولى عام ٥٣٢ (١١ مارس ١١٣٨) تاركا رياسة الطائفة لابنه محمد ؟

المصـــادر

(١) علاء الدين الجوينى : تأريخ جهان كشاى فى C. Defrèmery : *Essai sur l' histoire des Ismaéliens* ، المجلة الآسيوية ١٨٥٦ م ، ص ٨٦ ، ٨٩ وما بعدها (٢) J. de Hammer : *Histoire de l'ordre des Assassins* ، وقد ترجمه Hellert et de la Mourais ، ص١١٩ومابعدها (٣) ميرخوند : روضة الصفا ، المجلد ٤ ، ص٦٥ (٤) خوندمير : حبيب السير ، ج ٢ ، عدد ٤ ، ص ٧٤ .

[هيوار Cl. Huart]

« بزرك بن شهريار » : ملاح من رامهرمز ، عاش فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وألف « كتاب عجائب الهند » . وقد نشر هذا الكتاب فان درليت P. A van der Lith ، فى ليدن بين عامى ١٨٨٣ و١٨٨٦ وشفع به ترجمة قام بها دفك M. Devic . والكتاب مجموعة من القصص عن بلاد المحيط الهندى ملئت بالمبالغـــات والأعاجيب وإن كانت لاتخلو فى أساسها من الصدق فى أغلب الأحيان ؟

« بزّستان » وتكتب عادة بِزِستان من غير تشديد ، وهى مشتقة من الكلمة العربية بزّ ومعناها الحرير أو الكتان أو القطن بنوع خاص . ويطلق اسم بزستان على أوسط السوق المبنى من الحجر والذى تغلقه أبواب من الحديد وتباع فيه أثمن السلع. ويسمى مثل هذا الموضع فى قونيـة بزازية (أى البزازين Huart : *Epigraphie* ، رقم٣٨). أما فى القسطنطينية فيحرف الاسم إلى بدِستان وهو يطلق على ما شيده السلطان محمد الثانى ، ويقابله فى العربية قيسارية أو قيصرية ؟

المصـــادر

(١) Barbier de Meynard : *Diction-nair-turc-français* ، ج ١ ، ص ٢٨٩ (٢) Galland : *Journal* ، طبعة Schefer ، ج ١ ، ص٢٤ (٣) Jouannin : *Turquie* ، ص ٤٥٢

[هيوار Cl. Huart]

« بزنترن » أو بسنترن كلمة جاوية معناها مكان السنترى : وهى الجامعة التى يؤمها طلاب العلوم الدينية (أى السنترى) فى جزائر جاوه ومادوره . وتسمى فى مادوره « بنجنترن » . والبندك عندهم مساكن الطلبة فإذا قالوا سنذهب إلى البندك كان المعنى المراد سنلتحق بالبزنترن . ويتلق المسلمون فى جزر الهند الشرقية تعليمهم الأولى من حفظ القرآن والعلم بفرائض الدين على شيوخ يقومون بتدريس هذه المواد فى منازلهم كما أن فى قرى جاوة ومادورة ومدنهما شيوخاً يجمعون حولهم عدداً من التلاميذ فى المساجد أو فى بيوت هؤلاء الشيوخ أنفسهم أو فى مبنى خاص بهذا الغرض ، وكلما ذاعت شهرة

هؤلاء الشيوخ زاد إقبال التلاميذ عليهم من الأنحاء البعيدة ، وعاشوا حيث يعيشون برهة يتلقون عنهم العلم فيها .

والپزنترن عبارة عن معاهد تحصل فيها العلوم الدينية العالية ، وهى تتكون من مبان عدة إما أن تقوم خارج القرية، وإما أن تكون حياً منفصلاً من أحيائها . ويصدر أمراء جاوة بين حين وحين مراسيم تعطى بمقتضاها الضرائب التى تحصل من القرية إلى شيوخ الپزنترن الموجود فيها ، كما يحبس بعض المتدينين الأوقاف عليها ، فإذا لم يكن هذا أوذاك كان الپزنترن معهداً خاصاً أنشأه عالم استفاضت شهرته فى التدريس ، ولذلك يتوقف إنشاؤه وتقدمه وانحلاله على شخصية هذا الشيخ وتقدير الناس لعلمه ، بل إن المعاهد التى تنفح بالهبات المنظمة تتأثر هى الأخرى بشخصية الشيوخ القائمين عليها .

ويتألف الپزنترن أولا وقبل كل شىء من بيوت الشيخ ومساعديه ثم من قاعات الدرس وزاوية الصلاة ، ويندر وجود المسجد الجامع ، ثم مساكن الطلبة التى تسمى الپندك ثم أهراء الأرز . وتشغل هذه المبانى مساحة كبيرة من الأرض ، وتتميز مساكن الطلبة عن بقيتها بطراز معمارى خاص ، فهى فى العادة عبارة عن بناء مربع مشيد من المواد النباتية نفسها ، ويقوم فى داخله جداران يقسمانه إلى ثلاثة أقسام مستطيلة متساوية العرض ، والقسم الأوسط منها بمثابة ممر ممتد من طرف البناء إلى طرفه الآخر . أما القسمان الباقيان فتشغلهما غرف الطلبة ، والحواجز تقسم كلا منهما إلى غرف صغيرة متساوية . وللپندك فى وسط إحدى الحوائط الخارجية القصيرة باب يؤدى إلى الممر . وأنت لاترى هناك إلا حوائط عارية بها قليل من الأبواب الواطئة المصنوعة من المواد النباتية نفسها ، والتى تؤدى إلى الغرف الصغيرة . وهذه الأبواب على مسافات متساوية من الجدارين، كل باب يقابل الآخر عادة ، وتضىء الغرف كوات منخفضة جداً فى الحوائط حتى أن ساكن الغرفة لا يملك إلا أن يجلس أو يضطجع على الأرض . وقد اعتاد الطلبة استذكار دروسهم وهم متكئون ، ويعيش فى الغرفة الواحدة عدد من الطلاب . وقد يكون لپندك الپزنترن المشهور طابقان ، وربما بلغ عدد الطلبة إلى عدة مئات وربما كان عددهم أقل من القليل كما توجد مئات من الپزنترن . ويحافظ على النظام فى كل پندك واحد من الطلبة القدماء أو الشيوخ الحديثين وعلى الرغم من هذا فإن النظافة تعوزهم . وشيخ الپندك عريف فى الوقت نفسه عليه أن يعاون الطلبة فى مختلف شئونهم . وتشترك النساء أحياناً فى تحصيل العلوم الدينية ولكن يندر أن يعشن فيها.

وللپزنترن حياته الخاصة به ، فالنشاط يدب فيه حتى قبل طلوع الفجر ، وتبدأ الدروس بعد صلاة الصبح التى يؤمها الشيخ بنفسه ويعقبها ذكر ، ويقوم الشيخ بتلقين

المبتدئين دروسهم الواحد تلو الآخر، ويعودون بعد ذلك إلى البندك حيث يأخذون فى مراجعة دروسهم بأنفسهم أو بمعاونة طالب متقدم عنهم أو بمساعدة شيخ البندك ، ويظلون كذلك إلى الظهر فيتناولون طعامهم مجتمعين ، وهى وجبتهم الوحيدة غالباً ، ثم يتوجهون إلى الزاوية لأداء فريضة الظهر كما يدعون إلى الصلوات الثلاث الأخرى . ويخصصون ما بين أوقات الصلاة للدرس . ويلقن الشيخ الطلبة المتقدمين مجتمعين بأن يقرأ لهم نصاً عربياً ويترجمه ويعلق عليه بما يوضحه . وينتهى العمل اليومى بفراغهم من صلاة العشاء . وقد يقوم بعض الطلبة بأعمال صغيرة ثم يشمل السكون الجميع . وفى يوم الجمعة تتغير الحياة الراتبة بعض الشىء إذ يتوجه الكل إلى أقرب مسجد جامع لأداء فريضة الجمعة . ويشتغل الطلبة بجد فى زمن الحصاد فيعمل البعض فى حقول الأرز ، ويجمع البعض الزكاة ، ويعود الكثيرون منهم إلى بيوتهم فى شهر رمضان .

والفقه أول ما يدرس للطلبة فى البزنترن وهم يعتمدون فى دراسته على الكتب المتداولة فى البلاد التى يسودها مذهب الشافعى ، كما توجد مصنفات كثيرة باللغة الجاوية ، وهم يطلقون لفظ كتاب على المصنفات المنقولة عن العربية أو المصنفات الدينية عامة . والجاوية لغة التعليم فى البزنترن بيد أن الكتب السندنية تحل محل الجاوية فى غرب جاوة حيث تنتشر اللغة السندنية . وتدرس الأصول فى هذه المعاهد ، وهم لا يتبعون فيها مذهباً بعينه ، ولا يقتصرون فى دراستها على كتب الشوافع وحدهم ، وقليلا ما يدرس التصوف القديم . والحق أن هناك لوناً من ألوان التصوف مشوباً بوحدة الوجود ، ولكن تدريسه فى البزنترن قليل . ويسمى الطالب كتاب الفقه الذى يعتمد فى الدراسة عليه بهذه الكلمة المحرفة «كتاب يكه» ولا يزيد فى التعريف به شيئاً ، وقلما يعرف عنوان الكتاب الذى يدرسه كما يعرف كتاب الأصول باسم «كتاب أصول» ، وتعرف بهذا الاسم أيضاً الرسائل الصغيرة التى تتناول الإرشادات العامة فى الفرائض والأصول .

وطريقة التدريس تميز البزنترن عن سواه من المعاهد ، فالطالب إذا فرغ من دراسة الكتب الأولية شرع فى دراسة مصنفات عربية أهم من الأولى ، وهو يقرؤها فقرة فقرة بإرشاد شيخه الذى ربما لم يكن قد تعلم العربية على أصولها ، والذى يعتمد على ذاكرته وحدها فى النطق والتصويت ، ثم يترجم الشيخ الفقرة ويفسرها ، وهكذا يتقدم الطالب فى درسه حتى يصبح قادراً على أن يترجم بنفسه إلى الجاوية النصوص العربية السهلة (بيان الكتب المتداولة فى ذلك الوقت موجودة فى *T. B. G. K.W* ، جـ ٣١ ، عام ١٨٨٦ ، ص ٥١٨ وما بعدها) . ويأخذ هذا مدة طويلة من الزمن ، ويشجعه على المضى فى سبيله اغتباطه بزيادة علمه ونشوته كلما رأى نفسه

قادراً على أن يقرأ وحده النصوص العربية. وقد حلت طريقة أخرى محل هذه الطريقة بتأثير المكيين والحضارمة، وهي تجعل الدراسة تبتدئ بتعلم النحو العربي، ولعل هذا أقرب إلى المنطق، وليس لهذه الطريقة من سيئة إلا ما يعترض الأندونسيين فى تعلم العربية من صعاب.

والدراسة فى البزنترن حرة، والإجازات العلمية لا تطلب ولا تمنح. والطالب حر فى حضوره ومنصرفه. ويكون غالب الطلاب قد حصل على شيء من التعليم الأولى قبل التحاقه بالبزنترن. ويدفع الشاب إلى الالتحاق بهذه المعاهد الرغبة فى التفقه فى علوم الدين ورجاء الأسر الكبيرة والغنية فى أن يكون من أبنائها من يقف نفسه على دراسة الدين كما ينزع إليها البعض طلباً للمعاش. ويحاول الطلبة التعلم على شيوخ عديدين، لكل منهم موضوعه المختص به، وهم يتنقلون من معهد إلى معهد ويقضى بعضهم عمره فى التنقل والتجوال طلباً للعلم فى حين يستقر الآخرون فى بقعة من البقاع، ليست موطنهم على كل حال، إذا قر فى نفوسهم أنهم نالوا حظهم الكافى من العلم، وهناك يصبحون شيوخاً أو مساعدى شيوخ بزنترن أو يظلون علماء مستقلين. والدراسة فى البزنترن لا تؤهل صاحبها لتولى منصب من المناصب، ذلك لأن القاعدة المرعية هناك أن رجال الدين بمعزل عن كل ما هو رسمى أو متصل بالحكومة. وإن كان أئمة المساجد الكبرى قد درسوا فترة من الزمن فى هذه المعاهد.

ومن المكروه عندهم أن يأخذ معلم الدين أجراً على دروسه، ولذلك فإن غالب الشيوخ من المتيسرين، وهم يمنحون الهبات تبركاً بهم، ويرحب بالواحد منهم غاية الترحيب فى كل حفل دينى، وما أكثرها فى الحياة الجاوية، ويتجه إليه الجميع فى كل وقت طلباً لعلمه أو شفاعته، وكلما فعلوا ذلك نفحوه بالهدية كما يقدم إليه الطلبة المستجدون هداياهم إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ويعود الطلبة الموسرون من بيوتهم مزودين بالهدايا. فى حين يشتغل الفقراء منهم فى حقول الشيخ.

ومعظم الطلبة فقراء، والحق أنهم يعيشون على التسول، فأنت تراهم يتجولون فى الإقليم أياماً بعينها، ولا يعتبر تسولهم رذيلة، لأن الناس يعطونهم من غير تردد لأنهم يحصلون علوم الدين، وفى إعطائهم تبرك، كما يعيشون بالعمل فى الحقول أو نسخ القرآن... الخ، وهذا يزودهم بالقليل الذى يحتاجون إليه فى عيشة التقشف التى يحيونها. ولا تحفل حكومة المحتلين بالبزنترن إلا بمقدار ما يتطلبه الإشراف العام عليها، فكلما أنشئ معهد جديد أخطرت الحكومة به. ويحفظ حاكم الإقليم سجلاً يحوى أسماء الطلبة والكتب التى يتداولونها.

وتزعزعت مكانة البزنترن من جراء انتشار المدارس التي على النمط الأوروبى،

فالواقع أن البزنترن يزود الطالب بعلوم الدين فى حين أن المدارس التى تنشئها حكومة المحتلين لا تعنى بهذا الجانب أصلاً ، وإنما تزودهم بدراسة شئون الحياة اليومية مما أدى إلى قيام مدارس خاصة تقوم بالغرضين معاً. وتسمى أمثالها مدرسة ، ويسمح للجميع بالالتحاق بها ، وتتصل بهذه المدارس معاهد عالية للعلوم الدينية فيها شأن كبير ، وهى تدين بإنشائها للأوساط المتأثرة بالآراء الحديثة ، فطريقة التعليم فيها مقتبسة من النماذج الأوروبية وإن كان مظهرها العام لا يختلف كثيراً عن البزنترن القديم. وتسميتها مدرسة تشير إلى انتقالها من مصر أو بلاد العرب ، ونظامها — بصرف النظر عن الثقافة الدينية التى تعطيها — منقول عن مدارس الحكومة.

وفى إقليم منتكبو الملاوية بأواسط سومطره معاهد دينية تشبه البزنترن ، ويطلق عليها اسم سُرَاو Suràu ، ويطلق هذا الاسم كذلك على المدارس الأولية والزوايا ومساكن الرجال كما يطلق على المبنى المنفصل الخاص بالمعهد. ومساكن الطلبة هنا لا تنقسم إلى غرف صغيرة ، لأنهم يشتركون فى صحن عام للدرس والنوم.

ولآشى كذلك معاهد قريبة الشبه بما فى جاوة ، وطريقة التعليم التى تعتبر جديدة فى جاوة هى الوحيدة هنا ، وكل ما فى الأمر أن اللغة الملاوية تحل محل اللغة الجاوية ، والعلم بهذه اللغــــة ضرورى للطالب فى آشى. ومساكن الطلبة التى تسمى « رنك كنج » عائلة للپندك الجاوى ، وكما أن البزنترن يطلق عليه كلمة پندك فى جاوة فكذلك يطلق « رنك كنج » فى آشى على المعهد بأسره ؟

المصـــــادر

(١) G. Snouck Hurgronje: *De Atjehers* ، بتافيا عام ١٨٩٤ م ، ج ٢ ، ص ١ وما بعدها (٢) المؤلف نفسه : *De Islam in Nederlandsch-Indie* فى *Gesammelte Schriften* ، ج ٤ ، ص ٣٧٧ وما بعدها (٣) *De Masdjids in inlandsche godsdienstscholen in de Padangsche bovenlanden* فى *J. O.* ، ج ١ ، ١٨٨٨ م ، ص ٣١٨ وما بعدها.

[كرن R.A. Kren]

«بسَّارابيا» : و « بوجاق » هو الاسم التركى للسهوب التى تكوّن الجزء الجنوبى من مقاطعة بسارابيا الروسية ، وهو يقابل إلى حد ما آق أكرمان ، ويستعمل هذا الاسم أحياناً للدلالة على مقاطعة بسارابيا بأسرها.

وقد ضمت هذه المنطقة إلى الحكم التركى فى عهد بايزيد الثانى عام ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) ولم تعد إلى روسيا بصفة نهائية إلا عام ١٨١٢ م بمقتضى معاهدة بوخارست ولو أن الروس احتلوها مراراً قبل ذلك فى حروبهم مع

الترك . أما فيما يختص بالعناصر التركية التترية بين سكان هذا الإقليم فانظر مادة كا كوز ؟

«پساروفتز» (وتنطق بُشَارِفَتْز، وترسم فى الفرنسية Pojarévatz . وپساروفتز تحريف يشبه الاسم التركى پساروفچه) : مدينة تجارية مزدهرة فى يوغوسلافيا بإقليم بنات على الدانوب ، وهى قصبة إقليم يعرف بالاسم نفسه فى السهل الخصيب بين مُرَفه ومُلَفه . وتبعد عشرة أميال عن ثغر دبرفكة . وفى عام ١٩٣٠ بلغ عدد سكانها ١٣,٧٣١ نسمة .

ويربط اسم هذه المدينة عادة بالكلمة الصربية الكرواتيه پُزَر ومعناها النار (*Knezcvina Srbija* ، M. D. Milicevic بلغراد عام ١٨٧٦ م ، ص ١٧٢ ، ١٠٥٨) وقد ذكرت لأول مرة حوالى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، ولا بد أنها كانت موجودة قبل ذلك ، ودخلت فى الحكم التركى مع الإقليم المحيط بها عام ١٤٥٩ م : ونحن نستدل من وثائق المالية التركية الخاصة ببلاد المجر عام ١٥٦٥ م أن پساروفتز كانت فى ذلك العهد تابعة للسنجق التركى سمندره (سمندريا Samendria ، سمدرفو Smederevo : انظر *Magyarországi Török* : A. Velics *kinestâri Defterek* ، ج ٢ ، بودابست ١٨٩٠ ، ص ٧٣٤) . وذكر حاجى خليفه فى منتصف القرن السابع عشر الميلادى أنها كانت «قاضيلق» أى بها قاضى (*Spomenik* ، ج ١٨ ، بلغراد ١٨٩٢ عمود ٢٦) .

وهجرها فى حوالى نهاية هذا القرن كثير من الصرب ، وذكرت عدة مرات فى القرن الثامن عشر على أنها قرية من القرى .

وقدر لهذه المدينة أن تشتهر سريعاً بواسطة المعاهدة التى انتهت بها الحرب النمسوية التركية التى نشبت بين عامى ١٧١٦ و ١٧١٨ م . ففى نهاية عام ١٧١٤ م أعلنت تركيا الحرب على البندقية بحجة عدم احترامها لهدنة كرلوفتز . واحتلت عام ١٧١٥ م المورة وبعض جزر أرخبيل اليونان وتدخلت النمسا فى المفاوضة باعتبارها حليفاً للبندقية ودخلت الحرب عام ١٧١٦ م ونالت جيوشها التى كان يقودها الأمير يوجين ثلاثة انتصارات باهرة فى بتروارادن طمشوار وبلغراد فتدخلت انجلترا لتحقيق السلام .

وعقد مؤتمر پساروفتز بعد تمهيد طويل (von Hammer : *O. O. R*[2] ، ج ٤ ، ص ١٥٩ - ١٦٤) وبدأت المفاوضات فى الخامس من يونية عام ١٧١٨ ، بين سفراء تركيا والنمسا والبندقية وممثلى انجلترا وهولندة اللتين توسطتا لفض النزاع ، ووقعت المعاهدة فى الحادى والعشرين من يولية .

وأقر السلام على أساس أن تحصل كل دولة على الأراضى التى كانت تحتلها فعلاً فاحتفظت النمسا بالجزء الشرقى من سرميا

Sirmia وبنات بما فيها طمشوار والجزء الشمالى الشرقى بأكمله من الصرب بما فى ذلك بلغراد وبساروفتز الخ والأفلاق الصغرى . وأخذت البندقية مناطق صغيرة على شاطىء البغدان وألبانيا كما نالت بعض الامتيازات التجارية وحصلت كذلك على الجــزيرة التى يعرفها الترك باسم جوقه (كركو) وألزمتها المعاهدة أن تعيد إلى تركيا شبه جزيرة المورة بأكمله والمناطق الجنوبية الشرقية من الهرسك . ونالت النمسا بمقتضى الاتفاق التجارى الذى عقد فى بساروفتز أيضاً فى السابع والعشرين من يولية بعض الامتيازات التجارية وغيرها فى الامبراطورية العثمانية .

وتبعت ذلك المظاهر التقليدية التى تعقب عقد معاهدة من المعاهدات ، فذهب سفير تركيا الأول إبراهيم باشا وتابعوه إلى فينا ، كما ذهب الكونت فرمونت النمسوى الذى كان يمثل دولته فى المفاوضات إلى الآستانة . وقد كتب موظف فى السفارة التركية عام ١٧٢٦م تقريراً مهما نشره فان كريلتز Fr.van Kraelitz وترجمه بعنوان *Bericht über den Zug des Gross — Botschafters Ibrahim Pascha* فى *S.B Ak* ١٧١٩ *nach Wien in Fahre* فينا ، جـ١، ص١٥٨ [١٩٠٨] ؛ وفى *T.O.E.M.* جـ٧ ، عام ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م ، ص ٢١١ — ٢٢٧ وأعاد رفيق طبع النسخة التركية .

وكانت بساروفتز إبان الاحتلال النمسوى بين عامى ١٧١٨ و ١٧٣٩ م أهم بقعة فى هذا الإقليم . وحوصرت مدة طويلة إبان حرب الاســتقلال التى شنتها صربيا ضد الترك وسقطت آخر الأمر فى يد الصرب عام ١٨٠٤ . وفى عام ١٨١٣ رجعت إلى الترك ، ولكنها عادت مرة أخرى إلى الصرب عام ١٨١٥ م .

وازدهرت المدينة زمن السلم (١٨١٥ — ١٩١٥ م) . وجعلها البرنس ميلوش عاصمته الثانية عام ١٨٢٥ م وابتنى لنفسه فيها قصرين . وزارها بعــد ذلك بأمد قصير ضابط بروسى وكتب عن أحوالها فذلكة هامة *Reise in Serbien* Otto v. Pirch *im Spätherbst 1829*، برلين ١٨٣٠ ، جـ ١ ، ص ١١٩ — ١٧١) . وزاد عدد سكانها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولكن مظهر المدينة لم يتغير F. Kanitz) ، *Serbien* ، ليبسك ١٨٦٨ ، ص ١٣) .

وفى بداية القرن العشرين أصبحت بساروفتز من أهم المدن الصربيـة . واحتلها الألمان فى الحرب الكبرى عام ١٩١٥ م كما احتلها البلغار فى أكتوبر عام ١٩١٦ . ولكن الصرب احتلوها ثانية فى خريف عام ١٩١٨ وهى تابعة ليوغوسلافيا منذ ذلك الحين ؟

المصـــادر

راجع إلى جانب المراجع المذكورة فى صلب المقال : (١) V. Bianchi [السفير البندق فى مفاوضات الصلح] ، *Istorica relazione della pace di Posaroviz* ، بادوا ، ١٩١٩ م

(٢) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانية، ج ٢ : ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م، ص ١٤٠–١٤٧

(٣) G. Noradounghian: *Recueil d' actes internationaux de l' empire ottoman*، المجلد الأول، باريس ١٨٩٧ م، ص ٦١ — ٦٢، رقم ٣٠٨ – ٣٠٩، ص ٢٠٨ – ٢١٦ وبها النص اللاتيني لمعاهدة الصلح مع النمسا، ص ٢١٦ — ٢٢٠ وبها الملخص الفرنسي لها

(٤) Drag. M. Pavlovic: *Pozarevacki mir* ١٧١٨ في *Letopis matice srpske*، نوف ساد ١٩٠١ م، الجزء ٢٠٧، ص ٣٦ — ٤٧: ص ٢٠٨، ص ٤٥ — ٨٠ وبه دراســــة تاريخية قيمة لمعاهدة بساروفتز

(٥) V. Popovic: في *Narodna enciklopedija*، المجلد الثالث، زجرب ١٩٢٨م، ص ٤٢٨

(٦) *Almanah hraljevine fugoslavije*، زجرب ١٩٣٠م، ج ١، ص ٥٦١

(٧) M.A.Purkovic: *Pozarevac*، بساروفتز ١٩٣٤ م وبه المحاولة الأولى لدراسة تخطيط المدينة وتاريخها.

[فهيم بجراكترفج Fehim Bajraktarevic]

« البَسَاسيري » أبو الحارث أرسلان

ويلقب بالمظفر: أحد القواد في عهــــد أواخر بني بويه وحاكم عسكري لمدينة بغداد.

تخاصم البساسيري مع ابن مسلمة المعروف برئيس الرؤساء وزير الخليفة القائم بأمر الله لأنه طلب معاونة السلاجقة للتخلص من بني بويه المتشيعين، فلما دخل طغرل بك مدينة بغداد عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) اضطر البساسيري إلى مغادرتها، ولكنه استطاع أن يعود إليها بعد ذلك بعدة أعوام، أي عام ٤٥٠ هـ (نهاية عام ١٠٥٨ م) وأراد أن يثأر لنفســــه من الخليفة العباسي وخصمه الألد ابن مسلمة، وكان قد جمع حوله في هذه الفترة عدداً من الساخطين. فجاهر بمناصرته للمستنصر الخليفة الفاطمي وهكذا نجح في الاستيلاء على العاصمة بمساعدة قريش بن بدران العقيلي (انظر هذه المادة) بيد أن الخليفة ووزيره التجآ إلى قريش الذي أمن الأول على حياته وسلم الثــــاني للبساسيري بناء على إلحاحه فقتله شر قتلة. ولم يستطع البساسيري الثبات طويلاً لأن طغرل بك تقدم نحو بغداد ثانية لحاول الفرار ولكن الجيش الذي أرسل خلفه لحق به وقتل عام ٤٥١ هـ (١٠٦٠ م).

والبساسيري نسبة شاذة للمدينة الفارسية بسا أو فسا (ياقوت: معجم البلدان، طبعة فستنفلد، ج ٣، ص ٨٩٢) ؟

المصــــادر

(١) ابن الأثير: طبعة تورنبرج، ج ٩، ص ٢٩٧ وما بعدها (٢) ابن خلكان، الوفيات، انظر أرســلان (٣) أبو المحاسن: طبعة بوبر، ص ١٧١ وما بعدها، ص ٢٢٥

« بِسْبَرَاى » ابن هَرَكَرْنَبَدَاس كايته ويسمى كذلك ابن هركرن : مؤلف فارسى نقل مجموعة القصص المسماة « فَكَرَ ماجرترم » من السنسكريتية إلى الفارسية فى عهد شاه جهان (١٠٦١ — ١٠٦٢ هـ = ١٦٥١ — ١٦٥٢ م) مستعيناً بمصنفات المتقدمين . وتعرف هذه الترجمة باسم « سنغاسن بتيسى » وقد نقلها إلى الفرنسية لسكاليه Lescallier ، نيويورك ١٨١٧ م . وانظر فيما يختص بالطبعات المختلفة للأصل السنسكريتى وكذلك الترجمات الفارسية المراجع المذكورة بعد ؟

المصـــادر

(١) Ethé : *Grundriss der Iranischen Philol.* ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ (٢) Rieu : فهرس المتحف البريطانى ، جـ ٢ ، ص ٧٦٣ وما بعدها (٣) Pertsch : فهرس مكتبة برلين ، ص ١٠٣٤ وما بعدها .

« بُسْت » مدينة قديمة فى أفغانستان الحديثة على الشاطىء الأيسر لنهر هندمند (هلمند) إلى الجنوب مباشرة من الموقع الذى يتصل بنهر أرغنداب . وموقع هذه المدينة حسن جداً لوقوعها فى الزاوية التى بين هذين النهرين حيث تلتقى الطرق الآتية من الغرب ، أى من هراة وزرنج لتعبر نهر هندمند ثم تتابع سيرها إلى بلوخستان والهند ، أضف إلى ذلك أن بست واقعة فى البقعة التى يصبح النهر فيها صالحاً للملاحة .

وتشهد الأبنية الموجودة فى جوار بست على ما كان لها من ازدهار ، فقد كانت مركزاً من مراكز الحضارة الإيرانية القديمة . وكانت فى بداية القرن السادس الميلادى فى حوزة الافساليين ثم استردها منهم خسرو الأول [كسرى] أنوشروان .

ودخلت بُست فى حوزة المسلمين على يد عبدالرحمن بن سمره . ويظهر أنها كانت فى عهدهم هذا قاعدة حربيـــة ضد الأمراء المستقلين بالبلاد المجاورة لمدينة بست من ناحية الشرق الذين كانوا يلقبون بـ « زنبيل » (انظر مادة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ وانظر كذلك Marquart : *Eranshahr* ، ص ٢٥٠) . واعتبر العرب أحيانا مدينة بست من أعمال سجستان . والواقع أن سجستان بمدلولها الضيق لم تكن تمتد كثيراً ناحية الشرق . ويقال إن يعقوب ابن الليث مؤسس الدولة الصفارية الإيرانية (٢٥٤ — ٢٦٥ هـ = ٨٦٨ — ٨٧٨ م) قدم من سجستان وقضى عاماً فى مدينة بست أثناء غزواته . وفى عام ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) استولى سبكتكين مؤسس الأسرة الغزنوية على مدينة بُسْت . ويرجع وصف الإصطخرى والمقدسى لهذه المدينة إلى الفترة التى سبقت وتلت هذا الحادث بقليل — والأول يتحدث عن تجارة الهند فى بست وذكر الاثنان جسر القوارب على نهر هندمند وامتدحا البساتين الغناء فى جوار بست .

ويظهر أن العهد الغزنوى كان أزهى عصور المدينة فى عهدها الإسلامى. وقد تحدث المقدسى عن «العسكر» أى مدينة الجند وهى اليوم أطلال يطلق عليها اسم «لشكربازار»، وهى على مسيرة نصف فرسخ إلى الشرق من بست وقال إنها قصر السلطان. وكثيراً ما وصفت بأنها مقر الملك. وفى عام ٤٤٧ هـ (١٠٤٨م) أفلح قواد عبد الرشيد فى أن يلحقوا الهزيمة بسلاجقة داود وألب أرسلان الذين أغاروا على سجستان بالقرب من بُسْت. وأصيبت أملاك الغزنويين بعد ذلك بقرن بالضربة القاضية، فقد اكتسح علاء الدين جهانسوز الغورى مملكة بهرامشاه وخرب عاصمتها بست وقضى بذلك على ما كان لها من ازدهار. وكان حسن موقعها هو العامل على بقائها وإن كانت ظلت ضعيفة تتعثر خلال القرون التالية. وفقدت المدينة كل أمل فى سبيل تقدمها بسبب غزوات تيمور فى نهاية القرن السابع الهجرى (الرابع عشر الميلادى). وتحولت سجستان إلى صحراء مجدبة بتهدم سد رستم لأنها كانت تعتمد فى رى أراضيها على نهر هندمند. وظل حصن بست يقاوم الأحداث بفضل موقعه الحربى إلى أن خربه نادر شاه عام ١٧٣٨ م ولا تزال أسواره قائمة على شاطئ الهندمند كما أن الأطلال التى تشغل مساحة كبيرة من الأرض تشهد على ما كان لعاصمة الغزنويين من عظمة وبهاء؟

المصـــادر

(١) البلاذرى، طبعة دەغوى، انظر الفهرس (٢) الاصطخرى، طبعة ده غوى، ص ٢٤٢، ٢٤٤ وما بعدها (٣) المقدسى: طبعة دەغوى، ص ٣٠٤. وانظر فيما يختص بتاريخ هذه المدينة بصفة خاصة (٤) ابن الأثير (٥) طبقات ناصرى (٦) G. Le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate*، ص ٣٤٤ وما بعدها (٧) J. Marquart: *Eransahr*، انظر الفهرس (٨) Bellew: *From the Indus to the Tigris*، لندن ١٨٧٤ م، ص ١٧٧٢ — ١٧٧.

[هارتمان R. Hartmann]

«بست» كلمة فارسية معناها فرقة أو ملجأ، ومن ثم كانت كلمة بستى تطلق على من يدعى لنفسه حق الحياة فى ملجأ م؟

«بُسْتان» كلمة فارسية مكونة من بو ومعناها الرائحة الزكية وستان ومعناها مكان وهى تدل على حديقة الأزهار ذات الرائحة العطرة. واستعارها الترك وأطلقوها على حديقة الخضر التى يزرع فيها البطيخ والشمام والبقل. أما فى العربيـــة فتختلف معانيها باختلاف الأقاليم، فهى تدل فى بيروت على قطعة من الأرض بها أشجار التوت ويحيط

بها سياج، وتدل فى الجزائر على أشجار السرو[١]».

وبستان أيضاً عنوان كتاب فارسى تعليمى من نظم سعدى نقله إلى الإنجليزية فوربس فالكونر Forbes Falconer، لندن ١٨٣٨ م ونقله إلى الألمانية جراف Graf بعنوان Sadis Lustgarten، يانه ١٨٥٠ م كما نقله إلى هذه اللغة شلختة وفشرد Schlechta-Wssehrd، فينا ١٨٥٢م ونقله إلى الفرنسية باربييه ده مينار Barbier de Meynard، باريس ١٨٨٠ م ؟

[Cl. Huart هيوار]

«بستانجى» بستانية القصور السلطانية بالقسطنطينية. وتتألف منهم فرق نظامية. ويعود تاريخ تكوينها إلى السلطان مصطفى الثانى الذى كون عند ما تولى قيادة الجيش عام ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ثلاث كتائب عدة كل منها ألف رجل يتميزون بزى خاص، جمع نصفهم من بستانية قصور أدرنة والقسطنطينية ويتألف زيهم من لباس للرأس طويل أحمر (اسمه براته) وهو خاص بهذه الكتائب كلها، ويرتدى جنود الكتيبة الأولى سترة حمراء وسروالا أزرق، والثانية سترة زرقاء وسروالا أحمر، أما الثالثة فيرتدى جنودها صديرية خضراء وسروالا أزرق. وهم ينقسمون عند اشتغالهم فى البساتين إلى تسعة أقسام، وتتميز هذه الأقسام بألوان أحزمتهم. وكانوا شأن الإنكشارية يجندون من العجمى أوغلان (انظر هذه المادة) واختصوا كذلك بالتجديف فى قوارب السلطان وجميع موظفى القصر، كما كانوا يصطحبونهم فى تجوالهم فى الخارج. وشيد لهم السلطان مصطفى مسجداً فى السراى وابتنى لضباط هذه الكتائب مكتبة بالقرب من هذا المسجد ؟

المصادر

(١) D'ohsson: *Tableau de l'empire ottoman*، ج ٧، ص ٢٧ (٢) J.B.Tavernier: *Voyages*، ج ٦، ص ٣٢، ٢٣٦

[Cl. Huart هيوار]

«بستانجى باشى» أى رئيس البستانية موظف كبير فى قصر السلطان بالقسطنطينية إبان العهد القديم، كان يشرف على البستانية، وتحت إمرته الخاصكى أغا، وهو وكيل البستانجى باشى، ورئيس الخاصكى، وهم الضباط الذين اختيروا من البستانية ليكونوا حرساً خاصاً للسلطان، ثم الأوجاق كتخداسى وهو ضابط برتبة القائمقام، والكفرشجى باشى مفتش الغابات التى يعنى بها البستانجى باشى؛ والتركجى باشى المكلف بجمع المكوس الخاصة بمنصبه وبجزء من دخل الأملاك السلطانية؛

(١) تسمى فى الجزائر سرول أو سروال اللحية

ثم البســـتانجيلر أوضه باشى ؛ وهو مندوب البستانجى باشى عند الحكومة ، ويعيش فى قصر الصدر الأعظم؛ ووزير قره قولاغى وهو حلقة الاتصال بين السلطان ووزيره ، والأغا قره قولاغى الذى كان يقوم باستكشاف الحرائق من برج قصر أغا الانكشارية ، وعليه أن يبلغ السلطان مباشرة عند شبوب أى حريق له خطورته .

ومن واجبات البستانجى باشى أن يفتش سواحل البسفور وبحر مرمره من البحر الأسود إلى الدردنيل ، كما كان لا بد من الحصول على ترخيص منـــه عند تشييد أو ترميم أى منزل أو مبنى من أى نوع ، فكان يفرض رسوماً مرتفعة يتعسف فى تقديرها .وكان يدير سفينة السلطان عند قيامه بنزهة بحرية ، وكان يقوم كذلك بمهمة قاضى القضاة فيشرف على إعدام الشخصيات البارزة فى القصر السلطانى ، كما كان يشرف على سجن « فرُون » الذى سمى بهذا الاسم لمشـــابهة بينه وبين الفرن ، وفيه يعذب الموظفون لإجبارهم على الاعتراف بجرائمهم أو الإقرار بممتلكاتهم التى حكم بمصادرتها . ولما كان البستانجى باشى بمثابة المفتش العام على المياه والغابات حول القسطنطينية ، فقد أشرف بذلك على الصيد فى البر والبحر وتحكم بواسطة موظفيه فى تجارة النبيذ والليمون .

وكان حاكم أدرنه ، وتحت إمرته ألف وخمسمائة بستانجى ، يلقب بهذا اللقب نفسه

المصـــادر

(١) D'Ohsson : *Tableau de l'empire Ottoman* ، ج ٧ ، ص ١٥ ، ٢٨ (٢) J. B. Tavernier: *Voyages* ، ج ٦ ، ص ٣٣

[هيوار Cl. Huart]

« البستانى » لقب أسرة مارونيـــة مشهورة أنجبت عدة رجال أدوا إلى اللغة العربية والأدب خدمة جليلة ، وأحقهم بالذكر « بطرس البُستانى » الذى وُلد فى دِبيِّه بين صيدا وبيروت عام ١٨١٩م وتوفى فى شهر مايو عام ١٨٨٣م . وتلقى علومه الأولى فى مدرسة المعلمين بعين ورقه ، ولكنه اتصل عام ١٨٤٠ بالبعثـــة الأمريكية ببيروت وتمذهب بالبروتستانتية ثم عين مدرسا فى كلية عَبيِّه ، وصنف كتاباً مدرسياً فى الحساب عنوانه « كشف الحجاب » ومكث فى هذه الكليـة عامين ثم ذهب إلى بيروت حيث عكف على نقل التوراة إلى اللغة العربية الذى كان يقوم به سمث E. Smith . وكان فى الوقت نفسه معنيا بتصنيف معجمه العربى «محيط المحيط» (طبع عام ١٨٦٧ — ١٨٦٩ م) وأصدر منه نسخة مختصرة بعنوان « قطر المحيط » (طبع فى بيروت عام ١٨٦٩م) . وفى عام ١٨٧٠ م أصدر جريدة «الجنة» ثم أصدر بعدها جريدة « الجُنَيْنَـه » وأخيرا مجلة « الجنان » . وبعد أن أتم معجمه شرع فى إخراج قاموس

للأعلام، ولكن العمل اتسع أمامه فجعله نواة لمعلمة عربية عنوانها «دائرة المعارف» التى أصدرها عام ١٨٩٦ م بمساعدة ولده سليم البستانى وآخرين. ومات بطرس والعدد السابع من هذه المعلمة على وشك الظهور، فتابع ولده العمل، ولما مات هو الآخر عام ١٨٨٤ م أتم العمل (١٨٩٨ م) أبناء آخرون لبطرس وقريب لهم اسمه سليمان البستانى يشاركهم آخرون.

واكتسب سليمان البستانى الذى سبقت الإشارة إليه شهرة لاتقل عن شهرة بطرس بنقله إلى اللغة العربية نظماً إلياذة هوميروس التى نشرتها دار الهلال عام ١٩٠٤ م. ويقول هارتمان M. Hartmann فى كتابه Die.Arab. Frag. «إنه عمل من الطراز الأول يستحق أجمل الثناء».

المصـــادر

(١) جورجى زيدان: مشاهير الشرق، جـ ٢، ص ٢٤ ومابعدها (٢) شيخو: المشرق، جـ١٢ ،ص٩٢٩ومابعدها (٣) Brockelmann: Gesch. d. arab. litt.، جـ ٢ ، ص ٤٩٥ (٤) Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Ges.، جـ ٣٤، ص ٥٧٩ وما بعدها.

«البستى» أبو الفتح على بن محمد: شاعر عربى، ولد عام ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) فى مدينة بست بإقليم كابل. وكان فى حداثته كاتم سر باتيور أمير بست، فلما غلب عليه سبكتكين وصل البستى نفسه بالحاكم الجديد، ورغب محمود بن سبكتكين أن يصحبه البستى إلى بلاد الترك ولكن الشاعر توفى أثناء الطريق فى بخارى عام ٤٠١ هـ (١٠١٠م) ولم يبق من ديوانه إلا جزء فى ليدن (Catalogus codd. or. Bibliothecae Academiae Lugduno-Batavae، جـ ١، رقم ٦٣٣) وقصيدتان محفوظتان فى مكتبة جوتة Gotha (انظر Pertsch: Die Ar. Hdss. der Herz Bibl.، رقم ٥٦). وأشهر قصائده منظومة تعليمية تعرف بـ «عنوان الحكم» (انظر Baillie: Five [illegible] [illegible] Arabic Grammar، جـ ٣؛ مجانى الأدب، جـ ٤، ص ٩٥؛ السبكى، جـ ٤، ص ٥). وقد شرح هذه المنظومة عبد الله بن محمد بن أحمد النقركار المتوفى عام ١٧٦ هـ = ١٣٧٤ م (انظر Ahlwardt: Verziechnis der Arab. Hdss der Kgl. Bibliothek Zu Berlin، رقم ٧٥٩٤ — ٧٥٩٥؛ Catalogus codd.or.Bibl. A-. Lugd. Bat.، جـ١، رقم ٦٣٤؛ Vollers: Katalog der Islam. usw. Hdss. der Universitätsbibliothek [illegible] Leipzig، رقم ٥١٩، ٥٢٠: Pertsch: كتابه المذكور، رقم ٢٢٣٦—٢٢٣٨؛ Codices or. Bibliothecae Havniensis رقم ٣٧٢، ٢٤٧)، كما شرحها عبد الرحمن العمرى الميـــلانى حوالى عام ٧٨٠ هـ = ١٣٧٧ م (انظر Ahlwardt: كتابه المذكور، رقم ٧٥٩٦). وكتب عبد القادر بن عيدروس رسالة فى شرح

البيتين الأولين من هذه القصيدة (Ahlwardt : كتابه المذكور ، رقم ٧٥٩٧) ؟

المصـــادر

(١) الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ — ٢٣١ (٢) ابن خلكان ، طبعة بولاق ، عام ١٢٩٠ ، رقم ٤٤٣ (٣) ياقوت المعجم ، جـ ١ ، ص ٦١١ (٤) ابن تغرى بردى طبعة Popper ، جـ ٢ ، ص ٦٠٥ (٥) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ ٤ ، ص ٤ (٦) Tallquist: Gesch. der Ihsiden ، ص ١٠٩ (٧) Brockelmann : Gesch. der arab Litt. ، جـ ١ ، ص ٢٥١ .

[بروكلمان Brockelmann]

« بِسر » تضم سلطنة بسر الموجودة فى الجنوب الشرقى من بُرنيو وادى بسر أو نهر كندلو الذى ينبع فى الشمال عندحدود كوتى ويتجه ناحيـــة الجنوب الشرقى على طول الحدود الشرقيه لسلسلة جبال براتُس ثم ينعطف أخيراً ناحية الشرق حتى تصل إلى مضايق مالقه مخترقاً إقليما تكثر فيه المستنقعات . ولا تزال هذه السلطنة التى تبلغ مساحتها حوالى ١١٢٥ كيلومتراً مربعاً تغطيها الغابات البدائية ولم يعمل سكانها القليلون الذين يوجد أغلبهم فى بسر وهى مقر السلطان ، وفى تَنَه كُرُكوت وهى مقر الإدارة الرسمى ، على إزالة الغابات وإعداد الأرض لزراعة الأرز . ويوجد فى بسر الذهب والبـــترول والفحم ولـكن الأوروبيين لم يستغلوا هذه الثروة المعدنية بعد كما أنهم لا يشتغلون بالزراعة .

واستقر أول حاكم إدارى من الأوروبيين عام ١٩٠١ م فى تنه كُركوت عند مصب نهر كندلو . وتعتبر بسر مثالا حسنا لولايات برنيو الساحلية التى ارتقت — من وجهة النظر الإسلاميـة — دون الاعتماد على النفوذ الأوروبى . ويقدر عدد سكان هذه السلطنة بـ ١٧,٠٠٠ نسمة . ويتألف السكان من الديَّك الذين يعيشون على زراعة الأرز ، وعلى المهاجرين من البنجار والبكن الوافدين إليها من سليبس ، وهم يسيطرون على الحركة التجارية . ويوجدون عادة فى السهل المنبسط عند مصب النهر . ويعيش على الشـاطىء البدجوز وهم يشتغلون بصـــيد الأسماك . وأكواخهم قائمة على أعمدة فى البحر . ويبلغ عدد الدَّيَك حوالى ٩,٠٠٠ نسمه اعتنق منهم الإسلام نحو ٤,٠٠٠ أما الباقون ، وعددهم ٥,٠٠٠ فلا يزالون على الوثنية وهم يعيشون فى المرتفعات . ويبلغ عدد البكن ٥,٠٠٠ نسمه ولهم نفوذ كبير يرجع إلى كثرة عددهم ورخائهم . أما البنجار فهم أقل شأناً من أولئك وهؤلاء ، ويبلغ عددهم ١,٢٠٠ نسمه . ويوجد فى هذه السلطنة عدد قليل من الأوروبيين ونحو خمسين صينياً وعربياً . ونصف سكان بسر كما ترى من الأجانب ، ولـكنهم — كالديك — من الجنس المالوى ويختلط

بعضهم ببعض .

ويحكم بسر سلطانها وأفراد أسرته حكما مطلقاً ولا رأى للشعب فى حكومته . وهناك إلى جانب السلطان وولى عهده مجلس يتألف من خمسة من الأعيان يستشيرهم السلطان فى المسائل الهامة . وهذا المجلس بمثابة المحكمة العليا فى السلطنة . ويُقطع هؤلاء الأعيان وبعض أفراد أسرة السلطان إقطاعيات . وجرت العادة منذ عام ١٨٤٤ م أن يعقد السلطان عقب اعتلائه العرش معاهدة مع حكومة الهند الهولاندية . وأعلن هؤلاء السلاطين عام ١٩٠٨ أنهم تابعون لحكومة الهند الهولاندية . وأعطى للحكومة حق جمع المكوس على الواردات والصادرات وفرض الضرائب وحق احتكار الأفيون والملح نظير مبلغ مقداره ١٦,٨٠٠ جولدن سنوياً يأخذ السلطان منها ١١,٢٠٠ والباقى وقدره ٥,٦٠٠ يأخذه الأعيان .

ولا يزال من حق السلطان جباية الضرائب الآتية : جزية الرؤوس ويجبها من الذكور البالغين ، ومقدارها ⅟١٠ ما تغله مزارع الأرز والغابات . وجوزتان عن كل شجرة مثمرة ، وله حق تسخير رعيته . وللسلطان دخل من إدارة المحاكم فى العاصمة .

ويستدل من التاريخ الأسطورى القديم لهذه البلاد أن هذا الحكم المطلق الغريب على الديك انتقل إلى بسر من شرق جاوة . ويلى السلطان والأعيان زعماء ورجال دين وملاك الأراضى وبعض الأحرار ، وهم جميعاً يؤلفون الطبقة الوسطى . وكان لا يزال فى بسر إلى بداية القرن الحالى عدد من العبيد والمسترقين فى دين عليهم ، ومنهم تتألف الطبقة الدنيا وإن كان الرق قد ألغى منذ عهد طويل فى ولايات الهند الخاضعة للنفوذ الهولندى . والأرقاء — كما هو الشأن بين قبائل الديك — يعيشون كما يعيش الأحرار ويشتركون فى جميع الحفلات والألعاب ولهم الحق فى التملك وهم لا يتميزون عن الأحرار بلباسهم . وإذا دفع أحد الأشخاص دين عبد من العبيد انتقل العبد إليه ، والأرقاء لا يباعون فى بسر .

وقد وصفنا فى مكان آخر الحياة الاجتماعية للبكن والبنجار والبداجوز المسلمين ، وما سنورده فيما يلى خاص بالديك الوثنيين وأقاربهم المسلمين أى البسريين . وتذهب إحدى الروايات إلى أن عربياً اسمه توان سيد أدخل الاسلام فى بسر وساعد على انتشار الإسلام فى هذه البلاد زواجه من ابنة أميرها .

ولم تتأثر حياة البسريين الاجتماعية بالإسلام إلا تأثيراً سطحياً . فلا تزال يسود حياتهم اليومية التصور الوثنى للمعبود ولعالم الأرواح . ودليلنا على ذلك هذا الأثر القوى للأرواح على حياة الانسان فهم يتفاءلون ويتشاءمون بمظاهرها . ومن الحقائق المؤيدة لهذا أيضاً أنه لا يوجد فى بسر بأسرها سوى مسجد واحد وعدة زوايا . وعدد رجال

الدين والحجاج قليل وليس عندهم حماس قوى يدفعهم إلى القيام بفريضة الحج إلى مكة . وهم كلما حزبهم الأمر طلبوا المعونة من الأرواح وخاصة عند ما يمرض واحد من البسريين الذين يحتفلون بأعياد بليان Blian الوثنية التى يحتفل بها أيضاً أهالى جنوبى برنيو . إذ تلبس الروح الكاهن الوثنى باليان balian وسط دقات الطبول التى تسمع عن بعد وتوحى إليه بما يتخذ فى علاج المريض . ويلجأ أهل العاصمة أنفسهم ، وغالبهم من المسلمين إلى هذا الكاهن يطلبون مشورته . ولا ينقطعون عن ذلك إلا فى شهر رمضان لأن السلطان يحرم ذلك عليهم فيه .

ومما يدلنا على أن الطبقات العليا لا تزال هى الأخرى متمسكة بهذه الأنظار الخرافية تلك الأسطورة الشائعة هناك التى تذهب إلى أن السلطان آدم فى منتصف القرن الماضى اعتاد أن يعتكف أياماً كل سنة فى جبل الجن « كُنُنْك مِلَكَتْ » ويقال إنه تزوج من جنية وإنه أولدها ابنا يدعى «تِنْدَك» يستطيع أن يختفى عن الأنظار ، وتضيف القصة إلى ذلك أن هذا الابن يعيش فى جزيرة مادوره وأنه تزوج إحدى أميرات الجن ، وهو يظهر بين الحين والحين فى بسر عند ما يدعى إلى عيد تقدم فيه الأضاحى (وكانو فيما مضى يقدمون فى هذا العيـــد القرابين البشرية) . وهم يحتفلون إلى الآن بأمثال هذه الأعياد وخاصة لتخليص البلاد من الفاقة والمرض . وقد ابتنى لتندك هذا فى قرية بسوى بيتاً سقفه من ثلاثة أجزاء أقيم على عمود ضخم وهو يشبه بذلك برج الحمام .

ودخل رجال الدين يتألف مما يجمعونه من الزكاة والبطرة ، وكل إنسان هناك يدفع إليهم ما يستطيع دفعه دون ضغط من جانب الزعماء . ولرجال الدين هؤلاء أجر صغير عند قيامهم بعقود الزواج والطلاق .

والتقويم المستعمل فى سلطنة بسر بوجه عام هو التقويم الهجرى والأهالى يفلحون الأرض — كما هو الشائع بين الدَّيَك — عند ما يشاهدون صورة سماوية خاصة .

وتطورت الحياة العائلية فى بسر — إلى حد ما — وفقاً للتعاليم الإسلامية . ويتم الزواج بين المسلمين على يد رجل من رجال الدين بحضور الوالد أو الولى ، ويكون ذلك بعد تمام الاتفاق على مهر كبير يدفع إلى والدى العروس . أما هى فتأخذ منه جزءاً صغيراً . ويختلط شباب الجنسين فى شىء من الحرية قبل الزواج وفقاً للمألوف عند الديك . وهم يشربون فى حفلة الزواج مقداراً كبيراً من نبيذ البلح . ويعيش الزوج فى بيت حميه سنة على الأقل قبل أن يتخذ لنفسه بيتاً خاصاً . ويكثر الطلاق عندهم لأنهم قلما يحفلون برغبات المرأة إبان المفاوضات التى يقوم بها والدى العروس . ويحتفظ الزوجان بمتاعهما عند الزواج فاذا حدث الطلاق انتقل متاع كل منهما إلى أسرته ، وإذا زادوا عليها شيئاً

إبان الزواج فيقسم إلى قسمين متساويين بين الزوج والزوجة ، وإذا توفى أحدهما ورث الآخر كل شيء . وقليل من الأسر تتبع الشريعة الإسلامية . ويدفن المسلمون وفقاً لما يقضى به الدين الإسلامى ؟

المصـــادر

Beschrijving : A. H. F. J. Nusselein ،*B. T. L. V* فى *van het landschap Pasir* عام ١٩٠٥

[نيونهيس A W. Nieuwenhuis]

« بُسْر »[1] بن أبى أرطاة ، أو بُسر بن أرطاة فى رواية ضعيفة : قائد عامرى من قريش ولد بمكة فى آخر عقد قبل الهجرة ، وقد أنكرت الروايات المتأثرة بأهواء الشيعة صحبته للنبى . سار بُسر مع أهل النجدة إلى الشام تحت إمرة خالد بن الوليد وأظهر فى هذه الغزوة شجاعة نادرة ، ثم اشترك فى فتح إفريقيـة وقدر عمر بسالته وإقدامه فدعا له وأجازه . وكان بُسر من المتحمسين لنصرة معاوية إبان الفتنة التى نشأت بين معاوية وعلىّ ، وهو الذى استمال إلى ابن أبى سفيان الأمير الكندى القوى شرحبيل بن السمط كما كان فى عسكر أهل الشام يوم صفين . وعاون عمرو بن العاص على استعادة مصر للخليفة معاوية . وقد يكون بسر بن أبى أرطاة أبرز شخصية بين قواد هذا الخليفة ، فقد كان بدويا قحا من الطراز القديم خلا قلبه من الرحمة إن لم تكن الروايات الشيعية قد هوّلت فى وصف ذلك الخصم المتحمس ضد على ، فهو الذى أنفذ إلى بلاد العرب لقتال العلويين ، وهو الذى شهر عليهم حرباً لا هوادة فيها ولا رحمة ، وهو الذى هدم دور أعداء عثمان فى مكة والمدينـــة ، وبالجملة فقد أظهر من الولاء

---

(١) « بسر » بضم الباء وسكون السين المهملة ، و « أرطاة » بفتح الهمزة وسكون الراء . والمشهور عند المحدثين « بسر بن أرطاة » ويقـال « بسر ابن أبى أرطاة » والظاهر أن اسم أبيه « عمير » وكنيته « أبو أرطاة » فهذا معنى من قال « بسر بن أبى أرطاة » وأن اسم جده « أرطاة » فتارة ينسب إلى أبيه ، وتارة ينسب إلى جده فيقال « بسر بن أرطاة » . ويرجح هذا ما فى تاريخ بغداد للخطيب (ج ١ ص ٢١١) : « قال أبو الحسن أحمد بن عمير : حدثنى بكار بن عبد الله ابن بسر وسألته عن اسم أبى أرطاة ؟ فحدثنى عن أبيه بنسب جده : « بسر بن عمير بن أرطاة بن عويمر بن عمران » .

وأما الخلاف فى صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم فهو خلاف معروف عند علماء الحديث ، لأنه كان صغير السن عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولـكنه كان مميزا وسمع منه حديثين رواهما ، ولذلك رجح المحدثون أنه صحابى ، وحديثاه فى مسند أحمد (ج ٤ ص ١٨١) .

وأما أحداثه فى السياسة بعد ذلك وقسوته فانه شىء يسئل عنه بين يدى الله يوم القيامة ، ونحن نطهر ألسنتنا عن دماء طهر الله منها أيدينا .

وله تراجم أخرى غير ما أشار اليه كاتب المقـال فى تاريخ بغداد ، (ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١) وفى الاستيعاب لابن عبد البر (ج ١ ص ٦٤ — ٦٧ من طبعة الهند) وفى مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٣ ص ٢٢٠ — ٢٢٥) .

احمد محمد شاكر

للأمويين ما لم يفقه فيه إلا مسلم بن عُقبة والحجاج ، وقتل فى اليمن ابنين صغيرين لعبيد الله بن العباس ، وقاد طلائع الجيش فى الحملة التى انتهت بخلع الحسن بن على وأجيز على ذلك بولاية البصرة ، فاستبد بالأمر فيها ، وقضى وقتاً قصيراً بالعراق ثم عاد إلى البصرة ليقبض على أبناء زياد بن أبيه ، وتمكن بهذه الوسيلة العنيفة من إخضاع هذا الرجل الذى يعتبر آخر القواد المحاربين انتصاراً لعلىّ . ونجده بعد ذلك يقود عدة حملات بحرية ضد دولة الروم .

وما انقضى العام الخمسون للهجرة (٦٧٠ م) حتى احتجب عن ميدان السياسة هذا الرجل الذى كان يعمل على تحقيق أطماع معاوية ، والذى قاد الجيوش فى البر ثم فى البحر . ويقال إنه عاش فى بلاط معاوية إلى أن توفى هذا الخليفة . ويذهب الشيعة إلى أن لعنة على حلت به فخرف فى آخر أيامه . وقد ورد اسمه ثانية أيام الوليد بن عبد الملك فقيل إنه اشترك مرة أخرى فى الحملة التى أنفذت على إفريقية . ولكن بعض الروايات تذهب إلى أنه مات بالمدينـــة فى عهد عبد الملك . ومهما يكن من شىء فقد عمر طويلا ووسوس فى أخريات أيامه ؟

المصـــادر

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٣٦ — ٢٣٨ ، ٤٥٦ (٢) ابن حجر : الاصابة ، جـ١ ، ص ٣٠٠ (٣) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ، جـ ٢ ، ص ٣٩٢ (٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ؛ ص٤٧٤ — ٤٧٥ (٥) الأغانى : جـ ٤ ، ص ١٣١ — ١٣٢ جـ ١٠ ، ص ٤٥ — ٤٧ (٦) الطبرى : جـ ١ ، ص٢١٠٩ ، ٣٢٤٣ ، ٣٤٠٦ ، ٣٤٥٠ — ٣٤٥٢ جـ ٢ ، ص ١١ — ١٤ ، ٢٢ (٧) الترمذى : الصحيح ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ ، طبعة بولاق (٨) تصحيف المحدثين : مخطوط بدار الكتب المصرية (٩) H. Lammens : *Etudes sur le règne de Mo' awia I* ، ص ٤٢ — ٤٨ ، ٢٨٤

[لامنس H. Lammens]

« بِسْطَام » : ويقال أيضاً « بَسْطام » وتنطق الآن بُسْطام : بلدة من أعمال خراسان الفارسية على منحدرات جبال البُرْز ، وفى أقصى الشمال من الصحراء العظيمة ، وهى على خط طول ٥٥° شرقى جرينتش وخط عرض ٣٦° ٣٠َ شمالاً . وكانت أهم مدن قومس فى الخلافة بعد دامغان (حاضرة الإقليم) . ويلوح أن مؤسس هذه المدينة هو بسطام خال كسرى الثانى برويز الساسانى ، ولى خراسان وقومس وجرجان وطبرستان عقب هزيمة الثائر بهرام چوبين ثم خلع على نفسه صفة الملك وحكم ما يقرب من ستة أعوام (٥٩٠ — ٥٩٥) إلى أن هُزِم هو الآخر . ونُسبت هذه المدينة الحديثة النشأة إلى بسطام ، واسم بسطام هو «وِ سْتهم» فى

اللغة الفارسية المتوسطة و بستَهم في الفارسية الحديثة (انظر فيما يختص ببسطام هذه : Nöldeke : Gesch. der Araber und Perser zur Zeit der Sasaniden ، ليدن ١٨٧٩ م ، ص ٩٦ ، ص ٤٧٨ — ٤٨٧ ؛ A. v Gutschmid في Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl Gesellschaft ، ج ٣٤ ، ص ٧٤٨ ؛ Marquart : Erânshahr = Abhandl. d. Götting. Ges. d. Wiss ، ج ٣ ، رقم ٢ ، ١٩٠١ م ، ص ٧١).

وبسطام في وادٍ تحيط به التلال ، يجرى فيه نهر ينبع من جبال البرز ويجلب الماء الوفير الذى يروى الأراضى المحيطة بما فيها من الحدائق العديدة . وقد اشتهر هذا الموضع في القرون الوسطى بالتفاح الجيد الذى كان يحمل بكثرة إلى العراق ، ويعرف بالبسطامى كما يقول ياقوت . ويقول هذا المؤلف أيضاً إن بسطام مدينة كبيرة ذات أسواق ، وإن على تل بإزائها قصراً مفرط السعة يقال إنه من بناء سابور ذى الأكتاف ، وإنه رأى بها قبر الصوفى المشهور أبى يزيد البسطامى (انظر بايزيد) ويرجع تاريخ المسجد الحالى وفيه ضريح هذا الولى ، إلى بداية القرن الثامن عشر (انظر فيما يختص بهذا الضريح Houtum-Schindler في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عام ١٩٠٩ م ، ص ١٦١ — ١٦٢ ، وهناك صورة له وضعها Sarre في Zeitschr der. Ges für. Erdk ، ١٩٠٢ م ، ص ١١٠).

ويوجد بمدينة بسطام قبور أولياء آخرين وعدة مساجد . ويحيط بها سور عليه كثير من الأبراج المستديرة . ويقدر عدد سكانها الآن بـ ٧,٠٠٠ نسمة . وكان لها في القرون الوسطى شأن كبير لأنها كانت محط التجارة التى تجلبها القوافل من شمالى فارس ، ولكنها فقدت منزلتها بعد عدة قرون وحلت محلها شاه رود ، وهى على مسيرة ساعتين من بسطام إلى الجنوب الغربى عند ملتقى الطرق الهامة الذاهبة إلى طهران ومشهد وأستراباذ . ولم يذكر جغرافيو العرب في القرون الوسطى مدينة شاه رود إطلاقاً . وهى التى ازدهرت على حساب بسطام لتغير طرق التجارة . ويبلغ عدد سكانها الآن حوالى ٨,٠٠٠ نسمة ؟

المصـــادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، في مادة بسطام (٢) ياقوت ، المعجم طبعة فستنفلد ، ط ، ص ٦٢٣ ، وترجمة فستنفلد في Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges. ج ١٨ ، ص ٤٧١ وما بعدها (٣) ابن بطوطة ، طبعـــة باريس ، ج ٣ ، ص ٨٢ (٤) Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate ، ١٩٠٥ م ص ٣٦٥ وما بعدها (٥) Ritter : Erdkunde ، ج ٨ ، ص ٣٣٩— ٣٤١ (٦) A. D. Mordtmann في Sitz. — Ber. d. bayr. Akad. d. Wiss ١٨٦٩ م ، ص ٥١٦ — ٥٢٠ ، وهو يصف رحلات فريزر

Fraser وفريه Ferrier من سنة ١٨٢٢ إلى ١٨٤٥م (٧) Prellberg : *Persien, eine hist. Landschaft* ، ليبسك ١٨٩١م ص ٢٤
[ستر ك M. Streck]

« البسطامى » أبو يزيد (انظر « بايزيد ») .

« البسطامى » عبد الرحمن بن محمد بن على بن أحمد الحنفى الحُروفى الأنطاكى : أحد المتصوفة ، صنف كتباً عدة فى التاريخ والسير إلى جانب مؤلفاته العديدة فى التصوف . وأشهر كتبه موسوعته الكبيرة وعنوانها « الفوائح المسكية فى الفواتح المكية » . وقد عاش البسطامى فى القاهرة وبروسه ، وتوفى عام ٨٥٨هـ = ١٤٥٤م (انظر Brockelmann *Gesch. der arab. Lit* ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ — ٢٣٢) ؟

« البسطامى » علاء الدين على بن محمد الملقب بـ « مصنفك » ومعناها المؤلف الصغير لأنه بدأ حياة التأليف فى سن مبكرة.

ولد البسطامى عام ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ — ١٤٠١ م) ، واستقر فى تركيا عام ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ — ١٤٤٥م) وتوفى بها عام ٨٧٥هـ (١٤٧٠ — ١٤٧١ م) . وأصدر نزولا على رغبة السلطان محمد الثانى فتوى ألغى بهـا الامتيـازات التى منحها الصدر الأعظم إلى ملك البوسنة ، وهو الذى تقدم لتنفيذ حكم الإعدام فى هذا الملك بنفسه ، وفصل رأسه عن جسده بيده .

وقد ألف البسطامى عدة كتب بالعربية والفارسية منها شرح على الكشاف للزمخشرى . وهو من سلالة فخر الدين الرازى ؟

المصـــادر

(١) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ١ ، ص ٤٩٦ . (٢) J. de Hammer : *Histoire de l'Empire ottoman* ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ ، ٣٩١
[هيوار Cl. Huart]

« بسكرة » واحة ومدينة جنوبى الجزائر فى إقليم قسنطينة ، وهى على خط طول ٤٢َ ٥° شرقى جرينتش، وخط عرض ٢٧َ ٣٩° شمالا . وعلى سفح جبل أوراس ، ترتفع ٤٢٨ قدماً عن سطح البحر ، وهى أهم واحة بين واحات زيبان ، جمع « زاب » (انظر هذه المادة) . والواحة تمتد ثلاثة أميال على طول وادى بسكرة، ومساحتها ٣,٢٠٠ فدان، وبها ١٥٠,٠٠٠ نخلة . ويتوزع سكانها الأصليون على قريتى مسيد ودار الحرب فى الشرق ، ورأس القرية وسيدى بركات ومجنشة وقداشة فى الغرب، وكانت بسكرة القديمة تتألف من كل هذه القرى وأحراش النخيل الصغيرة فى بنى مُرّة غرباً وكورة

جنوباً والعالية وفلياش فى الجنوب الشرقى عبارة عن أجزاء من الواحة الأصلية .

وقد شيدت مدينة بسكرة الحديثة أعلى الواحة حول الحصن الذى أقامه الفرنسيون بعد احتلالهم لهذه البلاد . وأصبحت المدينة مشتى له شأن بعد أن وصلها بقسنطينة خط حديدى طوله ١٨٠ ميلا . وهى قصبة ناحية تتمتع بلون من الاستقلال الذاتى ، وعدد سكانها وفقاً لتعداد عام ١٩٠٦ م ٧٣٥٧ نسمة منهم ٦٦١ أوروبيون ، وتلحق بها منطقة تقّورت الحربية ، ومساحتها ٤٥٠ ميلا مربعاً ، وعدد سكانها ٦٣,٤٣٦ منهم ستون أوروبياً فقط .

ويظهر أن بسكرة تشغل مكان المدينة الرومانية القديمة «وِسكرة» *vescera* ، وكانت إحدى المراكز الحربية المخصصة لحماية الزاب . وورد اسم بسكرة لأول مرة فى المصنفات العربية عند الكلام على إخماد الفتنة التى قام بها أهل زيبان عام ٨٦٥ م فى وجه الأمير أبى عبد الله محمد الأغلبى الملقب بأبى الغرانيق وقد سُلمت المدينة دون مقاومة للقائد أبى خفاجه الذى أُنفذ للقضاء على هذه الفتنة . وكان يحكم بسكرة أيام بنى حماد مجلس من وجوهها ، أقوامهم بنو رُمّان ، وهم من أهل بسكرة ، يرجع نفوذهم إلى كثرة عددهم وامتلاكهم لمعظم الأراضى المجاورة (ابن خلدون : العبر ، ترجمة ده سلان ، جـ٣ ، ص١٢٥) وقد حاول جعفر ، وهو من بنى رمان ، أن يستقل بالأمر فيها ، فحرض أهل بسكرة على الثورة فى وجه بُلُكّين بن محمد ، غير أن هذه الثورة أقمعت بقسوة ، وفتحت بسكرة عنوة ، وسجن جعفر والمتآمرون معه فى قلعة بنى حماد حيث قُتِل . وانتقل الأمر فى المدينة إلى بنى سندى الذين أفلحوا فى صد العرب الهلالية ، وظلوا فى الوقت نفسه موالين لبنى حماد إلى أن قضى الموحدون على هذه الدولة .

ووصلت بسكرة وقتذاك إلى أوج رخائها ، ويصفها البكرى فى كتاب المسالك بأنها بلدة كبيرة حسنة (ترجمة ده سلان ، ص ١٢٩ وما بعدها) وبها مسجد جامع وعدة زوايا وحمامات ، يحيط بها سور وخندق ووراءه ضياع واسعة . وأهل بسكرة ، وجلهم من المالكية ، مولدون نشئوا من اختلاط البربر بسلالة الرومان ، بينما يقطن حول المدينة بربر من قبائل سِدْراته ومَغْراوة وغيرهما ، وكان الناس هناك يعظمون السعى فى طلب العلم . وختم البكرى كلامه عنها بامتداح خصوبة تربتها وحسن نخيلها وجودة بلحها ، وكانت تحفظ أنواع منه أيام الفاطميين لمأكل الخليفة خاصة .

وسقطت دولة بنى حماد ، فانتقلت بسكرة إلى الموحدين إذ نجح يحيى بن غانية فى الاستيلاء عليها عام ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) . كما استعادها بعد ذلك بثلاث وعشرين سنة ، أى عام ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) ولكنه أخلاها عند اقتراب جيش الموحدين الذى غزاها ، وأعمل النهب فيها .

وتفككت دولة الموحدين ، فوقعت بسكرة فى قبضة بنى حفص بتونس . والحق أن حكام المدينة الحقيقيين فى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) هم المزنيون ، شيوخ أسرة عربية من قبيلة لطيف قدموا إلى الزاب فى غزوة الهلالية ، واستقروا أول الأمر حول بسكرة ثم دخلوا المدينة نفسها عقب ذلك ، وشقوا طريقهم إلى مجلس وجوهها ، ونافسوا بذلك بنى رُمّان . وانتهز هؤلاء المزنيون ما وقع من نضال بين أمراء بنى حفص ، للقضاء على منافسيهم ، فانحاز فضل المزنى إلى الأمير أبى إسحاق الذى انتقض على أخيـــه الخليفة المستنصر ، وفتح أبواب بسكره له . ولكنه أجبر على الفرار فتبع أبا إسحاق إلى الأندلس وكان هذا الأمير قد فر إليها عقب انهزامه . فلما توفى المستنصر خلفه أبو إسحاق على حكم تونس فكافأ صاحبه المزنى على إخلاصه له بولاية الزاب . وأهاج هذا الانتصار خصومه من بنى رمان . فعمدوا إلى قتله عام ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . وألقى بابنه منصور فى السجن ، وكان وقتذاك فى تونس ، وظل فى محبسه سبع سنين . ونصب أبو زكريا نفسه على قسنطينة وبجاية ، ثم قام بفتنة غيرت من أقدار المزنيين فولى منصور ، وكان يحاول الفرار من سجنه ، حكم الزاب ؛ وبذلك أخضعه ثانية لسلطان بجاية ، وطرد بنى رمان من بسكرة ، وأخضع المرابطة الذين قاموا بفتنة فى السودان بتحريض الشريف سعادة ، وأضحى الحاكم الفعلى ، لا على الزاب فحسب ، بل على حدنة وأوراس ووارقلى أيضاً ، إلا أنه تنازع مع أبى البقاء سلطان بجاية ، وهبّ لقتاله فحاصر قسنطينة ، ولكنه اصطلح معه بعد ذلك . وسرعان ما تنازع مع بنى حفص ، وظل يقاتلهم إلى أن بلغته الوفاة عام ٧٢٥ هـ (١٣٢٥م) . وخلفه ابنه عبد الواحد ، فقتله أخوه يوسف الذى أخضع فتنة جديدة قام بها المرابطة ، وأفلح فى صد جيش حفصى إلى وادى أريغ وهو الجيش الذى أنفذ تعزيزاً لحكم سلطان تونس على الزاب ، وكان يوسف معاديا لبنى حفص ، ولذلك فقد أظهر انعطافاً ناحيـة المرينيين ، ورحب ترحيباً جميلاً بأبى الحسن عند قيامه بحملته عليهم عام ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م) ، كما أمد أبا عنان بعونه فى حصاره لقسنطينة ، غير أنه انحاز ثانية لبنى حفص عند ما لحقت الهزيمة المنكرة بالمرينيين. وكان خلفه أحمد رجلا قوياً كسلفه، وإن كان قد اضطر إلى أن يحسب حساب عداوة شيوخ العرب المستقرين فى زيبان .

ومنذ ذلك الوقت ونحن لا نعلم شيئا عن تاريخ بسكرة إلى القرن السادس عشر الميلادى ، ويحتمل أن تكون الروابط التى تصل بين الزاب ومملكة تونس قد أخذت فى التراخى تدريجاً ، كما يظهر أن بسكرة كانت قد تحررت من نير بنى حفص فى أوائل القرن السادس عشر . وظلت مستقلة حوالى ثلاثين سنة . وفى عام ١٥٤١ م ظهر الأتراك فى الجنوب ،

فاستولى حسن أغا على بسكرة ، وأقام بها حامية وشيد حصناً . ومع ذلك فإن الشيخ الأعرب كان هو الممثل الحقيقي لسلطان الأتراك ، اختير من بوعُكَّاز من أكبر أسر الناحية ، ولكن نفوذ هذه الأسرة أثار شكوك الأتراك إلى حد كبير . فأقام صلاح باى قسنطينة منافساً من بني كنّه للأسرة الأخرى، بيد أن بسكرة سرعان ما اضمحلت لتعرضها لنهب الأتراك وغارات القبائل العربية . وقد لاحظ محمد بن الحسن الوزان الزياتي في بداية القرن السادس عشر الميلادي ما عليه سكان بسكرة من فقر (طبعة Schefer المجلد الثالث ، جـ ٦ ، ص ٣٥١) .

ونستدل مما كتبه الرحالتان العربيان ، العياشي (١٦٦٢م) ومولاى أحمد (١٧٤٠م) أن بسكرة احتفظت ببعض أهميتها بفضل رخاء الواحة واتخاذ المدينة محطاً تجارياً ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي هُجرت المدينـــة وتفرق أهلها في الواحات وأنشئوا قرى لا تزال موجودة إلى الآن . وبقيت بالمدينة إلى وقت الاحتلال الفرنسي منارة من مناراتها القديمة غير أنه لا يوجد اليوم من المدينة القـــديمة سوى أطلال لا شكل لها .

وتنازع ملك بسكرة من عام ١٨٣٠ إلى عام ١٨٤٠م فرحات بن سعيد من أسرة بوعُكَّاز كما تنازعه بنو كنه يشد أزرهم أحمد باى قسنطينة . وحاول فرحات من ١٨٣١ إلى عام ١٨٤٧ م أن يحمل الفرنسيين على التدخل لصالحه ثم صمم على أن يستعين بعبد القادر فانتهز هذا الأمير الفرصة، وعمد إلى تنصيب خليفة على بسكرة هو الحسين بن عزوز . ولما رأى بنو كنه أن الأسباب تقطعت بأحمد باى عام ١٨٣٨م دخلوا في طاعة الفرنسيين .

وفي ٢ مارس ســـنة ١٨٤٠ م أجبروا الخليفة الذى أقامه عبد القادر على الفرار عند سلسون *Salson* وتخلصوا من فرحات في العام الذى تلاه ، ولم تنقطع الفوضى إلا بحكم الفرنسيين . وفي الحادى والعشرين من مارس عام ١٨٤٤م احتل الدوق دومال d'Aumale المدينة، غير أن مذبحة عصفت بالفرقة الصغيرة التي تركها هناك ، فأقام حامية ثابتة بها في ١٢ مايو من العام نفسه، وشيد حصناً . وبذلك أصبحت بسكرة قصبة مركز يحكمه ضابط عظيم نيط به شئون الحكم، يعاونه زعماء من أبناء البلاد حتى أضحت المدينة قاعدة الأعمال العسكرية في جنوب قسنطينة ؟

[يفر G. Yver]

« بسم الله » [انظر بسملة]

« بسملة » تطلق على صيغة بسم الله الرحمن الرحيم : البســـملة أو التسمية ، ويروى الزمخشرى أن قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاءها لم يعتبروا البسملة آية على

رأس الفاتحة وغيرها . وهم يذهبون إلى أنها وضعت هذا الموضع لا لغرض سوى الفصل بين السور تبركاً ، وهذا هو رأى أبى حنيفة أيضاً ، ومنه يتضح السبب فى أن أتباعــــه لا يجهرون بالبسملة فى صلاتهم . ولكننا نجد من جهة أخرى أن فقهاء مكة والكوفة وقراءهما يعتبرون البسملة آية على رأس الفاتحة وغيرها وهم لذلك يجهرون بها ، وهذا هو رأى الشافعى، يعتمد فيه على أن القدماء دونوا البسملة على الصحف التى كتبت فيها آى الذكر ، ولم يكتبوا كلمة « آمين » .

وإنا لنشاهد الناس فى كل مكان لا يبدءون فعلا هاماً ما لم يُصدر باسم الله . ثم إننا نلاحظ بصفة خاصــــة أن العرب الأقدمين كانوا يصدرون دعواتهم لحفلات الزواج بقولهم « بالرفاء والبنين » أو « باليُمن » ، ويذهب الزمخشرى إلى أنهم كانوا يصدرون هذه الدعوات باسم اللات أو العُزّى (انظر مادة « بلاد العرب ») .

وأنزل الله على لسان نبيّه نوح « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسيها إن ربى لغفور رحيم » (سورة هود ، آية ٤٣) .

وجرت العادة بحذف همزة الوصل فى « اسم » فأصبحت « بسم » وتقول بعض الروايات إن عمر بن عبد العزيز هو الأصل فى هذه الكتابة فقد قال لكاتبه « طوّل الباء وأظهر السّنات ودوّر الميم » ، كما تذهب الروايات إلى تشديد اللام فى « الله » .

وتساءل بعض المستشرقين عما إذا كانت صيغتا الرحمن والرحيم من أسماء آلهة الجاهلية التى بقيت إلى جانب اسم الله ثم أصبحتا مجرد صفات (انظر مادتى « الله » و« بلاد العرب ») غير أن هذا ليس من رأى كاتب هذه السطور، وهو لا يتفق مع ما رواه المفسرون ، فالزمخشرى بصفة خاصة يذهب إلى أن الرحمن والرحيم من الصفات الغالبة ومعناهما العطف والحنو، وهو مجاز عن إنعامه على عباده ، وإن الزيادة فى بناء الرحمن على الرحيم لزيادة المعنى ، وذكر الزمخشرى أيضاً بعض استعمالات عجيبة للرحمن والرحيم ، فأوردهما تارة من الأسماء وتارة من الصفات . وهكذا أطلق بنو حنيفة على مسيلمة الكذاب « رحمن اليمامة » ، ويقال « رحمن الدنيا والآخرة » و « رحيم الدنيا » .

وللبسملة فى نظر التقاة وأصحاب السحر فضائل عظيمة فيستعملها أصحاب السحر فى الطلسمات ، وهم يعتقدون أنها كتبت على جنب آدم وعلى جناح جبريل وعلى خاتم سليمان وعلى لسان عيسى . (Doutté : v. *Magie et Religion dans l'Afrique* [illegible] *Nord* ص ٢١١) .

والبسملة حلية يكثر اســــتعمالها فى المخطوطات والزخارف المعمارية ؟

[B. Carra de Vaux كارا [illegible] فو]

تعليق على مقال بسملة

هذه المسألة من أهم مسائل الخلاف بين القراء والمحدثين والفقهاء ، وألف فيها الكثيرون كتبا خاصة ، فمن ذلك كتاب « الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف » للإمام الكبير أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ﻫ وهو جزء في ٤٢ صفحة ، وقد طبع في مصر سنة ١٣٤٣ ﻫ ، وكتاب لأبي محمد عبد الرحمن بن إسمعيل بن إبراهيم المقدسي ، ذكره النووي في المجموع ، وقال : إنه مجلد كبير ، ولخص أهم ما فيه ، وألف فيها أيضاً ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والبيهقي والخطيب ، وقد جمع الحافظ الزيلعي في نصب الراية أكثر ما ورد فيها من الآثار والأقاويل في مقدار يصلح كتابا مستقلا (١ : ١٦٨ — ١٩١ من طبعة الهند ، و ١ : ٣٢٣ — ٣٦٣ من طبعة المجلس العلمي سنة ١٣٥٧ﻫ) وكذلك النووي في المجموع ، كتب فيها مقدارا وافيا .

واستيعاب ما قالوه لا يسعه المقام هنا ، لكني أقول فيها كلمة أرجو أن أوفق إلى أن تكون القول الفصل ، إن شاء الله :

اتفق المسلمون جميعا على أن البسملة جزء من آية في سورة النمل ، ثابتة ثبوت التواتر القطعي الموجب لليقين .

ثم اختلف الفقهاء وغيرهم بعد ذلك ، هل هي آية من كل سورة من سور القرآن سوى براءة ؟ أو هي جزء من آية ؟ أو هي آية مستقلة نزلت مع كل سورة — سوى براءة — لافتتاحها وللفصل بينها وبين غيرها ؟ أو هي آية من الفاتحة فقط ؟ أو ليست آية أصلا ، لا في الفاتحة ولا في غيرها !

فنقل العلماء عن مالك والأوزاعي وابن جرير الطبري وداود أنهم ذهبوا الى أنها ليست في أوائل السور كلها قرآنا . لا في الفاتحة ولا في غيرها !

وحكاه الطحاوي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، وهو رواية عن أحمد ، وقول لبعض أصحابه ، واختاره ابن قدامة في المغني .

وقال أحمد : هي آية في أول الفاتحة وليست قرآنا في أوائل باقي السور . وهو قول إسحق وأبي عبيد وأهل الكوفة وأهل مكة وأهل العراق ، فيما نقله العلماء ، وهو أيضا رواية عن الشافعي .

وقال الشافعي وأصحابه : هي آية من كل سورة سوى براءة . وحكاه ابن عبد البر عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطاوس ومكحول . وحكاه ابن كثير عن أبي هريرة وعلي وسعيد بن جبير والزهري ، وهو رواية عن أحمد . وادعى أبو بكر الرازي الجصاص في أحكام القرآن أن الشافعي لم يسبقه أحد إلى هذا القول !!

وذهب أبو بكر الرازي الجصاص إلى أنها آية في كل موضع كتبت فيه في المصحف ، وليست آية من الفاتحة ولا من غيرها ، وإنما أنزلت لافتتاح القراءة بها وللفصل بين كل سورتين — سوى ما بين الأنفال وبراءة — وهو المختار عند الحنفية ، قال محمد بن الحسن : « ما بين دفتي المصحف قرآن » ، وهو قول ابن المبارك ورواية عن أحمد وداود ، وقال الزيلعي في نصب الراية : « وهذا قول المحققين من أهل العلم » .

ونسبة هذا القول إلى الحنفية استنباط فقط فقد قال أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن (١ : ٨) : « ثم اختلف فى أنهـا من فاتحة الكتاب أم لا ؟ فعدها قراء الكوفيين آية منها ، ولم يعدها قراء البصريين ، وليس عن أصحابنا رواية منصوصة فى أنها آية منها ، إلا أن شيخنا أبا الحسن الكرخى حكى مذهبهم فى ترك الجهر بها ، وهذا يدل على أنها ليست منها عندهم ، لأنها لو كانت آية منها عندهم لجهر بها كما جهر بسائر آى السور »

وقال شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسى فى المبسوط (ج ١ ص ١٦) : «وعن معلى قال : قلت لمحمد — يعنى ابن الحسن — : البسملة آية من القرآن أم لا ؟ قال : ما بين الدفتين كله قرآن . قلت : فلم لم تجهر ؟ فلم يجبنى فهذا عن محمد بيان أنها آية أنزلت للفصل بين السور ، لا من أوائل السور ، ولهذا كتبت بخط على حدة ، وهو اختيار أبى بكر الرازى رحمه الله ، حتى قال محمد رحمه الله : يكره للحائض والجنب قراءة البسملة على وجه قراءة القرآن ، لأن من ضرورة كونها قرآنا حرمة قراءتها على الحائض والجنب ، وليس من ضرورة كونها قرآنا الجهر بها ، كالفاتحة فى الأخريين » .

وقد استدل كل فريق لقوله بأحاديث ، منها الصحيح المقبول ، ومنها الضعيف المردود .

وأما أئمة القراءات فإنهم جميعا اتفقوا على قراءة البسملة فى ابتداء كل سورة ، سواء الفاتحة أو غيرها من السور ، سوى براءة . ولم يرو عن واحد منهم أبدا إجازة ابتداء القراءة بدون البسملة .

وإنما اختلفوا فى قراءتها بين السور أثناء التلاوة ، أى فى الوصـل : فابن كثير وعاصم والكسـائى وأبو جعفر وقالون وابن محيصن والمطوعى وورش من طريق الاصبهانى — : يفصلون بالبسملة بين كل سورتين ، إلا بين الأنفال وبراءة . وحمزة يصل السورة بالسورة من غير بسملة ، وكذلك خلف ، وجاء عنه أيضا السكت قليلا — أى بدون تنفس — من غير بسملة . وجاء عن كل من أبى عمرو وابن عامر ويعقوب وورش من طريق الأزرق — : البسملة والوصل والسكت بين كل سورتين سوى الأنفال وبراءة .

وكل من روى عنه من القراء العشرة حذف البسملة روى عنه أيضا إثباتها ، ولم يرد عن أحد منهم حذفها رواية واحدة فقط .

وهؤلاء هم أهـل الرواية المنقولة بالسماع والتلقى ، شيخا عن شيخ فى التلاوة والأداء .

وقد اتفقوا جميعا على قراءتهـا أول الفاتحة وإن وصلت بغيرها . قال إمام القراء أبو الخير بن الجزرى فى كتاب النشر فى القراءات العشر (١ : ٢٦٢) : « ولذلك لم يكن بينهم خلاف فى إثبات البسملة أول الفاتحة ، سـواء وصلت بسورة الناس قبلها ، أو ابتدئ بها ، لأنها ولو وصلت لفظا فإنها مبتدأ بها حكماً ، ولذلك كان الواصل هنا حالا مرتحلا » .

ولا خلاف بين أحد من أهل النقـل وأهل العلم فى أن جميع المصاحف الأمهات ، التى كتبها عثمان بن عفان ، وأقرها الصحابة جميعا دون ما عداها — : كتبت فيها البسملة فى أول كل سورة ، سوى براءة ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم إذ جمعوا القرآن فى المصاحف جردوه من كل شىء غيره ، فلم يأذنوا بكتابة أسماء السور ولا أعداد الآى ، ولا (آمين) ، ومنعوا أن

يجرؤ أحد على كتابة ماليس من كتاب الله فى المصاحف، حرصاً منهم على حفظ كتاب الله، وخشية أن يشبه على أحد ممن بعدهم فيظن غير القرآن قرآناً؛ فهل يعقل مع هذا كله أن يكتبوا مائة وثلاث عشرة بسملة زيادة على ما أنزل على رسول الله؟! ألا يدل هذا دلالة قاطعة منقولة بالتواتر العملى المؤيد بالكتابة المتواترة على أنها آية من القرآن فى كل موضع كتبت فيه؟!

والقاعدة الصحيحة عند أئمة القراء أن القراءة الصحيحة المقبولة هى: ماصح سنده ووافق رسم المصحف ولواحتمالا وكان لهوجه من العربية. وأنه إذا فقد شرط من هذه الشروط فى رواية — : كانت قراءة شاذة أو ضعيفة أو مردودة. وقد ذهب بعض القراء إلى أن التواتر شرط لصحة القراءة. والحق أنه شرط فى إثبات القرآن، وأما القراءة فيكفى فيها صحة السند مع ما سبق. وهذا الذى اعتمده إمام القراء ابن الجزرى وغيره.

ولكن لم يخالف واحد منهم فى اشتراط موافقة رسم المصحف. وفى أن القراءة التى تخالفه قراءة غير صحيحة ولو صح سندها.

فاذا سلكنا جادة الإنصاف فى تطبيق القواعد الصحيحة على الأقوال والقراءات السابقة، وتنكبنا طريق الهوى والعصبية — : علمنا علما يقينا ليس بالظن، أن القول الذى زعموا نسبته إلى مالك ومن معه، فى أنها ليست آية أصلا — : قول لا يوافق قاعدة أصولية ثابتة، ولا قراءة صحيحة، وأن قراءة من قرأ بإسقاطها فى الوصل بين السور قراءة غير صحيحة أيضا؛ لأنها فقدت أهم شرط من شروط صحة القراءة، أو هو الشرط الأساسى فى صحتها، وهو موافقة رسم المصحف، وظهر أن الحق الذى لا يتطرق إليه الشك، ولا يستطيع مجادل أن ينازع فيه؛ أنها آية فى كل موضع كتبت فيه فى المصحف.

وأما أنهـا آية من السور المكتوبة فى أولها أو آية مستقلة، فإنه محل نظر وبحث، والذى يظهر لى ترجيح أنها آية من كل سورة كتبت فى أولها، أى من جميع سور القرآن سوى براءة، وأنه لا يجوز لقارئ أن يقرأ أية سورة من القرآن — سوى براءة — من غير أن يبدأها بالتسمية التى هى آية منها فى أولها، سواء أقرأها ابتداء أم وصلها بما قبلها. وهذا الذى اختاره الشافعى رضى الله عنه، فيما نقله عن العلماء، وهو الذى يفهم من كلامه الذى نقلنا آنفا عن كتابه «الأم».

وبعد؛ فقد يبدو للناظر بادئ ذى بدء أن يتكره هذا القول وينكره. لما فيه من الحكم على بعض أوجه القراءات السبع بعدم الصحة، لما شاع بين المتأخرين والعامة؛ من أن هذه القراءات السبع متواترة تفصيلا، بما فيها من بعض الاختلاف فى الحروف وبما فيها من أوجه الأداء، وهذه شائعة غير صحيحة؛ بدأ القول بها بعض متأخرى العلماء؛ ثم تبعه فيها غيره، ثم أذاعها عامة القراء وعامة أهل العلم، من غير نظر صحيح، ولا حجة بينة، وقد ردها كثيرون من أئمة القراء والعلماء، قال أبو شامة المقدسى: «ونحن وإن قلنا: إن القراءات الصحيحة إليهم نسبت، وعنهم نقلت — : فلا يلزم أن جميع ما نقل عنهم بهذه الصفة؛ بل فيـه الضعيف، لخروجه عن الأركان الثلاثة».

وقال إمام القراء الحافظ أبو الخير بن الجزرى فى كتاب النشر (١ : ٩ — ١٠) «كل

قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها — : فهى القراءة الصحيحة ، التى لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها : ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، ونص عليه فى غير موضع الامام أبو محمد مكى بن أبى طالب ، وكذلك الامام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى : وحققه الامام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسمعيل المعروف بأبى شامة ، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه . قال أبو شامة رحمه الله فى كتابه المرشد الوجيز : فلا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ، ويطلق عليها لفظ الصحة ، وان هكذا أنزلت — : إلا إذا دخلت فى ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف ، لا عمن تنسب إليه ، فان القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه فى قراءتهم ، تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم »

ولم يكن الأئمة السابقون من العلماء يحجمون عن نقد بعض قراءة القراء السبعة وغيرهم ، بل كثيراً ما حكموا على بعض حروفهم فى القراءة بأنها خطأ ، وقد يكون النـــاقد هو المخطئ ، ولكنه ينقد عن علم وحجة ، فلا عليه إن أخطأ ، ولو كانت حروف القراء كلها متواترة تفصيلا كما يظن كثير من العلماء وغيرهم — : لكان الناقد لحرف منها خارجاً عن حد الإسلام ، ولم يقل بهذا أحد ، والعياذ بالله من أن نرى أمثالهم بهذا .

فمن أمثلة ذلك أن إمام المفسرين وحجة القراء أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى رد قراءة حفص عن عاصم من السبعة ويعقوب من العشرة فى قوله تعالى فى سورة الحج (آية ٢٥) : (سَوَاءً العَاكِفُ فيه والبَادِ) بنصب « سواء » فقال فى تفسيره (١٧ : ١٠٣) : « وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه (سَوَاءً) نصباً ، على إعمال . (جَعَلْنَاهُ) ، فيه ، وذلك وإن كان له وجه من العربية فقراءة لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه » !

وقد رد الطبرى والزمخشرى ، وهما إماما العربية والتفسير — : قراءة ابن عامر فى قوله تعالى فى سورة الأنعام (آية ١٣٧) : (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المشركِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) فقال الطبرى (٨ : ٣٣) : « وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ) بضم الزاى (لِكَثِيرٍ من المشركين قَتْلُ) بالرفع (أَوْلَادَهُمْ) بالنصب (شُرَكَائِهِمْ) بالخفض ، بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم

أولادهم فرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم، وذلك فى كلام العرب قبيح غير فصيح، وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشأم – رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه». وقال الزمخشرى فى الكشاف (٢ : ٤٢) : «وأما قراءة ابن عامر (قتلُ أولادَهم شركائِهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف – : فشىء لو كان فى مكان الضرورات، وهو الشعر، لكان سمجا مردوداً، كما سمج ورد «زج القلوص أبى مزاده» فكيف به فى الكلام المنثور! فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته!!».

وقد أطال الامام ابن الجزرى فى النشر القول فى الرد على الطبرى والزمخشرى فى نقدهما هذا الحرف على ابن عامر، وعقد لذلك فصلا نفيسا (٢ : ٢٥٤ – ٢٥٦)، ولسنا بصدد تحقيق الصواب فى هذا الخلاف هنا، ولا نبغى أن نحكم بالخطأ على ابن عامر، إنما نريد أن ندل على أن المتقدمين لم يكونوا يرون أن وجوه القراءة فى حروفهم متواترة كلها. وإلا كان فى الاقدام على إنكار بعضها جراءة غير محمودة.

وكذلك أنكر أبو إسحق الزجاج حرفاً من قراءة حمزة فى قوله تعالى فى سورة الكهف (آية ٩٧) : (فمَا اسطّاعُوا) إذ قرأها بتشديد الطاء كما فى النشر وغيره من كتب القرآآت، قال فى لسان العرب (١٠ : ١١٢) : «وكان حمزة الزيات يقرأ (فَمَا اسطَّاعُوا) بادغام الطاء والجمع بين ساكنين. وقال أبو إسحق الزجاج : من قرأ بهذه القراءة فهو لاحن مخطىء، زعم ذلك الخليل ويونس وسيبويه وجميع من يقول بقولهم».

ولذلك كله لانرى علينا بأساً أن نقول : إن قراءة من قرأ بحذف البسملة بين السور فى الوصل قراءة غير صحيحة، إذ هى تخالف رسم المصحف فتفقد أهم شرط من شروط صحة القراءة. وأن البسملة آية كل سورة فى أولها سوى براءة، على ما ثبت لنا تواترا صحيحا قطعيا من رسم المصحف.

أحمد محمد شاكر

«بسنترن» انظر «بزنترن»

«البسوس» المرأة التى تذكر الأساطير أنها كانت السبب فى نشوب الحرب بين قبيلتى بكر وتغلب، وبينهما صلة رحم! فيُروى أن رجلاً اسمه سعد من قبيلة جُرْم — وهو الذى خاطبته البسوس فى شعرها — نزل فى حمى جساس بن مرة البكرى قريب البسوس[1]. واتفق يوماً أن كليب بن ربيعة التغلبى وجد ناقة للبسوس فى مرعاه، وكان قد منع غيره من الرعى فيه، فقتلها. أو كما تقول القصة، رماها بسهم أصاب ضرعها، فدفع ذلك جساساً إلى الثأر لمن هم فى حماه، وقتل كليبا زوج أخته.

وسمى الشعر الذى قالته البسوس.

---

(١) المشهور فى المصنفات العربية أن الحيلة ولقبها البسوس خالة جساس، وأن جرم الذى ينسب إليهم سعد بن شمر بن قدامة هم من أخوال جساس

اللجنة

وخاطبت به سعداً، ووصفت فيه ما نالها من حيف يحمل جساس مغبته بـ «الموثبات»[١] لأنه كان السبب فى قتل جساس لكليب وما تلا ذلك من الحروب الدموية الطويلة بين تينك القبيلتين. وتعد هذه الموثبات مثالاً للتحريض كما أن النساء يقلنها فى ندب الموتى.

وليس من شك فى أن رجلاً قلد فى عصر متقدم ما قيل من الشعر فى ظروف مشابهة لهذه، وأقحم هذه الأبيات فى أسطورة البسوس الزاخرة بالشعر. يفسر بها مقدمات الحرب التى عرفت آخر الأمر بحرب البسوس وأنه لم يكن واسع المعرفة بميزات الشعر العربى فحسب، بل كان كذلك دقيق العلم بطبيعة النفس الإنسانية. وأنه أنشأها تبريراً لعمل جساس.

وهناك قصة ظهرت فى الأوساط اليهودية بطلتها امرأة تعرف باسم البسوس، وقد نشأت هذه القصة سخرية من القصة الأولى، وخلاصتها أن يهودياً وهبه الله ثلاث أمنيات محققات، فطلبت امرأته أن تصبح أجمل بنات إسرائيل، فأجاب الله سؤلها. فأصابها الغرور وساءت عشرتها لزوجها فلعنها وسأل الله أن يمسخها كلبة فحقق الله له أمنيته الثانية. ولم تبق له إلا أمنية واحدة. وقد ألح أبناؤها أن تعود أمهم إلى ما كانت عليه... فأطلق الناس على هذه المرأة التى حرمت زوجها من الأمنيات الثلاث «أشأم من البسوس»، وهو عين المثل الذى يطلق على البسوس بطلة القصة الأولى؟

المصـــادر

(١) الحماسة، طبعة فريتاج Freytag، ص٤٢وما بعدها (٢) مجمع الأمثال، طبعة فريتاج [illegible] I، ص ٦٨٧ (٣) الأغانى، جـ ٤، ص١٤١ وما بعدها [جـ ٥، ص ٣٣ — ٦٣، طبعة دار الكتب المصرية] (٤) انظر مادة «البسوس» فى المعاجم المختلفة (٥) مقامات الحريرى، الطبعة الثانية لده ساسى de Sacy، جـ ١، ص ٣٠٧ (٦) Caussin [illegible] Perceval; *Essai*، جـ ٢، ص ٢٧٩ وما بعدها (٧) Noldeke: *Delectus*

[رودوكاناكيس N. Rhodokanakis]

«البسيط» بحر من بحور الشعر العربى (انظر مادة «العروض»)

---

(١) ومنه قولها:

لعمرى لو أصبحت فى دار منقذ
لما ضيم سعد وهو جار لأبياتى
ولكننى أصبحت فى دار غربة
متى يعدو فيها الذئب يعد على شاتى
فياسعد لا تغرر بنفسك وارتحل
فإنك فى قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادى إليك فإننى
محاذرة أن يغدروا ببنياتى
وسر نحو جرم إن جرماً أعزة
ولا تك فينا لاهياً بين نسوات

الخ

« البسيط »(١) قصبة كورة أندلسية تعرف بهذا الاسم وتضم الجزء الشمالى الغربى من مملكة مرسية إلى الجنوب الشرقى من مانشه Manoha وإقليم قشتالة الجديد . والمدينة على المنحدر الجنوبى الشرقى من جبـــال مسيتا [illegible] الأيبيرية الوسطى ، وترتفع عن سطح البحر بمقدار ٢٣٠٠قدم . واسمها الجديد البسيت Albacete مأخوذ عن الكلمة العربية « البسيط » لا عن كلمة « البسيطة » كما ذهب اليه البعض . وقد ذكر هذا الموضع واسمه لأول مرة كل من الضّبى القرطبى وابن الآبّار البلنسى ، وكلاهما من مصنفى القرن الثالث عشر الميلادى ، عند حديثهما على الوقعة الهائلة التى نشبت فى عشرين خلت من شعبان سنة ٥٤٠ هـ (١١ من فبراير سنة ١١٤٦ م) بين الأذفونش السابع ملك قشتالة وبين سيف الدولة (بالأسپانية Capedolas ، [illegible] ، Zafadola) المستنصر أحمد بن هود الذى ولى القسم الجنوبى الشرقى من الأندلس عهداً قصيرا ، وفيها لقى هذا الملك حتفه هو وحليفه عبد الله بن محمد بن سعد صاحب بلنسية . وكان عبد الله هذا يعرف بين العرب بلقب «صاحب البسيط » كما كانت تلك الوقعة التى لم يشر المصنفون المسيحيون إلى مكانها ولا إلى تاريخ نشوبها تعرف بـ « وقعة اللُّجّ » ، إذ قال ابن الأبّار عن هذا المكان إنه هو « الموضع المعروف باللج وبالبسيط على مقربة من جنجالة(١) » ، ولا نستطيع الآن التثبت من أن

(١) البسيط قصبة إقليم بهذا الاسم فى الجنوب الشرقى من اسبانيا على مسافة ٢٧٨ كيلو متراً من مجريط (مدريد) و٧٥ من مرسية . وهى قائمة على هضبة جبل — والبسيط كما ذكر مؤلف المادة كلمة عربية معناها بسيط الأرض أى الأرض المبسوطة لاحزونة فيها . وأهلها يتعاطون صناعة الســلاح وزراعة القمح والزعفران . وليست بلدة البسيط قديمة العهد ككثير من مدائن الأندلس لأنها خططت فى مستهل القرن الخامس عشر أى قبل خروج العرب من اسبانيا ببضع عشرات السنين

وفى الأندلس بلدة أخرى تسمى بسطة أو بسطة الشريف ذكرها ياقوت فى معجمه فقال : « هى من أعمال جيان — بفتح الجيم وياء مشددة [Jaen] — وتنسب إليهـا المصليات البسطية » أى الفرش والسجاجيد التى يصلى عليها . وأشار إليها المقرى — بفتح الميم وقاف مشـددة — فى كتابه نفح الطيب فقال : « بسطة الشريف بأقليم البشرات وهى متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة آهلة لها أسوار حصينة وديار حسنة البناء وبها تجارات وفعلة لضروب الصناعات »

فلا يخلطن القارىء إذن بلدة بسطة ببلدة البسيط لأن اسم الأولى معرب عن اسمها الاسبانى الأصلى وهو [illegible] بخلاف الثانية فانما اسمها عربى أصيل نقله الاسبانيون بلفظه إلى لغتهم Albacète

محمد مسعود

(١) جنجالة وبالأفرنجية Chinchilla بلدة على مسافة ٢٠ كيلو مترا من بلدة البسيط بالجنوب الشرق قائمة على أكة مشرفة على غدير ماء يصب فى أحد روافد نهر شقر Jucar ، وقد ذكرها الادريسى فى نزهته فقال: « جنجالة من كورة تدمير بينها وبين مرسية ٥٠ ميلا وهى متوسطة القدر حصينة القلعة منيعة الرقعة ولها بساتين وأشجار وعليها حصن حسن ويعمل بها من وطاء الصوف ما لا يمكن صنعه فى غيرها ولنسائها جمال فائق وحصافة » والوطاء بالكسر والفتح ضـد الغطاء أى

اللج هو الموضع والنهر بينهما المعروفين [عند الأسبان] باسم لِزوزه Lezuza غربى البسيط أو الاتوز Alatoz شرقيها على المنحدر الشمالى لجبال جنجالة : فاذا صح أنه عين المكان الأخير [Alatoz] فالأجدر أن يكون اسمه « القُجّ » ؟ وقد ورد « لحص اللج » فى مصنف ابن الكردبوس (Dozy : *Screptorum arabum locide Abbabidis* ، جـ ٢ ، ص ١٣) ؟

المصـــــادر

(١) الضبى ، طبعـــة كودرا Codera وريبيرا Ribera ، ص ٣٣ (٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، Dozy ، *Notices* ، ص ١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ (٣) Codera : *Decadenciay desaparicion de los Almoravides en Espana* ، سرقسطة ١٨٩١ م ، ص ٨٦ ، ١٠٩ (٤) Ramiro : *Murcia Musulmana* ، سرقسطة ١٩٠٠ م ،

ما يرقد عليه المرء . والظاهر أن عرب الأندلس كانوا يختلفون فى رسمها فبينا ترى الادريسى يرسمها بألف بعد الجيم الثانية ترى ياقوت يرسمها بياء بعد الجيم فيقول : « جنجيلة مدينة بالأندلس بين شاطبة وينشتة — المسماة فى لغة الاسبان La Gineta — ينسب إليها محمد بن أبى عثمان ابن حيوة بن زياد بن عبد الله بن مترب الأموى الجنجيلى سكن طليطلة وسمع من أبى ميمون وابن مدراج وكان متيقظاً صالحاً وكان مولده يوم عرفة سنة ٣٣٤ هـ »

وفى رأيى أن جنجيلة أصح من جنجالة لأنها أكثر انطباقا على أصـــل منطوقها بالاسبانية إذ ترسم فيها هكذا : Chinchilla

محمد مسعود

(٥) Seybold فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl Gesch.* ، جـ ٦٢ ص ١٧٩ ومابعدها

[سيبولد C. F. Seybold]

« بشار » بن بُرد : شاعر من شعراء العصر العباسى الأول ، عاش فى البصرة وبغداد . وهو من أصل فارسى ، وقد دفعته نزعته الفارسية إلى مهاجمة العصبية العربية مع أنه كان ينظم الشعر بلغة الضاد . وكان للمدائح التى كالها للخليفة المهدى أثر كبير ، فقد كانت سبباً فى غض النظر عن مساوئه من ود للمعتزلة وميل للزرادشتية وجنوح إلى المجون . فلما تمادى فى غيه وهجا الوزير يعقوب بن داود قتل عام ١٦٧ هـ (٧٨٣م) .

وتدل الروايات التى كانت شائعة إلى القرن الثالث الهجرى ، والتى سجلها صاحب «الأغانى» على أثره القوى وشهرته الواسعة؟

المصـــــادر

(١) الأغانى ، طبعة بولاق ، جـ ٣ ، ص ١٩ — ٧٣ ؛ جـ ٦ ، ص ٤٧ — ٥٣ وفى مواضع مختلفة (٢) ابن خلكان ، طبعة فستنفلد ، رقم ١١٠ (٣) A.v. Kremer : *Culturgeschichtliche Streifzuge* ، ص ٣٧ وما بعـــدها (٤) Goldziher : *Muhammedanische Studien* ، جـ ١ ، ص ١٦٢ (٣) C. Brockelmann : *Gesch. d. arab. lit* ، جـ ١ ، ص ٧٤

[هِل J. Hell]

تعليق على مقال بشار بن برد

بقيت جوانب من خصائص الحياة الأدبية عند بشار بن برد لم يتعرض لها الأستاذ بروكلمان.

وأظهر تلك الجوانب هو اهتمام بشـــار بالمحسنات البديعيـة . وهو لم يخلق فنون البديع خلقاً : فقد كانت معروفة منذ العصر الجاهلى ، ولها شواهد كثيرة فى القرآن والحديث ، ولـكنه وجه إليها أنظار الشعراء والكتاب والخطباء ، وقد كان بالفعل شاعراً وكاتباً وخطيباً ، وكان لذلك التوجيه تأثير شديد فى تلوين الأذواق الأدبية عند شعراء العراق ، فقد فتن مسلم بن الوليد بتلك الفنون فتنة شديدة شهدنا أثرها عند الطائى أبى تمام الذى حلف لا يصلى حتى يحفظ ديوان مسلم ابن الوليد .

وكذلك يكون بشار مؤسس مدرسة البديع ، ويكون مسلم وأبو تمـام العمادين القويين لهذه المدرسة الأدبية .

وقد اختل بناء هذه المدرسة فيا بعد حين انتسب إليها من لا يفقهون شيئاً فى هندسة الألفاظ والمعـانى ، ولـكن يكفى أن يكون من تلاميذها بديع الزمان والحريرى اللذان أتيا بالأعاجيب فى هندسة النثر الفنى .

ولم تخل هذه المدرسة من فضل ، حتى فى أيام الانحطاط ، فمن هذه المدرسة نشأ ناظمو البديعيات وشراح البديعيـات ، وهم قوم أبدعوا فى نشر الثقافة الأدبية .

وهناك جانب آخر هو قدرة بشار على جعل الشعر مادة أساسـية فى الحياة اليومية . فقد استطاع أن يقدم إلى أهل عصره جميع ما يشتهون ، فكانت أشعاره زاد اللاعبين واللاهين من الفتيان والفتيات ، وكانت كذلك مسلاة للباكيات والنائحات ، وساعده على ذلك افتقاره بسبب عاهته إلى الأنس بجميع الناس من عوام وخواص ، ورجال ونساء ، فدخلت إلى ذهنه صور كثيرة من حياة المجتمع ، واستطاع أن يصور الأفراح والأتراح تصويراً يمتزج بالنفوس والقلوب .

وقد راع معاصريه بهذه الألوان ، فهم الذين أنكروا عليه أن يقول :

ربابة ربة البيت تصب الخل فى الزيت
لهـا عشر دجاجات وديك حسن الصوت

وقد أجاب بأن هذين البيتين قيلا فى مدح امرأة عامية ، وهما عندها أحسن من « قفا نبك » وهو جواب يدل على بصره بمقامات الكلام ، فما يخاطب به العوام يختلف أشد الاختلاف عما يخاطب به الخواص .

وحيرة بشار بين المذاهب الدينية والسياسية منحته القدرة على التصرف فى تلوين الكلام بألوان مختلفات ، فهو يمثل عصره أصدق تمثيل ، وهو صورة للشاعر الفاجر المرتاب الذى يصارع الأمواج فى خضم القرن الثانى حين التقى البحران : بحر البداوة وبحر الحضارة فى محيط الحيـاة الاسلامية .

وغرام الناس بمكايدته ومغايظته خلق منه داهية من الدواهى : فهو يواجه الناس بمخازيهم ومعايبهم بلا تحفظ ولا احتراس ، وقد أمعن فى ذلك وأسرف حتى انتهى إلى القتل .

وانغماس بشار فى حمأة الحياة اليومية جعله من أقدر الناس على النكتة ، فهو شبيه كل الشبه

بظرفاء القاهرة فى هذه الأيام ، والدعابات الآتية تشرح مذهبه فى ذلك :

مر برجل قد رمحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً . فقال له بشار : استزده يزدك !

ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون بها المشى فقال : ما لهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم !

ودخل يزيد بن منصور على المهدى وبشار ينشده قصيدة مدح ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد فقال : ما صناعتك ياشيخ ؟ فقال : أثقب اللؤلؤ !

وهى كناية خبيثة لا يقدر عليها غيره فى ذلك الموقف .

ورفع إليه غلامه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فقال : والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

وعوتب على جمع الصلوات فقال : الذى يقبلها تفاريق يقبلها جملة !

ولبشار فكاهات كثيرة ، وهى تشهد بأنه كان وصل إلى غاية عالية من دقة الحس وبراعة الذوق .

وكان بشار صلة بين القديم والجديد ، القديم الذى يستمد قوته من الأخيلة البدوية ، والجديد الذى يستمد قوته من الأخيلة الحضرية . ولكن أهل زمانه فيما يظهر لم يكونوا جميعاً راضين عما فى أشعاره من طرافة الحديث ، ومن هنا رأيناه يشكو وجوده فى عصر الأذان ، يعنى عهد الاسلام . وربما كان فى هذه الغمزة ما يعبر عن مرض كان معروفا فى ذلك العهد ، وهو إيثار القديم فى جميع أحواله على كل جديد .

والرواة الذين عاصروا بشاراً جعلوه آخر من يُحتجُّ بشعره ، وذلك شاهد آخر على ضعف الثقة بقوة الأصالة اللغوية فى الشعر الاسلامى ، ويقوى هذا الشاهد إذا تذكرنا أنهم استثنوا بشاراً لينجوا من لسانه الخبيث .

والظاهر أن بليـة بشار بفقد بصره جعلته شديد الشوق إلى مظاهر الحياة ، فهو يلتمسها فيما يسمع وما يلمس . ومن أجل ذلك كان فى تشبيبه ميالا إلى الفتك ، ولو حفظ شعره كله لكانت له منزلة بين كبار الماجنين .

ويظهر أن انحراف بشار فى عقيدته الدينية والعربية صرف الناس عن تدوين شعره فضاعت منه ألوف القصائد ، ويتضح ذلك إذا تذكرنا مصير المؤلفين والشعراء والكتاب الذين ضاعت مصايرهم فى غمرة الفتنة الأثيمة فتنة الشعوبية .

وربما جاز أن يقال إن بشاراً لم يكن بفطرته خفيف الروح كأكثر العميان ، والذى يفقد خفة الروح يتناساه الناس عامدين .

وجملة القول فى بشار أنه استطاع بذكائه وإحساسه وجبروته أن يكون شخصية باقيـة فى الأدب العربى ، ولعل شهوده للانقلاب الهائل فى الدولة العربية وانتقالها من عهد إلى عهد كان له فضل فى تنبه قواه العقلية والذوقية . فما كان ذلك الانقلاب إلا رجة خطيرة مزعجة توقظ الغافيات من الأذواق والأحاسيس .

وأعظم الشعراء والكتاب والخطبـاء والمؤلفين هم الذين يشهدون عهود الانقلاب .

والشر قد يكون باباً إلى الخير فى كثير من الأحايين .

زكى مبارك

«البشارية» قبيلة من الرحل بين النوبة والبحر الأحمر. وتؤلف البشارية والعبابدة والمدنُدوَة وبنى عامر وقبائل أخرى صغيرة مجموعة متجانسة من الوجهة الجسمانية واللغوية ويضمهم جميعاً حتى فى الوقت الحاضر اسم واحد هو بُجه أو بِجه (انظر هذه المادة) وهو الذى أطلقه عليهم مصنفو العرب فى القرون الوسطى. (ويمكنك الرجوع إلى كتاب ماركار Marquart: *Benin* ص ٣١١ وما بعدها إلى جانب المصادر المذكورة فى مادة بجه من هذه الدائرة فيما يختص بتاريخ البجة القديم) ولا نعرف إلا القليل عن تاريخ البشاربة. وهم يعتبرون أنفسهم من سلالة العرب، ويربطون نسبهم برجل اسمه بشر. وليسوا كلهم من أصل عربى، كما أنه يجب علينا أن نذكر أن قبيلة ربيعة بدأت تختلط بالبجة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى). وأن رجلا اسمه بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة صاحب إقليم المناجم قدم فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلى هذا الموضع ومعه ثلاثون ألف رجل من البجة، أو الحدارب على وجه التدقيق، ولا يزالون يحتفظون بهذا الاسم إلى اليوم، ويعتبرون فى بعض الأحيان فرعاً من البشارية.

ولا نعرف على وجه التحقيق كيف أطلق عليهم اسم البشارية. ويعتبر المدندوة من البشارية أحياناً كما يعتبر الحدارب الذين يقطنون جنوبى سواكن من البشارية أحياناً أخرى مع أنهم قبيلة مستقلة من قبائل البجة. وينتج عن هذا أننا لا نستطيع تحديد موطنهم تحديداً دقيقاً. فهم يقطنون بوجه عام جنوبى العبابدة. ويقال إن البشارية يسكنون الأراضى المجاورة للقصير على البحر الأحمر كما أننا نجدهم كذلك عند أسوان (Baedeker: *Aegypten* ص ٣٢٥). وهم ينتشرون جنوباً إلى ما يلى عطبرة. ويقدر هارتمان فى *Zeitschrift für Ethnologie* (ج ١١: ص ١٩٧، ١٨٧٩ م) عددهم بأنه يتراوح بين ٥٠٫٠٠٠ و ٦٠٫٠٠٠ نسمة أما غيره فيقدر عددهم بأكثر من هذا.

وهم من الوجهة الجسمانية يوصفون بأنهم يشبهون العبابدة فرءوسهم مستطيلة وجبهتهم بارزة وتقاطيعهم مقبولة وعارضهم أوروبى على وجه التقريب وأجسامهم قوية البناء مفتولة العضل وبشرتهم بين السمرة الداكنة والسمرة المائلة إلى الاحمرار (Schweinfurth فى *Petermann's Mitteilungen*، ١٨٦٥ م ص ٣٢٨). كما أنهم يوصفون بخلال سيئة، فهم لا يكرمون الضيف، أشرار فيهم غدر وفضول، جشعون إلى حد التسول والسرقة.

وحضارتهم بدائية، وهم قوم رحل يملكون عدداً كبيراً من الإبل والماعز والغنم متوحشون فيهم حذر. ويقطنون فى الغالب بعيداً عن الآبار والطرق بينما نجد العبابدة مسالمين وأقرب إلى الإمانة أدلاء فى القوافل

ويرتدى الرجال من البشارية قطعة من القماش تغطى أجسامهم من الوسط إلى الركبة أما النساء فتغطى عوراتهن بحزام . وهم يعنون عناية فائقة بشعورهم يجعلون منها ذؤابة مدلاة من وسط الرأس بقطعة من الدهن بينما يجزون بقيـــة شعورهم . ويقول هجلان Heuglin (*Petermann's Mitteilungen* ، ١٨٦٠ ، ص٢٣٥) إن أسلحتهم الرئيسية هى المزاريق الخفيفة ، والخناجر ذات الحدين بنوع خاص

واعتنق جانب من البشـارية الإسلام منذ عام ٣٠٠ هـ ، ولـكنه لم يعمل على تحضرهم ، ونستدل مما أوردته المصنفات العربيـة أنهم كانوا منذ ألف ســـنة أكثر تحضراً مما هم اليوم ؟

المصـــادر

انظر إلى جانب المصادر المذكورة فى مادة « عابدة » :

(١) H. Almkvist : *Die Bishari-Sparache*، أبسالا ١٨٨١ — ١٨٨٥ م ، جـ ١ ، ص ٧ — ٨ ، وبها المصادر (٢) E Chantre : *Les Bicharieh et les Ababdah* ، ليون ١٩٠٠ م (٣) E. W. Budge : *The Egyptian Sudan* ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

[هارتمان R. Hartmann]

بشاور ، ناحية (تحصيل) ومدينة فى ولاية الحد البريطانية التى على الحدود الشمالية الغربية . وتمتد هذه الناحية بين خطى طول ٢٥َ ٧١° و٤٧َ ٧٢° شرقاً وخطى عرض ٤٠َ ٣٣° و٣١َ ٣٤° شمالا . ومساحتها ٢٦٣٧ ميلا مربعاً ، وعدد سكانها ٩٤٧,٣٢١ نسمة ٩٢ ٪ مسلمون وفقاً لتعداد عام ١٩٣١ م .

ويحد هذه الناحية من الشرق نهر السند الذى يفصل البنجاب عن هزارة ، ومن الجنوب الشرقى سلسلة جبال نيلاب غاشه التى تعزلها عن ناحيـــة كوهات ، وتحدها من الجوانب الأخرى نواحى تقطنها بعض القبائل أما من الجنوب فنجد قبيلتى حسن خيل والأفريدى وممر كوهات . ونجد فى الغرب أفريدى خيبر والملاكورى . وتنتشر شمالا عن الشاطئ الآخر من نهر كابل إلى نهر سوات عشائر موهمند المختلفة ، والحد الشمالى لهذه الناحية يجاور أراضى أتمان خيل ويوسف زائى سوات وبونر وخدوخيل وكادُن وأتمان زائى وتصل الممرات الجبلية التى لها شأن فى تاريخ الأقاليم على الحدود الناحيـة بالمناطق المحيطة التى تسكنها القبائل . وتؤدى ممرات مورا وشاكوت وما لاكند ، وهى فى الشمال الشرقى إلى سوات . ويربط ممر خيبر المشهور فى التاريخ ناحية بشاور بأفغانستان بينما يسير ممر كوهات إلى الجنوب مخترقاً شريطاً من أراضى القبائل إلى ناحية كوهات المجاورة . ويعرف هذا الشريط بشبه جزيرة جواكى .

وهناك ذكر لناحية بشاور فى المؤلفات الكلاسيكية القديمة وفيها كتبه استرابون

وأريان وبطلميوس. وقد كانت زمناً ماجزءا من مملكة قندهار البوذية القديمة. نستدل على ذلك من أطلال الهياكل البوذية المتداعية المبعثرة فى الاقليم ما بين ممر خيبر ووادى سوات. وقد أزيل التراب فى هذه المنطقة عن نماذج حسنة للتماثيل اليونانيه الوذية، كما عثر على لوحة صخرية مكتوب عليها قانون أزوكا بالقرب من قرية شاه بازكره فى أراضى اليوسف زائى. ووجد كل من فاهين فى الأعوام الاولى من القرن الخامس الميلادى وهيون تسانج فى القرن السابع الميلادى أن أهل البلاد كانوا على دين بوذا، كما وجدت نقوش تدل على أن پوروشابورا كانت حاضرة مملكات كنشكا؛ ثم أعقبت هذا قرون لم نسمع فيها عن هذه الناحية خبراً. وجاء بعدها عصر الفتح الإسلامى إذ حدث بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين أن انتشرت قبائل البطحان من الأفغانيـــة فى البلاد وفتحت ما نستطيع أن نسميه الآن على وجه التقريب الولاية الشمالية الغربية الحديثة التى على الحدود (T. C. Plowden: كليد أفغانى، الفصول من ١ إلى ٥، وهو عبارة عن مختارات من كتاب تاريخ مرصع).

وفى رواية أهل البلاد أن فرعين كبيرين من قبائل البطحان هما الخاخائى والغورية خيل قد هاجرا حوالى نهاية القرن الخامس عشر من أوطانهم فى الأقاليم الجبليـة حول كابل إلى وادى جلال آباد ومنحدرات جبل سفيد — وكانت أهم عشائر الخاخائى هى اليوسف زائى والكوكيانى والتركلانرى كما كانت الغورية خيل تنقسم إلى خمس قبائل هى: الموهمند والخليـــل والداؤدزائى والچمكنى والزرائى. وتقدم اليوسف زائى إلى ناحية بشاور الحديثة وطردوا أهلها المعروفين بالدلازاك وغزوا الإقليم الذى إلى شمال كابل وإلى غرب هوتى مردان. وما أن أشرفت السنون الأولى من القرن السادس عشر الميلادى حتى كان الغورية خيل قد وصلوا بدورهم إلى منطقة خيبر. وسلبت تلك القبائل القوية السكان الأصـــليين ممتلكاتهم وأجلت بعضهم إلى قوهستان سوات وأجبرت الدلازاك على عبور نهر السند. وبعد ذلك حاول الغورية خيل أن يجلوا الفرع الخاخائى ولكن اليوسف زائى هزموهم هزيمة منكرة.

ومنذ أن أصبحت ناحية بشاور الحديثة تقع على طريق الجيوش المغيرة من آسية الوسطى فقد أضحى تاريخها يشبه إلى حد كبير تاريخ البنجاب. وقد تبين أن بطحان هذا الجزء من الجنوب كانوا شوكة فى جنب أمراء الهند من المسلمين. ومع أنهم كانوا يدخلون فى نطاق الإمبراطورية المغلية بالاسم إلا أنهم لم يخضعوا تمام الخضوع بل إن «أكبر» و«أورنك زيب» قنعا بتأمين الطريق إلى كابل. وما إن اضمحلت قوة المغـــل حتى أصبحت هذه المنطقة جزءاً من إمبراطورية دُرّانى التى أسسها أحمد شاه أبدالى ودب

الانحلال فى أوصال الدولة فى عهد خلفاء أحمد شاه الضعفاء ، حتى استولى سيخ البنجاب على بشاور فى بداية القرن التاسع عشر وكان حكمهم متراخياً فزحت بشاور تحت يد القائد الإيطالى الباطشة أفيتابله Avitable ، ولما ضُمت البنجاب عام ١٨٤٩م لبريطانيا استتب الأمر للإنجليز فى وادى بشاور وأضحى جزءاً لا ينفصل عن البنجاب إلى أن تكونت الولاية الشمالية الغربية للحدود عام ١٩٠١م وإنا لنجد بحثاً مسهباً عن الإدارة الإنجليزية وعن الحمـــلات المختلفة التى أنفذت على القبائل التى تعيش على الحدود فى كتاب C. Collin Davies : *The Problem of the North West Frontier* وأصـــبحت هذه المنطقة فى السنوات الحديثة ميداناً لنشاط عبدالغفارخان مؤسس حركة القميص الأحمر. وقد عكرت هذه الحركة صفو السلام فى وادى بشـاور على الرغم من أنها تقوم فى جوهرها على عقيدة غاندى التى لا تؤمن بالعنف .

ويبلغ عدد سكان مدينة بشاور حاضرة الولاية الشمالية الغربية للحدود ٨٧,٤٤٠ نسمة وهى بالقرب من الضـفة اليسرى لنهر باره ، وعلى مسيرة ثلاثة عشر ميلاً شرقى ممر خيبر وزادت أهميتـها بصفتها مركزاً تجارياً على الطريق الرئيسى بين الهند وأفغانستان منذ أن أنشئ خط خيبر الحديدى عام ١٩٢٥م. وللمدينة ستة عشر باباً توصد كل ليلة وتفتح قبل شروق الشمس . وأغنى أجزائها وأندر شهر، وفيها يسكن السراة من الهندوس . وفى هذا الحى المشهور بمناراته المرتفعـة من المرمر الأبيض مسجد مهابت خان الذى كان حاكماً فى عهد شاه جهان . ويشرف على المدينة من شمالها الغربى قلعة تعرف بـ « بالاحصار » . أما « شاهى باغ » بما فيها من أراض واسـعة كثيرة الظلال فانها مأوى الأهالى المحبوب أيام الربيع . وقد ذاعت شهرة «قصه خوانى» أى سوق القُصّاص فى طول الحدود وعرضها وما وراءها .

ويوجد على مسيرة ميلين غربى المدينـة اقطاعيات سكانها ٣٤,٤٢٦ نسمة ، وهى أهم المحطات العسكرية فى الولاية ، وعلى بعد مايقرب من ثلاثة أميال غربى هذه الاقطاعيات كليـة إسلامية الشهيرة تفتح أبوابها للطلاب من جميع المذاهب والأديان بالرغم من أنها كلية إسلامية فى الصميم ؟

المصـــادر

(١) C.Collin Davies : *The Problem of the North—West Frontier* ، عام ١٩٣٢
(٢) المؤلف نفسه : *British Relations with the Afridis of the Khyber and Tirah* فى *Army Quarterly* عدد ينـــاير ١٩٣٢،
(٣) M. Foucher : *Notes sur la gèographie ancienne* [illegible] *Gandhàra* عام ١٩٠٢
(٤) *Frontier* [illegible] *Overseas Expeditions from India* ، جـ ١ ، عام ١٩٠٧ والملحق رقم

عام ١٩١٠ (٥) Imperial Gazetteer of India انظر بشاور (٦) H. R. James: Report on the Settlement of the Peshawar District عام ١٧٦٥ (٧) North- [illegible] Frontier Province Administration Reports وهى تقارير سنوية (٨) W. H. Paget et A. H. Mason: Record of Expeditions against the N.W. F.Tribes since the annexation of the Punjab ١٨٨٥ (٩) Panjab Administration Repots وهى تقارير سنوية (١٠) Peshawar District Gazetteer، جـ ا عام ١٩٣٣ (١١) T. G. Plowden: Kalid-i Afghani، عام ١٨٧٥ (١٢) H. Priestly: Hayat-i Afghani عام ١٨٧٤

[C. Collin Daviés ديفز]

« بش برمق »: ومعناها الأصابع الخمس، وهى تطلق على نبات العرفج وترد هذه الكلمة مركبة مع كلمة داغ وتطلق فى هذه الحالة على كثير من الجبال، وأشهر الجبال المعروفة باسم بش برمق داغ هى السلسلة الموجودة فى كاريا Carie القديمة على الضفة اليسرى لنهر مندرس Méandre وكانت تسمى فى العهود الغابرة لاتموس Latmos .

وقد سميت هذه الجبال بذلك الاسم لأن أعلى قممها عبارة عن خمس قنن وعرة يبلغ ارتفاعها خمسة آلاف قدم تقريباً ؟

[F. Giese جيس]

« بشتو »: أنظر « أفغانستان »

« البشر »: جبل بالشام ذاع اسمه لأنه أطلق على يوم من أيام العرب ويحتمل أن يكون عين الجبل المعروف الآن بجبل بشرى. وهذا الجبل يمتد ناحية الشمال الشرقى من تدمر إلى الفرات. ورسم كيبرت R. Kiepert فى مصوره الجغرافى مكاناً يعرف باسم رحوب فى وسط جبل بشر. ومما يجعلنا نقول بأن البشر هو عين جبل بشرى، أن اسم رحوب يطلق أيضاً على يوم البشر. وهناك جسور مرفوعة لنقل المياه من هذا الجبل إلى oriza. ويذكر الأخطل فى شعره أن البشر فى الطرف الأقصى ناحية الغرب من أرض بنى تغلب. ويروى أن خالد بن الوليد باغت بنى تغلب بالبشر فى مسيره من العراق إلى الشام. وإذا كان الأخطل من أهل الشام، وهو أمر قد لا يرقى إليه الشك، فإن موطنه يكون فى إقليم البشر. وفيه داهمته الوقعة الأخيرة من تلك الحرب الطويلة العنيفة بين قيس وتغلب وهى التى تعرف ب« يوم البشر». واتفق أن كان الأخطل بحضرة عبد الملك بن مروان فأخذ يسرف فى الفخر بقبيلته على حساب بنى قيس وعرّض بجحاف

ابن حُكَيم وهو من وجوه بنى سليم شجاع سريع الغضب ، ولم يكن الأخطل حصيفاً فى تحديه لأن الجحاف على الرغم من أنه كان قد انجذب فى النزاع بين قيس وتغلب فى بدايته إلا أنه فيما يبدو ظل محايداً أول الأمر، لكنه أقسم أن يثأر لنفسه بعد أن عرض به الأخطل ، فخرج فى ألف من بنى قيس تحت جنح الليل وباغت بنى تغلب فى عسكرهم بالبشر . فقتل رجالهم وبقر بطون الحبالى من نسائهم . وقُتل فى هذه الوقعة ابن للأخطل يدعى أبا غياث . ولم ينقذ الأخطل إلا حضور بديهته إذ تخفى فى زى عبد وبذلك خلى سبيله ، وأسرع بالذهاب من البشر إلى دمشق مطالباً بالثأر فاضطر الجحاف إلى الالتجاء لأرض الروم ، ولكنه عاد بعد أعوام واعداً أن يدفع الدية ؟

المصادر

(١) ديوان الأخطل ، ١٠ — ١١ ، ٢٨٦ (٢) الأغانى ، جـ ١١ ، ص ٥٩ — ٦٠ (٣) البلاذرى ، طبعة أهلوارد ، ص ٢٨٣ (٤) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦٣١ (٥) الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢٠٦٨ ، ٢٠٧٢ — ٢٠٧٣ (٦) جرير ، النقايض ، طبعة Bevan ، ص ٤٠١ — ٤٠٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ (٧) H. Lammens : *Le Chantre des Omiades* ، ص ١٤٠ — ١٤٣ (٨) Barth فى *Wiener Zeitschr. f. Kunde des Morgenl.* ، ١٩٠١ م ، ص ٨٠ .

[H. Lamm[redacted] لامنس]

« بشر » بن البراء : صحابى . اشترك وأبوه البراء بن معرور فى بيعة العقبة الثانية . واشتهر بالرماية وشهد بدراً وأحداً والأحزاب والحديبية وخيبر . ولما تمت غزوة خيبر عام ٧ هـ (٦٢٨ م) دست امرأة يهودية تدعى زينب بنت الحارث السم لبشر لأنها فقدت فى الحرب جميع أقاربها من الرجال فأرادت أن تنتقم لهم ، فذبحت شاة وقدمتها للنبى بعد أن دست السم فيها ، وقبل النبى هديتها وأشرك معه فى الطعام جماعة من أصحابه بينهم بشر ابن البراء . وأدرك النبى فى التو ماذا أريد بهذه الشاة فلفظ السم ، ولم يفعل بشر ذلك لمجافاته للذوق فى حضرة النبى وابتلع نصيبه من اللحم المسموم . وتقول بعض الروايات أنه مات لتوه ، بينما تقول روايات أخرى أنه لم يمت إلا بعد ذلك الحادث بعام ؟

المصادر

(١) ابن سعد ، جـ ٣ القسم الثانى ، الباب الثالث وما بعده (٢) ابن هشام : طبعة فستنفلد ، ص ٣٠٩ ، ٧٦٤ (٣) الطبرى : جـ ١ ، ص ١٥٨٣ وما بعدها (٤) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ (٤) أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٨٣ وما بعدها (٥) Caetani : *Annali dell' Islam* ، أنظر الفهرس .

[K. V. Zettersteen زترشتين]

« بِشْر » الحافى : متصوف مشهور ، ولد عام ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) فى « ماترسام » وهى قرية من قرى مرو . ويكنى أبا نصر وكان أبوه يسمى الحارث . واستقر بشر فى بغداد وفيها اجتمع حوله عدد من أصحاب الزهادة والورع بث فيهم تعاليمه . وتوفى فى دار السلام عام ٢٢٦—٢٢٧ هـ (٨٤١ م) . وقبره عند باب الحرب مزار مشهور منذ أمد طويل ؟

المصــــادر

(١) ابن خلكان : طبعة بولاق عام ١٢٩٩ هـ ، جـ ١ ، ص ١٥٨ (٢) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ٥٧ وما بعدها (٣) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ، طبعة نيكولسون Nicholson ، جـ ١ ، ص ١٠٦ وما بعدها (٤) الهجويرى : كشف المحجوب ، ترجمة نيكولسون ، ص ١٠٥ وما بعدها .

« بِشْر » بن أبى خازم أو بشر بن أبى حازم : شاعر جاهلى من قبيلة أسد ابن خُزَيمه (الكامل ، طبعة Wright ، ص ٤٢ ، س ٩ ؛ ص ١٣٣ ، س ١٧ ؛ ابن قتيبة : طبقات الشعراء ، طبعة ده غوى ، ص ١٤٥ وما بعدها) . وبشر هذا هو الذى أنبأ حرب بن أمية ومن اجتمع معه من رؤساء قريش فى سوق عكاظ أن البرّاض حليف حرب قتل عروة الرحّال من هوازن . واستطاعوا بذلك استرداد سلاحهم من جشم بن جذعان والرحيل عن عكاظ قبل أن تبلغهم هوازن فى يوم الفجار الثانى الذى استعر من عام ٥٨٥ إلى عام ٥٨٩ م . وكان بشر حسن الصلة بحاتم الطائى وقد حدث مرة أن ركب النابغة الذبيانى وعبيد ابن الأبرص الأسدى وبشر بن أبى خازم يريدون النعمان فى الحيرة فقابلوا بدوياً يرعى الإبل وطلبوا إليه أن يستضيفهم وكان ذلك البدوى حاتم الطائى ، فنحر لكل منهم ناقة لأنه رآهم من قبائل مختلفة وأراد أن تعمم كل قبيلة بكرمه . ونستدل من حديث بشر مع حاتم انه لم يكن من أسد وإنما كان من قريش ، ولما حكم النابغة بتفوق أوس بن حارثة على حاتم وكلاهما من طىء هجا بشر أوساً بقصائد حتى إذا أسره نفر من الطائيين نجاه أوس منهم فدحه بقصائد محا بها السالفة .

ولم يبرأ شعر بشر من العيوب فقد ذكر أن بشراً والنابغة هما أول شاعرين من شعراء الطبقة الأولى وقعا فى الإقواء ، ولكنهما لما نبها إلى ذلك لم يعودا إليه . ويقال أيضاً إن بشرا لم يكن صادق الوصف دائماً مثال ذلك أنه ذكر للجواد أبهرين[1] (ابن قتيبة ص ١٤٦) ويستشهد بشعره فى غرابة استعمال الألفاظ (الحماسة ، ص ٢٤٧) . وقد مدح الحارث ابن حُجر بعدة قصائد من شعره (كتاب الأغانى ، جـ ١٥ ، ص ٨٧) .

(١) هو العريان الأورطى ، وللجواد أبهر واحد لا أبهران

واشترك بشر فى الحرب التى نشبت بين أسد وطىء، وشهد وابنه نوفل تهادن الفريقين. وذكر فى شعره يوم النسار الذى ألحقت فيه أسد وذبيان الهزيمة بُجشم بن معاوية.

ويُسلك شعره فى المفضليات كما يذكر فى جمهرة العرب. وفيه آراء فذة وأوصاف غريبة نجد مصداقها فى ميميته.

وقُتل بشر فى غارته على بنى وائل إذ رماه واحد منهم بسهم فى صدره، فسقط عن جواده. وفيما هو ملقى على الأرض أنشأ عدة أبيات ينعى نفسه فيها لابنته ؟

المصـــادر

تذكر إلى جانب المراجع المذكورة فى صلب المقال :

(١) C. Freytag: *Arabum Proverbia*

(٢) Caussin de Perçeval: *Essai*، ج ٢ ص ٥١٠

[فير T. H. Weir]

« بشر » هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث ابن أبى كريمة المريسى مولى زيد بن الخطاب : من أئمة المرجئة فى عصره. وقد كان أبوه يهودياً يسكن بغداد. وتفقه بشر بالقاضى أبى يوسف حتى برع فى علوم كثيرة ثم اشتغل بعلم الكلام والقول بخلق القرآن، فاضطهد من أجل ذلك. وكان تقياً زاهداً إلا أن مجاهرته بأنظاره فى علم الكلام، وهو علم كان المسلمون يرتابون فيه، نفرت منه خيارهم

وقال فيه أبو زرعة الرازى : بشر بن غياث زنديق. وتوفى بشر سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م).

ولم يستطع المعتزلة أن يجهروا بالقول بخلق القرآن إلا أيام الرشيد، وكانوا قبل ذلك يستمرونه، فلما ترامت الأخبار إلى الرشيد بأن بشراً المريسى يقول بخلق القرآن حلف بالله لو وقع فى يده لقتله قتلة لم يقتلها أحداً من قبله، فاختفى بشر أيام الرشيد أى زهاء عشرين عاماً، وظل كذلك فى عهد الأمين بعد وفاة الرشيد حتى إذا ولى المأمون الخلافة وجد المعتزلة أنصاراً بين رجال الدولة.

ويقول الشهرستانى إن بشر بن غياث وحسين النجار متقاربان فى المذهب، وهما على خلاف عامة المعتزلة، قد قالا بأن الله تعالى مريد لكل ما سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر ...

ويرى بشر أن أصحاب الكبائر غير مخلدين فى النار لأن التخليد فيها محال وليس بعدل. وقال إن الإيمان هو التصديق بالقلب واللســـان جميعاً ؛ وإن السجود للصنم ليس بكفر فى نفسه ولكنه علامة الكفر.

وكان بشر على مذهب أبى حنيفة ومن أصحاب الرأى ؟

المصـــادر

(١) الشهرستانى، طبعة *Cureton*، ص ٦٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٦١ (٢) أبو المحاسن، طبعة جوينبل، ج ١، ص ٦٤٧ والتعليق (٣)

بن خلكان (٤) M. Th. Houtsma : De Strijd over het Dogma ، ص ٧٩ ( ) W. Patton : Ahmed ibn Hanbal and the Mihna ص ٤٨ .

[كارّاده ڤو Carra De Vaux]

« بشر » بن مروان بن الحكم : هو ثالث أبناء الخليفة مروان من امرأة بدوية من بنى كلاب ، ورث عنها ابنها بشر اعتزازه ببنى قيس . تركه مروان فى رعاية أخيه الأكبر عبدالعزيز ، ولكنه انتقل إلى كنف عبدالملك عند استخلافه . وقد حمل فى حداثته اللواء يوم مرج راهط ، ولما توفى مصعب بن الزبير استعمله عبد الملك على الكوفة .

وكان بشر محباً للفنون مدمنا على الشراب يقرب الشعراء والمغنين يغشاه البدو لجلده إياهم . وقد أطنب الشعراء فى مدحة لكرمه وبشاشته ، كما تغنى بمدحه مشاهير الشعراء فى هذا العصر من عصور النهضة الأدبية نذكر منهم الأقيشر عبد الله بن الزبير وأيمن بن خُرَيم ثم الأخطل والفرزدق وجرير . وأرسل إليه عبد الملك أحد وزرائه المخلصين روح ابن زنباع إلى جانب الفقيه المشهور رجاء ابن حيوه ، ولكن بشراً لم يستمع لنصحهما طويلا وتخلص منهما . ولما صرف خالد ابن أسيد عن منصبه وُلّىَ بشر على البصرة إلى جانب الكوفة مع ما كان عليه من ضعف الصحة وقتذاك . ولم يمض طويل وقت حتى ظهر الأزارقة فى الميدان ثانية . وكان بشر يكره القائد الفذ المهلب الذى أمر بالقضاء على فتنة الأزارقة ، وبلغ الأمر ببشر أن طلب إلى نائب المهلب إفساد خططه وهكذا عرقلت حركات المهلب فظل معسكراً قبالة العدو أسابيع عدة حتى مات بشر فجأة فى ميعة العمر (٧٤— ٧٥ هـ = ٦٩٤م) . وكان نبأ وفاته باعثا للجند على الانسحاب ، فأراد الملك أن يصلح الموقف فاستعمل الحجاج المعروف بالقدرة والحزم على العراق بأسره ؟

المصـــــادر

(١) ابن سعد : طبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤ (٢) الأغانى ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، ١٣٤ ؛ جـ ٧ ، ص ٥٢ ، ١٨٥ ومابعدها ، جـ ٧ . ص ٤٢—٤٥ جـ ١٩ ، ص ٣٣ ؛ جـ ٢٠ ، ص ١٢٢ (٣) ديوان الأخطل ، ص ٤٠ ومابعدها ؛ ٦٣ وما بعدها ، ١٧٣ (٤) المسعودى: مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٥٤ (٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ص ٢٠٧ (٦) الطبرى : جـ ٢ ، ص ٨٥٦ (٧) ابن عساكر ، مخطوط بدمشق ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ — ١٨٠ (٨) H. Lammens : Chantre des Omiades ، ص ٤٦٥ (٧) ديوان الفرزدق ، طبعة Boucher ، ص ١١٨ ، ١٦٦٠ ، ١٨٥

[لامنس H. Lamméns]

« بِشْر » بن المعتمر : أحد علماء المعتزلة وشيخ من شيوخ مدرسة بغداد ، عاش فى خلافة الرشيد (المسعودى : مروج الذهب ، الترجمة الفرنسية ، جـ ٦ ، ص ٣٧٣). وقد عدد الشهرستانى ست مسائل انفرد بها بشر عن أصحابه من علماء المعتزلة ، فهو أول من أثار مسألة التولد وتعرف أيضـاً بالتوليد (التعريفات) وهو أن يحصل الفعل عن فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح بحركة اليد . وأشار الشهرستانى إلى أن بعض الطبيعيين درسوا الأفعال المتولدة ، ولكن بشراً قد أخذ بهذا الرأى فى الأخلاق ، وأظهر أن الفاعل المتوسط قد يلطف الفعل ويقلل من تبعة الفاعل الأصلى ، وثارت مناظرات كثيرة حول هذه المسألة مذكورة فى كتاب المواقف (ص ١١٦ — ١٢٥) .

وتحدث بشر بن المعتمر كذلك عن الإرادة الألهية فقال إنها صفة لذاته تعالى وصفة لفعله ، كما بحث مسائل هامة فى موضوع العدل الإلهى فتكلم عن العـدل الإلهى بالنسبة للأطفال وعن لطفه تعالى بعباده الذين لم تبلغهم الرسالة ، كما تحدث عن التوبة والثواب . أما القول بأن الله قادر على تعذيب الطفل فقد ذهب بشر أن فى هذا القول تناقضا لأنه لو فعل ذلك كان الطفل بالغا عاقلا عاصيا بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب . وهو يعتقد أن الناس الذين لم يسمعوا بالرسالة يعلمون البارى بالنظر والاستدلال ، كما يذهب إلى أن هذه الدنيا ليست الأصلح ، وأنه لا يجب عليه تعالى رعاية الأصلح ، وإنما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ، ويزيح العلل بالدعوة والرسالة ؟

[كارّا ده فو Carra de Vaux]

« بِشْر » بن الوليد بن عبد الملك : هو ابن الخليفة الوليد الأول من أم ولد ، وقد عُرِف بعالم بنى مروان لغزارة علمه . ويُخلط بينه وبين أخيه روح بن الوليد الذى قد يذكر خطأ بهذا اللقب نفسه . وكان بشر أميراً للحج عام ٩٥ هـ . كما اشترك فى بعض الفتوح بآسية الصغرى . وولى قيادة الأسطول المصرى فرسا فى تراقيا ووصل فى توغله حتى أدرنة . ولا نعرف تاريخ وفاته . وتزوج من سعدى مطلقة الخليفة الوليد الثانى ، واشترك فى الثورة عليه وكان على قيد الحياة بعد أن لقى الوليد مصرعه ؟

المصـــادر

(١) ذكر ابن عساكر فذلكة صغيرة عن بشر بن الوليد فى المجلد الثانى من مخطوط بدمشق (٢) ابن قتيبة : المعارف ، طبعة القاهرة ، ص ١٢٣ (٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٦٢ (٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣ (٥) De Geoje : *Fragm. hist. arab.* ، ص ١٢ — ١٤ (٦) الطبرى ، جـ ٢ ، ص ١٢٧٠ ، ١٧٨٧ (٧) الأغانى : جـ ٦ ، ص ١٣٧

[لامنس H. Lammens]

« بشرى » : وتنطق الآن « بشِرّه » من أقدم القرى فى شمالى لبنـان وتعرف ناحية بشرى عادة فى مصنفات جغرافيى العرب باسم جبـــة بشَرّيّة أو بشرى ، واحتفظت باسمها هذا إلى اليوم . وكانت هذه الناحية تابعة فى عهد المماليك لنيابة طرابلس ، وكان يحكمها مقدمون من النصارى ، وتنمو بالقرب من بشرّى أشجار الأرز المشهورة التى لم يذكرها واحد من كتاب المسلمين . ومدينة بشرّى ذات السوق الكبير وعدد سكانها ٣,٠٠٠ نسمة تابعة لقائمقامية بترون . والناحية بأسرها مارونية ؟

المصـــادر

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، مخطوط بجامعة بيروت [طبعة دار الكتب المصرية] ج ٢ ، رقم ١١٧٧ (٢) المؤلف نفسه : ضوء الصبح ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ص ٢٠٤ (٣) العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢ هـ ، ص ١٨٢ (٤) الدمشقى : طبعة مهرن Mehren ، ص ٢٠٨ (٩) دليل لبنان ، بعبـدا ، ١٩٠٦ م ، ص ٦٨٧ (٦) Ritter : *Erdkunde* ، ج ١٧ ، ص ٦٥٩ (٧) H. Lammens : *Le Liban, Notes Archéologiques etc.* ج ، ص ١٢٧ وما بعدها

[لامنس H .Lammens]

« البُشرات » المرجح أن هذا الاسم — Albujarras ألبوجرّاس — مشتق من البشرات العربية (وقد رسمها الإدريسى فى نزهتـه : البشارات)(١) ومعناها المراعى

(١) لم يبين مؤلف المادة ، بعد إذ أشار إلى ورود كلمة البشارات فى نزهة المشتاق بألف بعد العين ، خطأ هذا الرسم لأنه عنى فى بحثه بالموضوع دون اللغة . لذا نقول إن البشارات خطأ صوابه البشرات ، إذ الأولى جمع بشارة وهى النبأ السار . والثانية جمع بشرة وهى الأرض الخصيبة ذات المراعى والعشب . وهــذا هو معنى الجملة الاسبانية التى أوردها ذلك المؤلف للتعريف بالبشرة ، وقد جاء ذكر البشرة على وجهها الصحيح فى كتاب نفح الطيب عند كلامه على البشرات إذ قال « ومنها بشرة غرناطة . . التى كان فيها شجرة من عجائب الدنيا وهى شجرة قسطل (أبو فروه) كان فى جوفهـا حائك ينسج الثياب » وقال : « إن الألنجوج وهو عود الطيب يوجد بناحية من هذه البشرات تسمى دلاية (Dalias) وهو يفوق العود الهندى رائحة » ؛ وقد زعم بعض المحققين الأفرنج أن البشرات أو منطوقها الأفرنجى وهو البوجراس Albujar[illegible] مأخوذ من البجس (بضم ففتح) أو من البشش (بضم ففتح أيضاً) Albujas مؤيدين زعمهم بأن هذه الكلمة أو تلك لقب لزعيم من العرب اسمه إبراهيم كان أول من هبط تلك البقعة . وفى هذا لتخريج من التعسف ما لا يخفى ، فإنما أطلقت البشرات عليها لخصبها وانتشار مراعيها . وهو إطلاق قد أصاب شاكلة الصواب اللغوى . فقد جاء فى تاج العروس أن البشرة هى البقل والعشب ، وفى الفيروز ابادى أبشرت الأرض أخرجت بشرتها أى ما ظهر من نباتها ، وفى أساس البلاغة ما أحسن بشرة الأرض أى ما أحسن ما يخرج نباتها . والواقع أن إقليم البشرات قد امتاز على الأقاليم الأندلسية بأشجاره الباسقة ونباتاته المثمرة وخاصة منها الزيتون واللوز والأترج المعروف بالتفاح الماهى

هــذا وكان إقليم البشرات فى أيام العرب زاهراً بالحضارة والعمران إذ تجاوز عدد قراه ٦٠٠ قرية . أما الآن فقد انحط هذا العدد إلى ٥٠ فحسب . ومن أشهر أمصاره مدينة جيان Jaen التى نبغ فيها ابن مالك صاحب الألفية المعروفة فى علم النحو

محمد مسعود

الخصبة من الأعشاب . وفى لغة الأسبان [redacted] de yerba y de pastos وتطلق فى الموضوع على الأحواز الجبلية التى يسايرها فى الجنوب جبل سيرا نيفادا[١] حتى البحر المتوسط فيما بين بلدتى مطريل وعدره[٢] فالمرية . غير أن ما يسمى على الأخص بالبشرات إنما هو الأودية والفجاج الكثيرة الخصبة التى يتلاقى بعضها ببعض فى تلك البقعة . نذكر منها بادول Padul ووادى بزنار Béznar ووادى سنيارون Sanjaron ووادى أرجيڤا Orgiva ووادى قاديار Cadiar ووادى أجيار Ugiyar ووادى القليعة Alcoléa ووادى لانيار Lanjar

(١) أسمى العرب سلسلة الجبال المسماة فى جغرافية أسبانية بـ Sierra Nevada جبل الثلج أى بعدلول اسمه الأسبانى . وأسموه أيضاً جبل شلير بضم الشين وفتح اللام وسكون الياء « كما فى معجم ياقوت الذى قال فى التعريف به : « إنه جبل بالأندلس من أعمال البيرة (Elvira) لايفارقه الثلج شتاء ولاصيفا » . وتسميتهم إياه كذلك هى لأنهم أخذوه عن أصله اللاطينى القديم وهو Mons Solorius اى جبال شلوريوس

وجبل الثلج أو جبل شلير من أعلى جبال أشبانية إذ يزيد ارتفاعه بقدر ١٠٢ متراً على أعلا قمم جبال البرانس أو البرتات (بتاءين) . ولعلوه السامق يراه الرائى من ثغر وهران بالجزائر كأنه ضباب يكدر الأفق . وتمتد سلسلة جبال الثلج بطول ١٥٠ كيلو متراً من أقليم غرناطة إلى أقليم المرية Almería . ومن « ثلوجه الهاطلة » ، وهذا هو المعنى الدقيق لكلمة Nevada فى الأشبانية « تتولد مياه نهر شنيل الذى يسميه الفرنسيون Génil والأشبانيون Xenil . والاسم فى الحالتين عربى الأصل يتألف من حرف (ش) وكلمة (نيل) ومعناها (ألف نيل) لأن الشين بحساب الجمل كان يعدل عند الأندلسيين وأهل المغرب الأقصى رقم (١٠٠٠) فيكون المراد من شنيل أن نهر غرناطة الذى أسمى به يعدل (ألف نيل) كنيل مصر

وأعلى قمم جبال شلير القمة المعروفة باسم Cerro Mola Hacen أى قمة مولاى حسن الذى دالت دولة العرب نهائياً بالأندلس فى عهد ابنه أبى عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر الذى يسميه الأفرنج Boabdil

محمد مسعود

(٢) يذهب المترجمون فى أيامنا وبمناسبة حوادث الثورة الأسبانية إلى تعريب Adra أحد الثغور الكثيرة المتعاقبة على ساحل جنوب الأندلس بعضهم إلى « أدرا » طبقا لمنطوقه الأفرنجى، وبعضهم إلى « عذراء » ظنا منهم أن هذه الكلمة هى أصلها العربى . وهؤلاء يجهلون بلا شك أن أكبر معجم فرنسى وهو المعلمة الفرنسية الكبرى La Grande Encyclopédie française قد سبقتهم إلى هذا الخطأ فى التعريف بكلمة Adra إذ قالت إنها عربية الأصل وإن معناها هو الأرض البكر (العذراء) معللة ذلك بأن العرب كانوا أول من وطأ ثراها الخ . وهذا التخريج لايطابق الصواب فى نظرى لأسباب منها: أن مدينة Adra عريقة فى القدم ، إذ أسسها القرطاجيون ووسع الرومان من بعدهم نطاقها ، وكان هؤلاء يسمونها Abderi ويصكون نقودهم بهذا الاسم ويكتبونه فى شاراتهم ورنوكهم . فلما استولى العرب عليها حذفوا الباء للتخفيف وفتحوا الراء بعد كسرها فصار اسمها Adera وتحول حرف A الأول إلى حرف (ع) العربى فأصبح (عدرا) أو (عدرة) . ولكن الادريسى فى نزهته جعل الدال فى هذه الكلمة ذالا فصارت عذرة بفتح العين فى قوله : « عذرة مدينة صغيرة لاسوق لها وبها الحمام والفندق » الخ . وعذرة بهذا الرسم والضبط كلمة لا معنى لها بل لا وجود فى اللغة العربية على خلاف (عدرة) بالدال فإن معناها الأرض المطورة أى التى يقع عليها المطر الغزير . ومن حسن الاتفاق أن الارباض حول عدرة تلقى نصيبا وافياً من الأمطار التى تبث فيها الخصب وخواص النماء « فمن الحق أن تكون هذه الكلمة اسمها الصحيح لتوفير أسباب المطابقة بين الاسم ومسماه مبنى ومعنى

محمد مسعود

ووادى كانيار ار Canjayar ووادى رجل Ragol ووادى جادور Gador — وقد اشتهر سكان القرى المنتشرة فى تلك الأودية المتقاطعة فى كل اتجاه بالميل إلى الفتنة والعصيان . وكانوا فى عهد قيام الدولة العربية بالأندلس كثيراً ما ينزعون إليهما ، وبلغ من هذا الميل أن حفل تاريخهم حتى بعد سنة ١٤٩١ بذكر حركاتهم الثورية وبخاصة منها تلك الثورة التى شب ضرامها بين سنتى ١٥٦٨ و ١٥٧٠ بقيادة اثنين من ملوكهم وهما ابن أميــــة Aben Humeya وعبد الله بن آبو ، وأطفأ جذوتها المركيز مونديار Mondéjar ودون جوان دوتريش Don Juan d'Autriche فى دماء أولئك القوم عنــــدما نكلوا بهم ذبحا وتقتيلا(١) .

« بشلك » عملة تركية ضربت إبان الإصلاح النقدى الذى وضـعه السلطان سليمان الثانى (١٠٩٩ – ١١٠٢هـ = ١٦٨٧ — ١٦٩١م) وأساسها غروش (وهو Grossus ، Gros ، Groat فى البلدان الأوروبية) . وكان الغروش الأجنبى هو المتداول فى تركيا إلى ذلك العهد ، ولم تضرب الحكومة التركية الغروش بنفسها إلا فى عهد هذا السلطان ، وكانت أجزاء الغروش تسمى باره ، وكل خمس بارات تساوى بشلك ، ولكننا لا نعلم كم عدد البارات التى كان يتألف منها الغروش فى الأصل ، فذهب فستانلى لين پول Stanely Lane Poole إلى أن الغروش كان يساوى عشرين باره . وكانت هذه النسبة دائمة التغير تبعاً للانخفاض التدريجى فى قيمة النقد .

والغروش عادة يساوى أربعين باره .

---

(١) المعروف أن دولة العرب فى أشبانيا دالت فى سنة ١٤٩١ (٨٩٧ هجرية) وحلت محلها دولة المسيحية ولـكن ما يسميه المسيحيون بطرد العرب من الأندلس لم يمنع من استقرار الكثيرين من هؤلاء فيها وبخاصة فى جنوبها حيث أودية البشرات وجبالها التى عرف عن أهلها من قديم الزمان حب النزوع إلى الاستقلال . وقد عاشوا نحو مائة عام وهم فى ذمة الحـكومات المسيحية دون أن يكفوا عن مصارعتها والتمرد عليها ، وفى سنة ١٠٧٠ (٩٧٨ هجرية) ضيقت الحـكومات الخناق عليهم وأرادت الفتك بهم فقاموا قومة رجل واحد بزعامة رجل أسماه المؤرخون الاسبان Aben Humeya . ويقول المؤرخون الأسبان أن الصلة بين أولئك القوم وبين الشعوب الاسلامية الأخرى كانت قد انقطعت تماماً منذ سنة ١٤٩١ ولم يوجد من بينهم من ألف فى تاريخ حوادثهم والنكبات التى حلت بهم كتابا نعرف منه أسماء زعمائهم ومن ذلك الزعيم الذى لك أن تسميه تجاه هذا النقص وعلى أقرب الفروض بابن أمية . وقد قام من بعد ابن أمية هـــذا زعيم آخر جاء عنه فى أسفار التاريخ الأسبانية أن اسمه عبد الله بن أبو Abdalla Aben Abo . ولست أدرى مبلغ رسم هــذا الاسم من الصحة لذلِ السبب المتقدم . ولـكن المعروف من حوادثه فى تلك الأسفار أن الثوار البشراتيين نادوا به ملـكا عليهم معظم أمره وكاد يتغلب على الأسبان لولا أن كلمة قومه تفرقت وأن وحدتهم بدسِ نس العدو تمزقت . ومما ذكرته تلك الأسفار عنه أنه اســتولى على دير للأوغستان Augustins والقى رهبانه فى الزيت المغلى وأن الأسبان انتقموا من المسلمين بإعمالهم بالسيف على رقاب ألف امرأة عربية وثلثمائة رجل عربى . وهذه الفتنة هى التى قال كاتب المادة أن الأميرين المسيحيين الذين ذكر اسميهما أطفآها فى دماء العرب الذين لم تقم لهم فى أسبانيا قائمة بعد ذلك

محمد مسعود

وأقدم بشلك وصل إلينا ضُرب فى عهد السلطان أحمد الثالث الذى حكم من عام ١١١٥ إلى عام ١١٤٣ هـ (١٧٠٣ — ١٧٣٠ م). وأبقى على البشلك الذى يسمى كذلك جيرك فى النظام النقدى الجديد الذى وضع فى المحرم من عام ١٢٦٠ هـ (فبراير ١٨٤٤ م) أيام السلطان عبد المجيد. وكلمة جيرك مأخوذة من كلمة چهار يك ومعناها رُبع، ذلك لأنه يساوى رُبع المجيدية أى خمسة غروش. وهى بمقدار الفرنك الحالى تقريباً ؟

المصـــادر

(١) اسماعيل غالب أدهم: تقويم مسكوكات عثمانية، القسطنطينية عام ١٣٠٧، وترجم إلى الفرنسية بعنوان *Essai de numismatique ottomane* القسطنطينية ١٨٩٠ (٢) Stanely Lane poole: *Catalogue of oriental coins in the British Museum* ج ٨، وهو خاص بالمسكوكات التركية لندن ١٨٨٣ (٣) Belin: *Essais sur l'histoire économique de La Turquie* فى المجلة الآسيوية، المجموعة السادسة، ج ٣، ٤.

[F. Giese جيس]

« بشوه » انظر « پيشوا ».

« البَشير » هو الذى يزف البشارة أو البشرى، وهو الإنجيلى عند النصارى. وكلما جد شأن هام كتغير عهد أو إقامة عامل إلى غير ذلك فى مدينة من مدن المشرق، وأريد إذاعته فإن أفراداً من لهم بعض الصلة بأولى الأمر يجوسون خلال الشوارع ويطرقون الأبواب معلنين النبأ ويُعطون مقابل هذا بعض المال. ويسمى الأتراك أمثال هؤلاء الأفراد « مزدجى ».

والبشير اسم صحيفة أسبوعية يصدرها اليسوعيون منذ عام ١٨٩٩ ؟

المصـــادر

Cl. Huart: *Litterature Arabe* ص ٢٣٠

[Cl. Huart هيوار]

« بشير » بن سعد: صحابى ولد بمكة وهو من عرب الجاهلية القلائل الذين كانوا يعرفون الكتابة، واشترك عام ٦٢٢ م فى بيعة العقبة الثانية، وشهد فى الأعوام التالية عدة غزوات تحت لواء النبى. وفى السابع من شعبان (ديسمبر ٦٢٨) بعثه النبى فى ثلاثين رجلا فى سرية إلى فدك لمقاتلة بنى مرّة. وما أن التقى الجمعان حتى فرت رجاله ولكن بشيراً دافع عن نفسه دفاع الأبطال إلى أن جُرح فى قدمه جرحاً بليغاً، وظنّ أول الأمر أنه مات، غير أنه حمل فى الليل إلى فدك حيث اعتنى به أحد اليهود أياماً استطاع بعدها أن يعود إلى المدينة. وفى شهر شوال من العام نفسه (فبراير ٦٢٩) بلغ النبى أن

غطفان نزلت بالقرب من جناب (جبار) ويُمن بين فدك ووادى القرى بزعامة عيينة ابن حصن يبتغى المدينة ، فأقام بشيراً على رأس ثلاثمائة رجل فتقدم نحو بنى غطفان ففروا ، وأصاب كثيراً من الغنم والإبل . ولما فتحت الحيرة عام ١٢ هـ (٦٣٣ م) أنفذه — إذا أخذنا بالرواية الشائعة — خالد ابن الوليد إلى بانقيا . وإن كانت روايات أخرى تذهب إلى أن خالد ابن الوليد هو الذى قاد الجند بنفسه فى هذه الحالة . وفى الوقعة التى نشبت بين العرب وفرسان الفرس يقودهم فرّخبنداذ انتصر العرب، إلا أن بشيراً أصيب بجرح خطير . وتوفى فى العام نفسه عند حصار عين التمر ؟

المصـــادر

(١) ابن سعد ، جـ ٣ ، القسم الثانى ، ص ٨٣ وما بعدها (٢) الطبرى ، جـ ١ ، ص ١٥٩٢ وما بعدها (٣) ابن الأثير ، طبعة نورمبرج جـ ٢ ، ص ١٧٢ — ١٧٣ ، ٢٥٠ ، ١٥٢ ، ٣٠٣ (٤) المؤلف نفسه ، أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٩٥ (٥) النووى ، طبعة فستنفلد ، ص ١٧٤ (٦) البلاذرى ، طبعة ده غوى ، ص ٢٢٤ ، ١٤٨ ، ٤٧٤ (٧) الأغانى : جـ ١٤ ص ١١٩ ، ١٢٥ — ١٢٦ (٨) Caetani : *Annali dell' Islam* ، جـ ٢ ، القسم الثانى ص ١٢٣٨ .

[K. V. Zettersteen ستر شتين]

« بشير الشهابى » أمير لبنان من عام ١٧٨٩ إلى عام ١٨٤٠ ، وهو ثانى من سمى بهذا الاسم إذ كان هناك بشير آخر من الأسرة عينها حكم لبنان قبل المترجم له وتوفى عام ١٧٠٨ م .

والأسرة الشهابية قرشية أباً وأماً ، وكان منهم ولاة حوران إلى عهد نور الدين ثم رحلوا عن وطنهم القديم واستقروا بسفح جبل هرمون بزعامة الأمير منقذ واتخذوا حاصبيا مقراً لهم . وحلت الأسرة الشهابية محل أسرة معن (انظر هذه المادة) عند وفاة آخر شيوخها من الدروز عام ١١٣٩ هـ (١٦٩٨ م) ثم انتقلت إلى دير القمر . وكان أول من ولى الحكم فى هذا البيت هو بشير الشهابى الذى سبقت الإشارة إليه ، وخلفه فى إمارة لبنان حيدر الشهابى إلى عام ١٧٢٩م ثم أعقبه ملحم الثانى إلى عام ١٧٥٦ م فخلفه أخواه أحمد ومنصور ثم أتى بعدهما ولده يوسف إلى عام ١٧٨٨ . وفى عهده وُلد بشير الشهابى (الثانى) عام ١٧٦٧م . وفقد أباه قاسماً فى حداثته ولم يكن له من الشأن أول الأمر ما كان لأخيه حسن الذى كان أكثر حظوة منه عند الأمير يوسف حتى إذا كبر بشير تمكن من حمل الجزار باشا والى عكا (انظر هذه المادة) على أن يؤمره على لبنان مكان عمه يوسف الذى قتل فى الطريق إلى عكا عام ١٧٩٠م .

واعتمد بشير وكان أبوه قد تنصر ، على الموازنة بنوع خاص ، واستطاع أن يوطد سلطانه بعد جلاء الفرنسيين عن الشام ، على

الرغم من أن حملة بونابرت أحرجت مركزه . لأنها جعلت منه خصما لوليه القديم الجزار باشا . ونازعه أبناء عمه يوسف على الإمارة فلم يجد بداً من الالتجاء إلى مصر ، حيث استمال واليها القوى محمد على . ولما عاد إلى الشام قتل ابنى عمه عام ١٨٠٧ م ونقل حاضرته إلى بيت الدين وابتنى فيها قصراً فخماً . واشترك بشير فى النضال الذى شبّ بين عبد الله باشا والى عكا وبين زميله درويش باشا والى دمشق من قبل الأتراك عقب وفاة سليمان باشا عام ١٨١٩ م . غير أنه اضطر فى هذه المدة أيضاً إلى الذهاب إلى مصر وأناب عنه فى حكم الإمارة أخاه عباساً . واستطاع محمد على أن يحمل الباب العالى على مناصرة بشير وعبد الله باشا ، فتمكن بهذا من العودة إلى الشام وهناك خلع أخوته وأحلافه القدماء من أسرة جنبلاط القوية الذين انتهزوا فرصة غيابه واستولوا على الحكم فى لبنان .

وليس من شك فى أن محمداً علياً كان مدفوعاً بعوامل سياسية فى نصرته لبشير لأنه طلب عون هذا الأمير عند شروعه فى الحملة على الشام ، فلما حان حينها أنفذ ابنه ابراهيم باشا على رأس جيش لمحاصرة عكا يساعده الأمير بشير الذى لم يجهر مع ذلك بنصرته للمصريين إلا عقب سقوط المدينة فى أيديهم عام ١٨٣٢ م ، ومنذ ذلك الوقت والأمير بشير لا يقوم بعمل شىء إلا بمشورة إبراهيم باشا . وخصه المصريون بأراضى واسعة كان مطلق التصرف فيها . ولكن إبراهيم كان يحتاج فى حروبه إلى المال والرجال وكان على الشآميين أن يمدوه بكليهما . فأثار هذا سخط الناس عليه ، وبخاصة فى لبنان التى كانت أقرب إلى الاستقلال ، ولذلك أمر إبراهيم بشيراً بنزع السلاح من رعاياه ليحمى ظهيرته من شر فتنة يقوم بها هؤلاء . فصدع بالأمر واستطاع بمساعدة الدروز من حمل الموارنة على تسليم سلاحهم ، كما عمد إلى الدروز فجردهم عن سلاحهم بمساعدة الجيوش المصرية . ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يمنع دروز حوران من الجهر بمقاومة أوامر إبراهيم باشا ، واضطر أن يقف موقف المتفرج عندما كان الدروز ينحازون إلى الترك ثانية إبان تدخل الدول الاوروبية فى النزاع الذى شب بين محمد على والسلطان . وما أن انسحب المصريون حتى سقط بشير لأن أمله فى ممالأة الفرنسيين له لم يتحقق ، فأبحر فى الثانى عشر من أكتوبر سنة ١٨٤٠ من صيدا على ظهر سفينة إنجليزية إلى مالطة ومكث هناك مايقرب من عام ومنها رحل إلى القسطنطينية فقضى بها بقية حياته متنقلا بينها وبين ربوع آسية الصغرى ، وتوفى بالقسطنطينية عام ١٨٥١ م . ودُفن بكنيسة الأرمن الكاثوليك فى غلطة .

المصـــادر

(١) طنوس الشدياق : أخبار الأعيان فى

جبل لبنان (٢) جورجى زيدان : مشاهير الإسلام، جـ ١ ، ص ٥٨ وما بعدها (٣) *La Syrie* [redacted] *le gouvernement*: F. Perrier (٤) *de Méhémet Ali jusqu'en 1840* *Zeitschrift der Deutsch. Morgenl. Ges* جـ٥، ص٤٦ وما بعدها، ص٤٨٣ وما بعدها، جـ ٨، ص٤٧٥ وما بعدها (٥) [redacted] von Oppenheim جـ ١ ، *Vom Mittelmeer* [redacted] *pers. Golf* ص١٥٣ وما بعدها . ويمكن الرجوع إلى المصادر المذكورة فى مادة محمد على إذا أريد التوسع فى هذا الموضوع .

« بشيكطاش » ضاحية بالقسطنطينية على مسيرة ميلين ونصف من جسر غلطة على الشاطئ الأوروبى للبسفور . وكان البوزنطيون يطلقون عليها « دبلوكيونيون *Diplokionion* » نسبة إلى عمودين أقامهما هناك رومانوس الأكبر . ومن هذا الموضع نقل محمد الثانى فاتح القسطنطينية سفنه فوق تلال پيرا إلى القرن الذهبى الذى سد مدخله من ناحية البسفور بسلسلة حديدية. وكان فى تلك المنطقة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر القصور التى كان يصطاف فيها السلاطين والتى حرقت أكثر من مرة . ويحيط بهذه الضاحية الآن القصور البديعة : ضولمة بغچه وچيراغان الذى حرق الآن ثم قصر يلدز .

ونذكر من البُنى التى كان لها شأن فى التاريخ وتعود إلى العهد التركى : قبر أمير البحر التركى العظيم خير الدين بربروسه المتوفى عام ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م) . وبشيكطاش الآن عبارة عن الدائرة السادسة لبلدية القسطنطينية ؟

[جيس F. Giese]

« بشيكة » (خليج) ويسميه الترك بشيكه كُرْفِزِى : وهو خليج على الشاطئ الغربى لآسية الصغرى تجاه تندوس . وعلى الرغم من أن هذا الخليج مكشوف فهو ملجأ حسن يحمى السفن من الرياح الشمالية والشمالية الشرقية زمن الصيف الذى لا تهب فيه الرياح الجنوبية والغربية .

وقد تجمع فى هذا الخليج عام ١٨٥٣ م الأسطولان الإنجليزى والفرنسى قبل الرحيل إلى القريم ، ورست فيه كذلك سفن الدول الغربية عند ما أرادت أن تحمل الباب العالى على الرضوخ ؟

[جيس F. Giese]

« البَصرة » : مدينة فى مراكش لم يبق لها أثر اليوم . وكانت هذه المدينة ، التى يطلق عليها مرمول Marmol اسم بَست Basat وبَسِيا Basia وبِسرَّه [redacted] ، على هضبة تشرف من ناحية الغرب على وادى مدا Mda ومن ناحية الشرق على الطريق إلى وزّان ومن ناحية الشمال الشرقى على وادى لِقسُ .

وهي تبعد نحو عشرين ميلا عن قصر الكبير وثمانين ميلا عن فاس . ويذهب تسوت Tissot إلى أن المدينة كانت تقوم مكان المدينة الرومانية تريمولا Tremulae وأنها بنيت في العهد الذي شيدت فيه مدينة أصيلة أي في نهاية القرن التاسع الميلادي . ويحتمل أن الذي ابتناها هو إدريس الثاني . وعندما قسم محمد بن إدريس مملكته كانت بصره هي وطنجة وسبتة وتطوان من نصيب أخيه القاسم . وبعد ذلك بنصف قرن أي بعد أن غزا جوهر قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي عام (٩٥٨ م) بلاد المغرب ، أصبحت البصرة عاصمة ولاية صغيرة تضم الريف وبلاد غماره وولى عليها الأمير حسن ابن قنون الإدريسي . ولكن سرعان ماخربها جيش الحاكم الخليفة الأموى بقرطبة وذلك عام ٩٧٣ م . وبعد أن هزمت جنود الحاكم برغواطة ولى الحاكم يحي أخي وزيره جعفر ابن حمدون واليا على البصرة (انظر مادة برغواطة) .

وليس لدينا من المعلومات الموثوق بصحتها عن تاريخ البصرة أكثر مما ذكرنا . ومن المعلوم أيضا أن تلك المدينة قد بلغت حظا من الرفاهية في القرنين العاشر والحادى عشر . ووصف تلك المدينة ابن حوقل كما وصفها البكرى بصفة خاصة . وقد شيدت على مرتفعين من التربة المائلة إلى الاحمرار ومن ثم أطلق عليها اسم الحمراء . وكان يحيط بالبصرة سور به عشرة أبواب ، وكان بها حمامان ومسجد به سبع قباب خلاف عدة أبنية أخرى . وكان يوجد حول تلك المدينة حدائق ومزارع للغلال والقطن ومراع بها قطعان كبيرة من الماشية . وقد أطلق على تلك المدينه اسم « بصرة الذبان » لوفرة الألبان فيها . ولاحظ كتاب العرب بصفة خاصة نقاء هواء تلك المدينة وجمال نسائها ورقة سكانها . ولكن هذا الرخاء لم يدم طويلا إذ دب الانحلال في مدينة بصرة منذ عهد الإدريسي نفسه ، وتخربت تماما في القرن التاسع الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) . وفي عهد الحسن بن محمد الوزان الزياتي *Leo Africanus* كانت أسوار تلك المدينة لا تزال قائمة وسط حدائق مهجورة . ولم يبق اليوم من تلك الأسوار سوى بعض الأحجار ؟

المصـــادر

(١) ابن حوقل : وصف إفريقية والأندلس ترجمة دسلان في المجلة الأسيوية المجموعة الثالثة جـ ٨ ، سنة ١٨٤٢ ، ص ١٩٢ (٢) البكرى : المسالك والممالك ، ترجمة ده سلان ، ص ٢٥٠ وما بعدها (٣) الإدريسي ، ترجمة دوزى وده غوى ، ص٢٠٢ (٤) *Leo Africanus* ، طبعة شيفر ، جـ ٢ ، ص ٣٥ (٥) Tissot : *Recherches sur la géographie de la Mauritanie Tingitane* ، ص١٦٠ ومابعدها

[G. Yver يفر]

« البصرة » وكانت تدعى إبان العصور الوسطى فى أوربا بَلسُرّه Balsora وكثيراً ما تكتب الآن بَسّوره Bassora : مدينة تجارية على شط العرب وهى عاصمة ولاية تركية بنفس الاسم* وعلى مسيرة ثلثمائة ميل إلى الجنوب الشرقى من بغداد.

وقد قامت منذ الأزمان القديمة فى تلك البقعة التى يصب فيها نهرا الدجلة والفرات مياههما فى البحر عدة مدائن هامة. والدجلة والفرات هما الطريقان المائيـان الكبيران لتجارة البلدان الموجودة فى أحواضهما حيث تتلاقى الطرق الصحراوية الآتية من الغرب أى من نجد والشام (بصرى) بالطرق الآتية من المرتفعات الإيرانية وذلك فى المنطقة بين إقليم البطائح (انظر هذه المادة) الكثير المستنقعات وشاطئ الخليج الفارسى. ويظن أن مدينة دريدتس Diriditis (أوتريدون Teredon) التى ورد ذكرها فى عهد الإسكندر الأكبر كانت فى تلك المنطقة.

وقد أنشأ العرب هناك محلة تعرف باسم «خريبة» وهى التى عرفت فيما بعد بأنها ضاحية من ضواحى البصرة. ومهما يكن من الأمر فإن مدينة البصرة حديثة العهد. وكان من الضرورى على الفاتحين احتلال المنطقة التى تتلاقى فيها الطرق العامة المرتفعة التى تشرف بوجه خاص على كل من يفد إلى العراق من ناحية البحر. وقد أسس مدينة البصرة عتبة ابن غزوان عام ١٦ هـ (٦٣٧ م) أو عام ١٧ هـ (٦٣٨ م) بأمر من الخليفة عمر. وكان فى الموضع الذى شيدت فيه المدينة معسكر ضرب هناك منذ عام ١٤ هـ (٦٣٥م) ولكنه أخلى ثانية. وقصد من بناء هذه المدينة أن تكون مركزا للجيش العربى، لذلك اختير مكانها فى بقعة إلى القرب من النهر عند أطراف السهوب والوادى الخصب القريب من المشارب والمرعى. وسميت المدينة البصرة أى «الحجر الأبيض» لأن الأرض التى شيدت عليها من الحجر الأبيض. وكانت مسا كنها فى بادئ الأمر من الأكواخ المبنيـة من القصَب وابتنى أبو موسى الأشعرى المسجد من اللبن المجفف بأشعة الشمس ولكن أعيد بناؤه بعد ذلك من اللبن المحروق. وكان يربطها بالنهر أيام الخليفـــة عمر عدة قنوات، وسرعان ما ازدهرت تلك المدينة وأصبح لأهلها الذين عرفوا بالشغب شأن هام فى تاريخ الإسلام وذلك منذ عهد متقدم. وقد خرج من تلك المدينة عائشة وطلحة والزبير لمقاتلة على الذى انتصر عليهم فى وقعة الجمل عند خريبـة عام ٣٦ من الهجرة (٦٥٦ م) ولا يزال اسم الزبير يطلق على مكان بالقرب من مدينـة البصرة الحديثة يبعد عنها نحو ساعتين. وقد يكون هذا المكان هو الموضع الذى دفن فيه الزبير، كما أنه يدلنا على موضع مدينة البصرة القديمة. ويدل على ما كان لهذه المدينة من شأن إبان الأمويين أن خراسان كانت تحكم

* كان ذلك وقت كتابة هذا المقال

من البصرة. وكانت البصرة مهد الخلافات القبليـة بين العرب تلك الخلافات التي كانت وبالا على الدولة الإسلامية. ففي أواخر عهد معاوية هاجر الأزد إلى تلك المدينة وهناك تحالفوا مع ربيعة ضد تميم وقيس. وكان أمهر الولاة ملزمين على الدوام بحفظ النظام في تلك المدينة المزدحمة بالسكان وبين العرب الذين اختلط بهم عدد كبير من الموالى. وقد قدر عدد سكان تلك المدينة حوالى عام ٥٠ هـ بنحو ثلثمائة ألف نسمة.

وكانت دسائس الخوارج من الأسباب التي أضيفت إلى المنازعات القبلية وكانت عاملا في الإخلال بالأمن بتلك المدينة. والبصرة مثل شقيقتها الكوفة كانت مرتعاً خصباً للحروب الأهليـة، إذ كانت هي وما جاورها ميدانا للفتن العامة التي هبت في وجه الأمويين، إلا أنها مع ذلك قد صمدت أمام تقدم الأمويين المنتصرين مدة أطول من المدة التي صمدتها مدينة الكوفة وهي التي كانت دائماً معقلاً قوياً للعلويين.

وبلغت مدينة البصرة أوج ازدهارها زمن العباسيين، فقـد كانت هي وضاحيتها الأُبُلة مركز تجارة العرب البحرية تلك التجارة التي انتشرت حتى بلغت بلاد الصين. وتفرعت القناتان الكبيرتان اللتان تربطان هذه المدينة بالنهر، وهما نهر الأبلة ونهر المعقل إلى جملة مجار مائية أغلبها صالح للملاحة تجرى في شوارع البصرة وحدائقها. وتطور حى المدينة عند الباب الغربى حيث تنيخ القوافل على المِربَد إلى أن أصبح حى الأعمال بالمدينة. وتعطينا قصص ألف ليلة وليلة صورة عن الحياة المرحة التي كانت عليهـا أسواق تلك المدينة التجارية وقنواتها.

وقد ازدهرت الحياة العقلية في البصرة إلى جانب تقدمها الاقتصادى فكانت المكتبات العامة والمساجد أسمى ما يتوق إليه الأهالى في حياتهم. وظهر النحو العربى الجديد في كل من البصرة والكوفة. ونذكر إلى جانب الحسن البصرى من الفقهاء الذين ولدوا في البصرة وظهروا في العهد الأموى. الأشعرى مؤسس مذهب الأشاعرة. وكان أحرار الفكر يعقدون اجتماعاتهم في تلك المدينة، وعاش فيها إخوان الصفاء (انظر هذه المادة) في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى). وظهر في البصرة في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أحد أئمة الأدب العربى وهو الحريرى.

ووضع اضمحلال السلطة المركزية في الدولة الإسلاميـة على توالى الأيام حداً لازدهار مدينة البصرة، كما أن ثورة الزنج (أنظر هذه المدينة) قد ألحقت بهذه المدينة أضراراً بليغة في عام ٢٥٧ هـ (٨٧١ م). (انظر هذه المادة) وما إن بدأ القرن الرابع الهجرى حتى أصبح القرامطة (العاشر الميلادى) مصدر خطر دائم للعراق فقد نهبوها في عام ٣١١ هـ (٩٢٣ م). وليس هنـا مجال

التحدث بالتفصيل عن أحداث تلك المدينة فى عهد ولاتها الثائرين على الخلفاء (انظر مادة بريدى) أو إبان حروب بنى بويه أو خلال عهود بنى مزيد والسلاجقة أو أثناء الغارات التى كان يقوم بها القبائل العربية المجاورة على تلك المدينة مثل غزوة المنتفق.

وكانت غزوة المغل لتلك المدينة عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) عصراً من عصور الركود فى تاريخها. ويلوح لنا أن الإهمال المستمر لنظام القنوات فى البصرة إبان عهد المغل يعود إلى هجر تلك المدينة. فقد وجد ابن بطوطة الجزء الأكبر من البصرة خالياً من السكان بل وكانت الأسوار القديمة والمساجد تبعد أحياناً عدة أميال عن الأجزاء المسكونة من تلك المدينة فى عهده. وهو يصف المدينة بأنها على شاطئ النهر ويمتدح نخيلها ولكنه يتحسر على ما كان لهذه المدينة من شأن فى الميدان الاقتصادى والعقلى. وكان سكان المدينة فى ذلك الوقت من أهل السنة وإن كان يطلق على المسجد الشهير فى وسط المدينة اسم مسجد على. ولاقت البصرة فى القرون التالية نفس المصير الذى لاقته كل من بغداد والعراق. ويقول تافرنيه Tavernier إنه لو كانت البصرة تابعة للقبائل العربيـــة المجاورة قبل أن يحتلها الترك لكان من المحتمل ألا يحفل بها ولاة بغداد كثيراً.

وانتقلت البصرة إلى أيدى الترك بعد غزوة سليمان الأول لبغداد عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م). واستطاع أفراسياب وهو من أهل تلك المدينـــة الأقوياء أن يكون أسرة مستقلة بالفعل فى البصرة وذلك منذ القرن السابع عشر. وفى عهد تلك الأسرة وتحت حمايتهـا فتحت ميناء البصرة للتجارة الأوروبيـة، ففتحت أول الأمر للتجار البرتغاليين ثم الهولنديين والإنجليز من بعدهم. واضطر حسين آخر ولاة البصرة المستقلين أن يحتمى بالفرس من الترك الذين أغضبهم بجرفته. ومنذ ذلك الوقت ابتدأت فترة نزاع طويل حول هذه المدينة انتهت بتخلى الفرس عنهـا للترك عام ١٧٧٩ م. وظلت البصرة منذ ذلك العهـــد فى أيدى الترك ما عدا الفترة التى احتلها فيها محمد على باشا من عام ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠ م. ومدينة البصرة الحديثة وسط أحراج من النخيل، ويصلها بشط العرب القناة المعروفة باسم نهر العشار وهى التى أطلق عليها الأوروبيون اسم القناة الكبيرة لمدينة البندقية العربية.

وهذه المدينة التى نقص عدد سكانها إلى بضع آلاف فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بسبب الحروب المستمرة والأوبئة قد أخذت فى الانتعاش منذ ذلك الحين. ويتراوح عدد سكان هذه المدينة وفقـاً للتقديرات المختلفة بين ١٨ ألف و٦٠ ألف نســمة والراجح أن التقدير الأقل هو الأصح. والبصرة مقر الوالى منذ عام

١٨٨٤[1]. وتقوم الشهرة الاقتصادية لهذه المدينة على تجارتها النافقة. وتتراوح قيمة صادراتها وأهمها البلح بين ١٥٠٠٠٠٠ جنيه و ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه وقيمـــة وارداتها بين ١٩٠٠٠٠٠ جنيه و ٢٤٠٠٠٠٠ جنيه وذلك وفق تقارير القنصل الإنجليزى فى الأعوام ١٩٠٧ — ١٩٠٩.

ويتوقع ازدياد أهمية تلك المدينة بعد إتمام سكة حديد بغداد؟

المصـــــادر

(١) البلاذرى، طبعة دى غوى، فى مواضع مختلفة (٢) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة ده غوى، جـ ١، ص ٨٠ وما بعدها؛ جـ ٢، ص١٥٩ وما بعدها؛ جـ ٣، ص ١١٧ وما بعدها؛ جـ ٥، ص ١٨٧ — ١٩٢؛ جـ ٧، ص ٣٢٣ (٣) ابن سرابيون فى المجلة الآسيوية الملكية لعام ١٨٩٥، ص ٢٩، ٢١٣ وما بعدها (٤) ياقوت، طبعة فستنفلد، جـ ١، ص٦٣٦—٦٥٣ (٥) الإدريسى، ترجمة جوبير Jaubert، جـ ١، ص ٣٦٨ وما بعدها (٦) ابن بطوطة، طبعة باريس، جـ ٢، ص ٨—١٦ (٧) L. Caetani: *Annali dell' Islam* جـ ٣، ص ٢٩٢ — ٣٠٩، ٧٦٩ — ٧٨٤ (٨) G. le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate*، ص ٤٤ — ٤٦ (٩) Tavernier: *Les six voyages* باريس ١٦٧٦، جـ ١، ص ٢١٧ وما بعدها (١٠) Wellsted: *Travels to the City of the Caliphs* جـ ١، ص ١٤١ وما بعدها (١١) Ritter: *Erdkunde* جـ ١٠، ص ١٧٢ — ١٨٢، ١٠٣٢ — ١٠٥٦ (١٢) E. Sachau: *Am Euphrat uud Tigris* (١٣) على جواد: عالك عثمانينج تأريخ جغرافية لغات، ص ١٧٨ وما بعدها (١٤) M. von Oppenheim: *Vom Mittelmeer zum Persischen Golf* جـ ٢، ص ٢٩٣ — ٣٠٤ (١٥) Cuinet: *La Turquie d'Asie* جـ ٣، ص ٢٥٨ وما بعدها

[هارتمان R. Hartmann]

« بصرى » (Bostra) ويطلق عليها اليوم أيضاً « إسكى شام » أى دمشق القديمة: قصبة ناحية، وهى الآن قرية فقيرة من قرى حوران. وتدل آثارها الرائعة على ما كان لها من مجد فى الزمن القديم. والأمر الموثوق به تمام الوثوق هو أن بُصرى كانت موجودة أيام المكابيين (المكابى الأول الإصحاح ٥، الآية ١٦) ثم تردد ذكرها فى العهد الذى تلاه واتسعت رقعتها وحُصنت فى عهد الرومان وكان اسمها وقتذاك نوفا ترايانا بوسترا Nova Tragana Bostra كما كانت فى عهد دقلديانوس حاضرة الولاية العربية. ويظهر أنها لم تكن تابعة للغساسنة بل كان يحكمها البوزنطيون مباشرة. وفى عام ٦١٣ م دمرها الفرس كما دمروا أذرعات (انظر هذه المادة). ولم تستعد

[1] كان هذا وقت كتابة هذا المقال

بعد ذلك ما كان لها من عظمة ومجد .

وتذهب الروايات إلى أن النبي محمداً زار بصرى فى صباه صحبة عمه أبى طالب ، وكان يعيش فى بصرى راهب اسمه بحيرا عرف فى محمد النبي المنتظر . وبعد ذلك بزمن بعث النبي رسولاً إلى صاحب بصرى قتل فى الطريق ، وربما يكون المقصود بصاحب بصرى هو عاملها من قبل الروم .

وبصرى أول مدينة فتحها العرب فى الشام ، إذ سقطت فى يد خالد عام ٦٣٤م . ورضيت بأن تؤدى الجزية ، واحتفظت فى حكم العرب بما كان لها من شأن ، وظلت قصبة كورة حوران . ولقيت بصرى والجزء الشمالى بأسره من البلاد التى فى شرق الأردن الأمرين عام ٩٠٦ م على يد القرامطة وبنى كلب يقودهم أبو غانم . وبعد ذلك سلمها عاملها الخائن إلى بلدوين الثالث إبان الحروب الصليبية ، ولكن نور الدين حال بين المسيحيين وبين الاستيلاء عليها . وحصّن صلاح الدين وخلفاؤه مدينة بصرى تحصيناً منيعاً أعجز الصليبيين عن اقتحامها فيما بعد . ثم خربها المغل كما خربوا غيرها من حصون الشام ، فأعاد بيبرس بناءها عقب انتصاره عام ١٢٦١م . وظلت فى عهد المماليك قصبة ناحية من أعمال دمشق . ومعظم أطلالها من العصر الرومانى إلا بعضها فإنه يرجع إلى عهد الأيوبيين كما يستدل من النقوش . وقد أخذ الخراب يدب فى مسجد العروس الذى كان زاهراً فى يوم من الأيام

وروى أبو الفداء أن بصرى بلدة قديمة يسكنها بنو فزارة وبنو مرة وأن مساكنهم كبقية المساكن فى حوران مشيدة من الحجر الأسود الذى يستعمل أيضاً فى التسقيف . ويذكر كذلك المساجد والحصن الذى أعاد إلى ذاكرته دمشق والسوق التى تقام بها . وأشاد المقدسى بكروم بُصرى التى أشار إليها النابغة ولم يخف إعجابه بديرها الذى تصل الروايات بينه وبين بحيرا . وكان السلطان يفرض ضريبة خاصة على ما يرد لهذا الدير من النذور والعطايا .

المصـــادر

(١) P. Thomsen : *Loca sancta* ، ص ٤٤ — ٤٥ (٢) Porter : *Five years in Damascus* ، ج ٢ ، ص ١٤٢ — ١٦٩ (٣) Schumacher : *Zeitschr* [redacted] *deutschen Pal. Ver..* ج ٢٠ ، ص ١٤٥ — ١٥٠ (٤) de Vogüé : *Syrie Centrale* العمارة ص ٤٠ ، ٦٣ وما بعدها ، لوحة رقم ٥ ، ص ٢٢ — ٢٣ ، النقوش ، ص ١٠٣ (٥) M. von Oppenheim *Vom M*[redacted] [redacted] *Persichen Golf* ج ١ ، ص ١٩٧ — ٢٠٢ (٦) ابن هشام ، طبعة فستنفلد ، ص ١١٥ (٧) الطبرى ، طبعة ده غوى ، ج ١ ، ص ١١٢٤ — ١١٢٥ ، ٢١٢٥ (٨) الواقدى ، ترجمة فلهوزن Wellhausen ، ص ٣٠٩ (٩) البلاذرى ، طبعة ده غوى ، ص ١١٢ — ١١٣ (١٠) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوى ، ج ١ ، ص ٦٥ ؛ ج ٣ ، ص ١٥١ — ١٥٢ ؛ ج ٥ ، ص ١٦٥ ؛ ج ٧ ، ص

٣٢٦ ؛ ج ٨ ، ص ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٣٧٣ (١١) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٦٥٤ ؛ ج ٢ ، ص ٦٤٧ ، ٧٠٤ (١٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ترجمة رينو وده سلان ، ص ٢٥٣ (١٣) المقريزى : كتاب السلوك ترجمة كاترمير ، ج ١ ، ص ١٤١ (١٤) ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة عام ١٣١٢ ، ص ١٨٢ (١٥) G. le Strange : *Palestine under the Moslems* ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨

[Fr. Buhl بول]

« البصير » اسم من أسماء الله الحسنى

« البصير » أبو على الفضل بن جعفر ابن الفضل بن يوسف : شاعر وكاتب رسائل عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى . وقد فضّله ابن ميادة على البحترى كما أن نثره كان محل إعجاب عظيم ، ولكنه لا يُعرف اليوم إلا بالقليل النادر الذى رُوى له أو ذكر عنه مما يدلنا على أنه قضى الشطر الأول من حياته فى الكوفة ، وأنه ممن حضروا دروس أبى العيناء وسعيد بن حُمَيد ، وأنه كان محل رعاية عبيد الله بن يحيى إبان سطوته عام ٢٤٥ هـ . وقد اشتهرت أبياته فى هجاء رجل من رجال الحكم فى عصره هو المعلّى ابن أيوب المتوفى عام ٢٥٥ هـ . ويظهر أن إحدى رسائله إلى عبيد الله كتبت للخليفة المتوكل .

وكان هذا الشاعر ضريراً ، ولذلك لقب بالبصير تلطيفاً . ومن معارفه أحمد بن أبى طاهر . وقد جمعت أربع من رسائله من كتب الأدب المختلفة كزهر الآداب ثم طبعت فى كتاب مفتاح الأفكار (القاهرة عام ١٣١٤ هـ ، ص ٣١٢ — ٣١٥) . كما ذكر المسعودى فى « مروج الذهب » منتخبات من شعره (طبعة Barbier de Meynard : ج ٧ ، ص ٣٢٨ — ٣٣٠) فى حوادث عام ٢٤٨ هـ . وأورد الثعالبى قليلا من أشعاره فى « المنتحل » (ص ٧٤) . وجاء فى الفهرست أن أشعاره ورسائله قد جمع كل منها فى ديوان . وهناك نبذة عن البصير فى ذيل كتاب أحمد بن المنجم على كتاب الباهر وذكره ابن الحاجب النعمان بين الشعراء الذين أوردهم ؟

[D.S. Margoliouth مرجليوث]

« البصيرى » شاعر عثمانى من شعراء القرن العاشر الهجرى ؛ ويذكر كل من حسن چلبى صاحب كتاب التذكرة وسامى الذى يحتمل أن يكون قد نقل عن حسن أن البصيرى من أهل خراسان بينما يذهب لطيفى إلى أنه وُلد بموضع قريب من حدود فارس . وجاء البصيرى إلى القسطنطينية فى عهد السلطان بايزيد الثانى مزوداً بتوصية من الشاعرين

جامى الفارسى ونوائى الجغتائى. وكان البصيرى أول من أحضر ديوان نوائى إلى القسطنطينية، وعلى ذلك فإن له شأناً يذكر فى تطور الشعر العثمانى الذى أثر فيه نوائى تأثيراً عظيماً. ولم يبق من قصائد البصيرى إلا أبيات قليلة وردت فى التذكرة نستدل منها أنه لم يكن يقصد بشعره إلا إزجاء الفراغ لبعض رجال الدولة بما أورده فيه من الطرائف والملح. ويذكر حسن وسامى أنه توفى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ — ١٥٣٥م) ولم يحدد لطيفى تاريخ وفاته ؟

المصـــادر

(١) Gibb : *History of Ottoman Poetry* ، جـ ١ ، ص ٤٨ ، تعليق ٢، ص٣٦٥(٢)
Hammer ، *Gesch. der Osm. Dichtk.* جـ ٢ ، ص ٢١٣

[F. Giese جيس]

« البطائح » انظر « البطيحة »

« البطال » سيد بطّال غازى: بطل أسطورى من أبطال الترك جاهد فى سبيل الملة ، وقبره فى سيد غازى جنوبى إسكى شهر موضع تبجيل الناس وتعظيمهم. وبالقرب منه تكية للدراويش البكتاشية بها مسجد وعمارة. وهذه الأسطورة تستند إلى شخصية تاريخيـــة هى شخصية المقاتل الإسلامى عبد الله البطال الذى يذكر الطبرى (جـ ٢ ، ص ١٧١٦) أنه قتل عام ١٢٢ هـ (٧٤٠م) فى حرب الروم. ويذهب المؤرخون المتأخرون كالجنّابى وهزار فن أن اسمه الحقيقى هو أبو محمد جعفر بن السلطان حسين بن ربيع بن عباس الهاشمى ، وأنه ولد بمَلطية ، وكان على قيد الحياة عام ١٠٠٠ ، ولكن هذه الروايات أقرب إلى الأساطير لأنها تضمنت القصة التركية الشعبية المعروفة بقصة سيد بطال « ولها نسخ مختلفة بعضها بالشعر وبعضها بالنثر ، وقد درسها فليشر Fleischer دراسة مستفيضة فى *Berichte der* ، *Königl. Sächs. Gesells* ، عام ١٨٤٨ م ، جـ ٣ ، ص ٣٥ وما بعدها ، ص ١٥٠ وما بعدها (*Kleine Schriften* ، جـ٣، ص٢٢٦ وما بعدها). وترجمها إلى الألمانيــة إتيه Ethé بعنوان *Die Fahrten des Sajjid Batthal Ein alttürkischer Volks-und Sittenroman* ليبسك عام ١٨٧١م . كما نشرت القصة النثرية عدة مرات بعنوان « مناقب غزوات سيد بطال » ومنها طبعة عام ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) ؟

المصـــادر

انظر إلى جانب ما ذكر فى صلب المقال *Zeitschr. der Deutch. Morgenl. Gesellsch.* جـ ٣٠ ، ص ٤٠٨ وما بعدها

« بطرس البستانى » «انظر البستانى»

■ البطروجى ، أبو إسحاق نور الدين ويعـــــرفه الأوروبيون باسم البتراجيوس Alpetragius : فلكى أندلسى درس على ابن طفيل، وعاش حوالى عام ٦٠٠هـ الموافق ١٢٠٠م (انظر Suter : *Die Mathematiker und Astronomen der Araber Abbandl* [illegible] *Geschichte der math. Wissensch* ١٠ ، ص ١٣١) .

« بطليوس[1] » المعروفة باسم بداجوز Badajoz ، هى الآن عاصمة حصينة للإقليم المعروف بهذا الاسم ، وهو أكبر أقاليم أسبانيا إذ يشمل النصف الجنوبى لإســـــترمادوره Estremadura الإسبانية . أما المدينة فعلى الضفة اليسرى من وادى يانه (أو آنه) قبيل انعطافه جنوبا على مقربة من حدود البرتقال . وعدد سكانها ٣١,٠٠٠ .

ولا أساس لمـــــا قيل من أن كلمة Badajoz مشتقة من باكس Pax (Julia) أو Colonia Pacen[illegible] Augusta إذ يرجع هذا القول إلى خطأ كان الباعث عليـه العصبية الإقليمية . فإن كلمة بداجوز لم تشتق من اسم المستعمرة الرومانية ، وإنما اشتق من اسم المدينة البرتقالية بجة ، وبالعربية باجة (أو بإمالة الألف) المشتق من باكم Pacem . أما القول بأن الاسم بداجوز مشتق من باديا Badia وهو ما ذهب إليه كل من فاليريوس ماكسيموس Valerius Maximus وفلوطرخس فشكوك فيه ولا يمكن التثبت منه .

---

(١) حاول مؤلف المادة أن يفند بلا دليل يصح التعويل عليه تفنيد قول القائلين بأن اسم Padajoz مشتق من كلمتى Pax de Agosta اللتين رسمهما هو Augusta [illegible] خطأ . وإنما صواب أصل الاشتقاق هو ما ذكرناه . [illegible] كان أول الآخذين به العالم الجغرافى القديم استرابون Strabon من علماء القرن الأول قبل الميلاد وقد حرفه الاشبان إلى Paz de Agosta ثم إلى Padajoz وعربه العرب بعد الفتح إلى بطليوس بفتح ففتح فسكون كما ورد فى معجم ياقوت الذى قال فى التعريف بتلك المدينة : « مدينة كبيرة من أعمال ماردة (Merida) على نهر آنه (Guadiana) غربى قرطبة بانحراف إلى الشمال »

وبطليوس أو Padajoz فى عصرنا الشاهد قاعدة الإقليم المعروف بهذا الاسم بين بلاد البرتقال وإقليم قاصرش Caseres وطليطلة وأقاليم قرطبة شرقا وإشبيلية وولبة Huelva جنوبا ، وموقعها من مجريط (مدريد) على مسافة ٤٩٦ كيلو مترا بالسكة الحديد ومن حدود البرتقال على مسافة [illegible] كيلو مترات فحسب . وهى قائمة على ضفة نهر يانه الذى أسماه ياقوت الحموى فيما نقلناه عنه آنفا نهر آنه وأسماه أحد كبار المحققين المصريين فى تاريخ الأندلس وجغرافيتها الوادى اليانع وتابعته على هذا اليوم مصلحة المساحة فكتبته كذلك فى مصورها الجغرافى العربى لقارة أوروبا

وذكر الإدريسى مدينة بطليوس فى نزهته ست مرات قال فى إحداها تعريفا بها ما يأتى : « بطليوس مدينة جليلة فى بسيط الأرض وعليها سور منيع وكان لها ربض كبير فى غربها فخلا بالفتن . وهى على ضفة نهر يانه » الخ

تقول ولمدينة بطليوس على هذا النهر داموس Aqueduc ، أى قنطرة ذات ٢٨ عينا فى امتداد ٥٢٥ مترا لجر الماء المشروب potable إليها ، بناه الرومان ثم تهدم فأعيد بناؤه فى سنة ١٥٩٦ ميلادية ، وكان لها فى شمالها العرق حصن منيع عدت عليه عوادى الخراب فأصبح أطلالا بالية ، وكالمرائية كالحصن فى ضخامتها ومناعتها

محمد مسعود .

وقد ورد ذكر Badajos لأول مرة فى المصنفات التاريخية بالنص العربى بطليوس الذى اشتق منه الاسم الإسبانى الحديث على أنها الحصن الذى امتنع فيه البطل الثائر ابن مروان (سنة ٢٦٢هـ الموافقة ٨٧٥ م)وكانت ثورته على محمد الأول خليفة قرطبة[١] .

واستردها عبد الرحمن الثالث من ولد ابن مروان سنة ٣١٨ هـ الموافقة ٩٣٠ م (البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ وما بعدها ، ١٤٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦) . أما مدينة بطليوس الجديدة التى أسسها العرب والتى يقول عنها أبو الفداء «وهى مؤسسة إسلامية» (ص١٧٣) فقد حلت فى الأهمية محل المدينة القديمة Colonia Augusta Merita التى عرفها العرب باسم ماردة ، وهى على مسيرة أربعين ميلا شمالا إلى شرق من بطليوس على الضفة العليا فى وادى يانه .

والحق أنه لما اضمحلت الخلافة الاموية فى قرطبة اضمحلت معها مدينة بطليوس الزاهرة التى اتخذها بنو الأفطس (انظر هذه المادة) عاصمة ملكهم وكانوا قد وحدوا الشطر الأوفى من شمال لوزيتانيا القديمة وجعلوه مملكة عظيمة الشأن (١٠٢٢ — ١٠٩٤ م) وحدث أن انهزم المسيحيون فى وقعة الزلاقة [redacted] فى الشمال الشرقى لبطليوس عام ١٠٨٦م، فأصبحت الإمارة التى على الشمال الغربى لبطليوس مع غيرها من بلاد ملوك الطوائف تعتمد على البربر المرابطين الذين خفوا لنجدتهم من مراكش . وانتهى الأمر بها أن ألحقت نهائياً فى سنة ١٠٩٤ بممتلكات هذه الدولة القوية وأضحت بذلك جزءاً من البلاد الأندلسية التابعة لدولة المرابطين فى الشمال الغربى من إفريقية ، ثم انتقلت إلى أيدى الموحدين الذين خلفوا المرابطين . وفى عام ١١٦٨ م باغت

(١) المراد هنا بمحمد الأول خليفة قرطبة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط صاحب الغزوات المشهورة للوقعة فى بلاد الجلالقة Galicie ومملكة لاون Royaume de Léon . ولى الخلافة بقرطبة فى مكان أبيه فكان أول همه أن بعث البعوث العسكرية لقتال ملوك شمال إسبانيا المسيحيين ، فأنفذ موسى بن موسى صاحب طليطلة فى جيش جرار لنواحى ألبة Alava ففتح قلاعها وحصونها وأنفذ جيشا آخر إلى برشلونة ففتح حصونها كذلك . وقد قام المخالفون والثوار من أهل البلاد عليه واستصرخوا ملكى جليقية [redacted] والبشكنس Les Basques فأكمن الأمير محمد لهم وأوقع بهم حتى بلغ عدد القتلى من أهل طليطلة المخالفين وأنصارهم من المشركين عشرين ألفا ، وفى سنة ٢٤٥ هجرية (٨٥٩ ميلادية) ظهرت مراكب الأعداء من المشركين فلقيتهم مراكب الأمير محمد وغنمت منهم مركبين . وفى سنة ٢٤٧ (٨٦١) غزا محمد نواحى بنبلونة أو بمفلونة Pampelune وصاحبها يومئذ الأمير غارسية Garcia وكان وقتئذ نصيرا أو ظهيرا للأمير أردن Ordon بن اذفونش ، فعاث جيشه فى نواحيها ثم عاد بعد أن دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقى أسيرا فى قرطبة عشرين عاما . وفى سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥) أنفذ أخاه المنذر بن عبد الرحمن فى عسكر إلى نواحى ألبة فعاثوا فيها وأثخنوا فى أهلها وهزموا أميرها لذريق Rodrigue وغزا بنفسه فى السنة عينها بلاد الجلالقة فأثخن فى عدوه وخرب دياره . ومن سنة ٢٦٣ (٨٧٦) إلى سنة ٢٦٨ (٨٨١) غزا بنبلونة مرارا ودوخها وعاد منها بالغنائم والأسرى وكانت وفاته خمس وثلاثين سنة من خلافته أى فى سنة ٢٧٣ (٨٨٦) وكان مولده فى سنة ٢٠٧ (٨٢٢)

محمد مسعود

الأذفونش الأول هنريكويز Henriquez البرتقالى مدينة بطليوس واستولى عليها ، بيد أن فرديناندملك ليون[1] استردهامنه ثم ردّها إليه . وانتقلت بطليوس بعد ذلك إلى حوزة الموحـــدين ثم سقطت آخر الأمر فى يد الأذفونش التاسع ملك قشتالة وليون عام ١٢٣٠ م .

وولد فى بطليوس كثير من علماء العرب أشهرهم عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى[2] المتوفى عام ٥٢١ هـ الموافق ١١٢٧م (فى Gesch. der. arab. [redacted] : Brockelmann جـ ١ ص ٤٢٧) ، والذى يجب أن يكون قد ولد عام ٤٤٤ هـ الموافق ١٠٥٢ م (ابن بشكوال ، ص ٦٣٩)

(١) اختلف المؤلفون العرب فى رسم تعريب كلمة Léon التى كانت اسما لإحدى الممالك الإسبانية فرسمه بعضهم ومنهم المقرى فى نفح الطيب (ليون) والبعض الآخر (لاون) بألف بدلا من الياء . والأصوب عندى الأخذ بثانى الرسمين تفاديا للاشتباه واللبس مع تعريب Lyon ليون المدينة الفرنسية وليون فى عبارة Golfe du lion التى ينبغى أن تعرب بخليج الأسد وهو معنى كلمة lion التى ليست من أسماء الأعلام

(٢) أورد مؤلف المـادة اسم هذا العالم هكذا : عبد الله بن محمد البطليوسى المتوفى عام ٥٢١ هجرية . ولعل إيراده فى هذا الوضع خطأ إذ قال ياقوت فى عرض كلامه على مدينة بطليوس مايأتى : «وينسب إليها محمد ابن عبد الله البطليوسى النحوى صاحب التصانيف المتوفى سنة ٥٢١ هجرية » لاعبد الله بن محمد

محمد مسعود

المصـــادر

(١) ياقوت : المعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٦٤

(٢) مراصد الاطلاع ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ، جـ ٤ ، ٣٤٤ (٣) Dozy : *Histoire des Musulmans d'Espagne* ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ ومابعدها ، ٢٠٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٠ (٤) Madoz: *Diccionario* ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ وما بعدها (٥) M. R. Martinez y Martinez : *Historia del reino de Badajoz* ، وانظر أيضا إلى مصادر مادة بنى الأفطس

[سيبولد C. F. Seybold]

« البطليوسى » أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد : نحوى شهير ولد فى بطليوس (انظر هذه المادة) عام ٤٤٤هـ (١٠٥٢م) وتوفى فى منتصف رجب سنة ٥٢١ (١١٢٧ م) بلنسية (انظر هذه المادة) وكان قد استقر بها وترجع شهرته إلى شرحه لكتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة وعنوانه « الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب » ، وقد نشره عبد الله البســـتانى (بيروت ١٩٠١) وصنف البطليوسى كتباً عدةمنها « الإنصاف فى التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف » (القاهرة ١٣١٧ هـ) وشرح على موطأ مالك وفهرست وكتاب الحدائق ؟

المصـــــادر

(١) ابن بشكوال : الصلة فى B. A. H ج ١ ، ، رقم ٦٣٩ (٢) الضبى : بغية الملتمس فى B. A. H ج ٣ ، رقم ٨٩٢ (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ٣٣٢ ، ترجمة = سلان ج ٢ ، ٦١ (٤) الشقندى : الرسالة ترجمة جارسيا كوميز Garcia Gomêz : *Elogio del Islam espanol* مدريد ١٩٣٤ ، ص ٥٤ وتعليق رقم ٥٠ (٥) Brockelmann : *G.A.L* ج ١ ، ص ١٢٢ ، ٤٢٧ (٦) Pons Boigues: *Ensayo biobibliografica sobre los historiadores y géografos arabigo-espänoles* مدريد ١٨٩٨ ، رقم ١٥١ ، ص ١٨٤ (٧) Gonzalez Palencia : *Historia de la literatura arabiga - espanola* برشلونة ١٩٢٨ ، ص ١١٨ (٨) سركيس : *Dict. enc. de Bibliographie arabe* ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٥٦٩ — ٥٧٠

[ليفى بروفنسال E. Lévi - Provençal]

■ **بطن** : خلاف الظهر ، وهى مسيل الماء والغامض من الأرض . وترد كثيرا بالمعنى الأخير فى الأسماء الجغرافية (انظر ياقوت المعجم ، ج ١ ، ص ٦٦٥ وما بعدها) .

■ **بطنان** : ناحية فى الشام شرقى حلب . ووادى بطنان هو الاسم الذى أطلقه العرب فى العصور الوسطى على الأراضى التى يرويها نهر الذهب وفروعه .

ولا شك أن بطنان اسم أطلق على هذه الناحية منذ عهد قديم جداً .

ولعل سخاو Sachau مصيب فيما ذهب إليه بقوله فى مقاله المشار إليه فى المصادر إن الصيغة الآرامية « بَطنَان » التى وردت فى مصنفات السريان هى تحريف لـ « بيت أدنى » المذكورة فى النقوش المسمارية . وبيت أدنى هذه قد ذكرت فى التوراة باسم « بنى عدن » ، وهى دويلة تردد ذكرها فى عهد الأشوريين على ضفتى نهر الفرات ، وتحد على الجملة بخطين يمتد أحدهما من عينتاب إلى الرها شمالا والآخر من حلب إلى حران جنوبا ، وكانت قصبتها « تل برسب » وتعرف حديثاً بـ « بيره جك » .

وقد عرف المصنفون الأقدمون أيضاً مكانين على الأقل فى أرض الشام والجزيرة اسمهما « بتناى *Batanae* » (بثناى أو بتنه = *Bathnai, Batane*) .

ولا شك أن أحدهما الكائن فى كيرّستيكا *Cyrrhestica* أى الأراضى التى بين حلب والفرات ، هو عين وادى بطنان الذى كان موضعا ذا شأن فى ذلك الوقت . ويمكننا أن نرجع فيما يختص ببتنـــاى (بثناى) إلى Pauly-Wissowa : *Realencykl. d. klass. Altertumswiss* ، ج ٣ ، ص١٢٥٠٠١٤٠٠ ؛ الملحق ج ١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ و Nöldeke : *Nachr*

der Gotting. Ges. d. Wissench، ١٨٧٦م ص ٩ و Chapot : *La frontière de l' Euphrate*، باريس ١٩٠٧ م ، ص ٣٠٥ وما بعدها ؛ ٣٤٢ و H.S Kiepert : *Formae orbis antiqui*، عدد ٨ ، ١٠٠٩م ، ص ٣٠٥

وقد ذهب جغرافيو العرب ومن بينهم ياقوت إلى أن بطنان جمع بطن . إلا أنه يتضح مما أسلفنا بيانه عن قدم هذا الاسم وعن أصله المحتمل أن ماذهب إليه العرب لم يكن سوى تفسير شائع له .

وتمييزاً لهذه الناحية عن غيرها من النواحي المعروفة بالاسم نفسه نقول إنه كان يطلق عليها أيضا بطنان حبيب نسبة إلى حبيب بن مسلمة الذي بُعث إليها من قبل أبي عبيدة أو عياض بن غنم وهما اللذان فتحا الشام والجزيرة فى عهد الخليفة عمر . وقد استولى حبيب هذا على الحصن الذى فى هذه الناحية . (البلاذرى طبعة ده غوى ج ١٦ ص ١٤٩ ، ياقوت ، ج ١ ص ٦٦٤) وربما كان هذا الحصن هو عين قلعة بزاعة وهى قصبة بطنان . وقد ورد ذكر هذه القلعة فى كثير من المواضع . واسم بطنان وينطق الآن بَطنَان ، لا يطلق اليوم فى الغالب إلا على أكوام على مسيرة ميلين ونصف من شمالى شرق الباب بالقرب من بزاعة .

ويطلق الجغرافيان ياقوت والبكرى اسما آخر على وادى بطنان هو « طَرْطَر » ويقال طَلطل وذكر المؤرخ الحلبى ابن شحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ (١٤٨٥م) مكانا فى هذا الإقليم دعاه « أبو طلطل » أو « أبو طرطر » (.A..V Kremer : *Denkscher. d. Wien.Akad. d.* [illegible] ، ٥٢ ، ١٨م ، ج ٣ ، عدد ٢ ، ص ٣٨)

والحق أن ماذكره جغرافيو العرب عن وادى بطنان متناقض فى بعض أجزائه . ولم يكن عند المتأخرين منهم فكرة واضحة عن المدلول الجغرافى لهذا الاسم على التحديد . وهم على الجملة يصفون وادى بطنان بأنه أرض منخفضة بين حلب غربا ومنبج شرقا ، يرويها نهر الذهب الذى سمــــاه الدمشقى خطأ نهر ساجور أو هى بين الباب وبزاعة ، وقد أخطأ هؤلاء الجغرافيون لجعلوا هذين المكانين اللذين هما أكبر الأمكنة شأناً فى بطنان أدنى إلى منبج منهما إلى حلب .

ويجرى نهر الذهب بصفة عامة من الشمال إلى الجنوب على مسيرة عشرين ميلا من حلب على خط طول ٣٥َ ٣٧° شرق جرينوتش ويمر بـ «قورس» ثم يصب فى البحيرة الملحة المعروفة بالسبخة أو تجبّول على خط عرض ٣٦° تقريباً .

ويتألف هذا النهر من نهيرات صغيرة تنبع من الباب وتاذف وبزاعة . ويقول هرزفلد Herzfeld إن اتساع النهر فى مجراه الأدنى يبلغ ثلاثين ياردة . ويروى ياقوت والقزوينى أن أهل حلب يزعمون أن نهر الذهب من عجائب الدنيا لأن « أوله يباع بالميزان وآخره بالكيل » .

ومعنى هذا الكلام أن أوله يزرع عليه

القطن وسائر الحبوب وتروى منه الأشجار المثمرة، وآخره يصير ملحا يمتار منه أكثر نواحي الشام ويباع بالكيل. وكانت ناحية بطنان مزدحمة بالخلق بالنسبة لوفرة مائها وخصب تربتها. ونستدل من كلمة «بطنان» على أنه كانت بهذه الناحية بطائح (انظر فيما يختص بهذا الأمر Wellhausen : *Das Arab Reich und sein Sturz* ، ١٩٠٢ ، ص ١١٧ تعليق ٢) وأهم بلدان الناحية بزاعة والباب وتاذف، وكلها مازال موجودا (انظر مقال بزاعة).

ولوادي بطنان شأن هام في تاريخ الحروب التي حدثت في عهد عبد الملك. وكان هذا الخليفة يشتو فيه إبان حرب مصعب ابن الزبير من عام ٦٩ إلى ٧١ هـ (٦٨٩ — ٦٩١ م) بل لقد عسكر فيه وكان يوجه منه حملاته (فلهوزن، كتابه المذكور، ص ٢١٧ — ١١٩ ، Weil : *Geschichte der Chalifen* ، جـ ١ ، ص ٣٩٧ ، تعليق [illegible] ، ديوان الحماسة، طبعة فريتاج، ص ٦٥٨)

وذكر بطنان أيضا في الحرب التي استعر أوارها بين العباسيين وقرامطة الشام. وفيه باغت القرامطة الجيش الذي أنفذه المكتفي بقيادة أبي الأغر عام ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) ونكلوا به.

المصـــــادر

(١) ياقوت : المعجم، فستنفلد، جـ ١ ، ص ٦٦٤ ، جـ [illegible] ، ص ٢٩ ، ٢٠٠ (٢) المقدسي طبعة مهرن، ص ٢٠٥ (٣) القزويني، طبعة فستنفلد، جـ ١ ، ص ١٧٨ (٤) أبو الفدا : تقويم البلدان، طبعة باريس، ص ٢٦٧ (٥) مراصد الاطلاع، طبعة جوينبل، جـ [illegible] ، ص ٢٥٩ ، ٢٣٩ ؛ جـ ٤ ، ص ٣٤٥ (٦) Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، ١٨٩٠ ، ص ٤٠٦ ، ٤٢٦ ، ٤٦٠ (٧) G. Freytag : *Selecta ex historia Halebi* ، باريس ١٨١٩ ، ص ٢٨ ، ٣٦ ، ١١٢ (٨) E. Sachau في *Zeitschr. für Assyriologie* ، جـ ١٢ ، ص ٥٠ — ٥١ (٩) R. Pococke : *Description of the East* ، جـ ٢ ، لندن ١٧٤٥ ، ص ١٦٨ (١٠) Sarre & Herzfeld : *Archaeol. Reise im Euphrat-und Tigrisgebiet* ، جـ [illegible] ، برلين ١٩١١ م، ص ١١٤ وما بعدها ، ص ١١٩ وما بعدها.

[ستريك M. Streck]

« بطهان » انظر « أفغانستان »

« البطيحة » منخفض كالمروج له بطن من الرمال المختلطة بالحصى تغمره مياه الأنهار المجاورة في مواسم تتفاوت كمية مياهها كثرة وقلة، وعلى ذلك فإن الماء يتبطح فيه أغلب الأحيان.

والبطيحة اسم يطلق بصفة خاصة على ناحيتين :

(١) سهل ضيق بفلسطين تكتنفه الجبال على

الشاطىء الشمالى الشرقى لبحيرة طبرية جنوبى « التل » الذى يرويه نهر الأردن ونهر آخر اسمه جُرّماية . وهذا التل مذكور فى التوراة باسم بيت صيدا أو يولياس ويقطن هذا السهل الآن الغوارين أى العرب الغور، وهم مزارعون يربون قطعاناً كبيرة من الجاموس المندى فى هذه البقعة وفى المسيل الذى إلى الشمال من بحيرة «حُولة». والاسم الحديث لهذه الناحية ، وهو البطيحة، لم يرد — فيما أعلم — فى مصنفات العرب فى القرون الوسطى ، ولكنه ذكر لأول مرة فى مؤلفات الجوابين المحدثين من الأوربيين أمثال سيتزن Seetzen وبرخارت Burkhardt والعامة ينطقون البطيحة الإبطيحة . وهو بلا شك مأخوذ من صيغة التصغير .

المصـــــادر

(١) Ritter : *Erdkunde* ، ج ١٥ ، ص ٢٧٦ وما بعدها (٢) Baedeker : *Palestine and Syria* ، الطبعة الرابعة ، ١٩٠٦ ، ص ٢٥١ (٣) E. Robinson : *Palästina* ، ج ٣ ، ١٨٤٢ م ، ص ٥٥٩ — ٥٦٤ ، ٥٦٩ (٤) نفس المؤلف : *Phys. Geogr. d. heil Landes* ١٨٦٥ م ، ص ٢٥٧ (٥) F. Buhl : *Geogr. d. alt. Palästina* ، ١٨٩٦ ، ص ٣٦ ، ٢٤١ (٦) Seetzen : *Reisen durch Syrien etc.* ، ج ١ ، ١٨٥٤ م ، ص ٣٤٥ .

٢ — يطلق كتاب العرب عادة اسم البطائح وهى جمع البطيحة على المسيل المتسع الذى على المجرى الأدنى للرافدين (دجلة والفرات) فيما بين واسط شمالا والبصرة جنوبا . ويقال أحيانا بطائح واسط أو بطائح البصرة نسبة إلى هاتين المدينتين المتجاورتين .

وقد أخطأ العرب فى زعمهم أن هذه البطائح تكونت أول الأمر فى العهد الساسانى وأنها حلت محل أرض عامرة وقرى متصلة . والوجه الصحيح فى هذا الزعم هو أن هذه البطائح قد اتسعت اتساعا كبيرا فى القرون الأخيرة من الحكم الساسانى بالنسبة لحدوث عدة فيضـــانات شديدة اكتسحت أمامها السدود ، يضاف إلى ذلك إهمال شأن هذه السدود وعدم المبادرة بإصلاحها . غير أن وجود بطائح فسيحة فى جنوبى العراق (بابل) يرجع بصفة عامة إلى زمن سحيق ، إذ أن الارتفاع المستمر فى شواطىء الدجلة والفرات الناشىء من رسوب الغرين بكميات كبيرة أخذ يعوق بالتدريج رجوع المياه التى طغت على الشواطىء إبان الفيضان من العودة إلى النهر فتكونت البطائح. وقد كان فى الإمكان أن تجف المياه من هذه الأراضى لولا أن الماء يعود إلى غمرها كل عام فى موسم الفيضان . بل إننا نجد ذكرا لهذه البطائح فى الكتابات المسمارية، فقد ورد فيها لفظ «أكامى» ومعناها البطائح وكلمة «أبرّانه» ومعناها إقليم القصب (انظر الفقرات الواردة من هذه الكتابات فى Delitzsch : *Assyr. Handwörterb* ص ١٧ ، ١١٥) . ولا شك فى أن الناحية بأسرها التى

تمتد من المحمّرة في الجنوب إلى مافوق القرنة، والتي تمتد شرقا إلى ما بعد الضفة الأخرى من نهر «كارون» كانت في ذلك العهد بحيرة ضحلة فسيحة يصب فيها دجلة والفرات أي كرخه وكارون لأن كلا النهرين كان [illegible] مصب منفصل عن الآخر، وكان يفصل هذه البحيرة عن الخليج الفارسي لسان ضيق من الأرض. وقد وجد في قيونلك نقش بارز هام يمثل الملك سنحريب وهو يقاتل أهل هذه البطائح وسط غابة مرتفعة. (انظر الصورة التي أوردها لايارد Layard عن هذا النقش في كتابه *Monuments of Nineveh*، ج ٢، ص٢٥ — ٢٨). ويطلق الأشوريون على هذه البحيرة الضحلة «نارمرّتو» أي الماء المرّ أو «تامدوشاماتو كلدي» أي بحر بلاد كلده، كما يطلقون عليها أيضاً «بطيحة (رقّتو) بيت حشمر، أو بطيحة ضفة الدجلة» (انظر فيما يختص بهذه التسمية الأخيرة دلتش Delitzsch في كتابه المذكور آنفاً، ص ٦٢٧) وقد عرف الكتاب اليونان هذه البحيرة باسم λίμνη وعرفها الرومان باسم Chaldaicus lacus. ووصفها نيرش Nearch وصفاً قيماً يستند إلى اجتيازه لها، فقال إن عرضها ٦٠٠ ستاد أي ٨٠ ميلاً. ووصفت لوحة بويتنجريانا Peutingeriana هذه البطائح البابلية وذكرت إلى جانب كلمة بالودس Paludes كلمة ديوتاهي Diotahi وهي بلا شك محرفة عن بيوتاهي أي البطائح (يمكن الرجوع فيما يختص بالإشارات التي وردت في الكتابات المسمارية والمؤلفات القديمة إلى Andreas في Pauly-Wissowa: *Realenzykl. d.* [illegible] *Altertumswiss*، ج ١ [illegible]، ص ٧٣٦، ٨١٥، ١٨٧٨ وما بعدها، ٢٨١٢، Weissbach في الكتاب السابق ج ٣، ص ٢٠٤٤، ج ٦، ص ١٢٠١ وما بعدها، Streck، ج ٥، ص ١١٤٧، مادة ديوتاهي Diotahi).

وأخذت هذه البحيرة الضحلة العظيمة في الامتلاء بالغرين الذي تجلبه الأنهار منذ القدم فيما خلا أماكن قليلة منها، كما ارتفعت الدلتا الحديثة التكوين، وانقطعت أجزاء من البحيرة الأصلية نذكر منها خور أبي كِلان غربي قرنه، وخور الجزائر على الضفة الغربية لشط العرب الأعلى والأخوار التي في جوار الحُوَيْزَة — الآن حَوِيزة — وتعرف بالخور الأعظم. ومن الواضح أن هذا الخور هو عين «أغما رَبْتا». وهي كلمة آرامية معناها البطيحة الكبرى. وذكر البلاذري (٢٩٣) وقدامة (٢٤١) شيئاً عن أحوال البطائح في الزمن القديم.

وعني الساسانيون عناية فائقة بتصريف الماء المتجمع في بطائح بابل فشقوا القنوات والمصارف في مساحات واسعة وحولوا الأراضي التي استصلحوها إلى حدائق، ثم حدث في عهد الأكاسرة المتأخرين من هذه الأسرة أن انبثقت بثوق غمرت أراضي واسعة عامرة فكثرت البطائح إلى [illegible] ظن معه العرب — كما أسلفنا بيانه — خطأ أن بدء تكونها يرجع إلى هذا

العهد ، وتتفق إشارات مصنفى العرب وبخاصة البلاذرى وقدامه والمسعودى وياقوت فى روايتهم للتغيرات التى حدثت فى المجارى المائية بفعل العوامل الطبيعية ، فقالوا إنه حدث فى عهد قباذ فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤ م) أن انبثق فى الأسافل جنوبى البصرة بثق عظيم غلب ماؤه وغرّق كثيراً من أرضين عامرة لم تستصلح إلا فى عهد كسرى أنوشروان الأول الذى حكم من عام ٥٣١ إلى عام ٥٧٨ م إذ أنه ما إن ولى العرش حتى بذل كل ما فى وسعه لإعادة تلك الأرضين إلى عمارة ، ولا شك فى ان ماروه الدينورى عن تقسيم هذا الملك الإقليم إلى نواحى له صلة بهذا الأمر (Nöldeke : *Gesch. der perser u. Araber* [illegible] *Zeit der Sassaniden* ، ١٨٧٩م ، ص ١٦٤) . واتفق فى السنة الأخيرة من حكم كسرى الثانى أبرويز (٦ أو ٧ هـ = ٦٢٧ م) أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة فانبثقت بثوق وطغى الماء على أرض واسعة فتكونت البطائح من جديد ، وعجز أبرويز عن دفع هذا البلاء على الرغم من جميع الجهود التى بذلها فى هذا السبيل ؛ ثم جاء الإسلام واشتغلوا بالحروب فاستفحل أمر البطائح . وفتح العرب العراق ، ثم انقضت فترة من الزمان لم يعنوا فيها بالبطائح . فلما ولى الخلافة معاوية أخذ فى استصلاح هذه البطيحة فولى عبد الله ابن دراج مولاه خراج العراق واستخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف درهم بأن قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات ، وأطلق على الأراضى التى جفت وأصبحت صالحة للزراعة اسم « الجوامد » ومفردها الجامدة . وزادت عناية الخليفتين الوليد بن عبد الملك وهشام بأمر هذه البطائح وسار الحجاج عامل العراق القوى فى عهدى عبد الملك والوليد خطوة واسعة فى سبيل استصلاحها .

وبنى الحجاج فوق البطيحة مدينة متوسطة سماها « واسط » ليجعل منها حصناً جديداً يحمى سلطان العرب فى هذه البطيحة ، وازدهرت واسط فى أمد وجيز . وعمد الحجاج إلى إصلاح حال القنوات التى كان قد أهمل أمرها لأنه وجد ألا صلاح للأرض التى فى السهل المنخفض فى حوض دجلة والفرات الأدنى بدونها ، كما عنى بإقامة السدود وبناء القناطر . واحتفر الحجاج النيل الزابى لتصريف الماء الزائد من دجلة والفرات قبل أن يفيضا فى البطيحة ، ولرى الأرض الجافة وإخصابها من جهة أخرى (Streck : *Babylonien* ، جـ ١ ، ص ٢٩ — ٣٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ — ٣٠٤) وقام بهذه الأعمال تحت إشراف الحجاج نبطى من أهل العراق اسمه الحسن ، فأسدى الرجل للعراق خدمات جلى . وأسكن الحجاج فى البطيحة الزط ، وهم خلق من الهند جاءوا بجواميسهم البالغه ألفاً . وكان قد بعث بهم إليه محمد بن القاسم فاتح الهند ، ومنعت

فلقد مال الحجاج من أن يزيد في إصلاح البطيحة، إذ قدر لسد البثوق ثلاثة آلاف ألف درهم، فلما استكثرها الوليد، أبدى مسلمة ابن عبد الملك أخو الخليفة، استعداده للانفاق عليها، وجعل منها غلاَّ يدر الريع، وحفر قناتين يعرفان بالسيبين لتصريف الماء. (انظر بصفة خاصة قدامة، ص ٢٤٠ — ٢٤١؛ Wellhausen: *Das Arab. Reich u. sein Sturz* ١٩٠٢، ص ١٥٦ — ١٥٨)

وكان خالد القسرى أشد عمال العراق الذين جاءوا إثر الحجاج شغفاً بالفلاحة، فأخذ يعمل بنشاط عظيم فى استكمال ما فعله الحجاج من إصلاح البطيحة، وظلت هذه الأعمال تسير بإشراف الحسن النبطى، وحصل خالد على أرضين كثيرة مما استصلح، وكان خرجه منها عظيماً، غير أنه أثار السخط فى ولايته لتعسفه فى امتلاك جزء كبير من الأرضين (Wellhausen كتابه المذكور، ص ٢٠٧)

وقدر ابن رستة المتوفى عام ٢٩٠ هـ الموافق ٩٠٣ م مساحة البطيحة بعد ما أصلحها العرب هذا الإصلاح العظيم بثلاثين فرسخاً فى الطول والعرض، والفرسخ أربعة أميال. وتحدث قدامة المتوفى عام ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) عن أرض يربو طولها على ستين ميلا عربياً، والميل العربى $1\frac{1}{4}$ من الأميال الإنجليزية. ومع أنه لم يقل شيئاً عن مساحتها إلا أننا إذا أخذنا بطولها وربعناه لبلغت مساحتها ٥٢٨٤ ميلا إنجليزياً.

ومهما يكن من شيء فإن المسعودى قد بالغ فى تقديره لمساحة البطيحة بقوله إنها تبلغ ألفين وخمسمائة فرسخ مربع، وقد أخذ شبرنجر بهذا التقدير (A. Sprenger: *Babylonien das reichste Land der Vorzeit*، هيدلبرج ١٨٨٦، ص ٤٧ وما بعدها). وعلل فاجنر H. Wagner هذا الخطأ بأنه خلط بين الفرسخ والميل (انظر H. Wagner: كتابه المذكور فى المصادر، ص ٢٣٩). وآية ذلك أن المسعودى ذهب إلى أن مساحة البطائح كلها لا تقل عن ٣٥,٠٠٠ ميل مربع بينما مساحة أرض العراق كله لا تزيد عن ٤٥,٠٠٠ ميل مربع.

وتمتد البطيحة ناحية الشمال الغربى إلى قرابة الكوفة و «نفر»، وتبدأ من ناحية الشرق على مسافة كبيرة من واسط ثم تتبطح ناحية الجنوب الشرقى إلى البصرة. وكانت ضفتا نهر الفرات الحالى والجزء الأكبر من البلاد التى بين هذا النهر وبين الفرع الرئيسى لنهر دجلة فى زمننا هذا وفى زمن الجاهلية أيضاً والبقاع التى تمتد إلى ما وراء ذلك بمسافات كبيرة، كانت كل هذه الأراضى فى العصور الوسطى عبارة عن بطائح يتراوح الماء فيها كثرة وقلة. ويصب نهر الفرات بقية مائه فى البطيحة على مسيرة بضعة أميال جنوبى الكوفة. وكان الفرع الرئيسى لهذا النهر يسير فى تلك العصور بجوار هذه المدينة كما كانت مياهه تستخدم كثيراً فى شئون الرى شمالى العراق ووسطه، وكان نهر دجلة يسير منذ نهاية العهد الساسانى إلى

النصف الأول من القرن السابع عشر في مجراه الغربي (شط الحيّ) بالقرب من واسط وموقعها الآن كوت الحيّ؟ ويقول ياقوت إنه ينفصل عن واسط ويصب في البطيحة منقسماً إلى خمسة أنهار تجتمع عند «المَطّارة» على مسيرة يوم من البصرة، غير أن رواية ابن سرابيون الذي عاش في بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهي أقدم من رواية ياقوت وأصح، تقول إن دجلة أي شط الحي تصل إلى البطيحة عند قرية «القَطَر» ثم تنقاد في بحيرات أربع تكونت بفعل الفيضان وتصل بعضها ببعض قنوات صالحة للملاحة، وتعرف هذه البحيرات باسم الخَوْر وهَوْر وهَوَل، وتعرف اليوم باسم الخور. وتسير مياه البطيحة أي نهر أبي الأسد والدجلة العوراء من «المذار» وهي في موقع العُزَير ثم يجتمعان ويكونان نهرا كبيراً بالقرب من القرنة.

وسنبين في العجالة التالية الأقسام الحديثة لبطائح العراق الأوسط والجنوبي.

ولم يبق من البحيرتين الضحلتين جنوبي «الكِفِل» على ضفتي مجرى الفرات سوى البحيرة الطويلة منهما التي على الضفة الغربية وهي تعرف ببحر النجف على حين تحول خور أبي نجم شرقي أطلال الكوفة إلى أرض صالحة للزراعة (زراعة الأرز) وإلى الغرب من نهر خور غفج أو عفك. ويمتد جنوبية ناحية الملون خور الخزَاعِل. وكلا الخورين منسوب إلى قبيلة عربية. وتعرف البطائح الشاسعة التي تمتد على طول الفرات من الملون إلى ما وراء سماوة والتي تمتد شرقاً إلى شط الحيّ باسم بطائح الملون. وفي الثنيـــة التي تتألف من دجلة والفرات قبل التقائهما غربي القرنة بطائح أبي كِلام. وعلى الضفة الغربية لشط العرب الأعلى خور الجزائر. ويقول لفتوس Loftus (كتابه المذكور في المصادر، ص ٢٤٤ وما بعدها) إن ضفتي شط الكار (كهر)، وهو فرع من فروع الفرات بينه وبين شط الحي، يكتنفهما القصب حتى ليتعذر السير فيهما. وجميع الأراضي التي على ضفتي دجلة وبخاصة ما كان منها على ضفته الغربية، وما كان منها أسفل «إمام علي الغربي»، مليئة بالماء الآسن والبطائح. وتزداد البطائح كلما اتجهنا مع النهر، وقد أغرقت كل الاراضي التي على ضفته الشرقية إلى ما وراء «كَرْخه» كما أغرقت الأراضي التي أعلاها حتى وصلت إلى الجبال المتفرعة من پشت كوه. والإقليم بأسره ما هو إلا بطائح ممتدة لا تبلغ العين مداها، وتنتثر فيها أحراج النخيل وأكواخ من القصب قائمة على جزر صغيرة. ويعرف الجزء الشمالي من هذه البطائح شرقي دجلة ببطيحة «سَمَرْغَة». أما الجزء الأكبر الذي في الجنوب المعرض لفيضان نهر كرخه فهو معروف بالخور الأعظم، ويوجد في الوسط بطائح «سَمِدَة».

ونستطيع أن نقول بصفة عامة إن أرض البطيحة كلها وبخاصة ما كان منها بين الفرات ودجلة وشط الحي لم يستكشف منها إلا جانب

ضئيل سواء فى الماضى أو فى الحاضر ، إذ أننا لا نعرف حق المعرفة سوى ضفاف هذين النهرين العظيمين . ومن ينظر إلى هذه البطائح على مسافة منها ير سهلا أخضر شاسع الأرجاء لا يرجع لونه الذى فى لون المروج إلى الحشائش بل إلى ما تكاثف فيه من قصب وحلفاء . وتؤلف هذه النباتات عادة آجاماً ترتفع إلى عدة أقدام ثم تخترقها قنوات عواة تتفاوت طولا وقصرا يضل فيها الأجنبى ما لم يقده دليل من أهل البلاد . وهذه القنوات ضحلة فى الغالب ولا يمكن اجتيازها إلا بالقوارب الصغيرة (مشحوف وطرّاده) تسيرها أعواد من القصب هى المردى وجمعها مرادى (أبو الفداء : ص ٢٩٦ ، س ١٣ ؛ Meissner ، كتابه المذكور فى المصادر ، ص ٩ ، مادة Mārdi) وهذه الوسيلة من وسائل النقل (شَلَبَة، انظر *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl Ges.* ، جـ ١٧ ، ص ٢٢٤) قديمة جداً كما نستدل على ذلك من النقوش الآشورية التى أسلفنا الإشارة إليها (Layard : *Monum*، جـ ٢ ، ص ٢٧ ؛ *Orient Liter. Zeit* جـ ٩ ، ص ١٩٠)

وكانت البطيحة على الدوام مخبأ عجيباً لجميع اللصوص وقطاع الطريق والثائرين لصعوبة الوصول إليها ، ولذلك فقد أقيم الحراس فى بقاع مختلفة منها زمن الخلافة الإسلامية لحماية المسافرين وتأمين السير خلال القنوات .

ولا تزال معظم القبائل الآن مصدر خوف الناس لأن أفرادها يعتبرون من اللصوص . وكان بنو لام وأبو محمد من ذوى السمعة السيئة قبل وقتنا الحاضر ، إذ كانوا ينسلون فى قواربهم الصغيرة وينتقلون إلى المراكب الكبيرة التى تمخر المجارى الرئيسية وينهبون هذه المراكب ثم يختفون فى القنوات الصغيرة التى لا حصر لها والتى يتعذر على هذه المراكب السير فيها .

وقد أسكن الحجاج الزط (الجاط) وهم قوم من الهنود ، فى هذه البطيحة أيام عبد الملك ومعهم قطعان كبيرة من الجاموس . واسترعى هؤلاء الزط الاهتمام عدة مرات فى العهد العباسى الأول إذ كانوا مصدر قلق لقيامهم بأعمال السلب والنهب ولم ينجح الخليفة المأمون فى إخضاعهم إلا بعد أن بذل فى سبيل ذلك جهداً مضنياً .

وكانت فتنة الزنج الكبيرة أعظم من هذه خطراً . وهم قوم من العبيد السودان كانوا يقطنون أطراف البطيحة أتى معظمهم من الشاطىء الشرقى لإفريقية . والزنج هو الاسم العربى لزنجبار ، وهى زنكيس *Zingis* باليونانية . وكان هؤلاء يقومون بعمل شاق ألا وهو امتيار الملح من الأرض المالحة شرق البصرة . وقد قاموا بزعامة على بن محمد ، ولعله من العلويين ، بفتنة كبيرة آزرهم فيها طبقات مختلفة من أوشاب الناس ، وكان ذلك من عام ٢٥٥ إلى عام ٢٧٠ هـ (٨٦٩ — ٨٨٣ م) ويقص مؤرخو العرب كالطبرى

وابن الأثير وابن خلدون أنباء هذه الفتنة الخبيثة تفصيلا ، ورواياتهم تزودنا بمادة قيمة نافعة فى دراسة طبيعة أرض هذه البطيحة (Nöldeke : *Sketches from Eastern History* ص ١٤٦ — ١٧٥) . وأقام بنو شاهين (انظر مادة « عمران بن شاهين ») ومن بعدهم بنو المظفر ممالك فى هذه البطائح تتفاوت درجة استقلالها ، وكان ذلك فى القرون التالية . وقد شاركهم فى هذه الممالك بعد ذلك بنو مَزيد (انظر هذه المادة) الذين حكموا فى الحلة من عام ٤٠٣ إلى عام ٥٥٨ هـ . ولما اضمحل شأن بنى مزيد جاء دور بنى منتفق ، ولو أن الخليفة الناصر نجح فى القضاء على زعمائهم ، بنى معروف ، عام ٦٥٧ هـ (١٢٢٠ م) . ولا نعرف بالتفصيل تاريخ هذه البقاع فى ظل المغل والأتراك .

ولما قام العرب بفتوحهم التجأ أناس من نصارى بابل الآرامى الأصل ، وهم النبط عند مصنفى العرب ، إلى إقليم البطيحة القحل بصفة مؤقتة ، ولا بد أن عددهم كان كبيراً فى هذه البطيحة إبان أواخر القرون الوسطى . وشاهد هذا أننا نجد ذكراً لبطائح النبط فى مواضع مختلفة كأبى الفداء . ولا تزال بقايا منهم (وهم المنديان *Mandaeans* الذين عرفهم العرب بالصُّبَّاء ، أى نصارى يوحنا المعمدان) يعيشون فى أماكن من هذه البطائح وبخاصة حول الهور الأعظم . وأهم محلاتهم هى مدينة الحُوَيْزة ، وهى الآن الحُوَيزة ، ومكانها ضار بالصحة إلى حد كبير .

ويتألف معظم سكانها الآن من قبائل عربية همجية شرسة الطباع تحيا حياة بربرية مائية إلى حد ما . وهم فى روايات الرحالة من أشرس أقوام المشرق . أما من جهة دينهم فإنهم على مذهب الشيعة وعلى معرفة بقوانين البدو ، ولكن يعوزهم الكثير من فضائلهم . ومما يجدر ذكره كرمهم الحاتمى .

وأهم هذه القبائل العربية التى تنقسم فيما بينها إلى عشائر عديدة هى : —

(١) بنو لام شرقى دجلة بين كوت العمارة فى الشمال وعَمَرَة فى الجنوب ، وهم يتجولون شرقاً حتى أطراف جبال پشت كوه بل إنهم ليصلون إلى جوار بغداد . وكانت كوت العمارة مقر شيخهم فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى . وقد تحدث كريمر A. von [illegible]emer عن هذه القبيلة فى *Sitz. Ber. der Wiener Akad.* ، ١٨٥٠ م ، ص ٢٥١ — ٢٥٤ ، وأورد نماذج من أشعارهم .

(٢) أبو محمد ، ويقال لهم أيضاً آل أبى محمد ، وهم يستوطنون كذلك شرقى دجلة ، كما أنهم الجيران الجنوبيون لبنى لام ، وأرضهم تتألف من البطيحتين اللتين فى جنوبى عمرة وهما بطيحة سمرغة والهور الأعظم .

(٣) زُبيد غربى دجلة ، وبلادهم بين بغداد فى الشمال وكوت الحى فى الجنوب الشرقى ، وهم يتاخمون فى الجنوب أرض الخزاعل .

(٤) الخَزاعِل ، ويقال لهم أيضاً الخُزّاعل وهم جنوبى زبيد ، ويقطنون الإقليم ما بين كِفل وأطلال نفّر وإلى الجنوب الشرقى منها ، وينتشرون بمحاذاة الفرات من ديوانية إلى الملون حيث يشرفون منها على المنتفق . والعفق الهمج ، ويقال لهم عفج وعَفَيج ، هم فرع من هؤلاء . إذا أخذنا بما جاء فى مجلة *Zeitschr. d. Deutsch Morgenl Oes.* جـ ١٧ ، ص ٢٢٤ ، ويقطنون البطائح المعروفة باسمهم ، وأهم قراهم سوق العفيج جنوبى نفّر ، وهى سوق تباع فيها منتجات قطعانهم الكبيرة من الجاموس . وكانت للملون مقر شيخ الخزاعل فى عهد نيبهر Niebuhr أى فى منتصف القرن الثامن عشر .

(٥) المنتَفق . ويقال أيضاً المنتفج ، وهم الآن أقوى القبائل جنوبى العراق ويبسطون نوعاً من السيادة على أحلاف أصغر منهم هناك . ويقول موريتز Moritz (كتابه المذكور فى المصادر ، ص ٢٠٠) إنهم ليسوا قبيلة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة ، وأقرب منهم إلى هذا المعنى الأتباع العديدون لأسرة زعيم قوى من الزعماء . وبلادهم أسفل الملون وتشمل ضفتى الفرات إلى قُرْنة . وحاضرتهم سوق الشيوخ ، وتمتد أراضيهم ناحية الشرق إلى ماوراء شط الحى ، أى إلى قرابة دجلة ، وعلى هذا فهى تضم كذلك الجزء الأكبر من البطيحة الحقيقية .

(٦) المَعْدان ، ويقال لهم أيضاً المُعدان ومفرده « مَعيدى » وهم يضربون خيامهم بين شطرة وقرنة ، ومستواهم الثقافى أحط من مستوى جميع القبائل فى العراق ولفتوس Loftus هو أعظم من تحدث عنهم (كتابه المذكور فى المصادر ، ص ١٢٠ وما بعدها) .

ويجدر بنا أن نذكر أيضاً عرب خفاجة الذين كانوا معروفين فى القرون الوسطى كما كانوا فى عهد ابن بطوطة يسيطرون على الطريق الممتد بين الكوفة والبصرة [Weil : *Gesch der. Chalifen* ، جـ ٣ ، ص ٩٢ ؛ ابن بطوطة ، طبعة باريس ، جـ ٢ ، ص ١ ، ٤ ، ٩) . وهم اليوم شأن آل بنى محمد يبدون تارة وكأنهم أسرة من بنى لام ويبدون تارة أخرى وكأنهم فرع من المنتفق وذلك بالنظر لما حدث بينهم من صلات المصاهرة والولاء (von. Kremer : كتابه المذكور ، ١٨٥٠ م ، ص ٢٥٣ ؛ Chiha ، كتابه المذكور ، ص ٢٤١) .

أما عن القبائل العربيه التى تقطن العراق الأوسط والجنوبى والتى سبق أن تحدثنا عنها فى هذا المقال فيمكننا أن نرجع فى أخبارها إلى ما كتبه الجوابون أمثال ريتر Ritter المذكور فى المصادر ، جـ ١١ ؛ وليارد Lyard ولفتوس Loftus وإلى البيان الذى جمعه شبرنجر Sprenger من مخطوط عربى فى المتحف البريطانى ونشره فى *Zeitsch. d. Deutsch Morgenl Oes.* ، جـ ١٧ ، ص ٢٢٣ وما بعدها وكذلك إلى الفهارس التى أوردها البارون فون أوبنهيم von Oppenheim فى *Vom Mittelmeer Zum Persischen Oolf* ، جـ ٢ ، ص ٦٧ — ٧٦

وفهارس Chiha فى كتاب *La Province de Bagdad* ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ٢٣٩ – ٢٤٥ وما بعدها .

وتقوم بيوت أهل البطائح على مرتفعات أو جزر لا تصل إليها مياه الفيضان السنوى ويتجمع بعضها فيكوّن القرى . وهى عبارة عن أكواخ مستطيلة من القصب والحصير (صَريفة أو صِريفة) وإنا لنجد ذكراً لهذه الأكواخ فى التلمود البابلى باسم صريفة أيضاً (Nöldeke : *Wiener Zeitschr. f. die Kunde des Morgenl* ، ج ١٦ ، ص ١٩٨ ، تعليق رقم ١) .

ولا يزرع فى البطيحة إلا الأرز . والقصب مصدر إيراد لا يستهان به وهو يستعمل فى جميع الحاجات المنزلية وقد اتخذ أداة للكتابة منذ القدم (*Orient. Lit. Zeit* ، ج ٩ ، ص ١٩٠) وتشتهر أقلام البوص التى كانت تصنع أولا فى واسط ثم فى دزفول اليوم بأنها أجود الأقلام فى المشرق (Cl. Huart : *Les Calligraphes et les miniaturistes de l'Orient Musulm.* ، ١٩٠٨م ، ص ١٣ ؛ H. Petermann : *Reisen im Orient* ، ١٨٦١ م ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ؛ Stolze-Andreas فى *Petermann's Mitteil* ، العدد ٧٧ ، ص ١٩) وبالبطيحة كمية هائلة من السمك ، وهى ليست غذاء دائماً للأهالى فحسب بل هى تملح وتصدر للبلدان المجاوره أيضاً . ويذكر ابن رستة فى العصور الوسطى أن البطيحة كانت كنزاً لأهل البصرة بما تنتج من البوص وتخرج من السمك .

وأهم مصدر من مصادر الثروة لسكان البطيحة الحاليين هو ما تنتجه قطعان الجاموس العديدة من الألبان والزبد الذى يرسل بصفة خاصة إلى بغداد ، وهو من الأصناف التجارية التى تدر أرباحاً طائلة . ومع أن الجاموس قد جلب فى الأصل من الهند إلا أنه توالد بشكل عجيب فى هذه البلاد التى تلائمه . وتكتظ بعض مناطق البطيحة بالجاموس ، والسكان يرعون الأغنام أيضا غير أن الإبل لا تعيش فى البطيحة إطلاقاً .

أما فيما يتعلق بحيوان البطيحة فإن الطيور المائية بأنواعها موجودة فيها بكثرة كالنورس والبط البرى والأوز والتم (الأوز العراقى) كما أن فيها أسراباً من الكراكى والبجع والغرنوق واللقلق والحبّارى[١] والواق[٢] كما يوجد الحيوان المفترس . ويقول الرحالة المحدثون إن الأسد يكثر فى آجام القصب كان فى القديم (Streck : *Die Inschriften Assurbanipals* ، ص ٢١٣ ، فصل ٢٨١٧ ، ص ٣

(١) طائر من طيور البر بعظم الدجاجة لا طويلة الرجلين ولا قصيرتهما ، طويلة العنق والذنب تعرف بهذا الاسم فى البلاد العربية اللسان ، ويعرف بالحزب أو الحبارى فى العراق .

معجم الحيوان لأمين المعلوف

(٢) الواق طائر من فصيلة مالك الحزين ، طويل العنق والمنقار والرجلين والأصابع والأظافر قصير الزمكى أصفر الريش مع رقشة وتوشيم ، يحب العزلة فيختفى فى النهار بين الأسل ويكثر الصياح فى الليل

معجم الحيوان لأمين المعلوف

وما بعدها Ritter كتابه المذكور، جـ١١، ص٩٤٠، ٩٤١، Layard : كتابه المذكور، ص٥٦٦، ٥٦٧ Loftus : كتابه المذكور، ص٢٤٢ وما بعدها، ٢٥٩ وما بعدها، Moritz : كتابه المذكور، ص ١٩١) ويوجد قطعان كثيرة من الوشق(١) والفهد وابن آوى والذئب والقط البرى. وتوجد الخنازير البرية هناك بكثرة. ويهدد البعوض والذباب هذه المنطقة بالأوبئة. ولبعض الأقاليم مثل إقليم « أم البق » جنوبى كوت العمرة على شط الحى سمعة سيئة فى طول البلاد وعرضها لكثرة ما فيه من هذه الحشرات الصغيرة البغيضة التى تجعل الحياة لا تحتمل (Ritter جـ١٠، ص١٩٠، جـ١١، ص ٩٣٥، ١٠١٥).

ولسنا بحاجة فى ختام مقالنا هذا إلى أن نؤكد تلك الحقيقة وهى أن الأحوال الجوية لإقليم البطائح فى العراق تجعل خطره على الصحة فى ازدياد بسبب الحميات الخطرة التى تتفشى فى كل مكان ؟

المصادر

(١) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة ده غوى، فى مواضع مختلفة، وبخاصة جـ ٦، ص ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٠ وما بعدها (قدامة)، جـ ٧، ص ٩٤ وما بعدها، ١٨٦ (ابن رسته) (٢) البلاذرى، طبعة ده غوى، ص ٢٢٢ — ٢٩٤ (٣) ابن سرابيون، وقد نشر فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية، ١٨٩٥ م، ص ٢٨ وما ذكره G. le Strange فى نفس هذه المجلة ص ٢٩٦ وما بعدها (٤) المسعودى، مروج الذهب، طبعة باريس، جـ ١، ص٢٢٤ وما بعدها (٥) الماوردى: الأحكام السلطانية: طبعة R. Enger، بون ١٨٥٣ م، ص ٣١١ وما بعدها وترجمة A. von Kremer لهذا الكتاب فى *Sitz-Ber. der Wiener Akademie*، ١٨٥٠ م، جـ ٤، ص ٢٧١ وما بعدها (٦) الإدريسى: نزهة المشتاق، ترجمة Jaubert، باريس ١٨٣٦ م وما بعدها، جـ ١، ص ٣٦٩ وما بعدها (٧) ياقوت: المعجم، طبعة فستنفلد، جـ ١، ص ٦٦٨ وما بعدها (٨) مراصد الإطلاع، *Lexicon geogr.*، طبعة جوينبل، ١٨٥٠ وما بعدها، جـ ١، ص ١٦٠ — ١٦١؛ جـ ٤، ص ٣٤٣، ٣٤٨: أنظر تعليق جوينبل (٩) أبو الفداء: تقويم البلدان، طبعة باريس ص٤٣، ٥١، ٢٩٦ (١٠) A. von Kremer: *Kulturgesch. des Orients unter den Chalifen*، جـ ١، ص ٢٥٩ — ٢٦١ (١١) M. Streck: *Babylonien nach den arab. Geographen*، جـ ١، ص ٣١، ص ٣٩—٤٢ (١٢) H. Wagner: *Nachr. d. Götting. Ges. d. Wiss*، ١٩٠٢ م، ص٢٣٨ وما بعدها ٢٧١ وما بعدها، ص ٢٧٥ — ٢٧٩ (١٣) G. le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate*، ١٩٠٥ م، ص ٢٦ — ٢٩،

(١) الوشق فارسية معربة: سبع من فصيلة السنانير طويل القوائم قصير الذنب فى أعلى أذنيه جمة من الشعر الأسود — معجم الحيوان لأمين المعلوف

ص ٤٠ — ٤٣ (١٤) E. Herzfeld فى *Memnon*، ج ١، ١٩٠٧م، ص ١٣٧—١٣٩ (١٥) Ritter: *Erdkunde*، ج ٩، ص ٣٢٠، ٣٢٧ وما بعدها، ج ١٠، ص ٢٨ — ٣٠، ٤٦، ٥٨، ١٦٢ — ١٦٣، ١٨٨ — ١٩٥، ج ١١، ص ٩٢٥ — ١٠٢٨ (١٦) A. H. Layand: *Nineveh and Babylon*، لندن ١٨٥٣، ص ٤١٣ وما بعدها، ٥٨٥ وما بعدها (١٧) Loftus: *Travels and Researches in Chaldaea and Susiana*، لندن ١٨٥٧م، ص ٣٨ وما بعدها، ٩١ وما بعدها، وفقرات أخرى كثيرة (١٨) B. Moritz: *Verhandl. der Berliner Gesellsch f. Erdkunde*، ١٨٨٨م، ص١٨٥—٢٠١ (١٩) E.Sachau: *Am Euphrat und Tigris*، ليبسك ١٩٠٠م، ص ٧٠ — ٧٩ (٢٠) B. Meissner: *Von Babylon nach den Ruinen von Hira und Huarnak*، ليبسك ١٩٠١

[M. Strech. ستركـ]

« بَعاث » : موضع بالقرب من المدينة اشتهر بالحرب التى نشبت بين الأوس والخزرج قبل هجرة النبى وأصحابه ببضع سنين. وهو موطن قبيلة بنى قريظة اليهودية. ويروى السمهودى أن بُعاث على مسيرة ميلين شرق المدينة أو إلى جنوبها الشرق على التحديد فوق قَوْرى وهى مزرعة للحنطة. ومما يساعدنا على تحديد موقع بُعاث تحديداً أقرب إلى الدقة تلك الإشارات القليلة التى وردت فى الأحاديث، فإن أصحاب النبى الذين قتلوا كعب بن الأشرف مروا ببنى قريظة ثم بيعاث ووصلوا إلى حَرَّة العُرَيض ومنها ساروا إلى بقيع الغَرْقد شرقى المدينة. وفى غزوة بنى قُرَيظة مر خَوّات بن جبير بعبد الأشهل وزهرة ثم بيعاث حتى وصل إلى قريظة. ودارت الدائرة أول الأمر على الأوس بعد مناوشات بين الفريقين وانتهت بهزيمة الخزرج هزيمة منكرة. وقد أوحت هذه الوقعة بعدة قصائد تناقلها الناس.

المصـــادر

(١) ابن هشام، طبعة فستنفلد، ص ٣٨٥—٣٨٦، ٥٥٢ (٢) الواقدى، ترجمة فستنفلد، ص ٩٧، ١٩٨ (٣) ياقوت: المعجم، طبعة فستنفلد ج ١، ص ٦٧٠ — ٦٧١ (٤) الطبرى، طبعة دءغوى، ج ١، ص ١٣٧٢ (٥) Wellhausen: *Skizzen und Vorarbeiten*، ج ٤، ص ٣٣—٣٦، ٥٢ — ٦٤ وفى هذا الكتاب كل ما ورد عن بعاث فى ابن الأثير وكتاب الأغانى والحماسة (٦) Wüstenfeld: *Geschichte der Stadt Medina* فى *Abhandl. der Gött. Ges. der Wissensch* سنة ١٨٦٠، ج ٩، ص ٥٢

[F r. Buhl بول]

« بعقوبا » : ويقال أيضاً «باعَقوباء» مدينة بالعراق يقول ياقوت إنها محطة على طريق القوافل القديم الذى يسير من سهول العراق إلى جبال فارس، وهو الطريق المعروف عند جغرافيي العرب بطريق خراسان. وهذا الطريق على مسيرة عشرة فراسخ، أى نحو أربعين ميلا، إلى الشرق من بغداد أو هو إلى الشمال الشرقى منها إذا شئت الدقة وعلى الشاطىء الغربى لنهر ديالى. ويتضح من رواية ابن سرابيون أن مجرى هذا النهر من بغداد حتى جسر النهروان يكون جزءاً من قناة قاطول نهروان الكبرى التى كانت تسمى تامرّا (انظر عن هذا الموضوع كتاب Streck : *Babylon. n. den Arab. Geogr.* ج ١ ، ص ٣٧). ولا تزال هذه المدينة باقية إلى الآن وهى على خط عرض ٤٥َ ٣٠° شمالا وخط طول ٤٠َ ٤٤° شرق جرينويتش، وهى واحة جميلة وسط الصحراء بها أشجار النخيل، وترويها عدة مجار مائية صغيرة. وكان بلحها وليمونها مضرب المثل فى العصور الوسطى. ومدينة بعقوبا شهيرة باعتدال مناخها، وهى على جانب من الأهمية لمرور طرق القوافل بها، وفيها بعض الأسواق الهامة. وتختلف الروايات فى عدد سكانها، فيذهب كليمان Clément إلى أن عدد سكان هذه المدينة قد بلغ فى سنة ١٨٦٦ ثلاثة آلاف نسمة (انظر كتاب Reclus المذكور فى المصادر) بينما يذهب سوبان Supan فى (*Petermann's Mittell*، رقم ١٣٥ عام ١٩٠١، ص ٢٢) إلى أن تقدير كوينيه Cuinet لعدد سكان هذه المدينة بألفين نسمة هو أصح تقدير. ويقدر أوبان Aubin عدد سكانها بستة آلاف نسمة. ومن الواضح أن هذا التقدير مبالغ فيه كثيراً. ويذهب أوبان أيضاً إلى أن جميع سكان بعقوبا من العرب مع استثناء فئة قليلة من اليهود واللر. وقد أصاب فليشر Fleischer (طبعة لكتاب مراصد الاطلاع ج ٤ ، ص ٣٥٠) فى قوله إن الاسم الآرامى لهذه المدينة هو اختصار لكلمة بيعقوبا وهى بالعبرية בֵּיתְיַעֲקֹבָא ومعناها بيت يعقوب؟

المصـــادر

(١) ياقوت المعجم، طبعة فستنفلد، ج ١، ص ٤٧٢، ٦٧٢ (٢) أبو الفداء: تقويم البلدان طبعة رينو وده سلان Reinaud و de Slane ص ٢٩٤ (٣) أبو الفداء: مختصر تاريخ البشر، طبعة ريسك ــ أدلر Reiske-Adler، ج ٤، ص ٦٩٠ (٤) رشيد الدين: تأريخ المغل، طبعة كاترمير، ص ٢٧٨ وما بعدها (٥) Weil : *Geschichte der Chalifen*، ج ٣، ص ٣٩٠ (٦) le Strange فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٨٩٥، ص ٢٦٨ (٧) Ritter : *Erdkunde*، ج ٩، ص ٤٩٨ (٨) Reclus : *Nouv. géogr. univ.* ج ٩، ص ٤٣٧، ٤٣٩ (٩) Kiepert : *Zeitschr. f. Erdk.,*

عام ١٨٨٣ ، ص ١٨ (١٠) V. Cuinet : La Turquie d'Asie ج ٣ ، ص ١١٩ (١١) C. Huart : Hist de Baghdad سنة ١٩٠٢ ، ص٢ ، ٥٣ (١٢) Rousseau : Description du Pachalik de Bagdad ص ٨٠ (١٣) Czernik في Petermann's Geogr. Mitteil. سنة ١٩٠٧ ، ص ٥٠ (١٤) E. Aubin : La Perse d'aujourd' hui سنة ١٩٠٨ ، ص ٣٥٧وما بعدها

[M. Streck ستْرك]

« بعْل » والكلمة السامية الشائعة «بَعَـل» ومعناها مالك الشيء (انظر المقالات الخاصة بهذا الموضوع في Encycl. : Cheyne. Bible ؛ Hastings : Dict. of the Bible.) . وقد عاشت هذه الكلمة في الاســـتعمال الإسلامي على وجهين فقط . ووردت في القرآن في سورة البقرة ، آية ٢٢٨ ؛ وسورة هود ، ... ٧٠ ، وسورة النور ، آية ٣١ بمعنى زوج . وقد يكون هذا الاســـتعمال قديماً (انظر الزواج بالامتلاك وما يتصل به من عادات في كتاب Robertson Smith وعنوانه Kinship and Marriage ، الفهرس ، ص ٩٢ وما بعدها بنوع خاص) . ونجد أن كلمة «بعلي» تدل في اللغة الدارجة على الزرع الذي لا يسقى Spiro : Vocabulary of Coll. Ar. of ...gypt ، وانظر فيما يختص بالاستعمال العربي القديم الذي يدل بكلمة بعل على رب Lane : Lexicon ، ص ٢٢٤ ؛ وDe Sacy : Chrest. Ar. ، ج ١ ، ص ٢٨ ، وإذا أردت التوسع انظر لسان العرب، ج ١٣ ، ص ٥٩ وما بعدها ، والبلاذري ، طبعة ده غوي ، ص ١٣ وما بعدها) .

ولا يزال بين كلمة بعل التي تدل على إله وبين «بَعِـل» ومعناها دهش أو فَرِق ومشتقاتها صلة ضئيلة ، وليس لهذين الإشتقاقين الآن وجود (انظر ما كتب Nöldeke عن عرب الجاهلية في Encycl. of Relig ، ص ٦٦٤) والحق أن أصحاب المعاجم قد أوردوا كلمة بَعْل بمعنى مالك أو رب ، بيد أن هذا الاستعمال يرجع ، كما هو واضح إلى عرب الجنوب الذين كانوا — على عكس عرب الشمال — يستعملون كلمة «بَعَل» بمعنى رب أو إله ودخلت إلى العربية تفسيراً لآية في القرآن . وقد أشار القرآن (سورة الصافات ، الآيات ١٢٣—١٣٢) إلى قصة إلياس وقال على لسانه « أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين» ، ومن المرجح أن محمداً قصد بـ «بَعْل» «بَعَل» ، كما سمعها في قصة من قصص التوراة (سفر الملوك الأول ، الإصحاح ١٨) ولكن المفسرين الأقدمين فسروها على ثلاثة أوجه . فالطبري يقول في تفسيره (ج٢٣ ، ص٥٣ طبعة الحلبي = ص٥٨ — ٥٩ في طبعة بولاق عام ١٣٢٨ هـ) إن كلمة بعل معناها رب وهي لغة لأهل اليمن ، تقول من بعل هذا الثور أي من ربه ؛ أو إن بعل اسم صنم ، ومن ثم أطلق على المكان القديم « بك » اسم « بَعلَبَك » ؛

أو إن بعل اسم امرأة كانوا يعبدونها . وعلى هذا فإن علينا أن نفهم أن بعلا اسم علم ، ومن العسير القول بأنه اسم امرأة اللهم إلا إذا استندنا إلى أن بعل تدل على الزوج أو الزوجة ، أو لعلها إشارة إلى عبادة عشتروت فى بعلبك . ومع هذا فإن ابن عباس يرى فيما نقله عنه الطبرى أن استعمال العرب بعلا بمعنى مالك هو استعمال عربى صحيح وإن كان نادراً ، ومن الواضح أن هناك تخريجاً بهذا المعنى فى القصة التى أوردها R. Smith (كتابه المذكور) نقلا عن الأغانى (جـ ٧ ، ص ٤٣) . وفى اللسان رواية واحدة على الأقل لم يسندها إلى ابن عباس ولكن لا بد أنها كانت من الكلمات القديمة الموجودة فى عهده . وأورد الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب (جـ ٧ ، ص ١٠٩ ، طبعة القاهرة عام ١٣٠٨ هـ) الوجهين فقط وهما أن بعلا اسم علم أو أن معناها رب كما فى لغـــة اليمن ، وهذا ما ذهب إليه البيضـاوى وعامة المفسرين . والشائع الآن عند جمهور المسلمين هو أن بعلا اسم علم لإله كان يعبد فى بعلبك أو هليوبوليس ، وقد تجمعت أساطير تشبه قصص التوراة حول الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة بعل ، وفى كتاب الثعلبى تفصيل الكلام عن هذه الأساطير (طبعة القاهرة عام ١٣١٤ هـ ، ص ١٤٢ وما بعدها ، وانظر كذلك النص العربى للكتاب المنحول على البلخى ، جـ ٣ ، ص ٩٩ وما بعدها ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة بعلبك

وانظر أيضا الفذلكة الموجودة فى Jewish Encycl. ، جـ ٢ ، ص ٣٨١) ؟

[ماكدونالد D. B. Macdonald]

تعليق على مادة بعل

بنى كاتب هذا المقال بحثه على نقطتين : معنى كلمة « بعل » بمعنى الزوج أو المالك أو السيد ، ومعناها على أن تكون اسما لصنم معين ، أو لامرأة كان قوم إلياس النبى يعبدونها .

وبث فى ثنايا مقاله ما اعتاد المستشرقون أن يبثوه فى أبحاثهم : من إرجاع كثير من الكلمات العربيه . وخصوصا ما يتعلق منها بالقرآن والسنة إلى اللغات الأخرى ، كالعبرية ونحوها . ومن محاولة إقناع القارئ بأن هذا القرآن إنما أخذ من التوراة والإنجيل ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم درس كتب الأمم السابقة ، واصطنع منها هذا الكتاب ، حتى ليكادون يخرجون به فى نظرهم عن عروبته وفصاحته ، اتباعا لهواهم ، وانتصاراً لرأيهم ، وتنفيذاً لخطط موضوعة معروفة عنهم .

وقد رددت على إخوان له من قبـل — فى التعليق على بعض مواد هذه الدائرة — فى مادتى « أمة » و « أمى » (فى المجلد الثانى ص ٦٣١ و ٦٤٥ — ٦٤٨) وفى مادة « إنجيـل » (فى المجلد الثالث ص ١٨ — ٣٣) .

وقد ادعى الكاتب هنـا — فيما رجحه — « أن محمداً قصد ببَعْل : بَعَل ؛ كما سمعها فى قصة من قصص التوراة » !!

وهذه دعوى عريضة كبيرة ، تحتاج إلى قوائم

من فولاذ تقف عليها ، ولكنا نراهم بنوها على قوائم من ثلج أو ملح ، وأسسوها على شفا جرف هار . وفيما كتبنا — فيما معنى الكفاية فى نقضها .

ومما يؤسف له حقاً أن المفسرين نقلت إليهم أخبار من الإسرائيليات عن قوم كان لهم صنم اسمه «البعل» فيما يزعمون ، فرأوا أن يذكروها عند تفسير آيات سورة الصافات ، التى يقول فيها النبى إلياس لقومه : «أَلاَ تَتَّقون . أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرونَ أَحْسَنَ الخالِقين» وليس لهذه الأخبار أصل من الكتاب ولا من السنة ، ونقل إليهم أيضا — مما لا أصل له — أن «بعل» اسم امرأة كانوا يعبدونها . فذكروا هذين القولين ، على أنهما مما نقل فى معنى «بعلا» فى الآية !!

وممن صنع ذلك الطبرى — إمام المفسرين — ولكنه قال عقب ذلك : «والبعل فى كلام العرب أوجه : يقولون لرب الشىء : هو بعله ، يقال : هذا بعل هذه الدار ، يعنى ربها ، ويقولون لزوج المرأة : بعلها . ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء ولم يكن سقيا : هو بعل ، وهو العذى» .

والعارف بكتاب الطبرى وطريقته فى التفسير يجزم من صنيعه فى تفسير الآية أنه لم يرض إلا القول الأخير ، وإن لم يرد الروايتين الأخريين رداً صريحا .

والبخارى — إمام أهل الحديث — لما ذكر هذه الآية فى كتاب التفسير من صحيحه ، قال : «بَعْلا : ربا» ، ولم يقل غير هذا ، ولم يشر إلى الروايات الإسرائيلية (انظر فتح البارى ج ٨ ص٤١٧ طبعة بولاق سنة ١٣٠١هـ) وقد أصاب .

وأما كلمة «بعل» فإنها عربية أصيلة ، ليس فيها شية من العجمة ، وإن ادعى كاتب المقال أنها سامية ، وأنها «بَعَل» وسنذكر الأدلة على ذلك قوية واضحة إن شاء الله .

قال الراغب الأصفهانى فى غريب القرآن (ص٥٤) : بعل : البعل هو الذكر من الزوجين قال الله عز وجل : (وهذا بعلى شيخاً) . وجمعه بعولة ، نحو فحل وفحولة . قال تعالى : (وبُعُولَتُهن أحقُّ بردِّهِنّ) . ولما تُصُوِّرَ من الرجل الاستعلاء على المرأة ، فجعل سائسها والقائمَ عليها ، كما قال تعالى : (الرجالُ قوّامون على النساء) : — سمّى باسمه كلُّ مستَعْلٍ على غيره . فسمى العرب معبودهم الذى يتقربون به إلى الله بعلا(١) لاعتقادهم ذلك فيه ، فى نحو قوله تعالى : (أتدعون بعلاً وتذرونَ أحسنَ الخالقين) . ويقال أتانا بعل هذه الدابة ، أى المستعلى عليها . وقيل للارض المستعلية على غيرها : بعلٌ ، ولفحل النخل : بعل ، تشبيها بالبعل من الرجال . ولما عظم حتى يشرب بعروقه : بعل ، لاستعلائه . قال صلى الله عليه وسلم : فيما سُقِىَ بعلاً العُشْرُ . ولما كانت وطأةُ العالى على المستولى عليه مستثقَلَةً فى النفس قيل : أصبح فلان بعلا على أهله ، أى ثقيلا لعلوه عليهم . وبنى من لفظ البعل : المباعلة والبعال ، كناية عن الجماع وبَعَلَ الرجلُ يَبْعَلُ بعولةً واستَبعلَ فهو بعل

(١) يعنى أنهم جعلوه اسما نكرة لما يعبدون ، كقولهم «صنم» ونحوه فلم يعتبره الراغب علما على صنم بعينه ، وهو الصواب .

أحمد محمد شاكر

ومستبعِل إذا صار بعلا . واستبعل النخل عظم . وتصوَّرَ من البعل الذى هو النخل قيامه فى مكانه فقيل : بَعِلَ فلان بأمره ، إذا دُهش وثبت مكانه ثبوت النخل فى مقرّه . وذلك كقولهم : ما هو إلا شجر ، فيمن لا يَبرحُ » .

وهذا النص عند الراغب يجمع معانى هذا الحرف ، وهو أدق النصوص ، لأنه يردها كلها إلى معنىواحد ، تفرعت عنهالمعانى الأخر . وهو من دلائل عروبة الكلمة ، فانا إذا وجدنا العرب استعملوا كلمة،ثم أكثروا من تصريفها والاشتقاق منها ، والانتقال من معانيها إلى أنواع مختلفة باختلاف الأوزان ، وانتقلوا بها إلى معانى تشبه أن تكون بينها وبين المعنى الأول علاقة — : علمنا أن الكلمة أصيلة عندهم ، ومن لغتهم ، فاذا وجدناهم خرجوا من هذا إلى تقليب حروفها بالتقديم والتأخير ، واستعملوا تقاليب المادة أو أكثرها ، باعادة معنى جديد فى كل تغيير منها — كان فى ذلك اليقين والجزم ، وارتفعت كل شبهة فى أنها عربية .

وقد صنع العرب فى هذا الحرف كلّ ذلك ، فاشتقوا من مادة « بعل » ما نقلناه عن الراغب وغيره ، ثم استعملوا تقاليبها كلها :

قدّموا اللام على العين ، فقالوا « بَلِعَ » الشىء بَلْعاً ، وابتلعه ابتلاعاً . وقالوا : رجل « بُلَع » كثير الأكل ، إلى آخر هذه المادة .

ثم قدّموا العين على الباء ، فقالوا : رجل « عَبْلٌ » إذا كان غليظاً ، والمصدر « العبالة » و « العبولة » ، وهكذا .

ثم أخروا الباء بعد العين واللام ، فقالوا : « العُلْبُ » وجمعه « عُلُوب » وهو الأثر فى الجسد ، واشتقوا منه فعلا ، وقالوا : « العلبة » ، و« استعلب » الجلدُ : إذا غلظ ، وغير ذلك .

ثم أخّروا الباء بعد اللام والعين ، فقالوا : « لَعِبَ » ومشتقاتها .

ثم قدّموا اللام قبل الباء والعين فقالوا « ذَهَبَ به ضَبْعاً لَبْعاً » أى باطلا .

فها هى الصور العقلية كلها فى تقليب هذه الحروف الثلاثة (ب ع ل) بالتقديم والتأخير ، استعملها العرب جميعاً ، وإذا ذهبنا نبحث فيما يخرج منها بتغيير بعض الحروف بما يقاربها فى المخرج كما إذا أبدلنا من الباء فاء مثلا — وجدنا الصور الستة فيها مستعملة كلها : (فعل ، فلع ، عفل ، لفع ، لعف ، علف) .

وكذلك إذا وضعنا بدل العين حاء ، وجدنا تقاليب المادة مستعملة كلها : (بحل ، بلح ، حبل لبح ، لحب ، حلب) . وكذلك إذا وضعنا الفاء والحاء بدل الباء والعين : (فحل ، فلح ، حفل ، لفح ، لحف ، حلف) .

وهكذا مما لو تتبعناه تفصيلا لطال الأمر جداً .

فليس من المعقول بعد هذا أن يكون فى كلمة « بعل » أية شبهة من العجمة ، والنقول التى فيها أن الكلمة بمعنى « الرب » لغة أهل اليمن لا تنافى هذا ، فاليمنية عربية . وكثير من الألفاظ التى تفردت باستعمالها عرفت قبل الاسلام فى مضر ، وقليل منها لم يعرفه سائر العرب ، ثم عُرف بعد وكلها لغة واحدة .

هذا إلى أنى أذهب إلى ما ذهب إليه الشافعى وأبو عُبَيْدَةَ : أنه ليس فى القرآن كلمة واحدة

غير عربية ، حاشا الأعلامَ . وأنصر هذا القولَ وأجزم بأنه الحق ، وإن خالفتُ فيه كثير من الأصوليين واللغويين .

قال الشافعي في [كتاب الرسالة] (في الفقرات ١٣١ — ١٣٦ ، ص ٤١ — ٤٢ من طبعة الحلبي بتصحيحي) :

« فالواجب على العالمين ألاَّ يقولوا إلا من حيث علموا . وقد تكلّم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من السلامة له ، إن شاء الله . فقال قائل منهم : إن في القرآن عربياً وأعجمياً . والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب . وَوَجَدَ قائلُ هذا القول مَن قَبِلَ ذلك منه ، تقليداً له ، وتركاً للمسئلة له عن حجته ، ومسئلة غيره ممن خالفه . وبالتقليد أغفَلَ مَن أغفل منهم ، والله يغفر لنا ولهم » .

وبعد أن أقام الحجة لقوله ، ورد قول مخالفيه ، اعتذر عن بدء كتابه بهذا البحث ، وقال (في الفقرة ١٧٠ ، ص ٥٠) :

« فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة ، نصيحة للمسلمين ، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، وإدراكُ نافلةِ خيرٍ لا يدَعُها إلاّ مَن سَفِهَ نفسَهُ ، وتركَ موضعَ حظّه . وكان يجمع مع النصيحة لهم قياماً بإيضاح حَق ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين من طاعة الله ، وطاعة الله جامعة للخير » .

وقال أبو عبيدة ، فيما نقله عنه أبو منصور الجواليقي في [كتاب المعرَّب] (ص ٤ من طبعة ليبزج سنة ١٨٦٧) :

« من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظَمَ على الله القول » .

ولعلي أُوَفَّق لتفصيل الحجج لما ذهبت إليه ، في مقدمة [كتاب الرسالة] إن شاء الله ، وأسأل الله التيسير والعون .

بقيت الشبهة التي أثارها كاتب المقال ، من أن في اللغة السامية كلمة « بَعَل » بمعنى مالك الشيء ، وإن في سفر الملوك اطلاق هذه الكلمة على صنم .

أما ما في سفر الملوك ، فان الذي يبدو لي أن الكلمة لم تكن علماً على صنم معين ، وإنما كانت في الكلام مراداً بها التنكير أيضا ، على قدر ما فهمت مما في الكلام من ضعف العبارة وسوء الترجمة .

وأما وجود الكلمة في اللغة السامية ، فانه لا يدل على نقلها منها إلى العربية .

وليس اشتراك أصل مادة في لغتين متجاورتين متقاربتين كالسريانية مع العربية ، أو كالعبرية مع العربية : بدالّ على أن إحداهما أخذت الكلمة من الأخرى ، إلا إذا ثبت يقيناً أن إحدى اللغتين أقدم من الأخرى وأسبق . والسريانية من اللغات القديمة ، وكانت لغة إبراهيم النبي عليه السلام ، ولم يثبت من وجه قاطع أنها أقدم من العربية ، حتى يكون ما فيها من المتفق مع العربية أصلا له .

وقد قلنا شيئا من هذا المعنى فيما مضى من الدائرة (في المجلد الثاني ، ص ٦٣١) ثم وجدنا الآن بحثا فيه جيداً للحافظ الكبير العلامة ابن حزم في (كتاب الإحكام في أصول الأحكام ج ١ ، ص ٣١ — ٣٢) قال :

« إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينـــا أن السريانية والعبرانية والعربية ، التى هى لغة مضر وربيعة » لا لغة حمير — : لغة واحدة ، تبدلت بتبدل مساكن أهلها » فحدث فيها جَرْسٌ كالذى يحدث من الأندلسى إذا رام نَغْمة أهل القيروان، ومن القيروانى إذا رام نغمة الأندلسى » ومن الخراسانى إذا رام نغمتهما . ونحن نجد من سمع لغة أهل فَحْصِ البَلُّوط ، وهى على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة . وهكذا فى كثير من البلاد ، فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله . ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ فى اللغة العربيـة تبديلا ، وهو فى البعد من أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق » فنجدهم يقولون فى العنب : العِينَب، وفى السوط أَسْطَوْط ، وفى ثلاثة دنانير ، ثلاثدًا . واذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال : السجرة . واذا تعرب الجِلِّيقى أبدل من العين والحاء هاء ، فيقول : مهمد ، اذا أراد أن يقول محمد . ومثل هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا ، من تبديل ألفاظ الناس ، على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة فى الأصل » .

وهذا ما قال ابن حزم » وهو قوى جدا ، وواضح معقول ، لا تنقضه أوهام الواهمين ، ولا أهواء ذوى الأغراض ، وقد وافقناه فى أساس نظريته فيما كتبناه تعليقا على مادة « أمة » .

ولكن ابن حزم بعد ذلك انتهى الى نتيجة لا نوافقه عليها ، إذ لم يقم عليها دليل صحيح ، فانه قال : « وإذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً . والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسمعيل عليه السلام ، فهى لغة ولده والعبرانية لغة اسحق ولغة ولده . والسريانية بلا شك هى كانت لغة إبراهيم — صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم — بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم ، فالسريانية أصل لهما » .

ووجه نقـــدنا لابن حزم : أن إسحق ابن إبراهيم ، فمن البعيد جداً أن تكون له لغة خاصة غير لغة أبيه ، والا فبماذا كانا يتخاطبان ويتفاهمان ! وليس من السهل اعتقاد أن اسحق اخترع لغة أخرى لنفسه بجوار لغته التى نشأ عليها . إنما المعقول أن تكون العبرانية لغة نشأت عن السريانية على توالى الأزمان فى بنى إسرائيل بعد أن هاجر إبرهيم من العراق الى الشأم، ثم تطورت مع تجاور الأمم وتغاير اللهجات ، حتى صارت لغة قائمة بنفسها .

وأما الشأن فى إسمعيل فشىء آخر : المعقول أيضاً أن لغته كانت لغة أبيه السريانية ، ونزح به أبوه الى مكة فأسكنه بين أمة موجودة — كانت فى ذلك — هى الأمة العربية » وقد كانت لها لغة تتفاهم بها ولا بد » ومن الظاهر جداً أن تكون هى اللغة العربية، الباقية فيهم الى اليوم والى ما شاء الله .

وليس من المستساغ ادعاء أن قد كانت لهذه الأمة لغة غير لغتهـــا المعروفة ، ثم توسيت

ودرست ، ونشئوا على لغة غيرها ، لأنه لم يأت بذلك خبر ، ولا قام عليه دليل .

ثم بماذا كان يخاطب إسمعيل هؤلاء الناس الذين نزل بجوارهم ؟ أيعقل أن يخترع لغة ثم يفرضها عليهم فرضا ، حتى يدعوا لغتهم اليها ؟ ! أظن أن المعقول المفهوم أن يتعلم هو لغتهم ، اذ صار بجوارهم ، وواحداً منهم ، وكان طفلا رضيعا ، ثم أصهر إليهم ، وولد فيهم ، وبقى ببلدهم الى أن مات ، ثم كان ولده منهم .

فان لم تكن العربية أقدم من السريانية ، فانها على الأقل كانت بجوارها معروفة لقوم معروفين ، ويحتمل جداً أن تكونا متقاربتين ، وأن يكون الخلاف بينهما قليلا كالخلاف بين اللهجات المتعددة فى اللغة الواحدة ، حتى كان ميسوراً لإبرهيم وإسمعيل وهاجر أن يَفْهَموا العرب ويُفْهِموهم . أما أن تكون العربية فرعاً من السريانية أو العبرية فلا .

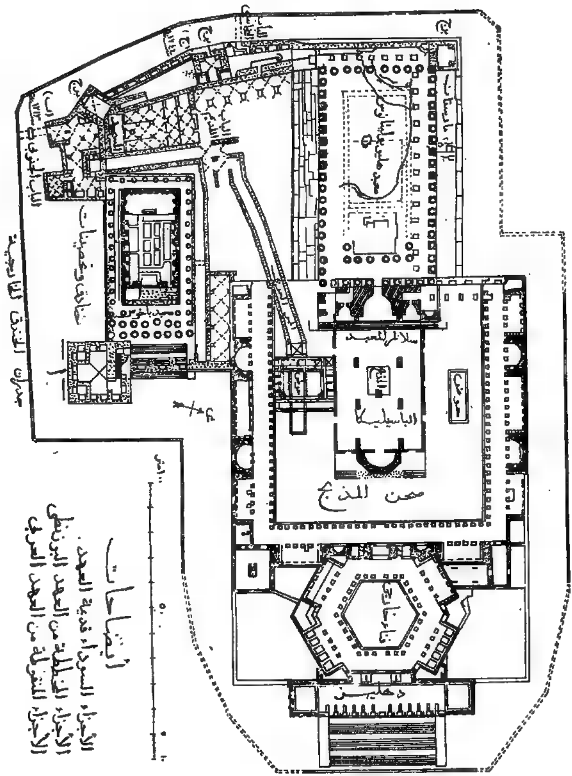
والذى شَبَّه على ابن حزم فى هذا أنه سمع أخباراً سماها « مستفيضة » أن أول من تكلم بهذه العربية إسمعيل ، وليس لهذا أصل صحيح، بل ورد فيه أثر رواه الحاكم فى المستدرك (ج ٢ ، ص ٥٥٢ — ٥٥٣) عن ابن عباس ، وهو أثر ضعيف الاسناد جداً ، والثابت الصحيح ينفيه ، ففى صحيح البخارى (ج ٦ ص ٢٨٥ — ٢٨٦) حديث لابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة إبراهيم وإسمعيل ، وفيه أن إسمعيل وهاجر بقيا وحدهما بجوار زمزم ، حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، وأنهم استأذنوها فى النزول عندها فأذنت ، ثم قال فى الحديث : « فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم إلى آخر الحديث ، فهذا نص صريح صحيح ، عن خبر الصادق — صلى الله عليه وسلم — أن إسمعيل تعلم العربية من جرهم .

وبعد ، فاذا كانت كلمة « بَعْل » العربية لها شبه بكلمة فى نحو معناها من اللغات السامية ، فليس معنى هذا أن العرب أخذوها منهم ، ولا يدل على أن ما فى القرآن الكريم مأخوذ من التوراة .

أحمد محمد شاكر

« بعلبك » ويسميها الروم هليوبوليس Heliopolis : قصبة ناحية من أعمال دمشق ومقر القائمقام . وهى فى هضبة البقاع الشامية ، وقد اشتهرت بأطلال معبد جوبيتر الذى شيده الإمبراطور أنطونينوس Antoninus (١٣٨ ه — ١٦١ م) فوق منبسط مرتفع وبالساحات والأبهاء التى زادها الإمبراطور كراكالا كما تشتهر بمعبد باخوس . ولم نهتد بعد إلى اشتقاق كلمة بعلبك ، وتدل التسمية اليونانية « هليوبوليس » على أن تلك المدينة كانت مقراً لعبادة إله من آلهة الشمس كما أن التسمية العربية « بقاع العزيز » لها نفس الدلالة ، لأن لفظة العزيز تدل على معبود متصل

هيكل وقلعة بعلبك



أ. برج السلطان قلاوون

ب.ج. برج السلطان بهرامشاه

بإله الشمس الذى كان يعبد فى شمالى الشام وأواسطها .

وقد نسبت تلك الهضبة إليه لا إلى ابن أقل شأنا من أبناء صلاح الدين المشهور . وتذهب الأسطورة العربية إلى أن معبد بعلبك كان قصراً لسليمان أمهره لبلقيس ملكة سبأ . وألحقت بعلبك صلحاً بالدولة الإسلامية على يد أبى عبيده قائد الخليفة عمر ابن الخطاب عام ١٦ هـ (٦٣٧ م) وظلت من أعمال دمشق فى عهد خلفاء بنى أمية وبنى العباس . ولما فتح الخليفة المعز لدين الله الفاطمى مدينة دمشق عام ٣٦١ هـ (٩٤٢م) أقام فى بعلبك والياً من قبله . وظلت بعلبك فى حوزة الفاطميين حتى عام ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ م) فيما خلا فترتين : الأولى عند ما فتحها الأمبراطور يوحنا زيميسكس John Zimisc[illegible] وخربها عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) والثانية عند ما احتل صالح بن مرداس أمير حلب تلك المدينة عام ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) . وابتدأ حكم الأمير تتش السلجوقى وأولاده لهذه المدينة عام ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ م) واستولى عليها مسلم بن قريش أمير حلب أمداً قصيراً فى عام ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) وبعد رحيل مسلم عنها وليها الخصى كمشتكين وظل فى منصبه هذا فى ظل أبناء تتش : وولى الحكم فى بعلبك بعد السلاجقة طغتكين وكان فيما سبق أتابك من قبلهم . (انظر هذه المادة) .

وتآمر كمشتكين على طغتكين عام ٥٠٤ هـ (١١١٠ م) فعزله طغتكين وولى مكانه ابنه بورى . وتوفى طغتكين عام ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) فخلفه ولده بورى على دمشق ، وأقطع ابنه محمدا حكم بعلبك الذى احتفظ بها على الرغم من طمع إخوته فيها بعد مقتل بورى عام ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) . ويلوح لنا أن بعلبك كانت فى ذلك الوقت مدينة منيعة لأننا نسمع لأول مرة عن حسن دفاعها . وولى الأمير محمد حكم دمشق عام ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) بعد مقتل أخويه : إسماعيل عام ٥٢٦ هـ (١١٣٢ م) ، ومحمود عام ٥٢٩ هـ (١١٣٤م) واقطع وزيره الموهوب أنر حكم بعلبك .

وكان زنكى أمير حلب زوجا لأم محمود المقتول ، ولذلك طالب بثأره من محمد البرىء . وسار نحو بعلبك لما رأى استحالة محاصرة دمشق ، وسلمت إليه قلعة بعلبك التى ذادت عن حوضها بكل شجاعة بعد أن أمن حاميتها ، ولكن زنكى لم يبر بوعده وولى عليها أيوب والد صلاح الدين (انظر مادة الأيوبيين) .

وقوى زنكى حصون بعلبك . وتوفى محمد عام ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) فحكم أنر باسم أبق بن محمد الذى كان قا [illegible] ولما قتل زنكى عام ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) اضطر أيوب إلى أن يعيد بعلبك إلى أنر و أقطعها أنر إلى الخصى عطاء

وبعد مقتل عطاء استولى ابن أخيه الضحاك أمير وادى التيم فى الجنوب الغربى من البقاع على بعلبك ، ولكنه أجبر على التخلى عنها عام ٥٥٢ ﻫ (١١٥٧ م) إلى نور الدين الذى ألجأ أبق إلى الانسحاب منها عام ٥٤٩ ﻫ (١١٥٤ م) ، وأمر نور الدين بإعادة تشييد أسوار بعلبك التى دمرها الزلزال المروع الذى حدث عام ٥٦٥ ﻫ (١١٧٠ م) وانتزع صلاح الدين بعلبك من إسماعيل خليفة نور الدين فى عام ٥٧٠ ﻫ (١١٧٤ م) بعد حصار دام أربعة أشهر . وأقطعها أولا إلى محمد أحد قواده ثم إلى أخيه توران شاه عام ٥٧٤ ﻫ (١١٧٨ م) ثم إلى ابن أخيه فرخ شاه بعد ذلك بعام . وتوفى فرخ شاه بعد ذلك بثلاثة أعوام فخلفه ابنه بهرام شاه (انظر هذه المادة) فى حكم بعلبك . وظل يدبر شئونها من عام ٥٧٨ ﻫ (١١٨٢ م) إلى ٦٢٧ ﻫ (١٢٣٠ م) وابتنى بقلعتها برجين . وفى عام ٦٢٧ ﻫ (١٢٣٠ م) استولى الأمير الأشرف موسى (انظر ماده موسى) على بعلبك . وبعد وفاته استولى عليها أخوه الصالح إسماعيل عام ٦٣٥ ﻫ (١٢٣٧ م) ثم وقعت بعد ذلك فى حوزة الصالح أيوب عام ٦٤٤ ﻫ (١١٤٦ م) بعد قتال دام سنة ، وكان الصالح أيوب قد أقام على بعلبك سعد الدين الحميدى ، ولما خلفه على العرش توران شاه اعترف باستقلال هذا الوالى عام ٦٤٧ ﻫ (١٢٤٩م) وقتل توران شاه بعد سنة من حكمه فاستولى الناصر يوسف سلطان حلب على دمشق وطلب من والى بعلبك تسليمها له . ولكن الوالى انحاز إلى ابن توران شاه الصغير ورضى بدفع الجزية . وغزا المغل الشام عام ٦٥٨ ﻫ (١٢٦٠ م) فقضوا بذلك على حكم الناصر يوسف ، إذ استولى القائد المغلى قتبغا على بعلبك وهدم حصونها ، غير أن قطز سلطان مصر هزم المغل فى العام نفسه ، وبذلك انتقلت بعلبك إلى سلطان المصريين ووضعت تحت حكم والى دمشق . وظلت بعلبك على هذه الحال حتى عام ٩٢٢ ﻫ (١٥١٦ م) أى إلى الوقت الذى فتح فيه السلطان سليم العثمانى الشام وضمها إلى ملكه . وظلت بعلبك تابعة للباب العالى منذ ذلك الوقت ، تحكمها أسر ضئيلة الشأن أهمها أسرة حرفوش . وانتقصت المنازعات المستمره بين الأسر الشآمية من رخاء تلك المدينة وزادت فى شقاء أهلها . وقد لحقت بها خسائر فادحة بسبب الزلزال الذى حدث عام (١٧٥٩م) واستولى إبراهيم باشا على مدينة بعلبك مده وجيزه عام (١٨٣١م) وعادت بعد رحيله إلى حكم أسره حرفوش . ولم ينشىء الباب العالى فى تلك المدينة إداره منظمة إلا فى عام ١٨٥٠ وذلك عند ما غدت بعلبك مقر القائمقام الخاضع لوالى دمشق . وعم الرخاء بعلبك منذ ذلك الوقت . ويبلغ عدد سكانها اليوم خمسة آلاف نسمة منهم ألفان من المسلمين السنيين وألفان من الشيعة وألف من النصارى .

وأخذ الألمان يقومون بأعمال الحفر فى المدينـــة تحت إشراف كل من بوشتين Puchstein وشولز Schulz ، وذلك من عام ١٩٠٠ إلى ١٩٠٤ . ومدينة بعلبك هى الآن مطمح أنظار جميع الرحالة الذين يقصدون إلى المشرق .

قلعة بعلبك

والمعلومات التى سنوردها مستمدة من التقرير الثانى الذى وضعه بوشتين عن حفائره فى بعلبك . وهو المطبوع فى برلين عام ١٩٠٣ ، ص ٤١ وما بعدها .

حوّل العرب المعبد إلى قلعة ، وقد وصف مهندسوهم الشكل العام للقلعة ، وأول ما راعهم منه الساحات والمعبدان اللذان كانت أسوارهما الخارجية تكسب القلعة منعة وعزة . ويظهر أن المعبد الصغير كان بناءا قائما بذاته داخل القلعة وهو بمثابة البرج . ولا تزال الخنادق بحوائطها الخارجية بادية إلى الآن فى جانبه الشمالى . وقد بنى البرج الكبير فى الركن الجنوبى الشرقى من هذا المعبد بقصد حمايته ، وكان يتعين بذل المـال الكثير لملء الفراغ الذى يفصل بين المعبدين الكائنين فى الركن الجنوبى الغربى للقلعـة ، وكان بهذا الركن مدخل الطريق إلى البقاع والمخرج منهـا ، ولذلك فقد عمـــد مهندسو العرب إلى منافسة مهندسى الرومان وإظهار براعتهم فى هذا الميدان . وتبين أنه لابد من ترميم الأسوار العربية كى تصمد لحاجات الدفاع المتغيرة ، كما صمدت الأسوار القديمة أمام جميع المحن . وتبين الخريطة الملحقة بهذا المقال العهود المختلفة لبناء هذه القلعة . أما الأرض التى أقيمت عليها الحصون الحديثة فقد كانت أكثر أجزاء المدينـــة انخفاضا وهى بمثابة الضاحية أو المدينة السفلى .

وقد شيد فى أول عهد من عهود بناء القلعة سوران أحدهما ناحيـة الجنوب الغربى تجاه الواجهة الجنوبية للمعبد الصغير ، والآخر تجاه الواجهة الغربية للمعبد الكبير . ووضع الباب وسط الجانب الغربى ، وأقيم على كل من جانبيه برج قليل الارتفاع . أما العهد الثانى من عهود بناء القلعـة فلعله يوافق زمن محمد بن بورى الذى دافع عن بعلبك دفاعا مجيدا ، أو عهد زنكى الذى انهمك فى تحصين بعلبك كما تدل على ذلك الكتابات والنقوش المكتشفة . ويمتاز هذا العهد بأنه قد نقل فيه الباب إلى الجانب الجنوبى من القلعة ، وبهذا الجانب ممر مسقوف يؤدى إلى داخل الحصن الخارجى ، ثم إن هذا الممر كان متصلا بالقسم الشرقى من القلعة بوساطة ممر آخر مسقوف يرتفع تدريجا حتى يصل إلى مستوى هذا القسم .

وقد بقى مكان الباب القديم وبرجيه الصغيرين برج آخر كبير أقيمت على جانبيه استحكامات جديدة لا تبعد عن الاستحكامات القديمة . ويلوح لنا أيضا أنه كان هناك برج آخر فى الركن الجنوبى الغربى . وقد شيد السلطان بهرام شاه برجا جديدا فى ذلك الموضع عام ٦١٠ هـ (١٢١٣م) كما ابتنى البرج الموجود فى الركن الشمالى الغربى من القلعة فى عام ١٢٢٤م . وقد يكون هذا السلطان هو الذى قوى جبهة البرج الغربى . وفى العهد الرابع من عهود بناء قلعة بعلبك ابتنى السلطان قلاوون وخلفاؤه عدة مبان جديدة منيعة ذات شأن، وذلك بعد أن خرب المغل بعلبك فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى . وأزيل الاستحكامان الغربيان ونقلا إلى واجهة البرج الغربى الذى شيد بحجارة ضخمة على نمط آخر جديد . ويرجع بناء البرج الحصين الذى فى الركن الجنوبى الشرقى للمعبد الصغير إلى هذا العهد أيضا . وقد دعت الظروف المتغيرة إلى حماية الباب الجنوبى القديم للقلعة، ويلوح لنا أنه أقيم لهذا الغرض حصن خارج القلعة، لأننا نجد الطريق الموجودة وراء الجسر المنصوب فوق الخندق ووراء الباب الخارجى ينحنى أربع مرات قبل أن يصل إلى الباب الداخلى . وتوجد بالقلعة أيضا ساحة صغيرة يمكن الإشراف عليها من عل فإذا تجمع الأعداء فيها أمكن اكتساحهم . ونستدل من النقوش التذكارية القائمة على دعائم الباب الخارجى المتهدمة على أن الحصن الخارجى شيد حوالى عام ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) . ولم يدخل أى تعديل على حصون قلعة بعلبك بعد نهاية القرن الثالث عشر الميلادى اللهم إلا تلك الإصلاحات التى أدخلت على الخندق المحيط بالقلعة عام ٧٩٦ هـ (١٣٩٤ م) وذلك عند ما أخذ السلطان برقوق (انظر هذه المادة) أهبته لمقاومة تيمور كما تشير إلى ذلك الكتابات والنقوش ؟

المصادر

(١) Ritter: *Erdkunde* جـ ١٧، ص ٢٢٣ — ٢٢٨، ٢٤٤ — ٢٤٦ وفى هذه المجلة ذكر للقدماء الذين كتبوا عن بعلبك (٢) Alouf: *Histoire de Baalbek* بيروت ١٨٩٦ (٣) Puchstein: *Erster und zweiter Jahresbericht über die Ausgrabungen in Baalbek* برلين ١٩٠٢، ١٩٠٣ (٤) Puchstein: *Führer durch die Ruinen Baalbeks* برلين ١٩٠٥ (٥) Sobernheim: *Zur Oeschichte Baalbeks im Mittelalter* فى *Festschrift für Amari* بالرمو ١٩١٠، ص ١٥٢ — ١٦٣ وسينشر سوبرنهيم Sobernheim قريبا مصنفا آخر عن حفائر بعلبك يضمنه تاريخها ونقوشها العربية وأسماء المؤلفات العربية التى كتبت عنها

[سوبرنهيم M.Sobernheim]

تم المجلد الثالث